المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم عقيدة



منهج الإمام ابن الجوزي رحمه الله وآراؤه الاعتقادية

عرض ونقد

رسالة مقدَّمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلاميَّة

إعداد الطالب

بندر بن محمد بن علي العمودي

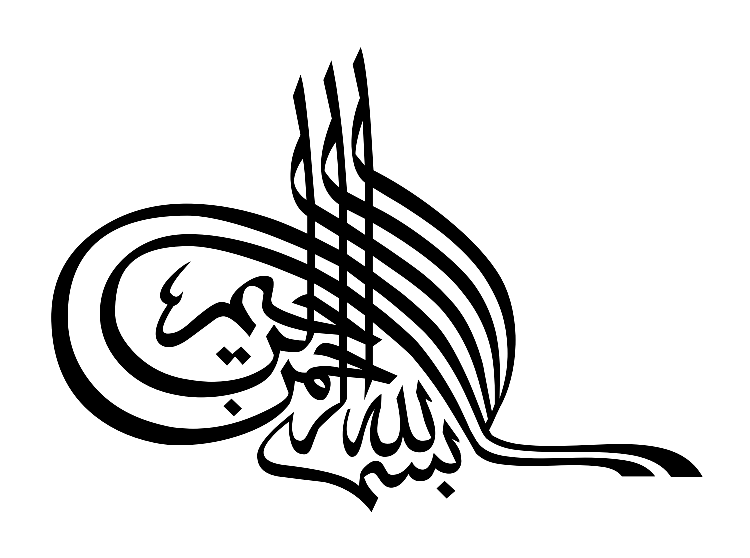
القسم المسائي

٤٣٠٨٨١١٣

إشراف

أ.د. عثمان بن علي حسن

١٤٣٥هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخَّص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد...

فقد اشتملت الرسالة العلمية المقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة، والتي هي بعنوان (منهج الإمام ابن الجوزي رحمه الله وآراؤه الاعتقادية) على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

فأمَّا المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدَّراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

أمَّا التمهيد: فاشتمل على مبحثين، المبحث الأول: تكلَّمت فيه عن عصر ابن الجوزي رحمه الله، وبيَّنت فيه الحالة السياسية والاجتماعية، وعرفت بابن الجوزي رحمه الله، وحياته العلمية والعملية. والفصل الثاني: تكلمتُ على منهجه في تقرير العقيدة.

أمَّا الفصل الأول: فيشمل على مبحثين، الأول: آراؤه في الإيمان، والثاني آراؤه في الإيمان بالله، ويتحدث عن روبيته سبحانه، وعن ألوهيته، وعن توحيد الأسماء والصفات.

أمَّا الفصل الثاني: فيشمل ثلاث مباحث، الأول: آراؤه في الإيمان بالملائكة وما يتعلَّق بذلك، والثاني: آراؤه في الإيمان بالكتب وما يتعلَّق بذلك، والثالث: الإيمان بالرسل وما يتعلَّق بذلك.

وأمَّا الفصل الثالث: فيشمل ثلاث مباحث: الإيمان باليوم الآخر، والقضاء والقدر وما يتعلَّق بهما من مسائل. وكذلك آراؤه في الصحابة وبيان فضلهم، وموقف المسلم منهم.

وأمَّا الخاتمة: فتشمل أهم النتائج، ومن أهمِّها أنَّه وافق أهل السنّة والجماعة في أغلب مسائل الاعتقاد، وخالفهم في بعضها.

وقد كانت طريق العرض مبنيَّة على جمع أقوال ابن الجوزي رحمه الله من خلال كتبه، وعرضها على منهج أهل السنَّة والجماعة، مع ذكر الأدلة والمناقشة والترجيح، ملتزماً بضوابط المنهج العلمي في النقلِ والعزوِ والتوثيقِ والتخريجِ.

ولقد ذيَّلْت البحث بملاحق وفهارس علمية.

والحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، وصلي اللهم على محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلِّم.

الطالب

بندر بن محمد العمودي

Abstract

Praise to be Allah and Peace be upon our messenger……After that
This education project has been introduced to get the masters' degree in doctrine. The research's title is "Imam Ibn Al-Jawzi approach (Allah mercy him) and His Views on Doctrine Belief). The research contains an introduction, preface, three chapters and conclusion.

The introduction has mentioned the importance of the topic because of Ibn al-Jawzi's educational high status, and the importance of his views of his beliefs. In this section I mentioned the reasons of me choosing this and this because of Ibn Al-Jawzi may Allah have mercy on him has a high status among the other Islamic and also he is one of the famous Hanbali scientists who violated their Islamic scientists on the issue of the character which made some people to infer from his sayings, to back up their beliefs.

I also mentioned the previous studies, the research's approach and plan.

The preface includes two researches, the first one is about the era of Ibn Al-Jawzi (Allah mercy him), clarifying the political and social status, introduced Ibn Al-Jawzi (Allah mercy him) his knowledge and practical life and the second is his approach in verification of doctrine.

The first chapter includes two researches, the first is his views on faith, the second is about his views on of Allah faith, talking about Allah Deism, Allah Theism and the unify of names and attributes.

The Second Chapter includes three researches, the first is about the views on Faith of Angeles and relevant, and the third is about the faith on messengers and relevant.\

The third Chapter includes three researches, the first is about the faith on the last day, fate and destiny and relevant subjects. I added to his views about messenger's accompanies and their virtue and the Muslim attitudes toward them.

The conclusion includes the prominent results, the most important that he is approving Sunnis and scholar's community in doctrine issues, and disapprove is some.

The methodology is based on collection all Ibn Al-Jawzi's sayings b by his books and explaining the approach of Sunnis and scholars community by mentioning evidences, discussion and weighting, and obligate to the controls of scientific approach in translation, ascription, documentation and interpretation.

The study is attached with the appendix and the contents.

Praise be to Allah, first and foremost, and outwardly and inwardly, and peace be upon Muhammad and his family and accompanier.

Done by
Bandar Mohammad Al-Amoudi

المقـــدمـة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾آل عمران: ١٠٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾النساء: ١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾الأحزاب: ٧٠-٧١، أمَّا بعد...

فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله تعالى، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

إنَّ الله خلق الخلق ليعبدوه سبحانه، ويدعوه بأسمائه وصفاته، ويؤمنوا بالغيب الذي كلَّفهم أن يؤمنوا به، فأرسل إليهم الرُّسلَ عليهم السلام، ليُبيِّنوا للناس طريقَ الهدى، ويحذِّروهم من الغيِّ والرَّدى، ثمَّ ورِثَهم العلماءُ، فحملوا هذا العلم وبلَّغوه للناس. ومن هؤلاء الإمام ابن الجوزي رحمه الله، الذي نفع الله بعلمه في حياته وبعد مماته.

والناس بحاجةٍ إلى من يعلِّمُهم أمورَ دينهم، من العلماء وطلاب العلم والباحثين.

أهمية الموضوع وسبب اختياره

فضائلُ الله على العباد عظيمةٌ، وإنَّ ممَّا امتنَّ الله عليَّ به، أن ألتحقتُ بالدراسات العليا بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أمِّ القرى.

ولقد نظرتُ في مسائل العقيدة بغيةَ اختيار موضوع يعود بالنَّفع عليَّ وعلى الأمة، فوجدتُ موضوعَ منهجِ الإمام ابن الجوزي رحمه الله وآراؤه الاعتقادية من المواضيع التي أرجو منها النَّفعَ عليَّ وعلى المسلمين، وذلك لاهتمام العلماء بمؤلفاته، ولانتشار كتبه بين الناس وشهرتها، ولما لآرائه من مكانة عند علماء المسلمين.

فاستشرتُ مَن يُوثق بعلمِه من أهل العلم، فحثَّني على ذلك، واستخرتُ الله تعالى فانشرح لذلك صدري، فعزمتُ مستعيناً بالله عزَّ وجلَّ.

وتتلخَّص دوافع الاختيار فيما يلي:

أولاً: كثرة المسائل التي سأتناولها بالبحث من خلال دراسة شخصية ابن الجوزي رحمه الله.

ثانياً: ما لابن الجوزي رحمه الله من مكانةٍ عند العلماء قديماً وحديثاً، وذلك بسبب كثرة مؤلفاته، وانتفاع العلماء بها، ما بين ملخِّص لها، وناقد، ومحقِّق.

ثالثاً: أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله من علماء الحنابلة المشهورين، ومن المعلوم أنَّ الحنابلةَ يسيرون في الاعتقاد على ما ثبتَ عن إمامهم الإمام أحمد رحمه الله، إلا ما ظهر من بعضهم في مخالفته للاعتقاد المشهور عن الإمام أحمد رحمه الله، وكان منهم ابن الجوزي رحمه الله، فأحببتُ بيان آرائه في مسائل الاعتقاد.

رابعاً: استشهاد بعض أهل البدع بكلامه في باب الاعتقاد، واشتغال بعضهم بتحقيق كتبِهِ في العقيدة، كما فعل الكوثري والسقاف بإخراجهما لكتاب دفع شبه التشبيه، مع عدم تحقيق آرائه في العقيدة.

خامساً: انتشار كتبه رحمه الله بين النَّاس، كصيد الخاطر وتلبيس إبليس وغيرها، فأردتُ بيانَ موقفِه من المسائل الاعتقادية، حتى يعلم الناس منهجه رحمه الله في العقيدة.

سادساً: لابن الجوزي رحمه الله كلام في المسائل الاعتقادية، فأحببت جمع ما تفرَّق منها وتحريرها.

لهذا رأيت أنَّ كتابة رسالة علمية عن عقيدة ابن الجوزي رحمه الله، تعود بالفائدة على الباحث أولاً، ثمَّ على القرَّاء ثانياً بإذن الله عزَّ وجلَّ.

الدراسات السابقة

بحسب اطلاعي وجدتُ أربع دراساتٍ تكلَّمت عن الآراء الاعتقادية الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى، وهي كالتالي:

الدراسة الأولى: (ابن الجوزي بين التأويل والتفويض) للباحث: أحمد الزهراني، وهي رسالة ماجستير، قُدِّمت لجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة، لكلية الشريعة قسم الدراسات

العليا فرع العقيدة عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٩م، ومن عنوانها يتبيَّن المرادُ من الرسالة، وهو مذهب ابن الجوزي في مسألة الصفات، دون التطرق للحديث عن بقيَّة مسائل العقيدة.

وقد جاءت الرسالةُ في بابين، الباب الأول ترجمة ابن الجوزي، والباب الثاني في أربعة فصول، وقد قسَّم الباحث فيها الصفات إلى قسمين، خبريَّةٍ ومعانٍ، ولم يفصِّل الباحث قول ابن الجوزي في صفات المعاني،بل قال-بعد ذكر أقوال الأشاعرة والكرَّامية-:"ولـمَّا كان ابن الجوزي من أهل السُّنَّةِ والحديث...لذلك فإنَّنا نرى أنَّ ابن الجوزي يُثبِتُ صفاتِ المعاني"[١]، وقد علَّق الباحث بخطِّ اليد عند قوله "يثبت صفات المعاني" كلمة (إجمالاً) وهو ما يلاحظ أنَّه استُدرك على الباحث أنَّه لم يفصِّل قول ابن الجوزي رحمه الله في صفات المعاني، وهذا ما سأحاول في بحثي هذا بيان ما أجمله بإذن الله.

وقد اعتمدَ الباحثُ على مخطوطةٍ لابن الجوزي رحمه الله وهي:(مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية) أثبتَ من خلالها أنَّ ابن الجوزي رحمه الله متناقضٌ في باب الصفات، حيث يرى أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يثبت الصفات في هذه الرسالة[٢]، والواقع أنَّ هذه الرسالة ليس فيها إثباته لصفات الباري جلَّ جلاله كما سيأتي معنا بحول الله.

أضف إلى أنَّ الرِّسالة لها ما يقارب من الأربعين سنة، وقد طبعت كتبٌ كثيرة لابن الجوزي، ممَّا قد يثري على البحث مزيد بيان وإيضاح لآرائه الاعتقادية.

الدراسة الثانية: (ابن الجوزي وآراؤه الكلامية والأخلاقية) للباحثة:آمنة محمد نصير، فيُلاحظ على صاحبتها تأثرها بالعقيدة الأشعرية، ومن ذلك قولها -في معرض حديثها عن المؤمنين-:"حتى إذا مروا على آية من كتاب الله تعالى تَنسِبُ إليه صفةً تخدش في ظاهرها التوحيد"[٣]، فهي ترى أنَّ آيات الصفات تخدش جانب التوحيد، وهذا خلاف ما عليه سلف الأمة.

وفي كلامها عن الإيمان تقول:"أمَّا الإيمان فهو أساس التعامل بين العبد وربه، وهو عمل القلب"[٤].

---

١. ابن الجوزي بين التأويل والتفويض (١٠٧).

٢. مصدر سابق (١٢٠-١٣١).

٣. ابن الجوزي وآراؤه الكلامية (١٢٦).

٤. مصدر سابق (١٥٧).

كذلك يلاحظ سردُها لآراء ابن الجوزي دون نقدٍ لها أو تعقيب في الغالب، ومِن ذلك قولها في بحثها عن الملائكة وتفضيل ابن الجوزي الأنبياءَ والأولياءَ على الملائكة، تقول:"ويَخلُص إلى أنَّه ليس للملائكة إلا عبادةً ساذجةً، ليس فيها مقاومةٌ ولا ردَّ هوى"[1]، ولم تُعقِّب على وصف ابن الجوزي رحمه الله لعبادة الملائكة بأنَّها ساذجةٌ.

كذلك عدم اهتمامِها بالتصحيح والتضعيف وذلك حينما ذكرت تضعيف ابن الجوزي لحديث الصُّورة وأنَّه حديثٌ لا يصح، لم تتعرَّضْ للكلام عن صحةِ الحديث أو ضعفه أو تخريجه[2].

يضاف إلى اختصارها في بحث المسائل أحياناً بحيث لا تتعدَّى الصفحة الواحدة، مثل مسألة الإيمان والعمل[3]، مع قلَّة رجوعها لكتب ابن الجوزي رحمه الله، واكتفائها بصيد الخاطر وتلبيس إبليس في الغالب، مع كثرة مؤلفات ابن الجوزي رحمه الله.

الدراسة الثالثة: (موقف الإمام ابن الجوزي من الصوفية من خلال كتابه تلبيس إبليس) للباحث: علي بن صالح المقوشي، وهي رسالة ماجستير، قُدِّمت لجامعة أمِّ القرى بمكة المكرمة، لكلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة عام ١٤١٤هـ، وقد تطرَّق الباحث للتصوف ومناقشة ابن الجوزي رحمه الله للصوفيَّة، وذلك من خلال كتابه تلبيس إبليس.

وقد اقتصر الباحث فيها كما هو واضحٌ من عنوانها على التصوف، وقد تطرَّق لبعض مسائل الاعتقاد كالصفات والنبوات ولكن باختصار وإيجاز.

الدراسة الرابعة: (آراء ابن الجوزي الاعتقادية) للباحث: عمر إردم، من جامعة أولداغ ببورصة، عام ١٩٨٩م. ومكتوب على الغلاف (باللغة التركية) بأنَّها رسالة ماجستير، والغالب أنَّها بحث تكميلي؛ وهي تقع في (٦٤) صفحة بالمقدِّمة والفهارس، والرسالة باللغة التركيَّة.

وبهذا فإنَّ أراءَ ابن الجوزي الاعتقاديَّة لم تُبحثْ من جميع جوانبها، ومن جميع كتبه، فإمَّا أن يُقتصر على جزئية أو على جانب معين، أو قد تتناول بمنهج مخالف لمنهج السلف، هذا

---

١. مصدر سابق (١٦٦).

٢. مصدر سابق (١٣٦-١٣٧).

٣. مصدر سابق (١٥٩).

مع اقتصار الباحثين على بعض كتبه، مع اشتهار ابن الجوزي رحمه الله بكثرة التصنيف كما سيأتي بحول الله وقوته.

منهج البحث

نهجتُ في بحثي المنهجَ الاستقرائي، فقد استقرأتُ جميع كتب ابن الجوزي رحمه الله التي وقفت عليها، إمَّا قراءة متأنيَّة وهذا الغالب، وإمَّا عرض وذلك في بعض كتبه كالعلل المتناهية والموضوعات وغيرهما التي ليست مضمنة الحديث عن المسائل العقدية.

ولم اكتفِ بالقراءة لكتب ابن الجوزي فقط، فغالباً ما أستعينُ ببرامج البحث للوصول إلى بعض المعلومات التي قد يزيغ عنها البصر.

كما اتبعتُ المنهجَ التحليلي، حيث قمتُ بعرض أقواله رحمه الله على الكتاب والسنَّة وأقوال أهل العلم من أهل السنَّة والجماعة، وبيَّنت موقفه ورأيه منها، وكذلك بيَّنت بعض التناقضات في أقواله رحمه الله، فأحياناً تكون تناقضات واضحة، بسبب تقدُّم كتاب على آخر، فيتراجعُ رحمه الله عن قول قديمٍ له، وأحياناً تكون تناقضات بسبب عدمِ تحريره رحمه الله لبعض المسائل.

وأمَّا عملي في كتابة البحث، فهو كالتالي:

١. عَزو جميع الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. تخريج الأحاديث والآثار، فإن كانا في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بذلك، وإلا خرَّجته من كتب العلماء المسندة، مع بيان ذكر صحة الحديث وضعفه في الغالب.

٣. توثيق الأقوال ونسبتها إلى مصادرها.

٤. التعريف بالأعلام والمدن، ماعدا المشاهير منهما بحسب ما أرى، وكذلك التعريف بالفرق والطوائف، التعريف بالمصطلحات الغريبة.

٥. وضع فهارس علميَّة.

خطة البحث

المقدمة: وتشمل أسباب اختيار الموضوع وأهميته، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في البحث، وخطة البحث.

تمهيد: ويشمل عصر ابن الجوزي وسيرته، ومنهجه في تقرير العقيدة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصر ابن الجوزي وسيرته.

المبحث الثاني: منهجه في تقرير العقيدة.

الفصل الأول: آراؤه في مسائل الإيمان ومسائل الإيمان بالله، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإيمان، وفيه مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الإيمان.

المطلب الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الثالث: مرتكب الكبيرة.

المطلب الرابع: الاستثناء في الإيمان.

المطلب الخامس: حكم أهل الفترة.

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالله، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان بالملائكة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما يتعلَّق بالملائكة.

المطلب الثاني: ما يتعلَّق بالجنِّ.

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالكتب، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تخطئة مقولة [في القرآن لحن تصلحه العرب].

المطلب الثالث: التوراة والإنجيل.

المبحث الثالث: آراؤه في مسائل الإيمان بالرسل، وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المطلب الثاني: الوحي.

المطلب الثالث: النبوة اصطفاء من الله.

المطلب الرابع: دلائل النبوة.

المطلب الخامس: عصمة الأنبياء.

المطلب السادس: الإيمان بنبينا ﷺ .

المطلب السابع: الإسراء والمعراج.

المطلب الثامن: رؤية النبي ﷺ لربه

المطلب التاسع: فضله ﷺ على الأنبياء.

المطلب العاشر: ميراثه ﷺ.

الفصل الثالث: آراؤه في مسائل الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر والصحابة، وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان باليوم الآخر، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عذاب القبر ونعيمه.

المطلب الثاني: بعض أشراط الساعة.

المطلب الثالث: البعث والنشور.

المطلب الرابع: الجنَّة والنار.

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: مراتب القدر.

المطلب الثاني: نظرية الكسب.

المطلب الثالث: الحكمة والتعليل.

المطلب الرابع: السببية.

المبحث الثالث: آراؤه في المسائل المتعلّقة بالصحابة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فضل الصحابة والدفاع عنهم.

المطلب الثاني: الأمر بالسكوت عمَّا شجر بين الصحابة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

وختاماً... فإني أحمد الله على ما يسَّر، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد ظاهراً وباطناً، فالحمد لله على ما أولى، فنعم ما أولى سبحانه ونعم المولى. كما أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يكون خالصاً لوجه الكريم، نافعاً يوم العرض عليه، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

وبعد شكر الله، أشكر والديَّ على ما أولياني من نعمة، وحسن تربية، وكثرة دعاء، وأن يجزيهما عنِّي خير ما جزى أبوين عن ابنهما، وأن يحسن لنا ولهم الختام، وأن يحشرني معهم في جنات النعيم.

كما أشكر زوجتي على مساندتها لي في بحثي، فجزاها الله خير الجزاء وأتمَّه وأوفاه.

كما أتقدَّم بالشكر لفضيلة الشيخ الدكتور عثمان بن علي حسن المشرف على رسالتي، فأشكره على سعة صدره، وجزيل نصحه، وحسن كرمه، وأسأل الله أن يبارك في عمره وعلمه وذريته، وأن يكتب أجره، ويجزيه عني خير الجزاء.

كما أشكر فضيلة الشيخ عبدالله الدميجي، والشيخ عبدالله الغامدي على على قبولهما مناقشة رسالتي، ومعاناتاهما في ذلك.

وكذلك أشكر فضيلة الشيخ الدكتور هشام صيني على مساعدتي في البحث، وسعة صدره مع الطلاب بشكل عام، ومعي بشكل خاص، فله مني الشكر والتقدير.

كما أشكر أخي بشير الشيخي، والذي وقف معي في فترة عصيبة مرَّت عليَّ في دراستي، فله مني الوفاء والدعاء.

سبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: حياة ابن الجوزي رحمه الله ومنهجه في تقرير العقيدة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصر ابن الجوزي رحمه الله وسيرته.

المبحث الثاني: منهجه في تقرير العقيدة.

المبحث الأول: عصر ابن الجوزي رحمه الله وسيرته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عصر ابن الجوزي رحمه الله.

المطلب الثاني: سيرة ابن الجوزي رحمه الله.

المبحث الأول: عصر ابن الجوزي رحمه الله وسيرته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عصر ابن الجوزي رحمه الله

الحالة السياسية:

تمهيد: تولَّى العباسيون الخلافة الإسلامية سنة ١٣٢هـ، حيث بويع لأبي العباس عبد اللَّه السفاح بالكوفة، واستمرَّت خلافتهم إلى سنة ٦٥٦هـ، حيث سقط عبداللَّه المستعصم قتيلاً على يدي التتر.

وقد استمرت خلافتهم ٥٢٤سنة، منها ١٠٠سنة لخلفائها السيادة التامة على العالم الإسلامي.

ثمَّ بدأ الضعف يدُب فيها، وصارت تحكمها أمم أخرى، والخليفة ليس له من الأمر شيء.

وفي سنة ٤٤٧هـ جاءت أمَّة تركية، انتقل السلطان الفعلي فيه إليها، وهم السلاطين من آل سلجوق.

ولقد عاش الامام ابن الجوزي رحمه الله في هذه الفترة كما سيأتي إن شاء الله.

وقد شهدت هذه الفترة، أحداثاً تاريخيةً عظيمةً مرَّت على المسلمين، سواءً كانت على مستوى الأمة، كما في الحروب الصليبية، وسقوط الدولة العبيدية الفاطمية، وفتح بيت المقدس، أو على مستوى الخلافة العباسية – التي مقرّها بغداد مكان ميلاد الإمام ابن الجوزي رحمه الله – وعلاقتها مع الدولة السلجوقية، والمعارك التي حدثت بينهم.

وقبل الحديث عن هذا العصر وأحداثه، يلاحظ القارئُ لهذه الفترة، يقظةً إسلاميةً للأمة إن جاز التعبير، وترجع أسباب هذه الصحوة في نظري والعلم عند الله، إلى عدَّة أمور:

١. سقوط الدولة البويهية الشيعية وقيام الدولة السلجوقية السنيَّة.

٢. ظهور دولة آل زنكي، وبالأخص شخصية الشهيد نور الدين محمود[1] رحمه الله رحمة واسعة، ودعوته لتوحيد الأمة.

٣. قيام الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

---

[1]. أبو القاسم محمود بن محمود بن زنكي التركي، صاحب الشام، الملك العادل، نور الدين، ناصر أمير المؤمنين، تقي الملوك، ليث الإسلام، قال الذهبي:" حاملُ رايتي العدل والجهاد، قلَّ أن ترى العيونُ مثلَه" قتل سنة ٥٦٩هـ. المنتظم (٢٠٩/١٨)، وسير أعلام النبلاء (٥٣١/٢٠).

٤. اهتمام الخلفاء والقادة بالعلم والعلماء، ومراسلتهم لهم، وحضورهم لمجالسهم[١].

٥. وجود وزراء لهم تأثيرهم في الدولة، كنظام الملك للسلاجقة، والوزير ابن هبيرة[٢] لخلفاء بني العباس، والوزير الأفضل للسلطان صلاح الدين الأيوبي.

٦. ضعف ثمَّ سقوط الدولة العبيدية الفاطمية، وبالتالي سقوط الرافضة.

٧. استعادة الخلفاء لمكانتهم السياسية، والشجاعة التي كانوا يتمتعون بها. وقد كانت بداية ذلك على يد الخليفة المسترشد بالله رحمه الله.

٨. اندثار البدع وظهور السنَّة، وهذا لم يكن على مستوى العلماء الذين حاربوا البدع، بل حتى على مستوى القادة السياسيين.

فهذه العوامل وغيرها كان لها الأثر في رجوع الأمة إلى دينها وانتصارها على أعدائها.

والآن سأتناول الكلام عن الحالة السياسية بإذن الله ابتداءً عن الخلفاء العباسيين؛ وذلك لنظرة العالم الإسلامي لهم، ولمكانتهم في هذه الأمة الإسلامية، ولأنَّها محل أحداث الإمام ابن الجوزي رحمه الله.

ثم سيكون الكلام عن السلاطين السلاجقة، ثمَّ أهمّ الأحداث التي مرَّت بالأمة الإسلامية.

الخلفاء العباسيون:

وُلِد الإمام ابن الجوزي رحمه الله في السَّنة التي مات فيها الخليفة العباسي المستظهر، وتولَّى زمامَ الأمور فيها الخليفةُ المسترشد رحمه الله.

وقبل الحديث عن الخلفاء العباسيين أحبُّ أن أنوّه إلى قضيتين مهمتين:

الأولى: تسلُّط السلاطين السلاجقة على الخلفاء العباسيين.

كانت الدولة العباسية تحت التسلُّط البويهي، وبعد سقوطها أتَتْ السُّلطةُ السلجوقية السنيَّة، وهي وإن كانت أخفَّ من التسلُّط البويهي، إلا أنَّها صدر منها بعض التصرفات التي فيها عدم احترام الهيبة للخلفاء العباسيين.

---

١. يُنظر: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (١٥١-٣٠٣).

٢. هو أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم الشيباني، الدوري، العراقي، الحنبلي. قال الذهبي رحمه الله: "الوزير الكامل، الإمام، العالم، العادل، عون الدين، يمين الخلافة" صاحب التصانيف. مات مسموماً. توفي سنة ٥٦٠هـ. المنتظم (١٨/ ١٦٦) سير أعلام النبلاء (٢٠/٤٢٦).

وكان ذلك في بداية عهدهم، حيث خطب السلطان السلجوقي طغرلبك[1] من الخليفة الزواج بابنته، فامتنع الخليفة أشدَّ الامتناع، واستعفى فلم يُعفَ، فاشترط الخليفةُ الشيءَ الكثيرَ، فكان قبيحاً في نظر الوزير، وتمَّ الزواج بدون رضا الخليفة[2].

الثانية: بداية استعادة هيبة الخلافة العباسية.

يعتبر الخليفة المسترشد هو الخليفة العباسي الأول الذي أراد أن يستعيد هيبة الخلافة العباسية، والتحرر من هيمنة السلاطين السلاجقة.

ولهذا فقد تمكَّن في خلافته تمكنا عظيماً، فوقعت بينه وبين السلاجقة حروب، انتهى الأمر بقتله رحمه الله كما سيأتي الحديث عنه إن شاء الله.

ثمَّ نهج ابنه الراشدُ رحمه الله نهج أبيه، ولم يكمل السَّنةَ حتى هرب من بغداد.

وأتى بعده المقتفي رحمه الله الذي نهج النهج نفسه، ولكن برويَّةٍ وحسن تدبير، وليس بمواجهة عسكريَّة كما فعل المسترشد وابنه الراشد.

وفي وقته انتهت الهيمنة السلجوقية على الخلافة العباسية، ثمَّ كانت خاتمتهم على يد الخليفة الناصر، الذي هَدَم قصورَهم، ولم يُبقِ لهم أثراً ببغداد.

المسترشد بالله ٥١٢هـ – ٥٢٩هـ

بدأت أحداث الخليفة المسترشد مع السلاجقة في سنة ٥١٩هـ، عندما هاجم الأمير طغرل بن السلطان محمد السلجوقي ودبيس بن صدقة[3] بغداد فتصدَّى لهما المسترشد[4].

---

١. السلطان الكبير، ركن الدين، أبو طالب، أول ملوك السلاجقة، ردَّ ملك بني العباس. تزوَّج بنت الخليفة القائم بأمر الله في صفر، ومات في رمضان من السنة نفسها، عام ٤٥٥هـ. السير (١٠٧/١٨)، والأعلام (١٢٠/٧).

يقول ابن خلكان رحمه الله:"طغرلبك: بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها كاف، وهو اسم علم تركي مركَّب من طغرل وهو اسم علم بلغة الترك لطائرٍ معروفٍ عندهم، وبه سمي الرجل، وبك معناه الأمير". وفيات الأعيان (٥/ ٦٨).

٢. دولة آل سلجوق (١٨-١٩)، يُنظر: نفوذ السلاجقة السياسي :نفوذ السلاجقة السياسي (١٠١-١٠٢) وما بعدها، حيث ذكر عدة نماذج من هذا التسلط السلجوقي على خلفاء بني العباس.

٣. هو دبيس أبو الأعز بن صدقة بن منصور الأسدي ،كان شيعياً كآبائه، قتله السلطان مسعود غدراً، نهب وأرجف، وفعل العظائم. قتل سنة ٢٩٥هـ. سير أعلام النبلاء (٦١٢/١٩).

٤. المنتظم (٢٢٨/١٧-٢٢٩)، والعبر (٤١١/٢)، ونفوذ الدولة السلجوقية (١٢٦).

فشكر السلطانُ محمودُ بن محمد بن ملكشاه السلجوقي[1] الخليفةَ على موقفه من طغرل الذي كان هدفه أن يُخطَب له بالسلطنة[2] بدلاً من محمود، واتفقا على أن تكون السلطة لمحمود وحده[3].

ولكن تغيَّر موقفُ السلطان محمود من الخليفة لأمرين:

الأول: إغراءُ السلطانِ محمود بأنَّ الخليفة يطلُبُ الملكَ، وأنَّه كَسَر مَنْ قَصَدَه، وأنَّه بدأَ يباشرُ الحروب بنفسه، بخلاف من قبله من الخلفاء[4].

الثاني: لما بلغت أخبار الاتفاق للسلطان سنجر السلجوقي[5]، أرسل إلى ابن أخيه محمود يشكِّكُه بنوايا الخليفة[6].

بعدها عزم السلطانُ محمود الذَّهاب إلى بغداد، فأرسل إليه الخليفة يأمره بالرجوع، فأبى السلطان حتى وصل بغداد، و انتقل الخليفة إلى الجانب الغربي من بغداد، ووصل الخبر إلى السلطان محمود، فامتلأ غيظاً، وخَطَبَ الخليفةُ في عيد الأضحى بنفسه، خطبةً عظيمةً بليغةً فصيحةً جداً[7].

ثمَّ أرسل السلطان إلى الخليفة يطالبه الصلح، والخليفة لا يجيب[8]، ووقفَ جيشُ السلطان بالجانب الشرقي، والعامة بالجانب الغربي يسبون الأتراك ويقولون: يا باطنية يا ملاحدة، عصيتُم أمير المؤمنين، فعقودكم باطلةٌ، وأنكحتكم فاسدةٌ[9].

---

١. السلطان محمود ابن السطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود ميكائيل بن سلجوق، مغيث الدنيا الدين، يمين أمير المؤمنين. ولي بعد أبيه سنة ٥١٢هـ، وخطب له ببغداد وغيرها، ولعمّه سنجر معا. وكان له معرفةٌ بالنحو والشعر والتاريخ، وكان فيه حلم وأناة. توفي سنة ٥٢٥هـ. الخبر في تاريخ من غبر (٤٢٦/٢)، والبداية والنهاية (٢٩٠/١٦)، والأعلام (١٨١/٧).

٢. نفوذ الدولة السلجوقية (١٢٦-١٢٧).

٣. مصدرسابق (١٢٧).

٤. المنتظم (٢٢٩/١٧)، (٢٣٢/١٧).

٥. ستأتي ترجمته إن شاء الله في الكلام عن السلاطين السلاجقة.

٦. نفوذ الدولة السلجوقية (١٢٧).

٧. البداية والنهاية (١٩٥/١٢). وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله الخطبة كاملةً في المنتظم (٢٣٣/١٧).

٨. المنتظم (٢٣٦/١٧).

٩. مصدر سابق.

ثمَّ دخل العسكر دار الخلافة ونهبوها، فخرج الجواري حاسراتٍ يلطمن، يقول ابن الجوزي رحمه الله حاكياً ما رآه:"فرأيتُهنَّ وأنا صبيٌّ يستشفعن وقد جئْنَ صارخاتٍ"[1]. عندها عبر عسكر الخليفة، وهجم على عسكر السلطان فانهزموا، ثمَّ طلب السلطان الصلح فمال الخليفة إليه.

وفي سنة ٥٢٥هـ توفي السلطان محمود بن محمد، وتجدَّدت الحروب بين أمراء السلاجقة على الملك، حتى آل الأمر إلى طغرل، فكاتب دبيس بن صدقة وزنكيّ[2] لفتح بغداد، فتوجَّها إليها من ناحيتها الغربية، فتوجه المسترشد في ألْفي فارس، وكان النَّصر فيها للخليفة.

واتفق الخليفة مع السلطان مسعود[3]، أن يكونَ سلطاناً للعراق اتباعا منه لسياسة فرِّق تسُد، فنشب القتال بين السلاجقة[4].

وفي سنة ٥٢٧هـ خلع الخليفة عَلَى مسعود، وعقد له بالسَّلطنة والخطبة على المنابر[5].

وردَّاً من الخليفة على هجوم دبيس وزنكي، قام وهاجم زنكيَّ بالموصل سنة ٥٢٧هـ، وحاصرها مدَّة ثلاث أشهر، وعرض عليه زنكي الأموال ليرجع، فرفض الخليفةُ ثمَّ اضطُرَّ الخليفة للرجوع إلى بغداد.

وفي سنة ٥٢٩هـ تواترت الأخبار بتغيير مسعود التغيير الكُلِّي، وجَمَعَ العساكرَ قاصداً بغداد ومعه دبيس[6].

فلمَّا سمع الخليفة بذلك تجهَّز، وبعث إلى زنكي بالمجيء إلى بغداد فاستجاب له.

وأرسل المسترشد ألفين وخمسمائة فارس، فأمرهم بأن يتقدموه، وأنَّه لاحق بهم، فكبستهم مقدِّمةُ السلطان مسعود[7]، وخرج الخليفة من بغداد بعد أن أشار إليه وزيره بالمكث في بغداد، ولكنَّه لم يستجب رحمه الله[1].

---

١. المنتظم (٢٤١/١٧).

٢. محمود زنكي ابن الحاجب قسيم الدولة آق سنقر بن عبد الله التركي، كان بطلا شجاعاً، دوخ الفرنج. قتل سنة ٥٤١هـ. سيرّ أعلام النبلاء (١٨٩/٢٠)، والأعلام (٥٠/٣).

٣. ستأتي ترجمته إن شاء الله في الكلام عن السلاطين السلاجقة.

٤. نفوذ الدولة السلجوقية: (١٢٩-١٣٠).

٥. المنتظم (٢٧٥/١٧)، نفوذ الدولة السلجوقية (١٣٠).

٦. المنتظم (٢٩٣/١٧).

٧. مصدر سابق.

وفي العاشر من رمضان التقى الجمعان، فهرب جميع العسكر الذين مع المسترشد، وكان هناك الغدر[2]، ووقع الخليفة المسترشد في الأسر.

وهنا نلاحظ أنَّ الخليفة المسترشد أراد أن يعيد الهيبة للخلافة العباسية، ولهذا جيَّش الجيوش، وحاصر زنكي بالموصل، ولم يستجب لعرضه، حتى قال الإمام الذهبي رحمه الله:"وعرض المسترشد جيوشه في هيئة لم يُعهدْ مثلها من دهر طويل"[3].

ترجمته: هو الفضل أبومنصور بن المستظهر بالله أبي أحمد، وُلِدَ ليلة الأربعاء رابع ربيع الأول سنة ٤٨٤هـ، وقيل ٤٨٥هـ، وقيل ٤٨٦هـ[4].

إنَّ القارئ لسيرته رحمه الله، يجد من أبرز ما تميَّز به هذا الإمام، الشجاعة والإقدام، بالإضافة إلى ما تميز به من صفات أخرى. وقد كان الإمام ابن عقيل رحمه الله[5] يعظِّمه، ويعلِّلُ ذلك بقوله:"فيما نشأ عليه من الخير والخصال المحمودة وتميزه بطريقة جده القادر"[6].

فقد كان"يتنسك في أول زمنه، ويلْبِسُ الصوفَ ويتعبدُ، وختم القرآن وتفقَّه"[7].

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:"وقد كان المسترشد شجاعاً مقداماً بعيدَ الهمة فصيحاً بليغاً عذبَ الكلام حسنَ الإيراد مليحَ الخط كثيرَ العبادة محبباً إلى العامة والخاصة، وهو آخر خليفة رُؤيَ خطيباً"[8].

ويقول ابن السمعاني رحمه الله[1]:"كان ذا رأيٍ وهيبةٍ ومضاءٍ وشجاعةٍ، أحيا رمائمَ الخلافة، وشدَّ أركانَ الشريعة، وضبطَ أمور الخلافة، وردَّها ورتَّبها أحسن الترتيب، والمسترشد أبلغ مما يوصف"[2].

---

١. نفوذ الدولة السلجوقية (١٣٤).

٢. المنتظم (٢٩٥/١٧)، نفوذ الدولة السلجوقية: (١٣٤).

٣. السير (٥٦٨/١٩).

٤. المنتظم (١٦٢/١٧)، الكامل في التاريخ (٢٨٣/٩).

٥. أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي، تأثر بالمعتزلة، ثمَّ تاب من ذلك ورجع. من مؤلفاته كتاب الفنون يقع في أكثر من أربعمائة مجلد. توفي سنة ٥١٣هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤٣/١٩)، وذيل طبقات الحنابلة (٣١٦/١).

٦. المنتظم (١٦٢/١٧).

٧. سير أعلام النبلاء (٥٦٢/١٩).

٨. البداية والنهاية (٢٠٨/١٢).

ومن جميل شعره، أنَّه حينما أُسر قال :

ولا عَجَباً للأُسْدِ إِنْ ظَفِرَتْ بها******كلابُ الأَعادي مِنْ فَصِيحٍ وأَعْجُمِ

فَحَرْبَةُ وحشيٍّ سَقَتْ حمزةَ الرَّدَى******ومَوْتُ عليٍّ مِنْ حُسَامِ ابنِ مُلْجِمِ[3]

وكـان يكـره الـذُّلَّ والضَّيْمَ، حتى لما أُسر يُروى"أنَّه رأى في نومه في الأسبوع الذي استشهد فيه، كأنَّ على يده حمامةً مطوَّقةً، وأتاه آتٍ وقال له: خلاصُك في هذا. فلمَّا أصبَح قَصَّ على ابن سكينة الإمام ما رأى، فقال: يكون خيراً. ثمَّ قال: ما أَوَّلْتَه يا أميرَ المؤمنين؟ قال: ببيت أبي تمام حيث يقول:

هُنَّ الحَمَامُ فإنْ كُسِرَتْ عِيافَةً[4]****** حَاءُ الحَمام فإنَّهُنَّ حِمَامُ[5]

وخلاصي في حَمامي، وليتَ من يأتي فيُخلِّصُني ممَّا أنا فيه من الذُّلِّ والحبس، فقُتِلَ بعد أيام"[6].

الراشد بالله ٥٢٩هـ ٥٣٠هـ

وقد نَهَجَ نَهْج أبيه المسترشد، فبعد وفاة أبيه، تولَّى الراشد الخلافة، ثمَّ أرسل السلطانُ مسعودُ أحدَ أمرائِه للخليفة يطالبه بأموال استلزم بها المسترشد على نفسه لأدائها للسلطان، فقال الراشد رحمه الله:"الأموال المضمونة، فإنَّما كانت لإعادة الخليفة إلى داره سالماً، وذلك لم يكن، وأنا مطالِبٌ بالثأر" ثمَّ قال:"وما بيننا إلا السيف"[7].

وفي الرابع عشر من صفر سنة ٥٣٠هـ قُطِعتْ خُطبةُ مسعود، وانضمَّ زنكيّ إلى الخليفة، وبدأت المناوشات بقرب بغداد بين جيش السلطان وجيش زنكي، وطلب مسعود الصُّلح، ولكنَّ الخليفةَ رفض.

---

١. منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد أبو المظفر السمعاني الحافظ، من أهل مرو تفقه أولا على أبيه في مذهب أبي حنيفة ثمَّ انتقل إلى مذهب الشافعي. توفي سنة ٤٨٩هـ. سير أعلام النبلاء (١١٤/١٩)، الأعلام (٣٠٣/٧).

٢. طبقات الشافعية الكبرى (٢٥٩/٧).

٣. السير (٥٦٣/١٩).

٤. المراد بها الظنّ، مأخوذ من العيافة.

٥. شرح ديوان أبي تمام (٧٣/٢).

٦. طبقات الشافعية الكبرى (٢٦١/٧ – ٢٦٢).

٧. المنتظم (٣٠٥/١٧).

ودخل الخليفةُ بغداد أولَ يومِ العيد، واستمرَّت المناوشاتُ بينهما، حتى خرج زنكيّ من العراق إلى الموصل وبصحبته الراشد.

ثمَّ دخل السلطان مسعود بغداد، وجمع القضاةَ والشهودَ وقدحوا في الرَّاشد، وهذا هو الأصح والله أعلم، كما رجَّحه ابن الجوزي رحمه الله[1]، لا ما يُقال بأنَّه زوَّر كتاباً على الراشد بخلع نفسه.

وأحضرَ الفقهاءَ والقضاة وخوَّفهم وهدَّدهم إن لم يخلعوه، وكُتِبَ محضرٌ بخلعه، وبذا لم يُكمل الراشدُ سنة كاملة من حُكمه لبغداد[2].

ترجمته: هو منصور أبوجعفر بن المسترشد بالله، ولد سنة٥٠٢هـ[3].

يقول عماد الدين الكاتب[4] رحمه الله:"وكان له الحسن اليوسفي، والكرم الحاتمي بل الهاشمي"[5]، وقيل فيه:"أعطاه الله مع الخلافة، صورةً يوسفية، وسيرةً عمريَّة"[6].

وبعد أن ذهبَ إلى الموصل، خرج منها وتنقَّل بين البلدان، حتى وصل إلى أصفهان، وهناك كانت وفاته.

يحكي لنا عماد الدين الكاتب رحمه الله قصة وفاته، فيقول:"أذكرُ ونحن أطفال، قد خرجنا من البلد، وأقمنا بالرُّبط المبنيَّة عند المصلَّى بالقرب من زندروذ[7]، والمعسكر قريبٌ منا، فسمعنا أصواتاً هائلةً وقتَ القائلة، من نهار يوم الثلاثاء سادس عشرين شهر رمضان سَنَةِ

---

١. المنتظم (٣١٢/١٧).

٢. يُنظر: التاريخ الإسلامي (٢٧٢/٦).

٣. السير (٥٦٨/١٩ -٥٦٩).

٤. محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أُلُّه - بتشديد اللام وضمها - المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني، صاحب المصنفات والرسائل والشعر. كانت له ظية عند نور الدين محمود زنكي، ثمَّ عند الأيوبيين. توفي سنة ٥٩٧هـ. سير أعلام النبلاء (٣٤٥/٢١) البداية والنهاية (٧١١/١٧).

٥. خريدة القصر: (٣٢/١ – ٣٣).

٦. مصدر سابق (٥٧٠/١٩).

٧. زندروذ: يقول ياقوت الحموي:"نهرٌ مشهور عند أصبهان، عليه قرى ومزارع، وهو نهرٌ عظيم أطيب مياه الأرض وأعذبها وأغذاها". معجم البلدان (١٥٤/٣).

اثنتين وثلاثين، فقيل لنا: إنَّ الخليفةَ قد فتكتْ به الملاحدةُ خذلهم الله، وخرج أهلُ أصفهان حافين حاسرين، وشيَّعوا جنازتَه إلى مدينة جَيّ، ودفنوه رضي الله عنه بالجامع"[1].

المقتفي لأمر الله ٥٣٠هـ – ٥٥٥هـ

لـمَّا تولَّى المقتفي الخلافة، أراد السلطان أن يجرِّدَه من المال والسلاح وآلة السفر؛ حتى لا يرجع فيصنع ما صنع من قبله، فاستولى على جميع ما يملك[2]، بل وصل الحال أن أَذِنَ المقتفي في بيع عقاره وتوفيةَ السلطانَ ما استقرَّ عليه من أموال، ولكن لم يتجاسرْ أحدٌ على الشِّراء[3].

وقد عانى المقتفي من السلطان ومن أتباعه، حتى قال عماد الدين رحمه الله:"كانت السِّدة الإمامية قد مُنيت بجور الأعاجم ... وكان أهون ما عندهم خلاف الخليفة وعناده، وتمرُّدهم عليه بأن يحصل مرادُهم لا مرادَه، ولم تزلْ بغدادُ مظلمةً، مشحونةً منهم بالشُّحن الظَّلَمة"[4].

ولكن مع كل هذا التسلط لم يواجه الخليفة رياحها، بل انحنى لها وهو يعلم أنَّ المواجهة غير ممكنة، وكما يُقال: من الشجاعة جُبْن ساعة، فتحلَّى بالصبر وصبر، حتى تأتي الفرصة السانحة للقضاء على هذا التسلط المقيت، فينال الظَّفر.

وفي سنة ٥٣٤هـ بدأ الخليفة بتنفيذ عمَّالٍ وخدامٍ للبلاد بدون إذن وزير السلطان ومن غير مشورته، وجرت بينهما وحشةً ثمَّ اصطلحا[5]. وكأنَّ هذه بداية من الخليفة باستقلاليته في الدولة، وتولية من يريد بدون إذن من السلطان أو وزيره.

ولكن مضايقات السلطان مسعود لم تنتهِ، فأخذ أحدَ خواص الخليفة واستخدمه، فثقل على الخليفة ذلك، ثمَّ أعيد عليه بعد مدَّة[6].

وفي سنة٥٤١هـ تجدَّد النِّزاع على السلطة بين السلاجقة[1]. ثمَّ في سنة ٥٤٣هـ تغيَّرت الأمراءُ على السلطان مسعود، وكبسوا بغدادَ، فاستغلَّ الخليفةُ الوضع، فأرسل إلى السلطان

---

١. خريدة القصر (١/ ٣٣).

٢. المنتظم (٣١٣/١٧ -٣١٤). يُنظر: نفوذ الدولة السلجوقية: (١٤٥-١٤٦).

٣. المنتظم (٣١٥/١٧).

٤. دولة آل سلجوق (٢١٤).

٥. المنتظم (٤/١٨).

٦. مصدر سابق.

مسعود يخبره بما فعله الأمراء من إفساد ببغداد، وأنَّ الشَّحنةَ الذي من قبل السلطان قد هرب، وأنِّ لا يمكنني أن آخذ عسكراً لأجل العهد. فكتب السلطانُ إليه بأنَّه قد بَرِئت ذمَّةُ أمير المؤمنين، وأَذِن له في التجنيد، وكان ابن هبيرة هو الذي أشار عليه بذلك[2]. فجنَّد الجنود، وأصلح السُّور، وحفر الخنادق، وأمر بتسليح العوام وأن يمنعوا عن أنفسهم، ثمَّ استعرض جيشه وأخمد الفتنة[3].

وفي السنة التي تليها وهي سنة ٥٤٤هـ استوزر الخليفةُ الوزيرَ ابن هبيرة، الذي كان له الدور الكبير في إضعاف الدولة السلجوقية[4].

ومع هذا الخلاف الذي دبَّ بين السلاجقة، والقوة التي جمعها الخليفة، إلا إنَّه لم يستعجل في خوض الحرب مع السلطان مسعود، وذلك لقوَّة السلطان مسعود.

ومع هذا الخلاف اشتدَّ تَطَاول أصحابُ السلطان على الخليفة، وإساءتهم للأدب معه، فلجأَ الخليفةُ ووزيرُه ابن هبيرة إلى حلٍّ يغفل عنه كثير من الناس، ألا وهو الدعاء. يحكي لنا الوزير ابن هبيرة رحمه الله ذلك فيقول:"لما تطاول على الخليفةِ المقتفي أصحابُ مسعود، وأساءوا الأدب، ولم يمكن المجاهرة بالمحاربة، اتفق الرأي على الدعاء على مسعود بن محمد شهراً، كما دعا رسول الله ﷺ على رعل و ذكوان شهراً[5]. فابتدأ هو والخليفة سراً، كلٌّ واحد في موضعه يدعو سحراً من ليلة تسع وعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وخمس مئة، واستمرَّ الأمرُ على ذلك كل ليلة، فلما كان ليلة تسع وعشرين من جمادى الآخرة كان موت مسعود على سريره، لم يزدْ عن الشهر يوماً ولا نقص يوماً. ووصل القصاد بذلك من همذان[6] إلى بغداد في ستة أيام، فأزال الله يده ويد أتباعه عن العراق، وأورثنا أرضهم وديارهم، فتبارك الله ربُّ العالمين مجيبُ دعوة الداعين"[1].

---

١. نفوذ الدولة السلجوقية (١٤٧). يُنظر: المنتظم (٤٩/١٨).

٢. آل سلجوق (٢٠٣).

٣. المنتظم (٦٥/١٨).

٤. المنتظم (٧١/١٨).

٥. الحديث في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه قال:(قَنَتَ النبي ﷺ شهراً يدعو على رعل وذكوان). رواه البخاري برقم: (١٠٠٣)، ومسلم برقم: (٦٧٧).

٦. هَمَذَان: بالتحريك، والذال معجمة، أكبر مدينة بالجبال، تميَّزت بعذوبة ماءها وطيب هواءها، يقول ياقوت الحموي رحمه الله: "ولا شكَّ عند كلِّ مَن شاهد هَمَذَان بأنَّها من أحسنِ البلادِ وأنزهِها وأطيبِها وأرفهِها، وما زالتْ محلّا للملوك،

وبمجرَّد وصول الخبر بغداد، هرب الشحنة إلى تكريت، ونادى الخليفة أنَّه من تخلَّف من الجند، ولم يحضر الديوان ليكتب اسمه، أُبيح دمُه ومالُه، وبدأ الخليفة بتصفية من كان يعمل للسلطان مسعود[2]، وجهَّز الخليفة جيشا في شعبان لمحاربة الشحنة وهزم الشحنة، وبلغه تخبيط في واسط فأرسل جيشه.

وهكذا نرى أنَّ الخليفة كان مستعداً لهذه اللحظة، حتى يستعيد هيبة الخلافة العباسية.

ثمَّ تجمَّع أمراء السلطان محمد لقتال الخليفة، فامتنع السلطان محمد من ذلك، فاستأذنوه فأَذِن لهم، فالتقوا مع الخليفة وانتصر عليهم، وباشر الخليفة القتال بنفسه، حتى ورد أنَّه"رفع الطرحة عن رأسه، وجذب السيف، ولبس الحديد هو ووليُّ العهد وبكَّرا، وصاح أمير المؤمنين: يال مضر، كَذَبَ الشيطانُ وفرّ"[3].

وبعد هذه الوقعة دخلت هيبته النفوس، ولم يعد للسلطان السلجوقي نفوذ.

وهكذا سارت الأحداث بين الخليفة وأمراء السلاجقة، ولكن لم يظفروا بشيء مما طمعوا.

وبهذا نجد أنَّ الإمام المقتفي"أقام حرمة دار الخلافة، وأعاد رونقها وحفظ رمقها، وقطع طمع الأعاجم عنها"[4].

وفي سنة ٥٥٥هـ توفي المقتفي بالله رحمه الله. وتولَّى الخلافة بعده المستنجد بالله.

ترجمته: محمد أبوعبدالله بن المستظهر بالله، ولد سنة ٤٨٩هـ[5].

يقول ابن كثير رحمه الله:"وكان شهماً شجاعاً مقداماً، يباشر الأمور بنفسه، ويشاهد الحروب، ويبذل الأموال الكثيرة لأصحاب الأخبار، وهو أول من استبدَّ بالعراق منفرداً عن السلطان من أول أيام الديلم إلى أيامه، وتمكَّن في الخلافة، وحكم على العسكر والأمراء"[6].

ومعدناً لأهل الدِّين والفضل، إلا أنَّ شتاءَها مفرطُ البرد". وهي تبعد عن طهران٢٨٠كم غرباً، وهي تقع في شرق إيران. معجم البلدان (٥/٤١٠).

١. الرَّوضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (١/٢٨٧-٢٨٨).

٢. المنتظم (١٨/٨٤).

٣. المنتظم (١٨/٩٦).

٤. خريدة القصر (١/٣٥).

٥. خريدة القصر (١/٣٤).

٦. البداية (١٢/٢٤١).

ويقول الذهبي رحمه الله:"كان عالماً فاضلاً ديناً حليماً شجاعاً مهيباً، خليقاً للإمارة، كامل السؤدد، وكان لا يجري في دولته أمرٌ وإن صغر إلا بتوقيعه"[1]. ولهذا "كان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شيء"[2].

يقول عماد الدين الكاتب رحمه الله:"وكان ذا علم وافر، وفضل باهر، وعدل شامل، وإحسان كامل. وهو الذي أقام حرمة دار الخلافة، وأعاد رونقها، وحفظ رمقها، وقطع طمع الأعاجم عنها، وحكم يأسهم منها"[3].

المستنجد بالله ٥٥٥هـ – ٥٦٦هـ

بموت الإمام المقتفي، تمهَّدت الأمور لمن بعده من الخلفاء العباسيين، واستتمَّ لهم الملك بالعراق بدون منازع، ولم تقمْ لهم قائمة. ولهذا لم ينازع المستنجد أحدٌ على العراق.

ترجمته: يوسف أبو المظفر بن محمد المقتفي لأمر الله، ولد سنة ٥١٨هـ[4]، وقيل سنة ٥١٠هـ[5].

وكان المستنجد بالله من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية، عادلاً فيهم، كثيرَ الرِّفق بهم، أطلق كثيراً من المكوس، ولم يترك بالعراق منها شيئاً، وكان شديداً على أهل العبث والفساد والسعاية بالناس.

قال ابن الأثير رحمه الله[6]:"بلغني أنَّه قُبض على إنسان كان يسعى بالنَّاس، فأطال حبسه، فشفع فيه بعض أصحابه المختصين بخدمته، وبذل عنه عشرة آلاف دينار، فقال: أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي إنساناً آخر مثله، لأكفَّ شرَّه عن الناس، ولم يطلقه. وردَّ كثيراً من الأموال على أصحابها أيضاً"[7].

---

١. العبر (٢٤/٣).

٢. الكامل في التاريخ (٤٣٨/٩).

٣. خريدة القصر (٣٥/١).

٤. المنتظم (١٣٩/١٨)، البداية (٢٤١/١٢).

٥. الروضتين (١٧٧/٢).

٦. عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجزري، الشيباني، مصنف التاريخ الكبير الملقب بـ (الكامل)، تحول مع أبيه إلى الموصل، فسمع بها. وكان إماما، علامة، أخباريا، أديبا، متفننا، رئيسا، محتشما، كان منزله مأوى طلبة العلم، ولقد أقبل في آخر عمره على الحديث إقبالا تاما. توفي سنة ثلاثين وست مائة. سير أعلام النبلاء (٣٥٣/٢٢).

٧. الكامل (٢٩/١٠). يُنظر: المنتظم (١٣٩/١٨).

وهو صاحب البيت المشهور:

عيَّرْتني بالشَّيبِ وهو وقارُ******ليتَها عيَّرْتني بما هو عَارُ

إنْ تَكُنْ شابَتِ الذَّوائبُ منِّي******فالليالي تُزيِّنُها الأقمارُ[1]

وكانت وفاته سنة ٥٦٦هـ. وذكر ابن الأثير رحمه الله قصةَ وفاته، حيث تعاونَ عليه أستاذُ الدار وأخوه، وأدخلاه الحمَّامَ وهو يصيح حتى مات رحمه الله. ومن الغريب أنَّ ابن الجوزي رحمه الله لم يذكر قصة قتله هذه؛ ولعلَّ ذلك أنَّه كان معاصراً للقضية، فخشي من بطش من فتك بالخليفة، والله أعلم.

المستضيء بأمر الله ٥٦٦هـ – ٥٧٥هـ.

لم ينازعْه أحدٌ على العراق، وفي عهده جاء الخبر بسقوط الدَّولة العُبَيدية الفاطمية.

ترجمته: الحسن أبو محمد بن يوسف المستنجد بالله، ولد سنة ٥٣٦هـ[2].

قال ابن الجوزي رحمه الله:"ونودي برفع المكوس، ورُدَّت مظالم كثيرة، وأظهر من العدل والكرم ما لم نرَه من أعمارنا"[3].

قال الذهبي رحمه الله:"وكان يطلبُ ابنَ الجوزي، ويأمرُه أن يعظَ بحيث يَسْمع، ويميل إلى مذهب الحنابلة، وضَعُفَ بدولته الرَّفضُ ببغداد وبمصر، وظهرت السُّنَّة، وحصل الأمن ولله المنَّة"[4]. وقد ألَّف له ابن الجوزي رحمه الله كتابه (المصباح المضيء بفضائل المستضيء)، وكذلك كتاب (النصر على مصر) وذلك حينما انقطعت الخطبة للعبيديين وخطب له[5]. توفي في شوال من سنة ٥٧٥هـ[6].

الناصر لدين الله ٥٧٥هـ–٦٢٢هـ

---

١. السير (٤١٣/٢٠).

٢. المنتظم (٢٦٢/١٨).

٣. المنتظم (١٩١/١٨).

٤. السير (٧٠/٢١).

٥. المنتظم (١٩٦/١٨). ذيل طبقات الحنابلة (٤٦٩/٢).

٦. البداية (٣٠٤/١٢).

وفي عهده سقطت دولةُ السلاجقة، وهدَم دورَهم؛ وذلك أنَّ طُغْرل طلب من الخليفة أن يعمِّرَ له دارَ السلطان، وأن يُخطبَ له، فهَدَمَ النَّاصر الدار، وأخرج رسوله بلا جواب[١].

ثمَّ في سنة ٥٩٠هـ أمر الخليفةُ علاءَ الدين خوارزم شاه[٢]، أن يقاتل السلطان طغرلَ[٣]، فالتقيا وانتصر عليه وقتله، وحمل رأسَه إلى بغداد[٤]. وبمقتل طغرل سقطت دولة السلاجقة.

وفي عهده فُتِح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ.

ترجمته: أحمد أبوالعباس بن الحسن المستضيء، ولد سنة ٥٥٣هـ[٥].

طالت خلافتُه، فكانت سبعةً وأربعين سنةً إلا شهراً، ولم يكن في خلفاء بني العباس من حكم بطول مدته[٦].

اشتهر بالظلم ورداءة السيرة، يقول ابن كثير رحمه الله:"وكان قبيح السِّيرة في رعيته، ظالماً لهم، فخرَّب في أيامه العراق، وتفرَّق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم"[٧].

ومع ذلك كان حريصاً على إرساء قواعد الملك، فلم يخرج عليه خارجيٌّ إلا قمعَه، كان شديدَ الاهتمام بالملك، لا يخفى عليه كبير شيءٍ من أمور رعيته[٨].

يقول الموفق رحمه الله:"وكان الناصر قد ملأ القلوب هيبة وخيفة، حتى كان يرهبُه أهلُ الهند وأهل مصر، فأحيى هيبةَ الخلافة، لقد كنتُ بمصر وبالشام في خلواتِ الملوك والأكابر، إذا جرى ذكرُه، خفضوا أصواتِهم إجلالاً له"[٩]. ويرجع السبب في ذلك والله أعلم لأمرين:

---

١. العبر (٨٥/٣).

٢. علاء الدين خوارزم شاه تكش بن خوارزم شاه أرسلان ابن المز بن محمد بن نوشتكين سلطان الوقت. وهو الذي أزال دولة بني سلجوق. وكان شجاعًا فارسًا عالي الهمة. تغيَّرت نيتُه للخليفة، وعزم على قصد العراق. مات سنة ٥٩٦هـ. العبر في تاريخ من غبر (١١٥/٣)، والبداية والنهاية (٦٩٤/١٦).

٣. السلطان طغرل بن السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود ميكائيل بن سلجوق. توفي سنة ٥٢٩هـ. البداية والنهاية (٢٠٧/١٦)

٤. العبر (١٠٠/٣). يُنظر: البداية (٩/١٣).

٥. البداية (١٠٦/١٣).

٦. المصدر السابق.

٧. البداية (١٠٦/١٣).

٨. السير (١٩٥/٢٢).

٩. السير (١٩٨/٢٢).

الأول: يغلب في الظنِّ استخدامه للجنِّ في معرفة ما يريد من أمور الملوك ورسلهم، ولهذا ورد أنَّه"لما دخل رسولُ صاحب مازندران بغدادَ، كانت تأتيه كل صباح ورقة بما فعل في الليل، فصار يبالغ في التكتم، واختلى ليلة بامرأة، فصبحته ورقة بذلك، فتحيَّر وخرج لا يرتاب أنَّ الخليفة يعلم الغيب. قلت –القائل الذهبي رحمه الله– أظنُّه كان مخدوماً من الجنِّ"[1].

وله من هذه الأمور الشيء الكثير، من ذلك أنَّه أتاه"رسول خوارزم شاه برسالة مخفيَّةٍ، وكتابٍ مختومٍ، فقيل: ارجع فقد عرفنا ما جئت به. فرجع وهو يظنُّ أنَّ النَّاصر وليٌّ لله"[2].

الثاني: كثرة من يأتيه بالأخبار، وهم العيون، ولهذا لا يخفى عليه شيء من أمور البلاد.

قال الموفق رحمه الله:"أصحاب أخباره في البلاد، حتى كأنَّه شاهدَ جميع البلاد دفعةً واحدةً"[3]. مات في عام ٦٢٢هـ بالفالج[4].

السلاطين السلاجقة

كانت هذه القبيلة بزعامة ميكائيل بن سلجوق[5] تسكن بخارى[6]، وتقلَّبَتْ بهم الأمورُ والأحوال، حتى مَلكُوا بلادَ خراسان[7] وما حولها، ولم يبقَ لهم سوى اعتراف الخليفة العباسي لهم، ليُكْسبوا لسلطتهم الصِّفة الشرعية، فكانت بين قائدهم طغرلبك وبين الخليفة مراسلات في سنة ٤٣٥هـ –٤٣٦هـ[8]، حتى كان دخول ركن الدولة طغرلبك إلى بغداد في ٢٥رمضان

---

١. السير (٢٢/ ١٩٦).

٢. مصدر سابق.

٣. السير (١٩٥/٢٢).

٤. العبر (١٨٦/٣).

٥. اعتنى بقتال الترك حتى قُتل. البداية والنهاية (٦٨١/١٥).

٦. دولة آل سلجوق(٨).بخارى: بالضم، من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، ويسمَّى الإقليم باسمها، فتحها قتيبة بن مسلم.وهي بلد الإمام البخاري صاحب الصحيح، وهي الآن من مدن دولة أوزباكستان. معجم البلدان (٣٥٣/١).

٧. بلاد واسعة، يحدها غرباً العراق، وشرقاً بلاد الهند، وتشمل على أمهات البلاد، مثل: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، ونسا، وسرخس، وغيرها من البلاد. وهذه المدن موجودة ما بين إيران وأفغانستان وشمال أفغانستان. معجم البلدان (٣٥٠/٢)، ومعجم ما استعجم (٤٨٩/٢).

٨. دولة السلاجقة (٤٣).

سنة ٤٤٧هـ[١] واعتراف الخليفة بهم. وبهذا استقرَّت السلطة لهذه القبيلة، وقامت لهم دولة ملكت جل ما ملكه المسلمون، وأصبح معترفاً بها من قبل الخلافة العباسية[٢].

وبموت السلطان ملكشاه[٣]– وهو السلطان الثالث– سنة٤٨٥هـ، بدأ الصراع في الدولة السلجوقية، حتى آلت الأمور إلى السلطان محمد، واستتبَّت الدولة له.

وبعد وفاته لا نستطيع الحديث عن وحدة السلاجقة، وإنَّما عن انقسامها وأقسامها، ومن أهم أقسامها[٤]:

١. سلاجقة خراسان.

٢. سلاجقة العراق.

والآن سأتحدث عن سلطانهم في فترة ابن الجوزي رحمه الله وأهم سلاطينهم.

كان السلطان سنجر والياً على خراسان في عهد كل من أخويه بريارق ومحمد، وبعد وفاة السلطان محمد وتوصيته لابنه محمود بالسلطة، لم يرتضِ سنجر ذلك، فحارب ابن أخيه وانتصر عليه، ثمَّ قرَّبه وزوَّجه ابنته، وجعله والياً له على العراق، وأَذِنَ أن يلقَّب بلقب السلطان، وفي سنة٥١٤هـ خُطِب للسلطان سنجر وابن أخيه محمود معاً[٥].

وكان سنجر يلقَّب بالسلطان الأعظم (سلطان جميع المماليك السلجوقية)، وخُطِبَ له بالعراق والحرمين والشام وأصبهان[٦] وهمذان وغيرها من البلدان[٧].

---

١. دولة آل سلجوق (٩).

٢. الدولة العباسية (٤٧).

٣. السلطان ملكشاه، أبو الفتح جلال الدولة بن السلطان ألب أرسلان محمد ابن داود السلجوقي التركي. وكان حسن السيرة، محسناً إلى الرعية، وكانوا يلقّبونه بالسلطان العادل، وكان ذا غرامٍ بالعمائر وبالصيد. توفي سنة ٤٨٥هـ. الخبر في تاريخ من غبر (٣٥٠/٢)، البداية والنهاية (١٢٩/١٦).

٤. تقسمت الدولة السلجوقية عدة أقسام، منها سلاجقة الروم، وسلاجقة الشام وسلاجقة كرمان، يُنظر: الدولة العباسية (٤٧٠).

٥. دولة السلاجقة (١٥٤).

٦. مدينة عظيمة مشهورة بأرض فارس، ويسمَّى الإقليم باسمها، فتحت في عهد عمر ين الخطاب سنة ١٩هـ، وهي اليوم تقع جنوب طهران عاصمة إيران. معجم البلدان (٢٠٦/١).

٧. مصدر سابق (١٥٥).

ثمَّ نَشبَ الخلافُ بين الأخوين محمود ومسعود أبناء محمد، وبعد وفاة محمود استولى على العراق السلطان مسعود، ولُقِّب بالسلطان.

وظلَّ السلطان مسعود سلطان العراق حتى وفاته سنة ٥٤٧هـ، حينها استجدَّ الخلاف السلطوي في البيت السلجوقي.

وأمَّا السلطان سنجر، فقد واجهته أموراً هزَّت أركان دولته، وتتمحور في ثلاث مخاطر:

الأول: الدولة الخطائية.

الثاني: دولة الغُزّ.

الثالث: الدولة الخوارزمية [١].

أمَّا الدولة الخطائية، فقد حدثت بينه وبينهم معارك وكان ذلك سنة ٥٣٦هـ، هُزم فيها سنجر وأُسرت زوجته[٢].

وأمَّا الغز ففي سنة ٥٤٨هـ وقعت بينه وبينهم معركة، كُسِرَ فيها سنجر وأُسر، وقُتِلَ أمراؤُه، وضُرِبَتْ أعناقُهم[٣].

وأمَّا الدولة الخوارزميَّة، فقد استمرَّت بينه وبينهم الحروب منذ سنة ٥٣٣هـ، إلى سنة ٥٤٣هـ[٤].

فهذه الحروب التي خاضها سنجر للحفاظ على دولته، وتعدُّد الجبهات عليه، مع ما كان يجري لأبناء أخيه من حروب في العراق، أضعفت من قوته خاصة المعركة التي أُسر فيها.

وفي سنة ٥٥٢هـ توفي السلطان سنجر[٥]، وبوفاته أفلَ نجم السلاجقة العظام في المشرق، وبدأ الانهيار.

وفي سنة٥٩٠هـ سقط سلطان السلاجقة، حيث حارب الخوارزميون السلطانَ طغرلَ بأمر الخليفة، فهزموه وقُتل طغرل، وحُمل رأسه إلى بغداد[٦].

---

١. العالم الإسلامي في العصر العباسي (٦١٢).

٢. المنتظم (١٨/١٩)، ودولة آل سلجوق (٢٥٣-٢٥٦).

٣. دولة آل سلجوق (٢٥٧-٢٦٠)، المنتظم (١٨/٩٠-٩٨).

٤. العالم الإسلامي في العصر العباسي (٦١٣).

٥. المنتظم (١٨/١٢١).

٦. العبر (٣/١٠٠).

وفي نهاية المبحث أريد أن أترجم لأهم شخصيتين من سلاطين السلاجقة، كان لهما الأثر في هذه الفترة.

الأول: السلطان سنجر

أحمد أبو الحارث بن ملكشاه، لقبه سنجر، ولد سنة ٤٧٩هـ [١].

طالت أيَّامه في الملك "فجلس على سرير الملك إحدى وأربعين سنة، وكان قبلها في ملك وسلطنة نحواً من عشرين سنة، ولم يملك أحد من الخلفاء والسلاطين هذه المدَّة، فإنَّها تقارب الستين سنة"[٢]. وقد " وكان مهيباً كريماً رفيقاً بالرعية، وكانت البلاد في زمانه آمنةً"[٣].

توفي في سنة ٥٥٢هـ[٤].

الثاني : السلطان مسعود

مسعود غياث الدين أبو الفتح بن محمد بن ملكشاه.

يقول الحافظ الذهبي رحمه الله:" تنقلت به الأحوال واستقلَّ بالملك سنة ثمان وعشرين، وامتدَّتْ أيامُه، وكان منهمكا في اللهو واللعب، كثير المزاح، لين العريكة، سعيداً في دنياه سامحه الله تعالى"[٥].

وقال ابن الجوزي رحمه الله:"ورأى مسعود من التمكين، ما لم يرَه أبناءُ جنسه"[٦].

وقال عماد الدين الكاتب رحمه الله:"فأمَّا السلطان مسعود، فإنَّه بعد حادثة الخليفة بمراغة[٧]، قبُحتْ سمعتُه، فذكرته الألسن، ونكرتْه الأعينُ"[٨]. فأقبل بعدها على اللذَّات والبطالة[٩].

---

١. البداية (١٢/٢٣٧).

٢. المنتظم (١٨/١٢١).

٣. الكامل في التاريخ (٩/٤١٦).

٤. العبر (٣/١٧).

٥. العبر في خبر من غبر (٤/١٢٧).

٦. المنتظم (١٨/٨٨).

٧. وذلك بقتله الخليفة المسترشد بالله رحمه الله. يُنظر: المنتظم (١٧/٢٩٩).

٨. دولة آل سلجوق (١٦٣).

٩. سير أعلام النبلاء (٢٠/٣٨٥).

قال أبو المظفر بن الجوزي:"سمعت مشايخ الحربية[1] يحكون عن آبائهم وأجدادهم، أنَّ السلطان مسعوداً لما أتى بغداد، كان يحب زيارة العلماء والصالحين، فالتمس حضور ابن الطلاية، فقال للرسول: أنا في هذا المسجد انتظر داعي الله في النهار خمس مرات. فذهب الرسول، فقال السلطان: أنا أولى بالمشي إليه. فزاره فرآه يصلي الضحى، وكان يطولها يصليها بثمانية أجزاء، فصلى معه بعضها، فقال له الخادم: السلطان قائم على رأسك. فقال: أين مسعود. قال: ها أنا. قال: يا مسعود اعدل، وادع لي، الله أكبر. ثمَّ دخل في الصلاة. فبكى السلطان، وكتب ورقةً بخطِّه بإزالة المكوس والضرائب، وتاب توبة صادقة"[2].

قال الذهبي رحمه الله:"أبطل مكوساً ومظالمَ كثيرةً، وعدل واتسع ملكُه، وكان يميل إلى العلماء والصالحين ويتواضع لهم"[3].

آذى المقتفي، فدعا عليه شهراً كما تقدَّم[4] فمات سنة ٥٤٧هـ.

الحروب الصليبية

في عام ٤٨٨هـ-١٠٩٥م، عقد البابا أوربان الثاني مؤتمراً حثَّ النَّاس بضرورة التوجه إلى فلسطين لنجدة النصارى[5] الشرقيين[6]، وكان الباعث لها ليس دينيا فحسب، بل اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً[7].

فاستجاب الناسُ لندائه، وهبَّتْ هذه الجموع للنِّداء الكنسي، واتجهت نحو الشرق، فأفسدت في طريقها البلادَ النصرانية قبل وصولها للبلاد الإسلامية[8].

---

١. تقع في شمال الجانب الغربي من بغداد، وبها قبر الإمام أحمد بن حنبل وبشر الحافي رحمهما الله، ونسب إليها بعض العلماء، منهم إبراهيم الحربي صاحب الإمام أحمد رحمهما الله. معجم البلدان (٢/٢٣٧)، خطط بغداد في معجم البلدان (٢٩).

٢. سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٦٢).

٣. سير أعلام النبلاء (٢٠/٣٨٥).

٤. يراجع صفحة (٢٠).

٥. النصارى: هم الذين يزعمون أنَّهم أتباع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وسمَّاهم القرآن أهل الكتاب، وأهل الإنجيل، ويسمُّون ديانتهم بالمسيحية، نسبة إلى المسيح عليه السلام. الملل والنحل (٢/٥٢)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (١٦٣).

٦. قصة الحروب الصليبية من البداية (٥٤).

٧. مصدر سابق (٦٣-٦٤).

٨. مصدر سابق (٦٧).

وصلت الجيوشُ الأوروبيةُ الخمسةُ، وكان عددُها ما يقارب ثلاثمائة ألف مقاتل[١]، وكانت لهم صولات وجولات مع الجيوش الإسلامية، حتى فتحوا أنطاكية[٢] سنة٤٩١هـ[٣].

وفي الثاني والعشرين من شعبان من سنة ٤٩٢هـ، سقط بيتُ المقدس في أيدي الصليبيين[٤].

وكانت هذه الحملة الصليبية الأولى.

ثمَّ جاءت بعدها الحملة الصليبية الثانية، وكان الذي أجَّج نارَها، فتحُ حصن الرُّها[٥] على يدِ عماد الدين زنكي رحمه الله، وكان ذلك سنة ٥٣٩هـ[٦].

استجاب الغربُ لنداءات أمرائهم في بلاد المسلمين، وأنفذوا حملةً صليبيةً ثانيةً في سنة ٥٤٣هـ[٧]، وقد آلت الأمور إلى نور الدين محمود بعد وفاة أبيه عماد الدين زنكي[٨]عليهما رحمة الله.

وصل ملوك الإفرنج، وكانوا ثلاثة إلى بيت المقدس وقصدوا دمشق وحاصروها، ثمَّ وصل نور الدين محمود، فحمل عليهم المسلمون وانهزم الصليبيون[٩]، وكان ذلك في سنة ٥٤٣هـ.

واصل نور الدين أعماله وجهاده وفتوحاته، و التي كان من أهمها:

١.فتح واسترداد الكثير من الحصون التي استولى عليها الصليبيون[١٠].

٢.فتح بعض البلدان التي كانت تحت سيطرة العبيدين، كمصر والمغرب الأدنى واليمن.

---

١. مصدر سابق (٨٤)، البداية والنهاية (٢١/١٦).

٢. مدينة في الثغور الشامية، تقع غرب حلب، وبينها وبين حلب يوم وليلة، وهي تقع على ساحل البحر المتوسط، وهي اليوم من مدن تركيا. معجم البلدان (٢٦٦/١).

٣. الكامل لابن الأثير (١٤/٩).

٤. البداية والنهاية (١٦٦/١٦).

٥. الرُّها: بضم أوله، وبالمدِّ والقصر، مدينة بالجزيرة -بادية الشام- بين الموصل والشام. تابعة لمحافظة الحسكة بسوريا، تبعد عن الموصل ١٥٨كم غرباً. معجم البلدان (١٠٦/٣).

٦. قصة الحروب الصليبية من البداية (٥٠٢)، البداية (٢١٩/١٢)، التاريخ الإسلامي (٢٨٣/٦).

٧. المنتظم (٦٣/١٨)، الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي (٤٥٤).

٨. العبر في تاريخ من غبر (٤٥٩/٢).

٩. المنتظم (٦٣/١٨-٦٤)، العبر (٤٦٣/٢)، التاريخ الإسلامي (٢٨٣/٦).

١٠.الدولة الزنكية: (٤٩١).

٣. تمكَّن من الغاء الدولة العبيدية الفاطمية، التي باعت بلاد الإسلام وتعاونت مع الافرنج.

٤. حروبه ضد الصليبيين وإلحاق الهزائم بهم.

٥. توحيد الدول والإمارات الإسلامية المواجهة للفرنجة[١].

فهذه من أهمِّ الأعمال التي قام بها نور الدين محمود رحمه الله.

وفي سنة ٥٦٩هـ توفي نور الدين محمود[٢]، وما مات رحمه الله إلا وقد فتح الفتوح، وكَسَر الفرنج في أكثر من موقعة، ولم يبقَ إلا فتح بيت المقدس.

بعد وفاةِ نور الدِّين ثارت الفرنج، وانقسَمَ البيتُ الزِّنكي، وكاد الوضعُ يرجِع كما بَدَأَ من فُرقة وتشتُّت، عندها خاف صلاحُ الدين على هذه الوحدة الإسلامية التي بَدَأَ بها عمادُ الدِّين زنكي، وأكملها نورُ الدِّين محمود، أن تذهبَ أدراجَ الرِّياح[٣]، فكان همُّه الحفاظَ عليها، وإكمالَ المسيرة في جهاد الصليبيين.

فكان من أولِّ أعمالِه أنَّه أخذ دمشق في سنة ٥٧٠هـ، بلا ضربة ولا طعنة كما يقول الإمام الذهبي رحمه الله[٤]. "وأمر بإبطال ما أُحدِث بعد نور الدِّين من المكوس والضَّرائب، وأَمَر بالمعروف ونهى عن المنكر"[٥].

وكان بينه وبين الصَّليبيين معاركٌ ومنازلاتٌ، منها معركةُ الرَّملة[٦] التي هُزم فيها المسلمون، وتحيَّز صلاح الدين ونجا، وكاد أن يقعَ في قبضة الصَّليبيين[٧].

وفي سنة ٥٨٣هـ كانت وقعةُ حطِّين[٨]، وكانت أمارةً وتَقْدُمةً لفتح بيت المقدس[١].

---

١. الدولة الزنكية: (٤٨٠-٤٨١).

٢. العبر (٥٥/٣).

٣. الدولة الزنكية (٦٠٤-٦٠٥).

٤. العبر: (٥٩/٣).

٥. البداية (٥٠١/١٦).

٦. مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت رباطاً للمسلمين. وهي الآن داخل ما يُسمَّى حدود ٤٨، تبعد عن بيت المقدس ٣٥كم غرباً. معجم البلدان (٦٩/٣).

٧. العبر (٦٣/٣).

٨. بكسر أوله وثانيه، وهي نقع بين طبرية وعكا، وبينها وبين طبرية نحو فرسخين-والفرسخ تقريباً ٥٥٤٤م- وبها وقعة مشهورة بين صلاح الدين والصليبين، كان النصر فيها للمسلمين. معجم البلدان (٢٧٤/٢).

يصف الحافظ ابن كثير رحمه الله هذه الغزوة فيقول:"ولم يُسمعْ بمثل هذا اليوم في عزِّ الإسلام وأهلِه، ودمغِ الباطلِ وأهلِه...وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين"[2].

فقد قُتِلَ منهم ثلاثون ألفاً، وأُسِر ثلاثون ألفاً، منهم ملوكُهم، وحتَّى من هرب منهم، أكثرُهم جرحى، فماتوا ببلادهم[3].

وافتتح في هذه المدَّة خمسين بلداً كباراً[4]. ثمَّ عزم صلاح الدِّين على فتح بيت المقدس، فقصده العلماءُ والصالحون تطوعاً، وبدأ حصارَه لبيت المقدِس في اليوم الخامس عشر من رجب، وفي يوم الجمعة ٢٧ من رجب سنة ٥٨٣هـ دخل السلطان صلاح الدِّين بيتَ المقدس قبلَ صلاة الجمعة[5].

وفي السَّنة التي تليها سنة ٥٨٤هـ يقول الذهبي رحمه الله:"دخلَتْ وصلاح الدين يصول ويجول بجنوده على الفرنج حتى دوَّخ بلادَهم، وبثَّ سراياها"[6].

وفي سنة ٥٨٧هـ أتوا الفرنج، وهذه هي الحرب الصليبية الثالثة[7].

وقد أتَتْ والإفرنج محاصِرةٌ لعكَّا، واستمرَّ الحصار على المسلمين بعكَّا سبعة وثلاثين شهراً[8]، ثمَّ عادوا وحاصروا السلطانَ صلاح الدين ببيت المقدس، فتعاهد هو وأمراءه عند الصخرة على الموت اقتداء بالصحابة يوم الحديبية، ثمَّ انفكَّ الحصار[9].

وبعد مدَّة وقع الصلح بينهم وبين صلاح الدين ووقعت الهدنة على وضع الحرب ثلاث سنين وثمانية أشهر[10].

---

١. البداية (١٦/٥٧٩).

٢. البداية والنهاية (١٦/٥٨١).

٣. مصدر سابق.

٤. البداية (١٦/٥٨٤).

٥. البداية (١٦/٥٨٤).

٦. العبر (٣/٨٧).

٧. البداية (١٦/٦٢٧)، وثائق الحروب الصليبية (٥٤).

٨. البداية (١٦/٦٣٣).

٩. البداية (١٦/٦٤٢).

١٠. البداية (١٦/٦٤٥).

وكان هذا هو بداية الانهيار الصليبي، حتى تمَّ تحرير البلاد الشامية من الحكم الصليبي، وطُرِدَ آخر جندي صليبي عن هذه البلاد سنة٦٩٠هـ[١].

الدولة العبيدية (الفاطمية)

هي الدولة العبيدية أو كما تسمِّي نفسها بالدولة الفاطمية زعموا، أُسِّست في تونس سنة٢٩٧هـ، وانتقلت إلى مصر سنة ٣٦٢هـ[٢].

أسَّسها عبيد الله المهدي[٣] الذي ادَّعى أنَّه علوي فاطمي[٤].

ولهذا نقل الإمام الذهبي رحمه الله عن الإمام الباقلاني[٥] رحمه الله أنَّه مجوسي[٦].

بل إنَّ أبا عبد الله الشيعي[٧] الذي مهَّد وسلَّم الأمر لعبيد الله المهدي، كان يشكِّك في المهدي ونسبه وهو أعرف به، ولهذا بادر المهدي بقتله[٨].

يقول الإمام الذهبي رحمه الله عن أحد أُمرائهم:"ولا أستحِلُّ أن أقولَ العلويَّ الفاطميَّ؛ لما وَقَرَ في نفسي من أنَّه دَعِيٌّ"[١].

١.وثائق الحروب الصليبية (٥٤).

٢. الدولة الفاطمية (٤٤-٤٥)، وموقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية (١١).

٣. أبو محمد عبيد الله، المدَّعي أنَه علوي – الملقَّب بالمهدي- أول خلفاء الدولة العبيدية -الفاطمية-. مدة حكمه ٢٤سنة تقريباً. توفي سنة ٣٢٢هـ. البداية والنهاية (٨٣/١٥)، والأعلام (١٩٧/٤).

٤. موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية (١٥)، البداية و النهاية (١٦١/١١)، (١٧٩/١١-١٨٠)، مجموع الفتاوى (١٣٠/٣٥).

٥. محمد بن الطيب الباقلاني رأس المتكلمين على مذهب أبي الحسن الأشعري قال ابن كثير: كان غاية في الذكاء والفطنة. توفي سنة ٤٠٣هـ . السير (١٩٠/١٧)، والبداية والنهاية (٣٩١/١١).

٦. موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية (١٦).

٧. الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا أبو عبد الله الشيعي الذي أقام الدعوة للمهدي. حينما سلَّم الحكم للمهدي المزعوم، ندم وشرع يعمل الحيلة في المهدي، فاستشعر المهدي بذلك فدس إليه من قتله. توفي سنة ٢٩٨ هـ. البداية والنهاية (٧٧٢/١٤)، والأعلام (٢٣٠/٢).

٨. البداية والنهاية (٨٥/١٥). يرى ابن خلدون صحَّةَ نسبهم ، وقدَحَ رحمه الله في شهادة أهل بغداد أيَّام القادر على نسبهم، وذكر أنَّهم أعداءُ الشيعة من بني العباس، وأنَّ النَّاس تلوَّنوا بمذهب أهل الدَّولة. وقال فيمن جعل نسبهم في اليهودية والنصرانية:"فكفاه ذلك إثماً وسفسفة" تاريخ ابن خلدون (٤٠/٤). والكلام هذا غير صحيح من وجوه:

١- أنَّ هناك من آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ممن عادوا الدعوة العباسية، ولم يتم التشكيك في نسبهم.

٢- أنَّ ابنَ خلدون بعيدٌ مكانا وزمانا.

٣- لو افترضنا صحة نسبهم، فلا يفيدهم في صحة اعتقادهم.

وفي سنة ٤٤٤هـ عُمل محضر كبير ببغداد، في عدم صحة نسبتهم لبني هاشم[٢].

وكانوا شيعةً رافضةً، فمعتقداتهم هي معتقدات الباطنية، من ادعاء علم الغيب وسبّ الصحابة، بل إنَّهم يدَّعون الألوهية والربوبية.

ومن ذلك مدح أحد الشعراء للمعزِّ حيث قال:

ما شِئْتَ لا ما شاءَتْ الأقدارُ******فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ[٣].

وسيأتي الكلام بإذن الله في المبحث التالي عن الباطنية وعن عقائدهم.

في الفترة التي عاشها الإمام ابن الجوزي رحمه الله، كانت هي الأيام الأخيرة لهذه الدولة الباطنية، وكان من أهم أسباب سقوطها هو[٤]:

١. استعانتهم بالصليبيين ثمَّ غدر الصليبيين بهم.

٢. استعادة الخلافة العباسية قوتها.

٣. استعانتهم بنور الدين محمود وإرساله أحد قواته وهو أسد شيركوه، ثمَّ الاستيلاء عليها من قبل نور الدين بسبب نكث الوزير الفاطمي لعهد كان بينهما.

٤. تحذير العلماء منهم، كالغزالي[٥] وابن عقيل وابن الجوزي رحمهم الله.

٥. ضعف الحكام الفاطميين واستيلاء الوزراء على أمور الدولة[٦].

٦. القتال بين وزراء وأمراء الدولة على السلطة[٧].

الباطنية

إنَّ الباطنية كان له الأثر السيء في الحياة السياسية في العالم الإسلامي، ولا أدلَّ على ذلك من عمليات الاغتيال التي قاموا بها، ومن أبرزها، قتلهم للقائد مودود[١] رحمه الله، حتى

---

١. سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٨٤).

٢. مصدر سابق (٢٢-٢٣).

٣. البداية والنهاية (٣٤١/١٥). ويُنظر: موقف الذهبي من الدولة العبيدية (٢٧-٣٩).

٤. هنا أتكلم عن سقوط الدولة العبيدية الفاطمية في مصر، لا عن الحركة الباطنية.

٥. محمد بن محمد الطوسي أبو حامد الغزالي الشافعي. صاحب التصانيف والذكاء المفرط. قال الذهبي رحمه الله"وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ومزال الأقدام". توفي سنة ٥٠٥هـ. سير أعلام النبلاء (٣٤٣/١٩)، والبداية والنهاية (١٨٧/١٢).

٦. البداية والنهاية (٣٩٩/١٦).

٧. مصدر سابق.

قال ملك الفرنج: إنَّ أمةً قتلت عميدها، في يوم عيدها، في بيت معبودها، لحقيق على الله أن يبيدها[2].

يقول الإمام أبوسعيد السمعاني رحمه الله:"البَاطِني: بفتح الباء الموحدة وكسر الطاء المهملة وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى فرقة يقال لهم الباطنية، وإنَّما لُقِّبوا بهذا اللقب؛ لدعواهم أنَّ لظواهر الآيات من القرآن بواطن، وهي المراد بها دون ما عُرف من معانيها في اللغة، وإذا فسروا ما أرادوه بالبواطن كان تفسيرُها رفعاً لأصولها وأصول الشرائع كلها، وربَّما موَّهوا على الطغام من أتباعهم بأنَّ منزلة الظاهر من الباطن منزلة القشر من اللب"[3].

وذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله أنَّ اسم الباطنية يذكر عند الناس، وهم قسمان:

القسم الأول: من يقول إنَّ للكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، وهؤلاء هم الباطنية، وهؤلاء أيضاً قسمان:

١. يرون ذلك في الأعمال الظاهرة كالصلاة والصوم والحج وغيرها من الظلم والشرك والفواحش. وهذا يقع في القرامطة[4] وغيرهم، وهم المراد في الغالب إذا أطلق لفظ الباطنية، وهم المراد بهم في هذا المبحث.

٢. عقلاء الباطنية كما سمَّاهم ابن تيمية، فإنَّهم يرون بالباطن المخالِف للظاهر في العِلْميات، لا في العَمَليَّات كابن رشد وغيره.

القسم الثاني: من يتكلَّم في الأمور الباطنة من الأعمال مع توافقها مع الظاهر، مع قولهم أنَّ من ادَّعى باطناً يخالف الظاهر فهو زنديق[5].

وأسماؤهم كثيرة، ومن أشهر ألقابهم الباطنية[1].

---

١. مودود بن التونتكين، صاحب الموصل، قتلته الباطنية يوم الجمعة سنة ٥٠٧هـ. المنتظم (١٧/ ١٢٣) وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٠٩).

٢. الكامل (٩/ ١٥٠)، البداية والنهاية (١٦/ ٢٢٠)، وقد ذكر صاحب كتاب أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، أسماء العلماء والقادة الذين اغتيلوا بأيدي الباطنية (٣٠١-٣٠٥).

٣. الأنساب (١/ ٢٦٠)، وذكر ابن خلدون في مقدمته أنَّ سبب تسميتهم بالباطنية أنَّهم كانوا يكتمون مذهبهم (٤/ ١٢١).

٤. القرامطة: نسبة لحمدان بن قرمط، وهي فرقة من فرق الباطنية، وعرف في سواد الكوفة سنة ٢٥٨هـ. تاريخ ال فضائح الباطنية (١٢)، الأعلام للزركلي (٥/ ١٩٤).

٥. بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٥٩-٢٦٠).

يقول الشهرستاني[2] رحمه الله:"وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنَّما لزمهم هذا اللقب؛ لحكمهم بأنَّ لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويل"[3].

وهدفهم إبطال الشريعة[4]، وقيل الدعوة إلى دين المجوس[5].

وهم غير الرافضة[6]، بل أشدّ من الرافضة، قال شيخ الإسلام :"فإنَّ القاهرة بَقِيَ ولاة أمورها نحو مائتي سنة على غير شريعة الإسلام، وكانوا يظهرون أنَّهم رافضةٌ، وهم في الباطن إسماعيلية ونصيرية وقرامطة باطنية، كما قال فيهم الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه الذي صنَّفه في الرد عليهم: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض"[7].

وإن كانوا عن طريق الرَّفض دخلوا، بل إنَّ الرافضة هم الذين فتحوا باب النفاق للباطنية، ولهذا يقول ابن تيمية:"التشيع دهليز الكفر والنفاق"[8].

عقائدهم:

١. إنكار وجود الله والقول بقدم العالم[9].

٢. إنكار البعث[10].

---

١. فضايح الباطنية (١١)، مجموع الفتاوى (١٥٢/٣٥)، الاعتصام للشاطبي (١٤٥/١)، (٢٥٤/١-٢٥٥).

٢. الأفضل محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح، قال الذهبي:"شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف" ومن أشهرها الملل والنحل. توفي سنة ٥٤٩هـ. سير أعلام النبلاء (٢٨٦/٢٠).

٣. الملل (١٩٢/١).

٤. الموافقات (٣٩٢/٢)، شرح الطحاوية (٥٥٤/١)، اعتقادات فرق المسلمين (٧٦).

٥. الفرق بين الفرق (٢٧٧). والمجوس: هم عبدة النار، ويقولون بالأصلين، النور وهو أزلي، والظلمة وهي محدثة، من أشهر فرقهم، الزرادشتية، والمانوية، والزروانية. التبصير في الدين (١٥٠)، الفصل في الملل والنحل (٣٥/١)، الملل والنحل (٣٨/٢).

٦. سبب تسميته رافضة أنَّ زيد بن علي زين العابدين بن الحسين كان قد بايعه جموعٌ من الشيعة، ثم قالوا له: تبرَّأْ من الشيخين – أي: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما – ، فقال: معاذ الله، وزيرا جدي، فتركوه ورفضوه، فسموا رافضة. ومن عقائدهم: أنهم يعتقدون العصمة في الأئمة، وأنَّ النبي ﷺ نصَّ على علي بن أبي طالب بالخلافة، وطعنوا في الصحابة رضي الله عنهم. وقد افترقوا عشرون فرقة. الفرق بين الفرق (١٧)، (٢٢)،لوامع الأنوار (٨٥/١)، مقالات الإسلاميين (١٦ وما بعدها).

٧. مجموع الفتاوى (٦٣٥/٢٨).

٨. منهاج السنة (٤٨٦/٨).

٩. الغنية في أصول الدين (٧٠)، اعتقادات فرق المسلمين (٧٦)، المنتقى من منهاج الاعتدال (٥٠٣).

١٠. تنزيه الأنبياء (١٠٠).

٣. أن النبوة مكتسبة[١].

٤. إباحة المحرمات[٢].

٥. نفي الأسماء والصفات[٣].

٦. رفع التكليف على من وصل إلى حقيقة العلم[٤].

٧. تحريف الكلم عن مواضعه[٥].

٨. إلهية الأئمة أو بعضهم[٦].

٩. قولهم كقول المجوس بأنَّ للعالم صانعين[٧].

أقوال العلماء فيهم

يقول أبو المظفر الإسفرائيني رحمه الله:"لا يُعدون من فرق المسلمين، فإنَّهم في الحقيقة على دين المجوس"[٨].

وقال أيضاً رحمه الله:"وفتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال" ثمَّ قال معلِّلا ذلك:"فإنَّ فتنة الدجال إنما تدوم أربعين يوما، وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون وهي قائمة بعد"[٩] ومازالت إلى يومنا هذا والله المستعان.

ويقول محمد بن عمر الرازي[١٠] رحمه الله:"اعلم أنَّ الفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنفي، أكثر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار"[١١].

---

١. تنزيه الأنبياء (١٤٠)، درء التعارض (٥/٣٥٣).

٢. الفرق بين الفرق (٢٨٢)، مصرع التصوف (١٨٤).

٣. درء التعارض (٤/٩)، (٥/٣٢٣)، المنتقى من منهاج الاعتدال (١٠٣) ، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (٩٢).

٤. درء التعارض (٣/٢٧٠).

٥. درء التعارض (٥/٣٨٣)، إيثار الحق على الخلق (٣٨٤).

٦. الفصل في الملل والنحل (١/١٦٤)، (٢/٣٣)، مصرع التصوف (١٦٤).

٧. الفرق بين الفرق (٢٦٩-٢٧٠).

٨. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية (١/٢٢).

٩. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية (١/١٤٠-١٤١).

١٠. أبو عبد الله، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي، ويعرف بابن الخطيب، وبابن خطيب الري، من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال. قال الذهبي رحمه الله:" وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنَّه توفي على طريقة حميدة، والله يتولَّى السرائر". توفي سنة ٦٠٦هـ. سير أعلام النبلاء (٢١/٥٠٠)، والأعلام (٦/٣١٣).

ويقول عبدالقاهر البغدادي رحمه الله:"وليست الباطنية من فرق ملَّة الإسلام بل هي من فرق المجوس"[2]. ثمَّ يقول محذِّراً المسلمين من ضررهم:"اعلموا أسعدكم الله، ضررُ الباطنية على فرق المسلمين، أعظم من ضرر اليهود[3] والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرَّة الدهريَّة[4] وسائر أصناف الكفرة عليهم"[5].

ويقول برهان الدين البقاعي[6] رحمه الله:"وهم على أسوأ طريق، فالحذر منهم، فإنَّهم أعداءُ الله، وشر من اليهود والنصارى؛ لأنَّهم قومٌ لا دينَ لهم يتبعونه، ولا ربَّ يعبدونه"[7].

حكم العلماء فيهم

قال الغزالي رحمه الله:"والقول الوجيز فيه، أنَّه يُسلك مسلك المرتدين في النَّظر والدم والمال والنكاح والذبيحة ونفوذ الأقضية وقضاء العبادات، أمَّا الأرواح فلا يسلك بهم مسلك الكافر الأصلي، إذ يتخيَّر الإمام في الكافر الأصلي بين أربع خصال، بين المنِّ والفداءِ والاسترقاقِ والقتلِ، ولا يتخيَّر في حقِّ المرتدِّ"[8].

---

١. تمييز اعتقادات المسلمين (٧٦).

٢. الفرق بين الفرق (١٦).

٣. اليهود: مشتقة من قول موسى عليه السلام { إنا هدنا إليك} أي تبنا إليك، وقيل إنها غير مشتقة، وأنهم ينسبون إلى يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل. ويزعمون أنَّهم أتباع موسى عليه السلام، سمَّاهم القرآن بقوم موسى، وبني إسرائيل، أهل الكتاب، واليهود، وهذا اللقب ذكر في مواطن الذم. الملل والنحل (١٥/٢)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (٤٥).

٤. قالوا بقدم العالم وأنَّه لم يزل، وينكرون الثواب والعقاب، وينكرون الربوبية، وأنكروا المعاد، وينسبون ما يقع بهم إلى الدهر كما حكاه الله عنهم في القرآن.الفصل في الملل والنحل (١٥/١)، الفرق بين الفرق (٣٤٦)، لوامع الأنوار (١٥٧/٢).

٥. الفرق بين الفرق (٢٦٥).

٦. إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين. مؤرخ وأديب. توفي سنة ٨٨٥هـ. البدر الطالع (١٩/١)، والأعلام (٥٦/١).

٧. مصرع التصوف (١٥٨).

٨. فضايح الباطنية (١٥٦).

ويقول ابن تيمية رحمه الله:"فأئمتهم الكبار، العارفون بحقيقة دعوتهم الباطنية، زنادقة منافقون. وأمَّا عوامُّهم الذين لم يعرفوا باطنَ أمرهم، فقد يكونون مسلمين"[1]. وذكر رحمه الله أنَّ كفرَهم كفرُ ردَّةٍ[2].

---

١. منهاج السنة (٢/٤٥٢-٤٥٣).

٢. منهاج السنة (٣/٤٥٩).

الحالة الاجتماعية:

كانت بغداد في القرن السادس الهجري محطُّ أنظار الناس، فقد كانت حاضرة العالم الإسلامي، وبلاد الخلافة من بني العباس، التي إذا قامت أي دولة في العالم الإسلامي كانت تطلب منها الاعتراف بها، وبها قصور السلاطين ودورهم، وبها العلماء، والقضاة، والوزراء، والشعراء، وسأتكلم عن هذه الطبقات من المجتمع بشيء من الإيجاز والاختصار.

الخلفاء: قال الإمام الماوردي[1] رحمه الله:"الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[2]. وممَّا تميَّز به الخلفاء العباسيون، ما ورثوه من بردته وقضيبه ﷺ[3]، وأصبح شعاراً لهم يتناقلونه بينهم، وقد تقدَّم شيء من أخبارهم وسيرهم.

السلاطين: كان السلاجقة هم السلاطين كما تقدَّم معنا وهم من الترك الأعاجم، وكانوا يحملون الاعتقاد السني، والمذهب الحنفي.

وكانوا لا يسكنون بغداد بخلاف البويهين، ولكن يأتونها بين فترةٍ وأخرى، ولهم دورهم في الجانب الشرقي من بغداد.

وكانت أفراحهم هم والخلفاء تقام ببغداد، وكانت الأسواق تغلق، وتُزيَّن البلد، ويكون فيه العزف والطبل والمنكرات، ولهذا حينما تقرأ في تاريخ ابن الجوزي رحمه الله -وهو يكاد يتكلَّم عن تاريخ بغداد- يمرُّ معك كثيرا:"وعلِّقتْ بغداد" ويكون لميلاد طفل لخليفة أو سلطان، أو ختان أبناء الخليفة، أو لعيد أو غيرها من المناسبات.

فمن ذلك ما ذكره ابن الجوزي حيث قال:"وفي غرة في القعدة صرد[4] الخبر بأنَّ بنتَ دبيس، وَلَدَت للسلطان مسعود ولداً ذكراً، فعُلِّقت بغداد، وأخذ الناس في اللَّعب سبعة أيام، ثمَّ ظهر المفسدون، وقتلت المصالحة، وأُخِذَتْ أموالُ الناس"[5].

---

١. علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي البصري. شيخ الشافعيين، صنَّف الحاوي الكبير في فقه الشافعية، والأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين. اتهم بالاعتزال. توفي سنة ٤٥٠هـ. سير أعلام النبلاء (٦٤/١٨)، والبداية والنهاية (٧٦٢/١٥)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢٦٧/٥).

٢. الأحكام السلطانية (٣).

٣. الأحكام السلطانية (٢٢٢-٢٢٣).

٤. هكذا في الأصل، ولعلَّ الصواب (وفي غرة ذي القعدة ورد الخبر).

٥. المنتظم (٢٧/١٨).

الوزراء: كان في الدولة في عهد السلاجقة وزيران، وزير للخليفة، ووزير للسلطان.

ولكل وزير صلاحيات، وإن كان وزير السلطان له من القوة والسلطة ما ليس لوزير الخليفة، بل إنَّ السلطان أحياناً يتدخل ويأمر بعزل وزير الخليفة لا عكس[1].

ويجب في كل وزير أن يتحلَّى ببعض الصفات التي تؤهله لمنصب الوزارة[2].

ولكل وزير مراسيم لتقليده الوزارة، وألقاب يختص بها، وما يلحقها من خلع عند تقليده للوزارة، أشبه ما يكون في زمننا بتحسين الوضع عند تقليد الوزارات أو أعضاء مجلس الشورى[3].

كما أنَّ لكلِّ وزير صلاحيات تختص به من ناحية إدارية وسياسية واقتصادية وعسكرية[4].

القضاة: القضاء من المناصب الشرعية التابعة للدولة. وهم على قسمين، إمَّا أن يكونَ قاضياً لمحلَّةٍ من محال المدينة، أو لجانب من جوانبها، أو للمدينة[5].

ويعتبر قاضي القضاة هي السُّلطة العليا في القضاء، وهي مستقلَّة عن سلطة الحاكم[6].

وكان هناك المسئول عن ولاية المظالم، وهو غير عمل القاضي[7]، وهو ينظر في تعدي الولاة على الرَّعية، وجور العمَّال، وكتاب الدواوين والأوقاف وغيرها[8].

النُّقباء: قال السمعاني رحمه الله:"النَّقِيب: بفتح النون والقاف المكسورة بعدها الياء آخر الحروف وفي آخرها الباء الموحدة. هذه النسبة إلى النَّقابة، وهذا لقبٌ لجماعة يتولَّون نقابة السادة العلوية، أو العباسية، أو نقابة القُوَّاد"[9].

---

١. دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي (١٧٧).

٢. مصدر سابق (١٧٨-١٨٣).

٣. مصدر سابق (١٨٤-١٩٠).

٤. مصدر سابق (١٩٠-١٩٧).

٥. الأحكام السلطانية (٩٧).

٦. تاريخ بغداد الاجتماعي تطور منصب قاضي القضاة (١١).

٧. الأحكام السلطانية (١١١).

٨. الأحكام السلطانية (١٠٧-١١١). وجعلها الإمام الماوردي عشرة أقسام.

٩. الأنساب (٥/٥٢٠). يُنظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا (٣/ص٢٩٧).

ويقول الماوردي رحمه الله:"هذه النَّقابة موضوعةٌ على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النَّسب، ولا يساويهم في الشرف"[1].

ولها أحكامها ومن المسئول عن تعيين أصحابها، وأنواعها وغير ذلك مما يتعلق بها[2].

الشحنة: هم أعوان السلطان الذين يتولون ضبط أمور البلد، وحفظ الرعيَّة.

الزهاد: كان ببغداد أربطة يسكن فيها الزهاد غالباً، وقد كان ابن الجوزي رحمه الله له منها جانب في بداية عمره، فقد قرأ على أحدهم في رباط بهروز الخادم[3]. وقد حذر منهم ابن الجوزي رحمه منهم في كتبه، خاصة تلبيس إبليس وصيد الخاطر.

يذكر ابن الجوزي عن ابن عقيل وصفاً لهؤلاء الزهاد، فيقول رحمه الله:"فأمَّا فِي زماننا هذا، فقد اصطلح الذِّئب والغنم. قال ابن عقيل –نقلته من خطه–: وأنا أذمّ الصوفيةَ[4] لوجوه يوجب الشرع ذمّ فعلِها: منها أنَّهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة، فانقطعوا إليها عَنْ الجماعات فِي المساجد فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عَنْ أعمال المعاش وبدَّنوا أنفسَهم بدنَ البهائمِ للأكل والشرب والرقص والغناء".فنلاحظ وصف الأربطة بأنَّها مناخ البطالة والكسل، وكيف أنَّهم بعدوا عن أماكن العبادة، وأنَّهم أسرفوا في المأكولات والمشروبات، حتى قال فيهم: وبدَّنوا أنفسهم، وأنَّ المسألة أبعد ما تكون من حياة الزهاد.

---

١. الأحكام السلطانية (١٢٦).

٢. يُنظر: الأحكام السلطانية (١٢٦–١٢٩).

٣. المنتظم (٢٢/١٨). يُنظر الكلامُ عن الأربطة والزوايا في بغداد في القرن السادس رسالة: متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري (١٧٢).

٤. الصوفية: اختلفت آراء الباحثين في منشأ التصوف، فمن قائل يقول إنَّه إسلامي المصدر ومن قائل يقول العكس، وأنَّه مأخوذ من الأمم السابقة، ثمَّ اختلفوا في اشتقاقه، هل هو من الصوف، أو من الصُفَّة أو غير ذلك.والصوفية مرَّت بمراحل، فالأوائل منهم كانوا أقرب إلى الشرع من أواخرهم، وهناك غلاة الصوفيَّة، وهو ما يُسمَّى بالتصوف الباطني القائل بوحدة الوجود، والصوفيَّة طرائق، وكلٌ طريقة لها مصدرها وأحكامها. موقف ابن الجوزي من التصوف (١١٠–٢١٩).

الشعراء كان للشعراء نوادي يجتمعون بها، ومجالس يتسامرون فيها. يقول عماد الدين الكاتب رحمه الله في ترجمة أبو المعالي بن مسلم:"أَذكرُ في أوان الصِّبا، ودُكَّانُه في باب النوبي[١] مجمع الظرفاء والأدباء، وهو يعمل شعراً، ويُلقِّنه صنَّاع الغناء"[٢].

الفتوة: وهي مجموعة صفات يتحلَّى بها المرء من الشجاعة والكرم وغيرها[٣].

وهناك فتوة الصوفية، وهناك فتوة الشجعان، والمراد بها هنا لُبْس سراويل الفتوة، وشرب ماء مالحا وهي فتوة الشجعان كما يقال[٤].

وقد اشتهرت في عهد الخليفة الناصر لدين الله، وذلك لتَبنّيه إياها.

يقول الذهبي رحمه الله:"وفيها لبس لباس الفتوة الناصر لدين الله من شيخ الفتوة عبدالجبار[٥]، ولهج بذلك وبقي يلبس الملوك. وإنما كمال المروة ترك لبس الفتوة"[٦].

العيارون: رجل عَيّار: إذا كان كثير التّطْواف والحركة ذكِيّاً. والعربُ تَمدحُ بالعَيَّار وتَذُمُّ به، يُقال: غُلَامٌ عَيّار، نَشِيطٌ في المعاصي، وغُلَامٌ عَيّار نشيطٌ في طاعة اللَّه تعالى[٧]. ويقال: عار الرجل، إذا انهمك في الخلاعة[٨].

يقول ابن الجوزي رحمه الله فيمن لبَّس عليه إبليس في عمل خير، ثمَّ لا يبالي فيما عمل بعده:"ومن هذا الفن تلبيسه على العيَّارين في أخذ أموال النَّاس، فإنَّهم يُسَمَّون بالفتيان، ويقولون الفتى لا يزني ولا يكذب، ويحفظ الحرم، ولا يهتك ستر امرأة، ومع هذا لا يتحاشون

---

١. هو باب من أبواب حريم دار الخلافة، وهو الباب الرابع، ويسمَّى باب العتبة؛ بسبب العتبة التي عندها مقام الخليفة، والتي تقبّلُها الرّسلُ والملوكُ إذا قدموا بغداد. معجم البلدان (٢٥١/٢).

٢. خريدة القصر (٣٠٨/٢).

٣. يُنظر: الفتوة نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية،د. أحمد الخطيمي، دائرة المكتبة الوطنية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، والفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين.

٤. الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين (٤٨).

٥. عبد الجبار بن يوسف البغدادي. شيخ الفتوة ورئيسها. انقطع إلى عبادة الله بموضع اتخذه لنفسه وبناه، فاستدعاه الإمام الناصر وتفتَّى إليه، ولبس منه. توفي سنة ٥٨٥هـ. الوافي بالوفيات (٢٤/١٨)، والعبر في خبر من غبر (٧٤/٣).

٦. العبر في تاريخ من غبر (٧٤/٣).

٧. يُنظر لسان العرب (٦٢٣/٤).

٨. غريب الحديث للخطابي (٤٨٠/١).

من أخذ أموال الناس، وينسون تَقَلِّي[1] الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم الفتوة، وربما حلف أحدهم بحق الفتوة، فلم يأكل ولم يشرب، ويجعلون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم كإلباس الصوفية للمريد المرقعة، وربَّما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمةَ وزرٍ لا تصح، وربَّما كانت من محرِّض، فقتلها. ويدَّعون أنَّ هذه فتوة، وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب"[2].

ولهذا ما يُذكرون إلا بإفسادهم في البلد، وسرقتهم لأموال الناس من منازلهم ودكاكينهم، وقتلهم[3].

---

١. والتَقَلِّي: أصله من قَلَى الشيء قَلْياً: أَنْضَجَه على المِقْلاة، يقال: قَلَيْت اللحم على المِقْلَى، أَقْلِيه قَلْياً إذا شويته حتى تُنْضِجه. يُنظر: النهاية (٤/١٠٥)، واللسان (١٥/١٩٨).

٢. تلبيس إبليس (٣٤٧).

٣. يُنظر شيئاً من أخبارهم في المنتظم: (١٧/٣٠٩) و (١٧/٣٢١) وَ (١٨/٤) و (١٨/١٧) و (١٨/٣٠).

المطلب الثاني: سيرة ابن الجوزي رحمه الله:

اسمه وكنيته:

عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبدالله بن حُمَّادِي[1] بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي[2] بن عبدالله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله أبي بكر الصديق القرشي التَّيمي البكري.

كنيته: (أبوالفرج) و (أبوالفضائل)[3]، ولقبه (جمال الدين) و (ناصر السنة)[4].

هكذا ذكر أصحاب التراجم نسبه رحمه الله، إلا أنَّ هناك مسائلُ أحبُّ التنويهَ عليها:

الأولى: وقع في مرآةِ الزمان اسمه "عبدالرحمن بن محمد بن علي"[5]، فأسقط أباه، بخلاف كتب التراجم، وهذا خطأ واضح، والغالب أنَّه خطأ مطبعي، والله أعلم.

الثاني: أسقط بعضُهم جدَّه الرابع (عبدالله) كما ورد في البداية والنهاية لابن كثير[6]، والمنذري في التكملة[7]، كما أسقط بعضُهم جدَّه الثالث (عبيد الله)، كما ورد في مرآة الزمان، والمختصر المحتاج إليه، وفي الذَّيل على الروضتين لأبي شامة[8].

---

١. قال ابن خلكان رحمه الله:"وحُمَّادى: بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الألف دال مهملة مفتوحة وياء مفتوحة"وفيات الأعيان (١٤٢/٣) هكذا حُمَّادَيَ. وهذا مشكل؛ حيث كيف تكون ياءً وما قبلها مفتوح؟ ومثله المنذري في التكملة، حيث قال مؤكِّداً أنَّها ياءٌ:"وياء آخر الحروف" نقله عنه محقق كتاب المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي (٢٠٦/٢). وقال د.العثيمين في تحقيقه لذليل طبقات الحنابلة:"بضم الحاء وتشديد الميم" ذيل طبقات الحنابلة، حاشية رقم: (١) (٤٦١/٢). وفي تكملة الإكمال لابن نقطة الحنبلي (٢٩١/٢) أورده في سياق نسبه (حُمَّادا) عن معجم القاضي أبي المحاسن عمر بن علي القرشي الدمشقي. قال فسألت عن ذلك ابنيه فقالا: هو (حُمَّادِي) بزيادة ياء".(٤٦١/٢).

٢. قال ابن خلكان رحمه الله:"والجوزي بفتح الجيم وسكون الياء وبعدها زاي". وفيات الأعيان (١٤٢/٣). ويُنظر: جنان الزمان (٣٧١/٣).

٣. رحلة ابن جبير (١٩٦).

٤. المنتظم (٢٢٠/١٨).

٥. (٤٨١/٨).

٦. يُنظر: البداية والنهاية (٧٠٦/١٦).

٧. يُنظر: حاشية المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي (٢٠٥/٢).

٨. يُنظر: مرآة الزمان (٤٨١/٨)، المختصر المحتاج إليه (٢٠٥/٢)، الذيل على الروضتين (٢١/١).

الثالث: قدَّم صاحبُ التقييدِ[1] الجدَّ الرابع وهو (عبدالله) على الثالث (عبيد الله)، ولم أجدْ أحداً سواه ذكره، فلعلَّه خطأ في النَّسخة، أو وهمٌ من المؤلف رحمه الله، والله أعلم.

الرابع: ترجع نسبته إلى جدِّه الثامن[2]جعفر[3]، وقد اختُلف في سبب النِّسبة إلى عدِّة أقوال:

- قيل ينسب إلى فُرضة من فرض البصرة، وهو موضع مشهور كما ذكر ابن خِلِّكان[4]، وعليه الأكثر[5].
- وقيل منسوب إلى محلَّة بالبصرة تُسمَّى (محلَّة الجوز)[6].
- وقيل كان في داره جوزةٌ لم يكن بواسط جوزةٌ سواها.
- وقيل إلى محلَّة من محالِّ بغداد بالجانب الغربي تُسمَّى(مشرعة الجوز)كان جدُّه منها[7].

مولده: ولد رحمه الله بـ(درب حبيب[8]) ببغداد، وهذا عليه اتفاق كتب التراجم.

أمَّا عن سنة ولادته، فاختلفتْ كتبُ التراجم في ذلك، والسبب أنَّ ابن الجوزي رحمه الله نفسه"كان لا يُتقن مولدَه"[9]، ولهذا قال ابن رجب رحمه الله:"ووُجِد بخطِّه: لا أُحقِّقُ مولدي، غير أنَّه مات والدي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة:كان لك من العمر نحو ثلاث سنين... وقال ابن القَطِيعي:سألتُه عن مولده؟ فقال: ما أُحِقُّ الوقت، إلا أنَّني أعلمُ أنِّي احتلمتُ في سنة وفاة شيخنا ابن الزاغوني[1]، وكان توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة"[2].

---

١. يُنظر: التقييد لمعرفة الرواة (٩٧/٢).

٢. قال الإمام الذهبي:"وجعفر الذي هو جدُّه التاسع" السير(٣٧٢/٢١). وهذا وهم، كما تقدَّم .

٣. يُنظر: البداية والنهاية (٧٠٦/١٦)، الذيل على الروضتين (٢١/١)،وفيات الأعيان(١٤٠/٣)،السير للذهبي (٣٧٢/٢١)، النجوم الزاهرة (١٥٧/٦).

٤. وفيات الأعيان (١٤٢/٢).

٥. يُنظر: تذكرة الحفاظ (١٣٤٢/٤)، السير (٣٧٢/٢١)، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤٦٢/٢)، شذرات الذهب (٥٣٨/٦).

٦. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤٦٢/٢). ومحلة الجوز هي: محلَّة بالبصرة. المقصد الأرشد (٩٤/٢).

٧. وفيات الأعيان (١٤٢/٣).

٨. درب حبيب ببغداد من نهر معلَّى، ينسب إليه المحدثون. يقع في الجانب الشرقي من بغداد. معجم البلدان (٢١٦/٢).

٩. التقييد (٩٨/٢).

وإذا رجعنا إلى تاريخ ابنِ الدَّبَيْثيّ فإنَّه يقول:"وُلِدَ سنة عشر وخمسمائة تقريباً، كذا قال لي غيرَ مرَّةٍ"[٣].

والأقوال التي حُكيت في سنة ميلاده هي:

سنة ثمان وخمسمائة[٤]، وتسع وخمسمائة[٥]، وعشر وخمسمائة، وإليه أشارتْ أكثرُ التراجم[٦]، وقيل إحدى عشرة وخمسمائة[٧]، وقيل سنة اثنتي عشرة وخمسمائة[٨].

وبالنَّظر إلى ما ذكر أنَّه تُوفي والده سنة أربع عشرة وخمسمائة وله من العمر ثلاث سنين، وإلى ما وجد بخطِّه في تصنيفٍ صنَّفه سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وله من العمر سبع عشرة سنة[٩]، فإنَّ مولدَه يكون في السنة الحادية عشرة وخمسمائة تقريباً.

وإذا نظرنا إلى ما ذُكر من أنَّه احتَلَمَ سنةَ وفاةِ شيخهِ ابن الزاغوني رحمه الله، وقد تُوفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة، فإنَّ مولدَه يكون في السنَّة الثانية عشر وخمسمائة تقريباً.

وما ذكره رحمه الله من أنَّه احتلم في سنة وفاة ابن الزَّاغوني رحمه الله، وهي سنة ٥٢٧هـ، فهذا يُبعدُ قول من يقول أنَّه وُلِد سنة ٥١٠هـ وما قبل.

والذي يترجَّح والعلم عند الله، أنَّ ولادته رحمه الله كانت إمَّا في آخر سنة ٥١١هـ، أو بداية سنة ٥١٢هـ والله أعلم.

---

١. ستأتي ترجمته في شيوخه إن شاء الله.

٢. الذيل (٤٦٢/٢).

٣. المختصر المحتاج إليه (٢٠٧/٢).

٤. تاريخ الإسلام (١١٠١)، وفيات الأعيان (١٤٢/٣)، مرآة الجنان (٣٧١/٣)، الذيل على طبقات الحنابلة (٤٦٢/٢)، السير (٣٧٣/٢١).

٥. السير (٣٦٦/٢١)، الذيل لابن رجب (٤٦٢/٢).

٦. الذيل على الروضتين (٢١/١)، المختصر المحتاج إليه(٢٠٧/٢)، تاريخ الإسلام (١١٠١)،السير (٣٦٦/٢١)، تذكرة الحفاظ (١٣٤٢/٤)، وفيات الأعيان (١٤٢/٣)،البداية والنهاية (٧٠٧/١٦)، الذيل لابن رجب (٤٦٢/٢)، مرآة الجنان (٣٧١/٣).

٧. الذيل لابن رجب (٤٦٢/٢)، مختصر طبقات الحنابلة لابن شطي (٤٢).

٨. الذيل لابن رجب (٤٦٢/٢).

٩. الذيل لابن رجب (٤٦٢/٢).

نشأته وحياته:

نشأَ رحمه الله يتيماً، تُوفي والدُه وعمره ثلاث سنين[١]، فلمَّا مات أبوه، كَفلتْه عمَّتُه، وكانت امرأةً صالحةً[٢]، وذكَرَ شُغْلَ أمِّه عنه[٣].

فلمَّا ترعرعَ ذهبتْ به عمَّتُه إلى شيخه الشيخ ابن ناصر[٤]، فاعتنى به وأَسْمَعه الحديثَ، يقول ابن الجوزي رحمه الله:"وكان يَحمِلُني إلى الشيوخ، فأَسْمعني المسندَ وغيرَه من الكتب الكبار، وأنا لا أعلمُ ما يُراد مني، وضَبطَ لي مسموعاتي، إلى أن بلغتُ فناولَني ثَبْتَها"[٥].

وقد كان محبَّاً للعلمِ منذ صغرِه، ذا هِمَّةٍ عاليةٍ فيه، مع ما آتاه الله من عقل وفهم وحفظ، فاسمعْه وهو يتكلَّمُ عن همَّته منذ صغره إذ يقول:"إني أذكر نفسي ولي هِمَّةٌ عاليةٌ، وأنا في المكتب ابنُ ستِّ سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار، قد رُزِقتُ عقلاً وافراً يزيد على عقل الشيوخ[٦]، فما أذكرُ أنِّي لعبتُ في طريق مع الصبيان قطّ، ولا ضحكتُ ضحكاً خارجاً.

حتى أنِّي كنتُ وليَ سبعُ سنين أو نحوها، أحضرُ رحبةَ الجامع، فلا أتخَيَّرُ حلقةَ مشعبذ، بل أطلبُ المحدِّثَ، فيتحدَّثُ بالسِّير فأحفظُ جميعَ ما أسمعُه، وأذهبُ إلى البيت فأكتبُه... ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرَّجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذُ جزءاً وأقعد حُجْزَةً من النَّاس إلى جانب الرَّقة، فأشتغل بالعلم"[٧].

فجمع الله له بين الهمَّة العالية، ورجاحة العقل، والحفظ والفهم، وليس هذا وحسب، بل هيَّأَ له الحافظَ ابنَ ناصر رحمه الله، الذي حمله إلى الشيوخ، وأسمعه المسندَ والكتب الكبار وضبط له مسموعاته[٨].

١.مرآة الزمان (٤٨١/٨)، الذيل (٤٦٢/٢).

٢.مرآة الزمان (٤٨١/٨).

٣. صيد الخاطر (٢٤٨)، ولعل ذلك والله أعلم بسبب زواجها، حيث تزوجت بأبي الفائز عبدالله بن أحمد الطوير، ت:٦٠٠هـ. يُنظر: مبحث أسرته وأبناؤه.

٤.مرآة الزمان (٤٨١/٨). ذكر صاحب شذرات الذهب أنَّه خاله (٥٣٨/٨)، ولم تذكره كتب التراجم.

٥. لفتة الكبد (٣٤-٣٥).

٦. إنَّ ممَّا يُلاحظ في سيرته رحمه الله رجاحة عقله، يقول بعضهم: العلماء ثلاثة: أحدهم رزقه الله العلم والعقل، وبعضهم رزقه العلم ولم يرزقه العقل، وبعضهم رزقه العقل ولم يرزق سعة العلم.

٧. لفتة الكبد (٣٣-٣٥).

٨. لفتة الكبد (٣٤-٣٥).

وهذا كلُّه من فضل الله عليه، وبهذا كان يلهج رحمه الله حيث يقول:"فأحسن تدبيري وتربيتي، وأجراني على ما هو الأصلح لي... ورَزَقني الفهم، وسرعةَ الحفظ والخطّ، وجودةَ التَّصنيف"[١].

هذا حاله في زمن الصِّبا، أمَّا بعد بلوغهِ الحلم، ازداد حبُّه للعلم أكثر، حتى لـمَّا بلغَ وأخذ إرثه الذي يستحقه من إرث أبيه، وكان عشرين ديناراً ودارين، أنفقَها في شراء الكتب والعلم، حتى لم يبقَ له شئٌ رحمه الله[٢].

ومع طلبه للعلم، أُلهم الزُّهد في الدنيا، وحبَّ العبادة، فسَرَدَ الصومَ، وتقلَّلَ من الطَّعام، وعالجَ السهر، واتبع الزُّهاد[٣]، فجمع الله له بين العلم والعمل.

وكان يتردَّدُ على العلماء، ولم يتركْ أحداً ممن يَروي ويَعظ، ولا غريباً يَقدُم، إلا ويَحضرُه[٤].

ولهذا ذكر في مشيخته تسعةً وثمانين شيخاً[٥]،"وقد سمع من جماعةٍ غيرهم، لكنَّه اقتصر على أكابر الشيوخ وعواليهم"[٦].

ولم يشتغل بفنٍّ واحد، بل حَبَّبَ اللهُ له فنونَه كلَّها[٧].

وكان عفيفاً في طلبِه للعلم، يقول عن نفسه رحمه الله:"وكنتُ أُصبِحُ وليس ليَ مأكلٌ، وأُمسي وليس لي مأكلٌ، ما أذلَّني الله لمخلوقٍ قط. ولكنه ساق رزقي لصيانة عرضي"[٨].

وما زال ذا همَّةٍ عاليةٍ في طلب العلم رحمه الله حتَّى في آخر عمره، حيث قرأَ بالرِّوايات في كبره بواسط على ابن الباقلاني[١].

---

١. لفتة الكبد (٣٦).

٢. لفتة الكبد (٦٣).

٣. لفتة الكبد (٣٥-٣٦).

٤. لفتة الكبد (٣٦).

٥. يُنظر: مشيخة ابن الجوزي رحمه الله، حيث ذكر عدد شيوخه، من الرجال ستاً وثمانين، ومن النساء ثلاثة.

٦. الذيل لابن رجب (٢/٤٦٣).

٧. لفتة الكبد (٣٦).

٨. لفتة الكبد (٣٧).

ويَذكر رحمه الله جماعَ ما تقدَّم بقوله لابنه:"وأنا أجمعُه لك في كلمة واحدة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾البقرة:٢٨٢"[2].

وكان يتخيَّر الفضائل، وإذا تعارض حقَّان، قدَّم الأحقَّ منهما[3].

إظهاره للسُّنَّة وتصديه للبدعة:

ولقد كان شديداً رحمه الله على البدع وأهلها، منافحاً عن السُّنَّة وعن مذهب أحمد رحمه الله.

قال مرَّةً في مواعظه:"أهل البدع يقولون ما في السماءِ أحدٌ،ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾النور:٥٨"[4].

ويذكر رحمه الله كيف أنَّ الله أعانه على هذه المهمَّة، فيقول:"وظهر أقوامٌ يتكلَّمون بالبدع ويتعصَّبون في المذاهبِ، فأعانني اللهُ سبحانه وتعالى عليهم، وكانت كلمتُنا هي العليا"[5].

قال ابن رجب رحمه الله:"وكان الشيخ رحمه الله يُظهرُ في مجالسه مدحَ السُّنَّةِ والإمامِ أحمد وأصحابه، ويَذمُّ من يخالفهم، ويُصرِّحُ بمذاهبِهم في الأصول، لا سيما في مسألة القران"[6].

ولهذا تجده يتكلَّم على الخطيب البغدادي[7]، والسَّمعاني رحمهما الله حيث تكلَّما على بعض الحنابلة[8].

---

١. السير (٣٧٧/٢١). يقول الذهبي رحمه الله معلقاً:"وسنُّ الشيخ نحو الثمانين، فانظر إلى هذه الهمة العالية". وأذكر في عام ١٤١٨هـ ذهبت للدرس عند أحد مشايخنا بالمدينة، وأخبرني بأنَّ الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله يريد أن يقرأ عليه القرآن برواية ورش عن نافع. وكان هذا قبل وفاته رحمه الله بقرابة السنتين. حيث توفي سنة ١٤٢٠هـ رحمه الله.

٢. لفتة الكبد (٣٧).

٣. لفتة الكبد (٣٦).

٤. مرآة الزمان (٤٩٢/٨).

٥. المنتظم (١٤١/١٨).

٦. الذيل (٤٦٦/٢).

٧. عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي. العلامة، البارع، المتفنن، صاحب التصانيف البديعة، منها الفَرق بين الفِرق. توفي سنة ٤٢٩هـ. السير (٥٧٢/١٧)، والأعلام (٤٨/٤).

٨. المنتظم (١٢٩/١٦) ، (١٠٣/١٨).

ومن الأسباب التي جعلته يقفُ هذا الموقف من أهل البدع بعد إعانة الله له، قربه من الخليفة، فقد كتب صاحبُ المخزنِ إلى الخليفة بتقويةِ يدِ ابن الجوزي رحمه الله على أهل البدع، فأخبر ابنُ الجوزي الناسَ على المنبر بذلك[1].

ومن الأسباب كذلك، مصاهرته للوزير ابن هبيرة رحمه الله، وذلك بزواج ولده علي من ابنة الوزير ابن هبيرة رحمه الله[2].

وما محنته رحمه الله التي أصيب بها، إلا بسبب تصدِّيه لحفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله، فقد كان رديءَ المعتقد متفلسفاً[3]، فأمر ابنُ الجوزي رحمه الله وبعض علماء بغداد بإحراق كتبه.

سرعة البديهة:

من أكثر ما تميز به الإمام ابن الجوزي رحمه الله، سرعة البديهة وهي الإجابة السريعة مع الدقة في الجواب وحسنها ولطافتها.

وأكثر من ترجم له من العلماء، يذكرون نماذج من هذه الطرف والأقوال.

فمن ذلك أنَّ السُنَّة والشيعة، كان بينهما نزاع في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، فسئل أيُّهما أفضل؟ فقال: أفضلُهما من كانت ابنته تحته. ونزل في الحال حتى لا يراجع[4].

قال الذهبي رحمه الله معلِّقا:"ورمى بالكلمة في أودية الاحتمال، ورضي كلٌّ من الشيعة والسُنَّة بهذا الجواب المدهش"[5].

وقال ابن خلكان رحمه الله:"وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام، وإمعان النَّظر، كان في غاية الحسن فضلا عن البديهة"[6].

---

١. الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٧٦).

٢. المنتظم (١٨/٢١٩).

٣. السير للذهبي (٢١/٣٧٧).

٤. يُنظر: وفيات الأعيان (٣/١٤١-١٤٢)، وتاريخ الإسلام (١١٠٥)، والسير (٢١/٣٧١).

٥ تاريخ الإسلام (١١٠٥).

٦. وفيات الأعيان (٣/١٤٢).

وسأله رجل فقال: يا سيدي: نريد كلمة ننقلها عنك، أيما أفضل أبوبكر أو علي رضي الله عنهما ؟ فقال: اجلس، فجلس، ثمَّ قام، فأعاد مقالته، فأقعده، ثمَّ قام، فقال: اقعد، فأنت أفضل من كلِّ أحد[1].

وسأله آخر أيما أفضل: أُسبِّح أو استغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور[2].

قال حفيده:"وقد ذكر في كتابه المسمَّى بفتوح الفتوح إلى طرف من هذه الطرف"[3].

أسرته:

١. **والده:** هو علي بن محمد بن علي ابن الجوزي، توفي سنة (٥١٤هـ).

قال د.عبد الرحمن العثيمين:"فوالده من أهل العلم"[4]وذكره في استدراكه على الذيل في الحاشية[5]، وقال:"ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان"، وقد بحثت عنه في وفيات الأعيان فلم أجده، وذكر ابن الجوزي رحمه الله في لفتة الكبد في وصيته لابنه، يذكر فيها حال أجداده:"فما كان من المتأخرين من رزق همة في طلب العلم غيري"[6].

ولعلَّ والده كانت له مشاركة في العلم وإن كان لم يشتهر بطلبه للعلم والله أعلم.

ودفن بمقبرة باب حرب، بالقرب من الإمام أحمد بن حنبل[7].

٢. **والدته:** لم أجد من تكلم عنها، سوى ما ذكر أنها تزوجت بأبي الفائز عبدالله بن أحمد بن الطوير المتوفي سنة ٦٠٠هـ[8].

٣. **عمَّته:** اشتهرت بصلاحها[1] وتقواها، وهي التي أخذت الإمام ابن الجوزي رحمهما الله تعالى إلى شيخه أبي الفضل ابن ناصر وهو صغير[2]، فكان لها الفضل على هذا الإمام بعد فضل الله، فرحمة الله عليها.

---

١. تذكرة الحفاظ (١٣٤٥/٤)، السير (٣٧١/٢١). و مراده من الفضول في الكلام، لا من الأفضلية.

٢. مختصر طبقات الحنابلة (٤٦).

٣. مرآة الزمان (٤٩٩/٨).

٤. حاشية الذيل (٤٥٩/٢). نقل ذلك عن وفيات الأعيان، وبحثت عنه فلم أجده.

٥. (٣٧٠/١).

٦. لفتة الكبد (٧٨).

٧. البداية والنهاية (٧١٠/١٦).

٨. حاشية ذيل طبقات الحنابلة (٤٦١/٢).

٤. **خاله**: الحافظ أبوالفضل ابن ناصر البغدادي.ذكره صاحب شذرات الذهب، ولم يذكره أحد من أصحاب التراجم، والصواب أنَّه ليس بخاله والله أعلم؛ لأنَّ الإمام ابن الجوزي رحمه الله كان ملازما له، وهو مما يَستدعي أن يَذْكره كما ذكر اهتمام عمته به، أو أن يشير إليه أحد من أصحاب التراجم، فهذا مما تفرد به ابن العماد والله أعلم. ولكن لا بدَّ أنَّ يكون بينهما قرابةٌ أو جيرةٌ طويلةٌ؛ وذلك لأنَّ ابن ناصر رحمه الله، هو الذي سمَّى ابن الجوزي وإخوته، كما سيأتي إن شاء الله.

٥. **إخوته**: كان له أربعة من الإخوة الذكور، وأخت واحدة،أمَّا الذكور فعبدالله، وعبدالرزاق، وعمر، فأمَّا عبدالله وعبدالرزاق، فقال ابن الجوزي رحمه الله:"سمَّاني وأخويَّ شيخنا ابن ناصر: عبدالله، وعبدالرحمن، وعبدالرزاق"[٣].

ولم أجد من ترجم لهم سوى ما ذكره د.العثيمين، أنَّ عبدالرزاق توفي سنة٥٨٥هـ[٤].

وأمَّا عمر، فقد ذكره الذهبي في السير حكاية عن ابن الدَّبَيْثيّ في تاريخه حين سأله عن مولد ابن الجوزي رحمه الله، فقال:"وسألت –أي ابن الدَّبَيْثيّ– أخاه عمرا، فقال: في سنة ثمان وخمس مئة تقريباً"[٥].

٦. **أبناؤه**:قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في رسالته لابنه"وسألت ربي أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقنيهم، فكانوا خمسة ذكور وخمس إناث، فمات من الإناث اثنين ومن الذكور أربعة، فلم يبق من الذكور سوى ولدي أبي القاسم"[٦].

والذي ذكرته كتب التراجم فيما اطلعت عليه، ثلاثة وهم:

أولاً: عبدالعزيز، ويكنى بأبي بكر، وهو أول أولاده[٧].

---

١. مرآة الزمان (٤٨١/٨).

٢. مصدر سابق.

٣. الذيل (٤٦٢/٢-٤٦٣).

٤. حاشية الذيل (٤٥٩/٢). نقل ذلك عن وفيات الأعيان، وبحثت عنه فلم أجده.

٥. السير (٣٧٣/٢١).

٦. لفتة الكبد (٢٥-٢٦).

٧. مرآة الزمان (٥٠٢/٨).

قال سبطه:"تفقه على مذهب أحمد، وسمع أباالوقت وغيره، وابن ناصر، والأُرْمَوِيَّ وجماعةً من مشايخ والده، وسافر إلى الموصل، ووعظ وحصل له القبول التام، فيقال:إنَّ بني الشَّهْرَزُوْرِيِّ حسدوه فدسوا إليه من سقاه السم فمات بالموصل سنة أربع وخمسين في حياة والده"[1].

ثانياً: علي، ويكنى بأبي القاسم، وهو المقصود بوصية والده في رسالته (لفتة الكبد).

وذكره ابن الجوزي رحمه الله في تاريخه المنتظم في أحداث سنة ٥٧١هـ، بقوله"وتزوج حينئذ ولدي أبوالقاسم بابنة الوزير يحيى ابن هبيرة"[2].

سمع من أبي الفتح ابن البطي، وأبي زرعة[3] وجماعة. قال ابن كثير رحمه الله:"سمع الكثير"[4]. توفي سنة ٦٣٠هـ[5].

ثالثاً: يوسف[6]، ويكنَّى بأبي محمد، ولقبه محيي الدين، ولد سنة ٥٨٠هـ، المقتول سنة ٦٥٦هـ.

سمع الحديث الكثير وتفقه وناظر ونشأ على الطريقة الرشيدة والأخلاق الحميدة، ولي حسبة بغداد وترسل عن الخلفاء إلى الملوك، وولي أستاذ دارية الإمام المعتصم بالله[7].

٧. بناته:

١. ستّ العلماء، زوجة أبي العباس أحمد بن محمد بن المبارك بن أحمد بن بكروس الدينوري البغدادي المعروف بابن الحمَّامي الفقيه ت: ٥٧٣هـ[8]، قال ابن رجب رحمه الله في

---

١. مرآة الزمان (٥٠٢/٨).يُنظر: ذيل طبقات الحنابلة (٥١٢/٢-٥١٣).

٢. المنتظم (٢١٩/١٨).

٣. أبو زرعة الرازي عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ. الإمام، سيد الحفاظ. يقول الإمام أحمد رحمه الله:"ما جاوز الجسر أحد أحفظ من أبي زرعة". توفي سنة ٢٦٤هـ. سير أعلام النبلاء (٦٥/١٣)، والأعلام (١٩٤/٤).

٤. البداية (٢٠٢/١٧).

٥. مرآة الزمان (٥٠٢/٨).

٦. يعتبر الإمام محي الدين يوسف، الابن السادس لابن الجوزي والله أعلم؛ لأنَّ وصيته لابنه أبي القاسم ذكر أنَّهم خمسة، وذكر أنه لم يبق منهم أحد سوى أبي القاسم، وما عاش بعد وفاته إلا علي و يوسف.

٧. المرآة (٥٠٢/٨-٥٠٣).

٨. ولم يذكره ابن الجوزي رحمه الله في كتابه المنتظم في وفيات هذه السنة.

ترجمته[1]:"وقرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي...وكان متزوجا بابنة ابن الجوزي"[2]، وقال سبط ابن الجوزي:"وزوّجَه جدي ستَّ العلماء أكبرَ بناته"[3].

٢. رابعة، وهي والدة أبي المظفر، قال أبوالمظفر سبط ابن الجوزي:"تزوَّجَها ابن رشيد، وهو أول زواجها، ولم يطلْ عمره معها، ثمَّ زوجَها جدِّي بوالدي بعد موت ابن رشيد. وقد سمعتْ الحديث على ابن البطي، وثابت بن بندار، ومعظمِ مشايخ جدي"[4]. قال ابن الجوزي رحمه الله في أحداث ٥٧٢هـ:"وزُفَّت ابنتي رابعة ليلة الأربعاء ثاني عشر المحرم إلى زوجها[5]، وكان زفافُها في دار الجهة المعظَّمة، في درب الدواب، وأحضرت الجهة، وذلك بعد أن جهزتها الجهةُ بمالٍ كثير"[6].

٣. شرف النساء.

٤. زينب.

٥. جوهرة.

٦. ستّ العلماء الصغرى.

وقد ذكر رحمه الله في أحداث سنة ٥٧٣هـ أنَّ أمير المؤمنين بنى مسجداً كبيراً في السوق، وقدم فيه عبدالوهاب ابن العيبي زوج ابنتي فصلى فيه بعد النصف من شعبان[7]، لكن لم يتبين لي زوج من منهن، وفيه إشارة مع ما تقدم من أنَّ أصهارَه كلَّهم ممن له حظٌّ من العلم، ولهذا يقول أبوالمظفر قال:"وكلُّهنَّ سمعْنَ الحديثَ من جدِّي وغيرِه"[8].

٨. أسباطه[9]:

---

١. وصفه ابن رجب بقوله:" الفقيه، الزاهد، العابد، قرأ بالروايات على جماعة" (٣٠٢/٢).

٢. الذيل لابن رجب (٣٠٥/٢).

٣. حاشية الذيل (٤٦٠/٢).

٤. ذيل الروضتين (٢٧/١).

٥. المراد ابن رشد والد سبط ابن الجوزي.الروضتين (٢٧/١).

٦. المنتظم (٢٢٦/١٨).

٧. المنتظم (٢٣٩/١٨).

٨. مرآة الزمان (٥٠٣/٨).

٩. توسع د. العثيمين في حاشية الذيل (٤٦٠/٢) في ذكر أحفاد ابن الجوزي رحمه الله، ولكن اكتفيت بسبطه أبي المظفر لشهرته.

أبوالمظفر، يوسف بن الأمير حسام الدين قزعلي بن عبدالله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الحنبلي الحنفي، البغدادي الدمشقي، سبط ابن الجوزي، أمه رابعة بنت الإمام ابن الجوزي[١].

كان واعظاً، وقد وعظ صغيراً في حياة جده[٢].

وقد كان مثل جده في وعظه، يقول ابن كثير رحمه الله:"وكان له مجلس كل يوم سبت بكرة النهار...وقد كان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع، ويتركون البساتين في الصيف حتى يسمعوا ميعاده، ثمَّ يسرعون إلى بساتينهم، فيتذاكروا ما قاله من الفوائد والكلام الحسن، على طريقة جده"[٣].

شيوخه:

يقول القاضي ابن جماعة:"ينبغي للطالب أن يقدِّمَ النَّظر، ويستخيرَ اللهَ فيمن يأخذ العلم عنه"[٤]، ويقول ابن سيرين رحمه الله:"هذا العلم دينٌ، فانظروا عمَّن تأخذوا دينكم".

ومن هؤلاء العلماء الإمام ابن الجوزي رحمه الله، يقول عن نفسه رحمه الله:"فلما فهمتُ الطَّلبَ، كنتُ أُلَازمُ من الشيوخ أعلمَهم، وأُوثرُ من أرباب النَّقل أفهمَهم، فكانت همَّتي تجويدَ العدد، لا تكثيرَ العدد"[٥].

وقد قرأ على مجموعةٍ كبيرةٍ من أهل العلم، ذكر في مشيخته تسعاً وثمانين شخصاً، وما لم يذكرهم كلهم[٦]، وسنذكرُ بعضَ مشايخه، ممن له الأثر في حياته رحمه الله.

١.أبوالفضل محمد بن ناصر بن محمد السَّلامي البغدادي.

ولد سنة ٤٦٧هـ. وصفه الذهبي رحمه الله بقوله:"الإمام المحدِّث الحافظ، مفيد العراق"[٧].

---

١. البداية والنهاية (٣٤٣/١٧).

٢. يُنظر: مرآة الزمان (٤٦٨/٨).

٣. (٣٤٣/١٧).

٤. تذكرة السامع لابن جماعة (١٣٣).

٥. الذيل لابن رجب (٤٦٣/٢).

٦. الذيل لابن رجب (٤٦٣/٢).

٧. السير (٢٦٥/٢٠).

قال عنه ابن الجوزي رحمه الله:"وكان حافظاً ضابطاً متقناً ثقةً لا مغمزَ فيه، وهو الذي تولَّى تسميعي الحديث... وكان يُثبِتُ لي ما أسمع"[١].

قال أبوطاهر السِّلفي رحمه الله:"سمع ابنُ ناصر معنا كثيراً، وهو شافعيٌّ أشعريٌّ، ثمَّ انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع، ومات عليه"[٢]. وله في تنقله من مذهب الشافعية إلى الحنابلة قصة ذكرها الذهبي رحمه الله في السِّير[٣]. توفي: رحمه الله سنة ٥٥٠هـ.

٢. أبوالبركات عبدالوهاب بن المبارك البغدادي الأنماطي.

ولد سنة ٤٦٢هـ. وكان من العلماء العزاب رحمه الله.

قال عنه الذهبي رحمه الله:"الشيخ الإمام، الحافظ المفيد، الثقة المسند، بقية السلف"[٤].

ويقول عنه ابن الجوزي رحمه الله:"كنتُ أقرأُ عليه وهو يبكي، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وانتفعتُ به ما لم أنتفع بغيره، ودخلتُ عليه وقد بَلِيَ وذهبَ لحمُه، فقال لي: إنَّ الله لا يُتَّهمُ في قضائه"[٥]. توفي رحمه الله سنة ٥٣٨هـ.

٣. أبومنصور موهوب بن أحمد الجواليقي، إمام الخليفة المقتفي[٦].

ولد سنة ٤٦٦هـ. قرأ على أبي زكريا سبع عشرة سنة، ودرَّس بالنِّظامية[٧] مدَّةً، ثمَّ اختُصَّ بالمقتفي، متواضعاً في ملبسه، لا يتكلَّمُ إلا بعد التحقيق والفكر الطويل، وكثيراً ما كان يقول: لا أدري، وكان من أهل السنة[٨].

قال ابنُ النَّجار رحمه الله:"هو إمام أهل عصره في اللغة، كتب الكثير بخطه المليح المتقن، مع متانة الدين، وصلاح الطريقة، وكان ثقة حجة نبيلاً"[٩]. توفي رحمه الله سنة: ٥٤٠هـ.

---

١. المنتظم (١٠٣/١٨).

٢. السير (٢٦٩/٢٠).

٣. سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٢٠-٢٧٠).

٤. السير (١٣٤/٢٠).

٥. المنتظم (٣٣/١٨- ٣٤).

٦. السير (٨٩/٢٠).

٧. النظاميَّة: مدرسة ببغداد، بناها الوزير نظام الملك،سنة ٤٥٧هـ. السير (٩٤/١٩).

٨. المنتظم (٤٧/١٨).

٩. السير (٩٠/٢٠).

٤. محمد بن عبد الباقي الأنصاري، يرجع نسبه للصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه، شاعر النبي ﷺ وأحد الثلاثة الذين خلفوا.

يقول عنه الذهبي رحمه الله:"الشيخ، الإمام، العالم، المتفنن، الفرضي، العدل، مسند العصر"[١].

ويقول عنه ابن الجوزي رحمه الله:"وعُمِّر حتى ألحق الصغار بالكبار، وأملى الحديث في جامع القصر[٢] باستملاء شيخنا أبي الفضل بن ناصر، وكان ثقةً، فهماً، حجةً، متفنِّناً في علوم كثيرة، منفرداً في علم الفرائض، وكان قد سافر فوقع في أيدي الروم، فبقيَ في أسرهم سنةً ونصفاً، وقيَّدوه وجعلوا الغلَّ في عنقه، وأرادوه على أن ينطق بكلمة الكفر فلم يفعلْ"[٣]. وتعلم منهم خطَّ الروم.

من أقواله: من خدم المحابر خدمته المنابر.

ومن شعره:

بغداد دار لأهل العلم طيبة******وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللت حيران أمشي في أزقتها******كأنني مصحف في بيت زنديق

ومن شعره كذلك:

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة******سنٍّ ومالٍ ما استطعت ومذهبِ

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة******بمكفر وبحاسد ومكذب[٤]

توفي سنة ٥٣٥هـ .

٥. أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الأصل، الهروي المنشأ.

يقول عنه الذهبي رحمه الله:"الشيخ، الإمام، الزاهد، الخير، الصوفي، شيخ الإسلام، مسند الآفاق، أبو الوقت عبد الأول ابن الشيخ المحدث المعمر أبي عبد الله عيسى"[٥].

---

١. سير أعلام النبلاء (٢٣/٢٠).

٢. جامع يقع في وسط البلد من الجانب الشرقي لبغداد. معجم البلدان (٣١٥/٤).

٣. مشيخة ابن الجوزي (٥٨).

٤. يُنظر: المنتظم: (١٣/١٨-١٥)، ومشيخة ابن الجوزي (٦٨)، والبداية والنهاية (٣٢٩/١٦-٣٣٠).

٥. سير أعلام النبلاء (٣٠٣/٢٠).

خدم شيخ الإسلام أبا إسماعيل الأنصاري ولازمه نيفاً وعشرين سنة، وأخذ الناس عنه صحيح البخاري، ومسند الدارمي، ومنتخب عبد بن حميد[1].

يقول عنه ابن اجوزي رحمه الله:"وكان شيخنا صالحاً على سمت السَّلف، كثير الذِّكر والتَّعبد والتهجّد والبكاء ... وحدثني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال أسندته إلي فمات فكان آخر كلمة قالها: ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ يس: ٢٦ - ٢٧"[2]. توفي سنة ٥٥٣هـ وهو عازم على الحجِّ.

٦. شهدة بنت المحدث أبي نصر أحمد بن الفرج الدينوري، ثمَّ البغدادي، الإبري.

قال عنها الذهبي رحمه الله:"المعمِّرة، الكاتبة، مسندة العراق، فخر النساء"[3].

يقول ابن الجوزي رحمه الله:"وتزوَّجت ببعض وكلاء الخليفة، وعاشت مخالطةً للدار ولأهل العلم، وكان لها برٌّ وخيرٌ. وقُرِئ عليها الحديث سنين، وعُمِّرت حتى قاربتْ المائة"[4].

ويقول الموفق رحمه الله صاحب المغني:"انتهى إليها إسنادُ بغداد، وعُمِّرت حتى ألحقت الصِّغار بالكبار، وكانت تكتب خطًّاً جيِّداً، لكنَّه تغيَّر لكبرها"[5]. توفيت سنة ٥٧٤هـ.

تلامذته:

إنَّ نشر العلم من أعظم القُربات التي يتقرَّب العبدُ بها إلى الله تعالى، بل من سعادة المرء في الدنيا والآخرة، أن يسخِّرَ الله له من ينشرُ علمَه، ويعمُّ نفعه العباد. وهو مما يجري عليه من الخير بعد وفاته.

وإذا أراد الله بالعبد خيراً، سخَّر له طلاباً ينشرون علمه في الآفاق، فيبلِّغونه للنَّاس، فيعملون به، فتجري عليه الحسناتُ وهو رهينُ قبره، ويترحَّم عليه الناس وهو في لحود القبور، وقد قيل: ما الشيخ إلا بطلابه، ولهذا يقول ابن الجوزي رحمه الله لابنه بعد الاهتمام بالعلم، قال:"والتذكير حلواؤها، وأعمُّها نفعاً"[6].

---

١. ينظر: المنتظم (١٨/ ١٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/٣١٠).

٢. المنتظم (١٨/١٢٧).

٣. سير أعلام النبلاء (٢٠/٥٤٢).

٤. المنتظم (١٨/٢٥٤).

٥. سير أعلام النبلاء (٢٠/٥٤٣).

٦. لفتة الكبد (٣١).

وقد فتح الله للشيخ رحمه الله في مواعظه ودروسه، فقد كان يدرِّس في اليوم قرابة أربعة عشر درساً[1]، بخلاف مجالس الوعظ التي كان يحضرها الآلاف، وهذه المجالس يحضُرُها طلبةُ العلم من كل مكان.

ومن أشهر طلابه:

١. ابنه محي الدين يوسف، وستأتي ترجمته إن شاء الله.

٢. حفيده أبوالمظفر يوسف بن الأمير حسام الدين قزعلي، وستأتي ترجمته إن شاء الله.

٣. أبوعبدالله محمد فخر الدين بن الخضر ابن تيمية الحرَّاني[2].

ولد سنة ٥٤٢هـ، قال عنه الذهبي:"الشيخ الإمام العلامة المفتي المفسر الخطيب البارع، عالم حرَّان وخطيبها وواعظها"[3].

قال النَّاصح بن الحنبلي:"انتهت إليه رئاسة حرَّان، وله خطبة الجمعة، وإمامة الجامع، وتدريس المدرسة النورية، وهو واعظ البلد، وله القبول من عوام البلد، والوجاهة عند ملوكها"[4].

ويقول ابن رجب رحمه الله:"لازم أبا الفرج بن الجوزي ببغداد، وسمع منه كثيراً من مصنفاته، وقرأَ عليه كتاب زاد المسير في التفسير، قراءةَ بحثٍ وفَهمٍ"[5].

وهو عمُّ الإمام مجد الدين عبدالسلام ابن تيمية، جد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله. توفي رحمه الله سنة ٦٢٢هـ.

٤. أبوالفرج عبدالرحمن بن عيسى البزوري[6].

ولد سنة ٥٣٩هـ. قرأ الوعظ والفقه والحديث على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وكان خَصِيصَاً به، ثمَّ تهاجرا،وتباينا إلى أن فرَّق الموتُ بينهما[7].رحمة الله عليهما.توفي سنة: ٦٠٤هـ.

---

١. ذيل طبقات الحنابلة (٤٧٢/٢).

٢. يُنظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٨/٢٢-٢٩٠)، ذيل طبقات الحنابلة (٣٢١/٣-٣٣٨).

٣. السير (٢٨٨/٢٢-٢٨٩).

٤. الذيل (٣٢٣/٣).

٥. الذيل لابن رجب (٣٢٣/٣).

٦. يُنظر: البداية والنهاية (٧٦٠/١٦-٧٦١)، ذيل طبقات الحنابلة (٨١/٣-٨٤).

٧. الذيل (٨٢/٣).

٥.عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي[١].

ولد سنة ٥٤١هـ. قال عنه الذهبي رحمه الله:"الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة الأثري المتبع عالم الحفاظ"[٢]. وهو صاحب كتاب عمدة الأحكام، والكمال في علم الرجال.

يقول عن نفسه:"كنت عند ابن الجوزي فقال: وُزَيرة بن محمد الغساني. فقلت: إنَّما هو وَزِيرة. فقال: أنتم أعرف بأهل بلدكم"[٣]. توفي رحمه الله سنة ٦٠٠هـ.

٦.أبومحمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي، صاحب المغني.

ولد سنة:٥٤١هـ.قال عنه الذهبي:"الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام"[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق"[٥].

قال الإمام الذهبي رحمه الله:"أقام هو والحافظ -يعني عبدالغني- ببغداد أربع سنين، فأتقنا الفقه والحديث والخلاف، أقاما عند الشيخ عبدالقادر خمسين ليلة ومات، ثمَّ أقاما عند ابن الجوزي، ثمَّ انتقلا إلى رباط النَّعال، واشتغلا على ابن المني[٦]"[٧]. توفي رحمه الله سنة ٦٢٠هـ.

مدارسه:

يقول ابن الجوزي في تاريخه في أحداث سنة ٥٧٤هـ:"وصار لي خمس مدارس"[٨]، وهذه المدارس هي:

١-٢: مدرسة بـ"المأمونية"ومدرسة بـ"باب الأزج[١]"[٢].

---

١. سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٣-٤٧١)، البداية والنهاية (١٦/٧٣٢).

٢. السير (٢١/٤٤٣-٤٤٤).

٣. السير (٢١/٤٥٠).

٤. السير (٢٢/١٦٥).

٥. الذيل (٣/٢٨٦).

٦. أبو الفتح؛ نصر بن فتيان بن مطر بن المني النهرواني الحنبلي، شيخ الحنابلة. ولد سنة ٥٠١هـ. كان ورعاً، عابداً، حسن السمت، على منهج السلف. توفي سنة ٥٨٣ هـ. سير أعلام النبلاء (٢١/١٣٧)، وذيل طبقات الحنابلة (١/٣٥٨).

٧. السير (٢٢/١٦٨)، يُنظر: الذيل (٣/٢٨٢-٢٨٣).

٨. المنتظم (١٨/٢٤٩).

٣- مدرسته التي بناها رحمه الله بـ"درب دينار[٣]"سنة سبعين وخمسمائة[٤].

٤- مدرسة الجهة[٥] بنفشا، وكُتب عليها"مفوضة إلى ناصر السنة ابن الجوزي"[٦].

٥- مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني[٧].

مؤلفاته:

لقد تكلَّم الناس عن مؤلفات ابن الجوزي رحمه الله، وأُلِّفت فيها كتب ومقالات، وسوف أتكلَّمُ عن مؤلفاته من ناحيتين:

١. ذكر أهم مؤلفاته.

٢. وقفات تتعلَّق بمؤلفاته.

أولاً: أهم مؤلفاته:

سأسرد مؤلفاته في العقيدة، ثمَّ أذكر بقية كتبه مرتبة حسب الحروف الهجائية

مؤلفاته في العقيدة:

١. بشائر التحقيق في محبة أهل التصديق (خ).
٢. بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد(مفقود).
٣. التبصرة في أحوال الموتى والآخرة.
٤. تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر(خ).
٥. تلبيس إبليس.
٦. الدالية في السنَّة (خ).

---

١. محلّة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحالّ كبار في شرقي بغداد، فيها عدّة محالّ كلّ واحدة منها تشبه أن تكون مدينة، ينسب إليها الأزجيّ، والمنسوب إليها من أهل العلم وغيرهم كثير جدّا. معجم البلدان (١/ ١٦٨).

٢. الذيل (٤٦٩/٢).

٣. محلَّة معروفة، تنسب إلى دار دينار بن عبدالله، فسمُّوها درب دينار. وهي تقع في الجانب الشرقي من بغداد. معجم البلدان (٧٢/٥).

٤. المنتظم (٢١١/١٨).

٥. الجهة: كناية عن زوجة الخليفة أو حظيَّته، وعن زوجة السلطان وحظيَّته، وقد يراد بها السيد مطلقاً. نساء الخلفاء (٤٣).

٦. المنتظم (٢٢٠/١٨)، ويُنظر: المنتظم (٢١٤/١٨).

٧. السير (٣٨٣/٢١).

٧. دفع شبه التشبيه.

٨. الردّ على القائلين بجواز المتعة(مفقود).

٩. الرد على المتعصب العنيد المانع من ذمِّ يزيد.

١٠. عجالة المنتظر في شرح حال الخضر(مفقود).

١١. غوامض الإلهيات(مفقود).

١٢. القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال الحلاج(مفقود).

١٣. القرامطة.

١٤. قصيدة في الاعتقاد.

١٥. مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرانيَّة.

١٦. مسلك العقل(مفقود).

١٧. المعاد (مفقود) (مفقود).

١٨. مناقب الأولياء(خ).

١٩. منتقد المعتقد(مفقود).

٢٠. منهاج الوصول إلى علم الأصول.

٢١. منهاج أهل الإصابة في محبة الصحابة والقرابة(مفقود).

مؤلفاته في الفنون العلمية الأخرى:

١. أحكام النساء.

٢. أعمار الأعيان.

٣. الأكياء.

٤. التحقيق في أحاديث الخلاف.

٥. تذكرة الأريب.

٦. تلقيح فهوم أهل الأثر.

٧. تنوير الغبش في فضل السود الحبش.

٨. الثبات عند الممات.

٩. الحدائق في علم الحديث والزهديات.

١٠. الحمقى والمغفلين.

١١. ذم الهوى.

١٢. زاد المسير في علم التفسير.

١٣. صفة الصفوة.

١٤. صيد الخاطر.

١٥. الطب الروحاني.

١٦. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.

١٧. غريب الحديث.

١٨. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن.

١٩. القصاص والمذكرين.

٢٠. كشف المشكل من أحاديث الصحيحين.

٢١. لفتة الكبد في نصيحة الولد.

٢٢. مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن.

٢٣. المدهش.

٢٤. مشيخة ابن الجوزي.

٢٥. المصباح المضيء في خلافة المستضيء.

٢٦. المصفى بأكفِّ أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ.

٢٧. مناقب الإمام أحمد.

٢٨. مناقب بغداد.

٢٩. مناقب عمر بن الخطاب.

٣٠. مناقب عمر بن عبدالعزيز.

٣١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

٣٢. منهاج القاصدين في مختصر علو الدين.

٣٣. الموضوعات.

٣٤. الوفا في فضائل المصطفى ﷺ.

ثانياً: وقفات تتعلَّق بمؤلفاته:

الوقفة الأولى: كثرة مؤلفاته رحمه الله.

سُئِلَ ابن الجوزي رحمه الله عن عدد مؤلفاته، فقال:"زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفا. منها ما هو عشرون مجلدا ومنها ما هو كراس واحد"[1].

يقول الإمام الذهبي رحمه الله:"وُجِدَ بخطِّه قبل موتِه، أنَّ تواليفَه بلغَتْ مئتين وخمسين[2] تأليفاً".

ولكثرة مؤلفاته أسباب:

١. كثرة محفوظاته وسعتها.

٢. أنَّه بدأ التأليف مبكراً، فقد الَّف وعمره سبع عشرة سنة[3].

٣. سرعته في الكتابة.

٤. عدم تحريره لكتبه رحمة الله عليه، ولهذا قال الموفق عبداللطيف رحمه الله:"وكان كثير الغلط فيما يصنفه، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره. قلتُ –أي الذهبي-: هكذا هو، له أوهامٌ وألوانٌ من ترك المراجعة ... وصنَّف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً، لَمَا لَحِق أن يحرِّره ويتقنه"[4].

الوقفة الثانية: الرسائل والكتب والمقالات التي تكلَّمت عن مؤلفات ابن الجوزي رحمه الله.

أُلِّفتْ كتبٌ عن مؤلفات ابن الجوزي رحمه الله، وكُتِبَتْ مقالات كذلك عنها، فمن ذلك:

١. فهرست لكتب ابن الجوزي رحمه الله، من تأليف ابن الجوزي نفسه، قرأها ابن القطيعي على ابن الجوزي رحمة الله عليهما[5].

٢. كتاب (مؤلفات ابن الجوزي رحمه الله) لمؤلفه: عبدالحميد العَلْوجي.

---

١. ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٨٥).

٢. كذا بالأصل، والصواب (وخمسين) والله أعلم.

٣. ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٦٢).

٤. سير أعلام النبلاء (٢١/٣٧٨).

٥. يُنظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٤٩٥).

٣. مقال بعنوان (المستدرك على مؤلفات ابن الجوزي لعبد الحميد العلوجي) تأليف: محمد باقر علوان[1].

٤. كتاب (معجم مؤلفات الإمام ابن الجوزي المخطوطة بمكتبات المملكة العربية السعودية) لمؤلفه: د. ناصر بن سعود بن عبدالله السلامة.

٥. تحقيق مخطوطة بعنوان: (فهرست كتبه) أي كتب ابن الجوزي رحمه الله، بتحقيق: ناجية عبدالله إبراهيم[2].

الوقفة الثالثة: أُخِذَ عليه رحمه الله كثرة أغلاطه وأوهامه في مصنفاته[3].

يقول الذهبي رحمه الله:"هكذا هو له أوهام وألوان من ترك المراجعة، وأخذ العلم من صحف، وصنف شيئا لو عاش عمراً ثانياً، لما لحق أن يحرره"[4].

ثمَّ ذكر بعد ذلك نقد الحافظ سيف الدين ابن المجد رحمه الله لمشيخة ابن الجوزي في تسع مواضع ثمَّ قال:"هذه عيوب وحشة في جزءين"[5].

وذكروا في ذلك عدَّة أسباب منها:

١) كثرة تصانيفه.

٢) إذا ألَّف الكتاب لا يعتبرُه ولا يحرِّرُه، بل يشتغل بغيره.

٣) يصنف في الوقت الواحد أكثر من مصنف.

٤) يؤلف في بعض العلوم وهو غير متقن لها من جهة الشيوخ والبحث.

هذا الذي وجدته في مآخذ العلماء عليه من حيث التصنيف، وأسباب الخطأ فيه.

مناقشة ما تقدم:

- بالنسبة لكثرة الغلط بسبب كثرة التصنيف، فهذا من الأمور المسلَّمة، وهذا ما أشار إليه الحافظ ابن رجب رحمه الله:"وعذره في هذا واضح، وهو أنَّه كان مكثراً من التصانيف"[1].

---

١. مقال من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً) ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ج٢، مج٤٧، من صفحة (٣٠٤) إلى (٣٢٤).

٢. مقال من مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٠م ، ج٢، مج٣١، من صفحة (١٩٣) إلى (٢٢٠).

٣. السير (٣٧٨/٢١)، ذيل طبقات الحنابلة (٤٨٧/٢).

٤. السير (٣٧٨/٢١).

٥. السير (٣٨٢/٢١).

ويلاحظ هنا إلى أمرين:

الأول: أنَّ جزءً من كتبه ليس بالقليل في الوعظ، وهو لا يحتاج إلى كثير تحرير كما هو معلوم، خاصة من رجل فتح الله له في الوعظ ما لم يفتحْ لغيره.

الثاني: أنَّ بعض كتبه هي اختصاراتٌ لبعض الكتب، واختصار الكتب كاسمه اختصار لا يحتاج إلى تحرير، وإنَّما يكون كالملخَّص للكتاب، وحذف المكرر ونحوه، ومن خلال قراءتي لكتابه منهاج القاصدين في اختصار إحياء علوم الدين، تبيَّن لي أنَّ في مختصره تعديلات طفيفة جداً على النَّص الأصلي، وبالمقارنة بينهما في أكثر من موضع، تجد التطابق النَّصي، ولهذا لم أُعوِّل على هذا الكتاب في البحث إلا نادراً.

- وما ذكر من أنَّه إذا ألَّف كتابا، لا يحرره ولا يعتبره[2]، فهذا صحيح، ولقد وقفتُ على نصٍّ في كتابه المنظوم والمنثور، يتضح أنَّ ابن الجوزي رحمه الله لا يراجع كتبه، وذلك أنَّه أخطأ في موضع، واسترسل في الكتابة، ثمَّ رجع فاستدركه ولم يحذف ما تقدَّم من خطأ. ولكن هذا الأمر ليس على إطلاقه، ولا في كل كتبه، وذلك لأمرين:

الأول: أنَّه كان يعرض بعض كتبه على بعض أهل العلم، كما ورد في عرضه وقراءته لكتابه (تلقيح فهوم أهل الأثر) على شيخه الحافظ ابن ناصر رحمه الله، وثناء الحافظ على كتابه[3].

الثاني: أنَّ بعض طلابه كانوا يقرؤون عليه بعض كتبه، قراءةَ بحثٍ ومراجعةٍ، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله:"وسمع الحديث وغيره من تصانيفه منه خلق لا يحصون كثرة من الأئمة والحفاظ والفقهاء وغيرهم"[4]. فمن ذلك أبوعبدالله ابن تيمية، خطيب حران، فقد"ذكر في أول تفسيره، أنَّه قرأ عليه كتاب زاد المسير في التفسير، قراءةَ بحثٍ ومراجعة"[5].

---

١. الذيل (٤٨٧/٢).

٢. يُنظر: الكلام على مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وآخر مطلب الحكمة والتعليل من مبحث الإيمان بالقدر.

٣. ذيل طبقات الحنابلة (٤٨٨/٢).

٤. الذيل (٥٠٣/٢).

٥. الذيل لابن رجب (٥٠٣/٢).

وممَّن قرأ عليه شيئاً من مؤلفاته، أبوالفرج عبدالرحمن بن عيسى البزوري[1]، كذلك قرأ القطيعي عليه كتابه، الردّ على المتعصب العنيد المانع من ذمِّ يزيد[2].

● وأمَّا كونه يؤلِّف أكثر من مصنَّف في الوقت الواحد، فالمسألة تختلف من شخص إلى آخر، فبعضهم يستطيع التصنيف في أكثر من فنٍّ في وقت واحد، وبعضهم لا يطيقه.

وقد رجَّح الشيخ محمد رشاد سالم رحمه الله في مقدمة تحقيقه كتاب الصفدية لشيخ الإسلام رحمة الله عليهما من أنَّ ابن تيمية شُغِل بتأليف الكتابين —أي الصفدية ودرء التعارض— في وقتٍ واحدٍ[3]. بل ذكر أنَّه كان يؤلِّفُ ثلاثة كتب من أعظم كتبه في وقت واحد، وهما الكتابان السابقان مع الرَّد على المنطقيين[4]. وكما هو معلوم، فهذه الكتب كتب فلسفية معقَّدة، ليست في وعظ أو تأريخ، بل مادتُها العلميَّة من أصعب المواد، خاصة أنَّ فيها حكاية أقوال الناس في مذاهبه وأديانهم، بخلاف الكتب التي ألَّفها ابن الجوزي رحمه الله، فغالباً أنَّها كتب وعظية، أو ملخصات. وإذا فتح الله لعبده قد يفعل أكثر من ذلك.

● وأمَّا كونه يؤلِّفُ في بعض العلوم وهو غير متقنٍ لها من جهة الشيوخ والبحث، فكثير من العلماء ألَّفوا في بعض الفنون، من غير أن يتتلمذوا على العلماء.

ومن ذلك شيخ الإسلام تكلَّم في الفلسفة وكتب فيها، وردَّ على أربابها، ولم يتعلمها من أحد.

وكذلك الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، ألَّف ألفيةً في المنطق، وألف فيها رسالة، ومع ذلك لم يكن له شيخ فيه، بل من اطلاعه على كتب المنطق.

وكذلك الشيخ الألباني رحمه الله، كان علمه في الحديث من الكتب، ومع ذلك كان محدث العصر رحمة الله عليه.

وفي نهاية هذا المبحث أحب أن أنوّه، أنه من خلال قراءتي لنقد العلماء له في التأليف، أنَّ النقد في المسائل الحديثية أكثر منه في غيره.

الوقفة الرابعة: وقفات مع بعض كتبه.

---

١. المختصر المحتاج إليه (٢٠٨/٢).

٢. الذيل لابن رجب (٣٤٩/٢).

٣. مقدمة الصفدية (١٠/١).

٤. مقدمة الصفدية (١٢/٢-١٣).

الكتاب الأول: دفع شبه التشبيه.

الكتاب طبع أربع طبعات:

الطبعة الأولى: طبع الكتاب بالمكتبة التوفيقية بالقاهرة سنة ١٩٧٧م، وهذه النسخة كما يذكر السقاف، أنَّ فيها تحريف وسقط، معلِّلاً أنَّ الكوثري لم يشرف على طباعتها.

الطبعة الثانية: طُبعت بدار الجنان، بيروت سنة ١٤٠٧هـ، بتحقيق: محمد منير الإمام، وقد سمَّاه باسم (الباز الأشهب في المنقض على مخالفي المذهب) ويذكر السقاف عنها، أنَّه لا يجوز الاعتماد عليها.

الطبعة الثالثة: نسخة حسن السقاف، وهي المشهورة، والمتداولة، ولم يذكر أنَّه اعتمد على نسخ خطيَّة، وإنَّما قال:"وقد حاولنا أقصى الممكن في ضبط متن الكتاب (دفع شبه التشبيه)، وشكل ما يحتاج للحركات"[١].

الطبعة الرابعة: وهي بتحقيق أحد المستشرقين، وهو الدكتور مرلين سوارتز، وقد طبع باسم (أخبار الصفات)، وقد اعتمد على نسخة خطيَّة وحيدة، وكأنَّ المحقق اعتمد أيضاً على نسخة الكوثري والله أعلم؛ لأنَّه أثناء التحقيق، يشير إلى الأصل، أي المخطوط، ويشير إلى كتاب دفع التشبيه، وفي ظني أنَّ أول نسخة طبعت للكتاب، هي نسخة الكوثري.

والكتاب ردَّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٦٥/٤).

أخطاء السقاف في نسخته

إنَّ المتأمِّل لنسخة السقاف، يجدُه لم يعملْ شيئاً في تحقيقه الذي صدَّر به صفحة الغلاف، فهو يضعُ صورتين لنسختين خطِّيتين، ولم يشر إلى مصدرها، ومن أين هي؟ وهاتان المخطوطتان:

١)الصورة الأولى للمخطوطة، أخذها من طبعة المستشرق مرلين سوارتز.

٢)والصورة الثانية للمخطوط، أخذها في ظني من نسخة محمد منير الإمام؛ لأنَّ النسخة الخطية بعنوان (الباز الأشهب في المنقض على مخالفي المذهب) وبهذا الاسم طبعة نسخة الإمام.

---

١. مقدمة دفع شبه التشبيه (٨٤).

إضافةً إلى ذلك، فإنَّ السقاف لم يذكرْ أيَّ فروقٍ بين النسخ، وإنَّما ملأً الكتاب بتعليقاته وتخريجاته، بخلاف طبعة سوارتز، التي ترى المقارنة بين نسخته الوحيدة، مع نسخة دفع شبه التشبيه المطبوعة، مع بقية كتب ابن الجوزي رحمه الله الأخرى، كتلبيس إبليس، وصيد الخاطر، والمنتظم، والموضوعات، بل ورجوعه لتحقيق النَّص لكتب أخرى، ككتاب تاريخ بغداد للخطيب، والواضح لابن عقيل، مما يدل على الجهد الذي بذله في تحقيقه لهذا الكتاب.

أضف إلى ذلك أنَّ في نسخة الكوثري والسقاف سقط من البداية، ولا أعني بالسقط جملةً أو جملتين، بل ما يقارب من ست عشرة صفحة ونصف، ولهذا تجد سوارتز لم يشر في حاشيته أثناء ذكر الفروق بين نسخته المخطوطة وبين النسخة المطبوعة إلا من الصفحة السابعة عشرة. وممَّا يدلُّ على أنَّ هناك سقط في نسخة الكوثري والسقاف، أنَّه لا توجد مقدمة للكتاب كما هو الحال في جميع مؤلفات ابن الجوزي رحمه الله، بل بداية الكتاب هي:"اعلمْ وفَّقني اللهُ تعالى وإيَّاك أنِّي لما تتبعتُ..."[1] ممَّا يدلُّ على أنَّ في بداية الكتاب سقطٌ، لم يتداركْه السقاف ولا الكوثري، ولم يشيرا إليه.

وكذلك بالعكس، فإنَّ الموجود في بداية نسخة السقاف، ما يقارب من ثلاث صفحات[2]، ليست موجودة في نسخة الدكتور مرلين سوارتز، ولا أدري هل هو سقط من نسخة الدكتور مرلين، أم زيادة من النُّساخ؟.

وهذا إن دلَّ، فهو يدل على أنَّ كتاب دفع شبه التشبيه، لم يحظَ بتحقيق معتبر، لا في نسخة الكوثري، ولا في نسخة السقاف من باب أولى.

ومما ينبَّهُ كذلك على الكتاب، أنَّه من كتبه المتقدِّمة، فقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله في كتابه دفع شبه التشبيه تأويل صفة اليد بالنِّعمة، فقال رحمه الله:"وقوله:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾المائدة:٦٤ أي: نعمته وقدرته"[3]، وقد ردَّ التأويل في كتابه زاد المسير[4]، وكذلك

---

١. دفع شبه التشبيه (٩٥) من نسخة السقاف.

٢. وهي من (٩٥) إلى (٩٧) من نسخة السقاف.

٣. أخبار الصفات (٢٧).

٤. ينظر: زاد المسير (٣٩٣/٢).

في كتابه صيد الخاطر، حيث قال:"ولا يحتاج إلى تأويل...ولا إلى تأويل من قال: يداه: نعمتاه"[1]، فردَّ تأويل اليد بالنِّعمة في كتابه التفسير وصيد الخاطر، وهي من كتبه المتأخرة، وهذا يدلُّ أنَّ كتاب دفع شبه التشبيه مِن أوَّل ما ألَّف؛ لأنَّ كتاب زاد المسير من الكتب المحرَّرة، ومما قرئت عليه مؤخراً، وصيد الخاطر كذلك من كتبه المتأخِّرة، فقد ألَّفه بعد كتاب المنتظم في التاريخ[2]، وقد أرَّخ في المنتظم إلى سنة ٥٧٤هـ، أي قبل وفاته باثنين وعشرين سنة، وكذلك ألَّفه –أعني صيد الخاطر– بعد كتاب تلبيس إبليس[3]، ولهذا فلا يُعوَّل على ما كتبه في دفع شبه التشبيه فقط، ولا يُقتصر عليه، دون الرجوع إلى سائر كتبه رحمه الله والله أعلم.

وكذلك الحال في مسألة الاستواء، حيث ذكر في كتابه دفع شبه التشبيه أنَّ من معان الإستواء الإستيلاء[4]، ونفاه في كتابه زاد المسير[5]، وكتاب زاد المسير كما هو معلوم من الكتب المتأخرة، فهذا ممَّا يدلُّ على أنَّ كتاب دفع شبه التشبيه من الكتب التي ألَّفها في بداية حياته رحمه الله.

الكتاب الثاني: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير.

طبع الكتاب بمصر، بالمطبعة النموذجيَّة، وهي مأخوذة عن الطبعة الهندية.

وقد ورد في الكتاب صفحة (٢) قوله:"وقال ابنُ كثيرٍ: خلق الله ألف أمة فأسكن ستمائَة البحرَ وأربعمائة البرَّ"، ومعلوم أنَّ الحافظ ابن كثير رحمه الله توفي بعد ابن الجوزي رحمه الله. وقد تكرَّر هذا في موضع آخر[6]. وهذا يدل إمَّا على رداءة النسخة، أو زيادة من النساخ، أو عدم الاهتمام بقضية التحقيق للكتاب بالشكل الصحيح، والله أعلم.

الكتاب الثالث: كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام ومعه بيان مذاهب الفرق الضالة.

وهذا الكتاب منسوبٌ لابن الجوزي رحمه الله، وذلك لأمور:

---

١. صيد الخاطر (١١٨).

٢. يُنظر: صيد الخاطر (٤٢٠) وَ (٤٦٧).

٣. يُنظر: صيد الخاطر (٤٢٦).

٤. أخبار الصفات (٣٢).

٥. زارد المسير (٢١٢/٣-٢١٣)

٦. يُنظر صفحة: (٣٦).

١) لم يذكره العلوجي في كتابه مؤلفات ابن الجوزي، والعنوان يوحي بأنَّه كتابان، ولكن الموجود كتاب واحد وليس بينهما فاصل، يميز الكتابين بعضهما عن بعض.

٢)أنّه حينما تكلَّم عن الفلاسفة، تعرَّض للحديث عن ابن سبعين[١]، وابن سبعين ولد سنة ٦١٤هـ[٢]، أي بعد وفاة ابن الجوزي رحمه الله بسبع عشرة سنة تقريباً.

٣)أثناء الكلام عن الفلاسفة ومناهجهم وأقوالهم، تجدها مختلفة عن حديثه في تلبيس إبليس.

٤) له كلام عن أبي عبدالله الرازي، محمد بن عمر رحمه الله[٣]، وإن كان عُمْره أثناء وفاة ابن الجوزي رحمه الله، أربع وخمسين سنة[٤]، إلا أنَّ ابن الجوزي رحمه الله لم يتعرَّضْ لشيءٍ من كتبه، هذا إذا افترضنا أنَّ هذا التأليف في آخر حياة ابن الجوزي رحمه الله.

٥) نقله عن السيد الشريف من شرحه على المواقف[٥]، والسيد الشريف رحمه الله وُلِد عام ٧٤٠هـ[٦].

مواعظه

لقد برز ابن الجوزي رحمه الله في أغلب فنون العلم، ومن أبرز مجالاته العلمية التي اتصف بها بل واشتهر بها الوعظ، ولهذا كل من ترجم له يصفه بالواعظ، حتى هو رحمه الله يميل إليه، فقد قال في وصيته لابنه بعد ما ذكر ما ينبغي أن يشتغل به من العلوم والفنون، قال:"والتذكير حلواؤها وأعمّها نفعا"[٧].

فلهذا رأيتُ أن أفرد مبحثاً يتكلَّم عن مواعظه رحمه الله تعالى.

---

١. يُنظر: كيد الشيطان لنفسه (٨٣). وابن سبعين هو: أبو محمد قطب الدِّين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر العتكي الغافقي الأشبيلي المرسي الصوفي. من زهاد الفلاسفة والقائلين بوحدة الوجود. توفي سنة ٦٦٩هـ. العبر في خبر من غبر (٣/٣٢٠)، لسان الميزان (٣/٣٩٢)، الأعلام (٣/٢٨٠).

٢. ينظر ترجمته: البداية والنهاية (١٧/٤٩٧).

٣. يُنظر: كيد الشيطان لنفسه (٨٥).

٤. وذلك أن ولادته كانت سنة ٥٤٣هـ تقريباً. يُنظر ترجمته: طبقات الشافعية (٨/٨١-٨٢).

٥. يُنظر: كيد الشيطان لنفسه (١٦٣).

٦. يُنظر في ترجمته: الضوء اللامع (٥/٣٢٨-٣٣٠).

٧. لفتة الكبد (٣١).

أولاً: أوَّل ما قرأ الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى الوعظ كان على الشريف أبي القاسم العلوي[١]، ثمَّ على أبي الحسن الزاغوني[٢] رحمهما الله، وكانت استفادته من الثاني أكثر، وإنما الأول كانت منه البداية فقط، حيث لقنه كلمات من الوعظ في سنة ٥٢٠هـ، ولم تذكر كتب التراجم لقاءه به بعد ذلك، ولا ذكر هو عن نفسه ذلك.

ثانياً: بدأ بالوعظ رحمه الله وهو صغير جداً[٣]، فكانت بداية وعظه في سنة ٥٢٠هـ يقول رحمه الله تعالى:"وفي هذه السنة –أي سنة ٥٢٠هـ– حُمِلتُ إلى أبي القاسم علي بن يعلى العلوي، وأنا صغير السن، فلقَّنني كلماتٍ من الوعظ، فألبسني قميصاً من الفوط، ثمَّ جلس لوداع أهل بغداد عند السور، مستندا إلى الرباط الذي في آخر الحلبة، ورقَّاني إلى المنبر، فأوردتُ الكلماتِ، وحزر الجمع يومئذٍ، فكانوا نحو خمسين ألفا"[٤]. فهذه كانت بدايته في الوعظ، واستمرَّ في وعظه إلى أن توفاه الله عزّ وجل[٥]، بل قبل وفاته بخمسة أيام ألقى موعظة رحمه الله كما سيأتي في وفاته إن شاء الله.

ولكن يُنبَّه إلى أنه لم يعظ بعد هذه الموعظة إلا في سنة وفاة شيخه ابن الزاغوني رحمه الله ٥٢٧هـ، حيث لم يذكر في تاريخه من سنة ٥٢١هـ مجلساً له للوعظ حتى سنة ٥٢٧هـ، وهي السنة التي توفي فيها شيخه ابن الزاغوني رحمه الله، حيث أخذ مكانه أبوعلي ابن الرذاني، ولم تُعطَ للإمام ابن الجوزي لصغر سنِّه[٦]، فحضر بين يدي الوزير أنوشروان، وأورد فصلا من الواعظ فأَذِنَ له بالجلوس في جامع المنصور[٧]، يقول رحمه الله:"فتكلَّمت فيه، فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء"[٨]. ثمَّ اتصلتْ مجالسُه وقوي الزحام عليه[٩].

---

١. المنتظم (٢٣٦/١٨).

٢. مرآة الزمان (٤٨٢/٨).

٣. تاريخ الإسلام (١١٠١)، الذيل لابن رجب (٤٦٤/٢).

٤. المنتظم (٢٣٦/١٧).

٥. مختصر طبقات الحنابلة (٤٨).

٦.المنتظم (٢٧٦/١٧).

٧. مصدر سابق. وجامع المنصور: يقع في الجانب الغربي لبغداد، وبُني الجامع عندما بنى المنصور مدينته المدورة، فجعل قصره وجامعه في وسطها. خطط بغداد في معجم البلدان (٢٤).

٨. مصدر سابق.

٩. الذيل (٤٥٦/٢).

ثالثاً: كان يحضر مواعظه الخلفاء والسلاطين والوزراء والعلماء والأعيان[1]، وكان حضور مجالسه على الدوام مابين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألفاً[2].

وقد كان أمير المؤمنين المستضيء بالله، يحب حضور مجالسه، يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى:"بعث إليَّ بعض الأمراء من أقارب أمير المؤمنين فقال: والله ما أحضرُ أنا ولا أمير المؤمنين غيرَ مجلسِك، وإنَّما تلمحنا مجلس غيرك يوماً وبعض يوم آخر"[3].

بل كان الخليفة يحضر متحاملاً على نفسه لمرض حصل عليه، ولولا شدة محبته له لما حضر[4].

وأمَّا حضور الناس لمجلسه فشيءٌ لا يوصف، فقد كان الناس يأخذون مجالسهم لوقت الضحى، ووقت المجلس بعد العصر، وقد كانت الناس تستأجر مواضع لنفسها بالقيراطين والثلاثة[5].

فقد كانت بعض المجالس تصل لمئة ألف وأكثر، حتى إنَّ الإمام الذهبي رحمه الله أنكر بعض ما يقال في ذلك، فقال:"حتى قيل في بعض مجالسه:إن حُزِر الجمع بمئة ألف. ولا ريب هذا ما وقع، ولو وقع، لما قدر أن يسمعهم، ولا المكان يسعهم"[6]. فالإمام الذهبي رحمه الله، ينكر هذا العدد؛ بحجة أنَّه لو وقع لما وسعهم المكان، ولما استطاع إسماعهم[7].

رابعا: إنَّ الله قد فتح على الإمام ابن الجوزي رحمه الله في الوعظ، حتى قال عن نفسه:"ولقد أقدرني على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ"[8].

وقد كانت مجالسه تعلوها الهيبة، قال الإمام الذهبي رحمه الله:"وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة"[1].

---

١. ذيل الروضتين (٢١/١)، السير (٣٧٠/٢١).

٢. الذيل لابن رجب (٤٦٦/٢).

٣. الذيل لابن رجب (٤٧٥/٢).

٤. مصدر سابق.

٥. المنتظم (٢٠٠/١٨).

٦. السير (٣٧٠/٢١).

٧. بل ذكر عن نفسه رحمه الله في أحداث سنة ٥٦٩هـ حين دعاه أهل الحربية، أنَّ عدد الذين حضروا وسعوا الصحراء بين باب البصرة والحربية، وأنَّ عددهم كان قرابة الثلاثمائة ألف.

٨. القصاص والمذكرين: (٣٧٣).

ومن المناسب أن أذكر وصفاً لأحد مجالسه، حتى يتصور القارىء مجالس الإمام ابن الجوزي رحمه الله. يقول الرحالة ابن جبير رحمه الله، وقد حضر مجلساً من مجالس ابن الجوزي رحمه الله سنة ٥٨٠هـ:"ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر، بباب بدر[٢] في ساحة قصور الخليفة، ومناظره مشرفة عليه. وهذا الموضع المذكور هو من حرم نفسه الخليفة، وخص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر، الخليفة ووالدته ومن حضر من الحُرم.

ويفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع،وقد بسط بالحصر وجلوسه بهذا الموضع كل خميس.

فبكَّرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم، فصعد المنبر، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعا لحرمة المكان، وقد تسطر القراء أمامه على كراسي موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ما شاءوا، وأطربوا ما أرادوا. وبدرت العيون بإرسال الدموع. فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الغراء، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات، ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها، وكانت الآية:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ غافر: ٦١، فتمادى على السين، وحسَّن أيَّ تحسين، فكان يومه أعجب من أمسه، ثمَّ أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنَّى عنها بالسِّتر الأشرف، والجناب الأرأف. ثمَّ سلك سبيله في الوعظ،كل ذلك بديهة لارويَّة، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى.

فأرسلتْ وابلَها العيون، وأبدت النفوسُ سِرَّ شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلا، ولا تميز معقولا، ولا تجد للصبر سبيلا.

---

١. السير: (٢١/٣٧٣).

٢. هو باب من أبواب حريم دار الخلافة، وهو الباب الثالث منها. معجم البلدان (٢/٢٥١).

ثمَّ في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق، بديعة الترقيق، تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعها النسبي زهدا. وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام:

أينَ فُؤادِي أذابَه الوجدُ******وأينَ قَلْبِي فَمَا صَحا بَعْدُ

يا سعدُ زِدْنِي جَوَىً بذكرِهِمُ******بالله قل لي فُديتَ يا سعدُ

ولم يزل يرددها والانفعال قد أثر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام، فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دهشا عجلا.

وقد أطار القلوب وجلا، وترك الناس على أحرَّ من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر. فمِنْ معلنٍ بالانتحاب، ومن متعفرٍ في التراب. فيا له من مشهد ما أهول مرآه، وما أسعد من رآه، نفعنا الله ببركته، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته، بمنه وفضله... وما كنا نحسب أنَّ متكلما في الدنيا يُعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ماأعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكمال من يشاء من عباده، لا إله غيره"[1].

خامسا: أثنى العلماء رحمة الله عليهم على مكانته في الوعظ والتذكير وملكته فيها.

يقول الإمام الذهبي رحمه الله:"وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النَّظم الرائق، والنَّثر الفائق، بديهاً ويسهب، ويعجب، ويطرب، ويطنب، لم يأتِ قبله ولا بعده مثله، فهو حاملُ الوعظ القيِّم بفنونه"[2].

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:"تفرَّد بفنِّ الوعظ الذي لم يسبقْ إلى مثله، ولا يلحق شأوه في طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبة كلامه، وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه"[3].

يقول الخليفة المستضيء رحمه الله يخاطب أحد حاشيته فيقول عن ابن الجوزي:"ما كأنَّ هذا الرجل آدمي، لما يقدر عليه من الكلام"[4].

---

١. رحلة ابن جبير (١٩٨-١٩٩).

٢. السير (٣٦٧/٢١).

٣. البداية والنهاية (٧٠٧/١٦).

٤. المنتظم (٢٣٠/١٨).

سادساً: كانت هناك عدة عوامل جعلت للإمام ابن الجوزي رحمه الله الحظوة في الوعظ، والتميز فيه على الأقران، ومن أهم هذه المزايا:

١. صدقه وحسن نيته في الوعظ– ولا نزكّي على الله أحدا– ولكن يظهر هذا من آثار وعظه، وهذا والله أعلم جعل له قبولاً عند الناس بل ظهر تأثيره في الخليفة.

٢. لم يكن تنسيق الألفاظ وترتيبها همَّه فقط – وإن كانت تأتي معه من غير تكلف – أو كانت من غير تأثير ولا إحساس، فإنَّ "كلامه في الوعظ والمعارف ليس بكلام ناقل أجنبي، مجرَّدٌ عن الذوق، بل كلام مشاركٍ فيه"[١].

٣. سعة علمه رحمه الله وذلك في فنون العلم، فقد جمع بين الوعظ والفقه وغيره من العلوم. بخلاف بقية الوعاظ الذين ليس لهم حظ كثير من العلم، فإن هؤلاء قد حذر ابن الجوزي رحمه الله منهم فقال: "آه من واعظ إذا خطب سبقت الباء الطاء"[٢].

٤. سعته في اللغة وفروعها من نحو وصرف وبلاغه وغيرها، وهذه أعطته الملكة في اختيار الألفاظ في مجالسه[٣].

قال ابن جبير رحمه الله: "مالك أزمة الكلام في النظم والنثر"[٤].

ويقول الذهبي رحمه الله: "يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديها"[٥].

٥. سرعة البديهة مما يمكنه من الكلام نظما ونثرا من خاطره[٦]، والرد على الرِّقاع التي تأتيه في آخر المجلس.

قال ابن جبير رحمه الله: "وتطير إليه الرقاع، فيجاوب أسرع من طرفة عين. وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل"[٧].

٦. نصحه للخلفاء، حتى كان يعظ الخليفة صراحة.

---

١. الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٨٦).

٢. مرآة الزمان (٨/٤٩٦).

٣. هناك دراسة علمية بعنوان (دراسة اللغة في كتاب زاد المسيرفي علم التفسير لابن الجوزي) رسالة دكتوراة من جامعة أمِّ القرى، للباحثة ابتسام غباشي، عام ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٤. رحلة ابن جبير (١٩٦).

٥. السير (٢١/٣٦٧).

٦. مرآة الزمان (٨/٤٩١)، تذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٥).

٧. رحلة ابن جبير (١٩٨).

وهذا إنَّ دلَّ فإنما يدل على صدق العالم ونصحه لولي الأمر، من غير محاباة، ولا مجاملة، وفي نفس الوقت من غير تجريح أو تقريع. وأحيانا يستخدم التورية، وذلك بحسب الحال والمكان. وسأتي إن شاء الله نموذجٌ على ذلك.

٧. مما تميَّز به رحمه الله في مواعظه، فعله لبعض الأمور التي لم يسبقْه إليها أحدٌ، من ذلك أنَّه ختم تفسيره للقرآن في سنة ٥٧٠هـ، وسجد شكراً لله وقال: "ما عرفتُ أنَّ واعظاً فسَّر القرآن كلَّه في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن، فالحمدلله المنعم"[١].

٨. كانت قراءة القرآن بالأصوات المرجَّعة والنغمات المطربة[٢].

آثار وعظه:

إنَّ لمواعظه رحمه الله وقع في النفوس، وأثرها على القلوب، وقد تكلَّم العلماء عن ذلك، وذكروا نماذج من ذلك، بل إنَّ ابن الجوزي ذكر شيئاً من ذلك.

يقول رحمه الله: "وإني ما زلتُ أعظ الناس وأحرضهم على التوبة، فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب، أكثر من مائة ألف رجل، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين، أكثر من عشرة آلاف طائلة، وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف"[٣].

وقال سبطه: "وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره، كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي ألف[٤] يهودي ونصراني"[٥].

وقال في تاريخه: "وقد تاب على يدي أكثر من مائة ألف، وقطعت أكثر من[٦] عشرين ألف طائلة، ولم ير واعظ مثل جمعي، فقد حضر مجلسي الخليفة والوزير وصاحب المخزن، وكبار العلماء، والحمد لله على نعمه"[٧].

---

١. المنتظم (٢١٣/١٨).

٢. الذيل (٤٨٢/٢)، الرحلة لابن جبير (١٩٧).

٣. القصاص والمذكرين (٣٧١).

٤. في تاريخ الإسلام والسير وتذكرة الحفاظ عشرون ألف. يقول المحقق للسير ("والظاهر أنَّ لفظة (عشرون) سقطت من المطبعة" يعني من مرآة الزمان، (٣٧٠/٢١)، حاشية (٢). وهي كذلك في الذيل على طبقات الحنابلة (٤٨١/٢)، ومختصر طبقات الحنابلة لابن شطي (٤٤)، وفي كتاب الذيل على الروضتين: "عشرة آلاف"(٢١/١).

٥. مرآة الزمان (٤٨٢/٨).

٦. راجع المطبوع في سنة ٥٧٤هـ، وفي الذيل ذكر أنه عشرة آلاف (٤٧٩/٢).

٧. المنتظم (٢٥٠/١٨)، الذيل (٤٨٠/٢).

بل إنَّ وعظه بان أثره على الخليفة، ففي أحد مواعظه، التفت ابن الجوزي رحمه الله إلى ناحية الخليفة المستضىء فقال: يا أمير المؤمنين، إن تكلَّمتُ خفتُ منك، وإن سكتُ خفتُ عليك، فأنا أُقدِّمُ خوفي عليك على خوفي منك، لمحبتي لدوام أيامك، إنَّ قولَ القائل: اتق الله، خيرٌ من قول القائل: إنَّكم أهل بيت مغفورٌ لكم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إذا بلغني عن عامل ظالم أنَّه ظلم الرعية ولم أغيره، فأنا الظالم، يا أمير المؤمنين: كان يوسف عليه السلام، لا يشبع في زمان القحط لئلا ينسى الجياع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول: قرقر إن شئت أو لا تقرقر، والله لا سمناً ولا سمينا حتى يخصب الناس.

فتصدق الخليفة المستضىء بمال جزيل، وأطلق المحابيس، وكسى خلقا من الفقراء[1].

ومن نوادره، أن الخليفة أراد معاقبة شخص فهرب، فلجأ إلى أخيه، فصادر الخليفة مال الأخ. فشكا لابن الجوزي ما حدث له، فقال إن انقضى المجلس —وكان الخليفة يحضر مجلسه— فقم قدامي، ففعل الرجل، فقال ابن الجوزي:

قِفِي ثمَّ اخبرينا يا سعادُ******بذنب الطَّرفِ لِمَ سُلِبَ الفُؤادُ؟

وأيُّ قضيةٍ حكمتَ إذا مَا******جَنى زيدٌ به عمروٌ يُقادُ؟

يُعادُ حديثُكم فيزيدُ حُسْنَاً******وقد يُسْتَحْسَنُ الشيءُ المُعادُ

فقال الخليفة من وراء الستر: يعاد، يعني المال[2].

أماكن وعظه:

تعددت أماكن وعظه رحمه الله في بغداد وغيرها، فالأماكن التي وعظ بها هي:

١. الحرم المكي، وذلك في أثناء حجّه رحمه الله[3].

٢. عند الرباط الذي في آخر الحلبة، عند سور بغداد[4].

٣. جامع المنصور[5].

٤. عند باب البصرة[1].

---

١. مرآة الزمان (٤٩١/٨-٤٩٢)، البداية والنهاية (٧٠٩/١٦).

٢. مرآة الجنان (٣٧١/٣).

٣. يُنظر: المنتظم (١٢٦/١٨).

٤. المنتظم (٢٣٦/١٧).

٥. المنتظم (٢٧٦/١٧).

٥.نهر معلى[٢].

٦.منزل الوزير ابن هبيرة رحمه الله، وكان المجلس كل جمعة[٣].

٧.باب بدر، وكان بداية مجلسه به سنة ٥٦٨هـ[٤].

٨.الحربية، وكان ذلك بطلب من أهلها[٥].

٩.مجالسه بدرب دينار في مدرسته[٦].

١٠. مجالسه بباب الأزج، على شاطىء دجلة[٧].

١١،١٢، ١٣. جامع القصر، جامع الرصافة[٨]، تربة أم الخليفة[٩].

١٤. دار ظهير الدين صاحب المخزن[١٠].

١٥. بيت النوبة[١١].

١٦. مسجد بالقرب من قبر معروف[١٢].

نقد العلماء له:

انتُقِدَت على الإمام ابن الجوزي رحمه الله أمورٌ وأُخذت عليه:

أولاً: ترفعه في نفسه[١].

---

١. المنتظم (٢٧٧/١٧).

٢. المنتظم (٢٧٧/١٧).

٣. الذيل (٤٦٦/٢).

٤. المنتظم (٢٠٠/١٨).

٥. المنتظم (٢٠٣/١٨).

٦. الذيل (٤٨٢/٢).

٧. الذيل (٤٨٢/٢). راجع رحلة ابن جبير (١٩٦).

٨. المراد جامع رصافة بغداد، وهو تقع في الجانب الشرقي من بغداد، وهو أكبر من جامع المنصور. معجم البلدان (٤٦/٣).

٩. السير (٢١). المراد بالتربة: المقبرة ولها سور وباب، وهي تقع في الجانب الغربي من بغداد، بجوار قبر معروف الكرخي رحمه الله. ذيل طبقات الحنابلة (٤٢١/٢).

١٠. المنتظم (١١٩/١٨).

١١. المنتظم (١٤٠/١٨)، (١٩١/١٨). تقع في الجانب الشرقي من بغداد، على شاطئ دجلة، وهو بيتٌ يقام فيه العزاء للخلفاء وغيرهم من الأعيان، وتقام فيها مراسم التنصيب للقضاة وغيرهم. المنتظم (٣١٣/١٥)، (٣٣٥/١٥)، (٦٤/١٦).

١٢. المنتظم (٢٧٧/١٧)، ولعله ثرايا او نحوه راجع خطط بغداد.

وهذه مسألة مدح الإنسان نفسه، من منعها، احتجَّ بقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ النجم:٣٢، والصحيح أنَّها ليستْ على إطلاقها، لورود النَّص من الكتاب والسُّنَّة بخلاف ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ يوسف:٥٥، وقوله: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ الضحى:١١.

قال الإمام النووي رحمه الله في كتاب الأذكار:"باب مدح الإنسان نفسه وذكر محاسنه قال اللّه تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ النجم:٣٢ اعلم أنَّ ذكرَ محاسن نفسه ضربان: مذموم ومحبوب، فالمذموم: أن يذكره للافتخار وإظهار الارتفاع والتميز على الأقران وشبه ذلك، والمحبوب: أن يكون فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمراً بمعروف أو ناهياً عن منكر أو ناصحاً أو مشيراً بمصلحة أو معلماً أو مؤدباً أو واعظاً أو مذكِّراً أو مصلحاً بين اثنين أو يدفع عن نفسه شراً أو نحو ذلك، فيذكر محاسنه ناوياً بذلك أن يكون هذا أقرب إلى قبول قوله واعتماد ما يذكره، أو أنَّ هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به أو نحو ذلك، وقد جاء في هذا لهذا المعنى ما لا يحصى من النُّصوص"[٢].

والذي يقرأ في كتابه صيد الخاطر، يجد كيف يتنقص من حاله، فمن ذلك قوله رحمه الله وهو يحكي حاله:"ثمَّ عاد فغمسني في التقصير والتفريط، حتى رأيت أقلَّ الناس خيراً مني"[٣].

ويقول مبيِّناً سبب مدحه لنفسه:"وإنَّما أحدث بهذه النِّعم شكراً لا عجباً؛ لأنَّه إنَّما يُعجب من يرى عمله، وأنا إنَّما أرى فضل المنعم وقلَّة شكري"[٤]. ولو نظرنا إلى مكانته عند الخليفة، والعلم الذي وهبه الله إيَّاه، وما فتح الله عليه في الوعظ، وحب الناس له، يكفيه عن كثير من المباهاة والمفاخرة.

فالمنبغي أن يحسن الظن بالعلماء، وأن يحمل كلامهم على أحسن المحامل.

ثانياً: كثرة احتجاجه بالأحاديث الضعيفة. وسيأتي الكلام عنه بمشيئة الله في منهجه.

ثالثاً: في الاعتقاد، وهذا ما سأتناوله في هذه الرسالة بحول الله وقوته.

---

١. البداية والنهاية (٧٠٨/١٦)، الذيل لابن رجب (٤٨٧/٢).

٢. الأذكار (٢١٨-٢١٩).

٣. صيد الخاطر (٢٤٨).

٤. القصاص والمذكرين: (٣٧٣).

رابعاً: مؤلفاته وقد تقدَّم الكلام عنها.

محنته:

في سنة ٥٩٠هـ قَدِم ابنُ القصاب[١] الوزير من العجم، وخلع عليه الخليفة وكان متشيعا، وكان من أولى أعماله أن قبض على الوزير ابن يونس[٢].

واجتمع ابن القصاب مع أصحابه، فقال له الركن عبد السلام حفيد الشيخ عبدالقادر الجيلاني"أين أنت وابن الجوزي ؟ كان من أكابر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جدي وحرق كتبي بمشورته وهو ناصبي من أولاد أبي بكر"[٣].

فكتب ابن القصاب إلى الخليفة، وساعده جماعة من أهل مذهبه، فلبسوا على الخليفة[٤]، فسلمه إلى الركن[٥].

يقول سبطه رحمه الله:"كان جدي يسكن باب الأزج بدار بنفشا، وكان الزمان صيفا وجدي في السرداب، يكتب وأنا صبي صغير، ما أحسسنا إلا بعبد السلام وإذا به قد هجم على جدي السرداب[٦]، وأَسْمَعَه غليظَ الكلام، وختم على كتبه وداره، وسبَّ عياله، وجرى عليهم ما لم يجر على أقل الناس"[٧].

ثمَّ حملوه أوَّل الليل على سفينة، ومعه الركن إلى واسط، وكان ناظرُها شيعياً، فقال الركن:"مكِّنِّي منه حتى أرميه في المطمورة. فقال: يا زنديق، أرمي ابن الجوزي في المطمورة بقولك، هات خطَّ الخليفة، والله لو كان من مذهبي لبذلتُ مالي وروحي في خدمته"[٨].

---

١. أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد ابن القصاب البغدادي مؤيد الدين، وَزَر لناصر الدين العباسي. توفي سنة ٥٩٢هـ. سير أعلام (٣٢٣/٢١)، الأعلام (٢٧٩/٦).

٢. مرآة الزمان (٤٣٨/٨).

٣. مصدر سابق.

٤. قال ابن رجب:"وقيل: إن الشيخ- أي ابن الجوزي- ربما كان يعرض في مجالسه بذم الناصر" الذيل (٥٠٤/٢). ولكن هذا بعيد والله أعلم؛ لأنَّ الإمام ابن الجوزي رحمه الله كان معروفا بالمداراة مع الناس، فكيف بالخليفة، ولأنَّ ابن الجوزي أكبر من أن يُعرِّض بالخليفة أو يحرض الناس على ذلك.

٥. مرآة الزمان (٤٣٨/٨)، بتصرف.

٦. هكذا في الأصل.ولعل الصواب: في السرداب.

٧. مصدر سابق. ومن هذه العبارة تلحظ مقدار المعاناة التي لحقت بعائلة ابن الجوزي رحمه الله.

٨. مصدر سابق، و من هنا تتبين لنا مكانة الشيخ حتى عند الشيعة.

فأقام رحمه الله بواسط خمس سنين، يَخدِمُ نفسَه بنفسه، ويَطبُخ ويغسل ثوبه، وكان يقرأ كل يوم ختمة، ما يقرأ فيها سورة يوسف من حزنه على ولده[١].

وفي مقامه بواسط، انتفع به أهلها واشتغلوا عليه واستفادوا منه[٢]، وكان خلالها يكتب إلى بغداد أشعارا كثيرةً، منها:

أحبةَ قلبي لو يُباعُ رجوعكم******علينا لكُنَّا بالنُّفوس فديناكُمُ

فلا تحسبوا أنِّي نسيتُ وِدَادَكم******وإنِّي وإن طَالَ المَدى لستُ أنساكُمُ

وأسألُ أنفاسَ الرِّياحِ لأنَّها******تمرُّ على أطلالِكم وتَلْقَاكُمُ

قضى اللهُ بالتَّفريق بيني وبينكم******فيا ليتنا مِن جملةٍ ما عرَفْناكُمُ[٣]

وفي عام ٥٩٠هـ من شهر رجب، وقف ابن الإمام ابن الجوزي، الإمام محي الدين أبومحمد يوسف، ومعه قصة ببستان يقال له دولاب البقل، يذكر ما نال أبوه وأهله من الضرِّ، وكان نجاح الشرابي بين يدي الخليفة، فجاءوا أخذ[٤] الورقة، وأمره أن يأتي باب البدرية، ووقعوا له بالإفراج عنه[٥].

وكان ابنه محي الدين يوسف قد أصبح من الوعاظ مع حداثة سنِّه، وكانت أمُّ الخليفة تتعصَّب للإمام ابن الجوزي، فكان لها يدٌ في إطلاق ابن الجوزي رحمها الله، وساعدت في ذلك[٦].

قال سبط ابن الجوزي:"فقَدِمَ جدّي في شعبان، وخُلِع عليه، وجلس عند تربة أم الخليفة"[٧]، فكثر الجمع جدا، وحضر الخليفة، وأخذ في العتاب، وأنشد يومئذ فيما يخاطب به الخليفة:

لا تُعطِشِ الرَّوضَ الذي نبتُه******بصوبِ إنعامِك قد رضا

---

١. مصدر سابق.

٢. البداية والنهاية (٦٨٨/١٦)، الذيل لابن رجب (٥٠٥/٢).

٣. مرآة الزمان (٤٣٩/٨).

٤. هكذا بالأصل، ولعلَّ الصواب (فأخذوا).

٥. مرآة الزمان (٤٥٩/٨).

٦. تاريخ الإسلام (١١٠٨).

٧. مرآة الزمان (٤٥٩/٨).

لا تُبرِ عوداً أنت قد رِشتَه******حاشا لباني المجدِ أن يَنقُضَا

إن كان لي ذنبٌ ولمْ آته******فاستأنِفِ العفوَ وهبْ ليَ الرِّضا

قد كنتُ أرجوكَ لنيلِ المُنى******فاليومَ لا أطلبُ إلا الرِّضا[1]

وكان ذلك يوم السبت، وكان الناس قد أخذوا أماكنهم من بعد الجمعة، وامتلأت البريَّة، حتى ما كان يصل صوت الشيخ إلى آخرهم[2].

وفاته:

في يوم السبت السابع من شهر رمضان سنة ٥٩٧هـ، جلس الإمام ابن الجوزي للوعظ فأنشد قائلا:

اللهَ أسألُ أن يطوِّلَ مدَّتي******وأَنَالَ بالأَنعامِ ما في نيَّتي

لي همةٌ في العلمِ ما من مثلِها******وهي الَّتي جَنتْ النُّحولَ هي الَّتي[3]

فقد كان يرجوا رحمه الله، طول العمر لا حرصاً على الدنيا، ولكن للاستزادة في العلم، وهذا يدلُّ على علوِّ همَّته رحمه الله في طلب العلم، حتى وهو في آخر حياته.

فبعد موعظته هذه، نزل به المرض، واستمرَّ معه خمسة أيام، وفي اليوم الثاني عشر من رمضان، الموافق يوم الخميس ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء، فاضت روحه إلى باريها، في داره بقطفتا[4].

يقول سبطه رحمه الله:"وحضر غسله شيخنا ضياء الدين بن سكينة، وضياء الدين بن الخبير، فاجتمعت أهل بغداد وغُلقت الأسواق... وصلَّى عليه ابنه أبوالقاسم عليٌّ اتفاقا...ثمَّ ذهبوا إلى جامع المنصور فصلوا عليه، وضاق بالناس، وكان يوماً مشهوداً، لم يصل إلى قبر أحمد بن حنبل[5] إلى وقت صلاة الجمعة... وأفطر خلق كثير ممن صحبه... وما وصل إلى

---

١. مصدر سابق(٦٨٩/١٦).

٢. الذيل على طبقات الحنابلة (٥٠٦/٢).

٣. مرآة الزمان (٤٩٩/٨)، تاريخ الإسلام (١١٠٠).

٤. مرآة الزمان (٤٩٩/٨)، تاريخ الإسلام (١١٠٩). قطفتا:محلّة كبيرة ذات أسواق، بالجانب الغربي من بغداد، مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي رحمه الله، بينها وبين دجلة أقلّ من ميل. معجم البلدان (٤/ ٣٧٤).

٥. بمقبرة باب حرب. يُنظر: التقييد (٩٨/٢)، المختصر المحتاج إليه (٢٠٧/٢).

حفرته من الكفن إلا قليل، ونزل في الحفرة والمؤذن يقول الله أكبر، وحزن الناس عليه حزناً كثيراً وبكوا بكاءً شديداً"[1].

وأوصى رحمه الله أن يكتب على قبره:

يا كثيرَ الـعَفْوِ عمَّنْ******عَظُم الذَّنبُ لدّيْه

جاءَك المُذنبُ يرجُو الـ******صَّفحَ عن جرمِ يديه

أنا ضيفٌ وجزاءُ الـ******ضيفِ إحسانٌ إِليه[2]

وقبل أن أختم، أحبُّ أن أنبِّهَ إلى أمرين:

الأمر الأول: ذكر الأستاذ مصطفى جواد رحمه الله، في تحقيقه لكتاب"المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدَّبَيثيّ"أنَّ بعض المتطفلين على علم الخطط البغدادية، نسب إلى ابن الجوزي قبراً على شاطئ دجلة في الجانب الجنوبي الشرقي من بغداد، قرب دائرة البريد ومديرية التلفون، بلصق الدار التي كانت مقرَّ المقيم البريطاني ببغداد في محلة رأس الساقية، ثمَّ قال:"وذلك لا يصح بعد إجماع المؤرخين على أنَّ ابن الجوزي دفن بالجانب الغربي من بغداد العتيقة بمقبرة باب حرب، وكانت في الشمال الغربي من الكاظمية الحالية"[3].

الأمر الثاني: أثناء بحثي عن ابن الجوزي رحمه الله، وجدتُ تقريراً لمراسل قناة السومريَّة، ذكر فيه أنَّ قبر ابن الجوزي موجود في مكان أصبح ما يكون خارج المقبرة، وبقُربِه تقِفُ السيارات، ومكتوبٌ عليه (مرقد ومقام خطيب وواعظ بغداد العلامة ابن الجوزي).

وذكر أنَّ المكان يقع على شارع الرشيد، وعند البحث عن شارع الرشيد، وجدتُ معالم الشارع، هي التي ذكرها الأستاذ مصطفى الجواد رحمه الله.

وعليه فالذي في التقرير ليس له أساس من الصحة والله أعلم، إلا أن يكون لولده محيي الدين يوسف، فالله أعلم.

---

١. مرآة الزمان (٥٠٠/٨).

٢. مرآة الزمان (٥٠١/٨-٥٠٢). وسيأتي بحول الله الكلام عن حكم الكتابة على القبر صفحة (١٥٩).

٣. المختصر المحتاج إليه (٢٠٧/٢)، حاشية رقم (٤٦٥).

المبحث الثاني: منهجه في تقرير العقيدة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:موقفه من الاستدلال بالقرآن والسنة والإجماع.

المطلب الثاني: موقفه من العقل.

المطلب الثالث: موقفه من التأويل.

المطلب الرابع: موقفه من علم الكلام.

المبحث الثاني: منهجه في تقرير العقيدة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: موقفه من الاستدلال بالقرآن والسنَّة والإجماع:

يتضح لمن يقرأ كتب ابن الجوزي رحمه الله، منهجه في تقرير مسائل الأصول والفروع، فهو يرى أنَّ الشرع يعتمد على أمرين رئيسيين، الكتاب والسنة[١].

ويبيِّن أنَّ مدار التحريم والتحليل هو الوحي[٢]، وأنَّ"علم الحديث هو الشريعة؛ لأنَّه مبيِّنٌ للقرآن، وموضِّح للحلال والحرام"[٣].

كذلك من مصادر ابن الجوزي رحمه الله الإجماع؛ وذلك لأنَّ الإجماع نابعٌ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أضف إلى أنَّ الإجماع معصومٌ بخبر الوحي عنه، حيث يقول ﷺ :((إنَّ الله لا يجمع أمتي على ضلالة))[٤]. يقول ابن الجوزي رحمه الله:"وإنَّما كان الإجماع أصلاً؛ لأنَّه يدل على السنة"[٥].

ومن استدلالاته بالإجماع، ما ذكره في تفسيره لآية الوضوء في سورة المائدة، في مسألة غسل الرجلين عند الوضوء، حيث يقول:"وحجة من نصب أنَّه حمل ذلك على الغسل؛ لاجتماع فقهاء الأمصار على الغسل"[٦].

بل يرى كفر من اعتقد خلاف ما عليه إجماع المسلمين، يقول رحمه الله في الادعاء إلى غير الأب مع علم المخالف بالتحريم:"فمن اعتقد إباحة ذلك كفر؛ لمخالفته الإجماع، فخرج عن الإسلام"[٧].

ويرى عدم نسخ الإجماع، أو أن يُعزل بخبر محتمل، يقول في ذلك:"ولا يُعزل الإجماع المعصوم بخبرٍ محتمل"[٨].

---

١. يُنظر: الحدائق (٢٣/١).

٢. يُنظر: زاد المسير (١٣٩/٣).

٣. صيد الخاطر (٣٩٥).

٤. رواه الترمذي برقم: (٢١٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقد حسَّنه الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم: (١٣٣١).

٥. منهاج القاصدين (٣٦/١).

٦. زاد المسير (٣٠٢/٢).

٧. كشف المشكل (٣٦٣/١).

٨. مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١١٠).

بل يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أنَّ الإجماع قد يكون ناسخاً للحديث، يقول رحمه الله:"إلا أن يُقال: إنَّ الإجماع يدل على نسخ الحديث؛ لأنَّ الإجماع ينسخ"[1].

فمن خلال ما تقدَّم نرى كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يولي الإجماع قضيةً مهمة، بل المتأمِّل يجد أنَّه غالباً ما يميل في المسائل الخلافية، إلى قول جمهور أهل العلم.

ثمَّ نراه يجمل في تفسيره هذه الدلالات، وهي الكتاب والسنة والإجماع، وأنَّها هي مدار الدين، وهي المعنيَّة بقوله تعالى:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾النحل:٨٩، فيقول رحمه الله:"[لكل شيء]فقال العلماء بالمعاني: لكل شيء من أمور الدين، إمَّا بالنَّص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم مثل بيان رسول الله ﷺ، أو إجماع المسلمين"[2].

وبعد هذا العرض الموجز عن مصادر الاستدلال عند ابن الجوزي رحمه الله، نتطرَّق لمسألة خبر الآحاد، وموقفه منها.

كثرة احتجاجه بالأحاديث الضعيفة

قال الإمام الذهبي رحمه الله:"فإنَّه كثيرُ الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة، مع كونه كثيرَ السّياق لتلك الأحاديث في الموضوعات"[3].

وهذا ملاحظٌ في كتبه، خاصة الكتب التي أُلِّفت في الوعظ، ولكن هناك سبب ذكره رحمه الله في كتابه الموضوعات، وهو حسنُ ظنِّه بالمؤلفين، فهو إذا رأى حديثاً ظنَّه صحيحاً، من حسنه ظنِّه في الرواة والمؤلفين، يقول رحمه الله عن حديث ضعيف في فضائل الأعمال:"قلتُ: كنتُ قد سمعتُ هذا الحديث في زمن الصبا، فاستعملتُه نحواً من ثلاثين سنة، لحُسنِ ظنِّي بالرّواة، فلمَّا علمتُ أنَّه موضوعٌ، تركتُه. فقال لي قائل: أليس هو استعمال

---

١. ناسخ الحديث (٣٠٩). وهذا فيه تفصيل: يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"ومن ادعى إجماعاً يخالف نصَّ الرسول من غير نصٍّ يكون موافقاً لما يدعيه، واعتقد جواز مخالفة أهل الإجماع للرسول برأيهم، وأنَّ الإجماع ينسخ النَّص كما تقوله طائفة من أهل الكلام والرأي، فهذا من جنس هؤلاء-أي من عدل عن السنة إلى غيرها-. وأمَّا إن كان يعتقد أنَّ الإجماع يدلُّ على نصٍّ لم يبلغنا يكون ناسخاً للأول. فهذا وإن كان لم يقل قولاً سديداً، فهو مجتهد في ذلك، يُبيَّن له فساد ما قاله ... وذلك بأن يبيَّن له عدم الإجماع المخالف للنَّصِّ، أو يبين له أنَّه لم تجتمع الأمة على مخالفة نصٍّ إلا ومعها نصٌّ معلوم يعلمون أنَّه النَّاسخ للأول. فدعوى تعارض النص والإجماع باطلة". مجموع الفتاوى (٢٦٧/١٩).

٢. زاد المسير (٤٨٢/٤).

٣. تاريخ الإسلام (١١١١).

الخير؟ قلتُ: استعمالُ الخير ينبغي أن يكون مشروعاً، فإذا علمنا أنَّه كذبٌ، خرج عن المشروعية"[1]. فهذا السبب في استشهاده بالأحاديث الضعيفة، ولم أجد من نبّه عليه.

ولهذا يستطيع القارئ أن يُميِّز بين كتبه القديمة والمتأخرة، فكتبه التي ألَّفها وفيها الأحاديث الضعيفة، أو لا أصل لها، فهذه مما كتبها والله أعلم في بداية طلبه للعلم، والمتأخرة بعكس ذلك، ولهذا لو نظرتَ في كتابه التبصرة -وهو من كتبه الوعظيَّة- تجدُ فيها نسبة الأحاديث لمخرِّجيها، من الصحيحين وغيرهما من كتب السنَّة المعتمدة، مع قلة الروايات المكذوبة، أو التي لا أصل لها، ممَّا يبيِّن لك أنَّها من المتأخرة.

خبر الآحاد

إنَّ موقف ابن الجوزي رحمه الله من خبر الآحاد، تكاد تكون مسلَّمة في نظري، وذلك لكثرة نصوصه رحمه الله في قبوله خبر الآحاد.

يقول رحمه الله مؤصلاً الاستدلال بخبر الآحاد في قصة تحويل القبلة إلى الكعبة، فهذا"أصل في قبول خبر الواحد في أمر الدين إذا كان ثقةً"[2]. فجعل قبول خبره في أمر الدين، سواءً في ذلك الأصول أوالفروع.

وكذلك يؤصِّل لهذه المسألة في موطن آخر، وذلك في قصة سقي أنس بن مالك رضي الله عنه القومَ الخمرَ، وأنَّه حينما أتاهم آتٍ بالخبر أراقوها[3]، يقول رحمه الله:"وفي هذا الحديث دليلٌ على وجوب قبول خبر الواحد إذا كان ثقةً"[4].

ثمَّ نراه يردُّ على الأحناف في منعهم خيار المجلس، بحجة أنَّ حديث ((البيعان بالخيار ما لم يتفرَّقا، فإن تفرَّقا فقد وجب البيع))[5] خبر آحاد، فيقول رحمه الله:"وقولهم: خبر واحد فيما يعمُّ به البلوى، ويخالف قياس الأصول. هذا مما صنعه في الجدل أبو زيد الحنفي، وهو مردودٌ عليه؛ لأنَّ رسول الله ﷺ كان يؤدي ما حمله من الرسالة إلى الشخص الواحد وإلى الاثنين

---

١. الموضوعات: (٢٤٥/١).

٢. كشف المشكل (٢٤٨/٢).

٣. رواه البخاري برقم: (٥٥٨٢)، ومسلم برقم: (١٩٨٠).

٤. كشف المشكل (٢٠١/٣).

٥. رواه البخاري برقم: (٢٠٧٩)، ومسلم برقم: (١٥٣٢).

وإلى الجماعة، فإذا بلغ عن الثقة لزم الحكم الباقين. وكم من حكمٍ قد انفرد بروايته واحد فتبعه الباقون"[1] ثمَّ ذكر أمثلة من آثار الصحابة تدل على قبول خبر الواحد.

وفي صيد الخاطر يُعرِّض بمن يردُّ أخبار الآحاد لمخالفته لعلم الكلام والعقل، يقول رحمه الله:"ثمَّ نظر إبليس فرأى في المسلمين قوماً فيهم فطنة، فأراهم أنَّ الوقوفَ على ظواهر الشريعة حالةٌ يشاركهم فيها العوام، فحسَّن لهم علوم الكلام ...وقد كان السلف إذ نشأ لأحدهم ولدٌ، شغلوه بحفظ القرآن وسماع الحديث، فيثبت الإيمان في قلبه. فقد توانى الناس عن هذا، فصار الولد الفطِن يتشاغل بعلوم الأوائل، وينبذ أحاديث الرسول ﷺ، ويقول: أخبار آحاد"[2].

ويقول عن المعتزلة[3]:"وقد عزل هؤلاء الأغبياء عن التشاغل بالقرآن...وعن السنة وقالوا أخبار آحاد"[4].

من خلال ما تقدَّم يتبيَّن لنا موقفه رحمه من خبر الآحاد، وأنَّ نصوص الكتاب والسنَّة دالةٌ على قبول خبر الواحد.

لكن هناك نصٌّ لابن الجوزي رحمه الله، يذهب إلى عدم قبول خبر الواحد، يقول رحمه الله في دفع شبه التشبيه في من يثبت الصفات لله سبحانه بالأحاديث وهي أخبار آحاد، وأنَّها توجب العلم،:"قلتُ: هذا قول من لا يفهم الفقه ولا العقل"[5]. فهذا النَّص يخالف ما تقدَّم ذكره، ويجاب عنه بما يلي:

١. أنَّ هذا في بداية حياته؛ لأنَّ النصوص التي ذكرناها من كتبه المتأخرة، فصيد الخاطر من آخر ما ألَّف رحمه الله، فقد أُلِّف بعد سنة ٥٧٧هـ[6].

---

١. كشف المشكل (٢/٥٣٨).

٢. صيد الخاطر (٤٩١).

٣. سموا معتزلة لاعتزال أحد رؤسائهم وهو واصل بن عطاء لمجلس الحسن البصري بسبب قوله في مرتكب الكبيرة أنَّه لا مؤمن ولا كافر. ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدريَّة، والعدليَّة. وأصول مذهبهم خمسة: العدل، والتوحيد، ومنزلة بين منزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الفرق بين الفرق (٩٣)، الملل والنحل (١/٤٣)، مقالات الإسلاميين (١٥٥).

٤. صيد الخاطر (٤٩١).

٥. دفع شبه التشبيه (٢٠).

٦. يُنظر: صيد الخاطر (٢٥٧) وَ (٢٦٣).

٢. من الصَّعب ردُّ هذه النصوص، وقبول نص واحد ليس صريحاً في ردِّ خبر الواحد.

٣. هذا الكتاب أعني دفع شبه التشبيه، من الكتب التي لم أجد ابن الجوزي أحال عليه في مؤلفاته كما هي عادته رحمه الله أو أنَّه ذكرها، بل إنِّه إذا أراد أن يحيل على كتاب في الاعتقاد، يذكر كتابه منهاج الوصول إلى الأصول[١].

---

١. يُنظر: تلبيس إبليس (١٠٧).

المطلب الثاني: موقفه من العقل:

يتحدَّث ابن الجوزي رحمه الله عن العقل كثيراً، حتى ألَّف فيه رسالة صولة العقل على الهوى، مبيِّناً أهميَّته، وأنَّه الهادي لمعرفة الله سبحانه، وصدق المرسلين.

يقول رحمه الله :"وقد عُلم أنَّ العقل هو الذي دلَّ على الإله سبحانه، وأمر بطاعته، وثبَّت معجزات الرسل، فأمر بطاعتم"[1].

ويقول أيضاً:"فإنَّ أجل الأشياء موهبةُ العقل، فإنَّه الآلة في تحصيل معرفة الإله، وبه تضبط المصالح وتلحظ العواقب وتدرك الغوامض وتجمع الفضائل"[2].

وقد بوَّب في أكثر من كتاب من كتبه باباً عن العقل وفضله[3]، ويذكر تحته الأحاديث في ذلك، وإن كان يشير رحمه الله إلى ضعفها وعدم ثبوت حديث في فضله[4].

ثمَّ هو يحصر العقل في مجال الاعتقاد إلى قضيتين، تحصيل معرفة الله، والنظر في معجزات الأنبياء وتصديقهم، وهنا تنتهي وظيفة العقل ليسلِّم للنصوص.

وهذه القضية مسلَّمة عند الإمام ابن الجوزي رحمه الله، يقول في كتابه التبصرة:"فسبحان من لا يعترض العقل على أفعاله، بل يقف على حدِّه"[5].

ويقول أيضاً:"العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض، فأمَّا إذا حكم الخالق بالإيلام، لم يبقَ للعقل اعتراض، وبيان ذلك أنَّ العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى، وأنَّه لا خلل فيها ولا نقص، فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه"[6].

وعند هذا تنتهي وظيفة العقل في باب الاعتقاد، ومن جميل ما يذكره هنا، ما أجاب سائلا سأله عن مقولة وهي:(من لم يحترز بعقله، هلك بعقله) فيقول رحمه الله:"سألني سائل: قد قال بعض الحكماء:(من لم يحترز بعقله، هلك بعقله) فما معنى هذا؟ فبقيت مدَّةً لا ينكشف لي المعنى، ثم اتضح؛ وذلك أنَّه إذا طلبت معرفة ذات الخالق سبحانه من العقل،

---

١. صولة العقل (الورقة١/ ب).

٢. الأذكياء (٥).

٣. يُنظر: الأذكياء (٧) وَ الثبات عند الممات (٢٣) وَ ذم الهوى (٢).

٤. يقول في العلل المتناهية :"وقد رويت في العقل أحاديث كلّها باطلة"(١/٤٣).

٥. التبصرة (٢/١٧٦).

٦. تلبيس إبليس (١/٤١٧).

فزع إلى الحس، فوقع التشبيه، فالاحتراز من العقل بالعقل هو: أن ينظر، فيعلم أنَّه لا يجوز أن يكون جسماً ولا شبهاً لشيءٍ.

وإذا نظر العاقل إلى أفعال الباري سبحانه؛ رأى أشياء لا يقتضيها العقل، مثل الآلام، والذَّبح للحيوان، وتسليط الأعداء على الأولياء، مع القدرة على المنع، والابتلاء بالمجاعة للصالحين، والمعاقبة على الذنب بعد البُعدِ بزلَّةٍ، وأشياء كثيرة من هذا الجنس، يعرضها العقل على العادات في تدبيره، فيرى أنَّه لا حكمة تظهر له فيها.

فالاحتراز من العقل به أن يقال له: أليس قد ثبت عندي أنه مالك، أنه حكيم، وأنه لا يفعل شيئًا عبثًا؟ فيقول: بلى. فيقال: فنحن نحترز من تدبيرك الثاني بما ثبت عندك في الأول؛ فلم يبق إلا أنه خفي عليك وجه الحكمة في فعله، فيجب التسليم له، لعلمنا أنه حكيم، حينئذ يذعن ويقول: قد سلمت.

وكثير من الخلق نظروا لمقتضى واقع العقل الأول، فاعترضوا. حتى إنَّ العاميَّ يقول: كيف قضى عليَّ بسوءِ عاقبتي؟ ولِمَ ضيَّق رزقي؟ وما وجه الحكمة في ابتلائي بفنون البلاءِ؟ ولو أنَّه تلمَّح أنَّه مالكٌ حكيمٌ، لم يبقَ إلا التسليم لما خفي... وهذا أصل، إن لم يثبت عند الإنسان؛ أخرجه إلى الاعتراض والكفر، وإن ثبت، استراح عند نزول كلِّ آفة"[1].

فإنك تجد ابن الجوزي رحمه الله في هذا السياق من كلامه، استخدام العقل في بعض قضايا الاعتقاد، ففي صفات الله عزَّ وجلَّ، فيرى أنَّ احتراز العبد من التشبيه، أن يستخدم عقله بأنَّ يعلم أنَّ الله ليس جسماً، فيبعد عن التشبيه.

وضربه لهذا المثل في هذه المسألة محلُّ نقاش، سيأتي الحديث عنه بمشيئة الله عزَّ وجلَّ، ولكن أقول إنَّ هذا الباب، أعني الاحتراز من العقل به في باب الصفات، أضرَّ بأصحابه، والسبب هو فهمهم لآيات الصفات أنَّها تقتضي التشبيه، فأرادوا أن يحترزوا بعقولهم ممَّا أوصلتهم إليه عقولهم من فهم التشبيه في آيات الصفات، فضلوا والعياذ بالله، وهلكوا بعقولهم التي كان ينبغي أن يحترزوا من طغيانها، وتحكيمهم على الكتاب والسنَّة، وتقديمهم للعقل على النقل.

---

١. صيد الخاطر (٣٨٦-٣٨٧).

وأمَّا ما ذكره رحمه الله من أنَّ العبد إذا نظر إلى أفعال الله، قد يقع في الجحود والاعتراض على قدر الله، فهذا حقّ، ولهذا يذكر أمثلة لهذا الباب، فيقول رحمه الله:"ولقد أنس ببديهة العقل خلق من الأكابر، أوَّلُهم إبليس، فإنَّه رأى تفضيلّ النَّار على الطين، فاعترض. ورأينا خلقًا ممَّن نُسب إلى العلم قد زلّوا في هذا، واعترضوا، ورأوا أنَّ كثيرًا من الأفعال لا حكمة تحتها"[1]. فنجد ابن الجوزي رحمه الله أجاد في هذا الباب، وتكلَّم فيه في أكثر من موضع، بل ذكر قصةً عن اعتراض بعضهم على القدر، فيقول رحمه الله:"وقال لي يوما أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك"[2]. ولهذا أولاها اهتماما في أكثر من موضع.

---

١. صيد الخاطر (٣٨٧).

٢. المنتظم (١٨/٢٤٣). وهذا الرجل هو صدقة بن الحسين توفي سنة ٥٧٣هـ.

المطلب الثالث: موقفه من التسليم والتأويل:

تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله في أكثر من موضع عن طريقتي التسليم والتأويل، وأنَّ التسليم هي طريقة السلف وهي الأفضل، وأنَّ التأويل يلجأ إليه الشخص إذا لم يستطع أن ينفكَّ ذهنُه من التشبيه، بمعنى أنَّ الأفضل للعبد إن لم يفهم من النّصوص إلا ما يغلب على الحسّ، فليلجأ إلى التأويل.

وهذا ما ذكره إليه رحمه الله في أكثر من موضع من كتبه، يقول رحمه الله:"كان من تقدَّم من السلف يسكتون عند سماع هذه الأشياء ولا يفسِّرونها، مع علمهم أنَّ ذات الله تعالى لا تتبعض، ولا يحويها مكان، ولا توصف بالتغير ولا بالإنتفال. ومن صرف عن نفسه ما يوجب التشبيه، وسكت عن تفسير ما يضاف إلى الله عزَّ وجلَّ من هذه الأشياء، فقد سلك طريق السَّلف الصالح وسَلِم، فأمَّا من ادعى سلوكَ طريق السلف ثمَّ فَهِم من هذا الحديث أنَّ القدم صفة ذاتية وأنَّها توضع في جهنَّم، فما عَرَف ما يجب لله ولا ما يستحيل عليه، ولا سلك منهاج السلف في السكوت، ولا مذهب المتأولين، وأخسس به من مذهب ثالث ابتدعه من غضب من البدع"[1].

فهذا النَّص يتضح منه وبجلاء، رأي ابن الجوزي في باب الصفات، وأنَّ النَّاس في باب الصفات ثلاث مذاهب:

١. السكوت والتسليم. (ومراده التفويض والجهل بالمعنى كما سيأتي إن شاء الله).

٢. التأويل.

٣. التشبيه، والمراد فهم الصفة على ما هو عليه سلف الأمة.

فذكر للنَّاس ثلاث مسالك، السكوت والتأويل، باعتبارهما منهجان سليمان، والتشبيه باعتباره مذهباً ثالثاً أخسس به من مذهب على حدِّ تعبيره.

فاتباعه لمسلك السكوت عن الكلام في صفات الله عزَّ وجلَّ، كثير ومشتهر في كتبه، باعتبار أنَّه مذهبٌ للسلف.

---

١. كشف المشكل (٢٤٤/٣).

أمَّا التأويل، فهو مسلك له أيضاً رحمه الله، لا كما يذكر بعض الباحثين[1] أنَّه خالف مذهبه في التسليم، وأنَّه لم يسر عليه، بل خرم هذا المسلك بتأويل الصفات، وكأنَّ التأويل ليس مسلكاً له رحمه الله.

وهذا غلط، لأنَّ ابن الجوزي غفر الله له لم يسلك منهج التأويل فحسب، بل يؤصِّل للتأويل، يقول رحمه الله في كتابه مجالس ابن الجوزي في متشابه الآيات القرآنية وهو يتكلَّم عن صفات الله:"ثمَّ أقول: وكيف يمكن أن يقال: إنَّ السلف ما استعملوا التأويل؟ وقد ورد في الصحيح عن سيد الكونين ﷺ: أنَّه قدَّم له ابن عباس وضوء، فقال:(من يفعل هذا؟). قلت: أنا يارسول الله. فقال:((اللهمَّ فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل))[2] فلا يخلوا إمَّا أن يكون الرسول ﷺ أراد أن يدعو له. أو عليه، فلا بدَّ أن نقول: أراد الدعاء له لا دعاء عليه. ولو كان التأويلُ محظوراً لكان هذا دعاء عليه، لا له"[3].

ويؤكد ذلك بأسلوب آخر، فيقول رحمه الله:"وإن لم يمكنْك أن تتخلَّص من شِرك التشبيه إلى خالص التوحيد، وخالص التنزيه إلا بالتأويل، فالتأويلُ خيرٌ من التشبيه"[4].

ويؤكِّد مذهبه في التأويل بضرب الأمثلة في ذلك، فيقول رحمه الله:"واعجَباً كلَّ العجبِ من رَادٍّ لم يفهمْ طبيعةَ الكلامِ، أليس في الحديث الصحيح:((أنَّ الموتَ يَذبح بين الجنَّة والنَّار))[5]. أو ليس العقل إذا استفتى في هذا، صرف الأمر عن حقيقته، لما ثبت عند من يفهم ماهية الموت؟ فقال: الموت عرض يوجب بطلان الحياة، فكيف يمات الموت؟ فإذا قيل له: فما تصنع بالحديث؟ قال: هذا ضُرِبَ مثلاً بإقامة صورة، ليعلم بتلك الصّورة الحسيّة فوات ذلك المعنى.

قلنا له: فقد روي في الصحيح:((تأتي البقرةُ وآلُ عمران كأنَّهما غَمَامتان))[6].فقال:الكلام لا يكون غمامة، ولا يتشبه بها. قلنا له: أفتعطل النَّقل؟ قال: لا، ولكن يأتي ثوابُهما. قلنا: فما الدليل الصَّارف لك عن هذه الحقائق؟ فقال: علمي بأنَّ الكلام لا يتشبَّه بالأجسام،

---

١. يُنظر: ابن الجوزي بين التأويل والتفويض (١٢٣)، ومقدمة الدكتور المزيد على تلبيس إبليس (٨١).

٢. رواه البخاري برقم (١٤٣).

٣. مجالس الن الجوزي (١٣).

٤. مجالس ابن الجوزي (١١).

٥. رواه البخاري برقم: (٦٥٤٨)، ومسلم برقم: (٢٨٥٠).

٦. رواه مسلم برقم: (٨٠٤).

والموت لا يذبح ذبحَ الأنعام، ولوعلمتُم سعةَ لغةِ العرب، ما ضاقت أعطانكم من سماع مثل هذا. فقال العلماء: صدقت، هكذا تقول في تفسير مجيء البقرة، وفي ذبح الموت. فقال: واعجباً لكم، صرفتم عن الموت والكلام ما لا يليق بهما حفظاً لما علمتُم من حقائقهما، فكيف لم تَصْرِفوا عن الإله القديم ما يوجب التشبيه له بخلقة بما قد دلَّ الدليلُ على تنزيهه عنه؟"[1].

فهذه أدلّة من كلام ابن ابن الجوزي رحمه الله، تؤكد أنَّ له مسلكان في التعامل مع صفات الله لا ثالث لهما:

الأول: التفويض.

الثاني: التأويل.

وهو حينما يذكر التأويل، لا يذكره تناقضاً أو اضطراباً، أو خروجاً عن منهجه في التعامل مع آيات الصفات، بل هو منهج له ارتضاه، بل ويؤصِّل له، ويؤكِّد عليه بضرب أمثلة عليه.

والسبب في تأويله لآيات الصفات، أمورٌ:

أولاً: اعتماده على نصٍّ للإمام أحمد رحمه الله يذهب فيه إلى التأويل[2].

ثانياً: اعتماده على سعة اللغة. يقول رحمه الله:"والناس في هذا وأمثاله رجلان، أحدهما: سكت عن التفسير مع نفي الخيال، وهذا مذهب جمهور السلف. والآخر: حمله على سعة اللغة"[3].

وهذان الأمران اشتهرا عنه، ولهذا أنكر الشيخ إسحاق العلثي[4] رحمه الله على ابن الجوزي رحمة الله عليهما ذلك في نصيحته التي أرسلها إليه، حيث يقول:"وإذا تأولّت الصفات على

---

١. صيد الخاطر (٩٩-١٠٠).

٢. وسيأتي الحديث عنه بمشيئة الله عند الكلام عن صفة المجيء والإتيان.

٣. كشف المشكل (٣/٨٤-٨٥).

٤. إسحاق بن أحمد بن محمد بن غانم العلثي، الزاهد القدوة، أبو الفضل، ويقال: أبو محمد.كان قدوة صالحا زاهدا، فقيها عالما، أمَّاراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر، لا يخاف أحداً إلا الله، ولا تأخذُه في الله لومة لائم. أنكر على الخليفة الناصر فمن دونه، وواجه الخليفة الناصر وصدعه بالحق، وله رسائل كثيرة إلى الأعيان بالإنكار عليهم والنصح لهم. توفي سنة ٦٣٤هـ. السير (٢٣/١٠)، ذيل طبقات الحنابلة (٣/٤٤٥).

اللغة، وسوغته لنفسك، وأبيتَ النَّصيحة، فليس هو مذهبُ الإمام الكبير أحمد بن حنبل قدَّس الله روحَه"[1].

ثالثاً: أنَّه يرى بأنَّ القول بظاهر النصوص يلزم منه التشبيه، فيجب التأويل[2]. ولهذا لو يتأمَّل المتأمِّل إلى عنوان كتابه (مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنيَّة) وهو عبارة عن سؤال سُئِله عن أخبار الصفات، لتبيَّن له أنَّه يرى أنَّ أخبار الصفات من المتشابه، لأنَّ الحديث عنها.

يقول رحمه الله مستنكراً على من يحمل أحاديث الصفات على ظاهرها:"ولكنَّ أقواما قصرت علومهم؛ فرأتْ أنَّ حملَ الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل، ولو فهموا سعة اللغة، لم يظنوا هذا"[3].

ويقول أيضاً: "وجاء آخرون، فلم يقفوا على ما حدَّه الشرع، بل عملوا فيه بآرائهم، فقالو: الله على العرش، ولم يقنعوا بقوله:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾الأعراف:٥٤... فأثبتوا بها صفاتٍ، جمهورُ الصحيح منها آتٍ على توسّع العرب، فأخذوه هم على الظاهر"[4].

المراد بالسكوت في آيات الصفات عند ابن الجوزي رحمه الله

تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله عن التسليم في آيات الصفات، وبيَّن مراده بالتسليم في آيات الصفات، حيث يقرِّر بأنَّ المراد هو الجهل بمعناها، وعدم فهمها، حيث يقول رحمه الله "قد ذكرنا أنَّ أكثر السلف كانوا يمتنعون من تفسير مثل هذا ويمرِّونه كما جاء، وينبغي أن تُراعى قاعدةٌ في هذا قبل الإمرار: وهي أنَّه لا يجوز أن يُحدَث لله صفة، ولا تُشبِهُ صفاتُه صفاتِ الخلق، فيكون معنى إمرار الحديث الجهلَ بتفسيره"[5].

بل إنَّ القارئ لكتب ابن الجوزي رحمه الله، يجد في بعض المواطن كلاماً جميلاً لإثبات الصفات، بحيث لا يشك وهلةً أنَّه ممَّن يثبتون الصفات على منهج السلف رحمهم الله، ولكنَّ عند التأمّل في أقواله الأخرى، نجد أنَّ مراده بأنَّ السلف يمتنعون من تفسيرها، ويمرّونها كما

---

١. يُنظر: ذيل طبقات الحنابلة (٣/٤٥٢).

٢. يُنظر: صفحة (١٩٤).

٣. صيد الخالطر (٩٨).

٤. صيد الخاطر (١٣١).

٥. كشف المشكل (٣/٥٠٦).

جاءت، أنَّ المراد هو التفويض وليس الإثبات، وهذا يؤكِّد والعلم عندالله أنَّ ابن الجوزي لم يتناقض في هذا الباب، وأنَّ ما ذكره رحمه الله من أحرف تقتضي الإثبات، فهي محمولة على تفويض معنى الصفة، والجهل بتفسيرها، وعدم معرفة معناها.

ويتضح ذلك بضرب مثالين من كتبه رحمه الله.

المثال الأول: ذكر في مقدِّمة كتابه (مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنيَّة) كلاماً في الإثبات، ما جعل بعض الباحثين[1] يقول بأنَّه يثبت الصفات، حيث يقول رحمه الله:"اعلم أنَّ الحقَّ يوصف باليدين والوجه والعين، على الوصف الذي يليق به"[2]. فهذا النَّص منه رحمه يدلُّ على أنَّه يثبت الصفات على مذهب السلف، وهذا غير صحيح لأمور:

١. من العنوان يتبيَّن لقاريء الكتاب أنَّ مؤلفه لا يذهب إلى مذهب السلف في الصفات، حيث سمَّى الرسالة بعنوان (مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية) وهو لم يذكر إلا الحديث عن الصفات في القرآن، وهذا يدل على أنَّ مؤلفها يرى أنَّ آيات الصفات من المتشابه، وهو كذلك كما تقدم معنا، وهذا بخلاف ما عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم.

٢. الرِّسالة تقع في إحدى عشرة صفحة، بداية الكتاب وفي نصف صفحة تقريباً، ذكر أنَّ صفات الله واردة في القرآن وذكر أمثلة على ذلك، ثمَّ ردَّ على المعتزلة في قرابة الصفحة، وبقية الرسالة ردٌّ على المشبهة. وبالرجوع إلى كتابه تلبيس إبليس، نجده يقسم المشبهة إلى قسمين:

القسم الأول: غلاة المشبه، وهم الكرامية وغيرهم من الغلاة.

القسم الثاني: مشبّهة أقل غلوا ممن تقدَّم، وهو ما عليه سلف الأمة من إثبات الصفات من تمثيل ولا تشبيه، ومن غير تعطيل ولا تأويل.

فردّه في هذه الرسالة على المشبهة مراده ما عليه السلف، وليست أقوال الكراميّة وغيرهم من المشبهة.

---

١. يُنظر: ابن الجوزي بين التأويل والإثبات (١٢٢).

٢. مجالس ابن الجوزي (٦).

٣. أنَّه يقرر أنَّ حمل الآيات على ظواهرها يقتضي التشبيه، يقول رحمه الله في رسالته هذه:"ثمَّ لو حملت هذه الآيات –يقصد آيات إثبات صفة اليد– لله عزَّ وجلَّ على ظواهرها، لاقتضى قوله ﴿ **يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ** ﴾الفتح:١٠ وجه يد جارحة، فوق يد جارحة، كقوله: وضع يد فلان على يد فلان"[١].

٤. تأويله في هذه الرسالة ظاهر، فنراه يؤول قوله ﷺ:((قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن))[٢]، فيقرِّر أولاً أنَّ لا يجوز أن يكون معنى الأصبع الجارحة، وعليه فما المعنى الذي يرتضيه رحمه الله؟ يوضحه بقوله:"وإنَّما يتضمَّن معنى الحديث: العبارة عن اقتداره، والإشارة إلى سرعة التقليب والتغيير، ولهذا سمي القلب قلباً"[٣] إلى آخر كلامه الذي ينفي فيه هذه الصفة، ويؤولها بسرعة التقليب والتغيير.

٥. استدلاله على نفي الصفات بالحدوث[٤]، والجسمية والتركيب والجارحة[٥]، وغيرها من تعبيرات أهل التعطيل.

٦. يرى في هذه الرسالة أنَّ التأويلَ خيرٌ من التشبيه الذي هو إثبات صفات الله سبحانه وتعالى، يقول رحمه الله:"وإن لم يمكنك أن تتخلَّص من شرك التشبيه إلى خالص التوحيد، وخالص التنزيه إلا بالتأويل، فالتأويل خير من التشبيه"[٦].وليس مراده تشبيه الكرامية، حيث إنَّهم مفروغ منهم في هذه القضية، وأقوالهم مهجونة لا غبار عليها عند الخاص والعام، بالإضافة إلى أنَّه لم يتطرَّق إليهم في رسالته هذه، بخلاف كتابه تلبيس إبليس[٧]، والمنتظم[٨] وغيرها من كتبه التي يذكر فيها أقوالهم الخبيثة من وصف الله بصفات البشر والعياذ بالله،

---

١. مجالس ابن الجوزي (٨).

٢. رواه مسلم برقم: (٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

٣. مجالس ابن الجوزي (٩).

٤. يُنظر: مجالس ابن الجوزي (٩).

٥. يُنظر: مجالس ابن الجوزي (١١).

٦. مجالس ابن الجوزي (١١).

٧. تلبيس إبليس (٥٠٥).

٨. ينظر: المنتظم (٩٧/١٢).

تعالى الله وتقدَّس، بل يتطرق إلى مسائل الاستواء والنزول وغيره من الصفات التي يثبتها أهل السنَّة والجماعة.

المثال الثاني: ذكر ابن الجوزي رحمه الله في كتابه زاد المسير مسألة رؤية الله يوم القيامة، وردَّ فيها على المانعين من ذلك، وإني أسوق كلامه ليرى القارئ إثباته رحمه الله لرؤية الله عزَّ وجلَّ، مع أنَّها تناقض ما يذهب إليه من نفي للصفات باعتبار الجسمية والحد وغير ذلك، يقول رحمه الله:" يقول رحمه الله:"ورؤية الله عزَّ وجلَّ حقٌّ لا شكَّ فيها، والأحاديث فيها صحاح، قد ذكرتُ جملةً منها في المغني والحدائق"[1].

ويقول في قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾يونس:٢٦:"وفي الزيادة ستة أقوال:

أحدهما: أنها النظر إلى الله عز وجل. روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب عن النبي ﷺ أنه قال:((الزيادة: النَّظرُ إلى وجهِ الله عزَّ وجلَّ))[2]. وبهذا القول، قال أبو بكر الصديق، وأبو موسى الأشعري، وحذيفة، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، والسدي، ومقاتل"[3]. ورجَّح هذا القول في كتابه تذكرة الأريب، ولم يذكر غيره[4].

ويقول في قوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾الأنعام:١٠٣مبيِّناً مذهب أهل السنَّة والحديث:"وقال الزجاج: معنى الآية: الإحاطة بحقيقته[5]،وليس فيها دفعٌ للرؤية؛ لما صحَّ عن رسول الله ﷺ من الرؤية. وهذا مذهب أهل السنَّة والعلم والحديث"[6].

---

١. زاد المسير (٤٢٢/٨-٤٢٣). يُنظر الحدائق (٥٤٢/٣-٥٤٣)، والمغني لم يطبع.

٢. هو في صحيح مسلم بلفظ :((إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّضْ وجوهَنا؟ ألم تدخلْنا الجنَّة، وتنجّنا مِنْ النَّار؟ قال: فيكشف الحجابَ، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النَّظر إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ)). صحيح مسلم برقم: (١٨١).

٣. زاد المسير (٢٤/٤).

٤. يُنظر: تذكرة الأريب (٢٣٤/١).

٥. المراد بحقيقة الله، وهذا ليس هو المراد هنا، إنَّما المراد الإحاطة بحقيقة رؤيته، ولهذا حينما نقل هذا النص في كشف المشكل قال:" والإحاطة بحقيقة الرؤية" (٣٦٢/٤) وهذا هو الصواب والله أعلم.

٦. زاد المسير (٩٨/٣).

بل ويؤكد أنَّ الرؤية بصرية بالعين، وليست بالفؤاد، ممَّا لا يجعل مجالاً للتأويل عنده رحمه الله، فيقول:"وقوله:((سترون ربكم عيانا))[١] ذكر العيان تأكيد للرؤية وتحقيق لها"[٢].

وبعد هذه النَّصوص المحكمة من كلامه رحمه الله، أيظنُّ ظانٌّ أنَّ ابن الجوزي يخالف السلف في مسألة الرؤية؟ لا، ولكن حينما ننظر إلى كتبه الأخرى، نجده لا يثبت الرؤية مثلما أثبتها السلف رضوان الله عليهم أجمعين، ويتضح ذلك في أمرين:

الأول: تأويله الرُّؤيةَ بقول لم أجدْ أحداً قال به والله أعلم، حيث أثبتَ الرُّؤية بالمثال، لا بالمثل كما يقول رحمه الله، بمعنى أنَّ المؤمنين لا يرون ربَّهم خالقهم، وإنما يرون مثالاً يمثِّلُه لهم ربُّهم عزَّ وجلَّ. يقول رحمه الله:"فإن قيل: فما تقولون في رؤية الحقِّ سبحانه؟ نقول: يرى مثالاً لا مثلاً، والمثال لا يفتقر إلى المساواة أو المشابهة، كما قال تعالى:﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾الرعد:١٧فضربه مثلاً للقرآن، وانتفاع الخلق به. ويوضِّح هذا، أنَّه يرى من رأى الحقَّ سبحانه تعالى على هيئةٍ مخصوصة، والحقُّ سبحانه وتعالى منزَّهٌ، قد توحَّد، فوضح ما قلنا"[٣].

فمن خلال هذا النَّص، يتبيَّن لنا موقف ابن الجوزي رحمه الله في الرؤية، وهو أنَّ المؤمنين لا يرون ربهم، وإنَّما يرون مثالا له سبحانه وتعالى كما يقول رحمه الله.

الثاني: تأويله للحجاب الوارد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

يقول رحمه الله:"وأمَّا الحجاب فينبغي أن يعلم أنَّه حجابُ المخلوق عنه؛ لأنَّه لا يجوز أن يكون محجوباً؛ لأنَّ الحجاب يكون أكبر مما يستره، ويستحيل عليه سبحانه أن يكون جسماً، أو جوهراً، أو متناهياً محاذياً، إذ جميع ذلك من علامات الحدث"[٤].

ويقول أيضاً في قوله ﷺ:((وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنَّة عدن))[١]:"ورداء الكبرياء، ما له من الكبر والعظمة"[٢]. فهذا تأويل لحجاب الكبرياء الذي نصَّ أنَّه يكشفه سبحانه عن وجهه، بالكبر والعظمة[٣].

---

١. رواه البخاري برقم: (٧٤٣٥).

٢. كشف المشكل (٤٣٠/١).

٣. صيد الخاطر (٤٤٢).

٤. كشف المشكل (٤٢٤/١).

فمن خلال ما تقدَّم يتضح أنَّ ابن الجوزي حينما يقرِّر مسألة في الصفات، وأنَّ مذهب السلف إمرارها كما جاءت، فمراده التفويض وليس الإثبات. ولايُعتبرُ هذا تناقض أو اضطراب، بل هو يرى كما تقدَّم أنَّ باب الصفات له مسلكان، إمَّا السكوت عنها والمراد التفويض، وجهل معنى الصفة، أو التأويل.

---

١. رواه مسلم برقم: (١٨٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

٢. كشف المشكل (١/٤٠١).

٣. ستأتي مناقشته رحمه الله في مبحث رؤية الله.

المطلب الرابع: موقفه من علم الكلام

إنَّ النَّاظر في كلام ابن الجوزي رحمه الله، يجده يذمُّ علم الكلام، ويحذِّر منه، وهذا مستفيض في كتبه رحمه الله[1].

ومع ذلك فقد تأثَّر رحمه بعلم الكلام، ويظهر ذلك في ثلاثة أمور:

الأول: ردُّه للصفات بحجج أهل الكلام، مثل أنَّ إثبات الصفات لله عزَّ وجلَّ يلزم منه التجسيم، والجارحة ودليل الحوادث وغير ذلك.

يقول رحمه الله في كلامه عن قوله ﷺ :((إنَّ الله لا يملّ حتى تملُّوا))[2]:"وذلك لا يجوز في صفات الله عز وجل، لأنه لو جاز لدخلت عليه الحوادث"[3]. فنراه ينكر الصفة، بحجة أنَّ إثباتها يثبت الحوادث لله عزَّ وجلَّ، والله منزَّه عن ذلك.

وكذلك ردُّه للصفات بحجة الجوارح، أي أنَّنا إغذا أثبتنا صفات الباري سبحانه، يلزم أنَّنا نثبت الجارحة لله عزَّ وجلَّ، يقول رحمه الله:"قد ثبت بالدليل القاطع أنَّ يدَ الحقِّ عزَّ وجلَّ ليست جارحةً، وأنَّ قبضَه للأشياء ليستْ مباشرةً، ولا ليّ كفّ، وإنَّما قرَّب الرسول عليه السلام إلى الأفهام ما يدركه الحس، فقبض رسول الله ﷺ أصابعه وبسطها. فوقوع الشبه بين القبضتين من حيث ملكه المقبوض لا من حيث التشبيه بآلات القبض"[4]. وهذا التهويل في ردِّ نصوص الصفات، هو منهج أهل الكلام، يتضح ذلك في ردِّ الإمام الدارمي رحمه الله على المريسي، حيث يقول رحمه الله:"وأما تكريرك وتهويلك علينا بالأعضاء والجوارح، وهذا ما يقوله مسلم، غير أنَّا نقول كما قال الله تعالى:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾الرحمن:٢٦-٢٧ أنَّه عنى به الوجه الذي هو الوجه عند المؤمنين"[5].

ويقول ابن القيم رحمه في نونيته:

كم ذا توسَّلتُم بلفظ الجسم******والتجسيم للتَّعطيل والكفران

---

١. يُنظر: تلبيس إبليس (٤٨٧)، وصيد الخاطر (٢٨٤) وَ (٣٣٩) وَ (٣٦٠) وَ (٤٩١) وَ ()، وكشف المشكل (٣٤٢/٤)، وأخبار الصفات-دفع شبه التشبيه-(١٢-١٤) وغيرها.

٢. رواه البخاري برقم: (١١٥١)، ومسلم برقم: (٧٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٣. كشف المشكل ٢٧٧/٤).

٤. كشف المشكل (٥٠٦/٢).

٥. نقض الدارمي على المريسي (٧٠٨/٢-٧٠٩).

وجعلتموه التِّرس إن قلنا لكم******الله فوق العرش والأكوان[1]

وتجد هذا جليَّاً في كتبه الأخرى رحمه الله، كصيد الخاطر[2]، ومجالس ابن الجوزي[3].

الثاني: ذكره لمباحث علم الكلام.

وذلك كمبحث أول واجب على المكلَّف، ومبحث الكسب الذي أوَّل من تكلَّم فيه أبو الحسن الأشعري رحمه الله، وقد كان كلامه عن هذه المسألة، تقريراً لها على أصول أهل الكلام، ونقلاً عن أئمة الأشاعرة كما سيتضح في الفقرة التالية.

الثالث: نقله رحمه الله من كتب أهل الكلام.

فبالنَّظر إلى مسألة الكسب، نجد ابن الجوزي رحمه الله يقرِّر هذه المسألة نقلاً عن كتب الأشاعرة، وإن لم يذكر الإحالة عليها، ولكن يتبيَّن ذلك بالرجوع إلى كتبهم، وأنَّ اقتباسه منها يكاد يكون حرفيَّاً.

يقول رحمه الله في المنظوم:"فإن قلت: قد رجعنا إلى الكسب، فأقول نحن قد أثبتنا كسباً، والجبريَّة لم يثبتوا كسباً، فأضرب لك مثالاً، فإنَّ الحقائقَ تنكشف بالأمثال.

حِمل ثقيل أنت قادر على حمله، ومعك آخر عاجز، فرفعتُما الحِمل، فالرَّفع إلى من ينسب؟ إنَّما ينسب إلى القويِّ، ولكن للآخر نوعُ فعل، فذلك النَّوع من الفعل هو الكسب مع خلوِّ الحقِّ تعالى.

ومعنى الكسب: هو التصرف في الفعل، بقدرةٍ تقارنُه في محلِّه، تجعلُه بخلاف صفة الضرورة. وكلُّ ذي حدٍّ سليم، يفرِّق بين حركة المختار وبين حركة المرتعش، وبين اختيار المشي والانتقال و الذهاب، وبين الجرِّ والسحب والرَّفع"[4].

فالمثل الذي ذكره رحمه الله هو الذي ذكره البغدادي رحمه الله في كتابه أصول الدين[5].

والتعريف الذي ذكره في تعريف الكسب، هو تعريف الباقلاني رحمه الله في كتابه تمهيد الأوائل[1] مع تصرّف يسير جداً.

---

١. شرح القصيدة النونيَّة للهراس مع النَّظم (١٦٨/٢).

٢. (٢٨٤).

٣. (٨-٩).

٤ . المنظوم والمنثور.

٥ . يُنظر: أصول الدين للبغدادي ١٣٣ – ١٣٤.

وأمّا تأثُّره بعلمِ الكلام مع نهيه عنه، له سببان:

أولاً: توغّلُه في علم الكلام، ثمَّ عدم استطاعتِه الانفكاك منه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "وكما فعل صاحبه أبو بكر بن عربي، وقال: شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ثمَّ أراد أن يخرج منهم فما قدر. وكذلك أبو بكر الفهري الطرطوشي وأبو عبد الله المازري وأبو الوفاء بن عقيل وأبو البيان الدمشقي وأبو الفرج بن الجوزي"[2].

ففي الوقت الذي ينهى فيه عن الكلام ويذمُّه، نجده يستخدم مصطلحاتهم وعباراتهم لتأييد ما ذهب إليه.

ففي كتاب صيد الخاطر مثلاً، تجده يحذِّر من الكلام وينفِّر منه، بل عقد فصلا فيه يحذر منه ومن أهله، وكذلك فعل في تلبيس إبليس، ثمَّ نجده يستخدم هذه المصطلحات لنفي صفات الله عزَّ وجلَّ أو تأويلها.

يقول في صيد الخاطر:"ما نهى السلف عن الخوض في الكلام إلا لأمر عظيم، وهو أنَّ الإنسان يريد أن ينظر ما لا يقوى عليه بصره، فربما تحير، فخرج إلى الحجب.

لأنَّا إذا نظرنا في ذات الخالق، حار العقل، وبهت الحس؛ لأنَّه لا يعرف شيئًا لا بداية له! ولا يعلم إلا الجسم والجوهر والعرض، فإثبات ما يخرج عن ذاك لا يفهمه"[3]. فتجد في هذا النَّص كيف أنَّه حذَّر من الخوض في علم الكلام، ثمَّ هو يستخدمها في آخر النَّص.

ثانياً: أنَّه لا يرى بأساً من الاستدلال بها، حيث يبرِّر عدم استخدام الصحابة لهذه الأدلّة، أنَّهم لم تكن البدع قد انتشرت، فلم يحتاجوا لمثل ذلك[4].

يقول رحمه الله:"وإن أمكنك أن تعرف معبودك بدون اشتغال بهذه الألقاب والعبارات فلا حرج عليك. ومثالك مثال رجل يقول: إنَّ الصحابة كانوا إذا أرادوا أن يقصدوا مكَّة لا يدخلون الكوفة؛ لأنَّها لم تكن على طريقهم، لأنَّ مقصدهم حضور عرفات، لا لأنَّ دخول الكوفة بدعة، فكذلك ههنا، إن كانوا تركوا التأويل، ما تركوه لكونه محضوراً، وإنَّما تركوه لأنَّ هذه الشُّبه والبدع التي ظهرت في هذا الوقت، لم تكن في ذلك تفتقر إلى التأويل، بخلاف

---

١ . يُنظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ٣٤٧ .

٢. الصفدية (١/ ٢٥٠).

٣. صيد الخاطر (٢٧٨-٢٧٩).

٤. يُنظر: مجالس ابن الجوزي (١٢).

هذا الوقت، فإنَّ البدع فيه قد ظهرت، والشُّبه فيه قد انتشرت، فنتحاج فيه إلى التأويل؛ لدحض شبهة التشبيه والتعطيل... ثمَّ أقول: وكيف يمكن أن يقول: ما لم تتكلَّم فيه الصحابة يكون بدعة؟ وكثيرٌ من العلوم الشرعية، ومن الأقيسة الفهمية، وعلوم العربية إلى غير ذلك لم يتكلَّموا فيه. ولا يقال إنَّ ذلك بدعة. فإن قلت: إنَّهم تكلّموا في الفقه، ولكنَّهم ما استعملوه بهذه الألقاب من الطَّرد والعكس وقياس الخلف وقياس الشَّبه. فكذلك أقول: تكلَّموا بالتوحيد ولم يستعملوه بذكر الجسم والجوهر والعرض"[١].

وهنا نلاحظ أنَّه يرى رحمه الله أن لا حرج للشخص إذا تكلَّم في التوحيد من استخدام هذه المصطلحات، وأنَّ الصحابة وإن لم يتكلَّموا عنها، إلا أنَّهم لم يحتاجوا إليها، وشبَّه هذه المصطلحات، بمصطلحات الفقهاء وعلماء العربية.

وما ذكره رحمه الله فيه تردد، وذلك لأمور:

٤. المصطلحات الفقهية لم يحدث فيها خلاف بين العلماء في استخدامها، بخلاف مصطلحات علم الكلام، التي أحدثت الفتنة بين المسلمين.

٥. أنَّ ما ذكره من مصطلحات استخدمها علماء الكلام، إن كان مراده رحمه الله من تعلمها الردّ على من خالف منهج السلف رحمهم الله، فلا إشكال في ذلك، ولهذا يذكر ابن القيم رحمه في نونيته بأنَّ الإمام ابن تيمية رحمه الله تعلَّم هذه المصطلحات ليرد على المخالفين من أهل البدع[٢] يقول رحمه الله:

ومن العجائب أنَّه بسلاحهم******أرداهم تحت الحضيض الدَّاني

كانت نواصينا بأيديهم فما******منَّا لهم إلا أسيرٌ عان

فغدتْ نواصيهم بأيدينا فما******يلقوننا إلا بحبل أمان

وغدت ملوكهم مماليكا لأنصـ******ـار الرسول بمنة الرحمن

وأتت جنودهم التي صالوا بها******منقادة لعساكر الإيمان

وإن كان مراده تقرير العقيدة بها فهذا من أوضح البطلان.

٦.أنَّ هذه المصطلحات استخدمها أهل البدع لنفي صفات الله، ولهذا يقول الإمام الدارمي رحمه الله لبشر المريسي:"وأمَّا تكريرك وتهويلك علينا بالأعضاء والجوارح، وهذا ما يقوله مسلم،

---

١. مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنيَّة (١٢-١٣).

غير أنَّا نقول كما قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾الرحمن:٢٦-٢٧ أنَّه عنى به الوجه الذي هو الوجه عند المؤمنين"[١].

ولعلَّ بهذه المصطلحات كانوا يناظرون الإمام أحمد رحمه الله، حيث يقول:" لقد احتجوا علي بشيء ما يقوى قلبي، ولا ينطلق لساني أن أحكيه"[٢]. ويقول رحمه الله أيضاً:"فجعلوا يناظروني، فأردّ عليهم، فإذا جاؤوا بشيءٍ من الكلام ممَّا ليس في الكتاب والسنَّة، قلت: ما أدري ما هذا"[٣]. فإنَّ المسلم الذي يسمع بهذه المصطلحات لأول مرة، يقشعر منها بدنه، وكيف يليق هذا بالله سبحانه وتعالى.

٧. إنَّ الناظر لابن الجوزي يجد تأثره رحمه الله بهذه المصطلحات واضحاً، حتى خرج لا أقول عن مذهب السلف، بل عن مذهب إمامه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي هو امتداد لما عليه السلف رحمهم الله.

٨. يحمل كلامه على ذمُّه لعلم الكلام، و"إقلاع متيقظي المتكلمين عما كانوا عليه، لما رأوا من قُبح غوائله"[٤]. ولهذا ينقل عن الصحابة رضوان عليهم أنَّهم لم ينقل عنهم أنَّهم تكلَّموا في تلاوةٍ ومتلوّ، وقراءةٍ ومقروء[٥].

وهذا يقودنا للحديث عن ذمِّ ابن الجوزي رحمه الله لعلم الكلام، والتحذير منه.

لقد حذَّر ابن الجوزي رحمه الله من الخوض في علم الكلام، وذكر رجوع أربابه عنه، وأنَّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ما عرفوه.

ولقد عقد فصلاً في كتابه تلبيس إبليس باباً بعنوان (ذكر تلبيس إبليس على أمتنا في العقائد والديانات) ثُمَّ ذكر تحته فصلين، الأول في المقلِّدة، والثاني في الذين خاضوا في علم لا يُدرك غوره، أو يعجز خائضه في الوصول إلى عمقه[٦].

---

١. نقض الدارمي على المريسي (٢/٧٠٨-٧٠٩).
٢. سير أعلام النبلاء (١١/٢٤٧).
٣. سير أعلام النبلاء (١١/٢٤٩).
٤. تلبيس إبليس (٤٩٧).
٥. يُنظر: صيد الخاطر (١١٩).
٦. يُنظر تلبيس إبليس (٤٨١).

ثمَّ هو يرى أنَّه لا يستفاد منه، فيقول رحمه الله:"ولم يسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً، ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلا ثم يرد الصحيح عليلا فأمسكوا عنه ونهوا عَن الخوض فيه"[1]. فهو يرى أنَّه لا يشفي غليلاً، بل قد يجعل الصحيح عليلاً، إذاً ما الفائدة منه؟. الفائدة ما تقدَّم ذكره من أنَّه يستخدم للردِّ على أرباب الكلام بنفس السلاح الذي رموا به، وإن كان رحمه الله كما ذكر عنه ابن رجب بأنَّه لم"يكن خبيراً بحلِّ شبهة المتكلمين، وبيان فسادها"[2]، ولهذا وقع رحمه الله فيما حذَّر منه علماء المسلمين، وهو تأويل صفات الله عزَّوجلَّ، أو تفويضها، حتى نقم عليه جماعة من العلماء[3]، حتى أرسل له الإمام إسحاق العلثي رحمه الله رسالة يحذرها فيها عن انتهاج مسلك أهل التأويل، والبعد عن مذهب الإمام أحمد رحمه الله، الذي هو امتداد لمنهج سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين.

يقول الإمام الذهبي رحمه الله:"فليته لم يخض في التأويل، ولا خالف إمامه"[4].

---

١. تلبيس إبليس (٤٨٨).

٢. ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٨٧).

٣. المصدر السابق.

٤. سير أعلام النبلاء (٢٢/٢٨٨).

الفصل الأول: آراؤه في مسائل الإيمان ومسائل الإيمان بالله، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان.

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالله عزَّ وجلَّ.

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان، وفيه خمس مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الإيمان.

المطلب الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الثالث: مرتكب الكبيرة.

المطلب الرابع: الاستثناء في الإيمان.

المطلب الخامس: حكم أهل الفترة.

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان، وفيه مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الإيمان:

إنَّ القارئ لكلام ابن الجوزي رحمه الله في حقيقة الإيمان يجد تناقضاً في كلامه عن الإيمان وحقيقته.

ففي الوقت الذي يقرِّر أنَّ أفعال الجوارح ليست إيماناً حقيقة، وأنَّ الإيمان هو تصديق القلب، نجدُه يجعل العمل من الإيمان.

بالمقابل نجدُه يقرِّر خلاف ذلك، وأنَّ الإيمان قول وعمل، وأنَّ الإيمان الشرعي هو ما اشتمل عليه الاعتقاد والقول والعمل، وأنَّ الأعمال داخلة في مسمَّى الإيمان.

والذي يظهر أنَّ هذا يرجع لأحد أمرين والله أعلم:

الأول: ما قرَّره من أنَّ الإيمان تصديق فقط، وإخراجه للعمل من مسمى الإيمان، أنَّ هذا كان في بداية أمره ثمَّ رجع عنه، وهذا قرَّره في كتابه المنظوم والمنثور، والمتأمل لهذا الكتاب يجده من أول ما ألَّف رحمه الله، وذلك أنَّ من عادة ابن الجوزي رحمه الله أنَّه يحيل على كتبه، ويذكر في مؤلفاته بعض كتبه ويحيل عليها، ولم أجد ذلك في كتابه هذا.

الثاني: أنَّه من خلال كلامه في تعريف الإيمان يذكر أنَّه هو التصديق، وأنَّ العمل ليس منه، ولكنَّه من لوازمه وعلاماته ودلائله وثمراته وشروطه، والسبب في ذلك أنَّ ابن الجوزي رحمه الله نظر للمعنى اللُّغوي للإيمان، وأنَّ الأفعال لا تدخل فيه لغةً، فجعل الإيمان خارجاً عنه لغةً، بمعنى أنَّ الإيمان متعلِّق بالقلب، إذ معنى الإيمان في اللغة التصديق، والتصديق يكون بالقلب، والإسلام متعلِّق بالانقياد والخضوع، وهما للجوارح، وذلك يكون بالعمل، ولهذا عندما يتكلَّم عن الفرق بين الإسلام والإيمان يرى بأنَّهما متباينين، وأنَّ الإيمان هو ما يتعلَّق بالقلب، والإسلام ما يتعلَّق بالجوارح، معتمداً في ذلك على حديث جبريل عليه السلام، وبسبب هذا، قد يفهم البعض أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى أنَّ العمل ليس من الإيمان.

والآن سأُورد من النُّصوص، ما يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّه يرى أنَّ العمل داخلٌ في الإيمان.

يقول في بداية كتابه زاد المسير:"الإيمان في اللغة: التصديق، والشرع أقرَّه على ذلك، وزاد فيه القول والعمل"[1] فهو يذكر هنا حقيقتين، حقيقة لُغوية، وأنَّ المراد بالإيمان التصديق، وحقيقة شرعيَّة، وهي أنَّ الإيمان شرعاً هو التصديق والقول والعمل. وإن كان الصحيح حمل اللفظ على الحقيقة الشرعية مقدَّم على الحقيقة اللُّغويَّة[2].

ويقول في نزهة الأعين النواظر في إطلاقات الإيمان في القرآن:"والرابع: الإيمان الشرعي[3]، وهو ما جمع الأركان الثلاثة المذكورة، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾البقرة:٢٥.

والخامس: الصلاة ومنه قوله تعالى في البقرة﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ ﴾ البقرة:١٤٣أي: صلاتكم إلى البيت المقدس"[4].

فهو يرى بأنَّ الإيمان من حيث اللُّغة يختلف عن الإيمان الشرعي، وذلك أنَّ الإيمان الشرعي هو التصديق، ويضاف إليه ما أضافه الشرع من شعائر وعبادات. يقول في قوله تعالى:﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ الشورى:٥٢:"{ولا الإيمان} يعني: شرائع الإيمان ومعالمه، وكلُّ ذلك إيمان"[5].

ويقول:"الإيمان في اللغة: التصديق. ويطلق في الشرع على ثلاثة أشياء: الإقرار باللسان، والاعتقاد بالقلب، وهو طمأنينة النفس إلى صدق ما حصل الإقرار به. والعمل بالأعضاء بمقتضى ما صدق به بإقراره واعتقد بقلبه"[6].

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ ﴾البقرة:١٤٣قال:"أي: صلاتكم"[7].

---

١. زاد المسير (١/٢٤).

٢. ينظر أضواء البيان (٦/١٩٥).

٣. يقول ابن كثير رحمه الله:"فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملا". تفسير ابن كثير (١/١٦٥).

٤. (١٤٦).

٥. تذكرة الأريب (٢/١٤٢).

٦. نزهة الأعين النواظر (١٤٥).

٧.تذكرة الأريب (١/٦٣).

ويقول في قوله ﷺ:((إنَّ الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله))[1]:"وظاهر الحديث أنَّ مجرَّدَ القولِ يدفعُ عذابَ النار ولو ترك الصلاة"[2]. وما هذا إلا لأنَّه يرى ترك الصلاة كفر، ولهذا يقول في موضع آخر:"مع أنَّ ترك صلاةٍ واحدةٍ يخرج إلى الكفر"[3]. وهذا من أوضح النصوص لابن الجوزي رحمه الله، والتي تدلُّ على أنَّه يرى أنَّ العمل شرط في الإيمان، وإلا ما كفَّر بترك صلاة واحدةٍ عمداً.

ويقول رحمه الله:"فأمَّا كلمة الكفر، فهي بسبِّهم رسول الله ﷺ، وطعنهم في الدين"[4]. فيرى رحمه الله أنَّ السبَّ، والطعن في الدين، من أسباب خروج الشخص من الإيمان إلى الكفر، فلو كان يرى بأنَّ الإيمان هو التصديق فقط، لما جعل سبَّ النبي ﷺ والطعن في الدين من نواقض الإيمان.

ويقول في قوله تعالى﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾البقرة: ١٤٣:"والإيمان المذكور هاهنا نريد به: الصلاة في قول الجماعة. وقيل إنَّما سمَّى الصلاة إيماناً: لاشتمالها على قول، ونية، وعمل"[5]. وهذا هو الإيمان عند أهل السنة.

ويقول في قوله تعالى:﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾الأنفال:٤:"أي: هم الذين حقَّقُوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنُّصرة، بخلاف من أقام بدار الشرك"[6].

ويقول رحمه الله أيضاً عند قوله تعالى:﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾الحجرات:١٤:"قال الزجاج[7]: الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به رسول الله

---

١. رواه البخاري برقم: (٤٢٥)، ومسلم برقم: (٣٣).

٢. كشف المشكل (١١٠/٢).

٣. منهاج القاصدين (٤٦٩/١).

٤. زاد المسير (٤٧١/٣).

٥. زاد المسير (١٥٥/١- ١٥٦).

٦. زاد المسير (٣٨٧/٣).

٧. إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج. كان فاضلاً ديناً حسن الاعتقاد. وله المصنفات الحسنة، منها كتاب معاني القرآن من ندماء الخليفة المعتضد. مات سنة ٣١١هـ. سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤)، والبداية والنهاية (٥/١٧).

ﷺ، وبذلك يُحقن الدَّمُ، فإن كان معه اعتقاد، وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان"[1]. فلاحظ قوله "فإن كان معه"أي: مع الخضوع والقبول" اعتقاد، وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان" والمراد بالخضوع، الأعمال التي يخضع الإنسان لله بعملها.

وعند قوله تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾الليل:١٤-١٥ يقول رحمه الله:"قال الزجاج: وهذه الآية، من أجلها زعم أهل الإرجاء أنَّه لا يدخل النار إلا كافر، وليس الأمر كما ظنوا، هذه نار موصوفة بعينها، ولأهل النار منازل، فلو كان كل من لا يشرك لا يعذب، لم يكن في قوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾النساء:٤٨ فائدة، وكان [ويغفر مادون ذلك] كلاماً لا معنى له"[2]. فهو يرى أنَّ المرء يعذَّب بما دون الشرك من كبائر الذنوب وصغارها، سواءً كانت المعصية فعلاً محرماً، أو ترك واجب، خلافاً للمرجئة.

ويقول في حديث ((الإيمان بضع وستون شعبة))[3]:"والمراد بهذه الخصال، أصول الخير من الأقوال والأفعال، والإيمان إنما هو تصديق القلب، وهذه الخصال تنبعث عنه فسميت إيماناً"[4].

ويذكر من فرق المرجئة[5]، فرقة "الشاكية قالوا: إنَّ الطاعات ليست من الإيمان"[6]. فهو يرى أنَّ من يقول بأنَّ الطاعات ليست من الإيمان، فهو مرجيء، كما تقوله الشاكية من المرجئة.

ويقول:"فكلُّ من زعم أنَّه مؤمن بالله عزَّ وجلَّ وكتابه، ولم يجعلِ الْعمل الصالح وقايةً بينه وبين عذابه، فقد تعرَّض لهلاكه وعقابه"[7].

---

١. زاد المسير (٤٧٦/٧).

٢. زاد المسير (١٥١/٩-١٥٢).

٣. رواه البخاري برقم: (٩)، ومسلم برقم: (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤. كشف المشكل (٤٥٦/٣).

٥. مأخوذة من الإرجاء هو التأخير، وسموا بذلك لأنَّهم يؤخرون العمل عن مسمَّى الإرجاء.وهم طوائف عدَّة، أشدهم غلوا الجهمية، وأخفهم مرجئة الفقهاء. الملل والنحل(١٣٩/١)، الفرق بين الفرق (١٩٠)، مقالات الإسلاميين (١٣٢).

٦. تلبيس إبليس (١٨٦/١).

٧. بستان الواعظين (٢٤٠).

وفي قوله ﷺ:((لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله))[1]مع أنَّ الموحدين يدخلون النار، فيذكر أنَّ له ثلاثة أجوبة منها:"والثاني: أنَّه خرج مخرج الغالب، والغالب على الموحد أن يعمل بما شهد به، فلا يدخل النار لتصديق قوله بفعله"[2]. فهو يرى أنَّ الغالب في الموحد أن يقرن التصديق بالعمل، وأنَّه لا يدخل النار بسبب الفعل الذي يصدِّق إيمان القلب.

ويقول في أهمية الصلاة:"وإنَّما يحافظ عليها من يعرف قدرها، ويرجو أجرها، ويخاف العقاب على تركها، وهذه صفة المؤمن، وإنَّما يتوانى عنها ناقص الإيمان إن تكاسل، وكافر إن تهاون"[3]. فلاحظ أنَّه جعل المواظبة عليها من صفات المؤمنين، وأنَّ تارك الصلاة تهاوناً يكفر صاحبه، وهذا دليل على أنَّه يرى بأنَّ الأعمال داخلةٌ في الإيمان، وإلا ما كفَّر تارك الصلاة تهاوناً.

فهذه النُّصوص تدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّه يرى أنَّ العملَ داخلٌ في مسمَّى الإيمان، وأنَّ الإيمان الشرعي هو ما جمع الاعتقاد والقول والفعل، وأنه لا نجاة للعبد إلا بالعمل الصالح.

وكيف أنَّه جعل الصلاة إيماناً، وأنَّ من ترك صلاة واحدةً كفر، وغير ذلك من الأقوال التي تدل على أنَّ العمل داخل في الإيمان.

- هل ابن الجوزي رحمه الله يرى برأي مرجئة الفقهاء؟

الجواب: أنَّه ليس على مذهب مرجئة الفقهاء والله أعلم؛ وذلك لأنَّ الفرق بين مرجئة الفقهاء وبين السلف، أنَّ مرجئة الفقهاء ينكرون دخول الأعمال في الإيمان[4]، وينكرون زيادة الإيمان ونقصانه والتفاضل فيه[5]، وينكرون كذلك الاستثناء[1]، والإمام ابن الجوزي رحمه الله

---

١. لم أجده بهذا اللفظ، والوارد ما رواه البخاري برقم: (٤٢٥)، ومسلم برقم: (٣٣) من حديث عتبان رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال:((فإنَّ الله قد حرَّم على النَّار من قال: لا إله إلا الله، يبْتغي بذلك وجهَ الله)).

٢. كشف المشكل (٥٧/٢).

٣. الياقوتة (١٣٣).

٤. يُنظر: حماد بن أبي سليمان ومذهبه في الإيمان، مجلة جامعة أم القرى، عدد (٣٦) صفحة (٢٤٩)، وكتاب الإيمان من صحيح مسلم دراسة وشرح (١١١).

٥. يُنظر: حماد بن أبي سليمان ومذهبه في الإيمان، مجلة جامعة أم القرى، عدد (٣٦) صفحة (٢٥٠-٢٥١) كتاب الإيمان من صحيح مسلم دراسة وشرح (١١١).

كما تقدَّم معنا يرى دخول الأعمال في مسمَّى الإيمان، كما أنَّه يقرِّر مسألة التفاضل والزيادة في الإيمان ونقصانه على مفهوم أهل السنة والجماعة، وكذلك يرى بالاستثناء على ما سيأتي بيانه بعد قليل إن شاء الله.

إلا أنَّ هناك بعض العبارات والأقوال لابن الجوزي توهم أنَّ العمل غير داخل في الإيمان، وأنَّه على مذهب مرجئة الفقهاء.

يقول ابن الجوزي رحمه الله:"فإن قيل كيف جعل الحياء -وهو غريزة- من الإيمان الذي هو اكتساب؟. فقد أجاب ابن قتيبة[2] فقال: لأنَّ المستحي ينقطع بالحياء عن المعاصي، وإن لم يكن له تقى. فصار كالإيمان الذي يقطع عنها"[3].

ويقول أيضاً رحمه الله في غريبه:"قوله:((الحياء من الإيمان))[4]؛ لأنَّ المستحيَ يَنقبِضُ عن المعاصي، وعن كلِّ ما يؤذي، كما يَنقبِضُ الإيمانُ"[5]، فيلاحظ هنا أنَّه لم يجعل الحياء من الإيمان، خاصَّة قوله:"فصار كالإيمان"أي: أنه ليس من الإيمان.

وهذا والله أعلم لا إشكال فيه؛ لأنَّ تفسير الحياء الذي نقله ابن الجوزي رحمه الله عن ابن قتيبة هو الحياء من الناس، وأنَّ الشخص الذي ردَّه الحياء عن فعل المعصية، ليس هو حياؤه من الله سبحانه، والذي يعتبر من أعمال القلب، بل هو حياؤه من الناس، ولهذا لا يثاب على تركه لهذه المعصية؛ لأنَّه لم يتركها لله.

كذلك قد يكون الحياء مذموماً، إذا كان عدم إنكاره لمنكرٍ ما، أو حياؤه في طلب العلم وسؤال أهل العلم.

يضاف إلى ذلك، أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يلاحظ عنه أنَّه أحياناً يورد إشكالاً ويذكر جواب بعض أهل العلم عنه ولا يُعقِّب عليه، وإن كان هو لا يرى بهذا الجواب.

---

١. يُنظر: حماد بن أبي سليمان ومذهبه في الإيمان، مجلة جامعة أم القرى، عدد (٣٦) صفحة (٢٥٤) كتاب الإيمان من صحيح مسلم دراسة وشرح (١١١).

٢. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد. من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين منها: تأويل مختلف الحديث، وعيون الأخبار، ومشكل القرآن، وتفسير غريب القرآن. ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي سنة ٢٧٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٣-٢٩٦)، البداية والنهاية (١٤/٥٩٦).

٣. كشف المشكل (٢/٤٩٧).

٤. رواه البخاري برقم: (٢٤)، ومسلم برقم: (٣٦) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

٥. غريب الحديث (١/٢٥٧).

ولو نظرنا إلى ما اشتهر ابن الجوزي رحمه من الوعظ، ونصحه للناس، نجد أنَّ سوقه لن تروج إذا كان يخرج العمل عن مسمَّى الإيمان.

وما ذهب إليه ابن الجوزي رحمه الله، هو ما عليه أهل العلم من السلف رضوان الله عليهم، من أنَّ العمل داخلٌ في مسمَّى الإيمان، ومِنْ أنَّ أصل الإيمان في القلب، وأنَّ العمل لازم له، وأنَّه إذا انتفى جنس العمل انتفى الإيمان.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظاهرة لازمة لذلك، لا يتصوَّر وجود إيمان القلب الواجب، مع عدم جميع أعمال الجوارح"[1].

ويقول رحمه الله أيضاً:"فأصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحبِّ والانقياد، وما كان في القلب فلا بدَّ أن يظهر موجبُه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعملْ بموجبه ومقتضاه، دلَّ على عدمه أو ضعفه"[2].

ويقول رحمه الله أيضاً:"الأعمال في الأصل ليست من الإيمان، فإنَّ أصل الإيمان هو ما في القلب، ولكن هي لازمة له، فمن لم يفعلْها كان إيمانُه منتفياً؛ لأنَّ انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم، لكن صارت بعرف الشارع داخلةً في اسم الإيمان إذا أُطلق"[3].

ولهذا إذا تعذَّر التصديق سقط الإيمان كلُّه، بخلاف العمل فإنَّه قد يدخله التفصيل، فإن التصديق يقابله التكذيب.

ويقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله:"والعادة المقرَّرة عند العلماء: أنَّ الإيمان إذا جاء مطلقاً ولم يعطف عليه العمل الصالح، فهو يشمل الإيمان من الجهات الثلاث: يشمل إيمان القلب بالاعتقاد، وإيمان اللسان بالإقرار، وإيمان الجوارح بالعمل. وإذا عطف عليه العمل الصالح، كقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾يونس:٩ وقوله هنا:﴿ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ ﴾ الأنعام:٤٨ انصرف الإيمان إلى ركنه الأكبر، وهو الاعتقاد القلبي، وصار الإصلاح بعده يراد به الأعمال، كما قال تعالى هنا:{فمن آمن وأصلح} آمن قلبه وأذعن

١. مجموع الفتاوى (١٩٨/٧).

٢. مجموع الفتاوى (٦٤٤/٧).

٣. مجموع الفتاوى (٢٠٢/٧).

واعتقد ما يجب اعتقاده إثباتاً ونفياً، وأصلح – مع ذلك الإيمان القلبي– عمله بجوارحه{فمن آمن وأصلح}آمن قلبه، وأصلح عمل جوارحه"[1].

١. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/٢٨٣).

المطلب الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه:

إنَّ من معتقد أهل السنة والجماعة، اعتقادهم بأنَّ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بطاعة الله سبحانه وتعالى، وينقص بمعصيته. وهي من أهم مسائل الإيمان، ولقد أفردها شيخ الإسلام رحمه الله برسالة مستقلَّة في مجلد[1].

يرى ابن الجوزي رحمه الله في نصوص واضحة، أنَّ الإيمان يزيد وينقص، ولهذا يذكر في مواعظه، أنَّ الطاعة تزيد العبد قرباً إلى الله، والمعصية تبعده عن ربِّه ومولاه.

يقول رحمه الله:"لأنَّ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بطاعة الله، وينقص بمعصية الله"[2].

ويقول في تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا ﴾التوبة: ١٢٤ :"لأنَّهم إذا صدقوا بها وعملوا بما فيها، زادتهم إيماناً"[3]. فجعل زيادة إيمانهم مرتبطة بالتصديق والعمل.

ويرى أنَّ الناس يتفاضلون في الجنَّة، بقدر أعمالهم في الدنيا. يقول رحمه الله:"ومعلوم أنَّ تلك المنازل -أي في الجنَّة- إنما تكون على قدر الاجتهاد هاهنا"[4]. والاجتهاد يكون في الأعمال كالصلاة، وقيام الليل، والصيام وغيرها من العبادات، فكلَّما اجتهد العبد في الطاعة، نال المنازل العلى في الجنَّة، ممَّا يدل على أنَّه يرى زيادة الإيمان ونقصانه.

ويقول رحمه الله:"وليُعلم أنَّ زيادة المنازل في الجنَّة، على قدر التَّزيُّد من الفضائل هاهنا"[5].

ويقول في شرحه لقوله ﷺ:((لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان))[6]:"وقد دلَّ هذا على تفاضل الناس في الإيمان"[7].

---

١. يُنظر: أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣).

٢. بستان الواعظين (١١٤).

٣. زاد المسير (٥١٩/٣).

٤. صيد الخاطر (٤٣٤).

٥. صيد الخاطر (٣٦٨).

٦. رواه مسلم برقم: (٩١) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

٧. كشف المشكل (١٣٧/٣).

ويقول في قوله تعالى:﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾الفتح:٤:"وذلك أنَّه كلَّما نزلت فريضة، زاد إيمانهم"[١].

وينقل عن الإمام البخاري رحمه الله، أنَّه قد "رُفع إليه كتاب من محمد بن كرَّام[٢] يسأله عن أحاديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبيه قال:(الإيمان لا يزيد ولا ينقص)، فكتب محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله على ظهر كتابه:من حدَّث بهذا استوجب الضرب الشديد، والحبس الطويل"[٣].فهو يرى ضعفَ الأحاديث التي تدلُّ على عدم زيادة الإيمان ونقصانه، وأنَّ من يروي ذلك يستوجب الضرب والحبس الطويل كما ينقله عن الإمام البخاري رحمه الله، ممَّا يدلُّ على أنَّه يرى بأنَّ الإيمان يزيد وينقص.

ويقول رحمه الله:"يا مضيِّعَ الزَّمان فيما ينقص الإيمان"[٤]. إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على أنَّه يرى بأنَّ الإيمان يزيد وينقص.

ويلاحظ هنا أمران:

الأول: أنَّ مراده بالزيادة والنقصان في الإيمان، هو أنَّه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما هو واضح، بخلاف الذين أوَّلوا معنى الزيادة والنقصان بغير ذلك؛ وأوَّلوا ما ورد في الكتاب والسنَّة من الأدلة التي تدلُّ على زيادة الإيمان ونقصانه بخلاف ما تقدَّم، فذكروا أنَّ المراد بالزيادة، زيادة الثمرة وهو الطاعات، وأنَّ الواجب على بعض المكلَّفين أكثر من بعض[٥].

١. زاد المسير (٧/٤٢٥).

٢. محمد بن كرَّام بن عراق بن حزابة بن البراء، أبو عبد الله السجستاني. المتكلِّم الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية. يقول الذهبي رحمه الله: "التقط من المذاهب أرداها، ومن الحديث أهواها". توفي سنة ٢٥٥هـ. سير أعلام النبلاء (١١/٥٢٣)، والبداية والنهاية (١٤/٥١٥).

٣. الموضوعات (١/٨٦).

٤. التبصرة (١/٣٠)، (٢/٨٣).

٥. يُنظر أقوالهم في ذلك: شرح المقاصد للتفتازاني (٢/٢٦٢-٢٦٣)، وزيادة الإيمان ونقصانه (٣٩٧-٤٢٤)، وكتاب الإيمان من صحيح مسلم دراسة وشرح (١/١٨٨).

الثاني: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا ﴾الفتح:٤ :"كلَّما نزلت فريضة زاد إيمانهم"[١] دليلٌ على أنَّه يرى بأنَّ التصديق يتفاضل؛ وذلك لأنَّ زيادة الإيمان هنا بسبب إيمانهم بنزول فريضة من فرائض الله.

ويقول في قوله تعالى ﴿ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾النحل:١٠٢ :"بما فيه من البيِّنات فيزدادوا يقيناً"[٢] أي أنَّ اليقين -وهو من أعمال القلوب- يزداد. وهذا خلاف ما عليه مرجئة الفقهاء والمتكلمين[٣].

والقول بزيادة الإيمان ونقصانه، هو مذهب أهل السنة والجماعة.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:"وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية — يقصد قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ الأنفال:٢ – وأشباهها على زيادة الإيمان ونقصانه في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد"[٤].

ويقول الإمام النووي رحمه الله مبيِّناً أنَّ التصديق يتفاضل:"والناس يتفاضلون في تصديق القلب على قدر علمهم ومعاينتهم، فمن زيادته بالعلم قوله تعالى ﴿ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ التكاثر:٧، فجعل له مرتبةً على علم اليقين، والله أعلم"[٥].

ويقول الحافظ رحمه الله في الفتح معقباً:"ويؤيده أنَّ كل أحد أنَّ ما في قلبه يتفاضل، حتى إنَّه يكون في بعض الأحيان، الإيمان أعظم يقيناً، وإخلاصاً، وتوكلاً منه في بعضها"[٦].

---

١. زاد المسير (٧/٤٢٥).

٢. زاد المسير (٤/٤٩١).

٣. ينظر: كتاب الإيمان من صحيح مسلم دراسة وشرح (١/١٨٧).

٤. تفسير ابن كثير (٤/١٢).

٥. ينظر: زيادة الإيمان (١٤١).

٦. فتح الباري (١/٤٦) ينظر: زيادة الإيمان ونقصانه (١٤١-١٤٢)،وكتاب الإيمان من صحيح مسلم دراسة وشرح (١/١٨٧).

المطلب الثالث: مرتكب الكبيرة:

لقد تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله عن مسألة مرتكب الكبيرة، وقرَّرها في أكثر من موضع، حتى إنَّه عقد مجلساً في كتابه المنظوم والمنثور، وتكلَّم فيه عن هذه المسألة وأسهب فيها، وذكر فيها قول أهل السنة، ثمَّ أقوال أهل القبلة فيها ، ثمَّ ذكر نشأة هذه المسألة، ثمَّ عرَّج على شبه القوم والرَّد عليها، وبعد ذلك استدل من الكتاب والسنة والعقل على مذهب السلف.

وبناءً على ما تقدم فسأعرض المسألة بترتيب ابن الجوزي رحمه الله، وبنقل ما في المنظوم والمنثور، ثمَّ أذكر أقواله من كتبه الأخرى.

يقول رحمه الله:"المجلس السابع والأربعون: سؤال في قوله تعالى:﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾النساء:٩الآية، هل يكفر المؤمن بالكبائر حتى يقال بخلوده في النَّار أم لا؟ الجواب: اعلم أنَّ المؤمن لا يكفر بارتكاب الكبائر، بل هو مؤمن بإيمانه، فاسق بفسقه"[١].

ثمَّ يعرض أقوال المخالفين للسلف في هذا الباب، فيقول:"وقالت الخوارج[٢]: يكفر بارتكاب الكبائر، ويزول عنه الإيمان، وقال بعضهم: يصير منافقا.

وقالت القدرية[٣] والمعتزلة: يخرج عن الإيمان ولا يدخل في الكفر، ويكون في منزلة بين منزلتين... قالوا: فإن تاب ورجع دخل الجنَّة، وإن لم يتب حتى مات دخل في حيز الكفر ويخلد في النار"[٤].

---

١. المنظوم والمنثور (٨٠٤).

٢. الخوارج: سُمُّوا خوارج بسبب خروجهم على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. وهي عشرون فرقة. من أقوالهم: تكفيرهم عثمان وعلي رضي الله عنهما، والخروج على الحاكم الظالم، كفرهم مرتكب الكبيرة على تفصيل بينهم. الملل والنحل (١/١١٤)، دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين (٥١).

٣. القدرية: سموا قدرية بسبب نفيهم للقدر، وأنَّ أفعال العباد مخلوقة، وأنَّ ما شاءه العبد كان، وأول من قال تلك المقالة سوسن النصراني، فأخذها عنه معبد الجهني، ثمَّ أخذها عنه غيلان الدمشقي. وممن تبنى القول بالقدر المعتزلة والزيدية، وضموه إلى بدعهم ومقالاتهم. الفرق بين الفرق (١٤)، التبصير في الدين (٢١)، الملل والنحل (١/٤٧)، الانتصار في الرد على القدرية الأشرار (١/٦٢-٧٤) من مقدمة المحقق.

٤. المنظوم والنثور (٨٠٤).

ثمَّ تطرق عن بداية هذا الأمر ونشأته، فقال:"وأولُ من أحدث ذلك واصل بن عطاء[1]، فاعتزل الأمة وسمي معتزلاً، وسميت المعتزلة بذلك"[2]، ولهذا نجد ابن الجوزي رحمه الله يصفه بأنه: رئيس المعتزلة، فهو الذي أنشأ هذا المذهب[3].

ثمَّ بدأ بذكر شبه المخالفين، وهي ثلاثة:

الشبهة الأولى: تمسُّكهم بقوله تعالى:﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا** ﴾ النساء:٩٣ والتخليد في النار إنَّما يكون لكافر[4].

وقد أجاب عنها في عدَّة مواضع من كتبه، منها:

الوجه الأول: إجماع الصحابة على أنَّ المراد به استحلال القتل[5].

الوجه الثاني: أن المراد بالخلود هاهنا، طول المكث لا الأبد. يقول رحمه الله:"وهذا معروف في عرف اللسان لا إشكال فيه، يقال: خلد الأمير واليا في الحبس، إذا طال مكثه في حبسه، ويقال خلد الله ملكك أيها الملك، أي: إلى مدة كثيرة الأزمنة"[6].

الوجه الثالث: أنَّها "هي مخصوصة في حق من لم يتب، واستدلوا بقوله تعالى في الفرقان: ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾الفرقان:٧٠"[7]. وهذا التخريج غير جيد؛ لأنَّ الكلام في هذه المسألة في حق من أتى كبيرةً ومات عليها دون أن يحدث توبة، أمَّا من تاب تاب الله عليه.

---

١. واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي مولاهم، البليغ، الأفوه، كان يلثغ بالرَّاء غينا، فلاقتداره على اللغة، وتوسّعه يتجنَّب الوقوعَ في لفظة فيها راء. طرده الحسن البصري رحمه الله حينما قال الفاسق لا مؤمن ولا كافر. سير أعلام النبلاء (٥/٤٦٤)، وميزان الاعتدال (٤/٣٢٩).

٢. المنظوم والمنثور (٨٠٤).

٣.أخبار النساء (١/٢٣٧). وفي المنتظم يقول عنه:"من رؤساء الاعتزال". (٧/٢٩٢). وقد كفَّره، فقال في الضعفاء والمتروكين:"رجل سوء كافر" (٣/١٨١). وحكمُه هذا، قاله أبو الفتح الأزدي رحمه الله. يُنظر: ميزان الإعتدال (٧/١١٨).

٤. المنظوم والمنثور (٨٠٥).

٥. المنظوم والمنثور (٨٠١). يُنظر: زاد المسير (٢/١٦٨)، تذكرة الأريب (١/٧٠)، نواسخ القرآن (١٣٨). وحكاية الإجماع هذه فيها نظر؛ لأنَّ العلماء مختلفين في معنى الخلود. تفسير ابن كثير (٢/٣٧٧-٣٨٠).

٦. المنظوم والمنثور (٨٠٦). يُنظر: المحرر الوجيز (٢/٦٥)،وأضواء البيان (١/١٥٣)، وتفسير ابن كثير (١/٥٣٨).

٧. زاد المسير (٢/١٦٨).يُنظر: نواسخ القرآن (١٣٨).

الوجه الرابع: أنَّ آية الفرقان نسختها[1].

الوجه الخامس: أنَّها منسوخةٌ بقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء:٤٨[2].

الشبهة الثانية: ومن استدلالاتهم التي ذكرها ابن الجوزي رحمه الله في أنَّ مرتكبَ الكبيرة مخلدٌ في نار جهنَّم، قوله ﷺ:((من شرب سمَّاً فتحسَّاه فقتل نفسه، فهو يتحسَّاه في نار جهنَّم خالداً فيها))[3].

فإنَّه أجاب عنها من عدة أوجه:

الوجه الأول: أنَّ المراد من فَعَله استحلالاً[4].

الوجه الثاني: "أنَّ ذكر الخلود إنَّما هو في رواية أبي صالح عن أبي هريرة، وقد رواه سعيد المقبري والأعرج عن أبي هريرة ولم يذكرا فيه ((خالداً مخلداً أبداً)). قال الترمذي: وهذا أصحّ"[5]. لماذا أصح؟ يذكر الإمام الترمذي رحمه الله التعليل، فيقول:"لأنَّ الروايات إنَّما تجيء بأنَّ أهل التوحيد يعذَّبون في النَّار، ثمَّ يخرجون منها، ولم يذكر أنَّهم يُخلَّدون فيها"[6].

الشبهة الثالثة: استدلالهم بقوله ﷺ:((لا يدخل الجنَّة مدمنُ خمر ولا عاق لوالده))[7]، ومثله حديث ((لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر))[8].

---

١. يُنظر: نواسخ القرآن (١٣٥).

٢. يُنظر: زاد المسير (١٦٨/٢)، نواسخ القرآن (١٣٥)، تذكرة الأريب (٧٠/١).

٣. رواه البخاري برقم: (٥٧٧٨)، ومسلم برقم: (١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤. المنظوم والمنثور. يُنظر: كشف المشكل (٤٥٣/٣).

٥. يُنظر: كشف المشكل (٤٥٣/٣).

٦. جامع الترمذي (٣٨٧/٤).

٧. رواه أحمد برقم: (٢٧٤٨٤)،وابن ماجه برقم: (٣٣٧٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، بدون لفظ (ولا عاق لوالده). يُنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٨٠/٢) برقم: (٦٧٣).

٨. رواه مسلم برقم: (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنهما.

فقد أجاب ابن الجوزي رحمه الله على هذه الأحاديث، وفصَّل الكلام فيها عند شرحه حديث ((لايدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))، فقال:"فإن قيل فالكبر لا يوجب الكفر، فكيف يمنع دخول الجنَّة؟ فالجواب من ستة أوجه:

أحدهما: أن يراد بالجنَّة بعضُ الجنان؛ لأنَّها جنان في جنَّة، فيكون المعنى:لا يدخل الجنَّة التي هي أشرف الجنان وأنبلها، ويشهد لهذا ما روي عن عبد الله بن عمرو أنَّه قال:(لا يدخلُ حظيرةَ القدس سكِّيرٌ ولا عاقٌّ ولا منانٌ)[1].

والثاني: أن تكون مشيئة الله تعالى مضمرةً في هذا الوعيد، فيكون المعنى:إلا أن يشاء الله، ذكر القولين ابنُ خزيمة.

والثالث: أن يكون المرادُ كبرَ الكفر، كما قال تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾الصافات:٣٥:أي: يتعظَّمون عن قولها، فعلى هذا كبر الكافر منعه من الإيمان، فلا يدخل الجنَّة، يدل على صحة هذا الوجه أنَّه قابل الكبر بالإيمان، فقال:((ولا يدخل النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان))[2].

والرابع:أن يكون المعنى: حكم هذا ألا يدخل الجنَّة، وحكم هذا ألا يدخل النار، كقوله تعالى في قاتل المؤمن:﴿ فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾النساء:٩٣أي: إن جازاه فهذا قدر استحقاقه. ومثل هذا في الكلام أن ترى داراً صغيرةً فتقول: هذه الدار لا ينزلها أميرٌ، أي حكمها هذا وقد ينزلها.

والخامس: أنَّ النَّاس إذا وقفوا في العرض مُيِّزَ من يدخل الجنَّة ممن يدخل النَّار، فالعصاة يدخلون النَّار لا الجنَّة، فأمَّا خروجهم بعد احتراقهم فذاك حكم آخر، فكأنَّ المراد:لا يدخل الجنَّة ابتداءً، وإنَّما يدخل النَّار، وعلى هذا تفسير قوله:((لا يدخل الجنَّة قتات))[3]ويبقى على

---

١. رواه ابن خزيمة في التوحيد: (٨٦٨/٢). ورواه الإمام أحمد مرفوعاً في المسند من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ((لا يلج حائط القدس مدمن الخمر، ولا العاق لوالديه، ولا المنان عطاءه)) برقم: (١٣٣٦٠). وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. يُنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٨٣/٢).

٢. رواه أحمد برقم: (٣٩٤٧)، والترمذي برقم: (١٩٩٩) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

٣. رواه البخاري برقم: (٦٠٥٦)، ومسلم برقم : (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

هـذا الوجـه قولـه:((ولا يـدخل النـار مـن في قلبـه مثقـال ذرة مـن إيمـان))[1] فيكـون المعنى: لا يدخلها دخول تخليد.

والسادس: أنَّه إذا أُذِنَ لأهل الجنَّة في الدخول، نُزع كبرُ المتكبِّر، وغلَّ الحقود، كما قال تعالى:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾الأعراف:٤٣، وهذا اختيار أبي بكر الأثرم"[2].

الشـبهة الرابعـة: استدلالهم بحـديث ((لا يـزني الـزاني حـين يـزني وهـو مـؤمن))[3]ومثلـه حديث ((لايؤمن أحدكم الذي لا يأمن جاره بوائقه))[4].

فأجاب رحمه الله بعدة أجوبة:

الجواب الأول: إذا فعله استحلالاً[5].

الجواب الثاني: أنَّه"خرج على مذهب التغليظ والمبالغة، كقوله عليه السلام:((لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد))[6] وكقوله عليه السلام:((من غشنا ليس منا))[7] و ((ليس منا من بات بطيناً وجاره خميص))[8]"[9].

الجـواب الثالـث: أنَّ المراد"يخـرج مـن كمـال الإيمـان"[10] لا مـن أصـله. يقـول في قولـه ﷺ:((ما آمن من لم يأمن جاره بوائقه))[11]:"أي ما استكمل الإيمان"[1].

---

١. تقدَّم الصفحة السابقة.

٢. كشف المشكل (٣٢٢/١-٣٢٣). ويُنظر: الطب الروحاني (٣٣).

٣. رواه البخاري برقم: (٢٤٧٥)، ومسلم برقم: (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤. رواه البخاري بلفظ :((والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوايقه)). صحيح البخاري برقم: (٦٠١٦).

٥. المنظوم والمنثور (٨٠٢).

٦. رواه الدارقطني برقم: (١٥٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه. وضعَّفه الشيخ الألباني في الإرواء. يُنظر: إرواء الغليل (٢٥١/٢).

٧. رواه مسلم برقم: (١٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٨. لم أجده بهذا اللفظ، والوارد إنَّما هو بلفظ ((ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع))، فهذا رواه الطبراني في الكبير برقم: (١٢٧٤١) (١٥٤/١٢)، والحاكم في المستدرك (١٦٧/٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

٩. المنظوم والنثور (٨٠٧).

١٠. كشف المشكل (٥١٥/٣). يُنظر: كشف المشكل (٤٣٦/٢).

١١. تقدَّم تخريجه قبل قليل.

الجواب الرابع:"أنَّ الهوى يغطّي الإيمان، فصاحب الهوى لا يرى إلا هواه، ولا ينظر إلى إيمانه الناهي له، فكأنَّ الإيمان قد عُدِم"[2].

الجواب الخامس:"أنَّه ينزع الإيمان منه. قال عكرمة: قلت لابن عباس: كيف ينزع الإيمان منه؟ قال: هكذا، وشبَّك بين أصابعه ثمَّ أخرجها، فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبَّك بين أصابعه. ووجه هذا أنَّ المعصية تُذهِلُه عن مراعاة الإيمان وهو تصديق القلب، فكأنَّه ينسى من صدق به[3]"[4].

وبعد ذكر شبه المخالفين لأهل السنَّة في مرتكب الكبيرة، والردِّ عليها، ذكر رحمه الله أدلَّةَ أهل السنَّة والجماعة على أنَّ مرتكب الكبيرة لا يكفر، وهي كالتالي:

الأول:قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء:٤٨.

يقول رحمه الله:"فدخل في المشيئة كل من لم يشرك بالله، ولو أتى بكل كبيرة، وارتكب كل جريرة، إذ أتى ربَّه بقلب سليم السريرة"[5].

ويقول رحمه الله:"وفي قوله تعالى﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ نعمة عظيمة من وجهين:

أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك، لا يقطع عليه بالعذاب، وإن مات مصراً.

والثاني:أنَّ تعليقَه بالمشيئة فيه نفعٌ للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوفٍ وطمعٍ"[6].

الدليل الثاني:"وقال﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ ﴾الزمر:٥٣الآية، وهو مختص بالمؤمنين؛ لأنَّه إضافة تخصيص وتشريف كقوله:﴿ إِنَّ عِبَادِي ﴾الحجر:٤٢، وكقوله:

---

١. كشف المشكل (٣٦٢/٣).

٢. كشف المشكل (٣٦٢/٣).

٣. أثر ابن عباس رضي الله عنهما، رواه البخاري معلَّقاً برقم: (٦٤٢٤). يُنظر: تعليق التعليق (٢٢٩/٥).

٤. كشف المشكل (٤٣٦/٢).

٥. المنظوم والمنثور (٨٠٧).

٦. زاد المسير (١٠٣/٢-١٠٤).

﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾الإنسان:٦ وإن كان أهل النار عبيداً لله، فليسوا عباده، فإنَّه قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ ﴾الزمر:٧"[١].

الدليل الثالث: قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ الحجرات: ٦، يقول رحمه الله:"فأمر بالتثبت و التبين في خبر الفاسق، فلو صار كافراً، لنهى عن قبول شهادته"[٢].

الدليل الرابع: قال تعالى: ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ البقرة:١٧٨، قال رحمه الله:"قوله {من أخيه}على أنَّ القاتلَ لم يخرج عن الإسلام"[٣].

الدليل الخامس: ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ:((من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنَّة. فقلت: يا رسول الله:وإن زنى وسرق؟ قال: وإن زنى وسرق. فقال في الثانية أو الثالثة: وإن رغم أنف أبي الدرداء))[٤]"[٥].

الدليل السادس:"وحديث ماعز حين أقرَّ بالزِّنا بين يدي رسول الله ﷺ[٦]، فلو صار مرتداً لأمر بقتله واسترجعه للإسلام"[٧].

الدليل السابع: قوله ﷺ:((مثل المؤمن كالفرس في آخيَّته))[١]. قال رحمه الله:"والمعنى: أنَّه يبعد عن ربه بالذنوب، وأصلُ إيمانه ثابتٌ"[٢].

---

١. المنظوم والنثور (٨٠٩).

٢. المنظوم والمنثور (٨٠٩).

٣. زاد المسير (١/١٨٠).

٤. رواه أحمد برقم: (٨٦٨٣). يُنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٢/٥٩٠-٥٩١) حيث ذهب إلى ضعف الرواية، وأنَّ الصحيح ما في الصحيحين من كون الإرغام لأبي ذر رضي الله عنه. يُنظر: البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

٥. يُنظر: المنظوم والمنثور (٨٠٧).

٦. حديث ماعز رضي الله عنه رواه البخاري برقم: (٦٨٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم برقم: (١٦٩٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

٧. المنظوم والمنثور (٨٠٩).

الدليل الثامن:"والذي يدلُّ على أنَّه لو كان مرتكبُ الكبيرة كافراً كما زعمت الخارجية، لكان إذا تاب السارق يجب أن يزولَ عنه الحدُّ، ويسقط عنه بتوبته؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم ﴾الأنفال:٣٨ الآية، فلمَّا لم يسقط، دلَّ على أنَّه ليس بكافر"[٣].

الدليل التاسع:"أنَّه يجزئ عِتقُ الأمة الفاسقة في الكفارة، فلو كانت كافرةً لما أجزأ ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول:﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾النساء:٩٢، فلو لم تكن مؤمنةً لما أجزأَ ذلك"[٤].

الدليل العاشر:"ثمَّ لو كان مرتكب الكبيرة كافراً، لزالت موارثته، وبطلت مناكحته، وحَرُمتْ عليه زوجتُه، ولا يُصلَّى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، فلما أجمعوا على خلاف ذلك، دلَّ على أنَّه لا يزول عن المؤمن وصفُ الإيمان بارتكاب الكبائر، ما عدا الشرك"[٥].

وبهذا نرى كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله قرَّر هذه المسألة، مستدلاً من كتاب الله سبحانه وتعالى، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج.

---

١. لم أجده بهذا اللفظ، وإنَّما هو بلفظ ((مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل الفرس، على آخيته يجول، ثمَّ يرجع إلى آخيته، وإن المؤمن يسهو، ثمَّ يرجع إلى الإيمان))، رواه أحمد برقم: (١١٣٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو حديث ضعيف، يُنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣١٩/١٤)، برقم: (٦٦٣٧).

٢. غريب الحديث (١٤/١) وآخيته: العروة التي تشد بها الدابة، نفس المصدر.

٣. المنظوم والمنثور (٨١٠).

٤. المنظوم والمنثور (٨١٠).

٥. المنظوم والمنثور(٨١٠).

المطلب الرابع: الاستثناء في الإيمان:

لم أجدْ له رحمه الله كلاماً في مسألة الاستثناء في الإيمان إلا في كتابه المنظوم والمنثور، وقد توسَّع فيه نوعاً ما، وكذلك ما أشار إليه في الموضوعات، حيث ذكر حديث:((إنَّ أمتي على الخير، ما لم يتحوَّلوا عن القبلة، ولم يستثنوا في إيمانهم))[1] فقال:"هذا حديث موضوع وضعته المرجئة"[2]. وهذا إشارة منه إلى أنَّ الذين يمنعون الاستثناء في الإيمان هم المرجئة، ولهذا وضعوا هذا الحديث.

ويبيِّن في المنظوم ما مراد أهل السنة بالاستثناء فيقول:"وأمَّا قول السلف: إنَّا مؤمنون إن شاء الله ليس على الشكِّ، وإنَّما ذلك نفيٌ لتزكية النفس لا للشكِّ، قال الله تعالى:﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾النجم:٣٢.

وكما يُقال للرجل أنت فقيه عالم؟ فيقول: إن شاء الله، لا أنَّه يشكُّ في كونه فقيها عالما، ولكن تحرُّجاً من تزكية النَّفس؛ لأنَّ ذلك قبيح وإن كان حقَّاً وصدقاً.

قيل لبعضهم: ما الصدق القبيح؟ قال: ثناء الرجل على نفسه[3].

وقيل: إنَّ هذا ليس بشكٍّ، وإنَّما هو تأدّبٌ بين يدَي الحقِّ تعالى، وأحاله على مشيئته، وقد أدَّبَ الحقُّ تعالى نبينا عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾الكهف:٢٣-٢٤، فتأدَّبَ، فكان يقيِّدُ بالمشيئة في كلِّ ما يخبر عنه، معلوماً كان أو غير معلوم، ألا ترى أنَّه لـمَّا دخل المقابر قال:((سلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون))[4] فقيَّد اللحوق بالمشيئة، وإن كان اللحوق لا يُشكُّ فيه.

---

١. رواه الجوزقاني عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، ذكر السيوطي رحمه الله سنده في اللالىء المصنوعة (٤٤/١). يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:"سمعان ابن مهدي عن أنس بن مالك، لا يكاد يعرف، ألصقت به نسخةٌ مكذوبةٌ رأيتُها، قبَّح الله من وضعها انتهى. وهي من روية محمد بن مقاتل الرازي، عن جعفر بن هارون الواسطي، عن سمعان، فذكر النسخة. وهي أكثر من ثلاث مائة حديث أكثر متونها موضوعة " لسان الميزان (١١٤/٣).

٢. الموضوعات (١٣٥/١).

٣. لم أجده، وقال المحقِّق:" لم أقف عليه".

٤. رواه مسلم برقم: (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: إنَّه شكٌّ يرجِع إلى وصفِ الإيمان لا لأصله، فكأنَّه قال:أنا مؤمنٌ حقَّاً إن شاء الله؛ لأنَّــه ســبحانه وَصَــفَ أقوامــاً مخصوصــين، فقــال:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ الأنفال:٤، فالشكُّ راجع إلى الكمال، والشكُّ في حصول الكمال ليس بكفر.

وقيل: إنَّ الشكَّ يرجع إلى خوف الخاتمة، فإنَّه لا يدري هل يسلم له الإيمان عند الموت أم لا؟ فربَّما كفر يحبط إيمانه[1]؛ لأنَّه موقوف على سلامة الآخرة.

ومثل هذا إذا سُئل الصائم عن صحة صومه، فإنَّه لا يسوغ له أن يقول أنا صائم قطعاً؛ لأنَّه يتصوَّر أن يفطر في أثناء النهار، فيتبيَّن كذبُه. بل الصحة موقوفةٌ إلى غروب الشمس، فكما أنَّ تمام النَّهار ميقات تمام الصيام، فكذلك الموت ميقات تمام الصِّحة، ووصفه بالصحة الآن استصحاباً بالحال، وإن كان يحتمل ضده"[2].

فمن خلال ما تقدَّم، نجدُ ابن الجوزي رحمه الله ذكر أربع معانٍ لأقوال السلف، وهذه الأربع هي ما تعرف بالمرادات أو المآخذ، وسنذكر أقوال علماء السلف في كلِّ معنى من المعاني الأربعة التي ذكرها ابن الجوزي رحمه الله.

الأول: ما ذكره من أنَّ الاستثناء بسبب نفي تزكية النَّفس، يؤيِّده ما رواه أبوعبيد في الإيمان أنَّ رجلاً –عند ابن مسعود– قال: أنا مؤمن. فقال ابن مسعود: أفأنت من أهل الجنة؟. فقال: أرجو. فقال ابن مسعود: أفلا وكلت الأولى كما وكلتَ الأخرى؟[3].

يقول الإمام أبوعبيد رحمه الله بعد ذكره لهذا الأثر وغيره:"ولهذا كان يأخذ سفيان ومن وافقه الاستثناء فيه، وإنَّما كراهتهم عندنا أن يبتّوا الشهادة بالإيمان مخافةَ ما أعلمتكم في الباب الأول من التزكية والاستكمال عند الله"[4].

الثاني: وأمَّا ما ذكره بأنَّ المراد التأدب مع الله، يقول الإمام البغوي رحمه الله:"وفيه دليلٌ على أنَّ استعمال الاستثناء مستحبٌ في الأحوال كلِّها، وإن لم يكن في الأمر شكٌّ"[5].

---

١. هكذا في الكتاب، ولعلَّها (كفر فيحبط إيمانه).

٢. المنظوم والمنثور (٨٣٠).

٣. الإيمان لأبي عبيد (٣٥).

٤. الإيمان لأبي عبيد (٣٨). يُنظر: الشريعة للآجري(٦٥٦).

٥. شرح السنة (٥/٤٧٠).

الثالث: وما ذكره من أنَّ الشكَّ راجعٌ لكمال الإيمان لا لأصله، يبيِّنه أبوعبيد رحمه الله بقوله:"وأمَّا على أحكام الدنيا، فإنَّهم يسمون أهل الملة جميعاً مؤمنين؛ لأنَّ ولايتهم وذبائحهم وشهاداتهم ومناكحتهم وجميع سنَّتِهم، إنَّما هي على الإيمان، ولهذا كان الأوزاعي يرى الاستثناء وتَرْكَه جميعاً واسعين"[1]. ولهذا كان الاستثناء على العمل، لا التصديق وقول اللسان[2].

الرابع: وهو أنَّ المرءَ لا يعلم بما يُختمُ له، بخيرٍ أو بشرٍّ، وهذا ما يعرف عند المتكلمين بالموافاة[3]، فالعبد لا يدري بما يوافي ربه عند نزع الروح وقبضها، فلأجل ذا يستثني العبد.

وهذا المأخذ والله أعلم إن لم يكن مثل الأول فهو قريبٌ منه، وهو معنىً صحيح[4]، فإنَّ الإنسان ما يدري بماذا يختمُ له؟ ودليله حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً:((إنَّ أحدَكم يجمع خلقه في بطن أمِّه أربعين يوماً، ثمَّ يكون علقةً مثل ذلك، ثمَّ يكون مضغةً مثل ذلك، ثمَّ يَبعثُ الله ملكاً فيؤمر بأربع كلماتٍ، ويُقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقيٌّ أو سعيد. ثمَّ ينفخ فيه الروح، فإنَّ الرجلَ منكم ليعملُ حتى ما يكون بينه وبين الجنَّة إلا ذراع، فيسبِق عليه كتابُه، فيعمل بعمل أهل النَّار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النَّار إلا ذراع، فيسبِق عليه الكتابُ، فيعمل بعمل أهل الجنَّة))[5].

يقول الإمام ابن بطة رحمه الله:"ويصحُّ الاستثناءُ أيضاً من وجهٍ آخر، يقع على مستقبل الأعمال، ومستأنف الأفعال، وعلى الخاتمة وبقية الأعمار"[6].

ولأهل القبلة في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

---

١. الإيمان لأبي عبيد (٣٨). يُنظر: الشريعة للآجري (٦٥٧).

٢. يُنظر: الشريعة (٦٥٧).

٣. هناك فرق بين مسألة الختم عند السلف، وبين الموافاة عند المتكلمين، فالمتكلمون يرون أنَّ من علم الله أنَّه يوافيه بالإيمان، فإنَّه لا يزال محبوباً له حتى حال كفره، ومن علم الله أنَّه لا يوافيه إلا بالكفر، فإنَّه لا يزال مبغَضاً عنده حتى حال إيمانه الذي يعقبه كفر وردة. ولهذا يرون أنَّ الإيمان هو إيمان الموافاة، وأمَّا الإيمان الأول الذي يعقله كفر وردَّة لا يعتبر إيماناً. وهذا خلاف ما عليه سلف الأمة. يُنظر: زيادة الإيمان ونقصانه (٥١٠).

٤. حاشية مسائل الإيمان لأبي يعلى (٤٤٤).

٥. رواه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم برقم: (٢٦٤٣).

٦. الإبانة (٢/٨٦٥-٨٦٦). يُنظر: زيادة الإيمان ونقصانه (٤٧٥-٤٧٨)، والقاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان، مع الحاشية (٤٤٣-٤٤٤).

القول الأول: أنَّ الاستثناء يجوز باعتبار ولا يجوز باعتبار آخر، فمن جهة أصل الإيمان وأحكامه في الدنيا من حيث التوارث والنكاح والعتق فلا يجوز الاستثناء، ومن حيث كمال الإيمان، وأنَّه في عمل العبد للطاعات وترك المعاصي والمنكرات، ومن حيث ما سيُختم له هل بإيمان أم بكفر فإنَّه يستثني. وهذا مذهب أهل السنة.

القول الثاني: أنَّه يجب الاستثناء. وهذا قول الأشعرية، ويقصدون بوجوب الاستثناء، أنَّ الإنسان لا يدري بما يوافي ربَّه عند الموت، وهل سيموت على طاعة وإيمان أم على كفر وعصيان؟ فلهذا يجب الاستثناء عندهم من هذا الوجه. وعليه حملوا كلام أئمة السلف في الاستثناء.

يقول الجويني[١] رحمه الله:"الإيمان الذي هو علم الفوز وآية النجاة، إيمان الموافاة، فاعتنى السلف به وقرنوه بالمشيئة، ولم يقصدوا التشكيك في الإيمان الناجز"[٢].

القول الثالث: أنَّه لا يجوز الاستثناء، وأنَّ من استثنى كان كافراً؛ لأنَّه شاكٌّ في إيمانه، فلهذا منعوا من الاستثناء. وهذا مذهب الماتريدية[٣]، ونسب هذا القول للإمام أبي حنيفة رحمه الله[٤].

وسبب قولهم هذا؛ أنَّ الإيمان عندهم هو التصديق فقط، ولا يصحُّ دخول الاستثناء عليه؛ لأنَّه حتماً يكون معناه الشكّ في الإيمان، والشكُّ في الإيمان كفر والعياذ بالله.

فمَنْ قال بالوجوب، نظر إلى الموافاة، وأنَّ العبد لا يدري بماذا يختم له، ومن قال بالتحريم، نظر أنَّ هذا يؤدي للشكِّ؛ لأنَّ الإيمان عنده هو التصديق، فإن استثنى فهذا شكٌّ في إيمانه[٥].

---

١. عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعيّ، الملقّب إمام الحرمين. صاحب الفنون. ويعتبر من أعلام الأشاعرة. وتوفي سنة ٤٧٨هـ. سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨)، والبداية والنهاية (٩٥/١٦)، وطبقات الشافعية الكبرى (١٦٥/٥).

٢. الإرشاد للجويني الإرشاد (٣٣٦). عن كتاب زيادة الإيمان (٥٠٢).

٣. يُنظر: كتاب التوحيد للماتريدي (٣٨٨-٣٩٢) ،البحر الرائق (٤٦/٢).

٤. يُنظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (٤١٥).

٥. ولهذا يرى بعض الأحناف أنه لا يجوز الزواج بالشافعية والعياذ بالله.يقول العلامة ابن نجيم رحمه الله:"وأما التكفير بمطلق الاستثناء فقد علمتَ غلطه، وأقبح من ذلك من منع مناكحتهم، وليس هو إلا محض تعصب نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا".البحر الرائق (٥٠/٢).

والصحيح هو مذهب السلف، يقول أبوعبيد القاسم بن سلام رحمه الله:"وإنَّما كراهتهم عندنا أن يَبُتُّوا الشهادة بالإيمان مخافةَ ما أعلمتُكم في الباب الأول من التزكية والاستكمال عند الله، وأمَّا على أحكام الدنيا فإنَّهم يُسمُّون أهلَ الملَّة جميعاً مؤمنين؛لأنَّ ولايتهم وذبائحهم وشهاداتهم ومناكحتهم، وجميع سنَّتهم إنَّما هي على الإيمان"[١].

ونلاحظ هنا وسطيَّة أهل السنَّة بين المخالفين لهم، فلا هم أوجبوا الاستثناء، ولا هم منعوه مطلقاً، بل ذهبوا إلى أنَّ من استثنى،أَرَادَ الاستثناءَ من كمال الإيمان، ومَنْ جَزَمَ أَرَادَ أصلَه.

وبهذا يتبيَّن أنَّ ابن الجوزي رحمه الله موافقٌ لما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين رضي الله عنا وعنهم أجمعين، وأنَّ ما ذكره من المعاني الأربع لم تخرج عن أقوال علماء الأمة رضي الله عنهم.

---

١. الإيمان للقاسم بن سلام (٢١).

المطلب الخامس: حكم أهل الفترة:

تطرَّق الإمام ابن الجوزي رحمه الله لهذه المسألة ولمسألة أخرى لها علاقة بها وهي ما يتعلَّق بأبوي النبي ﷺ، ولهذا سأجعل هذا المطلب على مسألتين:

المسألة الأولى: أهل الفترة.

المسألة الثانية: ما يتعلَّق بأبوي النبي ﷺ.

المسألة الأول: أهل الفترة.

المراد بأهل الفترة: أمَّا المراد بأهل الفترة فيقول:"الفترة بين الرسل: المدة التي لا رسول فيها"[1].

وهذا التعريف فيه إجمال، وأوضح منه، أنَّ الفترة هي: المدة التي لا يبعث فيها رسول من الله تعالى، بحيث يكون أهلها بين رسولين لم يدركوا أيَّاً منهما، أو لم يدركوا الثاني ولم يرسل إليهم الأول[2].

ويشير إلى وجود خلاف في الفترة التي بين نبينا ﷺ وبين عيسى عليه السلام، وهل كان بينهم أنبياء؟ ثمَّ يرجح أنَّه لا أنبياء بينهم، يقول في شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام:((ليس بيننا نبي))[3]-أي: بين عيسى عليه السلام وبين نبينا محمد ﷺ-:"فإن قيل: قد ذكر أن بعد عيسى أنبياء. فالجواب: أنَّ هذا الحديث أصح، وعليه الاعتماد"[4].

وممَّا يدلُّ كذلك على عدم وجود أنبياء بينهما، ما حكاه الله في القرآن ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾القصص:٤٦، ويقول عن آبائهم ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾يس:٦، فهنا بيَّن الله أنَّ قوم نبينا ﷺ وآباءهم لم يأتهم نذير من قبله، ممَّا يدلُّ على عدم وجود أنبياء بينهم.

١. كشف المشكل (٣٥/٤). يُنظر: زاد المسير (٣١٩/٢).

٢. هذا ما توصل إليه مروان أحمد حمدان بعد عرض تعاريف العلماء للفترة ، الآيات والأحاديث والآثار الواردة في أهل الفترة (٧).

٣. رواه مسلم برقم: (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤. كشف المشكل (٣٧٥/٣). يُنظر: تلقيح مفهوم أهل الأثر (٥).

مدّة الفترة بين نبينا ﷺ وبين عيسى عليه السلام:وأمَّا المدَّة التي ذكرها ابن الجوزي رحمه الله بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فهي ستمائة سنة كما ورد في الحديث.

وقد عدَّد رحمه الله الفترات بين أنبياء الله عليهم السلام في شرحه لقوله ﷺ:((فترةٌ بين عيسى، ومحمد صلى الله عليهما وسلم، ستمائة سنة))[1]، وذكر ما بين محمد وعيسى عليهما السلام ستمائة سنة كما في الحديث[2].

وذكر الباحث مروان أحمد حمدان، أنَّ ابن الجوزي رحمه الله ذكر الإجماع على تحديدها بستمائة سنة، ثمَّ قال:"وهو متعقَّب كما قال ابن حجر، ولكن الإجماع منعقد على وقوعها"[3] أي أنَّ الإجماع منعقدٌ على وقوع الفترة لا على تحديدها، وأحال في حاشيته إلى كتاب زاد المسير.

وهنا أُودُّ أن أنوِّه على أمور:

الأول: بالرجوع إلى الإحالة التي ذكرها، فإنَّ ابن الجوزي رحمه الله ذكر أقوال العلماء ولم يرجح بينها، فضلاً عن أن يذكر في المسألة إجماع.

الثاني: ما ذكره الحافظ ابن حجر من تعقبه على ابن الجوزي هو قوله:"ونقل ابن الجوزي الاتفاق على ما اقتضاه حديث سلمان هذا. وتعقب بأنَّ الخلاف في ذلك منقول"[4]. ولم أقف على قول ابن الجوزي ذكر فيه الاتفاق، والغالب أنَّ الحافظ ابن حجر رحمه الله قصد ما تقدَّم من كلام ابن الجوزي رحمه الله:"وعليه الاعتماد" والله أعلم.

وتعقيب الحافظ رحمه الله:"بأن الخلاف في ذلك منقول" فإنَّ ابن الجوزي رحمه الله حكى الخلاف في المسألة، وذكر أقوال العلماء في تفسيره[5]، وفي هذا دلالة واضحة أنه لا يرى اتفاقاً فضلاً عن أنه حكى الإجماع في ذلك.

لم أجد لابن الجوزي رحمه الله حكماً واضحاً في أهل الفترة، ولكن هناك نقول عنه رحمه الله في المسألة، فمن ذلك:

---

١. رواه البخاري برقم: (٣٩٤٨) من حديث سلمان رضي الله عنه.

٢. كشف المشكل (٣٥/٤).

٣. الآيات والأحاديث والآثار الواردة في أهل الفترة (١٤٧).

٤. فتح الباري (٢٧٧/٧).

٥. يُنظر: زاد المسير (٣١٩/٢-٣٢٠).

١. في حديث الذي أمر أهله أن يحرقوه ويذروه، فذكر اعتراضاً أنَّه رجلٌ كافر بقوله((إن يقدر الله)) ومع ذلك دخل الجنَّة[1]، فأجاب بعدَّة أجوبة منها:"والسادس: أنَّ هذا الرجل كان يثبت الصانع، ولكن لم تخاطبْه النبوات، ومن لم تصلْه دعوةٌ لا يؤاخذ- عند أهل السنة- بما يخالف العقول[2]؛ لأنَّ المؤاخذة ببلوغ الدعوة فقط، وما لم يسمعْ الدعوة فلا مؤاخذة، وعلى قول من يرى أنَّ العقلَ موجبٌ، يحمل ذلك على أنَّه كان في مهلة النَّظر لم يتكاملْ له النظر، ذكره ابن عقيل"[3].

ولعلَّه يرجِّحه والله أعلم لما سبق قوله بأنَّ التوحيد والطاعة تجب بالرسل.

٢. يقول في قوله تعالى:﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾النساء:١٦٥:"أي لئلا يحتجوا في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل؛ لأنَّ هذه الأشياء إنَّما تجب بالرسل"[4].

فهذه النصوص من ابن الجوزي رحمه الله يتبيَّنُ لنا أنَّه يرى أنَّ الله لا يعاقب الناس حتى يقيم عليهم الحجة، خاصة في الأمور العظام كالتوحيد والطاعة، ومنهم أهل الفترة.

ولكن بالنَّظر في كلامه على أبويِّ النبي ﷺ نجد ما يخالف ذلك، حيث يرى كفرهما. وهذا يجرنا للحديث عن مسألة أبوي رسول الله ﷺ وهو ما سنتكلم عنه في المسألة الثانية بحول الله.

المسألة الثانية: ما يتعلَّق بأبوي النبي ﷺ.

إنَّ ابن الجوزي رحمه الله له نصوص واضحة في إثبات الكفر لأبويِّ النبي ﷺ، وأنَّهما ماتا مشركين.

يقول رحمه الله:"وأما عبد الله فإنَّه مات ورسولُ الله ﷺ حملٌ، ولا خلاف أنَّه مات كافراً"[5].

ويقول أيضاً:"وأنَّ استغفار إبراهيم لأبيه لم تنفعه، ولا شفاعة محمد في أمِّه"[1].

---

١. الحديث رواه البخاري برقم: (٧٥٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢. تطرق الباحث مروان حمدان لهذه المسألة في رسالته وأن أصل هذه المسألة كانت بسبب بدعة المعتزلة وكلامهم في التحسين والتقبيح. يُنظر: الآيات والأحاديث والآثار الواردة في أهل الفترة (١٥٤).

٣. كشف المشكل (١٥٧/٣).

٤. زاد المسير (٢٥٦/٢)، يُنظر: زاد المسير (١٥٥/٣).

٥. (٢٣٨).

ومن خلال ما تقدَّم، فإنَّه يثبت أنَّ الله لا يعذِّب أحداً من خلقه حتى يقيم الحجة عليه، وهنا نجده يحكم بكفر أبوي النبي ﷺ.

وأبوي النبي ﷺ من أهل الفترة وهذا لا شكَّ فيه، يقول الله تعالى لنبيه: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾السجدة:٣، فذكر سبحانه وتعالى، أنَّه أرسل محمداً ﷺ لينذر قوماً -يعني العرب، ومنهم أهل مكة- ما أتاهم هؤلاء من نذيرٍ من قبل محمد ﷺ. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾سبأ:٤٤.

وهذه المسألة للعلماء فيها أربعة أقوال:

القول الأول: أنَّ أهل الفترة كفار ومصيرهم النار.

القول الثاني: أنَّهم في الجنَّة.

القول الثالث: أنَّهم يمتحنون.

القول الرابع: السكوت وعدم القول بأنَّهم في جنَّة أو نار، أو أنَّهم يمتحنون.

والراجح والله أعلم أنَّ أهل الفترة لا يعذَّبون، وأنَّهم يمتحنون لثبوت الأحاديث الصحيحة في ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾الإسراء:١٥، فذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية وفي غيرها، أنَّه لا يُعذِّب أحداً من خلقه حتى ينذرَهم، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ النساء:١٦٥، وهذه الحجة أوضحها الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾طه:١٣٤. وغيرها من الآيات الدالة على أنَّ الله لا يعذِّب أحداً من خلقه حتى يقيم بعذر إليه، ويقيم عليه الحجة.

---

١. منهاج القاصدين (٢/٩٤٧).

وأمَّا الفترة، فهي ثابتةٌ بقوله تعالى:﴿ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾المائدة:١٩ وبقوله سبحانه:﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾القصص:٤٦ في أكثر من موضع من كتاب الله، وهذا بخلاف من قال من العلماء بأنَّ أهل الفترة يُعذَّبون باعتبار أنَّهم بَلَغَتْهُم دعوةُ إبراهيم عليه السلام، بل إنَّ الشيخ الأمين رحمه الله يقول:"وأنا أستغرب كيف يقوله عالم كالعبَّادي والنووي[١]؟ مع أنَّ الآيات القرآنية صريحة في بطلانه غاية الإبطال"[٢].

وأقوى ما استدلوا به أنَّ النبي ﷺ حكم على بعض أهل الفترة بالنَّار.

من ذلك قوله ﷺ:((أبي وأباك في النَّار))[٣]ويجاب عنه: بأنَّ الأب قد يطلق ويراد به العم، كما قال تعالى عن يعقوب عليه السلام أنَّه قال لأبنائه:﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾البقرة:١٣٣، وإسماعيل عليه السلام عمُّهم كما هو معلوم.

وكذلك يُجاب بأنَّه حديث آحاد، وأنَّه لا يعارض المتواتر المحكم في القرآن الكريم.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:" وبهذه الأحاديث (أحاديث رفع اليدين في الصلاة) تركنا ما خالفها من الأحاديث، لأنَّها أثبت إسناداً منه، وأنها عدد، والعدد أولى بالحفظ من الواحد"[٤]. ويقول الشيخ الأمين:"والمتواترات تتقدَّم على الآحاد"[٥].

وأمَّا حديث الاستئذان وأنَّ الله أذن للنبي ﷺ في زيارة قبر أمه، ولم يأذن له في الاستغفار لها، فيجاب بما تقدَّم من كونه خبر آحاد لا يعارض المتواتر المحكم في القرآن.

والصحيح أنَّهم يمتحنون كما ورد عن النبي ﷺ أنَّه قال:((الهالك في الفترة والمعتوه والمولود: يقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ... فترفع لهم نار، فيقال لهم: رِدُوها. قال: فيَرِدُها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً

---

١. يُنظر: شرح مسلم (٧٩/٣).

٢. العذب النَّمير (٦٨١/٢).

٣. رواه مسلم برقم: (٢٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

٤. اختلاف الحديث (٦٣٤/٨).

٥. العذب النَّمير (٦٨٢/٢).

لو أدرك لعمل، فيقول: إياي عصيتم، فكيف لو أنَّ رسلي أتتكم))[1]. وقد صحَّح هذا الحديث غيرُ واحد من أهل العلم كالإمام ابن تيمية[2]، وابن القيم في كتابه طريق الهجرتين، وابن كثير رحمة الله على الجميع[3].

واعتُرض على هذا الحديث بأنَّ الآخرة لا تكليف فيها. وهذا غير مسلَّم؛ لأنَّه وردت الأحاديث بتكليفهم في عرصات يوم القيامة، ومن ذلك أمرهم بالسجود حين يكشف عن ساق، وذلك الرجل الذي أخذ الله عليه العهود والمواثيق بأنَّه لا يسأل الله شيئاً، ثمَّ ينقض عهده ويسأل مرة أخرى[4].

وقد ذهب إلى هذا القول شمس الدين ابن القيم، والحافظ ابن كثير، والشيخ الأمين رحمة الله عليهم، حتى إنَّ أبا الحسن الأشعري ذكر أنَّه من مذهب أهل السنة والجماعة[5]، وهذا بخلاف ما رجَّحه الإمام ابن الجوزي رحمة الله عليه.

---

١. رواه الإمام محمد بن يحيى الذهلي، يُنظر: تفسير ابن كثير(٥/٥٥-٥٦)، والبزار في مسنده (١٠٤/١٤) برقم: (٧٥٩٤). وقد تكلَّم على أحاديث الباب، ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين، ثمَّ قال:" فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضا وتشهد لها أصول الشرع وقواعده" (٥٩١).

٢. مجموع الفتاوى (٤٧٧/١٤).

٣. يُنظر: تفسير ابن كثير (٥/٥٣-٥٨)، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤١٨/٣) ، رقم (١٤٣٤).

٤. وهو حديث طويل رواه البخاري برقم: (٦٥٧٣)، ومسلم برقم: (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٥. يُنظر: تفسير ابن كثير (٥/٥٨)، وطريق الهجرتين (٥٩١-٥٩٢).

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالله، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: آراؤه في مسائل وجود الله وربوبيته، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: طرق دلالات وجود الله.

المسألة الثانية: أول واجب على المكلَّف.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية: وفيه ثمان مسائل:

المسألة الأولى: الاستدلال لتوحيد الألوهية.

المسألة الثانية: التعريف بـ(لا إله إلا الله).

المسألة الثالثة: التوسل بجاه النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين.

المسألة الرابعة: التبرك.

المسألة الخامسة: التبرُّك بالقبور.

المسألة السادسة: ادعاء علم الغيب.

المسألة السابعة : الرُّقى والتَّمائم.

المسألة الثامنة: الفأل والتطير.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أسماء الله الحسنى، وفيه فرعان:

المسألة الثانية: صفات الله عزَّ وجلَّ، وفيه فرعان:

الفرع الأول: منهج ابن الجوزي رحمه الله في صفات الله عزَّ وجلَّ.

الفرع الثاني: آراؤه في صفات الله عزَّ وجلَّ الذاتية والفعلية، وفيه قضيتان:

القضية الأولى: الصفات الذاتية

القضية الثانية: الصفات الفعلية

المبحث الثاني: آراؤه في الإيمان بالله، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: آراؤه في مسائل وجود الله وربوبيته، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: طرق دلالات وجود الله[1]

يُذكر عن الفخر الرازي أنَّه مرَّ ببعض شيوخ الصوفية، فقيل للشيخ: هذا يُقيمُ على الصانع ألفَ دليل، فلو قمت إليه. فقال: وعزَّتِه، لو عَرَفه ما استدلَّ عليه[2]. ولهذا حينما سئل الأعرابي عن وجود الله، قال: البعرة تدلُّ على البعير، والأثر يدل على المسير، أفسماوات ذات أبراج، وليلٌ داج، ألا يدلُّ على اللطيف الخبير؟ فطرق معرفته فضلاً عن كونها مغروزة في النَّفس، فهي كثيرةٌ، تبصرُها البصيرة قبل البصر.

وبالنَّظر في كتب ابن الجوزي رحمه الله، نجدُه اهتمَّ بقضية تقرير وجود الله سبحانه وتعالى، وهذا بكثرة في مؤلفاته، ومن أكثرها كتابه زاد المسير، وكتابه صيد الخاطر. ولك أنْ تتخيَّل قولَه رحمه الله:"نظرتُ في الأدلة على الحقِّ سبحانه وتعالى، فوجدتُها أكثرَ من الرَّمل"[3].

وعَرْضُه لهذه المسألة بثلاث طرق:

الأولى: أن يتعرَّضَ لها من خلال تفسيره، أو شرحه للأحاديث، أومن خلال نصائحه ووعظه.

الثانية: أن يذكرَها ابتداءً، بحيث يقرِّر مسألةَ الصَّانع وإثباتَه، كما هو صنيعه في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

الثالثة: من خلال ردِّه على المخالفين في هذا الباب كما في تلبيس إبليس.

ومن خلال كلامه في هذه المسألة، يمكن حصر استدلالته في إثبات وجود الله في الأمور التالية:

١. الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

---

١. إنَّ مبحث إثبات وجود الله سبحانه، لا يدخل في توحيد الربوبية؛ لأنَّ كلمة توحيد الربوبية تدُلُّ على إثبات وحدانيته سبحانه في أفعاله، ولكن ذكرتُها هنا جرياً على عادة العلماء في التأليف. يُنظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (١٢٩).

٢. نفح الطيب (٢٦٣/٥).

٣. صيد الخاطر (٦٣).

٢. التَّفكُّر في خلق الله عزَّ وجلَّ، سواءً في ملكوت السماوات والأرض، أو في خلق الإنسان، أو في غيرها من المخلوقات. وهذا الجانب أفاض فيه رحمه الله، وشحن به كتبه ومؤلفاته.

٣. دليل الحدوث.

وقبل الحديث عن أدلَّتِه في إثبات الخالق سبحانه، أُحبُّ أنْ أشيرَ إلى سببِ تعرُّضِ ابنِ الجوزي رحمه الله لهذه المسألة، بحيث أنَّها أخذتْ حيِّزاً كبيراً من مؤلفاته، ويلاحظها القاريء لكتبه رحمه الله. أقول يرجع ذلك إلى أمرين:

الأول: تأثُّرُه بعلمِ الكلام، ومن المعلوم مدى اهتمام كتب علم الكلام بهذه القضية، ولهذا نجدُه يقرِّرُ أنَّ أولَ ما جاء به النبي ﷺ، هو إثباتُ وجودِ الله كما هو مشهور عن المتكلمين، فيقول رحمه الله:"فأول ما جاءِ به الرسول ﷺ إثبات الخالق"[1] فهو يرى أنَّ أولَ أمرٍ دَعى إليه النبي ﷺ، هو إثباتُ الخالقِ عزَّ وجلَّ. ولا يَخفى أنَّ هذا الأمر غيرُ صحيح، فإنَّ مشركي مكةَ كانوا مقرِّين بالله سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى عنهم:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لقمان:٢٥ في سبع مواضع من كتاب الله. وإن كان ابن الجوزي رحمه الله يُخالِفُ علماءَ الكلامِ في طريقتهم في استدلالاتهم على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

الثاني: إنكارُ كثيرٍ من النَّاس لوجود الله في عصره، وبعضهم وإن كان مقرّاً بوجود الله، إلا أنَّه يعارِضُ الله في قدرِهِ والعياذ بالله.

يقول رحمه الله:"فالعجب لمربوبٍ يَجحدُ الربَّ"[2] فهو يتعجب من اعتقاد بعض أهل عصره من إنكارهم لله سبحانه وتعالى.

ويقول في كلام له عن أقسام الصوفية:"فصل: وقد اندسَّ في الصوفية أهلُ الإباحة، فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم. وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القسم الأوَّل: كفار، فمنهم

١. صيد الخاطر (١٩٦).

٢. التبصرة لابن الجوزي (١٩/٢).

قومٌ لا يُقرِّون بالله سبحانه وتعالى"[1] فإذا كان هذا حاصلٌ منْ أرباب التصوف، فكيف بغيرهم من الباطنيَّة الذين كان لهم انتشار في عصره؟.

ويقول حاكياً مذهبَ الدَّهريةِ المنكرين لوجود الله، فيقول رحمه الله:"والكفر بالخالق، مذهبُ الدَّهرية وأهلِ الطَّبائع[2]"[3] ويقول أيضاً عنهم:"قد أَوْهَمَ إبليسُ خلقاً كثيراً أنَّه لا إله، ولا صانع، وأنَّ هذه الأشياء كانت بلا مكوِّن، وهؤلاء لـمَّا لم يدركوا الصانع بالحسّ، ولم يستعملوا في معرفته العقل، جحدوه"[4].

ويقول عن الفلاسفة:"فمنهم من قال بقول الدهرية أنْ لا صانعَ للعالم"[5].

ويذكر في ترجمة ابن الريوندي[6]:"قال أبو علي الجُبَّائي[7]: قرأتُ كتابَ الملحد الجاهل السَّفيه ابن الريوندي، فلم أجد فيه إلا السَّفه والكذبَ والافتراءَ، قال: وقد وضع كتاباً في قِدم العالم، ونَفْيِ الصانع، وتصحيحِ مذهب الدَّهرية"[8].

فهو يحكي مذاهبَ الناس في إنكارهم لوجود الله عزَّ وجلَّ، وبعض الناس الجاحدين لله سبحانه، فلهذا فلا غرو أن يُكثِرَ الكلام في تقرير إثبات وجود الله عزَّ وجلَّ.

والآن نعود للحديث لنُفَصِّل الكلام في استدلالاته على وجود الله عزَّ وجلَّ.

أولاً: الفطرة.

الإيمان بوجود الله أمرٌ فطري، لا يحتاج إلى دليل، بل جبلت عليه الفطر، ولهذا فإنَّ الفطرة أمرٌ وجودي، يصعب على النفس البشرية معارضته، وإن جحدوا بها عُلوَّاً واستكباراً،

---

١. تلبيس إبليس (٥٢٤).

٢. الطبائعيون: هم أصحاب الطبائع، وقالوا بقدم العناصر الأربعة (الأرض والماء والنار والهواء) وأنَّها أصل كل موجود، وزاد قومٌ منهم وذكر أنَّ الأفلاك والكواكب قديمة. التبصير في الدين (١٥٠)، الفرق بين الفرق (٣٤٦).

٣. زاد المسير (٢٨١/٨).

٤. تلبيس إبليس (٣٠١).

٥. تلبيس إبليس (٣١٦-٣١٧).

٦. أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق، الملحد، له تصانيف في الحط من الدين، قال ابن عقيل:"عجبي كيف لم يقتل، وقد صنَّف (الدامغ) يدمغ به القرآن، و(الزمردة) يزري به على النبوات". توفي سنة ٢٩٨هـ. سير أعلام النبلاء (٦٠/١٤).

٧. أبو عليّ محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، مولى عثمان ابن عفان، الجبائي البصري. شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف، توفي سنة ٣٣٥هـ سير أعلام النبلاء (١٨٣/١٤)، والأعلام (٢٥٦/٦).

٨. المنتظم (١١١/١٣).

فإنَّ نفوسهم تستيقنها فطرةً، فلا بدَّ أن تظهر في شدّة وضيق، كما حكاه الله عن فرعون، وكما اشتهر عن علماء الاتحاد السوفيتي الملاحدة[1]، بخلاف العقول التي يختلف بعضها عن بعض، وفي نزاعِ الأممِ أنبياءَهم ومعارضتَهم لهم، دليلٌ على أنَّ الاعترافَ بالإله أمرٌ فطريٌّ، وإنَّما النِّزاع في توحيد الإلهية.

وقد تحدَّث ابن الجوزي رحمه الله عن إثبات وجوده سبحانه بدليل الفطرة، مبيناً أنَّ النّفوس البشرية مدركة لوجوده جلَّ وعلا في قرارة نفسها.

يقول رحمه الله في كتبه الوعظيَّة:"مصابيح القلوب الطاهرة، في أصل الفطرة منيرة قبل الشرائع، كقلب قِسّ[2] ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾النور:٣٥[3].

فهو يرى أنَّ قضيَّةَ الفطرة موجودةٌ قبل قضيَّة الشرائع والتكاليف، ويستدلُّ على ذلك بخبر قس بن ساعدة[4]، وهو من مؤمني الجاهليَّة، فعن ابن عباس رضي اله عنهما قال: قدم وفدُ عبدالقيس على رسول الله ﷺ، فقال:((أيُّكم يَعرفُ القسَّ بن ساعدة الإيادي؟ فقالوا: كلُّنا يا رسول الله نعرفه. قال: فما فعل؟ قالوا: هلك. قال: ما أنساه بعكاظ في الشهر الحرام، وهو على جمل أحمر، وهو يخطب الناس وهو يقول: يا أيُّها النَّاس اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، إنَّ في السماء لخبرا، وإنَّ في الأرض لعبرا، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحارٌ لا تغور. أَقسمَ قسٌّ بالله قسماً حقَّاً، لئن كان في الأرض رضاً، لتعودنَّ سخطاً، إنَّ لله دِيناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه، مالي أرى النَّاس يذهبون فلا يرجعون؟ أَرضُوا بالمقام فأقاموا، أم تُرِكُوا فناموا؟ ثمَّ قال رسول الله ﷺ: أفيكم من يروي شعره فأنشده بعضهم:

في الذَّاهبين الأوَّلين******مِن القرون لنا بصائرُ

لما رأيْتُ مواردا******للموتِ ليسَ لها مصادرُ

---

١. يُنظر: الفطرة والعقيدة الإسلامية (١١٨).

٢. أي: قِس بن ساعدة.

٣. اللطائف (٢٩). يُنظر: المدهش (٢٩٦).

٤. قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر بن إياد بن نزار الإيادي البليغ الخطيب المشهور. مات قبل البعثة، وقيل عاش ٣٨٠ سنة. وقد سمع النبيُّ ﷺ حكمته. توفي نحو ٢٣ق.هـ. الإصابة في تمييز الصحابة (٤١٢/٥)، والأعلام (١٩٦/٥).

ورأيْتُ قومي نحوَها******يسعى الأصاغرُ والأكابرُ

لا يرجعُ الماضي إليكَ******ولا مِن الباقين عابرُ

أيْقنتُ أنِّ لا محالةَ******حيثُ صار القومُ صائر))[1].

فهذه الكلمات، هي نتاجُ الفطرةِ المركوزةِ في قلبِ قِسّ بن ساعدة، وهي ركيزةٌ متجذِّرةٌ خالدةٌ في نفوس البشرية.

ويقول ابن الجوزي رحمه الله مبيِّناً أنَّ هذه الفطرة مركوزة في قلب العبد:"فاعلم أنَّ معرفةَ الحقِّ عزَّ وجلَّ مركوزةٌ في النُّفوس، ثمَّ قد نُصبت لها عليها أدلةٌ، فإذا سَلِمتْ فطرتُها من صادٍّ عن الهدى، بانَ لها الحقُّ بدليله. يدل على هذا من حيث المعنى ومن حيث الوقوع.

أمَّا من حيث المعنى: فإنَّ الأدلة إنَّما تَرُدُّ النَّفس إلى معلومها الأول الذي قد ثبت عندها، فأنا إذا قلتُ: لا بد من صانع، فهذا مركوزٌ في النُّفوس، وإنَّما يحتاج إلى إقامة الدليل الذي ينفي الشوائب عنه، وهذا فيمن تلطخت فطرته وتغيَّرت بمتغير خارجي.

وأمَّا من حيثُ الوقوع: فقد استدلَّ جماعةٌ على الوحدانية كقِسّ بن ساعدة، فإذا وقع الصَّادُ غيَّرَ الفطرةَ، ووقفتْ ظلمتُه في وجوهِ نورِها، فاشتَبَهَ على النَّفس الأمرُ، فاحتاجتْ إلى قوَّةٍ معالجةٍ من الدَّليل"[2].

وإنَّ دليلَ الفطرةِ ممَّا يؤكِّدُ عليه العلماء من السلف رضوان الله عليهم أجمعين، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"الاعتراف بوجود الصانع ثابت في الفطرة كما قرره الله في كتابه في مواضع وقد بسطت القول فيه في غير هذا الموضع، فلا يحتاج هذا إلى دليل، بل هو أرسخ المعارف، وأثبت العلوم، وأصل الاصول"[3].

وهذا الأمر لم ينفرد به المسلمون في تقريراتهم، فقد جاء في معجم لاروس للقرن العشرين:"إنَّ الغريزةَ الدينيةَ مشتركةٌ بين كلِّ الأجناس البشرية، حتى أشدَّها همجيَّة، وأقربُها إلى

---

١. رواه الطبراني في الأحاديث الطوال (٢٣٠)، والبغدادي في تاريخه (٢٨١/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠٦/١٠). وقد ضعَّف الحافظ ابن حجر رحمه الله جميع طرقه. يُنظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤١٣/٥-٤١٤).

٢. كشف المشكل (٣٧٣/٣).

٣. مجموع الفتاوى (٧٢/٢).

الحياة الحيوانية... وإنَّ الاهتمام بالمعنى الإلهي، وبما فوقَ الطبيعة، هو إحدى النَّزَعات العالميَّة الخالدةَ للإنسانيَّة"[1].

وهذا الأمرُ موجودٌ وبشكلٍ أوضح، عند من يُسلِم من الكفَّار ويدخل في دينِ الله عزَّ وجلَّ، فتجدُ أحدَهم يذكرُ أنَّ بدايتَه كانت بالبحث عن دين، ثمَّ يتنقَّلُ من دينٍ إلى دين، حتَّى يدخل في الإسلام، فسبحان الله الذي حرَّك فطرتَه للبحث عن دينٍ وإلهٍ يعبدُه، ثمَّ هو يبحث في الأديان، فيجدها تتصادمُ مع الفطرة التي خَلَقها الله في نفوس البشر، ولهذا لـمَّا أرادَ زيدُ بن عمرو بن نفيل[2] الدخول في اليهودية والنصرانية، قالوا له: لا تكون من ديننا حتى تأْخُذَ نصيبَك من غضبِ الله ولعنتِه، فقال بفطرتِه التي لم تتبدَّلْ: لا أَحْمِلُ من لعنةِ الله ولا من غضبِه شيئاً[3]. فالإنسانُ بفطرته يريدُ ما ينفعُه، وهؤلاء يقولون إذا أردتَ الدخولَ في ديننا، يجبُ أن تصيبَك لعنةُ الله وغضبُه والعياذبالله، وهكذا كل الأديان سوى الإسلام، لن تجدَ ديناً من الأديان إلا وفيه ما يخالِفُ الفطرةَ التي خلق الله الخلقَ عليها، وما سببُ تركِ النَّصارى لدينهم، إلا عقيدة التثليث التي عَجَزَ عن فهمِها علماؤُهم.

ثانياً: التَّفكر في ملكوت الله.

إنَّ الناظر لكتب ابن الجوزي رحمه الله، يجده توسَّع في هذا الباب، وتوسعتْ أدلتُه فيه، وتعدَّدت مواردُه. يقول رحمه الله:"اعلم أنَّ الأدلةَ على إثبات الصانع، بعدد أجزاء أعيان الموجودات كلها، إذ ما من شيءٍ إلا وفيه دليلٌ على صانعه، وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحدٌ"[4] ثمَّ يبدأ بذكر آثار صنع الله في خلقه، من سموات وأرضين وبحار ونباتات وجبال ووَلَه القلوب ولجأها إليه، واختلاف همم الناس.

---

١. الدين (٨٢-٨٣). للدكتور محمد دراز، دار القلم ، الكويت.

٢. زيد بن عمرو بن نفيل العدويّ، والد سعيد بن زيد. ابن عم عمر بن الخطاب. يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:"ذكره البغويّ، وابن مندة، وغيرهما في الصّحابة، وفيه نظرٌ؛ لأنَّه مات قبل البعثة بخمس سنين، ولكنَّه يجيء على أحد الاحتمالين في تعريف الصّحابي، وهو أنَّه من رأى النبيّ ﷺ مؤمناً به، هل يُشترط في كونه مؤمناً به أن تقعَ رؤيتُه له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك، أو يكفي كونه مؤمناً به أنَّه سيُبعث كما في قصّة هذا وغيره؟". توفي قبل البعثة بخمس سنين. السير(٧٦/١)والإصابة (٥٠٧/٢).

٣. رواه الطبري في تفسيره (٤٩٥/٦) من حديث سالم ابن عبدالله عن أبيه رضي الله عنه.

٤ المنتظم من تاريخ الملوك والأمم (١١٩/١).

يقول في ردِّه على الدهرية:"قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنَّه لا إله ولا صانع، وأنَّ هذه الأشياء كانت بلا مكوِّن، وهؤلاء لـمَّا لم يُدركوا الصانع بالحسّ، ولم يَستعملوا في معرفته العقلَ، جحدوه. وهل يَشكُّ ذو عقلٍ في وجود صانع؟ فإنَّ الإنسانَ لو مرَّ بقاعٍ ليس فيه بنيان، ثمَّ عاد فرأى حائطاً مبنياً، عَلِمَ أنَّه لا بدَّ له من بانٍ بناه. فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة، والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدلُّ على صانع؟"[1].

ويقول رحمه الله في صيد الخاطر:"ومعلومٌ أنَّ من رأى السماءَ مرفوعةً، والأرضَ موضوعةً، وشاهدَ الأبنيةَ خصوصاً في جسد نفسه، عَلِمَ أنَّه لا بدَّ للصَّنعة من صانع، وللمبنى من بانٍ"[2]. ولهذا ينقل مقولة الأعرابي المشهورة، الذي تكلَّم بفطرته التي لم ينغصْها شيءٌ في الاستدلال على وجود الله، فيقول رحمه الله:"وسئل بعض الأعراب: ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال: إنَّ البعرة تدُلُّ على البعير، وآثارُ القدم تدُلُّ على المسير، فهيكلٌ علويٌّ بهذه اللَّطافة، ومركزٌ سفليٌّ بهذه الكثافة، أما يدُلُّ على الصانع الخبير؟"[3].

وكذلك قوله رحمه الله:"ورأيتُ من أعجبِها، أنَّ الإنسانَ قد يُخفِي ما لا يرضاه الله عزَّ وجلَّ، فيُظهرُه الله سبحانه عليه، ولو بعد حين، ويُنطِقُ الألسنةَ به، وإن لم يشاهدْه النَّاسُ. وربَّما أوقعَ صاحبه في آفةٍ يفضحُه بها بين الخلق، فيكون جوابًا لكلِّ ما أخفى من الذنوب، وذلك لِيَعلمَ النَّاسُ أنَّ هنالك من يجازي على الزَّلل، ولا ينفع مِنْ قَدرِهِ وقدرتِه حجابٌ ولا استتارٌ، ولا يضاع لديه عمل"[4].

ويقول في استدلاله بالنَّفس:"من أكبرِ الدَّليل على وجودِ الخالق سبحانه، هذه النَّفسُ الناطقةُ المميِّزةُ، المحرِّكة للبدن على مقتضى إرادتِها، والتي دبَّرت مصالحَها، وترقَّتْ إلى معرفةِ الأفلاكِ، واكتسبتْ ما أمكنَ تحصيلُه من العلوم، وشاهدتِ الصانعَ في المصنوع، فلم يحجبْها سترٌ، وإن تكاثَفَ! ولا يعرِفُ مع هذا ماهيَّتَها، ولا كيفيَّتَها، ولا جوهرَها، ولا محلَّها، ولا يفهم من أين جاءت؟ ولا يدرى أين تذهب؟ ولا كيف تعلَّقتْ بهذا الجسد؟ وهذا كلُّه

---

١. تلبيس إبليس (٣٠١-٣٠٢).

٢. صيد الخاطر (٥٠١-٥٠٢).

٣. زاد المسير (٣٦٢/١).

٤. صيد الخاطر (٦٧-٦٨).

يُوجِبُ عليها أنَّ لها مدبرًا وخالقًا، وكفى بذلك دليلًا عليه؛ إذ لو كانت وُجِدَتْ بها، لما خفيتْ أحوالُها عليها، فسبحانه سبحانه"[1].

ويقول رحمه الله في جميل صنع الله في الإنسان:"لو تأمَّل الإنسانُ نفسه، لكَفَتْ دليلاً، ولشَفَتْ غليلاً، فإنَّ في هذا الجسد من الحِكم، ما لا يَسع ذكره في كتاب. ومن تأمَّل تحديدَ الأسنان لتقطَع، وتقريضَ الأضراسِ لتطحَن، واللِّسان يُقلِّب الممضوغَ، وتسليطَ الكبد على الطعام يُنضِجُه، ثمَّ يَنفُذ إلى كلِّ جارحةٍ قدر ما تحتاج إليه من الغذاء، وهذه الأصابعُ التي هُيِّئتْ فيها العُقد لتُطوَى وتنفتح فيمكَّنُ العملُ بها، ولم تُجوَّفْ لكثرة عملِها، إذ لو جُوِّفَت لصدمها الشيءُ القويُّ فكسرها، وجعل بعضها أطول من بعض، لتَستَوي إذا ضُمَّت، وأخفى في البدن ما فيه قوامُه، وهي النَّفسُ التي إذا ذهبت فسدَ العقلُ الذي يرشد إلى المصالح، وكلُّ شيء من هذه الأشياء ينادي: أفي الله شك؟"[2].

ويقول في تنبيه النائم الغمر، بعد أنْ ذَكرَ أنَّ أولَ واجبِ المعرفة:"ويَكْفيه من الدَّليل، رؤيةَ نفسِه وترتيبَ أعضائِه، فيَعلمُ أنَّه لابدَّ لهذا التَّرتيب من مرتِّب، كما أنَّه لابدَّ للبناء من بانٍ"[3].

ويقول أيضاً:"ومِنْ أَلْطف الأدلَّة على وجوده، وَلَهُ النُّفوسِ وفَزْعُ القلوب إذا نابَتْ نائبةٌ إليه، والكلام في هذا المعنى قد استُوفِي في مسائل الأصول. ولما كان هذا الكتاب لم يوضعْ لذلك، اقتصرنا على هذه النُّبذة، وقد قال الله عز وجل:﴿ **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ** ﴾ الحديد:٣"[4].

ويقول رحمه الله:"ومن أعجبِ الأدلَّة عليه، تفاوتُ الهممِ والطِّباعِ والصُّورِ، فإن تكوَّنت بالطَّبع لتساوت، وقد أشار عزَّ وجلَّ إلى ذلك بقوله:﴿ **يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ** ﴾ الرعد:٤. فإن قال قائلٌ جاهلٌ: منها ومن فِعلِ الطبيعة. قلنا:

---

١. صيد الخاطر (٢٦٥).

٢. تلبيس إبليس (٣٠٢-٣٠٣).

٣. (٤٧).

٤. المنتظم (١١٩/١).

إن كانتْ حيَّةً عالـمَةً قادرةً حكيمةً، فليس خلافنا إلا في الاسم، وإن لم يكن على هذه الأوصاف، لم يُتصوَّر عنها فعلٌ مُحكمٌ"[1].

وبالتَّفكُّرِ في خلق الله، نجدُ ابن الجوزي رحمه الله، يرُدُّ على الطبائعيين الذين يقولون إنَّ هذا الكون بفعل الطبيعة، فيقول في تفسيره:"والأُكُل: الثمر، بعضُه أكبرُ من بعض، وبعضه أفضل من بعض، وبعضه حامضٌ وبعضه حُلوٌ، إلى غير ذلك. وفي هذا دليلٌ على بطلان قولِ الطبائعيين؛ لأنَّه لو كان حدوثُ الثمرِ من طبعِ الأرض، والهواء، والماء، وجبَ أن يتَّفقَ ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلمَّا وقعَ الاختلافُ، دلَّ على مدبِّرٍ قادرٍ"[2].

ويقول أيضاً:"والمطرُ ينزل على معنى واحد، وأجزاءُ الأرض والهواءُ على معنى واحد، والأنواعُ تختلف في النَّبات والطُّعوم والألوان والأشكال المختلفات. وفي ذلك ردٌّ على من قال: إنَّه من فعل الطبيعة؛ لأنَّه لو كان كذلك، لوجبَ أن يتَّفِق موجبُها، إذ الـمُتَّفق لا يُوجب الـمُختلف، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في قوله: ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾الرعد:٤"[3].

ثمَّ نراه يستدِلُّ بهداية الله لخلقِه، فيقول في تفسيره لقوله تعالى:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾طه:٤٩-٥٠:"فإن قيل: ما وجهُ الاحتجاج على فرعون من هذا؟ فالجواب: أنَّه قد ثبتَ وجودُ خلقٍ وهدايةٍ، فلا بدَّ من خالقٍ وهادٍ"[4].

وبعد هذه الجولة المقتضبة من كلام ابن الجوزي رحمه الله في ذكره الأدلةَ الكونيَّة والنفسيَّة الدالَّة عل وجودِ الله، السهلة في عرضها، البعيدة كلَّ البعدِ عن تعقيدات المتكلمين، وفلسفة المتفلسفين، يَتبيَّنُ لنا منهجُ ابن الجوزي رحمه الله في الاستدلال على وجود الله، وكيف أنَّه نَهَجَ النَّهْجَ القرآني في استدلالاته.

١. المنتظم (١/١١٩).

٢. زاد المسير (٤/٣٠٣-٣٠٤).

٣. زاد المسير (١/١٦٨).

٤. زاد المسير (٥/٢٩١).

وقد اهتمَّ علماء المسلمين بهذا النَّوع من الاستدلال، وأشاروا إلى أنَّها طريقةٌ قرآنيةٌ صحيحةٌ.

يقول الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه الاعتقاد:"ثم أمر في آية أخرى بالنَّظر فيهما، فقال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾يونس:١٠١. يعني -والله أعلم- من الآيات الواضحات، والدَّلالات النَّيِّرات، وهذا لأنَّك إذا تأمَّلتْ هيئةَ هذا العالم ببصرك، واعتبرتَها بفكرك، وجدتَّه كالبيت المبنيِّ، المعدِّ فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض مبسوطة كالبساط، والنُّجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذَّخائر، وضُروب النبات مهيأةً للمطاعم والملابس والمآرب، وصُنوف الحيوان مسخرةً للمراكب، مُستعمَلةً في المرافق، والإنسان كالـمُمَلَّك للبيت المخوّل ما فيه، وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ العالَمَ مخلوقٌ بتدبيرٍ وتقديرٍ ونظام، وأنَّ له صانعاً حكيماً، تامَّ القدرة، بالغَ الحكمة"[1].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله:"الاستدلالُ على الخالق بخلقِ الإنسان، طريقٌ عقليٌّ صحيحٌ، فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحُسن والاستقامة، وهي طريقة عقليّة صحيحة. وهي شرعيّةٌ؛ دلَّ القرآنُ عليها، وهدى النَّاس إليها، وبيَّنها وأرشَد إليها. وهي عقليَّةٌ؛ فإنَّ نفسَ كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة، ثمَّ من علقة، هذا لم يُعلمْ بمجرد خبر الرسول، بل هذا يعلمُه النَّاسُ كلُّهم بعقولهم؛ سواءً أخبر به الرسول، أو لم يخبر. لكنَّ الرسول أمر أن يُستدلَّ به، ودلَّ به، وبيَّنه، واحتجَّ به؛ فهو دليلٌ شرعي؛ لأنَّ الشارعَ استدلَّ به، وأمر أن يُستدلَّ به؛ وهو عقليٌّ؛ لأنَّه بالعقل تُعلمُ صحتُه. وكثيرٌ من المتنازعين في المعرفة هل تحصل بالشرع أو بالعقل؟ لا يسلكونه. وهو عقليٌّ شرعيٌّ، وكذلك غيره من الأدلة التي في القرآن؛ مثل الاستدلال بالسَّحاب والمطر؛ هو مذكور في القرآن في غير موضع، وهو عقليٌّ شرعيٌّ؛ كما قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾السجدة: ٢٧؛ فهذا مرئيٌّ بالعيون. وقال تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ

---

١. الاعتقاد للبيهقي (٣٨).

يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾فصلت:٥٣، ثمَّ قال:﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾فصلت:٥٣"[١].

وهذا النَّوع من الاستدلال، وهو التَّفكر في ملكوت الله عزَّ وجلَّ، كان ملازماً لابن الجوزي رحمه الله، ويلاحقُه في جوانب حياته، فيذكر رحمه الله في سفره من المدينة النبوية إلى العراق عن طريق تبوك بدلاً من طريق الحاج المعتاد، فيقول:"قيل لنا: إنَّ العربَ قد قعدوا على الطريقِ يرصُدُون الحاجَّ، فحمَلَنا الدليلُ على طريق خيبر، فرأيتُ فيها العجائبَ من الجبال وغيرها"[٢].

وقد كان لهذا الأمر، الأثرُ البالغُ في حياة ابن الجوزي رحمه الله، وذلك في محبَّته لله، وحركتِه لطاعةِ مولاه، يقول رحمه الله:"ثمَّ صاحتْ بي الأدلَّةُ عليه إليه، فتوقَّفَتْ بين يديه، فرأيتُه في نعته، وعرفتُه بصفاتِه، وعاينَتْ بصيرتي من ألطافِه ما دعاني إلى الهَيَمان في محبَّته، وحرَّكني إلى التَّخلِّي لخدمتِه، وصار يملكُني أمرٌ كالوجد، كلَّما ذكرتُه، فعادتْ خَلْوتي في خدمتي له أحلى عندي من كلِّ حلاوة"[٣].

ويقول أيضاً:"وقد كان ابنُ سيرين يضحَكُ بين الناسِ قَهْقَهَةً، وإذا خلا بالليل، فكأنَّه قتلَ أهلَ القرية. فنسأل الله تعالى علماً نافعاً، فهو الأصلُ، فمتى حصَلَ أوجَبَ معرفةَ المعبودِ عزَّ وجلَّ، وحرَّكَ إلى خدمتِه بمقتضى ما شَرَعَه وأَحبَّه، وسَلَكَ بصاحبه طريقَ الإخلاص"[٤].

ثالثاً: دلالة الحدوث.

إنَّ دليلَ الحدوثِ، هو الأصلُ الذي بنى عليه المتكلمون في إثباتِ وجودِ الصَّانع، وبالَغَ بعضُهم، فجعَلَه الأصلَ الوحيدَ الذي يُعرف الله به[٥].

والمرادُ به هو الاستدلال على حدوث العالم -وأنَّه وُجِد بعد أنْ لم يكن موجوداً- بحدوث الأعراض التي تَعْرِضُ لهذه العوالم.

---

١. النبوات لابن تيمية (٢٩٢/١).

٢. المنتظم (١٢٦/١٨).

٣. صيد الخاطر (٥١).

٤. صيد الخاطر (٨٠).

٥. يُنظر: التوحيد للماتريدي (١٢٩)، والمختصر في أصول الدين لعبدالجبار (١٧٢-١٧٣)، وشرح حديث النزول (١٦١-١٦٢).

وبالنَّظر في كتب ابن الجوزي رحمه الله، نجدُه لم يقرِّرْ هذا الدليلَ إلا في موضعين، في كتابِه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، والآخر في كتابه تلبيس إبليس، وإن كان أشار إليه مستدلاً به في مواضع أخر[1].

يقول رحمه الله في المنتظم:"قد ثَبَتَ عند العقولِ السليمةِ أنَّ العالمَ كلَّه حادثٌ، وكلُّ حادثٍ فلحدوثِه سببٌ، والدليلُ على أنَّ العالمَ حادثٌ، أنَّ العالمَ كلُّ موجودٍ سوى الله عزَّ وجلَّ- والموجود إذا كان متحيِّزاً غيرَ مؤتلف، سُمِّيَ جوهراً فرداً، فإن ائتلف إلى غيرِه سُمِّي جسماً. والعرض ما قام بغيره: كاللون، والطعم- وهذه الموجودات لا تخلو من الحوادث، كالحركة والسُّكون، وكلُّ ما لا يخلو من الحوادث حادثٌ.

ومعنى قولِنا حادثٌ، أنَّه وُجِد بعد عدمِه، فلا يخلو وجودُه قبلُ أنْ يكون محالاً أو ممكناً، ولا يجوز أن يكون محالاً؛ لأنَّ المحالَ لا يُوجد أبداً. فثبت أنَّه ممكنٌ، والممكنُ ما يجوز أن يُوجدَ ويجوز أن لا يُوجد، فلا بدَّ لوجودِه من مرجِّحٍ له على العدم، وهذا أمرٌ ضروريٌّ في العقلِ لا نزاعَ فيه، فظهر منه أنَّه لا بدَّ للموجوداتِ من مُوجِدٍ أوجَدَه.

فإن قيل: يَبطُلُ هذا بالخالق، فإنَّه موجودٌ لا بموجِد؟. قلنا: الخالقُ واجبُ الوجودِ لم يزلْ، وهذه الأشياءُ جائزةُ الوجودِ وبَدَتْ بعد عدم، فافتقر[2] إلى موجد"[3].

بل يرى أنَّ هذا الدليل، يُعتبر من الأدلَّةِ القطعيةِ في وجودِ الخالق جلَّ وعلا، يقول رحمه الله:"ومن الأدلَّةِ القطعيَّة على وجوده، أنَّ العالمَ حادثٌ، بدليل أنَّه لا يخلو من الحوادثِ، وكلُّ مَا لا ينفكُّ عن الحوادثِ حادثٌ، ولا بُدَّ لحدوثِ هذا الحادث من مسبِّبٍ وهو الخالقُ سبحانَه"[4].

نلاحظ من خلال هذا النَّص، استدلالَ ابن الجوزي رحمه الله بدليلِ حدوثِ الأجسامِ الذي قرَّره المتكلمون، وأنَّ هذه الأجسادَ لا تخلو من حوادثَ وأعراضَ، وأنَّ ما لا يخلو من الحوادثِ حادثٌ.

ولنا في هذه المسألة وقفاتٌ:

---

١. يُنظر: كشف المشكل (٢٧٧/٤)، وصيد الخاطر (١١٧).

٢. هكذا في الأصل، ولعلَّ الصواب (فافتقر) والله أعلم.

٣. المنتظم (١١٨/١-١١٩).

٤. تلبيس إبليس (٣٠٥).

أولاً: أنَّ دليلَ الحدوثِ له طريقان: الاستدلالُ بحدوث الأعيان، أو بحدوث الصفات والأعراض.

أمَّا الاستدلال بحدوث أعيان المخلوقات وذواتها، فهذه طريقةٌ قرآنيةٌ صحيحةٌ، وهي التي أشار إليها القرآنُ بقوله:﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾الطور:٣٥.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وذلك أنَّه قد عُلِم بضرورة العقل، أنَّه لا بدَّ من موجودٍ قديمٍ غنيٍّ عمَّا سواه، إذ نحن نشاهدُ حدوثَ المحدثاتِ كالحيوان والمعدن والنبات، والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع، وقد عُلِم بالاضطرار أنَّ المحدَث لا بدَّ له من محدِث، والـمُمْكن لا بدَّ له من واجب، كما قال تعالى:﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ الطور:٣٥، فإذا لم يكونوا خُلقوا من غير خالق، ولا هم الخالقون لأنفسهم، تعيَّنَ أنَّ لهم خالقاً خَلَقَهم"[١]، وهذه الطريقةُ بيَّنها شيخُ الإسلام رحمه الله وأطال فيها النَّفس في كتبه[٢].

أمَّا الاستدلال بحدوثِ الصِّفات والأعراضِ، بمعنى أنَّ كلَّ ما لايخلو من الصفاتِ والأعراضِ والحوادثِ فهو حادثٌ، والذي يُعرف بدليل الحدوث، فهذه الطَّريقة هي التي حذَّر منها العلماءُ، لما يَلْزم منها من نفيِ الصِّفاتِ عن الله عزَّ وجلَّ، ولأنَّها طريقةٌ مبتدعةٌ لم تَرِدْ في القرآن ولا في السنَّة، إضافةً إلى صعوبتِها، ووجودِ غيرها من الطُرُقِ الشَّرعيةِ الآمنة[٣].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"والمقصود هنا: أنَّ الأشعريَّ بنى أصولَ الدين في اللُّمعِ، ورسالةِ الثغر على كونِ الإنسان مخلوقاً مُحدثاً، فلا بُدَّ له من مُحدِث، لكونِ هذا الدليل مذكوراً في القرآن، فيكون شرعيّاً عقليّاً.

لكنَّه في نفس الأمر سَلَكَ في ذلك طريقةَ الجهميَّة[٤] بعينها؛ وهو الاستدلالُ على حدوثِ الإنسان بأنَّه مُركَّب من الجواهرِ المفردة، فلم يخلُ من الحوادث، وما لم يخلُ من الحوادثِ فهو حادثٌ؛ فجعلَ العِلمَ بكونِ الإنسانِ مُحدَثاً، وبكون غيرِه من الأجسام المشهودة

---

١. التدمرية (٢٠).

٢. يُنظر:درء التعارض(٣/٩٨)، (٣/٢٦٥-٢٦٦)، (٨/٢٩٣-٢٩٤)، والأصول التي بنى عليها المبتدعة (٢/٢٥٦).

٣. يُنظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة(٢/٢٠٧).

٤. الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان الترمذي، من أقواله: أنَّ العبد مجبور، والجنة والنار تفنيان، والإيمان هو المعرفة فقط، وإنكاره للصفات. قتله سلم بن أحوز المازني بمرو. الفرق بين الفِرَق (١٩٩)، الملل والنحل (١/٨٦). مقالات الإسلاميين (٢٧٩).

مُحدثاً، إنّما يُعلم بهذه الطريقة؛ وهو أنَّه مؤلَّف من الجواهرِ المفردةِ، وهي لا تخلو من اجتماعٍ وافتراقٍ – وتلك أعراضٌ حادثةٌ– وما لم ينفكّ من الحوادث فهو مُحْدَث. وهذه الطريقة أصلُ ضلالِ هؤلاء؛ فإنَّهم أنكروا المعلومَ بالحسِّ والمشاهدةِ والضرورةِ العقليَّةِ؛ من حدوث المُحدثات المشهودِ حدوثَها، وادَّعوا أنَّه إنَّما يشهدُ حدوثَ أعراضٍ لا حدوثَ أعيانٍ، مع تنازعهم في الأعراض"[1].

ولهذا لم يَسْلَمْ ابنُ الجوزي رحمه الله بسبب تبنيّه لهذا الدليل، فنفى عن الله الصفات بحجَّةِ حلول الحوادث، فيقول رحمه الله:"من تنزَّه عن العدم والزَّوال، تقدَّس عن التحوّلِ في المحال، وامتنعَ في وصف التَّنقل واستحال، وكلُّ ما جاز على حادثٍ، فهو عليه محالٌ"[2].

ثانياً: يلاحظ أنَّ ابن الجوزي رحمه الله، لم يذكرْ هذا الدليل – أعني دليلَ الحدوث – إلا في موضعين وباختصار شديد، ممَّا يدُلُّ على أنَّ الإمام ابن الجوزي رحمه الله وإن تأثَّرَ بعلم الكلام، لكنَّه لم يَكنْ يُكثرْ من ذكر مباحثِه وتقريراتِه، وذلك بسبب بغضِه لعلم الكلام، وتحذيرِه منه، خاصَّةً في خطابِه لعامَّة النَّاس، ولهذا يقول رحمه الله:"أضرُّ ما على العوام المتكلمون، فإنَّهم يُخلِطون عقائدَهم بما يَسمَعُون منهم. من أقبحِ الأشياء أن يَحضُرَ العاميُّ – الذي لا يَعرفُ أركانَ الصلاة، ولا الرِّبا في البيع– مجلسَ الوعظ، فلا ينهاهُ عن التَّواني في الصلاة، ولا يُعلِّمه الخلاصَ من الرِّبا، بل يقول له: القرآنُ قائمٌ بالذَّات، والذي عندنا مخلوق، فيَهُون القرآنُ عند ذلك العاميِّ، فيحلفُ به على الكذب"[3]. فهذا يوضِّح لنا موقف ابن الجوزي رحمه الله من المباحث الكلاميَّة، وأنَّه لا يتطرَّق لها رحمه الله، لمعرفته أنَّ هذه المناهج –وإن تأثَّر بها– إلا أنَّها ضارَّةٌ بشكلٍ كبيرٍ للعوام، وكذلك مضَّرتُها للعلماء، ولهذا يقول عن الذين تأثَّروا بعلم الكلام من خلال تلبيس إبليس عليهم:"وَقد تنوَّعتْ أحوالُ المتكلمين، وأفضى الكلام بأكثرهم إِلَى الشُّكوك، وببعضِهم إِلَى الإلحاد، ولم يسكتِ القدماءُ من فقهاء

١. النبوات لابن تيمية (١/٢٩٥-٢٩٦).

٢. المنظوم والمنثور (٥٩٥).

٣. صيد الخاطر (٢٨٤).

هـذه الأمَّـة عـن الكـلام عجـزاً، ولكـنَّهم رأوا أنَّـه لا يَشْـفي غلـيلاً، ثمَّ يَـرِدُ الصـحيحُ علـيلاً، فأَمْسَكُوا عنه، ونَهُوا عن الخوض فيه"[1].

المسألة الثانية: أول واجب على المكلَّف:

تمهيد: إنَّ معرفة الله مركوزةٌ في فطرتها التي خلقت عليه ولم تتبدل، وإن كان البعضُ يكابر فيها، لكن تُخْرِجُها الشدائدُ والنكباتُ، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾العنكبوت:٦٥ ولهذا لم يأتِ الرسلُ لتقرير وجود الله، بل بُعثت لتقرير عبادة الله وتوحيده، وإفرادِه بالألوهية سبحانه، ونفيِ الشريك والندِّ له.

وبالنَّظر في كلام ابن الجوزي رحمه الله، نجدُه يقرِّر أنَّ أولَ واجبٍ على المكلَّف، هو معرفة الله سبحانه وتعالى، وذلك في أكثر من موضع في مؤلفاته.

يقول رحمه الله في كتابه لفتة الكبد:"وأولُ ما ينبغي النَّظر فيه: معرفة الله تعالى بالدليل"[2].

ويقول رحمه الله في كتابه تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر:"فصل: وليَعْلم البالغُ أنَّه من يوم بلوغه، وجبَ عليه معرفةُ الله تعالى بالدليل لا بالتقليد"[3].

ويقول أيضاً:"اعلم أنَّ الآدميَّ قد خُلق لأمرٍ عظيم، وهو مُطَالبٌ بمعرفة خالقه بالدليل، ولا يكفيه التَّقليد"[4] في نصوص كثيرة من كتبه يقرِّر هذا المعنى رحمة الله عليه.

ومن خلال ما تقدَّم، سيكون الحديث في الأمور التالية:

---

١. تلبيس إبليس (٤٨٧-٤٨٨). كتاب تلبيس إبليس حقق في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من خلال رسالتين علميَّتين، الأولى طبعت بتحقيق د. المزيد في ثلاث مجلدات، وأحيل في النقل عليها. والثانية لم تطبع، وطلبتها من الجامعة وأُعطيتُها-جزاهم الله خيراً- في قرص مرن (سيدي)، وحينما أردت إنزالها على الجهاز، وجدتُها مقسَّمة على خمس ملفات، فاعتمدتُ في الإحالة على نسخةٍ أخرى ذكرتها في المصادر والمراجع، وأقابل على نسخة جامعة الإمام لضبط النَّص. فما كان برقم الصفحة فقط، فهي من نسخة المزيد، وما كان بذكر الجزء والصفحة فهي النسخة الأخرى.

٢. لفتة الكبد (٣٠).

٣. (٤٧). ويُنظر: صيد الخاطر(٥٠١)، والحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ لابن الجوزي (٤٧).

٤. صيد الخاطر (٣١٥).

أولاً: إيجاب ابن الجوزي رحمه الله معرفة الله، وأنَّه أولُ واجبٍ عند البلوغ، فهذا ممَّا خالف فيه هديَ القرآنِ والأحاديثَ الصريحةَ في أنَّ أولَّ أمرٍ يكون للنَّاس، هو أمرهم بعبادة الله سبحانه وتوحيده، وهذا ما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة والجماعة[١]، حيث ذهبوا إلى أنَّ أولَ واجبٍ على العبد شهادةُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، والدليل على ذلك[٢]:

١. أنَّ أولَ ما دعت إليه الرسلُ أقوامَهم هو عبادة الله عزَّ وجلَّ، يقول تعالى حاكياً عن أنبيائهم في ستة عشر موضعاً من كتابه أنَّهم قالوا لقومهم: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾الأعراف:٥٩.

٢. ويقول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حينما بعثه إلى اليمن:((إنَّك تَقْدُمُ على قومٍ من أهلِ الكتابِ، فَلْيكنْ أولَ ما تدعوهم، إلى أنْ يُوحدُوا اللهَ تعالى))[٣]. ولهذا بوَّب الإمام البخاري رحمه الله في ترجمته لهذا الحديث بقوله:"باب: ما جاء في دعاءِ النبي ﷺ أُمَّتَه إلى توحيد الله تعالى"[٤].

وقد قرَّر أئمة السلف ما هو أولُ واجب على المكلَّف، وبيَّنوا أنَّ معرفةَ الله مغروسةٌ في فِطَر النَّاس، فمِنْ ذلك ما ورد عن الإمام مالك رحمه الله، حينما سُئلَ عن الكلام والتوحيد، فقال:"محالٌ أنْ نظنَّ بالنبي ﷺ أنَّه علَّم أمَّتَه الاستنجاءَ، ولم يعلمْهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ:((أمرتُ أنْ أقاتلَ النَّاس حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله))[٥]فما عُصِمَ به الدمُ والمالُ حقيقةُ التوحيد"[٦].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله:"فأمَّا فَرْضُ الله تعالى على القلب: فالإقرار، والمعرفة، والعقد، والرِّضا، والتسليم بأنَّ الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له"[٧].

---

١. يُنظر: درء التعارض (٨/٨)، وأول واجب على المكلف للغنيمان (٩)، والتداخل العقدي (٣٩٣-٤٣٧).

٢. يُنظر: أول واجب على المكلف للغنيمان (١٢-١٦)، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (١٥٨-١٦٢).

٣. رواه البخاري برقم: (٧٣٧٢) ومسلم برقم: (٣١).

٤. صحيح البخاري (١١٤/٩).

٥. رواه البخاري برقم: (٢٥)، ومسلم برقم: (٢٠). من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

٦. سير أعلام النبلاء(٢٦/١٠).

٧. مناقب الشافعي(٣٨٧/١-٣٩٣).

وقد حكى الإمامُ ابن المنذر رحمه الله[1] الإجماعَ على أنَّ أولَ واجبٍ هو الشهادتان، فيقول رحمه الله:"وأجمعَ أهلُ العلم: على أنَّ الكافرَ إذا شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ كل ما جاء به محمدٌ حقٌّ، ويبرأُ من كل دين خالفَ دينَ الإسلام وهو بالغٌ صحيحُ العقل، أنَّه مسلمٌ"[2].

وبناءً على ما تقدَّم نرى كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله جانبَه الصوابَ في مسألة أولِ واجبٍ على المكلَّف والله أعلم.

ثانياً: قوله رحمه الله من أنَّ هذه المعرفة يجب أن تكون بالدليل لا بالتقليد، فهذه المسألةُ تُعرفُ بإيمانِ المقلِّد، وهي متفرِّعةٌ عن مسألة أولِ واجبٍ على المكلَّف.

وهذه المسألة لعلماء الكلام الموجبين للنَّظر أقوالٌ[3]: فمنهم من يقول إنَّه يَكْفُر إذا لم يعرف ربَّه بالدليل، ومنهم من يقول هو عاصٍ، ومنهم من يقول إنَّه مُؤمنٌ، ولكن ليس إيمانُ المقلِّدِ كإيمان العارف.

وهنا نسألُ، ماهو رأي الإمام ابن الجوزي رحمه الله في هذه المسألة، أعني إيمان المقلد؟ لم أرَ له نصَّاً في هذه المسألة، ولكن ما ذكره من إيجاب معرفة الله بالدليل، يلزمُ منه عدمُ صحة الإيمان، أو صحتَه مع الإثم[4].

والسبب في إيجابه رحمه الله معرفةَ الله بالدَّليل، أحدُ أمرين:

الأول: أنَّه قد يكون هروباً من وصمة التَّقليد. ولهذا نجدُه يطرحُ سؤالاً ويجيبُ عليه، فيقول:"فإنْ قال قائلٌ: فالعوام لا يعرفون الدليلَ فكيف لا يقلِّدون؟ فالجواب: أنَّ دليلَ الاعتقاد ظاهرٌ على ما أشرنا إليه في ذكر الدَّهرية، ومثل ذلك لا يَخفى على عاقل"[5]. فهو بهذا يقرِّرُ أنَّ معرفةَ الله مدركةٌ لكلِّ شخص، وحتَّى وإن قال يجب معرفة الله بالدليل، إلا أنَّ

---

١. محمد بن إبراهيم بن المنذر الإمام أبو بكر النيسابورى الفقيه. نزيل مكة، صاحب التصانيف، من أشهرها (الإجماع)، و(الإشراف في اختلاف العلماء) وغيرها. توفي سنة ٣١٨هـ. سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٤)، وطبقات الشافعية (١٠٢/٣).

٢. الإقناع لابن المنذر (٥٨٨/٢). يُنظر: مراتب الإجماع لابن حزم (١٢٧).

٣. يُنظر: أصول الدين للبغدادي (٢٥٤-٢٥٥)، النظامية (٨٩-٩٠)، شرح السنوسي (١٢).

٤. يُنظر: براءة الأئمة الأربعة (١٧١).

٥. تلبيس إبليس (٤٨٤-٤٨٥).

هذا الدليلَ ظاهرٌ لكلِّ عاقل كما يقول، وهذا يعتبر تحصيل حاصل؛لأنَّه إذا كان حاصلاً وظاهراً فما الحكمة من إيجابه؟.

ولهذا فلعلَّ ما ذهب إليه ابن الجوزي رحمه الله وغيره من الحنابلة من إيجاب الدليل، أرادوا أن يرفعوا عن أنفسهم تهمة"أنَّهم انفردوا دونَ بقيةِ الأمَّة، بالقول بالتقليد في الأصول"[1].

الثاني: أنَّه قد يكونُ من بابِ التنظير ليس إلَّا، وأنَّ الواقعَ ليس كذلك، ولهذا يقول في صيد الخاطر:"إنَّما على العاميِّ أن يؤمنَ بالأصول الخمسة، بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويقنَعُ بما قال السلف: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، والاستواءُ حقٌّ، والكيفُ مجهولٌ"[2]، فيُلاحظ عدمُ ذكرِهِ لهذه المسألة، ولكن قد يَرِدُ عليه بأنَّ ما ذكره في حقِّ العوام، إنَّما هو في حالهم بما بعد البلوغ، لا فيما قبل البلوغ والله أعلم بالصَّواب.

ثالثاً: وفي قول ابن الجوزي رحمه الله أنَّ المعرفةَ قد تقعُ ضرورةً، مع قوله أنَّ أولَ ما ينبغي ويجبُ عند بلوغ الإنسان هو معرفة الله، تناقضٌ واضطرابٌ، ووجهُ التناقض في ذلك، أنَّه يُوجب على المكلَّفِ النَّظر والاستدلال، وهي موجودةٌ أصلاً[3].

ولهذا نجدُ أنَّ ابنَ الجوزي رحمه الله لاحظَ ذلك، فبرَّره بأنَّ الغرضَ من ذلك، هو دَفْعُ الشوائبِ الواردةِ على النَّفس، فيقول:"فإنَّ الأدلَّةَ إنَّما تَرُدُّ النَّفسَ إلى معلومِها الأوَّلِ الذي قد ثبتَ عندها، فأنا إذا قلتُ: لا بدَّ من صانع، فهذا مركوزٌ في النُّفوس، وإنَّما يحتاجُ إلى إقامةِ الدليلِ الذي يَنفي الشوائبَ عنه"[4].

ويستقيمُ كلامُه رحمه الله فيمن انتكست فطرتُه، ولكن هل كلُّ شخص ترد عليه هذه الشَّوائب كما يقول رحمه الله؟ أليس هناك من صَفَتْ نفسُه من هذه الشَّوائب التي تُكدِّر الفطرةَ؟ نعم، هناك من النَّاس من أُصيبتْ فطرتُه، فهولاء يحتاجون إلى ما يُصحِّح فطرتَهم، ويعيدُها إلى خِلقتِها التي خُلِقَتْ عليها، ولهذا فإنَّ الصحيحَ مِنْ أقوال العلماء في مسألةِ المعرفةِ، هل تحصُلُ بالنَّظر أو بالمعرفةِ أو بهما معاً؟ هو قولُ جمهورِ أهلِ العلمِ، وهو أنَّ من

---

١. براءة الأئمة الأربعة (١٧٢).

٢. صيد الخاطر (٣٦١).

٣. يُنظر: درء التعارض (٣٥٧/٧)، (١٦/٨)، التداخل العقدي (٤١٣).

٤. كشف المشكل (٣٧٣/٣).

حَصَلتْ له المعرفةُ أو الإيمان، لم يجبْ عليه النّظرُ، ومن لم تحصلْ له المعرفةُ ولا الإيمانُ إلا به وَجَبَ عليه النِّظرُ والاستدلالُ[1].

١. يُنظر:درء التعارض (٧/٤٠٥).

المطلب الثاني: توحيد الألوهية: وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاستدلال لتوحيد الألوهية:

إنَّ توحيد الألوهية هو التوحيد الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام، وهو أن يُخلص العبد العبادة للإله الحقِّ المبين سبحانه، وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم.

وقد تقدَّم معنا كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله اهتمَّ بتقرير توحيدِ الربوبية، ووجودِ الصانع، وأنَّه سبحانه خالقُ كلِّ شيء، وأنَّ السببَ في اهتمامِه هذا أمران، تأثُّرُه بعلم الكلام، وكثرةُ الجاحدين لله سبحانه وتعالى، المنكرين ربوبيتَه في عصره.

ومع تقريرِه لهذه القضية لم يُغفِلْ رحمه الله تقريرَ توحيد الألوهية، وإخلاصَ العبادة لله وحده سبحانه، مستدلّاً لذلك بعدة أدلّة كما سنبيِّن ذلك إن شاء الله.

ولكن قبل البدءِ بهذه الأدلة، أحبُّ أنْ أذكرَ أنَّه رحمه الله لم يهتمّ بهذه القضيَّة بالقدر الذي اهتمَّ به في تقريره لوجود الله؛ وذلك والله أعلم لعدمِ انتشار الشِّرك في العبادة في عصرِه، بحيث تكون ظاهرةً تستحِقُّ الاهتمامَ بها، كما اهتمَّ رحمه الله بقضايا عقديَّة أخرى، سيّما ما شاع من قضايا الإلحاد ومنكري الربِّ سبحانه من الملاحدة الباطنيَّة وغيرها من المسائل.

ولذلك لم نجدْ ابن الجوزي رحمه الله يتعرَّض في تلبيس إبليس لمن عبدوا القبور، ودعوا الله عندها، وسؤالهم غيرَ الله عزَّ وجلَّ، بالقدر الذي تكلَّم عن منكري الربوبية.

وهذا أمرٌ طبيعي، فبالنَّظر مثلاً في كتاب المسائل والرَّسائل المرويَّة عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جَمْعُ الباحث عبدالإله الأحمدي، نجدُ المواضيعَ التي ناقشتْ موضوعَ توحيدِ الإلهية، لا تتعدَّى السِّتين صفحة من ثمان مئة صفحة، وما ذاك إلا لعدمِ انتشارِ البدع في باب توحيد الألوهية في زمانِه رحمه الله، وكذلك عدمُ وجودِ عبادةِ القبور أو غيرها من دون الله، بخلاف مسائلِ الصفات، ومن أخصِّها مسألةَ خلقِ القرآن، وكذلك مسائلُ القدر والإيمان، تجدُ أنَّها أخذتْ حيِّزاً كبيراً من كلامه رحمه الله، وذلك بسبب كثرةِ الكلام فيها في عصره.

ومن جهةٍ أخرى، فابن الجوزي رحمه الله، يرى أنَّ الشرك معروفٌ خطرُه وضررُه، بخلاف المسائل التي لم تشتهرْ ويُعرف ضررُها، يقول رحمه الله:"فإن قيل: فكيف عظَّم شهادةَ الزُّور

بتفخيم أمرِها وتكرارِ ذكرها، والشّرك أعظم؟ فالجواب: أنَّ تعظيمَ أمرِ الشركِ قد عُرف، فأرادَ تعظيمَ ما لا يُعرف قدرَ وقعِه، فكرَّر، كما أكثرَ ذكرَ عيبِ قومِ لوطِ بالفاحشة، وقومِ شعيب بالتطفيف، وإن كان الشرك أعظم"[1].

ويقول رحمه الله في موضع آخر:"واعلم أنَّ الله تعالى عظَّم ذكرَ البخسِ في قصتهم، وشدَّد فيه وأطْنَب في ذكره، وأشار إلى التوحيد، لينبهَنا على ما نرتكبُه، فإذ قد عرفْنَا قُبحَ الشرك لم نحتجْ إلى الإطناب في ذكره ، وكذلك عابَ قومَ لوط بالفاحشة وبالغَ في ذكرها، وكلُّ ذلك لتخويفنا"[2] ثمَّ يستدلُّ على ذلك بفعله عليه الصلاة والسلام حينما أتى المدينة، فاهتمَّ بما هو موجود عندهم من التطفيف في الكيل، فقال:"قال ابن عباس:(لـمَّا قَدِمَ النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبثِ الناس كيلا فأنزل الله تعالى:﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾ المطففين: ١)[3]"[4].

والآن سأذكر طرق استدلالاته رحمه الله لتوحيد الألوهية، ومن خلالها يتبيَّنُ لنا مدى اهتمامِ ابن الجوزي رحمه الله بهذه القضيَّة.

١. استدلاله بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

يقول رحمه الله:"قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم ﴾ العنكبوت:٦٣ يعني: كفار مكة، وكانوا يقرّون بأنَّه الخالقُ والرازقُ. وإنَّما أَمَرُه أن يقولَ الحمد لله على إقرارهم؛ لأنَّ ذلك يُلْزِمُهم الحجةَ، فيُوجب عليهم. ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾العنكبوت:٦٣ توحيدَ الله مع إقرارهم بأنَّه الخالق"[5].

---

١. كشف المشكل (١٣/٢).

٢. التبصرة (٢١٠/١).

٣. رواه ابن ماجه برقم: (٢٢٢٣). وصحَّحه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه برقم: (٢٢٢٣).

٤. التبصرة (٢١٠/١).

٥. زاد المسير (٢٨٣/٦).

ويقول رحمه الله:"قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الأنعام:١يعني: المشركين بعد هذا البيان﴿ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾الأنعام:١ أي: يجعلون له عديلاً، فيعبدون الحجارةَ المَوَات، مع إقرارِهم بأنَّه الخالقُ لما وَصَف. يُقال: عَدلْتُ هذا بهذا إذا ساويتُه"[١].

وفي تفسيره لمخاطبة إبراهيم عليه السلام لقومه كما في الشعراء:﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾الشعراء:٧٧-٨٢ يقول رحمه الله:"وهذا احتجاج على قومه أنَّه لا تصلح الإلهية إلا لمن فَعَل هذه الأفعال"[٢] والتي هي من ربوبيته سبحانه وتعالى.

ويقول في تفسيره لقوله تعالى:﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ سبأ:٢٤:"وإنَّما أَمَر أنْ يسألَ الكفَّار عن هذا، احتجاجاً عليهم بأنَّ الذي يرزق هو المستحق للعبادة، وهم لا يُثبِتون رازقاً سواه. ولهذا قيل له:﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾سبأ:٢٤لأنَّهم لا يُجيبون بغير هذا"[٣].

ويقول في تفسيره لقوله تعالى:﴿ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِ ﴾الرعد:٤:"وفي هذا دليلٌ على بطلان قولِ الطبائعيين؛ لأنَّه لو كان حدوثُ الثَّمر على طبع الأرض، والهواء، والماء، وجَبَ أنْ يتَّفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلمَّا وقع الاختلافُ، دلَّ على مدبرٍ قادرٍ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ الرعد:٤ أنَّه لا تجوزُ العبادةُ إلا لمن يقدِرُ على هذا"[٤].فهو يقرِّر من خلال هذه الآية، أنَّ العبادة لا تجوز، ولا يَستحقها إلا من كان قادراً على إنبات النبات بماءٍ واحد، مع تفاضلها في الطَّعم. فيستدل بتوحيد الربوبية لكي يقرِّر توحيد العبادة لله.

---

١. زاد المسير (٢/٣).

٢. زاد المسير (١٢٩/٦).

٣. زاد المسير (٤٥٤/٦).

٤. زاد المسير (٣٠٣/٤-٣٠٤).

ويقــــول أيضـــاً:"قوله تعـــالى:﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ الأنبياء:١٦أي: لم نَخلقْ ذلك عبثاً، إنَّا خلقناهما دلالةً على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناسُ بخلقه، فيعلموا أنَّ العبادةَ لا تَصلُحُ إلا لخالقه، لنجازيَ أولياءَنا، ونعذِّبَ أعداءَنا"[١].

ويقول رحمه الله:"﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم ﴾يوسف:١٠٦يعني: المشركين، يؤمنون بأنَّه الخالق الرازق، ثمَّ يشركون به"[٢] أي: في توحيد الألوهية.

وغيرها من النُّصوص التي يذكر فيها ابن الجوزي رحمه الله تقريرَ توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية.

وهذه هي طريقة القرآن، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:"وهذه قاعدة القرآنِ يقرِّر توحيدَ الإلهيةِ بتوحيد الربوبية، فيُقرِّر كونَه معبوداً وحدَه، بكونه خالقاً رازقاً وحدَه"[٣].

ويقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله:"ويَكْثُرُ في القرآن العظيم، الاستدلالَ على الكفَّار باعترافهم بربوبيته جلَّ وعلا على وجوب توحيده في عبادته؛ ولذلك يخاطِبُهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقرُّوا بربوبيته احتجَّ بها عليهم على أنَّه هو المستحقّ لأنْ يُعبدَ وحدَه، ووبَّخهم منكِراً عليهم شِركَهم به غيرَه، مع اعترافهم بأنَّه هو الربُّ وحدَه؛ لأنَّ من اعترف بأنَّه هو الربُّ وحدَه، لزمَه الاعتراف بأنَّه هو المستحقُّ لأنْ يُعبد وحدَه"[٤].

٢. استدلاله بعدم قدرة الأصنام على النفع والضر.

يقول رحمه الله في قصّة إبراهيم عليه السلام مع قومه كما في الأنعام:"قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾الأنعام:٨١ أي: من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع﴿ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ ﴾الأنعام:٨١الذي خلقكم ورزقكم وهو قادر على ضرِّكم ونفعِكم ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾الأنعام:٨١أي:حجة﴿ فَأَيُّ

١. زاد المسير (٣٤٣/٥).
٢. تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١٧٧).يُنظر: زاد المسير (٢٩٤/٤) حيث ذكر الخلاف في تفسير الآية ولم يرجِّح.
٣. التبيان في أقسام القرآن (٤٢٨).
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٩/٣).

﴿ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾الأنعام:٨١أي: بأن يأمنَ العذابَ، الموحِّدُ الذي يَعبُدُ من بيده الضُّرَّ والنَّفع، أم المُشرك الذي يَعبُد مالا يَضر ولا يَنفع؟"[١].

ويقول أيضاً:"ثمَّ ذَكَر ما صنعه المشركون فقال:﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ الفرقان:٣يعني: الأصنام﴿ لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾الفرقان:٣أي: وهي مخلوقة﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا ﴾الفرقان:٣ أي: دفع ضر، ولا جَرَّ نفع؛ لأنَّها جمادٌ لا قدرةَ لها ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا ﴾الفرقان:٣أي: لا تَملك أن تُميتَ أحداً، ولا أن تُحْيِيَ أحداً، ولا أنْ تَبعثَ أحداً من الأموات. والمعنى: كيف يعبدون ما هذه صفته ويتركون عبادة من يقدر على ذلك كله؟"[٢].

وبهذا يتبيَّن كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله اهتمَّ بقضية تقرير الألوهية، واستحقاق الله عزَّ وجلَّ لها دون ما سواه، ولم يقتصر بيانه لتوحيد الربوبية.

المسألة الثانية: التعريف بـ(لا إله إلا الله):

لم أجدْ كلاما لابن الجوزي رحمه الله في تعريف كلمة التوحيد، ولكنَّه تطرَّق لها بالإشارة إليها، أو في تفسيره لبعض آيات الكتاب.

ففي كلامه عن لفظ الجلالة (الله)، ذكر أقوال العلماء من حيث إنَّه مشتقٌّ أو غيرُ مشتقٍّ، ثمَّ قال:"وحُكي عن بعض اللُّغويين: أَلَهَ الرجلُ يَأْلَهُ إلاهاً، بمعنى: عبد يعبد عبادة.

وروي عن ابن عباس أنه قال:﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾الأعراف:١٢٧ أي: عبادتك. قال: والتأله التعبد. قال رؤبة:

لله دَرُّ الغَانياتِ المُدَّه******سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَألُّهي[٣]

فمعنى الإله: المعبود"[٤].

ويقول أيضاً:"والإله: بمعنى المعبود"[١].

---

١. زاد المسير (٧٧/٣).

٢. زاد المسير (٧٢/٦).

٣. ديوان رؤبة بن العجّاج (١٦٥).

٤. زاد المسير (٩/١).

وفي قوله تعالى:﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾الأعراف:١٢٧ يقول رحمه الله:"قال الزَّجاج: المعنى: ويَذَرك ورُبُوبيَّتك. وقال ابنُ الأنباري[2]: قال اللُّغويون: الإلاهة العبادة، فالمعنى: ويَذرك وعبادةَ النَّاس إيَّاك. قال ابن قتيبة: من قرأ [وإلاهتك] أراد ويَذرك والشمسَ التي تَعبُد. وقد كان في العرب قومٌ يعبدون الشمس ويسمونَها آلهةً، قال الأعشى[3]:

فما أَذْكُرُ الرَّهبَ حتَّى انْقَلَبْتُ******قُبيلَ الإلهَةِ منها قَرِيْبا[4]

يعني الشمس"[5]. ثمَّ هو يرجِّح قولَ ابنِ الأنباري كما في تذكرة الأريب، حيث يقول:"[وآلهتك] كانت له أصنام قد أمر الناس بعبادتها"[6] بخلاف قول الزجاج الذي فسَّرها بالربوبية.

ويقول أيضاً:"قوله تعالى:﴿ وَجَعَلَهَا ﴾الزخرف:٢٨يعني: كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله﴿ كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ ﴾الزخرف:٢٨أي: فيمن يأتي بعده من ولدِه، فلا يزال فيهم موحِّد﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾الزخرف:٢٨إلى التوحيد كلُّهم، إذا سمعوا أنْ أباهم تبرَّأ من الأصنام، ووحَّدَ الله عزَّ وجلَّ"[7]. ففسَّر رحمه الله كلمةَ التوحيد التي يرجع إليها أبناء يعقوب عليه السلام، البرآءة من الأصنام، والأمر بتوحيد الله عزَّ وجلَّ.

---

١. زاد المسير (١/١٦٧).

٢. أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري. من أعلم أهل زمانه بالآداب واللغة. قيل كان يحفظ ثلاثة عشر صندوقاً. توفي في بغداد سنة ٣٢٨هـ. سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧٤)، والأعلام (٦/٣٣٤).

٣. ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. أدرك الإسلام ولم يسلم. مات بقرية منفوحة باليمامة سنة ٧هـ. طبقات فحول الشعراء (١/٥٢)، والأعلام (٧/٣٤١).

٤. بحثت عنه في ديوان الأعشى شرح وتعليق د.محمد حسين فلم أجده. ويقول ابن الجوزي رحمه الله في معنى البيت:"والرَّهب: ناقته. يقول: اشتغلتُ بهذه المرأة عن ناقتي إلى هذا الوقت". زاد المسير (٣/٢٤٤).

٥. زاد المسير (٣/٢٤٤).

٦. تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١١٦).

٧. زاد المسير (٧/٣١٠).

ويقول في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾طه:٩٨"أي: هو الذي يستحق العبادة، لا العجل"[١]. ففسّر [إلاهكم] بمعنى المعبود المستحق للعبادة، ويلاحظ هنا كذلك قوله:"الذي يستحق العبادة" فكأنَّه يقول: هناك آلهةٌ عُبِدَت من دون الله ولكنَّها لا تستحق، وهذا هو تفسير كلمة التوحيد، بأنَّه لا معبود بحقٍّ إلا الله.

ويقول في قوله تعالى﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾الرعد:١٤:"قوله تعالى[له دعوة الحق]فيه قولان:أحدهما: أنَّها كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله. قاله علي وابن عباس والجُمهور. فالمعنى: له مِنْ خَلقه الدَّعوةُ الحقَّ[٢]، فأضيفتْ الدَّعوة إلى الحقِّ لاختلاف اللفظين. والثاني: أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الحقُّ، فمن دعاه دعا الحقَّ. قاله الحسن"[٣]. ورجَّح رحمه الله القولَ الأولَ كما في تذكرة الأريب[٤]، والمدهش[٥]. فنلاحظ كذلك مما تقدَّم، أنَّه جعل من تعريف كلمة التوحيد، الدعاء له بالحق، وأنَّ الدَّعاء بالباطل لغيره، وهذا قيدٌ مهم في تعريف لا إله إلا الله، وأنَّه لا معبود بحق إلا الله، حتى يُخرج المعبودات التي بالباطل.

فهذه النُّصوص تدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّه يرى أنَّ معنى لا إله إلا الله، هو أنَّه لا معبود بحق إلا الله.

ومما يزيد ذلك إيضاحاً، بيانُه معنى العبادة لله عزَّ وجلَّ، وأنَّها لا يجوز صرفُها إلا لله سبحانه وتعالى، وأنَّه سبحانه هو المستحقُّ للعبادة دون ما سواه.

يقول ابن الجوزي رحمه الله في تعريفه للعبادة:"الأصل في العبادة: الذُّل. يقال: طريق معبَّدٌ، أي: مذلَّلٌ. وعبادةُ الله تعالى: الذُّلُّ له بالانقياد لما أَمر، والانتهاءُ عمَّا نهى. وحَدَّ بعضُهم العبادةَ، فقال: هي الأفعالُ الواقعةُ على نهاية ما يُمكِن من التَّذَلُل والخضوع، والمجاوزة لتَذلُّلِ بعض العباد لبعض.

وذَكَر أهلُ التفسير، أنَّ العبادة في القرآن على وجهين:

---

١. زاد المسير (٥/٣٢٠).

٢. والدعوة الباطلة لغيره من الآلهة الباطلة. يقول ابن جزي الغرناطي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل:"قيل هي: لاإله إلا الله، والمعنى: أنَّ دعوة العباد بالحق لله، ودعوتهم بالباطل لغيره". (٢/١٣٢).

٣. زاد المسير (٤/٣١٧).

٤. يُنظر: تذكرة الأريب (١/٢٧٢).

٥. يُنظر: المدهش (٢٧).

أحدهما: التوحيد. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾النساء:٣٦، أي: وحّدوه. وفي المؤمنين:﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ ﴾ المؤمنون:٣٢، وفي الأنبياء:﴿ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾الأنبياء:٧٣، وفي سورة نوح:﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾نوح:٣، كذلك كل ما ورد في دعاء الأنبياء قومهم"[1] فنلاحظ كيف أنَّه جعل التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وأنَّ هذه هي دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام.

ويقول في تفسيره لقوله تعالى عن المشركين:﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾الشعراء:٩٧-٩٨:"[نسويكم] أي: نَعْدِلُكم بالله في العبادة"[2] أي: أنَّ سببَ ورودِ المشركين النَّار، هو أنَّهم سوَّوا شركاءَهم بالله في العبادة.

ويقول في تفسيره لقول عيسى عليه السلام:﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ المائدة:١١٦:"أي: لستُ استحقُّ العبادةَ فأَدْعو النَّاس إليها"[3]وهذا حينما خاطبه الله جلَّ في علاه﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾المائدة:١١٦. فهذا يدلُّ على أنَّه يرى بأنَّ معنى{إلاهين} معبودين، ولهذا فسَّر قولَ عيسى عليه السلام بأنَّه لا أحدَ يستحقُّ العبوديَّة إلا الله سبحانه.

ويقول في تفسيره تذكرة الأريب لقوله تعالى: ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾العنكبوت:٦٥: "أي: أَفْرَدُوه بالدعاء دون أصنامِهم"[4]، أي أنَّ الدعاءَ عبادةٌ لا يجوز صرفُها إلا لله سبحانه.

وفي زاد المسير يقول:"قوله تعالى:﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾العنكبوت:٦٥ أي: أفردوه بالدعاء. قال مقاتل[5]: والدين بمعنى التوحيد. والمعنى:

---

١. نزهة الأعين النواظر (٤٣١/١-٤٣٢).

٢. تذكرة الأريب (٤٢/٢).

٣. زاد المسير(٤٦٤/٢).

٤. تذكرة الأريب (٦٨/٢).

٥. مقاتل بن حيان النبطي، أبو بسطام البلخي الخزاز، مولى بكر بن وائل، توفي في حدود ١٥٠هـ بأرض الهند. سير أعلام النبلاء (٣٤٠/٦)، تهذيب التهذيب (٢٧٧/١٠).

أنَّهم لا يدعون من يدعونه شريكاً له ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ ﴾العنكبوت:٦٥أي: خلَّصهم من أهوال البحر وأفضوا ﴿ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾العنكبوت:٦٥"[١].

ويقول في تفسير سورة البيِّنة:"﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾البينة:٥أي: مُوحدين لا يعبدون سواه"[٢].

وبهذا يتبيَّنُ رأيَه رحمه الله في أنَّ معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، لامعبودَ بحقٍّ إلا الله، وأنَّ العبادة لا تُصرف إلا لله عزَّ وجلَّ دون ما سواه. وهذا ما عليه السلف رحمهم الله.

يقول الإمام الطبري رحمه الله في كلامه عن لفظ الجلالة (الله):"عن عبد الله بن عباس، قال: الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين. فإن قال لنا قائل: فهل لذلك في (فَعَلَ ويَفْعَل) أصل كان منه بناء هذا الاسم؟. قيل: أمَّا سماعاً من العرب فلا، ولكن استدلالا. فإن قال: وما دلَّ على أنَّ الأُلوهية هي العبادة، وأنَّ الإلهَ هو المعبود، وأنَّ له أصلا في (فَعَل ويَفْعل)؟. قيل: لا تَمَانُعَ بين العربِ في الحكم لقول القائل- يصف رجلا بعبادة، وبطلب مما عند الله جلَّ ذكرُه – تألَّه فلان، بالصحة، ولا خلاف. ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج[٣]:

لِلهِ دَرُّ الغَانياتِ المدَّه******سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

يعني: من تَعبُدِي وطلبي اللهَ بعملي"[٤].

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله:"قوله تعالى:﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ البقرة:١٦٣نفي وإثبات. أولها كفر وآخرها إيمان، ومعناه لا معبود إلا الله"[٥].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وليس المراد بالإله، هو القادر على الاختراع كما ظنَّه من ظنَّه من أئمة المتكلمين، حيث ظنُّوا أنَّ الإلهيةَ هي القدرة على الاختراع دون غيره، وأنَّ من أقرَّ بأنَّ اللهَ هو القادرُ على الاختراع دون غيره، فقد شهد أن لا إله إلا هو. فإنّ

---

١. زاد المسير(٢٨٤/٦).

٢. زاد المسير (١٩٩/٩).

٣. أبو الجحَّاف أو أبو محمد، رؤبة بن العجَّاج التميمي السعدي الراجز. من أعراب البصرة. كان رأساً في اللغة. توفي سنة ١٤٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٦٢/٦) والأعلام (٣٤/٣).

٤. تفسير الطبري (١٢٣/١).

٥. تفسير القرطبي (١٩١/٢).

المشركين كانوا يقرّون بهذا وهم مشركون كما تقدَّم بيانه، بل الإله الحق، هو الذي يستحقُّ بأن يُعبد، فهو إلهٌ بمعنى مألوه؛ لا إله بمعنى آله[١]؛ والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له"[٢].

ويقول الشيخ الأمين رحمه الله في العذب النَّمير:"وقد قدَّمنا أنَّ الإله فِعال بمعنى: مفعول. أي: معبود. فالإلهة في اللغة: العبادة. والإله: المعبود. وفي قراءة ابن عباس أي: وعبادتَك. فالإله معناه المعبود الذي يَعْبُدُه خلقُه بذُلٍّ وخضوعٍ ومحبةٍ إليه جلَّ وعلا. وقد قدَّمنا أن إتيان (الفِعَال) بمعنى (المَفْعُول) مسموع في اللغة وليس بمطرد، ومنه: (إله) بمعنى: مألوه، و(كتاب) بمعنى: مكتوب، و(لباس) بمعنى: ملبوس، و (إمام) بمعنى: مؤتم به، في أوزان معروفة، وهذا معنى:﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾الأعراف:٥٩"[٣].

المسألة الثالثة: التوسل بجاه النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين.

ومع تقريره رحمه الله بأنَّ العبادة لا تُصرف إلا لله، إلا أنَّه يذهب إلى جواز التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الصالحين، فممَّا هو ملاحظٌ لقارىء كتب ابن الجوزي رحمه الله، توسّلَه بجاه النبي ﷺ وحرمته، وهذا في أكثر من موضع في كتبه عليه رحمة الله.

يقول رحمه الله:"فالله الله يا أمَّةَ محمد، ويا أحبابَ محمد، مَنْ أصابتْه نائبةٌ، أو وَقَعَ في شدةٍ، فليتضرَّع إلى مولاه، ويسأله بقَدْرِ محمدٍ، وبحُرْمَةِ محمدٍ ﷺ، فإنَّ قدرَهُ عند الله عظيم"[٤].

ويقول أيضاً:"ومِنْ بيان فضلِه على الأنبياء، أنَّ آدمَ سألَ ربَّه بحُرْمةِ محمدٍ أنْ يتوب عليه"[٥] ولهذا نجده يذكر حديثاً موضوعاً في ذلك[٦]، وهو أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:((لما أصاب آدم الخَطيئة، رفع رأسه فقال: ربِّ بحقِّ محمد إلا غفرت لي))[٧].

---

١. آله: أي عابد، والله أعلم .

٢. مجموع الفتاوى(١٠١/٣).

٣. العذب النَّمير (١٣٠٤/٣).

٤. بستان الواعظين ورياض السامعين (٢٨١) من الشاملة. وفي نسخة الجميلي (٣٨٣).

٥. الوفا (٣٥٩).

٦. يُنظر: الوفا (٣٣). ومن الغريب أنَّ ابن الجوزي رحمه الله لم يذكر هذا الحديث في الموضوعات، ولا في العلل المتناهية، ولا أدري هل هو يرى صحته أم أنَّه غفل عنه؟.

٧. رواه الحاكم في المستدرك (٦١٥/٢). وقال:"حديث صحيح الإسناد". تعقَّبه الذهبي رحمه الله بقوله:"بل موضوع، وعبد الرحمن واهٍ، وعبد الله بن مسلم الفهري لا أدري من هو؟".

ويقول في كتابه المنظوم:"منِ اْستشفع بِكَ لا أردُّهُ، ومَنْ سَأَلَ بِكَ لا أُخيِّبُهُ"[1].

وقد بوَّب رحمه الله في الوفا باباً بعنوان:"في الاستسقاء بقبره ﷺ"[2] وذكر أثر عائشة رضي الله عنها المشهور، وسيأتي الكلام عنه بعد قليل إن شاء الله.

بل إنَّه رحمه الله يرى جوازَ التوسّلِ بغير النبي ﷺ، كالتوسَّلِ بالأنبياء والصحابة والصالحين، فيقول رحمه الله في توسّلِه بالأنبياء عليهم السلام وعمومِ الصالحين:"اللهمَّ إنَّا نتوسَّلُ إليك بالخليل في منزلته، والحبيب في رُتبته، وكلِّ مخلصٍ في طاعته، أنْ تَغْفرَ لكلٍّ منَّا زلَّته يا كريم، برحمتك يا أرحمَ الرَّاحمين"[3].

ويقول أيضاً:"اللهم إنَّا نتوسل إليك بهم، أن تغفرَ لنا يا أرحم الراحمين، آمين آمين يا ربَّ العالمين"[4].

ويقول في مقدّمة كتابه السُّودان والحبش:"وعلى عمِّه العباسِ بن عبدالمطلب المُسْتَسْقَى بشَيْبَتِه"[5] مع أنَّ استسقاء عمر بالعباس كان بدعاء العباس لا بشخصه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ عمر رضي الله عنه، استسقى بالمصلَّى، فقال للعباس: قُمْ فاستسق. فقام العباس، فقال: اللهم إنَّ عندك سحاباً، وإنَّ عندك ماءً، فانشر السَّحاب، ثمَّ أنزل فيه الماءَ، ثمَّ أنزله علينا، فاشدد به الأصل، وأطل به الزَّرع، وأدرَّ به الضَّرع، اللهمَّ شفعنا في أنفسنا وأهلينا، اللهم إنَّا شفعنا إليك عمَّن لا منطق له عن بهائمنا وأنعامنا، اللهم اسقنا سقياً وادعةً بالغةً، طبقاً، عاماً، مُحْيِياً، اللهم لا نرغب إلا إليك وحدك لا شريك لك، اللهم إنَّا نشكو إليك سغبَ كلِّ ساغب، وغُرمَ كلِّ غارم، وجوعَ كلِّ جائع، وعُريَّ كلِّ عار، وخوفَ كلِّ خائف في دعاء له[6].

---

١. (٤٤٢).

٢. الوفا (٨٠١).

٣. التبصرة (١/١٢٤).

٤. المنظوم (٣١٨).

٥. السودان والحبش (٢٨). يُنظر: التبصرة (١/٤٤٧).

٦. رواه عبدالرزاق في مصنَّفه برقم: (٤٩١٣). وأصله في البخاري مختصراً برقم: (١٠١٠) من رواية أنس رضي الله عنه.

وما ذهب إليه رحمه الله من التوسُّل بجاه النبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والصالحين، من البدع المحدثة في الإسلام، التي لم يرد نصٌّ عليه في كتاب الله، ولا سنَّة رسول الله ﷺ.

يقول الإمام أبوحنيفة النعمان رحمه الله:"لا ينبغي لأحدٍ أن يدعو الله تعالى إلاّ به، وأَكرهُ أن يقول المرءُ: أسألُك بمعاقدِ العزِّ من عرشك، وأَكره أن يقول: وبحقِّ أنبيائك ورسلِك، وبحقِّ البيت الحرام"[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ما زلتُ أبحثُ وأكشفُ ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء، هل جوَّز أحدٌ منهم التوسلَ بالصالحين في الدعاء، أو فَعَل ذلك أحدٌ منهم، فما وجدتُه، ثمَّ وقفتُ على فتيا للفقيه أبي محمد بن عبد السلام، أفتى بأنَّه لا يجوز التوسّلُ بغير النبي ﷺ، وأما بالنبي ﷺ فيجوز التوسل به إن صحَّ الحديثُ في ذلك[2]"[3].

ولهذا ما ورد عن أحدٍ من الصحابة أو التابعين أنَّهم توسَّلوا بالنبي ﷺ، أو بأحدٍ من الخلفاء الراشدين الأربعة، أو غيرهم، بل إنَّ مرادَهم بالتَّوسل هو طلب الدعاء من النبي ﷺ، وكذلك طلبُ الدعاء من العباس عمِّ النبي ﷺ[4].

ولعلَّ ابنَ الجوزي رحمه الله أخذ بالرِّواية عن إمامِه الإمام أحمد رحمه الله بجواز التوسّلِ بالنبي ﷺ، فقد نقل شيخ الإسلام رحمه الله قولَ الإمام أحمد في توسُّله بالنبي ﷺ، فنَقَلَ عنه قوله في منسك المَرُّوْذِي قوله:"وحوِّل وجهك إلى القبلة، وسلِ اللهَ حاجتَك متوسِّلاً إليه بنبيه ﷺ، تُقضَ من الله عزَّ وجلَّ"[5].

وما ذُكِر عن الإمام أحمد رحمه الله من التوسّلِ بالنبي ﷺ، هو مبنيٌّ على مسألةِ جواز الحلِف بالنبي ﷺ، فمَنْ أجازَه جوَّزَ التوسُّل بذاته ﷺ، ومن مَنعَه، منعَ التوسُّلَ بذاته[6]، وللإمام أحمد في الحلِفِ به ﷺ روايتان[1]، وإن كان الإجماعُ منعقداً على تحريم الحلِف بغير الله.

---

١. جلاء العينين (٥٥١). يُنظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١١٢٣/٢) وَ (١١٢٩/٢).

٢. أي: حديث الأعمى عند الترمذي برقم: (٣٥٧٨).

٣. الدرر السنية (١٦٢/٢-١٦٣)، وكذلك (٥٠/١٢). وقد بحثت عن هذا النص في كتب شيخ الإسلام فلم أجدْهُ والله أعلم. يُنظر: مجموع الفتاوى (٣٤٧/١).

٤. تقدّم تخريجه قبل قليل.

٥. الرد على الإخنائي (١٨١).

٦. يُنظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٩٩)، اقتضاء الصراط المستقيم (٣٠٥/٢).

١. قاعدة جليلة (٩١).

يقول الإمام ابنُ عبدالبرِّ رحمه الله:"لا يجوز الحلِف بغير الله عزَّ وجلَّ في شيءٍ من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمرٌ مجتمعٌ عليه"[1].

وما ورد عن الإمام أحمد رحمه الله، يجاب عنه بأنَّ التوسُّلَ عبادةٌ، والعبادة توقيفية، فما ورد في الكتاب والسنة أخذنا به، وإلا كان من الأمور المحدثة.

يقول الشيخ الألباني رحمه الله:"فأجاز الإمام أحمدُ التوسّلَ بالرسول ﷺ وحدَه فقط، وأجاز غيرُه كالإمام الشوكاني التوسُّلَ به وبغيره من الأنبياء والصالحين: ولكنَّا -كشأننا في جميع الأمور الخلافية- ندور مع الدليل حيثُ دار، ولا نتعصبَ للرِّجال، ولا ننحاز لأحدٍ إلا للحقِّ كما نراه ونعتقدُه، وقد رأينا في قضية التوسّلِ التي نحن بصددها الحقَّ مع الذين حظروا التوسل بمخلوق، ولم نرَ لمجيزيه دليلاً صحيحاً يُعتدُّ به، ونحن نطالبُهم بأن يأتونا بنصٍّ صحيحٍ صريحٍ من الكتاب أو السنَّة فيه التوسل بمخلوق، وهيهات أن يجدوا شيئاً يؤيد ما يذهبون إليه، أو يسند ما يدعونه، اللهم إلا شبهاً واحتمالات"[2].

وكذلك فإنَّ قولَ العبد في دعائه لربه: أسألك بحقِّ فلان، وبجاه فلان، باطل؛ لأنَّه "اعتقاد السائل أنَّ لأحد من المخلوقين على الله حقّاً، والحال أنَّه ليس لأحدٍ على الله حقٌّ، إلا ما أحقَّه سبحانه على نفسه، نعمةً منه وفضلاً، وإذا كان لأحدٍ على الله حقّ أحقّه على نفسه بوعده الصادق، فهو خاص لصاحب الحقّ، وليس سبباً صالحاً للتوسل، إذ كأنَّ الداعي يقول:يا رب لكون فلان من عبادك الصالحين، أجب دعائي. ولا مناسبة ولا رابط، وإنما هو من الاعتداء في الدعاء"[3].

وما ذكره رحمه الله في الوفا من الاستسقاء بقبر النبي ﷺ، واستدلاله بحديث عائشة رضي الله عنها، فهو حديث ضعيف، فعن أبي الجوزاء[4] أنَّه قال: قَحِط أهلُ المدينة قَحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت:(انظروا قبرَ النبي ﷺ فاجعلوا منه كوىً إلى السماءِ حتى لا يكونَ بينه وبين السماء سقفٌ). قال: ففعلوا، فمُطِرنا مطراً حتى نَبَتَ

---

١. التمهيد (٣٦٦/١٤). يُنظر: مراتب الإجماع لابن حزم (١٥٨)، قاعدة جليلة في التوسل (٩١).

٢. التوسل أنواعه وأحكامه (٤٢-٤٣).

٣. رسالة في أسس العقيدة (٣٩).

٤. أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي البصري. من كبار العلماء. تُكُلِّم في سماعه من عائشة رضي الله عنها. قتل يوم الجماجم سنة ٨٥هـ. السير (٣٧١/٤)، وتهذيب التهذيب (٣٨٣/١).

العشبُ، وسَمِنت الإبلُ حتى تَفتَّقَت من الشحم، فسُمِّي عام الفتق[1]. فهذا الحديث ضعيف الإسناد لايصح[2]، ومما يدلُّ على عدم ثبوته؛ لما أصاب المسلمين القحطُ في زمن عمر رضي الله عنه، طلب الدعاءَ من العباس رضي الله عنه، ولو كان صحيحاً لذهب إلى هذه الكوَّة واستسقى بقبره ﷺ.

أضف إلى أنَّ الكوَّةَ لم تكنْ موجودةً في عهده ﷺ ولا بعد موته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وممَّا يبيِّنُ كذب هذا، أنَّه في مدَّة حياة عائشة لم يكن للبيت كوَّة، بل كان باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ، بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة:(أنَّ النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها، لم يظهر الفيء بعد)[3]، ولم تزلِ الحجرةُ النبويةُ كذلك في مسجد الرسول ﷺ...ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد، ثمَّ إنَّه يُبنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدارٌ عالٍ، وبعد ذلك جعلت الكوَّة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنسٍ أو تنظيفٍ"[4].

وممَّا يدلُّ على ضعف الخبر، أنَّ كتبَ التاريخِ لم تذكرْ هذه السَّنَّة، ولم تُشرْ إليه، ممَّا يدلُّ على عدم وجودِ عام يسمَّى بعام الفَتْق والله أعلم.

ويجب أن يفرّقَ بين من يدعو الله بجاهِ أنبيائه، أو أحدِ الصالحين، كأن يقول: اللهم إنِّي أسألُك بجاهِ نبيِّك محمدٍ أن تغفرَ لي ونحو ذلك، وبين من يدعوا الأنبياءَ والصالحين، فيقول مثلاً: يا رسول الله فرِّج كربي ونحوه.

فالأولُ من الأمور المحدثةِ المبتدعةِ، وليستْ بشرك، والثاني من البدعِ الشّركيَّة نسأل الله السلامة والعافية[5].

---

١. رواه الدارمي في سننه برقم: (٩٣).

٢. يُنظر: التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني رحمه الله (١٢٦-١٣٠).

٣. رواه الخاري برقم: (٥٤٤)، ومسلم برقم: (٦١١).

٤. تلخيص الاستغاثة (٦٨-٦٩).

٥. يُنظر: الدرر السنية (١٦٥/٢-١٦٦). وفتاوى ومسائل ضمن مؤلفات الشيخ محمد عبد الوهاب (٦٨/٤).

المسألة الرابعة: التبرك:

يقول الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾القصص:٦٨، فخَلَق البشرَ واختارَ منهم الأنبياء، وخلقَ الأزمانَ فاختارَ منها شهرَ رمضان وأيامَ العشر وغيرها، وخلقَ الأرضَ واختارَ منه مكةَ والمدينةَ وغيرها، مما وردت النصوص بفضلها وشرفها.

فجعل سبحانه فيما اختار البركة، فمن ذلك وادي العقيق، حيث ثبت في الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال:((أتاني الليلة آت من ربي فقال أهل في الوادي المبارك))[1]وغيره كثير مما اختصَّه الله عزَّ وجلَّ بالبركة.

وقد تطرق الإمام ابن الجوزي رحمه الله إلى أكثر من جانب في قضية التبرك، كالتبرك بالأشخاص والتبرك بالأمكنة والتبرك بالقبور.

وسنتكلم بحول الله وقوته عن التبرك بالأشخاص والأمكنة، ونؤخِّرُ الكلام فيما يتعلق بالقبور في مسألة مستقلَّة لطول الكلام فيها بمشيئة الله.

أمَّا التبرك بالأشخاص، فيقول ابن الجوزي رحمه الله في شرحه لحديث ((كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الغداة، جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يأتون بإناء إلا غمس يده فيه. إنما كانوا يطلبون بهذا بركته ﷺ))[2]:"إنَّما كانوا يطلبون بهذا بركته ﷺ. وينبغي للعالم إذا طلب العوام التبرك به في مثل هذا ألا يخيب ظنونهم، وأنه يحملهم على ما هم عليه"[3].

فنرى من هذا النَّص كيف أنَّه لا يرى حرجاً في التبرك بذوات الصالحين، قياساً على فعل الصحابة مع النبي ﷺ.

ويقول أيضاً عمّن يتغلَّب على هواه، وأنَّه يورثه المباهاة عند الخلق"فأنَّهم يعجبون من الزاهد، ويذلّون له، ويتبركون به"[4].

وأمَّا ما يتعلَّق بزيارة الأمكنة للتبرك بها، فالمراد التعلق بآثار الأنبياء والصالحين، والأماكن التي وُلِدُوا بها، أو الطُرُق التي مرُّوا عليها، والأماكن التي صلُّوا عندها، والآبار التي شَرِبوا منها وغير ذلك من المواطن التي مرُّوا عليها.

---

١. رواه البخاري برقم: (١٥٣٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢. رواه مسلم في صحيحه برقم: (٢٣٢٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٣. كشف المشكل (٣/٣١٢).

٤. ذم الهوى (٧٧).

يقول ابن الجوزي رحمه الله في كتابه مثير العزم الساكن[1] في معرض كلامه عن الأماكن التي تزار في مدينة رسول الله ﷺ:"وقد صلَّى رسول الله ﷺ في مسجد القبلتين ...وفي مواضع يطول ذكرها، فيستحب تتبعها لمن عرفها بالمدينة. وكذلك الأبيار التي شرب منها رسول الله ﷺ، والأماكن التي جلس فيها"[2].

ثمَّ هو يعقد باباً في كتابه المتقدم بعنوان:"باب ذكر أماكن بمكة يستحب فيها الصلاة والدعاء"[3] ثم ذكرها وهي ثمانية عشر موضعا.

فهذا ما وجدته من كلام له رحمه الله في مسألة التبرك، سواء بالذوات والأشخاص، أو ما يتعلق بالأماكن.

وبالنَّظر إلى أقوال السلف والأئمة في هذه المسألة، نجد أنَّ الإمام ابن الجوزي رحمه الله قد جانبه الصواب فيها والله أعلم.

أمَّا ما يتعلَّق بالتبرك بالصالحين، قياساً على تبرك الصحابة بالنبي ﷺ، فهذا قياس غير صحيح؛ لأنَّه ﷺ مباركٌ، والتبرك بالأشخاص يحتاج فيها إلى إثبات أنَّهم أناسٌ مباركون، وهذا أمرٌ غيبيٌ لم يطلعْ عليه أحدٌ، ولا يعلمُه أحدٌ سوى اللهِ عزَّ وجلَّ، ولهذا حينما ذكر الله الولاية في كتابه قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ يونس:٦٢-٦٣، فجعل من شروط الولاية التَّقوى، والتَّقوى مكانُها القلب كما ثبت عنه ﷺ ((ألا إنَّ التقوى هاهنا))[1] وأشار إلى قلبه، والقلبُ غيبٌ عنَّا، فلا يعلم ما فيه سواه سبحانه وتعالى.

---

١. الكتاب طبع باسم (الغرام الساكن) ويذكر السبكي أن اسمه (العزم الساكن) وهذا هو الصحيح والله أعلم؛ لأنَّه حينما ينقل من هذا الكتاب يقول:"ومن خطه نقلت" مما يدل على أنَّه ينقل عن نسخة ابن الجوزي رحمه الله. يُنظر: الصارم المنكي (٢٣٠). وقد وجدت نسخة أخرى بتحقيق مرزوق إبراهيم وتقريظ الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله، باسم مثير العزم الساكن.

٢. مثير العزم (٤٩٧).

٣. يُنظر: مثير العزم الساكن (٣٤٤).

١. رواه أحمد برقم: (١٢٣٨١) من حديث أنس بن مالك. قال الهيثمي رحمه الله:"ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد (٥٢/١).

ولهذا قال أبوالدرداء رضي الله عنه:(لأن أستيقن أنَّ الله قد تقبَّلَ مني صلاةً واحدةً، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، إنَّ الله يقول:﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة:٢٧"[١]
ولهذا كان السلف رضوان الله عليهم يخافون على أنفسهم من النفاق ومن سوء الخاتمة، فكيف بمن هو دونهم، نسأل الله السلامة والعافية[٢].

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله:"ولأنَّ الولايةَ وإنْ ظهر لها في الظاهر آثار، فقد يخفى أمرها؛ لأنَّها في الحقيقة راجعةٌ إلى أمر باطنٍ لا يعلمه إلا الله، فربَّما ادُّعيتْ الولايةُ لمن ليس بوليٍّ، أو ادعاها هو لنفسه، أو أظْهرَ خارقةً من خوارق العادات هي من باب الشَّعوذة، لا من باب الكرامة، أو من باب السيمياء، أو الخواص، أو غير ذلك"[٣].

ولهذا لم يؤثرْ عن الصحابة التبرك بأبي بكر أو عمر أو غيرهما رضي الله عن الجميع، مع أنَّ صلاح هؤلاء متيقن لشهود ﷺ لهم بالجنة،وما ورد من نصوص في فضلهما.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله:"الصحابة رضي الله عنهم بعد موته ﷺلم يقعْ من أحد منهم شيءٌ من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذْ لم يتركِ ٱلنبي ﷺ بعده في الأمة أفضلَ من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو كان خليفتَه، ولم يفعلْ به شيءٌ من ذلك، ولا عمر بن الخطاب، وهو كان أفضلَ الأمةِ بعده، ثمَّ كذلك عثمان بن عفان، ثمَّ علي بن أبي طالب، ثمَّ سائر الصحابة الذين لا أحدَ أفضلَ منهم في الأمّة، ثمَّ لم يثبت لواحدٍ منهم من طريق صحيحٍ معروفٍ أنَّ مُتبركاً تبرَّك به على أحدِ تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء كلها"[١].

وأمَّا ما ذكره رحمه الله من التبرك بآثار الأنبياء، فهذا مما لم يرد فيه نصٌّ من كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ.

---

١. رواه ابن أبي حاتم. يُنظر تفسير ابن كثير (٨٥/٣). ولم أجده في تفسير ابن أبي حاتم.

٢. وللحافظ ابن رجب رحمه الله كلام جميل في هذا المعنى عن السلف، فليراجع في جامع العلوم والحكم (٤٣٣-٤٣٤).

٣. الاعتصام للشاطبي (٣٠٥/٢).

١. الاعتصام (٣٠٢/٢-٣٠٣).

والنَّاظرُ في كلام ابن الجوزي رحمه الله يرى أنَّ ما ذكره من هذه الأماكن الموجودة في مكة والمدينة يقول فيها:"يقال" أو"فيما يقال"، وأنَّها ظُنون ليست أموراً معروفة، وهي كما قال تعالى:﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾الأنعام:١١٦ فهي ظُنون وأوهامٌ يَضيعُ فيها الزَّمان بتتبعها فيما لا يُرضِي الله عزَّ وجلَّ. ولو أنَّ الإنسانَ مكثَ في المسجد الحرام، وداوم على الصلاة والطواف فيه لكان أولى.

بل من طريف ما ذكر رحمه الله، موضعاً في أجيادَ يقال له المتَّكأ، سُمي بذلك؛ لأنَّ النبيﷺ اتكَّأَ هناك، ولسائل أن يسأل، هل النبي ﷺ اتكَّأَ في هذا الموضع فقط حتى نجعلَ له مزيَّةً عن غيره من الأماكن التي اتكَّأَ فيها عليه الصلاة والسلام؟ ولماذا حُفِظَ مكان هذا المتَّكأ من بين الأماكن التي مرَّ عليها بأبي هو وأمي ﷺ؟.

إنَّ المتأمّلَ لكلام ابن الجوزي رحمه الله، يرى بطلان ما ذهب إليه رحمه الله في التبرك بآثار النبي ﷺ.

ولقد اشتدَّ نكير الصحابة في تتبع آثار الأنبياء، ومن ذلك الأثر المشهور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، كما ذكره ابن الجوزي رحمه الله في كتابه مناقب عمر بن الخطاب، حيث قال:"عن المعرور: قال خرجنا مع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه في حجة حجها... فلما انصرف فرأى الناس مسجداً فبادروه، فقال:ماهذا؟ قالوا: هذا مسجد صلى فيه النبي ﷺ. فقال:هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من عرضت له صلاة فليصل، ومن لم تعرض به صلاة فليمض"[1].

ومن ذلك أمرُه رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ؛ لأنَّ الناس كانوا يذهبون تحتها، فخاف عليهم رضي الله عنه الفتنة[1].

وهذا الأمر معروفٌ حتى في عهد التابعين رحمة الله عليهم، من ذلك ما ورد عن سهيل بن أبي سهيل أنَّه رأى قبرَ النبي ﷺ فالتزمه ومسح، قال: فحَصَبَني حسنُ بن حسن بن علي

---

١. رواه عبد الرزاق: ما يقرأ في الصبح (٢٧٣٤)، وابن أبي شيبة في الصلاة: الصلاة عند قبر النبي ﷺ (٣٧٦/٢)، وسعيد كما في الاقتضاء (٧٥١)، وابن وضاح (١٠٤). وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيحين، وقد صححه شيخ الإسلام كما في الفتاوى (٤١٠/١٠)، والحافظ في الفتح (٥٦٩/١)، وقال الألباني في تحذير الساجد (٩٣). "سنده صحيح على شرط الشيخين".

١. رواه ابن سعد في الطبقات (١٠٠/٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٥).

بن أبي طالب فقال: قال رسول الله ﷺ:((لا تتخذوا قبريَ عيداً، ولا تتخذوا بُيوتَكم مَقابِرَ، وصلُّوا عليَّ حيثُما كُنتم، فإنَّ صلاتـَكم تبْلُغُني))[1].

يقول الإمام ابن عبدالبر رحمه الله:"وقد كَرِه مالكٌ وغيرُه من أهل العلم طلبَ موضعِ الشجرةِ التي بُويع تحتها بيعة الرضوان؛ وذلك والله أعلم مخالفةً لما سلكه اليهود والنصارى في مثل ذلك"[2].

المسألة الخامسة: التبرُّك بالقبور

تقدَّم الكلامُ معنا عن التبركِ وأقسامه، وقد أرجأْنا مسألةَ التبرك بالقبور لطول الكلام فيها، وسنتعرض في هذه المسألة بإذن الله للحديث عن المسائل المتعلِّقة بتعظيم القبور والتبرك بها، وموقف ابن الجوزي رحمه الله منها.

إنَّ تعظيمَ القبور والتبركَ بها له أنواع عدة، منها: إقامة العبادات عندها، البناء على القبور، شدُّ الرحال إليها، التمسح بها وتقبيلها، إيقاد الشموع عندها والعكوف عليها، والطواف بها، وغير ذلك من أنواع التبرك بالمقابر.

وسوف نتكلُّم هنا عن ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله عنها، ووقفتُ عليه في كتبه، وموقفه رحمه الله منها.

إنَّ القارئَ لكتب ابن الجوزي رحمه الله، يجدُه تطرَّق للحديث عن القضايا التالية:

١. تعظيم القبور، والتمسح بترابها ودعاءها من دون الله.

٢. الصلاة عند القبور.

٣. الدعاء عند القبور.

٤. البناء على القبور.

٥. شدّ الرحال إلى قبر النبي ﷺ.

وسوف نتناول بإذن الله عزَّ وجلَّ هذه القضايا الخمس ببيان رأيِ ابنِ الجوزي رحمه الله فيها، ومذهبِ السلفِ مِنها.

---

١. رواه عبدالرزاق في مصنفه (٥٧٧/٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥٠/٢) من حديث حسن بن حسن بن علي عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢. الاستذكار (٣٦٠/٢).

الأولى: تعظيم القبور، والتمسح بترابها ودعاؤها من دون الله.

يتحدث ابن الجوزي رحمه الله عن تلبيس إبليس على العوام، وجريانهم على العادات، فيقول رحمه الله:"ومِن عادتهم زيارةُ المقابر في ليلة النِّصفِ مِن شعبانَ، وإيقادُ النيرانِ عندَها، وأَخذُ ترابِ القبرِ المعظَّم.

قال ابن عقيل: لـمَّا صَعُبتِ التكاليف على الجهَّال والطَّغام؛ عدلوا عن أوضاع الشَّرع إلى تعظيم أوضاعٍ وضعوها لأنفسهم، فسهَّلَت عليهم، إذْ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. قال: وهم كفَّارٌ عندي بهذه الأوضاعِ؛ مثلَ تعظيمِ القبورِ، وإكرامِها بما نهى الشرعُ عنه؛ من إيقاد النيران، وتقبيلها، وتخليقها[1]، وخطابِ الموتى بالحوائجِ، وكَتْب الرقاعِ[2] فيها: يا مولاي! افعل بي كذا وكذا، وأَخذِ التربة تبركاً، وإفاضةِ الطيب على القبورِ، وشدِّ الرحالِ إليها، وإلقاءِ الخِرَقِ على الشجر اقتداءً بمن عَبَدَ اللاَّتَ والعُزَّى.

ولا تجدُ من هؤلاءِ من يُحَقِّقُ في زكاةٍ، فيسألُ عن حكم يلزمه.

والويلُ عندهم لمن لم يُقَبِّلْ مشهدَ الكفّ، ولم يتمسَّحْ بآجُرَّةِ مسجدِ المأمونيَّةِ[3] يوم الأربعاءِ، ولم يَقُلِ الحمَّالون على جنازته: الصديق أبو بكر، أو محمد وعلي، ولم يكن معها نياحةٌ، أو لم يعقد على ابنه أزَجاً بالجصِّ والآجُرِّ، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يُرِقْ ماءَ الورد على القبر ويدفن معه ثيابه"[4].

في هذا النَّص الذي نقله ابنُ الجوزي رحمه الله عن الإمام ابنِ عقيل رحمه الله، مقرِّراً إيَّاه[1]، يتبيَّنُ لنا موقف ابن الجوزي رحمه الله من التعلُّق بالقبور، وحكم التبرُّك بها، وسؤالها قضاء الحوائج من دون الله عزَّ وجلَّ.

---

١. الخَلُوقُ: ضرب من الطيب، قال ابن الأثير: وهو طيبٌ معروف مُرَكب، يُتَّخذ من الزَّعْفَرَان وغيره من أنْواع الطّيب، وتَغْلب عليه الحُمرة الصُّفْرة. يُنظر:: النهاية (٧١/٢)، ومختار الصحاح (٧٨).

٢. الرِّقَاعِ:جمع رُقْعَة، والرُّقْعَةُ بالضم: التي تُكْتَبُ. يُنظر:: القاموس المحيط(٩٣٣)، ومختار الصحاح (٢٦٧).

٣. المأمونية: محلَّة منسوبة إلى المأمون، وهي كبيرة طويلة عريضة بالجانب الشرقي من بغداد، بها مسجد مشهور ذكره غير واحد من العلماء. معجم البلدان (٤٤/٥)، والسير (٢٩/٢٢)، و(٢٥٣/٢٣)، والمقصد الأرشد (١٧٢/٢).

٤. تلبيس إبليس (٤٨٣). يُنظر: إغاثة اللهفان لابن القيم رحمه الله (١٩٥/١).

١. تيسير العزيز الحميد (١٨٧).

ومن ذلك إيقاد النيران عند المقابر، وهذه قد ورد فيها الحديث الصحيح عنه ﷺ بالنهي عنها، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال:(لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج)[1].

وكذلك التبرك بتراب المقابر المعظَّم أهلها، فهذا لايجوز؛ لأنَّه لم يرد حديث صحيح في ذلك، أضف إلى ذلك إن كان صاحب القبر لا يعرف. وهذا من تلاعب أصحاب القبور وسدنتها، ولهذا تجد أنَّ للحسين رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة قبور، قبر في العراق، وقبر في مصر، وقبر في الشام، وقس على ذلك الكثير من الخرافات والانحرافات العقدية بسبب التعلُّق بالقبور.

بل وصل الحال إلى أن عُبدت قبور النصارى والمسلمون لا يشعرون بذلك، ففي الجزائر مثلاً، كان الناس تقصد قبراً تعبده من دون الله، ثمَّ اكتشف الناس أنَّ القبر لراهب مسيحي، ولم يصدق الناس ذلك حتى رأوا الصليب داخل القبر[2].

الثانية: الصلاة عند القبور.

يقول رحمه الله تعالى في شرحه لحديث النبي عليه الصلاة والسلام في النهي عن اتخاذ القبور مساجد:"وأما نهيه عن اتخاذ القبور مساجد فلِئلَّا تُعظَّم؛ لأنَّ الصلاة عند الشيء تعظيمٌ له، وقد أغرب أهلُ زمانِنا بالصلوات عند قبر معروف وغيره، وذلك لغلبةِ الجهلة وملكةِ العادات"[3].

ويقرِّر رحمه الله تعالى بـ:"أنَّ القبور لا ينبغي أنْ تعظَّم، إنَّما تحترم بكفِّ الأذى عنها. والعوام اليوم مُغْرَمُون بتعظيمها والصلاة عندها"[1].

وقد بوَّب رحمه الله تعالى في كتابه الحدائق باباً بعنوان:"باب: النَّهي عن الصلاة عند القبور"[1] ثمَّ ذكر الأحاديث الدالة على النَّهي عن الصلاة عند القبور.

---

١. رواه أحمد برقم: (٢٠٣٠) وأبوداود برقم: (٣٢٣٦)، والترمذي برقم: (٣٢٠)، وقال: حديث حسن. والنسائي في السنن برقم: (٢٠٤٣).

٢. يُنظر: الانحرافات العقدية والعلمية في القنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة. تأليف: علي بن بخيت الزهراني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، عام ١٤١٤هـ، (١٦٦).

٣. كشف المشكل (٥٠/٢).

١. كشف المشكل (٣٣٤/٣).

وما ذهب إليه هو الموافق لما ورد عنه ﷺ في الأحاديث التي نهى عن الصلاة عند القبور.

يقول الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في شرحه لحديث:((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[2]:"لهذا الحديث والله أعلم وروايةِ عمر بن عبدالعزيز له، أَمَرَ في خلافتِه أنْ يَجعل بنيانَ قبرِ رسول الله ﷺ محدداً بركنٍ واحد؛ لئلا يستقبل القبر فيُصَلَّى إليه"[3].

ويقول الإمام العيني رحمه الله"وقال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثانا لعنهم النبي ومنع المسلمين عن مثل ذلك"[4].

الثالثة: الدعاء عند القبور

إنَّ هذه المسألة من المسائل التي لم أجدْ لابن الجوزي رحمه الله نصَّاً واضحاً بالمنع أو الاستحباب. وما كتبتُ هذه المسألةَ وتعرَّضْتُ لها إلا لسببين:

الأول: وجود إشارات لابن الجوزي رحمه الله توهم استحباب الدعاء عند القبور.

الثاني: قول شيخ الإسلام رحمه الله بأنَّ ابن الجوزي رحمه الله يمنع من الدعاء عند القبور، مع إنِّي لم أجدْ نصّاً لابن الجوزي رحمه الله في ذلك.

فلهذين الأمرين أردتُ بيان موقف الإمام ابن الجوزي رحمه الله من هذه المسألة، سائلاً الله التوفيقَ والسدادَ.

يقول رحمه الله تعالى حاكياً عن نفسه بأنَّه حسَّ بضعفٍ في إيمانه، وذلك بسبب مخالطة السلاطين، وأنَّه أراد معالجة هذا الأمر، فقال:"فلجأتُ إلى قبور الصالحين، وتوسلتُ في صلاحي وتوسلت في صلاحي، فاجتذبني لطف مولاي بي إلى الخلوة على كراهة مني، ورُدَّ قلبي عليّ بعد نفور عني"[1].

---

١. الحدائق (٥٠٠/٣).

٢. رواه مالك برقم: (٨٥)، والبخاري برقم: (١٣٣٠)، ومسلم برقم: (٥٢٩).

٣. التمهيد (١٦٧/١).

٤. عمدة القاري (١٧٤/٤).

١. صيد الخاطر (٩٣).

والمتأمّل لهذا النَّص يجد أنَّ ذهابَه لقبور الصالحين ليس للدعاء عندها، وإنَّما –والله أعلم– لتذكير نفسه بحال القوم، وذكر أحوالهم، ومحاولة الاقتداء بهم، ولهذا نجدُه في أكثر من موضع، يحثُّ على زيارة قبور الصالحين بشكل خاص. يقول رحمه الله:"وليكن له وظيفةً من زيارةِ قبور الصالحين والخلوةِ بها"[1] وكذلك هنا، ذكر زيارته لقبور الصالحين بشكلٍ عام، وليس لقبرِ شخصٍ معيَّن.

ومع ذلك يحكي بعض القصص التي فيها أفضلية الدعاء عند قبور الصالحين، من ذلك ما ذكره في بحر الدموع وصفة الصفوة في قصة لمعروف الكرخي رحمه الله، وفيها:"فمن كانتْ له إلى الله حاجة، فليأتِ قبرَه، وليدعُ فإنَّه يُستجاب له إن شاء الله تعالى"[2].

وقد تكلَّم عن شرائط الدعاء في كتابه المنظوم[3]وصيد الخاطر[4]، ولم يتطرقْ لقضية أنَّ من أسباب إجابة الدعاءِ، الدعاءُ عند القبور، ممَّا يدل على عدم استحباب ذلك عنده.

مما يدل على أنَّه يرى عدم جواز الدعاء عند المقابر، ما تقدَّم من نهيه رحمه الله عن الصَّلاة عند القبورِ وعدمِ تعظيمِها، والدعاءُ يُطلقُ في اللغةِ بمعنى الصَّلاة، كما في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾التوبة:١٠٣أي: ادعُ لهم[5].

وأمَّا مقولة شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، فيقول في معرض كلامه عن الدعاء عند القبور:"وكذلك أنكر ذلك غيرُ واحد من العلماء المتقدّمين كمالك وغيره، ومن المتأخِّرين مثل أبي الوفاء بن عقيل، وأبي الفرج بن الجوزي"[1].

وأمَّا مسألة الدعاء عند القبور، فهذا ممَّا لم يرد في جوازه نصٌّ من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، بل هو من المحدثات، والبِدع المنكرة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:"فإذا لم يَشرعِ اللهُ استحبابَ الدعاء عند المقابر ولا وجوبه، فمَن شرعه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله"[1].

---

١. صيد الخاطر (٤٢٦).

٢. بحر الدموع (٢٦). صفة الصفوة (٤٧٢/١).

٣. يُنظر: المنظوم (٩٤٨-٩٦٢).

٤. (٣٥٢).

٥. يُنظر: تفسير ابن كثير (٣٨٧/٢).

١. اقتضاء الصراط المستقيم (٢٤٦/٢).

ويقول ابن القيم رحمه الله:"فلو كان الدعاءُ عند القبور، والصلاةُ عندها، والتبركُ بها، فضيلةً أو سنةً أو مباحاً، لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً لذلك، ودعوا عنده وسنّوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله بالأمصار عددٌ كثير وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحبٍ، ولا دعاه ولا دعا به، ولا دعا عنده، ولا استشفى به، ولا استسقى به، ولا استنصر به، ومن المعلوم أنَّ مثلَ هذا مما تتوفّر الهممُ والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه"[٢].

الرابعة: البناء على القبور.

بوَّب ابن الجوزي رحمه الله باباً في كتابه الحدائق بعنوان:"باب: النهي عن تعلية القبور"[٣] ثمَّ ذكر فيه حديث عليٍّ رضي الله عنه وأرضاه في طمس كلّ قبرٍ يمرّ عليه.

ثم نجدُه يذكر في كتابه التحقيق في الفقه مسألة تسنيم[٤] القبر، فيقول:"مسألة: السُّنَّة تسنيم القبور. وقال الشافعي: تسطيحها"[٥]، ثمَّ ذكر الخلاف بين الحنابلة والشافعية في هذه المسألة مُرجِّحاً قولَ الحنابلة، ورادّاً على ما استدلت به الشافعيةُ بأحاديثَ تسطيحِ القبور وتسويتها، من أنَّ أحاديث التسوية محمولة"على ما كانوا يفعلونه من تعلية القبور بالبناء المستحسن العالي"[١]، فهو يرى أنَّ أحاديث تسوية القبور، جاءت لمن يبني القبور ويعليها، وأنَّ ذلك لا ينافي أحاديث التسنيم.

وما ذكره رحمه الله تعالى هو ممَّا ثبتَتْ به السنَّة، وهو ما بعث به ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم، مِنْ هدمِ البناء على القبور كما ورد في حديث علي رضي الله عنه.

---

١. اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠١/٢).

٢. إغاثة اللهفان (٢٠٤/١).

٣. الحدائق (٤٩٠/٣).

٤. أي جعله كسنام الإبل.

٥. التحقيق في مسائل الخلاف (٢٨٩/٤).

١. مصدر سابق.

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه:(ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول اللهﷺ؟ أنْ لا تدعْ تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[1].

وفي مسلم أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال:(نهى رسول اللهﷺ أن يُجَّصصَ القبرَ، وأن يقعدَ عليه، وأن يبنى عليه)[2].

وقد بوَّب الإمام ابن ماجة القزويني رحمه الله تعالى في سننه باباً بعنوان:"باب: ما جاء في النَّهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها"[3].

يقول الشيخ الأمين رحمه الله:"والتحقيق الذي لا شكَّ فيه، أنَّه لا يجوز البناء على القبور ولا تجصيصها"[4].

وقد سئل الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله عن حكم البناء على القبور فقال:"أما بناء القباب عليها فيجب هدمُها، ولا علمتُ أنَّه يصلُ إلى الشِّرك الأكبر"[5].

وهذا لايشكل مع ما أوصى به رحمه الله في آخر حياته أن يُكتبَ على قبره ثلاثةَ أبياتٍ كما تقدَّم في سيرته[6]، فالكتابة على لوح يوضع على القبر شيء، والبناء شيءٌ آخر، والكتابة لم تردْ في السنة، وإنَّما هي من البدعة التي جاء النهيُ عنها، كما روى ابن ماجة رحمه الله في سننه من حديث جابر رضي الله عنه أنَّه قال:(نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء)[1]، ولو تركه رحمه الله لكان أولى.

ولعلَّ ابن الجوزي فعل ذلك، باعتبار أنَّ بعض أهل العلم فعله، كالحاكم صاحب المستدرك، حيث يقول بعد أنْ ذكرَ الأحاديثَ التي تنهى عن الكتابة على القبور:"هذه الأسانيد صحيحة، وليس العمل عليها، فإنَّ أئمةَ المسلمين من الشرق إلى الغرب، مكتوبٌ

---

١. رواه مسلم برقم: (٩٦٩).

٢. رواه مسلم برقم: (٩٧٠).

٣. سنن ابن ماجة (٤٩٨/١).

٤. أضواء البيان (٣٠٢/٢).

٥. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١٠١/٤).

٦. يُنظر: سيرته، وفاته صفحة (٧٧-٧٨).

١. رواه أبوداود برقم: (٣٢٢٦)، والترمذي برقم: (١٠٥٢)، والنسائي برقم: (٢٠٢٧) وابن ماجه برقم: (١٥٦٣). قال الترمذي:"حديث حسن صحيح".جامع الترمذي (٣٥٩/٣). يُنظر: أحكام الجنائز (٢٠٤-٢٠٥).

على قبورهم، وهو عملٌ أخذ به الخلف عن السلف"[1]، وقد تعقَّبه الذهبيُّ رحمه الله بقوله"ما قلتَ طائلاً، ولا نعلمُ صحابياً فعلَ ذلك، وإنَّما هو شيءٌ أحدثه بعض التابعين فمن بعدهم، ولم يبلغْهم النَّهي"[2].

وكذلك تعقَّبَه ابن حجر الهيتمي رحمه الله، فقال:"وما اعترض به، إنَّما يتَّجه أن لو فعله أئمةُ عصرٍ كلُّهم، أو علموه ولم ينكروه. وأيُّ إنكارٍ أعظم من تصريح أصحابنا بالكراهة، مستدلين بالحديث هذا"[3] أي: حديث جابر رضي الله عنه المتقدم.

الخامسة: شدُّ الرحال إلى قبر النبي ﷺ:

من خلال بحثي في كتب ابن الجوزي رحمه الله، لم أجدْ له نصَّاً صريحاً يشير فيه إلى مشروعية شدِّ الرِّحال لقبر النبي ﷺ أو منعه، وإنَّما هناك عبارات قد تحتمل إلى أنَّه يرى جواز شد الرحل لقبره ﷺ.

ذكر في كتابه العزم الساكن باباً بعنوان:"باب: زيارة قبر النبي ﷺ"[4] وقد ذكر تحته حديث((من حجَّ فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي))[5] وحديث ((من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي))[1].

وليس الإشكال في عنوان الباب، فقد عنون العلماء في مناسكهم بنفس العنوان كما وَرَدَ عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منسكه[2]، إذ المراد أنَّ من وصل المدينةَ استُحبّ له زيارةُ قبره الشريف ﷺ، ولكنَّ الإشكالَ في إيراده لهذين الحديثين تحت عنوان الباب، ممَّا قد يشيرُ إلى أنَّه رحمه الله يرى جوازَ شدِّ الرَّحل لقبرِه ﷺ، وإن كان قد ذكر هذين الحديثين

١. المستدرك (١/٣٧٠).

٢. تلخيص الذهبي على المستدرك بذيل المستدرك (١/٣٧٠).

٣. الفتاوى الفقهية الكبرى (٢/١٢).

٤. مثير العزم (٢/٣١٥).

٥. رواه الطبراني في الكبير برقم: (١٣٤٩٧)، والدارقطني برقم: (٢/٢٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٨) وقال:"تفرد به حفص وهو ضعيف في رواية الحديث". وحكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة(١/١٢٠) برقم: (٤٧).

١. رواه أبوداود الطيالسي برقم: (٦٥)، والطبراني في الكبير برقم: (١٣٤٩٦)، والدارقطني (٣/٣٣٤)، والبيهقي في الشعب (٦/٤٨). وقال الألباني في الإرواء:"ضعيف" إرواء الغليل (٤/٣٣٣).

٢. يُنظر: منسك شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٢)، والصارم المنكي (١٧).

في كتابه الوفا تحت عنوان "باب: فضل قبره عليه الصلاة والسلام"[1]، مما قد يدلُّ على أنَّ ذكره للحديثين تحت باب زيارة قبر النبي ﷺ، ليس المراد الاستدلال بهما على الزيارة، بل قد يكون المراد الاستدلال على فضل قبره ﷺ، وهذا الذي يظهر لي والله أعلم.

ثمَّ هو في تاريخه المنتظم يذكر في أحداث سنة ٥٤٢هـ فيقول مؤرّخاً في تلك الفترة:"وحجَّ الناسُ ولم يزوروا قبرَ رسول الله ﷺ حذراً من قلَّة الماء"[2]. فنلاحظ أنَّه لم يذكر زيارة مسجد رسول الله ﷺ، وإنَّما أضاف الزيارة إلى قبره ﷺ، مما يدلُّ على أنَّ زيارة الحجاج هي للقبر لا للمسجد. وقد يقول قائل: إنَّما هو يحكي ما هو مشهور أو متعارف عليه في عصره، ولكنه بعيد والله أعلم.

وفي شرحه لحديث:((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)) يقول:"فأمَّا شدُّ الرحال إلى هذه المساجد، فقال أبو سليمان: هذا لفظه لفظ الخبر، ومعناه الإيجاب فيما ينذره الإنسان من الصلاة في البقاع التي يتبرك بها. يريد أنَّه لا يلزم الوفاء بشيء من ذلك غير هذه المساجد"[3].

إضافة إلى ما تقدم فإنَّه يذكر قصصاً كثيرةً يتحدث عن الخروج للحج ولزيارة قبره ﷺ. وهذه وإن كانت أخباراً هو يحكيها، إلا أنَّه لم يُعقِّبْ عليها بشيء، وهذا الغالب في مؤلفاته، خاصة كتبه الوعظية والقصصية. ومن المعلوم"فإنَّ القول باستحباب الزيارة، لا يقتضي استحباب السفر"[1].

وقد وجدتُ كلاماً للإمام ابن عبدالهادي[2] في ردِّه على السبكي[1] عليهما رحمة الله، له علاقة بموقف ابن الجوزي رحمه الله من هذه المسألة، حيث ذكر كلاماً للسبكيِّ مفاده أنَّ

---

١. الوفا (٨٠٠).

٢. المنتظم (٥٧/١٨).

٣. كشف المشكل (١٢٨/٣).

١. الصارم المنكي (٢٥٢).

٢. محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، شمس الدين، أبو عبد الله المقدسي الجمَّاعيلي الأصل، ثمَّ الدمشقيّ الصالحي. تردد على ابن تيمية وألَّف فيه كتاباً في مناقبه. له مؤلفات من أشهرها الصارم المنكي في الرَّد على السبكي والمحرر في الحديث. توفي سنة ٧٤٤هـ ولم يكمل الأربعين. ذيل طبقات الحفاظ (٢٣٣)، والأعلام (٣٢٦/٥).

مجموعة من فقهاء الحنابلة يرون مشروعية شدِّ الرحال لقبره الشريف عليه الصلاة والسلام، ومنهم ابن الجوزي رحمه الله حيث ذكر قول السبكي رحمه الله "أنَّ ابن الجوزي عقد لذلك باباً في كتاب مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن"[2]، ثمَّ عقَّبَ ابنُ عبدالهادي رحمه الله عليه بقوله:"وهذا الذي نقله المعترضُ عن هؤلاء الفقهاء من أتباع الأئمة الأربعة، بمعزلٍ عمَّا ذكر فيه الشيخ النِّزاع بين العلماء، فلا حاجة إلى التطويل باستقصاء ذكر كلامهم"[3]. لأنَّ الكلام عن شدِّ الرحال، لا من زار المدينة المنورة وزار قبره الشريف ﷺ.

فهذا الردُّ المجمل من ابن عبدالهادي رحمه الله، فيه إشارةٌ ألى أنَّ ابن عبدالهادي رحمه الله يرى أنَّ رأيَ ابنِ الجوزي رحمه الله عدمُ مشروعيةِ الزِّيارة لقبره ﷺ.

وهذه المسألة مما اختلفتْ آراء العلماء فيها، وانتشرت وطال فيها الكلام، وذلك في عهد شيخ الإسلام رحمه الله، يقول الكرماني[4] رحمه الله:"وقع في هذه المسألة في عصرنا في البلاد الشامية مناظراتٌ كثيرةٌ، وصُنِّف فيها رسائل من الطرفين"[5].

وهذه المسألة للعلماء فيها قولان مشهوران، النَّهي والإباحة، وإن كان هناك"قولاً من عالم مجتهد ممن يعتدُّ به في الإجماع أنَّ ذلك مستحبٌّ، صارت الأقوال ثلاثة"[1].

وأصل هذه المسألة يدور حول قوله ﷺ:((لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاث مساجد...الحديث))[2] والخلاف مبنيٌّ -والعلم عند الله- في تقدير المستثنى منه، فكانت اتجاهاتُ العلماءِ إلى تقديرين:

التقدير الأول: (مسجد) فقالوا: إنَّ الرِّحال لا تشد إلى مسجدٍ إلا إلى ثلاث مساجد، واستدلُّوا على ذلك برواية شهرِ بن حوشب عند أحمد في المسند[1].

---

١. أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام. له أكثر من ١٥٠ مصنفاً. توفي ٧٥٦هـ. ذيل طبقات الحفاظ (٢٣٣)، والبد الطالع (٤٦٧/١).

٢. الصارم المنكي (٢٥٨).

٣. الصارم المنكي (٢٥٩).

٤. محمد بن يوسف بن علي الكرماني ثم البغدادي. له شرح على البخاري في مجلدين ضخمين. توفي ٧٨٦هـ. البدر الطالع (٢٩٢/٢)، والأعلام (١٥٣/٧).

٥. فتح الباري (٦٦/٣).

١. الصارم المنكي (٦٢).

٢. رواه البخاري برقم: (١١٨٩)، ومسلم برقم: (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

التقـدير الثـاني: (البقـاع) فقـالوا: إنَّ الرحـال لا تشـد إلى بقعـة للعبـادة إلا إلى هـذه المساجد، وهذا ما ذهب إليه الطيبي[2]وأبوبكر بن العربي والقرطبي[3]رحمة الله عليهم أجمعين.

يقـول الطيـبي رحمـه الله:"هـو أبلغُ مـن صـريح النَّهـي، كأنَّـه قـال: لا يستقيمُ أن يُقصـدَ بالزِّيارة إلا هذه البقاع؛ لاختصاصِها بما اختُصَّتْ به"[4].

واستدلوا أيضاً على ذلك بإنكار أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه على أبي هريرة رضي الله عنه لسفره إلى الطور، يقول بعض العلماء:"وهذا الوجه قوي من جهة مدلول حديث بصرة"[5]. أضف إلى أنَّ"الاستثناء مفرَّغٌ، والمثنى منه في المفرغ، يقدر بأعمِّ العام"[6].

وأجـابوا علـى مـن قـال أنَّ التقـدير إلى مسـجد إلا الثلاثـة، بأنَّـه إذا كـان النهـيُ عـن المسجد، فغيره من الأماكن من باب أولى.

يقـول الصـنعاني رحمـه الله[1]:"وذهـب الجمهـور إلى أنَّ ذلـك غـير محـرم، واسـتدلوا بمـا لا يـنهض، وتـأوَّلوا أحاديـث البـاب بتآويـل بعيـدة، ولا ينبغـي التأويـل إلا بعـد أن يـنهض علـى خلاف ما أوَّلُوه الدليل"[2]. ولا دليل ينهض لهم والله أعلم.

وهنا أحبُّ أن أقفَ وقفةً على من يشنِّع على شيخ الإسلام رحمه الله، أو من يشنِّع على من يقول بإباحة السفر للزِّيارة أو استحبابها.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:"وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية"[3].

---

١. رواه أحمد في مسنده برقم: (١١٦٠٩) ولفظه:((لا ينبغي للمطيِّ أن تُشدَّ رحالُه إلى مسجدٍ يبتغى فيه الصلاة، غيرَ المسجدِ الحرام، والمسجدِ الأقصى، ومسجدي هذا)).

٢. فتح الباري (٦٤/٣).وعزاه في عمدة القاري للطبري (٢٥٢/٧).

٣. يُنظر: تفسير أبي بكر بن العربي (٦١٣/١)، وتفسير القرطبي (٣٥١/٥).

٤. فتح الباري (٦٤/٣). ونسبه العيني رحمه الله في عمدة القاري للطبري (٢٥٢/٧) والله أعلم بالصواب.

٥. عون المعبود (١٢/٦).

٦. تحفة الأحوذي (٢٤١/٢).

١. محمد بن إسماعيل، نسبه إلى جدِّه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. معروف بالأمير. له مائة مؤلف، من أشهرها سبل السلام شرح بلوغ المرام. توفي سنة ١١٨٢هـ . البدر الطالع (١٣٣/٢)، والأعلام (٣٨/٦).

٢. سبل السلام (٥٩٨/١).

٣. فتح الباري (٦٦/٣).

ويقول وليُّ الدين أبو زرعة[1] رحمه الله:"وللشيخ تقيُّ الدين بن تيمية هنا كلامٌ بشِعٌ عجيبٌ، يتضمَّنُ منعَ شدِّ الرحلِ للزيارة، وأنَّه ليس من القُرَبِ، بل بضدِّ ذلك، وردَّ عليه الشيخُ تقيُّ الدين السبكيُّ في شفاءِ السِّقام، فشفى صدورَ المؤمنين"[2].

وهنا أتساءلُ، هل يَصِلُ الأمرُ إلى وصفِ كلامِ ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة بالبشاعة؟ بل يصل الأمر إلى أن يقولَ في ردِّ السبكيِّ على ابن تيمية فشفى صدور المؤمنين.

وماذا يُقال عن الإمام الطيبي رحمه الله، ومثله الإمام القرطبي وأبوبكر بن العربي حيث جعلا المستثنى منه في هذا الحديث البقاع، وعليه فلا تشدُّ الرِّحال إلى بقعة في الأرض للعبادة إلا إلى أحد هذه الثلاث المساجد؟ فهل يقال بأنَّها من أبشعِ المسائل؟ فأسألُ الله أن يتغمَّدَهم بواسع رحمته.

وبالمقابل يقول الإمام ابن عبدالبر رحمه الله:"وفي هذا الحديث من العلم وجوه: منها الخروج إلى المواضع التي يُتَبَرَّكُ بشهودها والصلاة فيها لِمَا بان من بركتها، وليس في ذلك ما يعارض قوله:((لا تُعملُ المطيُّ إلا إلى ثلاثة مساجد))[3] على مذهب أبي هريرة، وإن كان بصرة بن أبي بصرة قد خالفه في ذلك، فرأى قوله:((لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد)) قولاً عاماً فيما[1] سواها والله أعلم"[2]، فهل يتهم بالبدعة أو بالقبوريَّة؟ نعم قد يستغل بعض أهل البدع من القبوريَّة مثل هذه النُّصوص، ويقولون هذا حافظ المغرب ابن عبدالبرِّ يرى بهذا الرأي، ولكن من فضل الله على هذه الأمَّة، أن جعل العصمةَ في كتابه وسنَّةِ نبيه ﷺ، أضف إلى ذلك أنَّ الإمام ابن عبدالبر رحمه الله قيَّدها بقوله "لِما بان من بركتها" أي المواضع التي وَرَدَ فيها ما يدلُّ على أنَّها مواضعُ مباركة بنصِّ الوحي عليها، مثل مسجد قباء وغيره من الأماكن التي وردتْ النصوص بأنَّها مباركة، بخلاف ما يفعله الصوفيَّة من ادعاء البركة على

---

١. أبو زرعة أحمد ابن الحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن الحسين، اعتنى به والده فأسمعه الكثير، له مصنَّفات في عدَّة فنون. توفي سنة ٨٢٦هـ. ذيل طبقات الحفاظ (٢٤٩)، الأعلام (١٤٨/١).

٢. طرح التثريب في شرح التقريب (٤٣/٦).

٣. رواه مالك في الموطأ برقم: (١٠٦).

١. في الأصل (فيها)، ولعلَّ الصواب المثبت.

٢. الاستذكار (٤١/٢).

القبور، وزيارتها، ثمَّ يشدّون الرحال إليها، ويدعونها من دون الله، أو يدعون الله عندها، والله أعلم من هم أصحاب تلك القبور.

المسألة السادسة: ادعاء علم الغيب

إنَّ من القضايا المتعلِّقة بتوحيد الإلهية وما يناقضها، قضية علم الغيب، وعلم الغيب من الأمور التي تستهوي النَّاس، ويسيطر الحديث على مجالسهم، ولهذا لا يخلو مجلس من ذكر علامات الساعة الصغرى أو الكبرى، وكذلك أمور الآخرة، وأمور القبور، وأحوال الناس فيها، ومنها مسائل الرؤى والأحلام، وتفسير المنامات، وهذا ملاحظ في كثير من مجالس الناس.

ولهذا نجد البعضَ يستغلُّ هذا الجانب، ويبدأُ يتكلَّمُ عن الأمور الغيبية لأغراضٍ دنيوية، مستغلاً حبَّ الناس لهذا الأمر، فكَثُر معبروا الرؤى والمنجِّمون، وأصحاب السحر والشعوذة والكهانة وغيرهم.

وإنَّ علم الغيب مما استأثر به الحقُّ جلَّ وعلا، وتفرَّد به سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾النمل:٦٥، يقول القرطبي رحمه الله:"قال علماؤنا: أضاف سبحانه علمَ الغيب إلى نفسه في غيرِ ما آية من كتابه، إلا من اصطفى من عباده. فمن قال: إنَّه يَنزِلُ الغيثُ غداً وجزم، فهو كافر"[١].

ويقول الشيخ الأمين رحمه الله:"لما جاء القرآن العظيم بأنَّ الغيبَ لا يعلمه إلا الله، كان جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيءٍ من علم الغيب غير الوحيِّ، من الضلال المبين، وبعض منها يكون كفرا. ولذا ثبت عن النبي ﷺ أنَّه قال:((من أتى عرَّافا فسأله عن شيءٍ، لم تقبلْ له صلاة أربعين يوماً))[١].

ولا خلاف بين العلماء في منع العيافة والكهانة والعرافة والطرق والزجر والنجوم، وكل ذلك يدخل في الكهانة؛ لأنَّها تشمل جميع أنواع ادعاء الإطلاع على علم الغيب"[٢].

---

١. تفسير القرطبي (٢/٧).

١. رواه مسلم في صحيحه برقم: (٢٢٣٠).

٢. أضواء البيان (٤٨٢/١).

ولأنّ هذا الأمر كان منتشراً في عهد ابن الجوزي رحمه الله،حتى كانت لهم حِلَق في رحبة الجامع[١]، فقد تطرَّق رحمه الله لهذه المسألة، وحذَّر منها ومن مغبَّتِها، وسنذكر بإذن الله ما تكلَّم عنه في كتبه، وعن أنواعه وحكمه في الإسلام.

العرافة

يقول ابن الجوزي رحمه الله في غريبه في تعريف العرَّاف:"وهو الحاوي أو المنجِّم الذي يدَّعي علم الغيب"[٢]. وهذا تعريف له في الجملة، ثمَّ يفصِّل فيه فيقول:"قال أبوسليمان- أي الخطابي-: العرَّاف: الذي يتعاطى معرفةَ الشيءِ المسروق، ومكان الضالة ونحو ذلك"[٣].

الكاهن

يقول ابن الجوزي رحمه الله في تعريف الكاهن:"وقال أبوسليمان: الكهنةُ قومٌ لهم أذهان حادة، ونفوسٌ شريرة، وطباعٌ نارية، وأَلِفتْهم الشياطينُ لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، وساعدتْهم بما في وسعها من القدرة"[٤]وهذا تعريف للكهانة في الجملة. ثمَّ نراه في تفسيره يوضِّحُه بشكل أدقّ، فيقول:"وهو الذي يوهم أنَّه يعلم الغيب، ويخبر عما في غدٍ من غير وحيٍ"[١]. فيجعل الكاهن من يدعي علم المستقبل، ويؤكِّدُ هذا في مشكله بقوله"والكاهن: يتعاطى علمَ ما يكون في مستقبل الزّمان، ويدَّعي معرفةَ الأسرار"[٢].

وبهذا يفرِّق بين العرَّاف الذي يدعي معرفة الأشياء الضالة، والكاهن الذي يدعي علم المستقبل.

ثمَّ هو يرى أنَّ من أنواع الكهانة (الخط). يقول في قوله ﷺ:((كان نبيٌّ من الأنبياء يخطّ))[٣]:"الخطُّ ها هنا هو الذي يخطه الزَّاجر بإصبعه في التراب، وما يجري مجراه، يدَّعي به علم ما يكون قبل كونه"[٤] ثمَّ ذكر بإسناده عن ابن الأعرابي[١] رحمه الله قوله:"الخطُّ كان علماً

---

١. يُنظر: لفتة الكبد (٣٤).

٢. غريب الحديث (٨٧/٢).

٣. كشف المشكل (٤٢٩/٤).

٤. كشف المشكل (٢٩٥/٤).

١ زاد المسير (٥٣/٨).

٢. كشف المشكل (٤٢٩/٤). يُنظر: كشف المشكل (٤٤/١).

٣. رواه مسلم برقم: (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

٤. كشف المشكل (٢٣٤/٤).

قديماً تُرك، وذلك أنَّ الكاهن يكون بين يديه تَخْتٌ[٢] عليه سُحالة، ومعه مِيْل، فيأتي الرجل صاحب الحاجة فيعطيه الدراهم، فيقول له الكاهن: على شرط، إن خرج لك خير أخذتُ الدراهم، وإنْ خرج لك شرٌّ رددتُّها عليك. قال ويكون للكاهن غلام واقف، فيخط ذلك الكاهن بذلك الميل خطوطاً بالعجلة لا يلحقها الإحصار، ويقول الغلام الواقف في تلك الحال: ابني عيان، أسرعا البيان. ثمَّ يرجع الكاهن فيمحو اثنين اثنين اثنين، فإن بقي من الخطوط اثنان فهو الفوز، وأخذ الكاهن الدراهم، ويعطي صاحبُ الحاجة الغلامَ شيئاً، وإنْ بقي مِن الخطوط واحدٌ ردَّ الكاهن الدراهم، وقال خرج لك شرٌّ"[٣].

فنجده أنَّه ذكر الخط من ضمن الكهانة، بجامع ادعاء علم الغيب في المستقبل.

حكمهما

وأمَّا عن حكم الكهانة والعرافة، فيقول رحمه الله :"وأما الكاهن والعرَّاف، فقال القاضي أبويعلى: حكمهما حكم الساحر، وخالفه ابن عقيل، فقال: غاية ما يدَّعي الكاهن أنَّه تكلِّمُه الجنُّ، وهذا كذبٌ، وليس لنا كذب يوجب الكفر والقتل إلا الكذب في أمر الشرائع، إلا أن يقول: إني أعلم الغيب"، ثمَّ يذكر رأيه فيقول:"فأمَّا القائل بزجر الطير والنّجوم والحصى والشعير والقداح التي يتخذها المعزِّمون، يدَّعون أنَّها عندهم عزائم يستحضرون بها الجان، فكلُّهم أهلُ ضلال ويجبُ تعزيرُهم، فإن اعتقدوا أنَّ هذا طريق لعلم ما يكون قبل كونه، وجب تكفيرهم"[١].

فنلاحظ أنَّه لم يُكفِّرِ ٱلكاهن إلا إذا ادَّعى علمَ الغيب.

وهنا قضيتان تتعلقان بحكم الكاهن، هل الكاهن كافر؟ وما حكم قتله؟

أمَّا بالنسبة لكفر الكاهن، فإن كان فيه ادعاءً لعلم الغيب، أو استعانة بالشياطين، فهذا كفر يخرج من الملة والعياذ بالله.

---

١. أبو عبد الله محمد بن زياد الهاشمي مولاهم. الأحول، النسابة. إمام اللغة، وكان صاحب سنَّة واتباع. توفي سنة ٢٣١هـ. السير (٦٨٧/١٠)، والأعلام (١٣١/٦).

٢. التخت: وعاء تصان فيه الثياب فارسي وقد تكلمت به العرب. يُنظر: لسان العرب (١٨/٢).

٣. كشف المشكل (٢٣٤/٤-٢٣٥).

١. أحكام النساء (٢٧٥).

يقول ابن عابدين رحمه الله نقلا عن الفتاوى التتارخانية:"يكفر بقوله أنا أعلم المسروقات، أو أنا أخبر عن إخبار الجن إياي"[1].

ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله:"هؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علمَ الغيب"[2]. ويقول رحمه الله أيضاً:"كما أنَّ في هذه الأحاديث دليلاً على كفر الكاهن والساحر؛لأنَّهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمةِ الجنِّ"[3].

وإن كان لا يصل إلى الكفر، فهذا عمل المشعوذين والدَّجالين وأهلِ الفسق والفجور، ولا يكفر.

وأمَّا بالنسبة لحكم قتل الكاهن، فهو يُبنى على ما تقدَّم من كون كهانته تكون كفراً أم لا.

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:"وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة، أنواع: نوعٌ منهم: أهل تلبيس وكذب وخداع، الذين يُظْهِر أحدُهم طاعةَ الجنِّ له، أو يدَّعي الحال من أهل المحال، من المشايخ النصابين، والفقراء الكذَّابين، والطُرُقيَّة المكَّارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعُهم وأمثالَهم عن الكذب والتلبيس. وقد يكون في هؤلاء من يستحقُّ القتل، كمن يدَّعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة، ونحو ذلك"[1].

ويرى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أنَّ الكاهن لو لم يكن تكهنه مما لا يكفر به، فإنَّه يُقتل من باب دفع مفسدته[2].

وما ذكره رحمه الله في كلامه على قوله ﷺ:((كان نبيٌّ من الأنبياء يخطّ))، فهذا محمول على أحد أمرين:

الأول: أنَّ ذلك كان علَماً لذلك النبي، وقد انقطعت فنُهي عنه.

الثاني: أنَّ هذا وإن كان جائزاً، إلا أنَّه نسخ في شرعنا فنهي عنه.

---

١. حاشية ابن عابدين (٢٤٢/٤).

٢. مجموع فتاوى ابن باز (٢٧٥/٣).

٣. مجموع فتاوى ابن باز (١٦٢/٨).

١. شرح الطحاوية (٧٦٤/٢).

٢. القول المفيد (٥٥٠/١).

يقول الإمام النووي رحمه الله:"فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن"[1].

مطالع النجوم

إنَّ النجومَ آيةٌ من آيات الله الباهرة، التي امتنَّ الله بها على عباده﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ النحل:١٦، بل إنَّ سورة في كتاب الله اسمها سورة النجم.

والمراد بهذه المسألة هو الكلام في التعلّق بالنُّجوم، وأنَّ لها تأثيراً في الحوادث الأرضية، والاعتقاد فيها من دون الله عزَّ وجلَّ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، الكلام عن أنواع النُّجوم ومنازلها ومساقطها، وسيرها في تلك المنازل.

وقد تطرَّق الإمام ابن الجوزي رحمه الله في عدَّةِ مواضع من كتبه إلى هذه المسألة.

يقول رحمه الله تعالى مبيِّناً أنواعَ علمِ النُّجوم:"واعلم أنَّ علمَ النجوم على ضربين:

أحدهما: مباح وتعلُّمُه فضيلة، وهو العلم بأسماء الكواكب ومطالعها ومساقطها وسيرها في منازلها، والاهتداء بها إلى القبلة وغيرِها من الطرق.

والثاني: محظورٌ وهو ما يدَّعيه المنجمون من الأحكام. وقد روى علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال لي رسول الله:((يا علي لا تجالس أصحابَ النجوم))[1] وروى أبو هريرة رضي الله عنه (نهى عن النظر في النجوم)[2]"[3].

فمِنْ خلال هذا النَّص نرى أنَّ ابن الجوزي رحمه الله لا يمنع من النظر في النجوم مطلقاً، ولا أن يتعلَّق بها المرءُ مطلقا، بل ما كان فيه شيءٌ من علم الغيب، أو الاعتقاد في تأثيرها بذاتها في الأحوال الأرضية، فهذا محرَّمٌ، وما عداه من معرفة مطالعها، والاهتداء بها، ومعرفة القبلة، فهو جائز.

---

١. شرح النووي على مسلم (٥/٢٣).

١. رواه أحمد في المسند برقم: (٥٨٢). قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله:"إسناده ضعيف" تحقيق المسند له (١/٤١٥).

٢. رواه الطبراني في الأوسط (٨/١٣١).

٣. أحكام النساء (٢٧٥-٢٧٦).

ويقول رحمه الله أيضاً:"وما أَبْلَه من يقطعْ عمرَه في معرفةِ علمِ النُّجوم، وإنَّما ينبغي أنْ يَعرِفَ من ذلك التسيير والمنازل لعلم الأوقات، فأمَّا النَّظر في ما يدَّعي أنَّه القضاء والحكم، فجهل محضٌّ؛ لأنَّه لا سبيل إلى علم ذلك حقيقةً، وقد جُرِّب فبان جهلُ مدَّعيه"[1].

وينبِّهُ رحمه الله تعالى إلى مسألة دقيقة ومهمة، وهي الفرق بين من يَنسِبُ نزولَ المطرِ إلى فِعْلِ النَّجم، وبين من يرى بالعادة أنَّ نزولَ المطرِ يكون في أوقاتٍ معلومةٍ من السَّنَة، وهي تُعتَبر من سنن الله في خلقه، فيقول رحمه الله:"وكانوا ينسبون ذلك-أي نزول المطر- إلى فعل النَّجم، فأمَّا من يقول: مُطرنا في نوء كذا فلا بأس. ولهذا قال عمر:(كم بَقِيَ من نوء الثريا؟)[2]. أراد:كم بقيَ من الوقت الذي جرتْ العادةُ إذا تمَّ جاء المطر"[3].

ويقول في قوله ﷺ:((ما طلع النَّجمُ قطُّ وفي الأرض عاهةٌ إلا رُفِعت))[4]:"قال ابن قتيبة: النَّجم الثريا ... ويَزعمُ العربُ أنَّ ما بين غروبِها وطلوعِها أمراضاً ووباءً وعاهاتٍ، في الناس وفي الإبل. وقال طبيبهم: اضمنوا لي ما بين مغيبِ الثُّريَّا وطلوعِها، أَضمنُ لكم باقيَ السَّنَة. فإذا طلعتْ بالغداة في المشرق دُفِعتِ العاهةُ عن الثَّمرة، وحينئذٍ تُباع؛ لأنَّه قد أَمِن عليها، وأَحسبُ أنَّ رسولَ الله أرادَ عاهةَ الثَّمرِ خاصةً"[1].

فقوله رحمه الله"وأَحسبُ أنَّ رسولَ الله أرادَ عاهةَ الثَّمرِ خاصةً" فيه دلالةٌ واضحةٌ أنَّه لا يرى بتأثير النُّجوم في الأحوال الأرضية؛ لأنَّ قصرَه العاهةَ الواردةَ في الحديث على الثمر، إشارةً منه إلى ما هو متعارفٌ عليه عند الزُّرَّاع من أنَّ كثيراً من أمورها عُرِف بالتجربة، وأنَّ لكل نبتةٍ وقتٌ لبذرها، ووقتٌ لغرسها، ووقتٌ لسقيها، ولهذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله بعد أثر عمر رضي الله عنه المتقدِّم:"وقول عمر رضي الله عنه هذا، يبيِّن ما وصفت؛ لأنَّه إنَّما

---

١. صيد الخاطر (٣٢٣).

٢. رواه الحميدي في مسنده برقم: (١٠٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٥٨).

٣. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٤٤٠).

٤. رواه أحمد في المسند برقم: (٨٤٩٥)، والبزار في مسنده برقم: (٩٢٩٦)، والبغوي في شرح السنة (٨/٩٨). يُنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/٥٧٢-٥٧٣).

١. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٣٩٥).

أراد: كم بَقِي من وقتِ الثُّريَّا، لـمَعْرفتهم بأنَّ اللهَ تعالى قدَّر الأمطار في أوقاتٍ فيما قد جرَّبوا، كما علموا أنَّه قدَّر الحرَّ والبرد فيما جرَّبوا في أوقات"[1].

وقد قسَّم العلماء علمَ التنجيم إلى قسمين[2]:

الأول: علم التأثير: وهو على ثلاثة أَضرب:

١. أن يعتقد أنَّها فاعلةٌ بنفسها، مؤثرةٌ بذاتِها.

٢. أن تكون سبباً لمعرفةِ علمِ الغيبِ، كمعرفة أحوال النَّاس من سعادة وشقاوة من خلال الأبراج.

فهذان النوعان كفر أكبر مخرج من الملة.

٣. أن يعتقدها سبباً لحدوث الحوادث، مع إيمانه بأنَّ الأحوال الأرضية كلَّها بتقدير الله، فهذا شرك أصغر[3].

الثاني: علم التسيير: وهو على ضربين :

١. الاستدلال به على الأمور الدينية. كمعرفة جهة القبلة، ودخول شهر رمضان والحج وغيرها.

٢. الاستدلال به على الأمور الدنيوية، كمعرفة أمور الزراعة، والملاحة البحرية وغيرها.

وهذان الضربان جائزان لا إشكال فيهما، بل هما من فروض الكفاية الذي تأثم الأمة إن قصرت فيهما، وهو الجانب المتعلق بالعبادة.

وقد حذَّر علماء المسلمين من التنجيم، وبيان خطره، وآثاره على الناس في تعلقهم بغير الله عزَّ وجلَّ.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:"من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، على ما كان أهل الجاهلية يعنون من إضافة المطر إلى أنَّه بنوء كذا، فذلك كفرٌ كما قال رسول الله ﷺ؛ لأنَّ

---

١. السنن الكبرى للبيهقي (٣/٣٥٨).

٢. يُنظر: شرح الطحاوية (٢/٧٦٢)، وتيسير العزيز الحميد (١/٣٧٨–٣٧٩)، والقول المفيد (٢/٥–٦).

٣. وقد نقل ابن عابدين رحمه الله في حاشيته على الدر عن بعض علماء الأحناف جواز مثل هذا النوع فقال: "واستدلالي بسير النجوم وحركة الأفلاك على الحوادث بقضاء الله تعالى وقدره، وهو جائز كاستدلال الطبيب بالنبض من الصحة والمرض". رد المحتار (١/٤٤) وهذا غير صحيح؛ لأنّه قياس مع الفارق.

النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ومن قال مطرنا بنوء كذا، على معنى مطرنا في وقت كذا، فلا يكون كفراً، وغيره من الكلام أحبُّ إليَّ منه"[1].

ويقول الحافظ ابن عبدالبر:"وقال بعض أهل العلم في قول رسول الله ﷺ للسائل عن اللُّقطة ((اعرف عفاصها ووكاءها، فإن جاء صاحبها وعرفها))[2] يعني بعلاماتها، دليلٌ بيِّنٌ على إبطالِ قولِ كلِّ من ادَّعى علمَ الغيبِ في الأشياء كلِّها من الكهنة وأهل التنجيم وغيرهم؛ لأنَّه لو علم ﷺ أنَّه يُوصلُ إلى علم ذلك من هذه الوجوه، لم يكن لقوله ﷺ في معرفة علاماتها وجهٌ والله أعلم"[3].

وقال النووي رحمه الله:"وهكذا كُتُبُ التنجيم والشعبذة والفلسفة وغيرها من العلوم الباطلة المحرمة، فبيعها باطل؛ لأنَّه ليس فيها منفعةٌ مباحةٌ والله تعالى أعلم"[4].

ومن أطرف ما يردُّ به على المنجمين، ما ذكره القرطبي في تفسيره عن أحد الشعراء قوله:

حَكَمَ المنجِّمُ أنَّ طَالِعَ مَوْلِدِي*******يَقْضِي عليَّ بِمِيتَةِ الغَرَقِ

قُلْ للمُنَجِّمِ صُبْحَةَ الطُّوفَانِ*******هلْ وُلِدَ الجَميعُ بِكَوكَبِ الغَرَقِ[5]؟

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكامُ والتأثيرُ، وهو الاستدلالُ على الحوادث الأرضيةِ بالأحوال الفلكيَّة، والتَّمزِيج بين القُوى الفلكية والقوابلُ الأرضيَّةُ، صناعةٌ محرمةٌ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هي محرَّمة على لسان جميع المرسلين فى جميع الملل"[1].

ويقول أيضاً:"ولما ناظرتُ بدمشق مَنْ حضرني مِنْ رؤسائهم، وبيَّنتُ له فسادَ صناعتِهم بالأدلَّة، قال: والله إنَّا لنكذبُ مائةَ كذبةٍ حتى نُصَدَّقُ في واحدة"[2].

---

١. الأم (٢٥٢/١).

٢. رواه مالك برقم: (٤٦)، والبخاري برقم: (٢٣٧٢)، ومسلم برقم: (١٧٢٢) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

٣. التمهيد (١٢٣/٣).

٤. المجموع (٢٤٠/٩).

٥. تفسير القرطبي (٢٨/٩).

١. الفتاوى (١٩٢/٣٥).

٢. مختصر الفتاوى المصرية (١٥١/١).

يقول الفارابي:"واعلم أنَّك لو قلبت أوضاع المنجّمين، فجعلتَ الحارَ بارداً والباردَ حاراً، والسعدَ نحساً والنَّحس سعداً، والذَّكرَ أنثى والأنثى ذكراً، ثمَّ حكمتَ، لكانت أحكامُك من جنس أحكامِهم، تصيبُ تارةً، وتخطىءُ تاراتٍ. وهل معهم إلا الحدس والتخمين والظنون الكذابة؟"[1].

ولهذا نرى في العصر الحاضر أنَّه لم يُعترفْ به كعلم، وقد عُرِضتْ بحوثٌ كثيرةٌ لإثبات التنجيم أمامَ المؤسَّسات الأمريكية للجمعيات العلميَّة لكي يتمَّ إقرارُها، ولكن لم يكن شيءٌ منها يستحق صفة العلم[2].

المسألة السابعة: الرُّقى والتَّمائم

تطرق الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتبه للحديث عن الرقى والتمائم، وبين معناهما وحكمهما في الشريعة، والفرق بين المباح والممنوع منهما، ولذا سيكون الحديث في هذه المسألة عن جانبين هما: الرقى والتمائم.

أولاً: الرُّقى

تكلَّمَ ابن الجوزي رحمه الله وفصَّلَ القولَ فيها، فقال:"وأمَّا الرُّقية فعلى ضربين:رُقية لا تُفهم، فربَّما كانت كفراً، فيُنهَى عنها لذلك المعنى. وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنَّه قال:((لا بأسَ بالرُّقى ما لم تَكنْ شِركاً))[3].

ورُقيةٌ جائزةٌ فهذه على ضربين: رقيةٌ يعتقدُ فيها أنَّها تدفع ما سيعرض، فهذه منهيٌّ لهذا المعنى. ورقيةٌ لما قد حدث، فهذه مرخَّصٌ فيها. وقال أحمد بن حنبل لا بأس بالرُّقية من العين. وسأله مهنَّا عن الرجل تأتيه المرأةُ مسحورةً فيطلق عنها السحر؟ فقال: لا بأس. وأمَّا الاستشفاء بالقرآن والدعاء فهو في معنى الرُّقية فلا يكره بحال"[1].

فنلاحظ أنَّ ابن الجوزي رحمه الله قسَّم الرُّقية إلى ضربين:

الأول: رقية غير مفهومة، وذكر أنَّها قد تكون كفراً، وهذا سيأتي الحديث عنها في شروط الرقية عند ابن الجوزي رحمه الله بإذن الله.

---

١. مفتاح دار السعادة (١٣٣/٢). وقد توسع ابن القيم رحمه الله في الردِّ على المنجمين في كتابه هذا.

٢. يُنظر: مقدمة في التنجيم (١٦٢).

٣. رواه مسلم في صحيحه برقم: (٢٢٠٠) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

١. كشف المشكل (٤٨١/١-٤٨٢).

الثاني: جائزة، وهي على نوعين:

أحدهما: المراد منها دفع ما لم يقع، فيرى أنَّها محرَّمة لهذا المعنى.

الثاني: رقية لما قد حدث، فهذه جائزة.

وقد يفهم أنَّ في كلامه تناقضاً، حيث قسَّم الرُّقية إلى قسمين، غير مفهوم وجائز، ثمَّ الجائز قسَّمه إلى قسمين، جائز وغير جائز، ولكن مراده بالجواز، أي في أصلها من حيث إنَّها من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، أمَّا من حيث استعمالها في غير وقتها فلا يجيزها رحمه الله؛ لأنَّه يَرى أنَّ الرُّقيةَ تكون بعد وقوع المرض لا قبله. وسيأتي الحديث عنها بمشيئة الله.

ثم تكلَّم عن شروط الرُّقية فقال رحمه الله:"قال أبو سليمان: المنهيُّ عنه في الرُّقى ما كان بغير لسان العرب، فلا يُدرى ما هو، ولعلَّه قد دَخَلَه سحرٌ وكفرٌ، فإذا كان مفهومَ المعنى، وكان فيه ذكر الله تعالى، فإنَّه مُسْتحبٌّ مُتَبَرَكٌ به"[1].

من هذا النَّص- مع ما سبق- يتبيَّنُ شروطُ الرُّقية عند ابن الجوزي رحمه الله، وهي كالتالي:

الشرط الأول: أن يكون بذكر الله.

الشرط الثاني: أن تكون مفهومة.

الشرط الثالث: أن يكون لشيء قد وقع.

وسوف نتكلم عن هذه الشروط بشيءٍ من التفصيل، وأقوال العلماء فيها.

الشرط الأول: أن تكون الرُّقى بذكر الله.

وهذا الشرط لاإشكال فيه، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:"وفي الحديث-الذي رقى سيّدَ القرية- جوازُ الرقيةِ بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وأمَّا الرُّقى بما سوى ذلك، فليس في الحديث ما يثبته ولا ما ينفيه"[1].

الشرط الثاني: أن تكون مفهومة.

---

١. كشف المشكل (١٣٣/٤).

١. فتح الباري (٤٥٧/٤).

ذكر ابن الجوزي رحمه الله أنَّ الرُّقيةَ الغير مفهومة قد تكون كفراً، فلهذا يُنهى عنها، ولهذا لـمَّا نَقَل عن الخطابي أنَّها تكون باللسان العربي، علَّلَ ذلك بأنَّها لا يُدرى ما هي، فالعبرة عنده أن تكون الرُّقيةُ مفهومةَ المعنى، لا أن تكون باللغة العربية. ولا يشترط أنَّ تكون باللسان العربي حتى تَصِحَّ الرُّقيةُ به، بل كما قال رحمه الله في كلامه عن الرُّقيةِ الممنوعةِ أنَّها"رقية لا تفهم، فربَّما كانت كفراً"، فالعبرة عند ابن الجوزي رحمه الله بالفهم عند أهل ذلك اللسان لا غير.

وهذا هو الراجح والعلم عند الله؛ لأنَّ العبرة بالفهم عند أهل ذلك اللسان، فقد يكونوا عجماً، فيرقيه بالعربية بما هو كفر، ولايفهموا ما يقول، فجعل الحكم منوط بفهم الرُّقية هو الصحيح.

يقول الإمام البيهقي رحمه الله:"والذي رُوي عن ابن مسعود، مرفوعاً((إنَّ الرُّقى والتَّمائمَ والتِّولةِ شركٌ))[1] فإنَّما أرادوا والله أعلم، ما كان من الرُّقى والتَّمائم بغير لسان العربية ممَّا لا يدرى ما هو"[2] مفهوم كلامه رحمه الله، أنَّه إذا كانت الرُّقية بغير العربية وفهمت فلا حرج فيه.

ويقول السيوطي رحمه الله:"قد أجمع العلماء على جواز الرُّقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وبما يعرف معناه"[3]. أي: من غير اللسان العربي.

والذين منعوا الرَّقية التي لا يفهم معناها، فإنَّما منعوا من باب سدِّ الذرايع والله أعلم[1].

الشرط الثالث: أن يكون لشيءٍ قد وقع.

وهذه المسألة محلُّ خلاف بين العلماء رحمة الله عليهم أجمعين، ولهم فيها قولان:

القول الأول: بالمنع، وهو ما ذهب إليه ابن عبدالبر والبيهقي[1]رحمهما الله. يقول الإمام ابن عبدالبر رحمه الله:"لا أعلمُ خلافاً بين العلماء في جواز الرقية من العين أو الحمة –وهي

---

١. رواه أحمد في المسند برقم: (٣٦١٥)، وأبوداود (٣٨٨٣)، وابن ماجه(٣٥٣٠). وصححه الألباني في الصحيحة برقم: (٣٣١).

٢. السنن الصغرى (٣٥١/٨) .يُنظر: المجموع (٦٦/٩).

٣. تيسير العزيز الحميد (١٣٣).

١. يُنظر: الفتاوى (١٣/١٩).

لدغة العقرب- وما كان مثلها إذا كانت الرقية بأسماء الله عز وجل ومما يجوز الرقى به، وكان ذلك بعد نزول الوجع والبلاء وظهور العلة والداء"[2]فقيَّده بعد نزول الوجع والمطر.

القول الثاني: الجواز، وممن ذهب إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله. يقول رحمه الله:"فقد ثبت في الأحاديث، استعمال ذلك قبل وقوعه كما سيأتي قريبا في باب المرأة ترقي الرجل من حديث عائشة، أنَّه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه ينفث بالمعوذات ويمسح بهما وجهه الحديث[3]، ومضى في أحاديث الأنبياء حديث ابن عباس أنَّه ﷺ كان يُعوِّذُ الحسنَ والحسينَ بكلماتِ الله التامة من كلِّ شيطانٍ وهامة الحديث، وصحَّحَ الترمذيُّ من حديث خولة بنت حكيم مرفوعاً من نزل منزلا فقال:((أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق، لم يضره شيءٌ حتى يتحول))[4]، وعند أبي داود والنسائي بسند صحيح عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن رجل من أسلم جاء رجل فقال:لُدِغتُ الليلةَ فلَم أنمْ. فقال له النبي ﷺ:((لو قلتَ حينَ أمسيْتَ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ مِن شرِّ ما خَلَقَ، لم يضرَّك))[5] والأحاديث في هذا المعنى موجودة، لكن يحتمل أن يقال إنَّ الرُّقى أخصُّ من التعوذ، وإلا فالخلاف في الرُّقى مشهور ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى الله تعالى والالتجاء إليه في كل ما وقع وما يتوقع"[1].

ثانياً:التَّمائم

عرّف ابن الجوزي رحمه الله التمائم بقوله:"وهي خرزاتٌ كانت العرب تعلِّقُها على الصبيان، يتَّقون بها العينَ بزعمهم"[2].

---

١. نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله، يُنظر: الفتح (١٠/١٩٦). ويُنظر: شعب الإيمان (٣/٣٢٩)، المجموع (٩/٦٣).

٢. الاستذكار (٨/٤٠٥).

٣. رواه البخاري برقم: (٥٠١٧).

٤. أصله في مسلم برقم: (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت الحكم السلمية رضي الله عنها. وهو عند الترمذي في جامعه برقم: (٣٤٣٧).

٥. رواه أبوداود برقم: (٣٨٩٨)، ولم أجده عند النسائي، وأصله عند مسلم برقم: (٢٧٠٩)، من حديث أبي هريرة عن رجل من أسلم.

١. الفتح (١٠/١٩٦). يُنظر: الشمائل الشريفة للسيوطي (٨٦).

٢. غريب الحديث (١/١١٢). ويُنظر: أقوال العلماء في المراد بالتمائم، أحكام أهل الرقى والتمائم (٢٠٩-٢١٠).

ثمَّ بـيَّن حكمَهـا بقولـه في شـرحه لقولـه ﷺ:((أنَّ التمـائم شـرك))[1]:"فلمـا أرادوا دفـع المقادير بذلك -أي بالتمائم- كان شركاً"[2].

ولهذا نجده في كتابه أحكام النساء، يبوب باباً بعنوان:"الباب الثمانون: في النهي عن تعليق التمائم وما يُظن أنَّه يدفع الشر"[3]، ثمَّ ذكر الأحاديث في تحريم التمائم، ثمَّ قال:"قال ابن عقيل: لا يجوز التَّعوذُ بالطلسمات وأسماء الكواكب والصور، وما وضع على النجوم[4] من النقوش، إذ كل هذا منهيٌّ عنه، وإنَّما التعوذ بالقرآن"[5].

وهنا لنا وقفات مع ابن الجوزي رحمه الله:

الأول:قوله في تبويبه:"وما يُظن أنَّه يدفع الشر"إشارة إلى أنَّ العلَّة في تحريم التمائم، هو الظنّ لدى متعاطيها في دفعِها الضَّررَ، مع العلم أنَّها ليستْ من الأسباب المشروعة في دفعِ الأضرار، فما عُلم بالتجربة أنَّه يدفع ضراراً كالأدوية وغيرها، فهو جائز، وما لا يُعلم فهو من الشرك الأصغر، إذ اعتقد في شيءٍ النفع والضرر، وهو ليس كذلك.

يقول القاضي عياض رحمه الله:"وأُطلق الشرك عليها؛ إمَّا لأنَّ المتعارف منها في عهده ما كان معهوداً في الجاهلية، وكان مشتملاً على ما يتضمن الشرك، أو لأنَّ اتخاذها يدلُّ على اعتقاد تأثيرها وهو يفضي إلى الشرك"[6].

الثاني: قوله:"وإنَّما التعوذ بالقرآن" هل المراد قراءة القرآن فحسب، أم يشمل كذلك تعلق التمائم التي تكتب بالقرآن؟ فإنْ نظرتَ إلى تبويب الباب، قلتَ إنَّه يرى بالنَّهي عن تعليق التمائم مطلقاً وبدون تفصيل، وإنَّ مما يؤكِّدُ أنَّه يرى بهذا، ما ذكره في كتابه الحدائق، حيث بوّب باباً بعنوان"عوذة المريض"[1]وذكر فيه حديث ابن مسعود رضي الله عنه مع أهله وفيه"فقال: ما هذا الخيط؟ قلت: خيط رُقِيَ لي فيه. فأخذه فقطعه"[2] فَذِكْرُه لهذا الأثر تحت

---

١. تقدَّم تخريجه صفحة (١٧٤).

٢. غريب الحديث (١/١١٢).

٣. أحكام النساء (٣٦٠).

٤. أي: على هيئة وصورة النجوم، والله أعلم.

٥. أحكام النساء (٣٦٢).

٦. عون المعبود (١٠/٢٦٢-٢٦٣).

١. الحدائق (٣/٤٢٠).

٢. الحدائق (٣/٤٢٢).

هذا الباب، يدلُّ على أنَّه يرى برأي ابن مسعود رضي الله عنه في عدم مشروعية تعليق التمائم من القرآن.

وللعلماء في هذه المسألة -أعني تعلق التمائم التي تكتب بالقرآن- قولان مشهوران[1]:

القول الأول: المنع، وهو المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه، وعلي وحذيفة وعقبة بن عامر رضي الله عن الجميع، وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي رحمهما الله.

القول الثاني: الجواز وهو الوارد عن عائشة وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وسعيد بن المسيب رحمه الله.

والأولى ترك التمائم والتعلق بها، لعدم ورود الدليل عليه، ولأنَّه قولُ الأكثر من الصحابة، ولأنَّه قد يفضي إلى الشرك والعياذ بالله، بالإضافة إلى أنَّها تكون معرَّضة للامتهان بدخول صاحبها الخلاء ونحوه.

يقول الإمام ابن العربي المالكي رحمه الله:"تعليق القرآن ليس من طريق السنة، وإنَّما السنَّة فيه الذِّكْرُ دون التعليق"[2].

ويقول المباركفوري رحمه الله:"قال بعض العلماء: وهذا-أي المنع من تعليق التمائم- هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

الثاني: سدُّ الذريعة فإنه[1] يفضي إلى تعليق من ليس كذلك.

الثالث: أنَّه إذا علَّق فلا بدَّ أن يمتهنه المعلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك"[2].

المسألة الثامنة: الفأل والتطير:

---

١. يُنظر: المصنف لابن أبي شيبة (٥/٣٥-٣٦)، تفسير القرطبي (١٠/٣٢٠)، المجموع (٩/٦٣)، الفروع لابن مفلح الحنبلي (٢/١٣٦)، حاشية ابن عابدين (٦/٣٦٣-٣٦٤)، الذخيرة للقرافي (١٣/٣١١)، فتح المجيد (١٣٧)، أحكام الرقى والتمائم (٢٤٣-٢٥٣).

٢. حاشية السندي على النسائي(٧/١١٢).

١. في الأصل (فإن) والصواب ما أثبته والله أعلم.

٢. تحفة الأحوذي (٦/٢٠٠).

تعرَّض الإمام ابن الجوزي رحمه الله لهذه المسألة، وبين استحسان الفأل، ومحظورية التطير، ونهي الشارع الحكيم عنه.

وقد بوَّب رحمه الله لكلا المسألتين باباً مستقلاً في كتابه الحدائق، فقال في الفأل:"باب: حبُّ الفألِ الحسن"[١]، وقال في الطيرة:"باب: التطير والتشاؤم"[٢].

ثمَّ ينقل تعريف العلماء للفأل، فيقول رحمه الله:"قال ابن عون: هذا مثل أن يكون مريضاً فيسمع: يا سالم، وباغياً[٣] فيسمع: يا واجد. وقال الأزهري: الفأل فيما يحسن ظاهره ويرجى وقوعه بالخير"[٤].

ويعرِّفُ الطِّيرةَ بقوله:"التَّطير: التشاؤم بالشيء تراه أو تسمعه، وتتوهم وقوع المكروه به. واشتقاقه من الطَّير، كتطيرهم من الغراب رؤيةً وصوتاً، ثمَّ استمرَّ ذلك في كلِّ ما يُتَطير برؤيته وصوته"[٥].

ويقول رحمه الله في غريب الحديث له –مبينا الفرق بين الفأل والطيرة–:"قال الأزهري: الفأل فيما يحسن ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء".

ولهذا قَصَر في تعريفه للفأل في سياقه الشرعي فيما يحسن، فقد بوَّب في كتاب الحدائق:"الفأل الحسن"؛ وكأنَّه يرى أنَّ الفألَ الواردَ في النُّصوص هو الحسن، بخلاف الطِّيرة التي لا تكون إلا في السيئ من الأمر.

لكن لو قال قائل، إنَّ الفألَ من أنواع التَّطير، وأنَّ الفأل من أقسام التطير لا قسيماً له، مُسْتَنِدَاً في ذلك إلى ما رواه أبوداود في السنن أنَّ الطِّيرةُ ذُكرتْ عند النبي ﷺ فقال:((أحسنها الفأل))[١] لكان أَقربَ للصواب.

---

١. الحدائق (٣/٩).

٢. الحدائق (٣/٩).

٣. أي: يبغي شيئاً يبحث عنه.

٤. كشف المشكل(٣/٣٧٧). يُنظر: غريب الحديث (٢/١٧٣).

٥. كشف المشكل (١/٤٨٢). يُنظر: كشف المشكل أيضاً (٢/٤٧٢)، وغريب الحديث (٢/١٧٣).

١. رواه أبوداود برقم: (٣٩٣١) من حديث عروة بن عامر رحمه الله. وسنده ضعيف. يُنظر: السلسلة الضعيفة (٤/١٢٣)، برقم: (١٦١٩).

وكـأنَّ ابـن الجـوزي رحمـه الله يلمـح في بعـض كتبـه إلى هـذا، فنجـده يقـول في زاد المسير:"وإنما قيل للحظ من الخير والشر طائر، لقول العرب جرى له الطائر بكذا من الخير، وجرى له الطائر بكذا من الشر، على طريق الفأل والطيرة"[1] ويقول في كشف المشكل:"واعلم أنَّه إنَّما صار الفأل خير أنواع هذا الباب"[2] والله أعلم.

يقـول ابـن القيـم رحمـه الله:"أخبـر ﷺ أنَّ الفـألَ مـن الطيرة وهـو خيرهـا، فأَبْطَلَ الطِّيرةَ، وأَخْبَرَ أنَّ الفـألَ منهـا، ولكنَّـه خيرٌ منهـا، ففصَّـل بـين الفـأل والطيرة لمـا بينهمـا مـن الامتيـاز والتضاد، ونفعَ أحدِهما ومضرةَ الآخر، ونظير هـذا منعُه من الرُّقى بالشرك، وإذنُه في الرُّقية إذا لم يكن فيها شركٌ، لما فيها من المنفَعَةِ الخاليةِ عن المفسدة"[3].

ثم يذكر ابن الجوزي رحمه الله تعليلين في كون الفأل خيرُ هذا الباب، والتطيرُ أسوأُها:

التعليل الأول: يقـول رحمـه الله:"واعلـم أنَّـه إنَّمـا صـار الفـألُ خيرِ أنـواع هـذا البـاب؛ لأنَّـه يَصدُر عن نطق وبيان، فكأنَّه خيرٌ جاء من غيب. فأما سُنُوح[4] الطَّير وبروحهـا، فتكلُّفٌ من الـمُتَطير ما لا أصل له في البيان، إذ ليس هناك نُطقٌ فيستدل به على معنى فيه"[5].

التعليل الثاني: يقـول رحمه الله في غريبه"وإنَّما كان كذلك؛ لأنَّ في الرَّجاء للخير، حسنُ ظنٍّ بالله، والطِّيرةِ سوءُ ظنٍّ به"[6].

يقول ابن الأثير رحمه الله[1] في النهاية:"وإنما أحبَّ الفأل؛ لأنَّ النَّاس إذا أمَّلُوا فائدة الله تعالى، ورجـوا عائدتـه عنـد كـل سبب ضعيف أو قـوي، فهـم على خير ولـو غلطـوا في جهـة

---

[1]. زاد المسير (١٥/٥).

[2]. زاد المسير (٣٧٧/٣).

[3]. مفتاح دار السعادة (٢٤٥/٢). يُنظر: القول المفيد (٥٧٠/١-٥٧١).

[4]. سنوح الطير: من سنح إذا عرض، ومنه السانح ضد البارح. النهاية لابن الأثير (٤٠٧/٢). قال المدائني: سألتُ رُؤبةَ بن العجاج: ما السانح؟ قال: ما ولَّاك ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولَّاك مياسره. فتح المجيد (٥٠٥). يُظر: مفتاح دار السعادة (٢٢٩/٢).

[5]. كشف المشكل (٣٧٧/٣). يُنظر: شرح مشكل الآثار (١٠٢/٥-١٠٣).

[6]. غريب الحديث (١٧٣/٢).

[1]. هو المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري الشافعي أبوالسعادات، صاحب كتاب جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث. توفي سنة ٦٠٦هـ. سير أعلام النبلاء (٤٨٨/٢١)، البداية والنهاية (٨/١٧).

الرجاء، فإن الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله، كان ذلك من الشر، وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء"[١].

ثم هو يُبين الحكمةَ من النَّهي عن التطير، وأنَّ الأمور بيد الله سبحانه، فيقول:"فأراد النبي ﷺ إضافةَ الواقعات من الضَّررِ والنَّفعِ إلى الله عزَّ وجلَّ"[٢].

❖ **حديث((إن كان الشؤم ففي ثلاث... الحديث))**

كثر كلام العلماء رحمة الله عليهم حول هذا الحديث وتخريجه، وذلك بسبب معارضته – في الظاهر – لأحاديث الباب، وقد أدْلى ابنُ الجوزي رحمه الله بدلوه في شرحه لقوله ﷺ:((إن كان الشؤمُ في شيءٍ، ففي الفرسِ والمرأةِ والمسكنِ))[٣]، فيقول:"ولقائلٍ أن يقول: فكيف الجمع بين هذا، وبين قولِه:((لا عَدْوَى ولا طِيَرَة))[٤]؟ والجواب: أمَّا عائشة فقد غلَّطتْ من روى هذا، وقالتْ:إنَّما قال:((كان أهل الجاهلية يقولون: الطِّيرةُ في المرأة والدابة والدار))[٥]. وهذا ردٌّ منها لصريح خبر رواه جماعةٌ ثقاتٌ، فلا يعتمد على ردها.

والصحيح أنَّ المعنى: إنْ خيف من شيء أن يكون سبباً لما يُخاف شرُّه ويُتشاءمُ به، فهذه الأشياء، لا على السبيل التي تظنُّها الجاهلية من العدوي والطيرة، وإنَّما القَدَرُ يجعل للأسبابِ تأثيراً. وقال الخطابي: لما كان الإنسان في غالب أحواله لا يستغني عن دار يسكنها، وزوجة يعاشرُها، وفرس يرتبطُه، وكان لا يخلو من عارض مكروه، أُضيف اليُمْنُ والشُّؤمُ إلى هذه الأشياء، إضافةُ محلٍّ وظرف، وإن كانا صادرين عن قضاء الله سبحانه. قال: وقد قيل شؤم المرأةِ ألَّا تَلِد، وشؤم الفرس ألَّا يُحمل عليها في سبيل الله، وشؤم الدار سوءُ الجار"[١].

---

١. النهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٥-٤٠٦).

٢. كشف المشكل (٢/٤٧٢).

٣. رواه البخاري برقم: (٥٠٩٤)، ومسلم برقم: (٢٢٢٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

٤. رواه البخاري برقم: (٥٧١٧)، ومسلم برقم: (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٥. رواه أحمد في المسند برقم: (٢٦٠٨٨). والحاكم في المستدرك (٢/٤٧٨) وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي رحمه الله. يُنظر: تلخيص الذهبي على المستدرك (٢/٤٧٨).

١. كشف المشكل (٢/٢٦٨).

فنلاحظ أنَّه رحمه الله أنكر على عائشة رضي الله عنها استنكارها لهذا الحديث؛ معلّلا أنَّه ردٌّ لخبر صحيح[1].

ويرجِّح ابنُ الجوزي رحمه الله روايةَ: ((إن كان الشؤم...الحديث))، ويَتَّضحُ هذا ما تقدَّم من قوله:"والصحيح أنَّ المعنى: إنْ خيف من شيءٍ أن يكون سبباً لما يخافُ شرُّه ويتشاءم به، فهذه الأشياء، لا على السبيل التي تظنها الجاهلية من العدوي والطيرة، وإنَّما القدر يجعل للأسباب تأثيراً[2]".

وللعلماء عِدَّةُ مسالك في تخريج معنى هذا الحديث[3]،هي:

١.إنكار الحديث كما تقدم عن عائشة رضي الله عنها.

٢.ترجيحُ رواية ((إن كان الشؤم))، وتضعيف رواية ((الشؤم في ثلاث)) ورواية((إنما الشؤم))[4].

٣.أنَّ الحديث سيق لبيان اعتقاد الناس.

٤.حملُ الحديث على ظاهره، وهو قول مالك رحمه الله.

٥.أنَّه حينما نُهوا عن التطير، وأنَّه لا طيرة، أبَوا أن يَنْتهوا، فبقيتِ الطيرةُ في هذه الثلاث.

٦.وقيل: إنَّ المعنى: أنَّ أكثرَ ما يُتَطيَّرُ به هذه الأمور الثلاث، فمن وَقَع في نفسه منه شيءٌ تركه، واستبدل غيره.

٧.وقيل: إن كان خلق الله الشؤم في شيء مما جرى من بعض العادة، فإنَّما يخلقه في هذه الأشياء.

٨.أنَّ المراد بالحديث، أنَّ شؤمَ المرأة بأنَّها غيرُ وَلُود، وشؤمَ الفرس أنْ لا يُغزى عليها، وشؤمَ الدار سوءُ جارها أو ضيقها.

---

١. يُنظر: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (١١٥).

٢. المراد أنَّ الله هو الذي جعل الأسباب مؤثرة، لا أنَّها مؤثرة بذاتها، فالله هو الذي جعل النار محرقة، والسكين قاطعة، وقد يعطل الله تأثيرها إذا أراد، كما وقع مع نبي الله إبراهيم عليه السلام، حيث لم تحرقه النار، ولم تقطع السكين معه حينما أراد ذبح ولده.

٣. يُنظر: التمهيد (٩/٢٧٨-٢٩١)، مفتاح دار السعادة (٢/٢٥٣-٢٦١)، فتح الباري (٦/٧٢-٧٤).

٤. يُنظر: السلسة الصحيحة (١/٨٠٤)، (٢/٤٣٤).

٩.وقيل: المراد سدُّ الذريعةِ لئلا يوافقُ شيءٌ من ذلك القدرَ، فيعتقد في هذه الأشياء، فيقع ما نُهي عنه.

١٠ .وقيل: هو استثناء مِنْ غير الجِنْس، ومعناه إبطالُ عملِ الجاهلية، فمَنْ وَقَعَ له شيءٌ يكرهُه مِنْ هذه الثلاث فليفارقه. وهو قريب من سابقه.

١١ .وقيل: كان هذا في أول الأمر ثمَّ نسخ.

١٢ .وقيل: يُحملُ الشؤمُ على قلَّة الموافقة وسوء الطباع.

١٣ .وقيل: يُحملُ الحديثُ على مَنْ تشاءمَ بما ذُكِرَ لَحِقَه شؤمها، ومَنْ توكَّل على الله ولم يَتَطيَّر لم يصبْه شيءٌ، وقالوا: كلُّ مَنْ خاف شيئاً غير الله، سُلِّط عليه نسأل الله السلامة والعافية.

١٤ .وقيل: إنَّ الله قد يخلق أعياناً مشئومةً على من قاربها، وأعياناً مباركةً لا يلحق من قاربها شؤم، كالولد قد يكون شؤماً على والديه إن كان عندهما، وإذا بَعُدَ عنهما لم يلحقْهما شيءٌ.

١٥ .وقيل: بما يجعله الله من البركة في الزوجة، والدار، والفرس[1].

وعلى كلٍّ، فقد كثرت أقوال أهل العلم في هذا الحديث وتخريجه، وتعدَّدَتْ مسالكُهم فيه، ولهم ردودٌ في بعض ما قيل، وأخذٌ وردٌّ، ولكن مما هو مشاهد ومعلوم، أنَّه كم من إنسانٍ تزوَّجَ امرأةً، كانت وجهَ سوءٍ على زوجها وعلى أهله والعياذ بالله، ثمَّ يطلُّقها، ويتزوج بأخرى، فتكون وجهَ سعدٍ عليه وعلى أهله، فهذا الأمر معلوم عند عامَّة الناس، وهو أمر مشاهد، وكذلك الدار والدابة والله أعلم بالصواب.

---

١. يُنظر: صحيح ابن حبان (٣٤١/٩) حيث بوَّب للحديث بعنوان"ذكر الأخبار بأنَّ في أشياء معلومة يوجد الشؤم والبركة معاً".

المطلب الثالث: آراؤه في مسائل توحيد الأسماء والصفات، وفيه تمهيد ومسألتان:

تمهيد: إنَّ شرفَ العلومِ هي بشرف متعلَّقِها، وإنَّ توحيدَ الأسماء والصفات متعلَّقةٌ بالله سبحانه وتعالى، وقد ندب الشارع الحكيم إلى تعلُّم ومعرفةِ أسماء الله وصفاته، يقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾الأعراف:١٨٠، ويقول تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾الإسراء:١١٠، ويقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾الطلاق:١٢، ويقول ﷺ:((إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنَّة))[١]، فهذه الأسماء الحسنى والصفات العلى، ذكرها الله حتى ندعوه بها، ونتوسَّل إليه بها، ونسبِّحُه بها، ونَحمَدُه بها، وليكون لها الأثرُ البالغ على المسلم في حياته، وذلك حينما يَعلمُ أنَّ اللهَ مطَّلِعٌ عليه، يعلمُ السرَّ وأخفى، فيخافه ويبتعد عن محارمه، إنَّ هذه الخشية والرَّقابة الذاتيَّة التي يتربَّى عليها المسلمُ من خلال تعلُّمه لأسماء الله الحسنى، هي التي جعلت تلك المرأة تقول:

تَطَاولَ هذا اللَّيْلُ واسودَّ جَانِبُه******وأرَّقَني إذْ لا حَبيبَ أُلاعِبُهُ

فلولا الذي فوقَ السماواتِ عرشُه******لزُعْزِعَ مِنْ هَذا السَّريرِ جَوانِبُهُ[٢]

فمخافتها من الله الذي فوق السماء عرشه، وهو يراها، ويعلم حالها، هو الذي منعها من أن تعصيَه سبحانه وتعالى.

ولهذا كان علم الاعتقاد من أجلِّ العلوم، لأنَّه الهادي إلى سبيل الرشاد، والصِّراط المستقيم، وهو الذي يُعرِّف العبد بخالقه، من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

وهذا يدلُّ على أهميةِ هذا العلم في الحياة البشرية، والأثر الذي يَتْركُه في حياتهم.

فالإيمان بأسماءِ الله وصفاته، هو الإيمانُ بها، وإثباتُها من غير تمثيلٍ ولا تكييفٍ، وتنزيهُها من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، على ما ورد في كتاب الله، وصحَّ عن رسول الله ﷺ[١].

---

١. رواه البخاري برقم: (٢٧٣٦)، ومسلم برقم: (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢. مصنف عبدالرزاق برقم: (١٢٥٩٤).

١. يُنظر: الواسطية (٥٧)، وتيسير العزيز الحميد (١٩)، والقول السديد شرح كتاب التوحيد (١٨)، وحاشية الشيخ ابن قاسم على كتاب التوحيد (١١).

يقول الإمام محمد بن خزيمة رحمه الله:"فنحن وجميعُ علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر، مذهبُنا: أنَّا نثبتُ لله ما أثبتَه الله لنفسِه، نُقِرُّ بذلك بألسنتنا، ونصدِّق ذلك بقلوبنا، من غير أنَّ نشبِّه وجهَ خالقنا بوجه أحدٍ من المخلوقين، عزَّ ربُّنا عن أن يشبه المخلوقين، وجلَّ ربُّنا عن مقالة المعطلين، وعزَّ أن يكون عدماً كما قاله المبطلون، لأنَّ ما لا صفة له عدمٌ، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفاتِ خالقِنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ"[1].

المسألة الأولى: أسماء الله الحسنى، وفيه فرعان:

الفرع الأول: البيان أنَّ أسماء الله ليست محصورة في عدد معين.

يقول الفيروزآبادي[2] رحمه الله:"اعلم أَنَّ كثرةَ الأسماء تدلُّ على شرف المسمَّى، أَو كمالِه فى أَمر من الأمور. أَمَا ترى أَنَّ كثرة أَسماءِ الأسد دلَّتْ على كمال قوَّته، وكثرةَ أَسماءِ القيامة دلَّتْ على كمال شدَّته وصعوبته، وكثرة أَسماء الدَّاهية دلت على شِدة نِكايتها. وكذلك كثرةُ أَسماء الله تعالى، دلَّت على كمال جلال عظمته"[3]. ولهذا فإنَّ من كمال الله "أن يشهد كثرةً في وحدة، ووحدةً في كثرة، بمعنى أن يشهد كثرةَ الأسماء والصفات في الذَّات الواحدة، ووحدة الذَّات مع كثرةأسمائها وصفاتها"[4].

وقد ذُكرت هذه الأسماء في القرآن والسنة، وورد في فضلها وحفظها ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال:((إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً، مائةً إلا واحداً، من أحْصاها دَخَلَ الجنَّة))[1]. وقد تكلَّم العلماء عن هذه الأسماء، وهل هي تسعة وتسعين اسماً، أم أكثر من ذلك؟ ومن ذلك الإمام ابن الجوزي رحمه الله، فقد أدلى بدلوه في هذه المسألة، وتتطرَّق لها في كتابه الحدائق، وكشف المشكل.

---

١. التوحيد لابن خزيمة (١/٢٦).

٢. محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب. ولد بشيراز وجال في العراق ومالشام ومصر وبلاد الروم، ثمَّ انتقل إلى زبيد ومات بها سنة ٨١٧هـ. إنباء الغمر بأبناء العمر (٣/٤٧)، والأعلام (٧/١٤٦).

٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/٨٨).

٤. مدارج السالكين (٣/٢١٠).

١. تقدَّم صفحة (٢١١).

يقول رحمه الله:"قال أبو سليمان الخطابي: في هذا الحديث إثباتُ هذه الأسماء، وليس فيه نفيُ ما عداها من الزِّيادة عليها، وإنَّما وَقَعَ التخصيصُ لهذه الأسماء لأنَّها أشهرُ الأسماء وأبينُها معاني، فجملةُ هذا الحديث قضيةٌ واحدةٌ لا قضيتان. فتمام الفائدة في خبر ((إنَّ)) في قوله: ((من أحصاها دَخَلَ الجنَّة)) لا في قوله: ((إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً)). وهذا بمنزلة قولك: إنَّ لزيدٍ مائةَ درهمٍ أعدَّها للصَّدقة، فلا يدلُّ ذلك على أنَّه ليس عنده من الدراهم أكثر من ذلك، وإنَّما يدلُّ على أنَّ الذي أعدَّهُ للصَّدقة هذا. ويدلُّ على هذا التَّأويل حديثُ ابن مسعود:((أسألكُ بكلِّ اسمٍ هو لك، سميتَ به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو علَّمتَه أحداً من خَلقِك، أو استأثَرْتَ به في علمِ الغيبِ عندك))[1]فهذا يدلُّ على أنَّ لله أسماء لم ينزلها في كتابه حجبها عن خلقه"[2].

فنجد أنَّ ابن الجوزي رحمه الله ينقل كلام الإمام الخطابي رحمه الله، في أنَّ أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، مستدلاً بحديث ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك.

وما ذهب إليه ابن الجوزي رحمه الله من أنَّ أسماءَه سبحانه وتعالى غيرُ منحصرةٍ في التسعة والتسعين، هو ما ذهب إليه جُمهورُ أهل العلم، يقول الإمام النووي رحمه الله:"واتفقَ العلماء على أنَّ هذا الحديث ليس فيه حصرٌ لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنَّه ليس له أسماءٌ غير هذه التسعة والتسعين، وإنَّما مقصودُ الحديث أنَّ هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنَّة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنَّة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء؛ ولهذا جاء في الحديث الآخر:((أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أواستأثرت به في علم الغيب عندك))"[3].

وقد خالف في ذلك الإمام ابن حزم رحمه الله[1]، يقول ولي الدين العراقي ابن الحافظ العراقي في تكملته لشرح طرح التثريب:"وخالف في ذلك ابن حزم الظاهري، فقال: إن أسماء الله تعالى لا تزيد على تسعة وتسعين شيئاً لقوله عليه الصلاة والسلام:((مائة إلا واحداً)) فنفى الزِّيادةَ وأبطلَها، لكن يُخبر عنه بما يَفعلُ تعالى. قلت: قوله:((مائةً إلا واحداً)) مجرَّدُ

---

١. رواه أحمد برقم: (٣٧١٢) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

٢. كشف المشكل (٤٣٤/٣-٤٣٥). يُنظر: الحدائق (٣٨/١-٣٩).

٣. شرح النووي على مسلم (٥/١٧).

١. يُنظر: المحلى (٣٠/١).

تأكيدٍ لقوله:((تسعة وتسعين)) لجواز اشتباهِها في الخطِّ بسبعةٍ وسبعين، ولم يُفِدْ شيئاً زائداً على ما تقدَّم حتى يقول: إنَّ هذا اللَّفظ فيه نفيُ الزيادة وإبطالِها، وقد تقدَّمَ أنَّ المقصودَ الإخبارُ بأنَّ من أحصاها دخلَ الجنَّة، وما قبلَه موطئٌ له، والله أعلم"[1].

الفرع الثاني: بيان معنى الإحصاء الوارد في الحديث.

تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله عن معنى الإحصاء الوارد في الحديث، وذكر أنَّ للعلماء في المراد من ذلك أربعة أقوال[2]، يقول رحمه الله:"فأمَّا قوله:((من أحصاها)) ففي معناه أربعة أوجه:**أحدها**: أنَّ معنى الإحصاء العدُّ، يريد أنَّه يعدُّها ليستوفيها حفظاً، ويدلُّ عليه قوله:((من حفظها))[3]. **والثاني**: أن يكون الإحصاء بمعنى الطاقة، كقوله تعالى:﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾المزمل:٢٠ أي: لن تطيقوا قيام الليل، فمعناه: من أطاق العمل بها. وبيان العمل بها أنَّ من أسمائه الحكيم، فالعمل بذلك التحكيمُ لحكمته حتى لا يوجد من العبد اعتراضٌ على أفعاله. ومنها السميع، فالعملُ بذلك الحياءُ منه وكفُّ اللسان عن القبيح؛ لأنَّه يسمع، وعلى هذا سائر الأسماء. وهذا الوجه اختيار ابن عقيل. **والثالث**: أن يكون الإحصاءُ بمعنى العقل والمعرفة، فيكون معناه: من عرَفها وعقِلَ معناها، وآمن بها، دخل الجنَّة، مأخوذٌ من الحصاةِ وهو العقل، قال طرفةُ:

وإنَّ لِسَانَ المرْءِ مَا لم تَكُنْ لَهُ****** حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيْلُ[4]

والعربُ تقول: فلان ذو حَصَاةٍ: أي عقل. **قال الخطابي: والرابع**: أن يكون المرادُ بالحديث: مَنْ قرأَ القرآنَ حتى يختمَه فيستوفي هذه الأسماءَ في القرآن"[1].

وهو إذ يذكر هذه الأقوال، فإنَّه يرجِّح منها القولَ الأول، وهو الحفظ، يقول رحمه الله في كتابه الحدائق بعد ذكره للقول الأول:"وهو أثبتُ الأقوالَ"[2].

---

١. طرح التثريب في شرح التقريب (١٤٩/٧-١٥٠).

٢. وهي التي ذكرها الخطابي رحمه الله في شأن الدعاء. يُنظر: شأن الدعاء (٢٦-٢٩).

٣. رواها مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم: (٢٦٧٧).

٤. ديوان طرفة بن العبد (٦٧).

١. كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٣٥-٤٣٦).

٢. الحدائق (٣٩/١).

وذهب إلى هذا القول الإمام النووي، وعزاه للإمام للبخاري[1] رحمهما الله، يقول رحمه الله:"فاختلفوا في المراد بإحصائها، فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها. وهذا هو الأظهر"[2].

وقد تعقَّب الحافظ ابنُ حجر رحمه الله على ابن الجوزي رحمه الله، فقال:"وقال ابن الجوزي: لمَّا ثبتَ في بعضِ طرقِ الحديث((من حفظِها)) بدلَ((أحصاها))، اخترنا أنَّ المراد العدُّ، أي: من عدَّها ليستوفيَها حفظاً. قلتُ: وفيه نظرٌ؛ لأنَّه لا يَلزم من مجيئه بلفظ حفظِها، تَعيُّنَ السردِ عن ظهر قلب، بل يُحتمل الحفظ المعنوي"[3].

ولهذا فليس المراد مجرد الحفظ فقط، ولهذا ينبِّه ابن بطال رحمه الله[4] إلى هذه القضيَّة، فيقول:"وأخبرنى بعضُ أهل العلم عن أبى محمد الأصيلى أنَّه أشار إلى هذا المعنى، غيرَ أنَّه لم يشرحه فقال: الإحصاء لأسمائه تعالى هو العمل بها لا عدّها وحفظها فقط؛ لأنَّه قد يَعدُّها المنافقُ والكافرُ وذلك غير نافع له. قال المؤلف[5]: والدليل على أنَّ حقيقة الإحصاء والحفظ فى الشريعة إنما هو العمل، قوله ﷺ فى وصف الخوارج:((يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية))[1] فبيَّن أن من قرأ القرآن ولم يعمل به لم ترفع قراءته إلى الله، ولا جازت حنجرته، فلم يكتب له أجرها وخاب من ثوابها، كما قال تعالى:﴿إِلَيْهِ

---

١. وقد ردَّ الشيخ الغنيمان حفظه الله هذا، وأنَّ من فهم هذا عن البخاري فقد أخطأ، يقول حفظه الله:"وربَّما فُهِم من صنيع البخاريِّ أنَّه يَرى أنَّ إحصاءَها هو حفظُ ألفاظِها، كما فَهِم من ذلك الحافظ ابنُ حجر، وعندي فيه نظرٌ، وذلك أنَّ عادةَ البخاري التي سار عليها في كتابه هذا، أنَّه إذا جاء لفظُ في الحديث، وفي القرآن لفظٌ يوافقُه في اللَّفظ والاشتقاق، أنَّه يذكرُه وإن كان لا يوافقه في المعنى، وأمثلة ذلك كثيرة" شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/٢٢٠-٢٢١).

٢. شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥).

٣. فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٢٦).

٤. أبوعلي علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البَلَنْسي، ويعرف: بابن اللِّجام. شارح صحيح البخاري. له عناية تامة بالحديث. توفي سنة ٤٤٩هـ. سير أعلام النبلاء (١٨/٤٧)، والأعلام (٤/٢٨٥).

٥. المراد به ابن بطال رحمه الله.

١. رواه البخاري برقم: (٣٣٤٤)، ومسلم برقم: (١٠٦٤).

﴿يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾فاطر:١٠، يعني أنَّ العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله تعالى[١]"[٢].

ويقول أبوعمر الطَّلمنكي رحمه الله:"من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته التي يستحق بها الداعي والحافظ ما قال رسول الله ﷺ، المعرفةُ بالأسماء والصفات، وما تتضمَّنُ من الفوائد، وتدُلُّ عليه من الحقائق، ومن لم يعلمْ ذلك، لم يكن عالماً لمعاني الأسماء، ولا مستفيداً بذكرها ما تدلُّ عليه من المعان"[٣].

ولعلَّ الأقرب من هذه الأقوال للصواب، أنَّ جميع ما ورد من معاني الإحصاء يشملُه الحديث، يقول ولي الدين العراقي رحمه الله:"وقال أبو العباس القرطبي:... والمرجو من كرم الله تعالى، أنَّ من حصل له إحصاءُ هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحَّة النِّيَّة، أن يُدخلَه اللهُ الجنَّة"[٤].

ويقول ابن القيم رحمه الله في معنى إحصائها:"وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح، المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها. المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها. المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾الأعراف:١٨٠ وهو مرتبتان: إحداهما: دعاء ثناء وعبادة. والثاني: دعاء طلب ومسألة"[٥].

ثمَّ إنَّ مجرد حفظ الأسماء لا يفيد صاحبها، بل قد تكون حجةً عليه يوم القيامة، ومن أراد العمل بها، فلا يتأتى له ذلك إلا بحفظها وفهم معانيها، ولهذا فإنَّ الصواب هو حفظها، وفهم معانيها، والعمل بها، فهي مترابطة ومتلازمة لنيل ثوابها.

---

١. يقول الإمام ابن جرير رحمه الله:"وقوله:{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} يقول تعالى ذكرُه: إلى الله يصعدُ ذكرُ العبدِ إيَّاه وثناؤُه عليه {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}يقول: ويرفعُ ذكرَ العبدِ ربَّه إليه عملُه الصالحُ" تفسير ابن جرير (٤٤٤/٢٠).

٢. شرح صحيح البخارى لابن بطال (٤٢٠/١٠-٤٢١).

٣. فتح الباري لابن حجر (٢٢٦/١١).

٤. طرح التثريب في شرح التقريب (١٥٥/٧).

٥. بدائع الفوائد (١٦٤/١).

المسألة الثانية: صفات الله عزَّ وجلَّ، وفيه وفرعان:

الفرع الأول:منهج ابن الجوزي رحمه الله في صفات الله عزَّ وجلَّ:

أولاً: الألفاظ المجملة:

إنَّ الألفاظ من حيثُ دلالتها على المعاني لا تخلو من ثلاثة أحوال، إمَّا لفظ يدلُّ على حقٍّ، وإمَّا لفظٌ يدل على معنىً باطل، وإمَّا لفظٌ يَحتملُ حقَّاً وباطلاً.

وموقف علماء المسلمين من هذا، قبولُ الحق، وردُّ الباطل، وأمَّا اللفظ المحتمل، فلهم منه موقفان:

الأول: إمَّا ردُّه جملةً، والاقتصار على ألفاظ الكتاب والسنة، حتى لا يُلبَّس على الناس بهذه الألفاظ المجملة، ويقتصر على ألفاظ الوحي، ومن ذلك ردُّ الإمام أحمد رحمه الله على المعتزلة قولَهم: لفظي بالقرآن مخلوق، فهذا اللَّفظ عند التأمُّل فيه، يَحْتِملُ حقَّاً وباطلاً، فالحقُّ الذي يحتملُه هو أنَّ اللَّفظَ والصوتَ مخلوقٌ، والمعنى الباطل الذي يحتمله أنَّ القرآنَ مخلوقٌ، ولأنَّ الإمام أحمد رحمه الله يعلمُ من مذهب المعتزلة أنَّهم لا يَرون خلقَ أفعالِ العباد، وأنَّ مرادَهم من هذا اللفظ التلبيس على الناس من أنَّ القرآن مخلوق، منعَ رحمه الله من هذا اللَّفظ سداً لهذا الباب، وحتى لا يُلبَّس على الناس في عقائدهم، ولهذا يرى رحمه الله أنَّ القائل بهذا من الجهمية[1].

الموقف الثاني: هو الاستفصال في المراد من أقوالهم الـمُجمَلة، فإن كان حقَّاً قُبِل، ويقولون بأنَّ التعبير بالألفاظ الشَّرعية أولى، وإن كان معنى باطلاً، رُدَّ على قائله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وأمَّا الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على إثباتها ونفيها، فهذه ليس على أحدٍ أن يوافق من نفاها أو أثبتها، حتى يُسْتفسَر عن مراده، فإن أراد بها معنىً يوافق خبرَ الرسول، أُقِرَّ به، وإن أراد بها معنىً يُخالف الرسول أنكره، ثمَّ التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباهٌ أو إجمالٌ، عُبِّرَ بغيرها أو بُيِّنَ مرادُها بحيث يحصل تعريف الحقِّ بالوجه الشرعي"[1].

---

١. يُنظر: مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (٣٥٦)، ومنهاج السنة النبوية (٥٤٣/٢).

١. الفتاوى (١١٤/١٢).

والآن نذكر كلام الإمام ابن الجوزي رحمه الله في هذه الألفاظ، ونعرف موقفه منها، هل يقبلها، أم يستفصل فيها، أم يردها جملةً وتفصيلاً ويَرُدُّ ما معها من معنىً حق؟.

لفظ الجسم

من خلال النَّظر في نصوص ابن الجوزي رحمه الله، نراه ينفي عن الله عزَّ وجلَّ لفظ الجسم؛ معلِّلاً ذلك أنَّ إثباتَه لله عزَّ وجلَّ يلزم منه الحركة والسكون، والتأليف، وهذان الأمران من صفات الأجسام، والله عزَّ وجلَّ منزَّهٌ أن يكون جسماً.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله في صفات الله تعالى:"وليس بجسم...ولو كان جسماً؛ لجاز عليه ما يجوز على الأجسام من الحركة والسكون المُحْدَثَيْن"[1].

ويقول في مَعرِض كلامه عن بني إسرائيل وفساد ملتهم:"ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم، وهذا من أعظم التغفيل؛ لأنَّ الجسم مؤلَّف، ولا بدَّ للمؤلَّف من مؤلِّف"[2]، ويقول أيضاً في حديثه عن المجسِّمة:"ولا يجوز ثمَّ ذاتٌ تقبَلُ التجزُّؤ والانقسام"[3].

ولهذا فهو ينكر صفات الله تعالى[4] بحجَّة أنَّها يلزم من ثبوتِها إثباتَ الجسم لله تعالى، ولا يجوز إطلاقُ لفظِ الجسمِ على الله، لما يلزم من وصف الجسم لله تعالى ما ذكره من الحركة والسكون والتأليف.

يقول ابن الجوزي رحمة الله عليه في أثناء شرحه لحديث:((حتَّى يَضَعَ ربُّ العزَّة فيها قدَمَهُ))[1]:"فأمَّا من ادَّعى سلوكَ طريقِ السلف، ثمَّ فَهِم من هذا الحديث أنَّ القَدَمَ صفةٌ ذاتيةٌ، وأنَّها تُوضَعُ في جهنَّم، فما عَرَفَ ما يجبُ لله، ولا ما يَستَحِيلُ عليه، ولا سلك منهاج السلف في السكوت، ولا مذهبَ المتأولين، وأَخْسِسْ به من مذهبٍ ثالثٍ ابتدعه من غضب من البدع. قال أبو الوفاء بن عقيل: تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، هذا عين التجسيم"[2].

---

١. أخبار الصفات (٤).

٢. التبصرة (٤٩٥/١).

٣. تلبيس إبليس (٥٢٦/١).

٤. ما عدا صفة العلو والكلام والعلم والحكمة كما سيأتي معنا في البحث بإذن الله.

١. رواه البخاري برقم: (٦٦٦١)، ومسلم برقم: (٢٨٤٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٢. كشف المشكل (٢٤٤/٣).

ويقول رحمه الله في كتابه الموضوعات، بعد ذكره لحديث((إنَّ الجنَّ والإنس والشياطين والملائكة، منذُ يوم خلقوا إلى يوم قيامهم صفًّاً واحداً ما أحاطوا بالله عزَّ وجلَّ))[1]:"هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، يوهم عظمة الذات على وجه التشبيه والتجسيم"[2].

ولهذا تجده يتناقض في قوله رحمه الله بسبب قضية الجسمية هذه، يقول رحمه الله:"ومن رُزِق التَّوفيق، فليُحضِرْ قلبَه لما أقول: اعلم أنَّ ذاتَه سبحانه لا تُشبه الذَّوات... أمَّا ذاته سبحانه، فإنَّا لا نَعرف ذاتاً: إلا أن تَكون جسماً، وذاك يستدعي سابقةَ تأليفٍ، وهو منزَّهٌ عن ذلك"[3]فهو يُقرِّر أنَّ لله سبحانه وتعالى ذاتاً، ثمَّ يرجع ويقول بأنَّنا لا نعرفُ ذاتاً إلا جسماً، والله منزَّهٌ عن الجسم، فمعنى هذا أنَّه ينفي الذات عن الله، بعدما أثبتها في أول حديثه، بالإضافة إلى ما سبق من نفي الجسم عن الله.

وكلامه المتقدِّم يلزم منه أحد أمرين: إمَّا أنَّه ينفي الذَّات عن الله عزَّ وجلَّ، وهذا مستحيل، وإمَّا أنَّه يُثبت الذَّات لله سبحانه، وأنَّها ذاتٌ لا كالذَّوات، فيلزمه أن يثبتَ صفاتٍ لا كالصفات.

وما ذهب إليه الإمام ابن الجوزي رحمه الله من نفي الصفات بحجَّة أنَّها يلزم منها التجسيم، فهذا غير منهج سلف الأمة رحمة الله عليهم، والمعنى الذي ذكره ابن الجوزي رحمه الله من لفظ الجسم هو أنَّ إثباتها يلزمُ منه التأليف، وأنَّ هذا التأليف لا بدَّ له من مؤلِّف، لم يقل به أحدٌ من أئمة الهدى، ثمَّ هو ينفي عن الله لفظ الجسم، ولم يقتصر على ذلك ويقف عند هذا، بل نفى صفات الله تعالى.

ولفظُ الجسم من الألفاظ التي لم تردْ في نصوص القرآن والسُّنَّة، بل من الألفاظ المبتدعة التي لم ترد في حقِّه سبحانه وتعالى لا نفياً ولا إثباتاً، فتركه كان أولى به رحمه الله.

والجسم من الألفاظ المجملة، التي تحتمل حقَّاً وباطلاً، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"ولفظُ الجسم، لفظٌ مجمل، فمعناه في اللغة هو البدن، ومن قال: إنّ الله مثل بدن الإنسان فهو مفترٍ على الله، ومن قال: إنّ الله يُماثِله شيء من المخلوقات فهو مفترٍ على الله. ومن قال: إن الله ليس بجسمٍ، وأراد بذلك أنه لا يُماثِله شيء من المخلوقات، فالمعنى صحيح

---

١. رواه ابن عدي في الكامل برقم: (٢٤٧).

٢. الموضوعات (١١٤/١).

٣. صيد الخاطر (٣٣٦-٣٣٧).

وإن كان اللفظ بدعة. وأمَّا من قال: إنَّ الله ليس بجسم، وأراد بذلك أنه لا يُرى في الآخرة، وأنَّه لم يتكلَّم بالقرآن العربي، بل القرآن العربي مخلوقٌ أو تصنيفُ جبريل ونحو ذلك. فهذا مفترٍ على الله فيما نفاه عنه"[1].

الحدّ

من الأسباب التي تجعل الإمام ابن الجوزي رحمه الله يفوِّض صفات الباري عزَّ وجلَّ، أو يؤوِّلها، مسألة الحد، ويقرِّر بأنَّا لو قلنا بالحد، فقد أثبتنا الحدوث على الله، وهو سبحانه منزَّهٌ عن ذلك، يقول رحمه الله:"ويستحيل عليه سبحانه أن يكون جسماً، أو جوهراً، أو مُتناهياً محاذياً، إذ جميع ذلك من علامات الحدث"[2].

ويقول رحمه الله في ردِّه على الفئة الأخرى من المشبهة[3]– وهم من يثبتون صفات الباري سبحانه-:"وجعلوا لذاته نهاية"[4].

ولفظ الحدِّ، من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنَّة، والوارد عن السلف النفي والإثبات:

أمَّا النفي فورد عن الثوريِّ وشعبة وحمَّاد بن زيد،وأمَّا الإثبات فورد عن ابن المبارك والحميدي وسعيد بن منصور وإسحاق الحنظلي وأحمد بن حنبل رحمة الله على الجميع[5].

وكما قيل على لفظ الجسم، يقال على لفظ الحد، وإن كان هناك ثمَّ فرقٌ بينهما، وذلك أنَّ لفظ الحدِّ ورد استخدامُه عن السلف بخلاف لفظ الجسم.

واستخدام السلف له يراد به أموراً هي:

١. إثبات استواء الله سبحانه على العرش، وعلوِّه على خلقه، وأنَّه بائنٌ عنهم.

٢. نفي أنَّ الله في كل مكان، والرَّد على من زعم ذلك.

٣. وهم إذ يثبتون حدَّاً لله عزَّ وجلَّ، فهم يثبتون حدَّاً لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

---

١. جامع المسائل لابن تيمية، جمع محمد عزير شمس (٣/٢٠٦-٢٠٧).

٢. كشف المشكل (١/٤٢٤).

٣. سموا مشبِّهة لأنهم شبهوا صفات الله بصفات المخلوقين، وعلى رأسهم أصحاب هشام بن الحكم الرافضي، ومنهم أتباع هشام الجواليقي، وكذلك الكرامية. الفرق بين الفرق (٢١٤)، الملل والنحل (١/١٠٣).

٤. تلبيس إبليس (٥١٨).

٥. يُنظر: إثبات الحدِّ لله عزَّ وجلَّ (١٣٢)، ومقدِّمة المحقق (١٠٨-١٠٩).

قال الخلال: أخبرنا أبوبكر المروذي، قال: سمعت أبا عبدالله قيل له: روى علي بن الحسن عن ابن المبارك أنَّه قيل له: كيف نعرف الله؟ قال: على العرش بحدٍّ. قال: بلغني ذلك عنه. وأعجبه[1].

يقول الإمام الدارمي رحمه الله: "وادَّعى المعارضُ أيضاً أنَّه ليس لله حدٌّ ولا غايةٌ ولا نهايةٌ. وهذا هو الأصل الذي بَنى عليه جهمُ جميعَ ضلالاتِه، واشتق منها أغلوطاتِه، وهي كلمةٌ لم يبلغْنا أنَّه سبقَ جهماً إليها أحدٌ من العالمين.

فقال له قائل ممَّن يحاوره: قد علمتُ مرادَك بها أيُّها الأعجمي، وتعني أنَّ الله لا شيء؛ لأنَّ الخلق كلهم علموا أنَّه ليس شيءٌ يقع عليه اسمُ الشيءِ إلا وله حدٌّ وغايةٌ وصفةٌ، وأن لا شيء ليس له حدٌّ ولا غايةٌ ولا صفةٌ. فالشيءُ أبداً موصوفٌ لا محالة، ولا شيءَ يُوصف بلا حدٍّ ولا غاية. وقولك: لا حدَّ له، يعني أنَّه لا شيءَ.

والله تعالى له حدٌّ لا يعلمه أحدٌ غيره، ولا يجوز لأحدٍ أن يتوهم لحدِّه غاية في نفسه، ولكن يُؤمِن بالحدِّ، ويَكِلُ علمَ ذلك إلى الله"[2].

وبهذا يتبين أنَّ لفظ الحدِّ لله، لم يرد في الكتاب والسنَّة، وأنَّ نفيه بإطلاق كما فعل ابن الجوزي رحمه الله، بخلاف ما عليه السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

ظاهر آيات الصفات

وهذه من المسائل التي تطرَّق لها ابن الجوزي رحمه الله، وهي من الأشياء التي انتقدها على من يُثبت صفات الله عزَّ وجلَّ، وأنَّهم أخذوا بظاهر آيات الصفات، يقول رحمه الله في دفع شبه التشبيه: "وقد غلط المصنفين[1] الذين ذكرتهم من سبعة أوجه: ...والثاني: أنَّهم قالوا: إنَّ هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى. ثمَّ قالوا: نحملُها على ظاهرها. فواعجباً ما لا يعلمه إلا الله تعالى، أيُّ ظاهر له؟ وهل ظاهر الاستواء إلا القعود، وظاهر النزول إلا الانتقال؟"[2].

---

١. إثبات الحد لله (١٥١). يُنظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/٦١٢-٦١٣).

٢. نقض الدارمي على المريسي (١/٢٢٣-٢٢٤).

١. هكذا في الأصل، والصَّواب والله أعلم (المصنفون) لأنَّه مرفوع على الفاعلية.

٢. أخبار الصفات (٢٠).

بـل يـرى أنَّ مـن تلبـيس إبلـيس علـى المـُحدِّثين أخـذَهم بظـاهر الحـديث في آيـات الصفات، يقول رحمه الله:"واعلم أنَّ عمومَ المحدثين حملوا ظاهر ما تعلَّق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحسّ، فشبَّهوا"[1].

ويقـول رحمـه الله مقـرِّراً هـذه المسـألة في كتابـه صيد الخاطر:"فصـل: عجبـتُ مـن أقـوام يدَّعون العلـم، ويميلـون إلى التشبيه بحملهـم الأحاديـثَ على ظواهرهـا، فلـو أنَّهـم أمرُّوهـا كمـا جاءت، سَلِموا؛ لأنَّ من أمرَّ ما جاء، ومرَّ من غير اعتراض ولا تعرُّض، فما قال شيئاً، لا له ولا عليه. ولكنَّ أقواماً قَصُرتْ علومُهم؛ فرأت أنَّ حملَ الكلام على غير ظاهرِهِ نوعُ تعطيل، ولـو فَهمـوا سعةَ اللغـة، لم يَظنُّـوا هـذا، ومـا هـم إلا بمثابـة قـول الحجـاج لكاتبـه وقـد مدحَتْـه الخنساءُ فقالت:

إِذَا هَبَطَ الحَجَّاجُ أرضًا مريضَةً******تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الَّذِي بِهَا******غُلَامٌ إِذَا هَزَّ القَنَاةَ شَفَاهَا[2]

فلمـا أتمَّـت القصيدة، قـال لكاتبـه: اقطـعْ لسـانَها! فجـاء ذاك الكاتـب المغفَّـلُ بالموسـى، فقالت له: ويلك! إنَّما قال: أَجزِلْ لها العطاء. ثمَّ ذهبتْ إلى الحجَّاج، فقالت: كاد والله يقطع مِقْوَلِي[3]. فكـذلك الظاهرية الـذين لم يسلِّموا بالتسليم، فإنَّه مـن قـرأ الآيـاتِ والأحاديـثَ ولم يزد، لم أَلُمْه، وهذه طريقة السلف. فَأَمَّا من قال: الحديث يقتضي كذا، ويُحمَلُ على كذا، مثل أن يقول: استوى على العرش بذاته، وينزل إلى السماء الدنيا بذاته، فهـذه زيادةٌ فهِمَهـا قائلُها من الحسِّ لا من النَّقل"[1].

ويذهب في كتابه تلبيس إبليس، أنَّ ظاهر الآيات يَحمِلُ قائلَه للقول بمُقتضى الحسِّ، فيقـول رحمـه الله:"فصـل: وقـد وقـف أقـوام مَعَ الظـواهر فحملوهـا عَلَـى مقتضـى الحـسِّ، فقـال

---

١. تلبيس إبليس (٢/٦٨٥).

٢. ليس هو من قول الخنساء، وقد بحثت عنه في ديوانها فلم أجده، ولكنّه من قول ليلى الإخليلية، يُنظر: ديوان ليلى الإخليلية (٨٨-٨٩). ديوان ليلى الإخليلية، تحقيق وشرح واضح الصمد، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ .

٣. لو قال قائل: إنَّ الكاتب مُحقٌّ في قطعه لسانَها؛ وذلك لقرينة بطش الحجاج وجبروته، ومعرفته منه ما لا تعرفهه هي من الحجاج، فخاف إن لم يقطعْ لسانها، قُطع لسانه، لما جانب الصَّواب.

١. صيد الخطر (٩٨-٩٩).

بعضهم: إن اللَّه جسمٌ، وهذا مذهب هشام بْن الحكم[1] ... ومن الواقفين مَعَ الحسِّ أقوامٌ قالوا: هو عَلَى العرش بذاته عَلَى وجه المماسة، فَإِذَا نزل انتقل وتحرك. وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عَلَيْهِ المساحة والمقدار، واستدلوا عَلَى أنَّه عَلَى العرش بذاته، بقول النبي ﷺ:((ينزل اللَّه إِلَى سماء الدنيا))[2] قالوا: ولا ينزل إلا من هو فوق، وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسي الذي يوصف به الأجسام. وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحسِّ"[3]. فنلاحظ من خلال هذا النَّص، أنَّه يرى أنَّ من أخذ بظاهر آيات الصفات، وأثبتها لله عزَّ وجلَّ، أنَّه من الواقفين مع الحس، وأنَّهم يعتبرون من المشبهة في صفات الله، ولهذا ذكرهم بعد المُشبِّهة أمثال هشام بن الحكم وغيره.

ويقول غفر الله له متهكِّماً بمن يُثبتُ صفةَ الاستواء لله، وأنَّه أخذ بظاهر النَّص:"وجاء آخرون، فلم يقفوا على ما حدَّه الشرع، بل عملوا فيه بآرائهم، فقالو: الله على العرش، ولم يقنعوا بقوله:﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾الأعراف:٥٤... فأثبتوا بها صفاتٍ، جمهورُ الصحيح منها آتٍ على توسّع العرب، فأخذوه هم على الظاهر، فكانوا في ضرب المثل كجُحا، فإنَّ أمَّه قالت له: احفظ الباب. فقَلَعَه ومشى به، فأُخِذَ ما في الدار، فلامتْه أمُّه، فقال: إنَّما قلتِ: احفظ الباب، وما قلت: احفظ الدار"[4]. فترى هنا، كيف شبَّه -غفر الله له- منْ أثبت الاستواء لله عزَّ وجلَّ، على ما هو ظاهر القرآن، بحال جحا مع أمِّه في أخذه بظاهر قولها، مع أنَّ استواءه سبحانه على عرشه من أكثر الصفات التي تكلَّم عنها الأئمة رحمة الله عليهم، ومن أشهرها مقولة الإمام مالك رحمه الله من أنَّ الاستواء معلوم، فهل يصح وصف هؤلاء العلماء بما ذكر؟.

وهنا لنا وقفاتٌ مع الإمام ابن الجوزي رحمه الله:

الأولى: أنَّ ظاهر النَّص من الألفاظ المجملة، فإن كان المراد من ظاهر النَّص إثبات الصفات على الوجه الذي ينزَّه الله فيه من مشابهة خلقه، فظاهر النَّص مراد، وإن كان المراد بظاهر النَّص ما فهمه ابن الجوزي رحمه الله من مشابهة الله لخلقه فليس بمراد.

---

١. هشام بن الحكم الكوفي الرافضي، المُشبِّه، مات سنة ١٩٠هـ. سير أعلام النبلاء (٥٤٣/١٠)، الأعلام (٨٥/٨).

٢. رواه البخاري برقم: (٦٣٢١)، ومسلم برقم: (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣. تلبيس إبليس (٥٠٥-٥٢٠).

٤. صيد الخاطر (١٣١).

ثانياً: أنَّ ابن الجوزي رحمه الله، يُقرِّر أنَّ العبدَ يقرأُ آياتِ الصفاتِ قراءةَ من لا يفهم معناها، وهذا هو التفويض، وهذا يُقرِّرُه في أكثر من موطن، يقول رحمه الله على حديث الحبر الذي جاء النبي ﷺ، وفيه:((جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يضع السماء على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر والأنهار على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثمَّ يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله وقال:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾الزمر:٦٧وفي رواية أخرى:ثم يهزهن. وفيها:أنَّ رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه، تعجبا وتصديقا له))[1]، يقول رحمه الله:"ومذهب علماء السلف السكوت عن مثل هذا الحديث، وأن يُمرَّ على ما جاء من غير تشبيه ولا تأويل"[2].

وليته رحمه الله اكتفى بقضية إمرار الصفات من غير تشبيه، بل يصرِّح رحمه الله أنَّ المراد بإمرارها كما جاءت، هو الجهلُ بتفسيرها، في نصٍّ واضح منه رحمه الله في إثبات التفويض في معاني صفات الله، يقول رحمه الله:"قد ذكرنا أنَّ أكثر السلف كانوا يمتنعون من تفسير مثل هذا ويمرِّونه كما جاء، وينبغي أن تُراعى قاعدةٌ في هذا قبل الإمرار: وهي أنَّه لا يجوز أن يُحدَث لله صفة، ولا تُشبِهُ صفاتُه صفاتِ الخلق، فيكون معنى إمرار الحديث الجهلَ بتفسيره"[3]. وهذا مزلق خطير، يلزم منه عدَّة أمور[4]:

١. القدح في حكمة الله سبحانه، وذلك أنَّه أنزل كتابه المبين، وأمرنا بتدبُّر كتابه سبحانه وتعالى، فكيف لا يمكن للناس فهمَه، بل يمرُّونه ولا يعرفون معانيه، بل يوصي بإمرارها بدون فهم معناها، والجهلِ بتفسيرها.

٢. الوقوع في التعطيل المحض، وهذا ما وقع فيه ابن الجوزي رحمه الله، حيث يخلي صفات الله عزَّ وجلَّ من معانيها، ومن يثبت ألفاظاً لا معانيَ لها كان معطِّلا، كالمعتزلة الذين يُثبتون أسماءَ الله الحسنى كأعلام مجرَّدة، لا تعلُّقَ لها بصفات الله عزَّ وجلَّ[1].

---

١. رواه البخاري برقم: (٧٤٥١)، ومسلم برقم: (٢٧٨٦).

٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/٢٧٠).

٣. كشف المشكل (٣/٥٠٦).

٤. يُنظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٢٠١-٢٠٨)، والرد على الطوائف الملحدة، ضمن الفتاوى المصرية لابن تيمية (٦/٣٢٧)، ومدارج السالكين (٣/٣٦٣)، ومذهب أهل التفويض (٥٠١-٥١٤).

١. يُنظر: الأصول الخمسة (١٣١-١٣٢).

٣. غلق باب التدبر لكتاب الله عزَّ وجلَّ، حيث أمر سبحانه بتدبر كتابه دون استثناء.

٤. تجهيل النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأنَّهم يقرؤون القرآن ولا يفهون معانيه.

بل الوارد عنهم رضي الله عنهم خلاف ذلك، وأنَّهم يثبتون الأسماء الحسنى والصفات العلى لله سبحانه، ومن أصرحها حديث عائشة رضي الله عنها حينما أنزل الله قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾المجادلة: ١ فقالت: (تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة فكلمتْ رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفى علي بعضه)[١]. فهذا النَّص يدلُّ دلالةً واضحةً على إثبات صفة السَّمع لله عزَّ وجلَّ، وأنَّها رضي الله عنها فهِمتْ من الآية إثباتَ صفة السمع لله عزَّ وجلَّ، إثبات أنَّه سمع كلامَها بصفةٍ متجددة لله سبحانه، لا بسمع قديم.

وبهذا يتضح أنَّ ابن الجوزي رحمه الله جانبَه الصوابُ في مسألة ظاهر آيات الصفات، وأنَّه يرى أنَّ من أثبتها على ظاهرها شبَّه الخالق بالمخلوق والعياذ بالله، وأنَّ الصواب أنَّ ظاهر آيات الصفات إن أريد به إثبات صفات الله بغير تشبيه ولا تمثيل، فهذا حقٌّ، وإن كان المراد إثباتُها بما فهمه ابن الجوزي رحمه الله من التَّشبيه، فهذا باطل وهو خلاف ما عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين.

شبهات في باب الصفات

تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله في كتابه دفع شبه التشبيه[١] عن غلط المصنفين في باب الأسماء والصفات[٢]، وجعلها في سبعة أمور، وهي باختصار:

١. أنَّ باب الصفات من باب الإضافات أو الإخبار، لا من باب الصفة.

٢. حمل آيات الصفات على الظاهر.

٣. إثباتهم للصفة بأخبار الآحاد.

٤. عدم التفريق بين الحديث المشهور، وحديث لا يصح.

---

١. سيأتي الكلام عنه صفحة (٢٦٤) بمشيئة الله.

١. طبع باسم أخبار الصفات، تحقيق المستشرق مرلين سوارتز، فالإحالة على هذه النسخة؛ لأنَّها الأفضل.

٢. ويقصد بهم: ابن حامد، والقاضي أبايعلى، وأبا الحسن الزَّاغوني رحمة الله عليهم أجمعين.

٥. لم يفرقوا بين الحديث المرفوع والموقوف.

٦. أنَّهم أوَّلوا بعض الأحاديث، ولم يؤلوا الأخرى.

٧. حملهم للأحاديث على مقتضى الحس.

فهذه الأمور التي ناقشها ابن الجوزي رحمه الله مع هؤلاء الأئمة من الحنابلة، وقد تعرَّض شيخ الإسلام رحمه الله للرَّد عليه في مجموع الفتاوى[1]، وفضيلة الشيخ سليمان العلوان حفظه الله في رسالته (إتحاف أهل الفضل والإنصاف)، وإن كانت رسالته ردَّاً على محقق الكتاب السقاف أكثر منه على ابن الجوزي رحمه الله.

وهنا سأناقش ابن الجوزي رحمه الله في هذه الأمور التي انتقدها على هؤلاء الأئمة رحمة الله على الجميع، سائلاً المولى التوفيقَ والسَّداد.

أولاً: قوله أنَّ باب الصفات من باب الإضافات أو الإخبار، لا من باب الصفة.

يقرِّر هذا في صيد الخاطر، فيقول رحمه الله: "وقالوا في قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ ﴾ البقرة: ٢١٠: هو محمول على ظاهرها في مجيء الذات. فهم يُحِلُّونَه عاماً، ويُحرِّمونه عاماً، ويسمُّون الإضافاتِ إلى الله تعالى صفاتٍ، فإنَّه قد أضاف إليه النفخ والروح"[2].

وهذه المسألة، وهي ما يضاف إلى الله تعالى، تكلَّم عنها العلماء، وبيَّنوا أنَّ ما يضاف إلى الله نوعين:

الأول: إضافة ملك.

الثاني: إضافة وصف.

وأنَّ كلَّ إضافة لها حكمها، فما أُضيفَ إلى عينٍ من الأعيان، قائمٍ بنفسه، متصفٍ بصفات تليقُ به، فإضافته تكون إضافة ملك. ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا ﴾ مريم: ١٧، وقوله: ﴿ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ الحجر: ٢٩، وقوله: ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ﴾ الأعراف: ٧٣، وقوله: ﴿ وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ

---

١. يُنظر: مجموع الفتاوى (١٦٥/٤).

٢. صيد الخاطر (١٣٢).

﴿ ٱلسُّجُودِ ﴾الحج:٢٦، فهذه أعيانٌ قائمةٌ بنفسها، لها أوصافُها التي تتصفُ بها، فإذا أُضيفت إلى الله، أفادت أنَّها ملكٌ لله، واكتسبت معنى التشريف بهذه الإضافة.

وما أضيف إلى وصف من الأوصاف، ليس قائماً بنفسه، ولا محلَّ لها تقوم به، بل لا يكون إلا صفةً، فتكون إضافتُه إضافةَ صفة؛ لأنَّ الصفاتِ لابدَّ لها من موصوف تقوم به، ومن أمثلتها: قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾التوبة:٦.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"والمضاف إلى الله نوعان: فإنَّ المضاف إمَّا أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة، وإمَّا أن يكون عيناً قائمةً بنفسها.

فالأول: إضافة صفة كقوله:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾البقرة:٢٥٥، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾الذاريات:٥٨، وقوله:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾فصلت:١٥.

وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح حديث الاستخارة:((إذا همَّ أحدُكم بالأمرِ فَلْيَرْكَعْ ركعتين مِنْ غيرِ الفَريضةِ، ثمَّ لِيقلْ: اللهمَّ إنِّي أستخيرُك بعلمِك، واستقدِرُكَ بقدرتِك، وأسأَلُك مِنْ فضلِك))[١]،وقوله تعالى:﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾الأنعام:١١٥، وقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾الممتحنة:١٠،وقوله:﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ﴾الطلاق:٥.

والثاني: إضافة عين كقوله تعالى:﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾الحج:٢٦، وقوله:﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾الشمس:١٣، وقوله:﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾الإنسان:٦.

فالمضاف في الأول، صفةٌ لله قائمةٌ به، ليست مخلوقةً له، بائنةٌ عنه، والمضاف في الثاني: مملوكٌ لله، مخلوقٌ له، بائنٌ عنه لكنَّه مفضَّل مشرَّف لما خَصَّه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى، كما خصَّ ناقةَ صالح من بين النُّوق، وكما خصَّ بيته بمكة من البيوت، وكما خصَّ عباده الصالحين من بين الخلق، ومن هذا الباب قوله تعالى:﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾مريم:١٧، فإنَّه وَصفَ هذا الروح بأنَّه تمثَّل لها بشراً سوياً

---

١. رواه البخاري برقم: (٦٣٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

وأنَّها استعاذت بالله منه إن كان تقيًّا، وأنَّه قال:﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾مريم:١٩، وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّها عينٌ قائمةٌ بنفسها... فإذا أُضيفت إليه، عُلِم أنَّها صفةٌ له، لكن قد يُعبِّرُ باسم الصِّفة عن المفعول بها، فيُسمَّى المقدور قدرة، والمخلوق بالكلمة كلاماً، والمعلوم علماً، والمرحوم به رحمة كقول النبي ﷺ:((إنَّ اللهَ خلقَ الرَّحمةَ يومَ خلقَها مائةَ رحمةٍ))[1]. وقوله تعالى فيما يروي عنه نبيُّه أنَّه قال للجنة:((أنتِ رحْمَتي أَرحمُ بِكِ مِنْ أَشاءُ))[2]، ويُقال للمطر والسَّحاب، هذه قدرةُ قادرٍ، وهذه قدرةٌ عظيمةٌ، ويقال في الدُّعاء: غفر الله لك علمه فيك، أي: معلومه ...فلما قال هنا:﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾الأنبياء:٩١ أي: في المرأة، وفيه أي: في فرجها من روحنا، وقال هنا:﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾مريم:١٧، إلى قوله:﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾مريم:١٩، دلَّ على أنَّ قوله:[روحنا] ليس المراد به أنَّه صفةٌ لله، لا الحياة ولا غيرها، ولا هو ربٌّ خالق، فلا هو الربُّ الخالق، ولا صفة الربِّ الخالق، بل هو روحٌ من الأرواح التي اصطفاها الله وأكرمها كما تقدم في قوله:﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾مريم:١٧وأنَّ الأكثرين على أنَّه جبريل.

وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلى الله بين صفاته وبين مملوكاته، أصلٌ عظيمٌ ضلَّ فيه كثيرٌ من أهل الأرض من أهل الملل كلِّهم، فإنَّ كتب الأنبياء التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه، وأشياء على هذا الوجه، فاختلف الناس في هذه الإضافة، فقالت المعطلة نفاةُ الصفاتِ من أهل الملل: إنَّ الجميعَ إضافةُ ملك وليس لله حياةٌ قائمةٌ به، ولا علمٌ قائم به، ولا قدرةٌ قائمةٌ به، ولا كلامٌ قائمٌ به، ولا حبٌّ، ولا بغضٌ، ولا غضبٌ، ولا رضى بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته.

وأمَّا سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين المشهورون بالإمامة فيهم، كالأربعة وغيرهم وأهل العلم بالكتاب والسُّنَّة فيُفَرِّقون بين مملوكاته وبين صفاته، فيعلمون أنَّ العبادَ مخلوقون، وصفاتِ العبادِ مخلوقةٌ، وأجسادَهم وأرواحَهم وكلامَهم وأصواتِهم بالكتب الإلهية وغيرها ومدادَهم وأوراقَهم والملائكةَ والأنبياءَ وغيرَها، ويعلمون أنَّ

١. رواه البخاري برقم: (٦٤٦٩)، ومسلم برقم: (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢. رواه البخاري برقم: (٤٨٥٠)، ومسلم برقم: (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صفاتِ الله القائمةَ به ليست مخلوقةً، كعلمه وقدرته وكلامه وإرادته وحياته وسمعه وبصره ورضاه وغضبه وحبه وبغضه، بل هو موصوفٌ بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل"[1].

ويقول أيضاً في درء التعارض:"وفي هذا الباب، باب المضافات إلى الله تعالى، ضلَّت طائفتان: طائفة جعلت جميع المضافات إلى الله إضافة خلق وملك، كإضافة البيت والناقة إليه، وهذا قول نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، حتى ابن عقيل وابن الجوزي وأمثالهما، إذا مالوا إلى قول المعتزلة سلكوا هذا المسلك، وقالوا: هذه آيات الإضافات لا آيات الصفات، كما ذكر ذلك ابن عقيل في كتابه المسمى بـ نفي التشبيه وإثبات التنزيه، وذكره أبو الفرج بن الجوزي في منهاج الوصول وغيره"[2]. وكما تقدَّم معنا في نقله من كتابه دفع شبه التشبيه، وصيد الخاطر.

ثانياً: مما أنكره ابن الجوزي رحمه الله على الأئمة الثلاثة، أنَّهم يحملون آيات وأحاديث الصفات على الظاهر، وقد تقدم الكلام عنها في الألفاظ المجملة[3].

ثالثاً: إثباتهم للصفات بأخبار الآحاد، وقد تقدّم الحديث عن هذه المسألة، وموقف ابن الجوزي رحمه الله منها، عند الحديث عن منهج ابن الجوزي رحمه الله[4].

رابعاً وخامساً: عدم التفريق بين الحديث المشهور، وحديث لا يصح، وأنَّهم لم يفرِّقوا بين الحديث المرفوع والموقوف.

وهذان الأمران متقاربان، بحيث إنَّه لا تثبت الصفات إلا بما صحَّ عن رسول الله ﷺ، ولهذا جعلتُهما تحت فقرة واحدة.

ذكر ابن الجوزي رحمه الله مثالاً على ذلك[1]، وهو ما رواه محمد بن شجاع البلخي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّه قيل: يا رسول الله ممَّ ربُّنا؟ فجاء في متنه:((من ماء من در، خلق خيلاً فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق))[1].

---

١. الجواب الصحيح (٢/١٥٥-١٦٤). ويُنظر: مجموع الفتاوى (١٧/٢٧٣-٢٨٥).

٢. درء التعارض (٧/٢٦٣).

٣. يُنظر صفحة (١٨٨).

٤. يُنظر: صفحة (٨١).

١. يُنظر: أخبار الصفات (٤-٥).

وما ذكره صحيح، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في درء التعارض، هذا الحديث الذي ذكره ابن الجوزي رحمه الله وأجاب عنه، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله:"فالأول: مثل حديثِ عَرَقِ الخَيل، الذي كذَبَه بعضُ الناس على أصحاب حمَّاد بن سلمة، وقالوا: إنَّه كذَبَه بعضُ أهل البدع، اتهموا بوضعه محمد بن شجاع الثَّلْجي، وقالوا: إنَّه وَضَعَه ورمى به بعضَ أهل الحديث، ليُقال عنهم إنَّهم يروون مثل هذا، وهو الذي يُقَال في متنه:((إنَّه خَلَق خيلاً فأجراها، فعَرِقَت، فخَلَقَ نفسَه من ذلك العَرق)) تعالى الله عن فرية المفترين وإلحاد الملحدين ... وأمثال ذلك: هي أحاديث مكذوبةٌ موضوعةٌ باتفاق أهل العلم، فلا يجوز لأحدٍ أن يُدخل هذا وأمثاله في الأدلة الشرعية"[٢].

ومحمد بن شجاع الثلجي، يقول عنه ابن عدي رحمه الله:"وكان يضع أحاديث في التشبيه، ينسبه إلى أصحاب الحديث ليثلبهم به"[٣].

وإذا كان العلماء اختلفوا في الأحاديث الضعيفة في باب فضائل الأعمال، فما بالك في أعظم باب من أصول الدين، وهو ما يتعلَّق بصفات الله عزَّ وجلَّ، فهل يجوز الاستدلال بمثل ما ذكره رحمه الله؟.

يقول الإمام محمد ابن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد:"لستُ أحتجُّ بشيءٍ من صفات خالقي عزَّ وجلَّ، إلا بما هو مسطور في الكتاب، أو منقول عن النبي ﷺ بالأسانيد الصحيحة الثابتة"[١]. فكون البعض أخطأ وأثبت لله صفة من خلال أحاديث ضعيفة، فهذا لا يكون مذهباً لأهل السنة.

سادساً: ما ذكره أنَّهم أوَّلوا بعض الأحاديث، ولم يُؤّولوا الأخرى، فهذا سيأتي الحديث عنه في مسألة صفة المجيء والإتيان[٢] بحول الله وقوته.

سابعاً: حملهم للأحاديث على مقتضى الحس، أو غلبة الحسِّ.

---

١. ذكره السيوطي في اللآليء المصنوعة (١١/١) وعزاه للحاكم ولم أجده في المستدرك.

٢. درء التعارض (١٤٨/١-١٤٩).

٣. الكامل في ضعفاء الرجال (٥٥١/٧). يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء(٧٢/١٠)، وتهذيب التهذيب (٢٢٠/٩).

١. كتاب التوحيد (٥١).

٢. ينظر صفحة (٢٣٩).

من القضايا التي تكلم عنها ابن الجوزي رحمه الله ، مسألة غلبة الحسِّ، وأنَّ الذين أثبتوا الصفات لله عز وجل، إنَّما وقع منهم ذلك بسبب غلبة الحسِّ عليهم، بل يرى أنَّ ضلال الطوائف في باب الأسماء والصفات، سببُه غلبة الحسِّ عليهم.

يقول رحمه الله:"تأمَّلتُ سبب تخليط العقائد، فإذا هو الميل إلى الحسِّ، وقياس الغائبات على الحاضر...ثم جاء قوم فأثبتوا وجود الصانع، ثمَّ قاسوه على أحوالهم، فشبهوا، حتى إنَّ قائلهم يقول في قوله ﷺ:((ينزل إلى السماء))[1] ينتقل، ويستدل بأنَّ العرب لا تعرف إلا الانتقال، وضلَّ خلقٌ كثير في صفاته، كما ضلَّ خلق كثير في ذاته"[2]. وإذا كان السبب في ضلال الطوائف هو غلبةُ الحسِّ عليهم، فلماذا جاءت نصوص الشرع بهذا؟ يجيبنا ابن الجوزي رحمه الله عن ذلك، مبيناً أنَّ السبب في ذلك أمران:

الأول: تقريب الإفهام للناس، يقول رحمه الله تعالى في قوله ﷺ:((يأخذ الله سماواته وأراضيه بيده، ويقول: أنا الله، ويقبض إصبعه ويبسط ... الحديث))[3]:"وإنما قرَّب الرسول عليه السلام إلى الإفهام، ما يدركه الحس"[4]. ويقول أيضاً:"غير أنَّ ما يشكل يُرَدُّ إلى الحسِّ ليُفهم"[5].

الثاني: المبالغة في الإثبات؛ ليتقرَّر وجودُ الخالق في نفوس العوام، يقول رحمه الله:"فإنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالغوا في الإثبات، ليتقرَّر في أنفس العوام وجود الخالق، فإنَّ النفوس تأنس بالإثبات...وبيان هذا: أنَّ الله تعالى أخبر باستوائه على العرش، فأنستِ النفوس إلى إثبات الإله ووجوده، قال تعالى:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾الرحمن:٢٧، وقال تعالى: ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾المائدة:٦٤، وقال تعالى:﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾الفتح:٦...فإذا امتلأ العامي والصبي من الإثبات، وكاد يأنس من الأوصاف بما يفهم الحس، قيل له: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾الشورى:١١، فمحا من قلبه ما نقشه الخيال، وتبقى ألفاظ

---

١. رواه البخاري برقم: (٧٤٩٤)، ومسلم برقم: (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢. صيد الخاطر (٣٣٦).

٣. رواه مسلم برقم: (٢٧٨٨) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

٤. كشف المشكل (٥٠٦/٢).

٥. كشف المشكل (١٣٧/٣).

الإثبات مُمكّنة. ولهذا أقرَّ الشرع مثل هذا، فسمع منشداً يقول:وفوق العرش رب العالمينا، فضحك[1]. وقال له آخر: أويضحك ربُّنا؟ فقال:((نعم))[2]. وقال:((إنَّه على عرشه هكذا))[3] كلّ هذا، ليقرر الإثبات في النُّفوس، وأكثرُ الخلق لا يعرفون الإثبات إلا على ما يعلمون من الشاهد، فيقتنع منهم بذلك، إلى أن يفهموا التنزيه"[4]. ويقول في صيد الخاطر:"فإنَّ القرآنَ والحديثَ، يُثبتان الإله عزَّ وجلَّ بأوصافٍ تُقَرِّرُ وجودَه في النفوس...وكلُّ هذه الأشياء -وإن كان ظاهرها يوجب تخايل التشبيه- فالمراد منها إثباتُ موجودٍ"[5] فهو يرى أنَّ آياتِ وأحاديثَ الصفات، ما جاءت إلا لتُقرِّر إثباتَ الله سبحانه في نفوس العباد، لا لأنَّ الله متصفٌ بهذه الصفات.

فمِنْ خلال ما تقدَّم، يتبيَّنُ لنا رأي ابن الجوزي رحمه الله في آياتِ الصفاتِ وأحاديثِها، وأنَّها ما ذكرت إلا لإثبات صفات الباري، وليفهم الجُمهورُ من الناس وجودَ الله فقط، وذلك بذكر شيءٍ من الصفات، ولهذا يرى ابن الجوزي رحمه الله أنَّ تقرير النبي ﷺ، لما فهمه الصحابة من أحاديث الصفات، إنَّما هو تقرير بخلاف الواقع، وإنما أقرَّهم ﷺ لكي يتفهَّموا وجود الله عزَّ وجلَّ.

وستكون مناقشة ابن الجوزي رحمه الله في أمرين:

الأول: ما المراد بقوله غلبة الحسِّ؟ إن كان مرادُه نفيَ صفات الله عزَّ وجلَّ، وهذا الذي يظهر من كلامه، فهذا غير صحيح، فمنهج أهل السنة إثبات ما أثبته سبحانه لنفسه، من غير تمثيل ولا تشبيه، وإن كان يقصد إثبات صفات الله عزَّ وجلَّ، من غير تمثيل، فهذا حقٌّ، وهو ما عليه أئمة السلف رحمة الله عليهم.

---

١. رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب (٣/٩٠٠-٩٠١) وقال:"رويناها من وجوه صحاح"الاستيعاب (٩٠٠/٣). وقال الذهبي رحمه الله في العرش:"رُوِيَ من وجوه صحاح مرسلة عن عبد الله بن رواحة". العرش للذهبي (٢/ ١٣٧).

٢. ذكره ابن الجوزي مختصراً، وقدرواه الإمام أحمد برقم: (١٦١٨٧)، وابن ماجة برقم: (١٨٠) من حديث أبي رزين رضي الله عنه، ولفظه ((ضَحِكَ رَبُّنَا من قُنُوطِ عباده، وَقُرْبِ غِيَرِهِ)). قَال: قُلْتُ: يا رسولَ اللَّه: أو يَضْحَكُ الرَّبُّ؟ قَالَ:((نَعَمْ)). قُلْتُ: لن نَعْدَمَ من رَبٍّ يَضْحَكُ خَيرًا)). وهو حديث صحيح. يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٣٢/٦)، برقم: (٢٨١٠).

٣. رواه أبوداود برقم: (٤٧٢٦). وقد حسَّن إسناده الذهبي رحمه الله في العرش (٢٨/٢).

٤. صيد الخاطر(١١٦-١١٧).

٥. صيد الخاطر (١٣٠-١٣١).

الثاني: ما ذهب إليه رحمه الله من أنَّ هذا تقرير الأنبياء، وأنَّهم جاءوا لهذا، وأنَّ النبي ﷺ أقرَّ الصحابة، لا لإثبات صفات الله، وإنَّما لإثبات وجود الله، فهذا باطل من وجوه:

الوجه الأول: إنَّ ما ذهب إليه يخالف نصَّ القرآن الكريم، حيث يذكر كما تقدم معنا أنَّ الشرع أتى لإثبات وجود الله بذكر الصفات، ثمَّ يمحي عنهم ذلك بقوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾الشورى:١١، فهذا خلاف ما جاء في آية الشورى، حيث نفت عن الله سبحانه وتعالى المثل، ثمَّ أثبتت الصفات لله عزَّ وجلَّ، قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾الشورى:١١، فنلاحظ أنَّ الآية نفت عن الله عزَّ وجلَّ المثلَ، ثمَّ أثبتت صفة السَّمع والبصر لله عزَّ وجلَّ، وهذا كلفظ الشهادة (لا إله إلا الله) حيث نفتِ الآلهة، ثمَّ أثبتت ألوهية الله عزَّ وجلَّ، فنرى كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله، خالف نهج الآية في ذكره الإثبات ثمَّ النَّفي، ولهذا وقع في أنَّه شبه أولاً، ثمَّ نفى الصفات عن الله، ولو سار على نهج آية الشورى لسلم منهجه من تعطيل الصفات.

الوجه الثاني: ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله من أمثلة، من إقرار النبي ﷺ للصحابة، فهذا يدلُّ على أنَّ هذا هو المعنى الصحيح لما أخبر به ﷺ، وهو ما فهمه الصحابة منه ﷺ.

الوجه الثالث: أنَّ فيه تنقُّصاً من قدر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وذلك بأنَّ النبي ﷺ أقرَّ الصحابة على أقوالهم حتى يفهموا وجود الله، وأنَّ الواقعَ بخلاف ذلك، وأنَّه ﷺ جاراهم على ذلك المعنى الباطل والعياذ بالله.

الوجه الرابع: فيه قدحٌ في دعوته ﷺ، وأنَّه لم يخبر النَّاس بحقيقة صفات الله، وإنما ذكرها لهم فقط، من باب تقرير وجود الله. وهو المأمور أن يدلَّ الناس على رب العالمين، حتى يدعوه ويوحدوه ويعبدوه سبحانه.

الوجه الخامس: قوله رحمه الله أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالغوا في الإثبات، حتى يتقرَّرَ وجودُ الله في أنفس الناس، يفهم منه أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لا يقِرُّون وجودَ الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ النبي ﷺ جاءهم حتى يقروا بوجوده سبحانه وتعالى، وهذا بخلاف ما أُرسلت به الأنبياء من الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى. بالإضافة إلى أنَّ الأمثلة التي ذكرها ابن الجوزي رحمه الله، ذُكرت للصحابة وهم مؤمنون بالله تعالى، فكيف

يأتيهم النبي ﷺ بقضية إقرارهم بالله؟. بل إنَّ مشركي مكة مقرون بوجوده سبحانه كما قرر ذلك ابن الجوزي رحمه الله كما تقدَّم في مبحث الألوهية.

الوجه السادس: أنَّ هذا أتى بسبب تأثره بعلم الكلام، وأنَّ الأنبياء أتوا لتقرير وجود الله سبحانه، وهذا بخلاف دعوة الرسل الذين دعوا النَّاس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونَبْذ ما عداه من الأصنام والأوثان.

الوجه السابع: ذكر رحمه الله أنَّ الصحابة هم أولى النَّاس في فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ، يقول رحمه الله:"ومعلومٌ أنَّ الصحابة أعلمُ بمعاني كلام رسول الله ﷺ ومراده"[١]، فكيف يغيب عنهم فهم آيات الصفات، ويفهمها غيرهم من نفاة الصفات؟.

الوجه الثامن: أنَّ ما ذهب إليه من أنَّ إثباتَ صفاتِ الله بسبب غلبةِ الحسِّ، وأنَّ ذلك إنَّما "ليتقرَّر في أنفس العوام وجود الخالق" كما يقول رحمه الله، فهذا بخلاف ما عليه السلف رحمهم الله، حيث جعلوا إثبات الصّفات على ما عليه العامة، ولهذا يقول يزيد بن هارون[٢] رحمه الله، وقد قيل له: من الجهمية؟ قال: من زعم أنَّ الرحمن على العرش استوى، على خلاف ما في قلوب العامة، فهو جهمي"[٣]. ويقول عبد الله بن مسلمة القعنبي[١] رحمه الله:"من لا يوقن أنَّ الرحمن على العرش استوى، كما يقرُّ في قلوب العامة، فهو جهمي"[٢].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله معقِّباً على ذلك:"الذي تقرَّر في قلوب العامة، هو ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجهها إلى ربِّها تعالى عند النوازل والشدائد، والدعاء والرغبات إليه تعالى نحو العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة من غير موقف وقفهم عليهم، ولكن فطرة الله التي فطر الناس عليها"[٣].

---

١. كشف المشكل (٢/٤٩٦).

٢. يزيد بن هارون بن زاذي السلمي مولاهم. الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو خالد السلمي مولاهم، الواسطي، الحافظ. توفي سنة ٢٠٦هـ. السير (٩/٣٥٨)، الأعلام (٨/١٩٠).

٣. رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٣٦)، وعبدالله بن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/١٢٣).

١. أبو عبدالرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي المدني. الإمام، الثبت، القدوة، شيخ الإسلام.يقولون كان من الأبدال. توفي سنة ٢٢١هـ. السير (١٠/٢٥٧)، والأعلام (٤/١٣٧).

٢. ذكره الذهبي رحمه الله في كتابه العرش، وقال:"أخرجها عبد العزيز القحيطي في تصانيفه" العرش (٢/٣٠٩).

٣. اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٢١٤).

فنلاحظ كيف أنَّ أئمة السلف ردُّوا معنى الاستواء إلى ما عليه فهم عامة المسلمين، وهو الفهم الذي عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا بخلاف ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله، حيث يقول:"وتارةً يُلَبِّس إبليسُ على العوام عند سماع صفات اللَّه عزَّ وجلَّ، فيحملونها على مقتضى الحسِّ، فيعتقدون التشبيه"[1].

الوجه التاسع: أنَّ ما ذهب إليه، هو ما قالت به الفلاسفة، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وأمثلهم من يقول:هذه تخيلات وأمثلة مضروبة لتقريب الحقائق إلى قلوب العامة، وهذه طريقة الفارابي وابن سينا[2]"[3].

الوجه العاشر: أنَّ حكم الحسِّ والوهم والخيال، هو الغالب على الآدميين في الأمور الإلهية وغيرها، فلو كان ذلك باطلاً، لكانت الشريعةُ نَفَتْ ذلك، ولا تأتي بتقريره لإثبات وجود الخالق كما يذكر ابن الجوزي رحمه الله،"ولكان أدنى الأحوال أن يقول الشارعُ من جنس ما يقوله بعضُ النفاة:ما تخيَّلتَه فالله بخلافه"[4].

الوجه الحادي عشر: يقول ابن الجوزي رحمه الله:"الإشارةُ بالآيات إلى الحسيَّات، كناقة صالح، وعصا موسى، وإحياء الموتى، فهذه معجزاتٌ تُرى بعين الحسّ، ومعجزةُ نبينا الكبرى هي القرآنُ الفصيح، فهي تُشاهَدُ بعين العقل. وقد كان في جمهورِ الأممِ المتقدِّمةِ بلادةٌ، حتى قال قائلُهم:﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ ﴾الأعراف:١٣٨، والبليدُ لا يصلح إلا بآيات الحسّ. والذين بُعِثَ إليهم نبيُّنا كانوا أربابَ ذكاءٍ وفطنةٍ، فكفاهم القرآن معجزة"[1] وهنا يقال: كيف يستخدم النبي ﷺ أسلوبَ غلبةِ الحسّ، مع أرباب الفطنة والذَّكاء؟

---

١. تلبيس إبليس (٣٤٣).

٢. الحسين بن عبد الله بن سيناء، أبو علي. الملقّب بالرئيس، الحكيم. قال عنه ابن حجر: "ما أعلمه روى شيئاً من العلم، ولو روى لما حلّت الرواية عنه؛ لأنّه فلسفيّ النحلة، ضالّ. لا رضي الله عنه. كان يقول بقدم العالم، ونفي المعاد الجسماني. ونُقل عنه أنّه قال: إنّ الله لا يعلم الجزئيات بعلم جزئي، بل بعلم كليّ. من مصنفاته: الشفا، والنجاة، والإشارات والتنبيهات. مات سنة ٤٢٨هـ. لسان الميزان لابن حجر (٢٩١/٢). والأعلام للزركلي (٢٤١/٢).

٣. مجموع الفتاوى (٢٢/١٢).

٤. بيان تلبيس الجهمية (٤٣٦/١).

١. كشف المشكل (٤١٢/٣).

هل عجز ﷺ أن يبينَ لهم؟ أم لم يستطيعوا أربابُ الفطنة والذكاء فهمَ ما قاله ﷺ؟ هذا تناقض واضحٌ من ابن الجوزي رحمه الله وغفر له.

الوجه الثاني عشر:إنَّ إثباتَ الصفاتِ لله عزَّ وجلَّ من غير تمثيل-هو المشتهر عن الصحابة رضوان الله عليهم- ومن أدلِّها على ذلك، قول عائشة رضي الله عنها في قصة المجادلة:(سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وأنا في جنب البيت، وإنَّه ليخفى عليَّ بعضُ كلامها، فأنزل الله:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾المجادلة:١).

الفرع الثاني: آراؤه في صفات الله الذَّاتية والفعليَّة، وفيه قضيتان:

القضية الأولى: الصفات الذَّاتية:

أولاً: العلو

بالنَّظر في كلامه عن علو الله، نجدُه رحمه الله يثبت الفوقيَّة، وعلوَّ الله على خلقه.

يقول رحمه الله في معنى الاستواء في القرآن:"والسادس:العلو. ومنه قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾طه:٥"[1].

ويقول في كلامه عن معاني حرف الجرِّ (على) في القرآن الكريم، أنَّها على خمسة أوجه:"أحدها: بمعنى فوق. ومنه قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾طه:٥"[2].

فهو يقرِّر في هذه الآية أنَّها بمعنى العلو، وأنَّ معنى الآية إثباتُ علوِّ الله على خلقه، ويقول في تفسير لقوله تعالى:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾غافر:٣٦-٣٧:"{وإني لأظنه} يعني: موسى {كاذبا} في ادعائه إلهاً غيري. وقال ابن جرير: المعنى: أظنُّ موسى كاذباً في ادعائه أنَّ في السماء ربَّاً أرسله"[1]. فهو ينقل قول ابن جرير رحمه الله الذي

---

١. نزهة الأعين النواظر (١٥٧).

٢. نزهة الأعين النواظر (٤٤٢).

١. زاد المسير (٦/٢٢٣).

ذكر أنَّ مفهوم الآية، أنَّ موسى عليه السلام أَخبرَ فرعونَ بأنَّ الربَّ الذي أرسله فوقَ السماء.

وعبارته المشهورة في ردِّه على من ينكر علوّه سبحانه على خلقه، يقول رحمه الله:"أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم"[1].

ومع ذلك، فله نصٌّ، قد يُفهم منه نفيُ العلوِّ، وأنَّ المرادَ بالعلوِّ علوُّ الشرفِ والمجدِ له سبحانه وتعالى. يقول رحمه الله:"العليّ: العالي القاهر. وقال الخطابي: وقد يكون من العلو، الذي هو مصدر:علا يعلو، فهو عالٍ، كقوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾طه:٥ ويكون ذلك من علاء المجد والشرف"[2].

فنلاحظ بعد نقله لكلام الخطابي رحمه الله بأنَّ المرادَ منها العلو، يرجع فيقول:إنَّ ذلك من علاء المجد والشرف. وهذا تأويل ظاهر للعلو.

ولكن الذي يتضح لي -وَالعلم عند الله- أنَّ ابن الجوزي رحمه الله، يُثبتُ علوَّ الله المطلق على خلقه، ولهذا يقول فيمن يهبط وادياً أن يسبِّح الله:"ولما كان النزول انهباطاً، ناسبه التنزيه، لمن لايوصف بما ينافي العلو"[3].

ولهذا لم أجدْ له نصَّاً يَذكُرُ فيه أنَّه سبحانه موجودٌ في كل مكان أو غير ذلك مما يذكره من ينفي علو الله سبحانه وتعالى على خلقه، وعليه فهو يُثبِتُ علوَّ الله المطلقَ على خلقه.

ولعلّ ما ذكره رحمه الله في التفسير، هو من ذكر معنى من معاني العلو، وأنَّه لم يتعرَّض لعلوه على خلقه في تفسيره لهذه الآية والله أعلم.

وصفة العلو ثابتة لله عزَّ وجلَّ، وقد تنوَّعت الأدلة على ذلك، فهي على خمسة أنواع: الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

ثمَّ أدلة الكتاب أنواع كذلك، فمنها التصريح بالفوقية، كقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾الأنعام: ١٨، ومنها الإخبار بصعود الأشياء إليه سبحانه، قال تعالى:﴿ إِلَيۡهِ

---

١. ذيل طبقات الحنابلة (٤٦٩/٢).

٢. زاد المسير (٣٠٤/١).

٣. كشف المشكل (٥٤/٣-٥٥).

﴿ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾فاطر: ١٠، ونزولها منه، قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ ﴾الأنعام: ٣٧ وغير ذلك.

ومن السنة كذلك، فمنها التصريح بأنَّ الله في السماء، وذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم[١] رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ سأل الجارية فقال لها:((أين الله؟)). قالت: في السماء. قال:((اعتقها فإنَّها مسلمةٌ))[٢]. ومن ذلك كذلك حديث المعراج، ففيه دلالة واضحة على علوّه سبحانه وتعالى.

وأمَّا الإجماع، فقد حكى الإجماع غير واحد من أهل العلم. يقول الإمام قتيبة بن سعيد رحمه الله:"هذا قول أئمة في الإسلام والسنة والجماعة، نعرفُ ربنَا في السماء السابعة على عرشه، كما قال جل جلاله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾طه: ٥ وكذا نقل موسى بن هارون عن قتيبة أنه قال نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه"[٣].يعقب الحافظ الذهبي رحمه الله، فيقول:"فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد نقل الإجماع على المسألة وقد لقيَ مالكاً والليث[٤] وحماد بن زيد[١] والكبار وعُمِّرَ دهراً، وازدحم الحفاظ على بابه"[٢].

وأمَّا العقل، فكل كمال للمخلوق لا نقص فيه، فالخالق أولى به، ومن ذلك العلو.

وأمَّا الفطرة، فتتضح من قصة أبي المعالي مع الهمداني، حيث يرويها الذهبي رحمه الله فيقول:"قال أبو منصور بن الوليد الحافظ في رسالةٍ له إلى الزنجاني...أنبأنا أبو جعفر بن أبي علي الحافظ قال: سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾طه:٥، فقال: كان الله ولا عرش. وجعل يتخبط في الكلام. فقلتُ: قد علمنا ما

---

١. معاوية بن الحكم السلمي، يسكن في بني سليم، وينزل المدينة. الاستيعاب (١٤١٤/٣)، والإصابة (١١٨/٦).

٢. رواه مسلم برقم: (٥٣٧).

٣. يُنظر: العلو للذهبي (١٧٤).

٤. أبوخالد الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، مولى خالد بن ثابت. الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية. أصله من فارس. يقول الشافعي رحمه الله:" الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به". توفي سنة ١٧٥هـ. سير أعلام النبلاء (١٣٦/٨)، والأعلام (٢٤٨/٥).

١. أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي مولى آل جرير بن حازم البصري. العلامة، الحافظ، الثبت، محدث الوقت. توفي سنة ١٧٩هـ. سير أعلام النبلاء (٤٥٦/٧)، والبداية والنهاية (٥٩٩/١٣).

٢. العلو للذهبي (١٧٤).

أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: ما تريد بهذا القول، وما تعني بهذه الإشارة؟ فقلت: ما قال عارف قط يا رباه، إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة، يَقصِدُ الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة، فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت؟ وبكيت وبكى الخلق. فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح: ياللحيرة. وخَرَقَ ما كان عليه وانخلع، وصارت قيامة في المسجد، ونزل ولم يجْبني إلا: يا حبيبي الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة. فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيَّرَني الهمداني"[1].

ثانياً: صفة الوجه.

لم يتعرَّض ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره زاد المسير للآيات التي ذُكر فيها صفة الوجه لله عزَّ وجلَّ، لا لإثبات هذه الصفة أو نفيها.

يقول في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾القصص:٨٨:"فيه قولان: أحدهما:إلا ما أريد به وجهه.رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الثوري. والثاني: إلا هو. قاله الضحاك[2]، وأبو عبيدة"[3]. فنلاحظ هنا، أنَّه ذكر معنيين لصفة الوجه الواردة في هذه الآية، الأول: ما كان خالصا لله عزَّ وجلَّ، والثاني: أنَّ المرادَ به ذات الله سبحانه وتعالى، ولم يذكرْ غيرها من الأقوال.

وهو من هذين القولين يرجِّح القول الثاني، أنَّ المراد بها الذات. ففي كتابه نزهة الأعين النواظر في باب الوجه ومعانيها في القران الكريم، يقول رحمه الله:"والثالث: الذات. ومنه... وفي القصص﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾القصص:٨٨"[1]. ويقول في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾الرحمن:٢٧:"أي: ويبقى ربك ذو الجلال والإكرام"[2].

---

١. مصدر سابق (٢٥٩).

٢. الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التفسير). لم يلقَ ابن عباس رضي الله عنهما. توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل ١٠٥هـ. سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤)، والبداية والنهاية (٧٣٢/١٢).

٣. زاد المسير (٢٥١/٦-٢٥٢).

١. نزهة الأعين النواظر (٦١٨).

٢. زاد المسير (١١٤/٨).

هذا من جهة، من جهة ثانية نجدُ له نصوصاً تثبتُ هذه الصفة، ونصوصاً تنفيها، ففي كتابِه دفع شبه التشبيه يُنكر صفةَ الوجه لله عزَّ وجلَّ[1]. وفي بعض كتبه الوعظيَّة نجده يثبت هذه الصفة، وذلك كقوله رحمه الله:"ولا أُطرب الحادون بِمثل التشويق إلى النَّظر إلى جمال وجه الله"[2]، ويقول أيضاً:"سؤال: ما الحِكْمَة في أنَّه قال:﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾الإسراء:١، ولم يقلْ لنسمعه؟ الجواب له وجهين[3]: ...الوجه الثَّاني: أنَّ المِعرَاج كان فيه رُؤيَةُ وجهِ الله تعالى، وهي أخصُّ فوائده"[4].

ويقول في بستان الواعظين:"والأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تبارك وتعالى، يجازي الله تعالى عزَّ وجلَّ أصحابَها بالثواب الباقي، وهو نعيم الجنَّة، والنَّظر إلى وجه الله الكريم، فوجه الله باق، ونعيم الجنَّة باق"[5].

فهذه النُّصوص منه رحمه الله تعالى، تَدُلُّ على إثبات صفةِ الوجه لله عزَّ وجلَّ، ولعلَّه يذكر الصِّفة، مثبتاً لها، ولكنَّه يفوّض معناها، كما هو منهجه رحمه الله. وإلا منهجه معروف رحمه الله من نفي الصِّفات الذاتيَّة بحجة التجسيم، والتركيب، وغير ذلك.

وصفة الوجه لله سبحانه وتعالى، ثابتةٌ بالكتاب والسنة، وهو ما عليه أئمة السلف رحمهم الله.

يقول تعالى:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾الرحمن:٢٧، وجه الدلالة من هذه الآية، أنَّ (ذو) صفة للوجه، وليس للربّ سبحانه[1].

وفي الحديث عنه ﷺ:((وأسألُك لذَّةَ النَّظر إلى وجهك الكريم))[2]. يقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله:"ألا يعقِلُ ذوو الحجا –يا طلاب العلم– أنَّ النَّبي ﷺ لا يسأل ربَّه ما لا يجوز

---

١. يُنظر:دفع شبه التشبيه (٢٥).

٢. التذكرة في الوعظ (٨٤).

٣. هكذا في الأصل، ولعلَّ الصواب أنَّها بالألف رفعاً على الابتداء والله أعلم.

٤. التذكرة في الوعظ (١٩٠).

٥. بستان الواعظين ورياض السامعين (١١٣).

١. يُنظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٥١/١).

٢. رواه أحمد برقم: (١٨٣٢٥)، والنسائي برقم: (١٣٠٥) من حديث عمار رضي الله عنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٥١٦/١).

كونَه؟ ففي مسألة النبي ﷺ ربَّه لذَّةَ النَّظر إلى وجهه، أبينُ البيان، وأوضحُ الوضوح، أنَّ لله عزَّ وجلَّ وجهاً يُتَلذَّذ بالنظر إليه من الله جلَّ وعلا"[1].

ويقول الإمام الدارمي رحمه الله:"وأما تكريرك وتهويلك علينا بالأعضاء والجوارح، وهذا ما يقوله مسلم، غير أنَّا نقول كما قال الله تعالى:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾الرحمن:٢٦-٢٧ أنَّه عنى به الوجه الذي هو الوجه عند المؤمنين"[2].

صفة اليد

من الصفات التي يثبتها أهلُ السنة لله سبحانه وتعالى، صفةَ اليد، على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، وذلك لورودها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وقد تكلَّمَ ابن الجوزي رحمه الله عن هذه الصفة، وموقفُه فيها كغيرِها من الصِّفات، حيث يؤولها عن ظاهرها المراد، معلِّلاً ذلك بما تقدَّم من أنَّها جارحةٌ، والله منزَّهٌ عن الجوارح.

يقول رحمه الله:"قد ثبت بالدليل القاطع، أنَّ يدَ الحقِّ عزَّ وجلَّ ليست جارحةً، وأنَّ قبضَهُ للأشياء ليستْ مباشرةً، ولا ليَّ كفٍّ، وإنما قرَّب الرسولُ عليه السلام إلى الأفهام ما يُدركُه الحسّ، فقبض رسولُ الله ﷺ أصابعَه وبسطَها. فوقوع الشَّبه بين القبضتين من حيث ملكة المقبوض، لامن حيث التشبيه بآلات القبض، كما وقع تشبيه رؤية الحقِّ برؤية القمر في اتضاح الرؤية، لا في تشبيه المرئي"[1].

ويقول في قوله تعالى:﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾المائدة:٦٤:"قال الزجاج: وقد ذهب قومٌ إلى معنى يد الله نعمته، وهذا خطأٌ ينقضُه{بل يداه مبسوطتان} فيكون المعنى على قولهم، نعمتاه، ونعمُ الله أكثر من أن تُحصى. والمرادُ بقوله{ بل يداه مبسوطتان}: أنَّه جوادٌ يُنفقُ كيف يشاء. وإلى نحو هذا ذهب ابنُ الأنباري، قال ابن عباس: إن شاء وسَّع في الرزق، وإن شاء قتر"[2]. فنلاحظ كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره للآية، ردَّ قول من يقول إنَّ المراد باليد النعمة، منكراً ذلك؛ لأنَّه يلزم من القول بتفسير اليد بالنَّعمة، أن يكون المعنى:

---

١. كتاب التوحيد (٢٩/١).

٢. نقض الدارمي على المريسي (٧٠٨/٢-٧٠٩).

١. كشف المشكل (٥٠٦/٢).

٢. زاد المسير(٣٩٣/٢).

نعمتاه، ونعمُ الله أكثر من أن تحصى، ولكنَّه عاد وفسَّر اليد بالجود والإنفاق كيف يشاء سبحانه[1].

ولهذا فهو وإن أجاد في ردِّه على من يزعم أنَّ المراد بها النَّعمة، إلا أنَّه لم يُبعدْ كثيراً، حيث أوَّلَ اليد بالجود والإنفاق، ولهذا فإنَّه يَلزمُه ما أَلزمَ هو من أوَّل اليد بالنِّعمة، فيقال له: هل يكون المراد، جوداه أو إنفاقاه؟.

ومما يلاحظ في تفسيره الزاد، وكذلك تذكرة الأريب، أنَّ الإمام ابن الجوزي رحمه الله لم يتطرَّقْ إلى تفسير قوله تعالى:﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ص:٧٥ولم يتعرَّض لها كذلك في كتابه كشف المشكل، أو تلبيس إبليس، فهذه الآية أصرح من غيرها في إثبات صفة اليد لله عزَّ وجلَّ، حيث يتبيَّن فضل آدم عليه السلام بخلق الله له بيده. فهذه الآية لا تَحتملُ من المجاز ما تحتمله غيرُها من الآيات الدالة على إثبات صفة اليد لله عزَّ وجلَّ[2].

ولكنه يقول في صيد الخاطر:"وأثبتوا خلقَه باليد، فلو قالوا: خَلَقَه، لم يمكن إنكار هذا، بل قالوا: هي صفةٌ تولَّى بها خلْقَ آدم دون غيره، فأيُّ مزيَّةٍ كانت تكون لآدم؟ فشَغَلَهم النَّظر في فضيلة آدم، عن النَّظر إلى ما هو يليق بالحقِّ مما لا يليق به، فإنَّه لا يجوز عليه المسُّ، ولا العملُ بالآلات، وإنَّما آدم أضافه إليه"[1] فنلاحظ أنَّه لم ينفِ أنَّ الله خلق آدم بيده، بل نفى أن المسَّ عن يد الله، وإنَّما اكتفى أنَّ الله أضاف آدم عليه السلام إليه، وهنا تلحظ ضعفه في الجواب عن هذه الآية، ولم يسعفه التأويل ولا التفويض حتى يلجأ إليه، وما ذلك إلا لصراحة الآية، ولأنَّها فضيلة امتنَّ الله على آدم عليه السلام بها.

وعلى كلٍّ فإن هذه الصفة، من الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى كما هو ظاهر قوله سبحانه:﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ص:٧٥ وغيرها من الآيات الدالة على أنَّ لله سبحانه يدين، وكلتا يديه يمين تليق بجلاله وعظيم سلطانه.

---

١. ينظر: تفسير القرطبي(٦/٢٣٩).

٢. يُنظر: بيان تلبيس الجهمية(٥/٤٨٢).

١. صيد الخاطر (١٣٢).

يقول الإمام الدارمي رحمه الله في تأويل المريسي لليد بأنها الرزق:"فقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ص:٧٥، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ المائدة: ٦٤، وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾الفتح:١٠، وقوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾آل عمران:٢٦، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾الحديد:٢٩، وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾الملك:١، وقوله: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾الحجرات:١، فهل يجوز لك أن تتأوَّل في جميع ما ذكرنا من كتابه أنه رزقاه؟ فتقول برزقه الخير، ويرزقه الفضل، ويرزقه الملك، ولا تقدِّموا بين رزق الله ورسوله؟"[١].

ويقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله:"وقال لإبليس عليه لعنة الله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ص:٧٥، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾المائدة:٦٤، وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾الزمر: ٦٧، فأثبت ربُّنا جلَّ وعلا لنفسه يدين، وخبَّرنا أنَّ لبني آدم يدين، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾آل عمران:١٨٢، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾الحج:١٠، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾الفتح:١٠"[١].

ويقول الإمام الآجري رحمه الله:"يقال للجهمي الذي يُنكر أنَّ الله خلقَ آدمَ بيده، كَفرْتَ بالقرآن، ورددت السُّنَّة، وخالفت الأمَّة. فأمَّا القرآن: فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ص:٧٥. وقال عزَّ وجلَّ في سورة الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ

---

١. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي (١/٢٤٣).

١. التوحيد لابن خزيمة (١/٦٠).

﴿إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾الحجر:٢٨-٣١ فحسد إبليسُ آدمَ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقه بيده، ولم يخلقْ إبليس بيده"[١].

حديث الصورة

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:((خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ آدمَ على صورتِه، طولُه ستون ذراعاً، فلمَّا خَلقَه قال: اذهبْ فسلِّم على أولئك النَّفر-وهم نفرٌ مِنْ الملائكة جلوسٌ- فاستمعْ بما يُحيُّونَك، فإنَّها تحيتُك وتحيةُ ذُريتِك))[٢].

هذا الحديث يسمَّى عند العلماء بحديث الصورة، وذلك لوُرودِ لفظِ الصُّورة فيه، وتكلَّمَ العلماءُ على عَوْدِ الضَّميرِ في قوله ﷺ:((على صورته)) على مَنْ؟ هل يَعودُ على الله سبحانه؟ أم على آدمَ عليه السلام، أم غير ذلك؟.

وقد تناولَ ابنُ الجوزي رحمه الله هذا الحديث، والكلامَ عنه، وذكرَ أقوال أهل العلم في ذلك.

يقول رحمه الله:"فللنَّاس فيه ثلاثةُ مذاهب:

أحدها: مذهبُ جمهورِ السَّلف، وهو السُّكوت عن تفسير هذا وأمثالِه.

والثاني: أنَّ الهاء راجعةٌ إلى آدم، فيكون المعنى: أنَّه خَلقَه على تلك الحال، ولم ينقلْه من نُطْفةٍ إلى عَلَقةٍ. وهذا مذهب أبي سليمان الخطابي.

والثالث: أنَّها تَرجِعُ إلى الله سبحانه، فهي مضافةٌ إضافةَ مُلك، لا إضافةَ ذات، كما أضافَ الرُّوحَ التي نُفِخت في آدمَ إليه، فقال:﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾الحجر:٢٩ وهذا مذهبُ ابن عقيل[١]. قال: وإنَّما خصَّ آدم بإضافة الصُّورة إليه لخصيصةٍ فيه، وهي السَّلْطَنة التي تُشَاكِل الإلهيَّة استعباداً وسجوداً واستخداماً وأمرًا نافذاً، وسياساتٍ يعمُرُ بها البلاد، ويَصلُحُ بها من أمر العباد. وليس في الجنِّ والملائكة من يجتمع على طاعته نوعه وقبيله سوى

---

١. الشريعة (١١٧٨).

٢. رواه البخاري برقم: (٦٢٢٧)، ومسلم برقم: (٢٨٤١).

١. نقل كلامه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه بيان تلبيس الجهمية (٥٧٤/٦-٥٧٦) عن كتابه كفاية المفتي.

الآدمي. وهذه الصورة هي حال، والصورة قد تقع على الحال، فهذا موضعُ حَملِ الصُّورة على الصُّورة، وهي حَملُ حال الخلافة والمملكة والسَّلطنة على حال الإلهية"[1].

ويقول في موضع آخر في كلام عن حديث الصورة أيضا:"وقد قال قومٌ: المراد بهذا الحديث، أنَّ الله تعالى خلقَ آدمَ على صورة هذا المضروب، فينبغي أن يُحترمَ لأجلِ آدم"[2].

فمن خلال ما تقدَّم نجدُه ذكر في المسألة أربعةَ أقوال:

القول الأول: السكوت عن تفسيرها، ونسبه للجمهور.

القول الثاني: أنَّها راجعة إلى آدم عليه السلام.

القول الثالث: أنَّها ترجع إلى الله سبحانه وتعالى، ويكون المراد بالإضافة إضافة ملك.

القول الرابع: أنَّ الضميرَ يعود على المضروب. وذكر هذا القول عند ذكره لرواية:((إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإنَّ الله خلقَ آدم على صورته))[3].

من خلال عرضه لأقوال العلماء في المراد بهذا الحديث، فإنَّ ابن الجوزي رحمه الله لم يذكرْ ما الذي ترجَّح له منها، ولكنَّ رأيه لا يخرج عن أحد قولين:

الأول: إمَّا أنَّه يرى ما عليه جماهير السلف كما يقول من إمرارها وعدم تفسيرها، وهذا باعتبار أنَّه معظِّمٌ لسلف الأمَّة رحمه الله. ولكن ما المراد بقوله:"السكوت عن تفسير هذا وأمثاله"؟ الذي يظهر هو ما يذكره في غير هذا الموضع من تفويض الصِّفات، والجهل بتفسيرها، ولهذا قال:"السكوت عن تفسير هذا وأمثاله" أي: وأمثاله من الصِّفات الأخرى، والتي تقدَّم شيءٌ منها، وكلامه عن تفويضها أو تأويلها.

الثاني: وإمَّا أنَّه ينفي الصُّورةَ عن الله، لِمَا يَرى أنَّ إثباتَ الصورةِ لله، يلزمُ منه إثباتَ تخاطيط الصُّورة في حقِّه سبحانه، وهو منزَّهٌ سبحانه عن ذلك. وهذا ما ذكره في شرحه لقوله ﷺ:((فيأتيهم ربُّهم في أدنى صورةٍ من التي رأوه فيها...))[1] الحديث حيثُ ينفي عن الله سبحانه وتعالى إثباتَ الصُّورة، أو اتصافه بما وَرَدَ في الأحاديث من إثبات الصُّورة، معلِّلا

---

١. كشف المشكل،(٣/٤٩٨).

٢. كشف المشكل (٣/٥٠٦).

٣. رواها مسلم برقم: (٢٦١٢).

١. رواه البخاري برقم: (٤٥٨١)، ومسلم برقم: (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ذلك أنَّ"الصُّورة التي هي تخاطيط، لا تجوز على الله عزَّ وجلَّ"[1] فهذا هو موقفُه رحمه الله من حديث الصُّورة.

وهذا التعليل وإن لم يذكرْه في شرحه لحديث الصُّورة المشهور، وإنَّما ذكره في حديث إتيانِ الله عزَّ وجلَّ لعباده في صورةٍ يعرفونها، إلا أنَّه يجعل أنَّ إثباتَ الصُّورة لله عزَّ وجلَّ يَستلزِمُ منه ما يلزم الصُّورة التي هي صفةٌ للمخلوق، من تخاطيط ونحو ذلك، مما يُعلم تَنزيهُ الباري عنها سبحانه.

والإشكال في حديث الصُّورة، يرجع في مسألةِ عَودِ الضَّمير في قوله عليه الصلاة والسلام:((خلق الله آدم على صُورته)) فالضمير في ((صُورته)) يعود على من؟ فمن هنا تعدَّدتْ وجهاتُ النَّظر عند أهل العلم، وكان ذلك على أقوال:

القول الأول: أنَّ الضميرَ يعود على المضروب. وبه قال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله[2]، وابن حبان[3].

القول الثاني: أنَّ الضَّمير يعود إلى آدم عليه السلام. وهذا مرويٌّ عن أبي ثور[4]،وأبي سليمان الخطابي[5]، والبيهقي[1]رحمة الله على الجميع.

القول الثالث: أنَّ الضَّمير يعود على الله سبحانه وتعالى. وهذا هو المأثور عن الإمام أحمد بن حنبل، وعزاه ابن تيمية رحمه الله إلى جمهور السلف[2].

القول الرابع: أنَّ الإضافةَ إضافةُ ملك، كما تقدَّم عن ابن عقيل رحمه الله.

وقد تكلَّم العلماء في هذا الحديث، ومن أكثر من تكلَّم فيه، ابن قتيبة رحمه الله في كتابه تأويل مختلف الحديث[3]، وابن تيمية رحمه الله في بيان تلبيس الجهمية[4].

---

١. كشف المشكل (١٣٢/٣).

٢. ينظر:كتاب التوحيد(٨٤/١-٨٥).

٣. صحيح ابن حبان (٤٢٠/١٢).

٤. طبقات الحنابلة للقاضي أبو الحسين (٣٠٩/١).

٥. الأسماء والصفات للبيهقي (٦١/٢-٦٢).

١. مصدر سابق.

٢. بيان تلبيس الجهمية (٣٧٣/٦).

٣. يُنظر: تأويل مختلف الحديث(٣١٧-٣٢٢).

٤. يُنظر بيان تلبيس الجهمية(٣٥٥/٦-٤٧٧).

والراجح من هذه الأقوال أنَّ عودَ الضَّمير على الله سبحانه وتعالى، وقد جاء صريحاً في رواية عبدالله بن عمر رضي الله عنه، وذلك في قوله ﷺ:((فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صُورةِ الرَّحمنِ))[1]، فهذا فيه دلالةٌ واضحةٌ على عود الضَّمير على الله سبحانه. يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:"الزيادةُ أخرجها بن أبي عاصم في السنة، والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات. وأخرجها بن أبي عاصم أيضا من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يَرُدُّ التأويلَ الأول، قال:((من قاتَلَ فليجتنبِ ٱلوجهَ، فإنَّ صُورةَ وجهِ الإنسانِ على صُورةِ وجهِ الرَّحمن)) فتعيَّن إجراءُ ما في ذلك على ما تقرَّر بين أهلِ السُّنَّة من إمرارِهِ كما جاء، من غير اعتقادِ تشبيهٍ، أو من تأويلِه، على ما يليقُ بالرَّحمنِ جلَّ جلالُه"[2]. فهذا نصٌّ في مورد النزاع، وهو الفصل في هذه القضية، والله أعلم.

أمَّا من قال إنَّ الضمير يعود على آدم عليه السلام، فقوله مردودٌ؛ لأنَّه لا يشكُّ عاقلٌ في أنَّ اللهَ خلق البشرَ على صورتِهم البشريَّة، وكذلك الحيوانات على صورها، كلُّ جنس على جنسه[3]، وأيُّ صورةٍ لآدم عليه السلام قبل أن يخلقَه الله[4]؟.

ومن قال بأنَّ الضميرَ يعود على المضروب، فهذا أيضاً بعيدٌ؛ لأنَّه لا يصحُّ أن يُقالَ خلق الله آدم على صورة المضروب، بل الصحيح أن يُقال خَلقَ المضروبَ على صورةِ آدم عليه السلام[1]. ولبعده والله أعلم لم يحكِه ابن الجوزي رحمه الله في أثناء ذكرِهِ لأقوال العلماء في معنى الحديث، وإنَّما حكاه منفرداً في موضع آخر[2].

ومن قال بأنَّ المراد صورة الملك كما حكاه ابن الجوزي رحمه الله عن ابن عقيل، وأنَّ آدم خُصَّ بإضافة الصورة إليه لخصيصة فيه، وهي السَّلطنة التي تشاكل الإلهية استعبادا وسجودا واستخداما وأمرا نافذا... وأنَّه ليس في الجن والملائكة من يجتمع على طاعته نوعه وقبيله

---

١. رواه ابن خزيمة برقم: (٤١)، والآجري في الشريعة برقم: (٧٢٥). وللشيخ حمَّاد الأنصاري رحمه الله رسالة في تصحيح هذا الحديث بعنوان (تعريف أهل الإيمان بصحة حديث إنَّ آدم خلق على صورة الرحمن).

٢. فتح الباري (١٨٣/٥).

٣. يُنظر: تأويل مختلف الحديث (٣١٨).

٤. يُنظر: إبطال التأويلات(٧٥).

١. يُنظر: بيان تلبيس الجهمية (٤٢٧/٦).

٢. كشف المشكل (٥٠٦/٣).

سوى الآدمي، فهذا أبعد من غيره؛ لأنَّ أمر السَّلطنة والملك ليس حكراً على جنس البشر، بل هو موجود في عالم الجن، فعندهم الملوك خدم الملوك الذين يرسلونهم إلى أوليائهم من السحرة والمشعوذين. أضف إلى أنا لو افترضنا أنَّ المراد الملك والسلطنة، فما مناسبة ذكر الوجه في الحديث؟ إذ لا اختصاص له، ولا يفرق بين الوجه وبقية الأعضاء[1].

وبناءً على ما تقدَّم فإنَّ الأثرَ ثابتٌ عنه ﷺ في إثبات الصُّورة لله عزَّ وجلَّ، وأنَّها صفةٌ تليقُ بجلاله وكماله، على نسق قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾الشورى: ١١، وما الصُّورة بأعجب من اليدين والوجه والعين كما يقول ابن قتيبة رحمه الله[2].

وعليه يتبيَّنُ لنا موقفَ ابن الجوزي رحمه الله في هذه القضيَّة، وتفويضَه لها، أو تأويلَه، وكيف أنَّ الصوابَ هو ما عليه السلف من القرون الثلاثة في كون الضمير عائد إلى الله سبحانه وتعالى، وأنَّه مستفيضٌ عن الصحابة رضي الله عنهم[3].

القضية الثانية: الصفات الفعلية:

أولاً: كلام الله ومسألة خلق القرآن:

إنَّ مما هو معلوم أن الإمام ابن الجوزي رحمه الله على مذهب الإمام أحمد رحمه الله في الأصول والفروع كما يَذْكر، وإنَّ مما ابتلي به الإمام أحمد رحمه الله مسألة خلق القرآن، فصبر رحمه الله على ذلك، وقال: إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وأُوذي في ذلك رحمه الله، وأصبحت هذه المسألة شعاراً للتفريق فيها بين السني والمبتدع، حتى من ينفي الصفات الاختيارية عن الله، لا يتجرأ أن يقول القرآن مخلوق وأنَّه ليس كلام الله، وإنَّما يختلف في تحقيق المناط في هذه المسألة، فيقول الكلام أزلي غير متجدد، وأنَّ القرآن قديم، أو يقول بالكلام النفسي، وما يتجرأ أن يقول القران مخلوق[1]، بل يقول إنه كلام الله غير مخلوق، ولكن يقول

١. يُنظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/٥٨١-٥٨٤).
٢. يُنظر: تأويل مختلف الحديث (٣٢٢).
٣. يُنظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/٣٧٣).
١. ينظر: الإبانة، الرد على الجهمية (١/٣١٧-٣١٨).

إنَّ صفات الله قديمة، والقرآن كلام الله، وهو من صفاته، وهو قديم، وينفي أنَّ الله يتكلم كما يشاء، متى ما شاء.

وإنَّ المتأمِّل في كلام ابن الجوزي رحمه الله، في مسألة كلام الله، وأنَّ القران كلام الله غير مخلوق، يجده على نظام كلام السلف رحمة الله عليهم أجمعين. حتى إنه في كتابه فنون الأفنان، أطال الكلام في تقرير كون القرآن كلام الله، فيما يقارب في خمس وأربعين صفحة. وكان كلامه فيها على مسألتين:

الأولى: أن القرآن كلام الله.

الثانية: أن القرآن غير مخلوق.

أمَّا ما يتعلق بتقريره بأنَّ القرآن كلام الله، فيقول في قوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾النساء:١٦٤:"تأكيد كلَّم بالمصدر يدل على أنه سمع كلام الله حقيقة"[١] فيؤكد سماع موسى عليه السلام لكلام الله عزَّوجلَّ على الحقيقة لا على المجاز.

ويقول في قوله تعالى:﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾الأعراف: ١٤٤:"قال الزجاج: المعنى اتخذتك صفوة على الناس برسالاتي وبكلامي، ولو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال برسالاتي وبكلامي؛ لأنَّ الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله"[٢].

ويذكر الأدلة من السنة في كتابه فنون الأفنان[١]، فذكر حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّه قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن القرآن، فقال:((كلام الله غير مخلوق))[٢]، وذكر حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه بالموقف ويقول:((ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي))[٣].

---

١. زاد المسير (٢/٢٥٦).

٢. زاد المسير (٣/٢٥٨).

١. يُنظر فنون الأفنان: (١٥٠-١٥١).

٢. يقول الإمام البيهقي رحمه الله:"ونُقل إلينا عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً:((القرآن كلام الله غير مخلوق)) ورُويَ ذلك أيضاً عن معاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم مرفوعاً، ولا يَصحُّ شيءٌ من ذلك، أسانيدُه مظلمةٌ لا ينبغي أنْ يُحتجَّ بشيءٍ منها، ولا أنْ يُسْتشهدَ بشيءٍ منها" الأسماء والصفات (١/٥٨٣).

٣. رواه الإمام أحمد برقم: (١٥١٩٢)، وأبوداود برقم: (٤٧٣٤)، والترمذي برقم: (٢٩٢٥)، وابن ماجه برقم: (٢٠١). قال الترمذي:"حديث حسن صحيح".

وبعدما ذكرنا تقريره لهذه المسألة من الكتاب والسنة، نذكر استدلاله بالآثار عن الخلفاء الأربعة الراشدين، وبعض النقول عن التابعين ومن بعدهم، فقال رحمه الله:"ورُوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنَّه خرج إلى قريش بقوله تعالى:﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ الروم: ١-٢، فقالوا هذا من كلام صاحبك، قال:(لا واللَّه، ولكنه كلام اللَّه تعالى)[١]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:(القرآن كلام الله تعالى، فضعوه في مواضعه)[٢]. وقال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه:(لو طَهُرت قلوبكم، ما شبعتم من كلام ربكم)[٣]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه:(ما حكَّمتُ مخلوقاً، إنما حكمت القرآن)[٤]"[٥].

ثم ذكر ابن الجوزي رحمه الله أقوال علماء الأمة على مرِّ القرون، في جميع الأمصار، والذين صرَّحوا بأنَّ القران كلام الله غير مخلوق، مُبْتَدِئاً بأسماء الصحابة، ثمَّ ذكر ما انتهى إليه من أقاويل أهل البلدان، من التابعين فمن بعدهم، قرنا بعد قرن، إلى عصره رحمه الله[٦]. فبدأ بأهل المدينة دار الهجرة، ثمَّ أهل مكة، ثمَّ أهل الكوفة، ثمَّ أهل البصرة، ثمَّ أهل اليمن، ثمَّ أهل الشام والجزيرة، ثمَّ أهل الثغر[١]، ثمَّ أهل مصر، ثمَّ أهل خراسان، ثمَّ أهل بغداد، ثمَّ أهل الري[٢]، ثمَّ أهل أصفهان، وهو حينما يذكرهم يقول: ولا يعرف لهم مخالف من أهل الأثر والجماعة[٣].

---

١. رواه البيهقي في الأسماء والصفات برقم: (٥١٠).

٢. رواه عبدالله في السنَّة (٩٤).

٣. رواه أحمد في الزهد برقم: (٦٨٠).

٤. رواه ابن أبي حاتم في التفسير برقم: (١٨٣٨٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات برقم: (٥٢٥) وقال:"هذه الحكاية عن علي رضي الله عنه شائعةٌ فيما بين أهل العلم، ولا أُراها شاعتْ إلا عنْ أصلٍ، والله أعلم" الأسماء والصفات (٥٩٣/١).

٥. فنون الأفنان (١٥١-١٥٢).

٦. يُنظر: فنون الأفنان (١٦٣-١٩٤).

١. الثغر: هو الموضع الذي يكون حدّاً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفَّار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد، وهو ما يلي دار الحرب. لسان العرب (١٠٣/٤).

٢. الرَيّ: بفتح أول وتشديد ثانيه. مدينة مشهورة من أمّهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات. فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. خرج منها العلماء أمثال الإمام المحدِّث أبوحاتم الرَّازي وأبوزرعة الرَّازي رحمهما الله. وهي الآن جنوب طهران عاصمة إيران قريبة منها. معجم البلدان (٣/ ١١٦).

٣. يُنظر: فنون الأفنان (١٦٦)، (١٦٨)، (١٧٣).

ثمَّ بعد أن انتهى من ذكرهم قال:"ولا يُعرف لمن ذكرنا من أئمة البلدان مخالف من أهل الجماعة والأثر، جعلنا الله متمسكين بكتاب الله، وسنة رسوله، إنَّه على ذلك قدير"[1].

فهذا الأسلوب في العرض، هو أسلوب أئمة الحديث والأثر في ذكرهم لأقوال علماء الأمصار في أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، مما هي مشتهرة عند أئمة السلف.

ومن جميل ما استدل به على أنَّ القرآن كلام الله، ما ذكره رحمه الله في صيد الخاطر عمَّن يرى أنَّ القرآن ليس كلام الله، ثمَّ يستدل بالقرآن، فيقول:"وهل للمخالف دليلٌ، إلا أن يقول: قال الله، فيعود، فيثبت ما نفى؟"[2]. وهذا من جميل ما يستدلُّ به على من يقول القرآن ليس كلام، فيذكر أنَّ هذا المخالف هل له دليل غير القرآن يستدلُّ به في معاملاته وعباداته؟ فإنَّه إذا أراد الاستدلال بالقرآن لايسعه إلا أن يقول: قال الله تعالى.

وممَّا استدلَّ به رحمه الله على أنَّ القران غير مخلوق، ما حكاه في كتابه الحدائق عن الإمام الخطابي رحمه الله، فقال:"قال الخطابي: كأنَّ أحمد بن حنبل يستدل بقوله:((أعوذ بكلمات الله التامة))[3] على أنَّ القران غير مخلوق، ويقول: إنَّ رسول الله ﷺ لا يستعين بمخلوق، وما من كلام مخلوق، إلا فيه نقص، فالموصوف بالتمام هو غير مخلوق، وهو كلام الله سبحانه"[1].

فمن خلال ما تقدَّم، نرى كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله، قرَّر مسألة أنَّ القرآن كلام الله سبحانه غير مخلوق.

وهو إذ يتكلَّم عن صفة الكلام لله عزَّ وجلَّ، لم أجدْه تطرَّق لقضية تجدّد الحوادث، وأن تجددَها يلزمُ منه أن تكون صفاتِ الله محدثةٌ، أو إنَّه فوَّض معناها، بل الذي رأيتُه في كتبه رحمه الله إثباتَ كلام الله، وإثباتَه أنَّ القرآن كلام الله بحرف وصوت، ولهذا يذكر في كتابه صيد الخاطر عن بعض من أتى بغداد من أهل البدع، وارتقى المنبر للوعظ، فقال:"أين الحروفيَّة الذين يزعمون أنَّ القرآن حرف وصوت؟ هذا عبارة جبريل"[2]، فهذا المبتدع قال ما

---

١. فنون الأفنان (١٩٥).

٢. صيد الخاطر (١٩٨).

٣. جزء من حديث رواه البخاري برقم: (٣٣٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

١. الحدائق (٧٩/٠٣). يُنظر: كشف المشكل(٤١٥/٢).

٢. صيد الخاطر (١٩٥).

قال، معرِّضاً بحنابلة بغداد، القائلين بقول إمامهم أحمد بن حنبل رحمه الله-وهو قول الأئمة الأربعة أجمع- أنَّ الله تكلَّم بحرف وصوت، لا أنَّه كلام نفسيٌّ، فهذا فيه إشارة واضحةٌ أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى بأنَّ الله تكلّم بالقرآن بحرف وصوت، بل هذا المشهور عن حنابلة بغداد، ولو كان هذا القول مرضيَّاً عند ابن الجوزي رحمه الله لما ذكره عن بعض أهل البدع.

وهنا أريد أنَّ أذكر أمرين:

أولاً: تقدَّم معنا في منهج ابن الجوزي رحمه الله في الصفات، أنه يمنع قيام الحوادث بالله، وعليه فهو يفوّض آيات الصفات وأحاديثها أو يؤولها، ولكنه هنا يذكر تجدد صفة الكلام لله سبحانه وتعالى.

فمن ذلك قوله رحمه الله في تعليقه على رواية أنَّ من كان مع موسى عليه السلام قد سمعوا كلام الله:"وليس هذا بصحيح؛ وأيُّ خير يبقى لموسى؟"[١]، فهو يثبت كلام الله عزَّوجلَّ لموسى عليه السلام، وهل كان كلام الله لموسى في الأزل؟ لا، وهذا يدل على أنه يرى أنَّ كلام الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام لم يكن في الأزل، باعتبار أنها صفة قديمة لله سبحانه، بل هي متجددة.

ثمَّ هو ينقل عن أبي سليمان الدمشقي[١] رحمه الله، أنَّ كلامه سبحانه لموسى عليه السلام على الحقيقة لا المجاز، وأنه لما"قال[تكليما] لم يكن إلا كلاما مسموعا من الله"[٢] فنلاحظ قوله"مسموعا من الله" أي: أنَّ موسى سمع كلام الله سبحانه وتعالى، وذلك في فترة حياة موسى عليه السلام، وأنَّ ذلك لم يكن في الأزل، مما يدل على تجدد حدوث صفة الكلام لله عزَّ وجلَّ، وأنَّه موسى عليه السلام سمع صوتاً هو صوت الله عزَّ وجلَّ.

ويقول في قوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾الأعراف:١٤٣:"أسْمَعَه كلامَه، ولم يكن فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ فيما سمع أحد"[٣]. ويذكر في كتابه نزهة النظر، من معاني النِّداء في القرآن التكليم، فيقول رحمه الله:"والثالث: التكليم. ومنه قوله تعالى في مريم ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن

---

١. المنتظم (٣٥١/١).

١. محمد بن عبد الله بن سليمان أبو سليمان السعدي الشافعي الأشعري. المفسر صنف كتبا في التفسير. تاريخ دمشق (٣٤٩/٥٣)، طبقات المفسرين (١٠٣).

٢. زاد المسير (٢٥٦/٢).

٣ زاد المسير (٢٥٦/٣).

﴿ جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ ﴾مريم:٥٢، وفي القصص:﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا ﴾ القصص:٤٦"[1]، فهو يقرِّر هنا، أنَّ مناداة الله عزَّ وجلَّ لموسى عليه السلام، إنَّما هو كلامه سبحانه وتعالى له.

ويقول في قوله ﷺ لجابر بن عبدالله رضي الله عنه:((إنَّ الله كلَّم أباك كفاحا))[2]:"قال الأزهري: المعنى:كلَّمه مواجهة، وليس بينهما حجاب"[3].

فمن خلال هذه النصوص عنه رحمه الله، يدلُّ على أنَّه يُثبتُ صفةَ الكلام لله عزَّوجلَّ على فهم السلف رحمهم الله، وأنَّ الله تكلَّم مع موسى عليه السلام، ومع أبي جابر عبدالله بن حرام رضي الله عنه، كلاماً لا يشبه كلام المخلوقين كما يقول في الموضوعات:"فإنَّ كلام الله لا يشبه كلام المخلوقين"[4].

وممَّا يؤكد إثباته لهذه الصفة، وعدم تأويلها، أو تفويض معناها، أنَّه أنكر على أبي الحسن الأشعري رحمه الله قوله أنَّ الكلامَ صفةٌ قائمةٌ بالنفس، فيقول رحمه الله:"ثمَّ لم يختلف الناس في ذلك[1] إلى أنَّ نشأَ عليُّ بن إسماعيل الأشعري، فقال مرَّةً بقول المعتزلة، ثمَّ عنَّ له، فادعى أنَّ الكلام صفة قائمة بالنفس، فأوجبت دعواه هذه أنَّ ما عندنا مخلوق"[2]، فهو يرى أنَّ الناس كانوا في القرآن على قولين: قول أئمة السنة أنَّ القرآنَ كلامُ الله غير مخلوق، وقول ثانٍ وهو أنَّ القرآنَ مخلوقٌ، ثمَّ جاء الأشعري وأتى بقولٍ ثالث، وهو أنَّ الكلامَ صفةٌ قائمةٌ بذات الله سبحانه وتعالى، أي أنَّ الله لم يتكلَّمْ بهذا القران، وأنَّ القران قديمٌ.

وهذا يجرُّنا للحديث عن الأمر الثاني، وهو رأي ابن الجوزي رحمه الله في القرآن، هل يقول بأنَّ القرآنَ قديمٌ، أم أنَّ له رأيٌ آخر؟.

---

١. نزهة الأعين النواظر (٥٩٤).

٢. رواه الترمذي برقم: (٣٠١٠)، وابن ماجه برقم: (١٩٠) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. قال الترمذي:"حسن غريب من هذا الوجه".

٣. غريب الحديث (٢/٢٩٥).

٤. الموضوعات (١/١٩٣).

١. أي: في أنَّ القران كلام الله.

٢. صيد الخاطر (١٩٧).

ثانياً: مع ما تقدَّم من أنَّ ابنَ الجوزي رحمه الله يرى بأنَّ كلامَ اللهِ أزليٌّ، وأنَّه تعالى كلَّم موسى عليه السلام، وكذلك كلَّم عبدالله بن حرام رضي الله عنه كفاحاً، إلا أنَّه يحكي أنَّ القرآن قديم، ويذكر أنَّه مذهب الحنابلة. يقول رحمه الله في كتابه زاد المسير في علم التفسير:"فصل: وقد استدل أصحابنا على قدم القرآن بقوله[كن]، فقالوا: لو كانت[كن] مخلوقة، لافتقرت إلى إيجادها بمثلها، وتسلسل ذلك، والمتسلسل محال. فإن قيل:هذا خطاب لمعدوم. فالجواب: أنَّه خطاب تكوين يُظهر أثر القدرة، فيستحيل أن يكون المخاطب موجوداً؛ لأنَّه بالخطاب كان، فامتنع وجوده قبله أو معه، ويحقق هذا أنما سيكون متصور للعلم، فضاهى بذلك الموجود، فجاز خطابه لذلك"[1].

ويقول رحمه الله في كتابه الموضوعات:"القرآن كلام الله عزوجل، وكلامه من صفاته، وصفاته قديمة، وهذا يكفي في دليل قدمه"[2].

وهنا أريد أن أتناول الحديث في عدة أمور:

الأمر الأول: إطلاق القول على القرآن بأنَّه قديم، هذا اللفظ لم يرد عن أحد من السلف[1]، وهو قول باطل لا دليل عليه، إذ المراد منه: أن الله تكلم به في الأزل، وأنه حينما أراد أن يوحي به إلى محمد ﷺ، قام كلامه الأزلي فألقاه في روع جبريل عليه السلام، ثمَّ أوحاه إلى محمد ﷺ. وأول من قال بهذا ابن كلاب[2]، ولهذا فإنَّ القائلين بأنَّ كلامه سبحانه كلام نفسي، يلزمهم أن يكون غير خارج عن القدرة والإرادة، وأنَّه ليس بصفة جديدة[3].

الأمر الثاني: إنَّ قول ابن الجوزي رحمه الله بقدم القرآن، مع إثباته لصفة الكلام لله عزَّ وجلَّ تناقض، والسبب في ذلك، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن جدِّه أبي البركات وصاحبه أبي عبد الله بن عبد الوهاب في مسألة تفاضل القرآن، حيث يذهب من يرى بأنَّ كلام الله قديم، بعدم التفاضل؛ لأنَّ التفاضل يكون بين مخلوق ومخلوق، وهذا لا يأتي إلا على مذهب المعتزلة، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله:"وحدثنا أبي عن جدنا أبي

---

١. زاد المسير (١٣٦/١-١٣٧)، راجع الفتاوى (٥٢/١٧).

٢. الموضوعات (١٠٦/١).

١. يُنظر: مجموع الفتاوى (٥٧٩/١٢)، والآمدي وآراؤه الكلامية (٢٦٨).

٢. يُنظر: مجموع الفتاوى (٥٨٣/١٢)، (١٥٥).

٣. يُنظر: الآمدي وآراؤه الكلاميه (٢٧٥).

البركات وصاحبه أبي عبد الله بن عبد الوهاب، أنَّهما نظرا في ما ذكره بعض المفسرين من الأقوال في قوله:﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾البقرة:١٠٦- وأظنُّه كان نظرُهم في تفسير أبي عبد الله محمد بن تيمية[١]- فلما رَأَيَا تلك الأقوال، قالا: هذا إنَّما يجيءُ على قول المعتزلة.

وزارَ مرَّةً أبوعبدالله بن عبد الوهاب هذا، لشيخِنا أبي زكريا الصيرفي وكان مريضاً، فَدَعى أبو زكريا بدعاءٍ مأثورٍ عن الإمام أحمد، يقول فيه: أسألُك بقدرتِك التي قدِرتَ بها أن تقولَ للسموات والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين، أن تفعلَ بنا كذا وكذا. فلمَّا خرَجَ الناسُ من عنده، قال له: ما هذا الدُّعاء الذي دعوتَ به؟ هذا إنَّما يجيءُ على قول المعتزلة الذين يقولون القرآن مخلوق، فأمَّا أهلُ السُّنَّة فلا يُقال عنهم قَدِرَ أن يَتكلَّم أو يقول، فإنَّ كلامَه قديمٌ لازمٌ لذاته، لا يتعلَّق بمشيئته وقدرته"[٢]. ثمَّ ذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله أنَّ أبا عبد الله بن عبد الوهاب أَخَذَ هذه البحوثَ عن ابن الزَّاغوني وابنِ عقيل وأبي يعلى، وأنَّ هؤلاء"يصرِّحونَ بأنَّ مذهبَ أحمد، أنَّ القرآنَ قديمٌ، وأنَّه حروفٌ وأصواتٌ...ولكنَّهم وغيرهم من أتباع الأئمة الأربعة، لم يعرفوا أقوالَهم في بعض المسائل"[٣].

فمن خلال كلام الإمام ابن تيمية رحمه الله، يتبيَّنُ أنَّ هؤلاء لـمَّا قالوا بأنَّ القرآنَ قديمُ، إنَّما أُتوا من عدم معرفتهم بأقوالِ الإمام أحمد رحمه الله في بعض المسائل.

وابن الجوزي رحمه الله ليس ببعيدٍ عن هذه المدرسة الحنبليَّة، وتأثُّره بها في بعض تقريراتها، خاصةً فيما يتعلَّق بمسألة كون القرآن كلام الله، فلعلَّه دخل عليه تصريحه بأنَّ القرآنَ قديمٌ من هذا الباب، والله أعلم.

ولهذا فهو هنا يثبت أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وكلامُ الله قديمٌ، وبما أنَّه يرى أنَّ الله لا يجوز عليه تجددُ الصفات، وأنَّه سبحانه يفعلُ ما يريد، متى يريد، ومن ذلك صفة الكلام، حيث أنَّه يتكلَّم بما يشاء، متى يشاء، فإنَّه قال بأنَّ القران قديم، لأنَّ كلام الله صفةٌ من صفاته، وصفاته قديمة، والقرآن كلامه سبحانه، فالقرآن قديم.

---

١. وهو الذي قرأ تفسير زاد المسير على ابن الجوزي رحمه الله، وقد تقدَّمت ترجمته في مبحث طلاب ابن الجوزي.

٢. مجموع الفتاوى (١٧/٥٤-٥٥).

٣. مجموع الفتاوى (١٧/٥٦).

وبهذا يتضَّح موقفه رحمه الله من صفة الكلام، ومن ذلك موقفه من كتاب الله عزَّ وجلَّ، وأنَّه رحمه الله يثبت صفة الكلام، وأنَّ الله كلَّم موسى عليه السلام بصوتٍ مسموع، وأنَّ القرآنَ حرفٌ وصوتٌ، ولكنَّه رجع وقال بأنَّ القرآن قديمٌ، تبعاً لما قبله من علماء الحنابلة كالقاضي وابن عقيل وابن الزاغوني رحمة الله عليهم، باعتبار أنَّه قول الإمام أحمد رحمه الله.

ثانياً: الاستواء.

تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله عن الاستواء، وذكر أنَّ الاستواء في اللغة له معنيان:

الأول: تام. كقولك: استوى الأمر.

الثاني: الناقص، وهو اللازم المتعدّي بحرف الجرِّ، وهو على نوعين: ما كان متعدياً بـ (مع) كقولك:استوى الماء مع الخشبة، والثاني: كقولك استوى إلى الشيء، ومعناه القصد[1].ومنه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾فصلت:١١"أي: عمد إلى خلقها"[2] أي: قصد. ويُلاحظ أنَّه لم يتطرَّق إلى المتعدِّي بحرف الجر(على)كقوله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾طه:٥.

يحكي ابن الجوزي رحمه الله الإجماع على أنَّ السلف لا يزيدون على قراءة آيات الاستواء، وأنَّهم لا يتعرَّضون لتفسيرها، يقول رحمه الله:"وإجماع السلف منعقدٌ على أن لا يزيدوا على قراءة الآية"[1]. ولسائلٍ أن يسألَ، ما هو رأي ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره للآية؟ لم أجدْ له تفسيراً لا في زاد المسير ولا في تذكرة الأريب، وإنَّما وجدتُ في كتابه نزهة الأعين النواظر، أنَّ الاستواءَ في القرآن له ستُّ معان، منها"والسادس: العلو. ومنه قوله تعالى في طه:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾طه:٥"[2].

وهو في نفس الوقت، ينكر تأويلَ الاستواء بالاستيلاء، فيقول رحمه الله:"وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى، ويحتج بقول الشاعر:

---

١. ينظر: نزهة الأعين النواظر (١٥٢).

٢. تذكرة الأريب (٥٣/١).

١. زاد المسير (٢١٣/٣).

٢. نزهة الأعين (١٥٤).

حتَّى استوى بشرٌ على العراق******مِن غيرِ سيفٍ ودمٍ مِهراق[1]

وبقول الشاعر أيضا:

هُمَا استَويَا بفضلِهما جَميعَاً******على عَرْشِ المُلُوكِ بِغيرِ زُورِ[2]

وهذا منكرٌ عند اللُّغويين. قال ابن الأعرابي: العرب لا تَعرِف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنَّما يُقال: استولى فلان على كذا، إذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه، والله عزَّ وجلَّ لم يزل مستوليا على الأشياء. والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي[3]. ولو صحَّا، فلا حجة فيهما؛ لما بيَّنا من استيلاء من لم يكن مستولياً. نعوذ بالله من تعطيل الملحدة، وتشبيه المجسمة"[4]. فيتضح من هذا، أنَّ ابن الجوزي رحمه الله لا يرى بتأويل المتأولة للاستواء بأنَّ المراد استولى، بل ينكره رحمه الله، وأنَّ الاستدلال بهذين البيتين غير صحيح لأمرين:

الأول: أنَّه لا يُعرف في اللغة استوى بمعنى استولى.

الثاني: أنَّ هذين البيتين لا يعرف قائلهما.

ولكن ما مراده بإجماع السلف أنَّهم لا يزيدون عن قراءة الآيات كما ذكر ذلك في تفسيره؟

من خلال النَّظر لكلامه عن هذه الصفة في كتبه الأخرى، نجده يفوِّض معناها، وأنَّه لا يُثبِتُ معنى الاستواء، معلِّلاً ذلك بأنَّه يَلْزمُ منه الحدث، وتجدّد صفةٍ له سبحانه، وأنَّه سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن ذلك. يقول رحمه الله:"لأنَّه لا يخفى عليه[1]استحالة تجدُّد صفة الله تعالى، وأنَّه لا يجوز أن يكون استوى كما يُعلم، ولا يجوز أن يكون محمولًا، ولا أن يوصف بملاصقة

---

١. ينسب للأخطل النصراني، ولم أجدْه في ديوانه. وهو منكرٌ عند اللُّغويين كما ذكره ابن الجوزي عن ابن الأعرابي، ولا يعرف قائله كما ذكرَه عن ابن فارس. يُنظر: البداية والنهاية (١٢/٢٤١)، مختصر الصواعق المرسلة (٣٨٠).

٢. لا يعرف قائله، وقد ذكر ابن الجوزي عن ابن فارس اللُّغوي أنَّه لا يعرف قائله. وقد بحثت عنه في مقاييس اللغة لابن فارس فلم أجده.

٣. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي المالكي اللغوي. صاحب (المجمل) في اللغة وغيره.توفي سنة ٣٩٠هـ. السير (١٧/١٠٣)، والبداية والنهاية (١٥/٥٠٩).

٤. زاد المسير(٣/٢١٣).

١ يقصد العالم دون العاميِّ.

ومسّ، ولا أن ينتقل"[1]، فلاحظ قوله"وأنَّه لا يجوز أن يكون استوى كما يُعلم" تجد أنَّه ينفي معنى الاستواء المعلوم، الذي قال عنه يزيد بن هارون، وعبدالله القعنبي رحمة الله عليهما، من لا يوقن أنَّ الرحمن على العرش استوى، كما يقرُّ في قلوب العامة، فهو جهمي[2]، وما قرَّره الإمام مالك رحمه الله في مقولته المشهورة الاستواء معلوم.

وهناك سبب آخر يشير إليه ابن الجوزي رحمه الله في نفيه لهذه الصفة، وذلك أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى أنَّ إثبات معنى الاستواء، يلزم منه مشابهة الخالق للمخلوق من جميع الوجوه، ولهذا يقول رحمه الله:"فإنَّك إن حفظت هذا، سَلِمْتَ من التشبيه الذي وقع فيه من رأى الاستواء اعتمادًا"[3]، فقوله:"اعتماداً" يبيِّنُ لك المزلق الذي أُوتِيَ منه رحمه الله، حيث يرى أنَّ استواء الله سبحانه على عرشه، كاستواء البشر، حيث يعتمدون في استوائهم على كرسيٍّ ونحوه، فلو زال الكرسي عن المخلوق سقط، وهذا من ابن الجوزي رحمه الله فَهْمٌ سقيم؛ لأنَّ الله ليس كمثله شيء سبحانه، وكذلك رأيه في أنَّ إثبات معنى الاستواء يلزم منه أن يكون الله سبحانه وتقدَّس محمولاً، يقول رحمه الله:"وأنَّه لا يجوز أن يكون استوى كما يُعلم، ولا يجوز أن يكون محمولًا" فقوله "محمولاً" يؤكد ما ذكرته عنه من قضية أنَّ إثبات الاستواء يلزم منه الاعتماد.

ومما يؤكِّد نفيُ ابن الجوزي رحمه الله لمعنى الاستواء، إنكاره للفظة استوى على العرش بذاته، يقول رحمه الله:"ولم يقل السلف...ولا قالوا: استوى على العرش بذاته"[1].

ويقول أيضاً:"فأمَّا من قال:الحديث يقتضي كذا، ويحمل على كذا، مثل أن يقول: استوى على العرش بذاته، وينزل إلى السماء الدنيا بذاته، فهذه زيادة فهمهما قائلها من الحسَّ لا من النقل"[2].

---

١. صيد الخاطر (١١٧).

٢. تقدَّم صفحة (٢٠٥).

٣. صيد الخاطر (٣٣٨).

١. صيد الخاطر(٩١).

٢. صيد الخاطر (٩٩).

ويقول أيضاً:"ومن الواقفين مع الحسِّ، أقوام قالوا: هو على العرش بذاته على وجه المماسة... واستدلوا على أنَّه على العرش بذاته بقول رسول الله ﷺ:((ينزل إلى السماء الدنيا))[1]"[2].

فممَّا سبق، يتبين أنَّه ينفي الاستواء لأمور هي:

الأول: ما يلزم من إثبات صفة الاستواء من الحدث، وتجدد الصفة لله وتقدَّم الكلام عنها.

الثاني: أنَّه يلزم منها الحركة، والانتقال من مكان إلى آخر، وذلك يقتضي أنَّ صفات الله محدثة، وهو ينفي عن صفاته الحدث، كما تقدم.

الثالث: أنَّه يلزم من إثبات الاستواء، أن يكون جلَّ وعلا محمولاً معتمداً على العرش.

الرابعة: إنكاره لزيادة بذاته.

وستكون المناقشة معه هنا في الفقرتين الأخيرتين.

أمَّا مسألة أنَّ إثبات الاستواء يلزم منه الاعتماد، وأنّه يكون سبحانه محمولاً. فيقال: إنَّ السلف لم يقل أحد منهم إنَّ من لوازم معنى الاستواء الاعتماد، بل نصوصهم تدل على خلاف ذلك.

وكذلك فإنَّ كون الله مستو على العرش سبحانه، لا يلزم منه أن يكون محمولاً سبحانه وتقدَّس، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"من حمل السقف لايجب أن يحمل ما فوقه إلا أن يكون ما فوقه معتمدًا عليه، وإلا فالهواء والطير وغير ذلك مما هو فوق السقف ليس محمولاً لما يحمل السقف، وكذلك السماوات فوق الأرض، وليست الأرضُ حاملةً السماوات، وكلُّ سماء فوقها سماء، وليست السفلى حاملة للعليا. فإذا لم يجب في المخلوقات أن يكون الشيء حاملاً لما فوقه، بل قد يكون وقد لا يكون، لم يلزم أن يكون العرش حاملاً للربِّ تعالى إلا بحجة تبين ذلك"[1].

---

١. تقدَّم تخريجه صفحة (٢٣١).

٢. تلبيس ابليس (٥١٦/٢-٥١٩).

١. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلاميَّة (٢٣٩/٣).

ومثله لفظة (المماسة) فإنَّ العلماء ما نَفَوا عن الله المماسة إلا حينما تكلَّم بها بعض أهل البدع، كالكرَّاميَّة، حيث يقول محمد بن كرام في كتابه عذاب القبر:"وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا"[1].

ومثله هشام بن الحكم، كما حكاه عنه أبو الحسن الأشعري رحمه الله في المقالات[2].

فعندها تكلَّم العلماء في هذا اللفظ، وبيَّنوا الصَّواب فيه، يقول الإمام أحمد رحمه الله:"إنَّ الله عزَّ وجلَّ على عرشه فوق السماء السابعة، يعلم ما تحت الأرض السفلى، وإنه غير مماس لشيء من خلقه، وهو تبارك وتعالى بائن من خلقه، وخلقه بائنون منه"[3].

ويقول الإمام السجزي[4] رحمه الله:"واعتقاد أهل الحق، أنَّ الله سبحانه فوق العرش بذاته من غير مماسة"[5].

فهذه النصوص، تدل على أنَّ السلف لم يفهموا من الاستواء، ما فهمه ابن الجوزي رحمه الله وهو الاعتماد، بل إنَّ هذا الفهم قاد أصحابه إلى تعطيل الله عن صفة الاستواء والتي جاء بها القرآن والسنَّة.

وهذا يدلُّنا على أنَّ من نفى صفات الله سبحانه، إنَّما نفى بعد أن وقع في التشبيه، فاضطرَّ إلى تعطيل الصفات من معانيها، حتَّى لا يقع في التشبيه بحسب زعمه.

وأمَّا وصفه سبحانه أنَّه مستوٍ على العرش بذاته، فيقال فيه:

- إنَّ الوصف بالذات يكون من باب الإخبار، وباب الإخبار أوسع من الصفات، والصفات أوسع من باب الأسماء كما هو معلوم.
- إنَّ هذه العبارة وردت عن بعض أئمة السلف كما سيأتي بعد قليل بمشيئة الله.
- أنَّ هذه العبارة وما شاكلها، ما أتى بها السلف إلا من باب تأكيد حقيقة الاستواء، بمعنى أنَّه حينما نفى المبتدعة الاستواء، وقالوا إنَّ ظاهر اللفظ يقتضي المشابهة، أوَّلوا معناه،

---

1. ينظر الملل والنحل للشهرستاني (١/١٠٩)، التبصير في الدين (١٢١).
2. ينظر مقالات الاسلاميين (٢١٠).
3. اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٢٠١).
4. عبيد الله بن سعيد بن حاتم أبو نصر السجزي الوائلي البكري السجستاني، نسبة إلى قرية يقال لها وائل، من قرى سجستان. شيخ السنة، سمع الكثير وجمع وصنف. السير (١٧/٦٥٤)، والبداية والنهاية (١٦/٦٤).
5. الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٨٧-١٩٠).

فاضطر علماء أهل السنة من بيان معنى الاستواء بقولهم"بذاته" للتأكيد، وبيان المعنى لهذا اللفظ.

قال الإيجي[1] رحمه الله في المواقف:"مثاله قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾طه:٥ فإنَّه يدل على الجلوس، وقد عارضه الدليل العقلي الدال على استحالة الجلوس في حقّه تعالى، فيؤول الاستواء بالاستيلاء، أو يجعل الجلوس على العرش كناية عن الملك"[2].

فيلاحظ أن عضد الدين الإيجي نفى الاستواء، باعتبار أن معناه الجلوس، ولفظ الجلوس لم يرد في الكتاب ولا في السنة، فحينها لجأ علماء أهل السنة لمناقشة من ينفي الاستواء بدعوى أن هذا معناه الجلوس، ويقال له ماالمراد بالجلوس؟ إن كان مراده نفي الاستواء، فهذا المعنى غير صحيح، وإن كان المراد أنَّ الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظيم سلطانه فلا بأس. ومثله لفظة استوى على العرش بذاته، ما قالها العلماء ابتداءً، وإنّما قيلت للإيضاح، ولهذا قال الإمام الدارمي رحمه الله:"فكره ابن المبارك حكاية كلامهم قبل أن يعلنوه. فلما أعلنوه أنكر عليهم وعابهم بذلك. وكذلك قال ابن حنبل:كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه، لم نجد بدَّاً من مخالفتهم والرد عليهم"[3].

وسئل الإمام أحمد رحمه الله، عن الرجل يقول في القرآن: إنَّه كلام ويسكت، هل له رخصة في ذلك؟ فقال:ولِمَ يسكت؟ لولا ما وقعَ فيه الناسُ، كان يسَعُه السُّكُوت، ولكن حيث تكلَّموا، لأيِّ شيءٍ لا يتكلَّمون؟[1].

ولفظُ الذَّات، لم يرد في الكتاب والسنة، وإنَّما ورد استعماله في كلام أهل العلم من السلف رحمة الله عليهم، وذلك للردِّ على من نَفَى صفةَ العلوِّ، وهي تحمل معنىً صحيحاً

١. عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الأيجي. كان إماماً في المعقول. مات مسجوناً سنة ٧٥٦هـ. الدرر الكامنة (١١٠/٣)، البدر الطالع (٣٢٦/١).

٢. المواقف (٢٠٧/١).

٣. الرد على بشر المريشي (٥٣٨/١).

١. السنة للخلال (١٣٢/٥).

دلَّتْ عليها النُّصوص. وأقدم نصٍّ وقفتُ عليه لأهل العلم في ذلك، ما قاله الإمام المزني[1] رحمه الله المتوفي سنة ٢٦٤هـ:"عالٍ على عرشه، في مجدِه بذاته"[2].

ويقول الإمام السجزي رحمه الله في رسالته لأهل زبيد:"ونصَّ أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، أنَّ الله تعالى بذاتِه فوق العرش، وعلمُه بكلِّ مكان"[3].

ثالثاً: صفة السمع.

لم يتطرَّق ابن الجوزي رحمه الله للكلام عن صفة السمع حتى في كتابه دفع شبه التشبيه الذي تكلَّم فيه عن مسائل الصفات، ولكن بالرجوع إلى كتبه الأخرى، نجد التأويل حاضراً لهذه الصفة في شرحه للأحاديث الواردة فيها إثبات صفة السمع، فإنَّه يؤول السمع بأحد أمرين، إمَّا أنَّ الله أجاب دعاءه، أو قَبِل منه.

يقول رحمه الله في الأول:"وقوله:((سمع الله لمن حمده)) أي: أجاب الله من حمده، وأنشد ابن الأعرابي:

دَعوتُ اللهَ حتَّى خِفْتُ ألَّا*****يكونَ اللهُ يسمعُ ما أَقولُ[4]

وقوله:((يسمع الله لكم)) أي: يستجيب"[1].

ويقول رحمه الله بالتأويل الثاني:"وفيه:((سمع الله لمن حمده)) أي: قَبِلَ"[2].

فبهذا يتضح موقف ابن الجوزي رحمه الله من إثبات صفة السمع، وتأويله لها؛ لما يلزم من إثباتها، تجدد الصفة لله عزَّ وجلَّ، وأنَّه سبحانه يكون قابلاً للحوادث كما يزعم، والله منزَّه عن الحوادث.

---

١. أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم، المزني المصري، تلميذ الشافعي. الإمام، العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد. السير (٤٩٢/١٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٩٣/٢).

٢. شرح السنة للمزني (٧٩). وأشار المحقِّقُ أنَّ هذه الزِّيادةُ هي موجودة في نسخة ج، حيث اعتمد على أربع نسخ في تحقيقه لهذه الرسالة وجعل نسخة (أ) هي الأصل، ولهذا لم يذكر هذه اللَّفظة في المتن، بل أشار إليها في الحاشية ، يُنظر: حاشية (١)، صفحة (٧٩).

٣. رسالة السجزي (١٨٦). وهذه اللَّفظة للإمام الذهبي رحمه الله موقفاً منها. ينظر: العلو للذهبي (١٧١-١٧٢)، والاعتقاد القادري للشيخ د.عبدالعزيز آل عبداللطيف، مجلة جامعة أم القرى، عدد (٣٩) صفحة (٢٥٥-٢٥٨).

٤. لشمير بن الحارث الضبي. يُنظر: ربيع الأبرار (٣٨٦/٢)، وخزانة الأدب (١٧٩/٥-١٨٠).

١. كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤٢٨/١). يُنظر: غريب الحديث له كذلك (٤٩٧/١).

٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٦٧/٣). يُنظر: غريب الحديث (٤٩٧/١).

ويقول في زاد المسير:"والسميع بمعنى: السامع، لكنَّه: أبلغ؛ لأنَّ بناء فعيل للمبالغة. قال الخطابي: ويكون السماع بمعنى القبول والإجابة. كقول النبي ﷺ:((أعوذ بك من دعاء لا يسمع)) أي: لا يستجاب. وقول المصلّي: سمع الله لمن حمده، أي: قَبِلَ الله حمدَ مَن حمِده. وأنشدوا:

دَعوتُ اللهَ حتَّى خِفْتُ ألَّا******يكونَ اللهُ يسمعُ ما أَقولُ"[1].

ومن الغريب أنَّ ابن الجوزي رحمه الله لم يتكلَّمْ عن الآيات التي تناولت إثبات الصفة لله عزَّ وجلَّ في تفسيره، كآية آل عمران، وآية مريم، والمجادلة، والتي فيها إثبات السمع صراحةً لله عزَّ وجلَّ.

ولم أجده يثبت صفة السمع، إلا في موطن واحد فقط، حيث يقول رحمه الله:"قوله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾النساء:١٤٨ أي: لما تجهرون به من سوء القول... وقيل: سميعاً لقول المظلوم"[2]، وتلاحظ هنا أنَّه يثبت سماع الله عزَّ وجلَّ، لكن قد يحمل كلامه هذا على كون السمع صفةً أزليَّةً غيرَ متجددة، وأنَّ اللهَ سمع هذا الكلام سماعاً أزليَّاً، وذلك بناءً على مذهبه من تنزه الباري عن تجدد الصفات، وبناءً على ما تقدَّم في أكثر من موضع من كتبه أنَّه يؤول السمع إمَّا بمعنى الإجابة، أو بمعنى القبول[3].

وصفة السمع ثابتة بالكتاب والسُّنَّة، قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ مريم:٤٢. يقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله:"أفليس من المحال يا ذوي الحجا، أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر:{ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر}، ويعيبه بعبادة ما لا يسمع، ولا يبصر، ثمَّ يدعوه إلى عبادة من لا يسمع، ولا يبصر، كالأصنام التي هي من الموتان، لا من الحيوان أيضاً؟"[1].

---

١. زاد المسير (١/١٤٤).

٢. زاد المسير (٢/٢٣٩).

٣. ذكر الشيخ أحمد الزهراني في كتابه: ابن الجوزي بين التأويل والتفويض، أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يثبت صفات المعاني السبعة، وهناك تعليق بالقلم "إجمالا"، وهذا القيد مهم حتى يخرج صفة السمع كما ذكرنا والله أعلم. يُنظر: ابن الجوزي بين التأويل والتفويض (١٠٧).

١. التوحيد لابن خزيمة (١/١٠٩).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾المجادلة:١، تقول عائشة رضي الله عنها:(تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة فكلمتْ رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفى علي بعضه)[١].

رابعاً: صفة العلم.

إنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن كيف يكون ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾الأنعام:٨٠، يعلمها قبل خلقها، علماً أزلياً، ويعلمها بعد خلقها وما هي عليه، علماً وجودياً يثيب ويعاقب عليه.

وقد تناول ابن الجوزي رحمه الله الحديث عن هذه الصفة، مثبتاً العلم الأزلي لله سبحانه وتعالى[٢].

أمَّا تجدد هذه الصفة، فإني لم أجد له نصَّاً صريحاً في ذلك، لا نفياً ولا إثباتاً، ولكن بالرجوع إلى كتبه رحمه الله، نجد فيه إشارات إلى تجدد صفة العلم سبحانه وتعالى.

يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾آل عمران:٢٩:"أي: ليعلم واقعاً منهم؛ لأنَّه عالم قبل ذلك، وإنما يجازي على ما وقع. وقال ابن عباس: معنى العلم هاهنا، الرؤية"[٣]. فقوله "ليعلم واقعاً منهم" أي: الآن، فهذا فيه دلالة واضحة، بأنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى أنَّ الله سبحانه يعلمه الآن بعلم جديد غير العلم السابق، وقوله"لأنَّه عالم قبل ذلك" إثبات للعلم الأزلي له سبحانه، ففرَّق رحمه الله بين العلمين.

ويقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ﴾التوبة:١٦:" أي: ولم تجاهدوا، فيعلم الله وجود ذلك منكم، وقد كان يعلم ذلك غيباً، فأراد إظهار ما علم، ليجازي على العمل"[١]. فقوله رحمه الله"فيعلم الله وجود ذلك منكم" معناه: أنَّ هذا الوجود حين وقع،

---

١. الحديث رواه البخاري معلَّقاً (١١٧/٩) والنسائي برقم: (٣٤٦٠)، وابن ماجه برقم: (١٨٨). وصحَّحه الحافظ ابن حجر رحمه الله في تغليق التعليق (٣٣٩/٥).

٢. ينظر: مبحث الإيمان بالقدر، مسألة العلم.

٣. زاد المسير (٤٦٧/١).

١. زاد المسير (٤٠٧/٣).

علمه الله سبحانه، ثمَّ قوله"وقد كان يعلم ذلك غيباً" يدل على الفرق بين علمه الأزلي، وعلمه الذي تجدد عند وجود ذلك منهم، وأنَّه مغاير للعلم السابق له سبحانه.

ومما يؤيد ذلك، ما ذكره في تذكرة الأريب، عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ ﴾آل عمران: ١٥٤حيث قال: "أي: يختبره بأعمالكم، فيعلمه شهادةً كما يعلمه غيباً"[١]، فهذا النَّص واضح في أنَّه أثبت لله علمين، الأول علم الشهادة، وهو العلم المتجدد لله عزَّ وجلَّ، والثاني علم الغيب، وهو العلم الأزلي له سبحانه وتعالى.

وقد يشكل على هذا، ما ذكره في شرحه كشف المشكل، لقوله ﷺ: ((بدا لله أن يبتليهم))[٢]، حيث يقول رحمه الله عن هذه الرواية: "وهو غلط؛ لأنَّ البداء على الله غير جائز"، فقد يفهم من هذا إنكاره لتجدد علم الله سبحانه، وهذا غير صحيح؛ لأنَّ نفيه هنا للعلم المسبوق بجهل، لا لتجدد علم الله سبحانه وتعالى.

وهذه المسألة، من المسائل الدقيقة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله، وهي هل ما علمه الله سبحانه أثناء وقوع المعلوم، هل هو عين ما علمه سبحانه وتعالى، أم هو معنى زائد[٣]؟.

للناس في هذه المسألة قولان:

القول الأول: إنَّ الله يعلم المعلومات بعلمه السابق الأزلي، ولا يتجدَّد لله سبحانه عن وجود المعلوم نعتٌ ولا صفةٌ. وهذا قول الأشاعرة[١] نفاة الصِّفات الاختياريَّة[٢].

القول الثاني: أنَّ الله يعلم الأمورَ الغيبيَّة قبل حدوثها، ويعلمها حين حدوثها بعلم جديد غير العلم الأول، وأنَّ علمه الأول ليس هو علمه الثاني، وهذا قول أئمة السلف، وهو ما دلَّ عليه الكتاب والسنَّة، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن

---

١. تذكرة الأريب (١/١٠١).

٢. رواه البخاري برقم: (٣٤٦٤).

٣. يُنظر: درء التعارض (٩/٣٩٧).

الأشاعرة: هم: أتباع أبي الحسن الأشعري على ما كان عليه قبل أن يرجع إلى معتقد أهل السنة، وهم في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا سبعا، ويؤولون بقيَّة الصفات بتأويلات عقلية، بالرغم من ورود النصوص فيها من الكتاب والسنة، على الرغم من أن أبا الحسن الأشعري رجع إلى معتقد أهل السنة – كما بين في كتاب الإبانة – إلا أن اعتقاده الأول لا يزال متبوعا. الملل والنحل (١/٩٤)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة(١/٤٣٥).

٢. يُنظر: شرح السنوسي (١٣٠).

﴿يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾البقرة:١٤٣ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"ولهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل: {إلا لنعلم}: إلا لنرى؛ وذلك أنَّ الرؤية إنَّما تتعلق بالموجود، والعلم أعمُّ من الرؤية، فإنَّه يتعلق بالمعدوم والموجود"[1].

ويقول ﷺ: ((إنَّ الدنيا حلوة خضرة، وإنَّ الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون))[2].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾البقرة:١٤٣،وقوله: ﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾الكهف:١٢ونحو ذلك، فهذا هو العلم الذي يتعلق بالمعلوم بعد وجوده، وهو العلم الذي يترتب عليه المدح والذم، والثواب والعقاب، والأول هو العلم بأنه سيكون. ومجرد ذلك العلم لا يترتب عليه مدح ولا ذم، ولا ثواب ولا عقاب، فإن هذا إنما يكون بعد وجود الأفعال. وقد رُوي عن ابن عباس أنَّه قال في هذا: لنري. وكذلك المفسرون قالوا: لنعلمه موجوداً بعد أن كنَّا نعلم أنَّه سيكون.

وهذا المتجدِّدُ فيه قولان مشهوران للنظار:

١. منهم من يقول: المتجدِّد هو نسبةٌ وإضافةٌ بين العلم والمعلوم فقط، وتلك نسبة عدميَّة.

٢. ومنهم من يقول بل المتجدِّدُ علمٌ بكونِ الشيءِ ووجودِه، وهذا العلمُ غير العلم بأنَّه سيكون، كما في قوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ التوبة:١٠٥ فقد أخبر بتجدُّدِ الرُّؤية...وعامَّةُ السلف وأئمة السُّنَّة والحديث، على أنَّ المتجدِّد أمرٌ ثبوتي كما دلَّ عليه النَّص"[1].

وبهذا يتبيَّن كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله وافق أئمةَ السلف في هذه الصِّفة، وأثبتَ لله علماً متجدِّداً غير العلم الأزلي، علماً يليق بجلاله وكماله، من غير تكييف ولا تمثيل.

خامساً: صفة الرحمة.

---

١. تفسير ابن كثير (٢٦٣/٦).

٢. رواه مسلم برقم: (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

١. مجموع الفتاوى (٤٩٦/٨-٤٩٧).

إنَّ صفة الرحمة، من الصفات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بل إنَّها من أكثر الصِّفات الواردة على لسان المسلم في يومه وليلته، فما من عبادة إلا وهي فيها البسملة المشتملة على ذكر صفة الرحمة.

وقد تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله على هذه الصفة، مؤولاً معناها بأنَّ المراد بها هو إرسال الله رسله، وإمهال المذنبين، يقول رحمه الله:"واعلم أنَّ رحمة الله عزَّ وجلَّ ليست رقَّة، وإنما حثَّهم بما يفهمون. فمن عموم رحمته إرسال الرسل، وإمهال المذنبين"[1]. وفي شرحه لحديث((إنَّ لله مئةَ رحمةٍ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنِّ والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعطافون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على أولادها، وأخَّرَ تسعاً وتسعين رحمةً يرحمُ بها عبادَه يوم القيامة))[2]يقول رحمه الله:"اعلم أنَّ رحمة الله عزَّ وجلَّ، صفة من صفات ذاته، وليست على معنى الرِّقة كما في صفات بني آدم، وإنما ضرب مثلا بما يعقل من ذكر الأجزاء أو رحمة المخلوقين، والمراد أنه أرحم الراحمين"[3]. فمن خلال هذا النَّص يتبيَّن أمران:

الأمر الأول: جعله صفة الرحمة من الصفات الذاتية، بمعنى أنَّها صفة أزليَّة لا تتعلَّق بمشيئته سبحانه، وذلك حتى ينفي عن الله عزَّ وجلَّ حلول الحوادث به. فقوله رحمه الله بأن الرحمة صفة من صفات ذاته، يدل دلالة واضحة على أنها غير متجددة، بحيث إنها قائمة بالذات، قديمة غير متجددة.

الأمر الثاني: السبب الذي جعله يردُّ هذه الصفة، هو مشابهتها لمعنى الرِّقة عند بني آدم، وأنَّ النبي ﷺ ضرب هذا العدد المائة، وأنه أنزل رحمة بين خلقه يتراحمون بها، وذلك حتى يفهم المعنى كما يقول. والسبب الذي جعله يفسِّر الرحمة بإرسال الرسل، وإمهال المذنبين، هو فهمه بأنَّ الرحمة لو أضفناها إلى الله، لزم وصف الله بشئ من لوازم الرحمة التي هي مضافة للمخلوقين، وهي صفة الرقة، وهذا خطأ؛ لأنَّ هذه الرحمة التي تليق بالمخلوق، بخلاف ما يضاف للخالق سبحانه، ولهذا له كلام جميل في إثبات الفرق بين رحمة الله ورحمة خلقه، فيقول:"واعلم أن جمهور العصاة اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، ونسوا أنه شديد العقاب، وظنوا أن رحمة الله من جنس الرقة فقاسوها برحمة الخلق، والآدمي إذا رأى عدوَّه

---

١. كشف المشاكل (٩٤/١).

٢. تقدَّم تخريجه صفحة (١٩٩).

٣. كشف المشكل (٣٣٠/٣-٣٣١).

يعذِّب رقَّ له، ورحمةُ الله ليست مِن هذا الجنس"[1]. فليته ذكر ما ذكر وتوقَّف عند هذا، ولكنه رحمه الله أوَّلها كما تقدَّم من أنَّ المراد بالرحمة هو إرسال المرسلين، وإمهال المذنبين، وهذه من آثار رحمته، لا الرحمة التي هي صفته سبحانه.

والصواب في ذلك، أنَّ لله رحمةً تليق به سبحانه، كما أنَّ للعبد رحمة تليق به، وذلك كصفة الوجود، فالله موجود، والعبد موجود، ولكنَّ ليس وجود الله كوجود العبد.

أضف إلى أنَّ حديث((خلق الله مائة رحمة...))، ليس فيه إثباتُ صفة الرَّحمة لله عزَّ وجلَّ، بل الحديث هو من باب إضافة المفعول إلى فاعله، والمخلوق إلى خالقه، وليست من باب إضافة الموصوف إلى صفته[2].

ولهذا فإنَّ الصحيح من ذلك ما ذهب إليه أهل السنة من أنَّ الرحمة صفة من صفات الله عزَّ وجلَّ، تليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأمَّا اللوازم التي ذكرها رحمه الله من صفات المخلوقين، فهذا قياس فاسد، وهذه اللوازم غير لازمة لصفاته سبحانه وتعالى؛ لأنَّه ليس كمثله شيء سبحانه.

وصفة الرحمة ثابتة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، يقول الله تعالى:﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾الأنعام:٥٤، ويقول تعالى﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾الإسراء:١١٠.

يقول ابن الوزير رحمه الله[1]:"ولو كانت الرحمةُ له مجازاً، ولغيره حقيقةً، كان العكس أوجب وأولى. وما المانع للمسلم من إثباتها صفة حمداً ومدحاً وثناءً، كما علَّمنا ربنا مع نفي صفات النقص المتعلقة برحمة المخلوقين عنه تعالى"[2].

---

١. المقلق (٢٩).

٢. يُنظر: بدائع الفوائد (٦٧٦/٢).

١. محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي أبي طالب. الإمام المجتهد، صاحب كتاب العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم. توفي سنة ٨٤٠هـ. البدر الطالع (٨١/٢)، الأعلام (٣٠٠/٥).

٢. إيثار الحق على الخلق (١٣٥).

ويقول ابن القيم رحمه الله على من يتأوَّلُ رحمةَ الله سبحانه وتعالى بأنَّها رقة في القلب:"قولهم:(الرحمة رقة القلب) تريدون رحمة المخلوق، أم رحمة الخالق، أم كل ما سمي رحمة، شاهداً أو غائباً؟ فإن قلتم بالأول صدقتم ولم ينفعكم ذلك شيئا، وإن قلتم بالثاني والثالث كنتم قائلين غيرَ الحقِّ، فإنَّ الرَّحمة صفة الرحيم وهي في كل موصوف بحسبه، فإنَّ كان الموصوف حيوانا له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه، وإن كان ملكا فرحمته تناسب ذاته، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة، لم يلزم أن تكون رحمته من جنس المخلوق لمخلوق"[1].

سادساً: صفة المجيء والإتيان

تكلَّم الإمام ابن الجوزي رحمه الله عن صفة المجيء والإتيان لله عزَّ وجلَّ، وبما أنَّه يُنكر تجددَ الصفات لله سبحانه وتعالى، فمن المسلَّم عنده إنكاره لهذه الصفة. بل إنَّه صرَّح في كلامه عن هذه الصفة، أنَّ الله يستحيل عليه الحركة والنُّقلة والتغيير، وأنَّه لا يجوز أن يحدث لله صفة كما يقول.

ويستند في تأويله لهذه الصِّفة، ما ينقله عن الإمام أحمد رحمه الله، من أنَّ المراد بالإتيان هو إتيان أمره سبحانه.

يقول ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ البقرة:٢١٠:"إنَّ جماعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا. وقد ذكر القاضي أبويعلى[1] عن أحمد أنَّه قال:المراد به: قدرته وأمره. قال وقد بينه في قوله تعالى:{أو يأتي أمر ربك}"[2].

فهو يرى أنَّ جماعة من السلف أمسكوا عن الكلام في مثل هذه الصفات، وأمروَّها بدون تفسير كما يقول، وأنَّ الإمام أحمد رحمه الله أوَّلها إلى إتيان أمره وقدرته، ناقلاً ذلك عن القاضي أبي يعلى رحمة الله عليه.

---

١. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٣٦٣).

١. محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء. شيخ الحنابلة، وممهد مذهبهم في الفروع. توفي سنة ٤٥٨هـ. السير (٨٩/١٨)، والبداية والنهاية (١٠/١٦).

٢. زاد المسير (٢٢٥/١).

وفي موطن آخر ينقل قول الحسن بأنَّ المراد بالإتيان، إتيان أمره سبحانه، ثمَّ ينقل عن الزجاج قوله:"وقال الزجاج: أو يأتي إهلاكه وانتقامه، إما بعذاب عاجل، أو بالقيامة"[1].

ثمَّ هو يؤيد ما ذهب إليه من الإمساك عن الكلام في مثل هذا، ماذكره الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله في جامعه، بعد أنَّ ساق حديث:((من تقرَّب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً))[2]، من أنَّ المراد بذلك المغفرة والرحمة وبهذا فسَّره الأعمش[3] وبعض أهل العلم[4].

يقول ابن الجوزي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:"ومن المستحيل عليه الحركة والنُّقلة والتغيّر، فيبقى ما ورد في هذا، فالناس فيه قائلان:

أحدهما: الساكت عن الكلام فيه، وقد حكى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عينية وعبدالله بن المبارك، أنَّهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف، فهذه كانت طريقةَ عامَّة السلف.

والثاني: المتأوّل، فهو يحملها على ماتوجبُه سعة اللغة، لعلمه بأنَّ ما يتضمنه النزول من الحركة مستحيل على الله سبحانه وتعالى، وقد قال الإمام أحمد:﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾الفجر:٢٢ أي: جاء أمره"[5].

وبهذا يتضح موقف ابن الجوزي رحمه الله من هذه الصفة، إمَّا السكوت عنها، وإمرارها من غير تفسير لها، وإمَّا أن تؤولَ على ما تحتمله سعة اللُّغة. وهذا طبعاً تماشياً مع منهجه في عدم قيام الصفات الاختيارية بالله سبحانه وتعالى، ووجد لذلك مسوِّغاً، وهو ما روي عن الإمام أحمد رحمه الله، وكذلك ما ذكره الإمام الترمذي رحمه الله عن أئمة السلف.

---

١. زاد المسير (١٥٦/٣).

٢. رواه البخاري برقم: (٧٤٠٥)، ومسلم برقم: (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣. أبو محمد سليمان بن مهران الكاهلي الأسدي، الكاهلي مولاهم، الكوفي. الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين. رأى أنس بن مالك وحكى عنه. توفي سنة ١٤٧هـ. السير (٢٢٦/٦)، الأعلام (١٣٥/٣).

٤. يُنظر: كشف المشكل (٢٨٠/٣).

٥. كشف المشكل (٣٧٩/٣).

وما احتجَّ به رحمه الله ممَّا هو منقولٌ عن الإمام أحمد رحمه الله، هي من رواية حنبل بن إسحاق[1] رحمه الله[2]، فقد روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السمَّاك عن حنبل، أنَّ أحمدَ بن حنبل تأوَّل قول الله تعالى﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾الفجر:٢٢أنَّه جاء ثوابُه. قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه[3].

وهذه الرِّواية تكلَّم العلماءُ عليها بشكلٍ خاص، وعن مفردات حنبل بن إسحاق بشكلٍ عام.

يقول عنه الحافظ الذهبي رحمه الله:"له مسائل كثيرة عن أحمد، ويتفرد ويُغْرِب"[4].

ويقول أبو إسحاق بن شاقلا رحمه الله[5] عن هذه الرواية:"هذا غلط من حنبل لاشكَّ فيه"[6].

فهذا وجه من الردِّ على هذه الرواية، وهناك وجهٌ آخر، وهو أنَّ حنبلَ نفسَه نقل عن الإمام أحمد رواياتٍ في إثباته للصِّفات الفعليَّة، يقول حنبل بن إسحاق: قلتُ لأبي عبدالله: ينزل الله عزَّ وجلَّ إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم. قلتُ: نزوله بعلمه أم بماذا؟ فقال: اسكت عن هذا. وغضب وقال: مالك ولهذا؟ امضِ الحديث على ما روي[1].

وكذلك يُجاب بأنَّ المشهورَ عن الإمام أحمد في الصِّفات عدم تأويلها، وأنَّه ينكر من يتأوَّلُ الصفات أو يردَّها، وهذا معروف متواتر عنه[2]. وبهذا أنكر على ابن الجوزي إسحاقُ العلثي رحمهما الله في رسالته التي وجهها له، حيث يقول رحمه الله:"وإذا تأوَّلتَ الصفاتِ عَلَى اللغة، وسوغته لنفسك، وأبيتَ النَّصيحة، فليس هُوَ مذهب الإمام الكبير أَحْمَد بْن حنبل

---

١. حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني. ابن عم الإمام أحمد رحمه الله وتلميذه.توفي سنة ٢٧٣هـ. طبقات الحنابلة (١/١٤٣)، السير (١٣/٥١).

٢. يُنظر: الاستقامة لابن تيمية (١/٧٤)، وشرح حديث النزول (٢٠٥-٢٠٧).

٣. البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٣٨٦).

٤. سير أعلام النبلاء (١٢/٥٢).

٥. إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا أبو إسحاق البزار. كثير الرواية، حسن الكلام في الأصول والفروع. توفي سنة ٣٦٩هـ. طبقات الحنابلة (٢/١٢٨)، والسير (١٦/٢٩٢).

٦. إبطال التأويلات (١/١٣٢). يُنظر: الاستقامة لابن تيمية (١/٧٥).

١. شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٥٣).

٢. يُنظر: شرح حديث النزول (٢٠٩).

قدَّس اللَّه روحه، فلا يُمكنُكَ الانتساب إليه بهذا، فاختر لنفسك مذهباً، إن مكنت من ذلك"[1]. ولهذا ابن الجوزي لم يذكره مذهباً للإمام أحمد رحمه الله، بل نقل عنه التأويل فقط، لعلمه أنَّه ليس مذهباً للإمام أحمد رحمه الله،وإنما ذكره في محاولة منه لتقوية ما ذهب إليه من التأويل، وأنَّ ذلك جائز لا إشكال فيه والله أعلم.

وعلى كلٍّ فما استدلَّ به ابن الجوزي رحمه الله من تأويل النصوص، بما ورد عن الإمام أحمد رحمه الله، لا مستند له بذلك. وإن كان هذا ثابت عن الإمام أحمد رحمه الله، فلتقتصر على صفة المجيء والإتيان، ولكن ابن الجوزي رحمه الله عدَّاها إلى غيرها من الصفات، يقول ابن تيمية رحمه الله:"وقال قوم، منهم ابن عقيل وابن الجوزي: بل يتعدَّى الحكم من هذه الصفة إلى سائر الصفات التي تخالف ظاهرها، للدليل الموجب لمخالفة الظاهر"[2]. والدليل الموجب كما تقدَّم هو استحالة الحركة والتنقل والتغير على الله عزَّ وجلّ.

وأما المستند الثاني الذي استند عليه ابن الجوزي رحمه الله في تأويله لصفة المجيء، هو ما ذكره عن الإمام الترمذي رحمه الله في نقله عن أئمة السلف في تأويل حديث:((من تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبتُ إليه ذراعاً))[3]، حيث يقول الترمذي رحمه الله:"ويُروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث: من تقرَّبَ منِّي شبراً تقربتُ منه ذراعاً، يعني: بالمغفرة والرحمة. وهكذا فسَّر بعضُ أهل العلم هذا الحديث: قالوا: إنَّما معناه، يقول: إذا تقرَّبَ إليَّ العبدُ بطاعتي، وبما أمرتُ، تُسارِعُ إليه مغفرتي ورحمتي"[1].

فأقول لا مستند للإمام ابن الجوزي رحمه الله في ذلك؛ وذلك لأنَّ سياقَ الحديثِ يمنعُه، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"ولا ريب أنَّ الله تعالى جَعَلَ تقرُّبَه من عبده جزاءً لتقرُّبِ عبدِه إليه؛ لأنَّ الثوابَ أبداً من جنس العمل...وإذا كان كذلك، فظاهرُ الخطاب أنَّ أحدَ التقريرين من جنسِ الآخر، وكلاهما مذكورٌ بلفظِ المساحة.

فيقال: لا يخلو إمَّا أن يكونَ ظاهرُ اللَّفظ في تقرُّبِ العبدِ إلى ربِّه وهو تقرُّبٌ بالمساحة المذكورة أو لا يكون.

---

١. ذيل طبقات الحنابلة (٤٥٢/٣).

٢. الاستقامة (٧٦/١).

٣. تقدَّم تخريجه صفحة (٢٣٩).

١. جامع الترمذي (٥٨١/٥).

فإن كان ذلك هو ظاهرُ ذلك اللفظ، فإمَّا أن يكونَ ممكناً، أو لا يكون، فإن كان ممكناً، فالآخر أيضاً ممكن، ولا يكون في ذلك مخالفة للظاهر.

وإن لم يكن ممكناً فمن أظهر الأشياء للإنسان علمه بنفسه وسعيه.

فيكون قد ظهر للمخاطب معنى قربه بنفسه، وقد علم أن قرب ربِّه إليه من جنس ذلك، فيكون الآخر أيضاً ظاهراً في الخطاب، فلا يكون ظاهرُ الخطاب هو المعنى الممتنع، بل ظاهرُه هو المعنى الحق.

ومن المعلوم أنَّه ليس ظاهرُ الخطاب أنَّ العبدَ يتقرَّب إلى الله بحركةِ بدنِه شبراً وذراعاً ومشياً وهرولةً.

لكن قد يقال عدم ظهور هذا، هو القرينة الحسية العقلية، وهو أنَّ العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه"[1].

فبهذا يتضح أنَّ المرادَ من قرب الله عزَّ وجلَّ للعبد، هو قربُه بمغفرته ورحمته واجتبائه، لا القربَ الذي هو المساحة.

وبهذا يتضح أنَّ ما استند عليه الإمام ابن الجوزي رحمه الله من تأويل الصفات على ما ذكره الإمام الترمذي رحمه الله، غير صحيح، وأنَّ الحديث يدل بظاهره على ما ذكره الترمذي عن أئمة السلف كالأعمش وغيره رحمة الله على الجميع.

سابعاً: صفة المكر والكيد

سأتناول في هذه المسألة، الكلام على صفات المكر والكيد الواردة في القرآن الكريم، وما شاكلها من الصفات نحو: الاستهزاء والسخرية.

هذه الصفات من الصفات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والمتأمِّل للسياق القرآني في ذكره لهذه الصفات، يجدها ترد مقيَّدةً، لا مطلقةً، كقوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾الأنفال: ٣٠، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ الطارق: ١٥-١٦ ولهذا لم يرد وصفه سبحانه بهذه الصفات مطلقاً، بل لا ترد إلا مقيَّدةً، كما جاء به القرآن الكريم.

وقد تعرَّض ابن الجوزي رحمه الله للكلام عن هذه الصفات مؤولاً معناه؛ لأمرين:

---

١. بيان تلبيس الجهمية (٦/١٠١-١٠٣). ويُنظر أيضاً نفس المصدر (٦/٥٨-٥٩).

١. أنَّها من الصفات الفعلية. وأنَّه يلزم من إثباتها أن يكون الله محلاً للحوادث، وهو سبحانه منزَّه عن ذلك.

٢. أنَّها من الصفات التي تدل على معانٍ غير لائقة بالله عزَّ وجلَّ، يقول رحمه الله عند كلامه على قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾آل عمران:٥٤ :"قال الزجاج: المكر من الخلق: خبث وخداع، ومن الله عز وجل: المجازاة، فسمي باسم ذلك؛ لأنَّه مجازاة عليه، كقوله تعالى: الله يستهزئ بهم والله خير الماكرين؛ لأنَّ مَكْرَه مجازاة، ونصر للمؤمنين"[١]، فنرى كيف جعل مكره سبحانه، هو مجازاة الكفار ونصر المؤمنين.

ولهذا نجده يتأول جميع الآيات الواردة في القرآن الكريم الدالة على هذا النوع من الصفات، بنفس هذا التأويل، يقول رحمه الله:"﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾البقرة:١٥أي: يجازيهم على استهزائهم"[٢]، ويقول في كتابه نواسخ القرآن في قوله تعالى:﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾القلم:٤٥ :"قال المفسرون: المراد بكيده، مجازاة أهل الكيد"[٣]، وفي كتابه المنتظم يحكي قول ابن الراوندي ويرد عليه، فيقول رحمه الله:"قالَ: ونراه يفتخر بالمكر والخداع، وهذا المسكين الملعون قد نسب المعنى إلى الافتخار، ولا يفهم أنَّ معنى مكره جزاء الماكرين"[١].

ويقول في قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾يونس:٢١ :"أي: جزاء على المكر"[٢].

فمن خلال ما تقدَّم، يتبين موقفه رحمه الله من هذه المسألة، وأنَّه يؤولها كغيرها من الصفات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنَّ المراد بها مجازاة أعداء الله. والذي عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين إثبات الصفات لله سبحانه على ما يليق بجلاله.

وأمَّا ما ذكره رحمه الله عن الزجاج من أنَّ المكر من المخلوقين معناه الخداع والخبث، فهذا غير صحيح؛ لأنَّ المكر ليس معناه في اللغة هذا المعنى السلبي، يقول ابن منظور عن

---

١. زاد المسير (١/٣٩٥).
٢. تذكرة الأريب (١/٥٢).
٣. نواسخ القرآن (٣٣٩). يُنظر: زاد المسير (٣/٣٩٥).
١. المنتظم (١٣/١١٤).
٢. تذكرة الأريب (٢٣٣).

المكر:"احتيال في خُفْية"[1]، فهو احتيال من الشخص، بغض النظر عن نوع الاحتيال، هل هو في شر أو خير.

يقول الشيخ عبدالرحمن حبنكة الميداني رحمه الله:"بحثنا عن المعنى الأصلي اللغوي للمكر فوجدنا أنَّه تدبير أمرٍ في خفاء، ومعلومٌ بداهةً أنَّ ما يدبّر في الخفاء لا يلزم منه أن يكون شرَّاً، بل قد يكون خيراً.

ثمَّ اكتسب المكر في تصورات العامَّة أو في العرف العام بعد ذلك صورة قبيحة مستهجنة، تخصيصاًمنهم للمكر في تدبير ما هو شر.

وسيطر هذا المعنى الجديد على أفكار بعض المفسرين، فوجدوا إشكالاً في نسبة المكر إلى الله، فلجأوا إلى تأويل ذلك بأنَّه من باب المشاكلة. ولو أنَّهم أبعدوا عن تصوّرهم هذا المفهوم المستحدث، ورجعوا إلى أصل المعنى اللغوي، لظهر لهم أنَّ (المكر) الذي هو تدبير أمر في خفاءٍ قد يكون مكراً في الخير، وقد يكون مكراً في الشرِّ، وجانب الخير منه لا ينافي الكمال بل هو من عناصره، إنَّ الحاكم العادل يمكر ومكره لا يكون إلا في الخير، إنَّه يمكر بالمجرمين حتى تقبض عليهم يد العدالة، والمسلم الملتزم بإسلامه يمكر، ومكره يكون في الخير ومرضاة الله تعالى. والله جلَّ وعلا يمكر وهو خير الماكرين"[2].

فمن خلال هذا، يتبين لنا الخلل الذي وقع فيه من أوَّل هذه الصفة، ظانا أنَّها لا تدل إلا على المعنى المذموم، وبهذا فهم ابن الراوندي، وبهذا الفهم فهم ابن الجوزي رحمه الله أيضاً، ولهذا ردَّ ابن الجوزي رحمه الله على ابن الراوندي بأنَّ المكر المراد به هو مجازاة الله لأعدائه.

ولأنَّ هذه الصفات، تشتمل على نوعين من المعاني، المدح والذم، فلا يجوز اتصاف الباري بها مطلقاً، بل يوصف بها كما وردت في القرآن الكريم مقيَّدةً، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ المكر، والاستهزاء، والسخرية المضاف إلى الله، وزعموا أنَّه مسمَّى باسم ما يقابله على طريق المجاز، وليس كذلك بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة، كانت ظلماً له، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني

---

١. لسان العرب (١٨٣/٥).

٢. قواعد التدبر القرآني (٤٥٤-٤٥٥).

عليه عقوبة له بمثل فعله، كانت عدلاً كما قال تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ يوسف:٧٦ ، فكاد له كما كادت إخوته"[١].

ثامناً: رؤية الله.

إنَّ النَّاظر لكلام ابن الجوزي رحمه الله، يرى بوضوح أنَّه ممن يثبت رؤية الله عز وجل، بل يرد على المعتزلة في نفيهم للرؤية.

يقول رحمه الله:"ورؤية الله عز وجل حقٌّ لا شكَّ فيها، والأحاديث فيها صحاح، قد ذكرتُ جملة منها في المغني والحدائق"[٢].

ويقول رحمه الله في إقراره للرؤية:"وقوله:((سترون ربكم عيانا))[٣] ذكر العيان تأكيد للرؤية وتحقيق لها"[٤].

ويقول في قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾يونس:٢٦:"وفي الزيادة ستة أقوال:

أحدهما: أنها النظر إلى الله عز وجل. روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب عن النبي ﷺ أنه قال:((الزيادة: النَّظرُ إلى وجهِ الله عزَّ وجلَّ))[١]. وبهذا القول، قال أبو بكر الصديق، وأبو موسى الأشعري، وحذيفة، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، والسدي، ومقاتل"[٢]. ورجَّح هذا القول في كتابه تذكرة الأريب، ولم يذكر غيره[٣].

---

١. مجموع الفتاوى (١١١/٧).

٢. زاد المسير (٤٢٢/٨-٤٢٣). يُنظر الحدائق (٥٤٢/٣-٥٤٣)، والمغني لم يطبع.

٣. تقدَّم صفحة (١٠١).

٤. كشف المشكل (٤٣٠/١).

١. تقدم صفحة (١٠٢).

٢. زاد المسير (٢٤/٤).

٣. يُنظر: تذكرة الأريب (٢٣٤/١).

ويقول في قوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ الأنعام:١٠٣مبيِّناً مذهب أهل السنَّة والحديث:"وقال الزجاج: معنى الآية: الإحاطة بحقيقته[1]،وليس فيها دفعٌ للرؤية؛ لما صحَّ عن رسول الله ﷺ من الرؤية. وهذا مذهب أهل السنَّة والعلم والحديث"[2].

ثمَّ هو يرد على نفاه الرؤية من المعتزلة، وذلك باستدلالهم بقوله تعالى لموسى عليه السلام:﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾الأعراف:١٤٣، فيقول:"قوله تعالى:﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ الأعراف:١٤٣تعلَّق بهذا نفاة الرؤية، وقالوا:[لن] لنفي الأبد، وذلك غلط؛ لأنَّها قد وردتْ، وليس المراد بها الأبد في قوله:﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾البقرة:٩٥، ثمَّ أخبر عنهم بتمنِّيه في النَّار بقوله:﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾الزخرف:٧٧. ولأنَّ ابن عباس قال في تفسيرها: لن تراني في الدنيا. وقال غيره: هذا جواب لقول موسى:{أرني} ولم يرد: أرني في الآخرة. وإنَّما أراد في الدنيا، فأجيب عمَّا سأل... وفي هذه الآية دلالةٌ على جواز الرؤية؛ لأنَّ موسى مع علمه بالله تعالى سألها، ولو كانت مما يستحيل، لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك؛ لأنَّ معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأنَّ الله تعالى لم ينكر عليه المسألةَ، وإنَّما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: لا أُرى. ألا ترى أنَّ نوحا لـمَّا قال:﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾هود:٤٥ أنكر عليه بقوله:﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ هود:٤٦. ومما يدلُّ على جواز الرؤية، أنَّه علَّقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدلَّ على أنَّها جائزة. ألا ترى أنَّ دخول الكفار الجنَّة لما استحال، علَّقه بمستحيل فقال: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾الأعراف:٤٠"[1].

فهذا ردُّه رحمه الله لمن يستدل بالآية على نفي الرؤية، بل كما ترى قلب الدليل عليهم، فاستدلَّ بالآية التي استدلوا بها، وذكر أنَّه لو كانت الرؤية ممتنعة، لما سألها موسى عليه

---

١. المراد بحقيقة الله، وهذا ليس هو المراد هنا، إنَّما المراد الإحاطة بحقيقة رؤيته، ولهذا حينما نقل هذا النص في كشف المشكل قال:" والإحاطة بحقيقة الرؤية" (٣٦٢/٤) وهذا هو الصواب والله أعلم.

٢. زاد المسير (٩٨/٣).

١. زاد المسير (٢٥٦/٣).

السلام، ولو تنزلنا وقلنا: إن موسى عليه السلام سأله ما لا علم له به، لعاتبه الله سبحانه كما عاتب نبيه نوح عليه السلام من قبل.

وأمَّا استدلال نفاة الرؤية بالجهة، وأنَّ إثباتِ الرؤية يستلزم منه إثباتِ الجهة لله عزَّ وجلَّ، وإثباتُها منتفٍ عنه سبحانه، فيقول رحمه الله تعالى عن المعتزلة:"ثم يتصاعدون إلى الكلام في صفات الخالق، فيدفعون ما صحَّ عن رسول الله ﷺ بواقعاتهم. فيقول المعتزلة: إن الله لا يرى؛ لأنَّ المرئي يكون في جهة. ويخالفون قول رسول الله ﷺ:((إنكم ترون ربَّكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته))[1]فأوجب هذا الحديث إيثارَ رؤيته، وإن عجزنا عن فهم كيفيتها"[2].

وبعد هذا التقرير، والرد على المانعين للرؤية، هل يثبت ابن الجوزي رحمه الله الرؤية على منهج أهل السنة والجماعة؟

والذي يتبيَّن لي -والله أعلم- أنَّه لا يثبتها بما هو معروف عند أهل السنة والجماعة؛ وذلك لأمرين:

الأول: أنَّه ذكر تأويلاً في الرؤية لم أجد أحداً ذكره. حيث أثبت الرؤية بالمثال، لا بالمثل كما يقول رحمه الله، بمعنى أن المؤمنين لا يرون ربَّهم خالقهم، وإنما يرون مثالاً يمثله لهم الله عزَّ وجلَّ.

يقول رحمه الله:"فإن قيل: فما تقولون في رؤية الحق سبحانه؟ نقول: يرى مثالاً لا مثلا، والمثال لا يفتقر إلى المساواه أو المشابهة، كما قال تعالى:﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾الرعد:١٧فضربه مثلا للقرآن، وانتفاع الخلق به. ويوضح هذا، أنه يرى من رأى الحق سبحانه تعالى على هيئة مخصوصة، والحق سبحانه وتعالى منزَّه، قد توحَّد، فوضح ما قلنا"[1].

فمن خلال هذا النَّص، يتبيَّن لنا موقف ابن الجوزي رحمه الله في الرؤية، وهو أنَّ المؤمنين لا يرون ربهم، وإنما يرون مثالا له سبحانه وتعالى كما يقول رحمه الله.

---

١. رواه البخاري برقم: (٥٥٤)، ومسلم برقم: (٦٣٣) من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه.

٢. صيد الخاطر (٦١٨).

١. صيد الخاطر (٤٤٢).

ومما يبين رأي ابن الجوزي رحمه الله في مراده، هو أنَّ نبيِّن الفرق بين المثل والمثال.

المثل والمثال قد يأتيان بمعنى واحد، يقول ابن فارس رحمه الله:"والمثل والمثال في معنى"[1].

ويقول الفيومي رحمه الله:"و(المثال) بالكسر، اسم من ماثله مماثلة، إذا شابهه. وقد استعمل الناس (المثال) بمعنى الوصف والصورة، فقالوا: مثاله كذا، أي وصفه وصورته"[2].

يقول الغزالي رحمه الله:"فالمثل عبارة عن المساوي في جميع الصفات، والمثال لا يحتاج فيه إلى المساواة"[3].

وهنا إشكال، وهو كيف ابن الجوزي رحمه الله أثبت المثل لله عزَّ وجلَّ، والله ينفي عن نفسه المثل بقوله جلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾الشورى:١١؟

ولسائلٍ أن يسأل ابن الجوزي، ما الدليل على أنَّ المؤمنين يرون مثالاً لا مثلاً؟ فهذا من الأمور الغيبية التي لا تُعلم إلا بنصٍّ من الكتاب أو السنَّة، ولا دليل على ذلك. والسبب في ذلك هو البعد عن منهج السلف، فهذا التخبط، وهذه الأقوال الشاذة، هو نتاج عدم الوقوف على ما وقف القوم عليه، كما قال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله:"قف حيث وقف القوم، فإنَّهم عن علمٍ وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولَهُمْ على كشفِها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورَغِبَ عن سنَّتِهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلَّموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر. لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنَّهم فيما بين ذلك لعَلَى هدى مستقيم"[4].

الثاني: تأويله للحجاب الوارد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

يقول رحمه الله:"وأمَّا الحجاب فينبغي أن يعلم أنَّه حجابُ المخلوق عنه؛ لأنَّه لا يجوز أن يكون محجوباً؛ لأنَّ الحجاب يكون أكبر مما يستره، ويستحيل عليه سبحانه أن يكون جسماً، أو جوهراً، أو متناهياً محاذياً، إذ جميع ذلك من علامات الحدث"[1].

---

١. معجم مقاييس اللغة (٢٩٦/٥).

٢. المصباح المنير (٥٦٤/٢).

٣. المضنون به على غير أهله (٦-٧). يُنظر: حاشية إدرار الشروق(٤٢١/٤).

٤. ذكره الموفق ابن قدامة في لمعة الاعتقاد (٩).

١. كشف المشكل (٤٢٤/١).

ويقول أيضاً في قوله ﷺ:((وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنَّة عدن))[١]:"ورداء الكبرياء، ما له من الكبر والعظمة"[٢]. فهذا تأويل لحجاب الكبرياء الذي نصَّ أنَّه يكشفه سبحانه عن وجهه، بالكبر والعظمة. وهذا باطل من عدَّة أوجه:

الوجه الأول: أنَّ كشف الشيء إزالته ورفعه، لا أنَّ المراد منه ما يدل على العظمة.

الوجه الثاني: أنَّه أثبت رداء الكبرياء على وجهه سبحانه.

الوجه الثالث: منعه للحجاب باعتبار أنه يكون أكبر مما يستره، فهذا يصح في حال المخلوقين، بخلاف الخالق سبحانه وتعالى الذي ليس كمثله شيء.

الوجه الرابع: أنَّ الحجاب ورد في غير آية وأثر، يقول الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾المطففين:١٥ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ الشورى:٥١، ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ الأعراف:١٤٣والتجلي هو رفع الحجاب حتى ظهر للجبل[٣].

وبهذا يتبيَّنُ موقف ابن الجوزي رحمه الله من مسألة الرؤية، وأنَّه وإن أثبتها وذكر الآياتِ الدالةَ على ذلك، والآثار الواردة في هذا الباب، إلا أنَّه لم ينهجْ منهج السلف في إثبات الرؤية لله عزَّ وجلَّ، حيث لم يجعلِ المراد بالرؤية هي رؤيةُ الله عزَّ وجلَّ، بل مثالاً يجعله الله للمؤمنين، وأنَّ إثبات رؤية الله عزَّ وجلَّ تكون على هيئة مخصوصة والحق سبحانه منزَّه عن هذا، فأوَّل الرؤية بوجود مثالٍ غفر الله له ورحمه.

---

١. تقدَّم صفحة (١٠٣).

٢. كشف المشكل (٤٠١/١).

٣. يُنظر: بيان تلبيس الجهمية (١٣١/٨).

اضطراب ابن الجوزي في الصفات

وفي ختام مبحث الصفات، أحب أن أذكر قضية تناقض ابن الجوزي رحمه الله في هذا الباب، وما توصلت إليه، سائلا التوفيق والسداد من الله.

اشتُهِر عن شيخ الإسلام رحمه الله رحمة واسعة قوله في الإمام ابن الجوزي رحمه الله في الصفات، وأنَّه مضطرب في هذا الباب، وهذا ذكره في أكثر من موضع، بل له رسالة في مجموع الفتاوى[1] سئل فيها عن كلام لابن الجوزي رحمه الله، وهو الذي ذكره في كتابه دفع شبه التشبيه، فردَّ عليه شيخ الإسلام رحمه الله، وكان ممَّا قاله فيه:"أنَّ أبا الفرج نفسَه متناقضٌ في هذا الباب: لم يثبتْ على قدم النَّفي ولا على قدم الإثبات؛ بل له من الكلام في الإثبات نظماً ونثراً ما أثبتَ به كثيراً من الصفات التي أنكرها في هذا المصنَّف. فهو في هذا الباب مثلُ كثيرٍ من الخائضين في هذا الباب من أنواع النَّاس، يثبتون تارةً وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات كما هو حال أبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزالي"[2].

فهنا يذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله أنَّ ابن الجوزي رحمه الله متناقض في هذا الباب، وأنَّ لابن الجوزي رحمه الله من نصوص الإثبات نظماً ونثراً ما أثبت به كثيراً من الصفات التي نفاها، ومن خلال قراءتي لكتب ابن الجوزي رحمه الله، والبحث فيها، لم أجد له نصَّاً يثبت فيه صفةً من الصفات، إلا في الحالات التالية:

الحالة الأولى: في أبياتٍ شعرية لابن الجوزي رحمه الله ذكرها الإمام إسحاق بن أحمد العلثي رحمه الله في رسالته التي نصح فيها ابن الجوزي رحمه الله، وهذه الأبيات ذكر فيها إثبات صفة القدم لله عزَّ وجلَّ، يقول ابن الجوزي رحمه الله فيها:

ولو رأيْتَ النَّارَ هبَّتْ، فعَدَتْ******تَحرِقُ أهلَ البغيِّ والعنادِ

وكلَّما أَلْقَى فِيهَا حطَّمتْ******وأَهْلَكَتْه، وَهِيَ فِي ازديادِ

فيضعُ الجبارُ فِيهَا قَدَماً******جلَّتْ عَنِ التشبيهِ بالأجسادِ

فتَنْزوي مِنْ هيبته، وتَمْتَلي******فلو سَمِعْت صوتَها ينادي

حَسْبي حَسْبي، قَدْ كَفَاني مَا أَرى******مِنْ هيبةٍ أَذْهبَتْ اشتدادِ

---

١. مجموع الفتاوى (٤/١٦٥-١٩٠).

٢. مجموع الفتاوى (٤/١٦٩).

فاحذر مقال مبتدع فِي قَوْله******يروم تأويلا بكل واعي[1]

وهذا يجاب عنه بجوابين:

الجواب الأول: لعلَّ هذه الأبيات قالها في بداية عمره والله أعلم؛ وذلك لأنَّ هذه الصِّفة أنكرها في كتابه دفع شبه التشبيه، وهي من أوَّل ما ألَّف، وكذلك في كشف المشكل، وهي من مؤلفاته إن لم تكن متأخِّرة، فهي ليست من أوَّل ما ألَّف، وهذه صفة أنكرها غفر الله له وبشدَّة، يقول رحمه الله:"فأمَّا من ادَّعى سلوكَ طريق السلف، ثمَّ فَهِم من هذا الحديث أنَّ القَدمَ صفةٌ ذاتيةٌ، وأنَّها تُوضع في جهنَّم، فما عرفَ ما يَجِبُ لله ولا ما يستحيل عليه، ولا سلكَ منهاجَ السلف في السكوت، ولا مذهبَ المتأولين، وأَخْسِسْ به من مذهب ثالث ابتدعه من غضب من البدع"[2]وذكر مثله في دفع شبه التشبيه[3].

بل إنَّ المتأمَّل في كلام الإمام إسحاق العلثي رحمه الله، وإنكاره على ابن الجوزي رحمه الله، يجده أنكر عليه التأويل، وهو إذ يذكر هذه القصيدة له، فإنَّه يذكر أنَّ هذا مذهباً قديماً له، مُمَثَّلاً في قصيدته التي ذكرها عنه، ولهذا قال له:"فإنَّا نخاف أن تُحدث لنا قولاً ثالثاً"[4]، فهو لم يحكِ اضطراباً، بل يحكي أنَّ له قولاً قديماً وهو إثبات الصفات، وقولاً متأخِّراً وهو التأويل، ويخشى أن يأتيَ بقول ثالث جديد.

الجواب الثاني: إنَّ المتأمّل في هذه الأبيات، يرى التأويل فيها حاضراً، فقول ابن الجوزي في هذه الأبيات (فتنزوي من هيبته)، فهل انزواء النار هو بسبب هيبته جلَّ وعلا؟ لا، وإنَّما كما ورد عنه ﷺ:((فأمَّا النَّار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض))[1]. يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:"وأمَّا النار فلا ينشئ لها

---

١. يُنظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤٥١/٣). هذه الأبيات ذكره الإمام إسحاق مذكراً ابن الجوزي بما كان عليه من الإثبات، ولكن لو قال قائل إنَّ التأويل حاضرٌ فيها لما أبعد، وذلك في قوله (فتنزوي من هيبته) والله وأعلم.

٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢٤٤/٣).

٣. دفع شبه التشبيه (٦٠-٦١).

٤. ذيل طبقات الحنابلة (٤٥١/٣).

١. رواه البخاري برقم: (٤٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خلقاً، بل يفعل فيها شيئاً عبَّر عنه بما ذكر يقتضي لها أنْ ينضمَّ بعضها إلى بعض، فتصير ملأى ولا تحتمل مزيداً"[1].

ويقول الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله:"والحكمةُ من وضع رجلِه سبحانه في النَّار، أنَّه قد وعد أن يملأها"[2].

ويقول الشيخ الغنيمان حفظه الله:"جعل وضعَ القدم الغايةَ التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون عند ذلك الانزواء"[3].

فهنا نلحظ أنَّ ابن الجوزي رحمه الله جعل انزواء النَّار بسبب هيبتها لله عزَّ وجلَّ، لا ما ذكره العلماء اقتباساً من حديث رسول الله ﷺ، ممَّا يجعل المرء يتوقف يتأمَّل أقوال ابن الجوزي رحمه الله.

الحالة الثانية: أمَّا ما يُذكر عنه رحمه الله من أنَّه أثبت الصفات في كتابه مجالس ابن الجوزي، فعند التأمّل في الكتاب يتبيَّن خلاف ذلك، والذي ذكره في بداية رسالته يتبيَّن لقارئها أنَّ ابن الجوزي على مذهب السلف في الصفات، كما تقدَّم في كلامه عن الرؤية، ولكن عند قراءة بقية الرسالة يتبيَّن خلافه، وذلك لما يلي:

أولاً: من العنوان يتبيَّن لقاريء الكتاب أنَّ مؤلفه لا يذهب إلى مذهب السلف في الصفات، حيث سمَّى الرسالة بعنوان (مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية) وهو لم يذكر إلا الحديث عن الصفات في القرآن، وهذا يدل على أنَّ مؤلفها يرى أنَّ آيات الصفات من المتشابه، وهو كذلك كما تقدم معنا، وهذا بخلاف ما عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم.

ثانياً: الرسالة تقع في إحدى عشرة صفحة، بداية الكتاب وفي نصف صفحة تقريباً، ذكر أنَّ صفات الله واردة في القرآن وذكر أمثلة على ذلك، ثمَّ ردَّ على المعتزلة في قرابة الصفحة، وبقية الرسالة ردٌّ على المشبهة. وبالرجوع إلى كتابه تلبيس إبليس، نجده يقسم المشبهة إلى قسمين:

القسم الأول: غلاة المشبه، وهم الكرَّامية وغيرهم من الغلاة.

---

١. فتح الباري (٥٩٧/٨).

٢. شرح الواسطية (١٧٢).

٣. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١٥٧/١).

القسم الثاني: مشبّهة أقل غلوا ممن تقدَّم، وهو ما عليه سلف الأمة من إثبات الصفات من تمثيل ولا تشبيه، ومن غير تعطيل ولا تأويل.

فردّه في هذه الرسالة على المشبهة مراده ما عليه السلف، وليست أقوال الكراميّة وغيرهم من المشبهة.

ثالثاً: أنَّه يقرر أنَّ حمل الآيات على ظواهرها يقتضي التشبيه، يقول رحمه الله في رسالته هذه: "ثمَّ لو حملت هذه الآيات –يقصد آيات إثبات صفة اليد– لله عزَّ وجلَّ على ظواهرها، لاقتضى قوله ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح: ١٠ وجه يد جارحة، فوق يد جارحة، كقوله: وضع يد فلان على يد فلان"[1].

رابعاً: تأويله في هذه الرسالة ظاهر، يقول رحمه الله: "ويبطل قول رسول الله ﷺ: ((قلب المؤمن بين أصبعين من أصابه الرحمن))[2]؛ لأنَّ يده لو كانت جارحةً كيدك...وإنَّما يتضمَّن معنى الحديث: العبارة عن اقتداره، والإشارة إلى سرعة التقليب والتغيير، ولهذا سمي القلب قلباً"[3] إلى آخر كلامه الذي ينفي فيه هذه الصفة.

خامساً: استدلاله على نفي الصفات بالحدوث[4]، والجسمية والتركيب والجارحة[5]، وغيرها من تعبيرات أهل التعطيل.

سادساً: يرى في هذه الرسالة أنَّ التأويل خير من التشبيه الذي هو إثبات صفات الله سبحانه وتعالى، يقول رحمه الله: "وإن لم يمكنك أن تتخلص من شرك التشبيه إلى خالص التوحيد، وخالص التنزيه إلا بالتأويل، فالتأويل خير من التشبيه"[6] وليس مراده تشبيه الكرامية، حيث إنَّهم مفروغ منهم في هذه القضية، وأقوالهم مهجونة لا غبار عليها عند الخاص والعام، بالإضافة إلى أنَّه لم يتطرَّق إليهم في رسالته هذه، بخلاف كتابه تلبيس إبليس[1]، والمنتظم[1]

---

١. مجالس ابن الجوزي (٨).

٢. تقدَّم تخريجه صفحة (١٠٠).

٣. مجالس ابن الجوزي (٩).

٤. يُنظر: مجالس ابن الجوزي (٩).

٥. يُنظر: مجالس ابن الجوزي (١١).

٦. مجالس ابن الجوزي (١١).

١. تلبيس إبليس (٥٠٥).

وغيرها من كتبه التي يذكر فيها أقوالهم الخبيثة من وصف الله بصفات البشر والعياذ بالله، تعالى الله وتقدَّس، بل يتطرق إلى مسائل الاستواء والنزول وغيره من الصفات التي يثبتها أهل السنَّة والجماعة.

الحالة الثالثة: أمَّا ما تقدَّم من إثباته لصفة العلوّ، والكلام، والعلم، وما سيأتي من إثباته ضفة الحكمة لله عزَّ وجلَّ في مبحث القدر، فيجاب عنه بما يلي:

الأول: أنَّ المتأمّل يجد أنَّ صفة العلو من الصَّعب تأويلها، فهذه الصفة ثبتت بأكثر من دليل، بل الأدلة على ثبوتها متواترة، وأقوال علماء السلف فيها متظاهرة، والإمام ابن الجوزي رحمه معظِّم لباب للكتاب والسنَّة وأئمة السلف، وهذا لا شكَّ فيه، فمن الصعب تأويلها، أو إنكارها. بالإضافة إلى أنَّ هذه الصفة أصبحت من شعارات أهل السنة إن جاز التعبير، كالقول في مسألة أنَّ القرآن كلام الله.

الثاني: أمَّا مسألة الكلام، في ممَّا اشتهر بها الإمام أحمد رحمه الله، وهي محرَّرة ومشهورة بين الأصحاب، بحيث أصبح إنكارها أو تأويلها من سيما أهل البدع. فلهذا نأى ابن الجوزي رحمه الله بنفسه عن الكلام في هذه المسألة، وإن شئت فقل: إنَّ هذه المسألة من المسائل التي تربَّى عليها، وكَبُر معها، بحيث يستحيل عليه إنكارها.

إضافةً أنَّه لو خالفها، خالف إمامه، ولن يكون حنبليَّاً، خاصة أنَّ المذاهب الفقهية كانت مرتبطة بالمذاهب العقديَّة، بمعنى إن كنت شافعيَّاً فأنت أشعري، وإن كنت حنفيَّاً فأنت معتزلي، ولهذا لـمَّا أراد ابن ناصر السلامي البغدادي -شيخ ابن الجوزي- الانتقال من مذهب الحنابلة إلى الشافعيَّة، أتى الشيخ أبامنصور وأخبره أنَّه يريد أن يكون على مذهبه الحنبلي، فأجابه الشيخ أبومنصور وقال له: يا ولدي، ما مذهب الشافعي إلا حسن، ولا أقول لك: اتركه، ولكن لا تعتقد اعتقاد الأشعري. فقلت: ما أريد أن أكون نصفين، وأنا أشهدك، وأشهد الجماعة أنني منذ اليوم على مذهب أحمد بن حنبل في الأصول والفروع.

الثالث: من الصعب الحكم على الشخص بالاضطراب بسبب إثبات ثلاث صفات من بين عدَّة صفات أوَّلها رحمه الله، ومن كان يرى أنَّه لو أثبت صفةً واحدةً لكان اضطراباً وتناقضاً، فهذا رأي، ولا مشاحاة في الاصطلاح، وتبقى المسألة محلَّ بحث ونظر، والله أعلم.

---

١. ينظر: المنتظم (١٢/٩٧).

الفصل الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : آراؤه في مسائل الإيمان بالملائكة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : ما يتعلَّق بالملائكة، وفيه ثمان مسائل، وهي:

المسألة الأولى : مادة خلقهم.

المسألة الثانية : صفة الملائكة.

المسألة الثالثة : وجودهم المكاني.

المسألة الرابعة : عصمة الملائكة.

المسألة الخامسة : أعمال الملائكة.

المسألة السادسة : قتال الملائكة وحضورها الحروب.

المسألة السابعة : رؤية البشر للملائكة.

المسألة الثامنة : تفضيل البشر على الملائكة.

المطلب الثاني : ما يتعلَّق بالجنِّ، وفيه مسائل :

المسألة الأولى : حقيقة الجنِّ والشياطين.

المسألة الثانية : مادة خلق الجنِّ.

المسألة الثالثة : إبليس من الجنِّ.

المسألة الرابعة : ليس من الجنِّ رسل.

المسألة الخامسة : دخول مؤمني الجنِّ الجنَّة.

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان بالملائكة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما يتعلَّق بالملائكة، وفيه ثمان مسائل:

المسألة الأولى: مادة خلقهم:

تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله عن أصل خلق الملائكة، وعن مادة خلقهم، فذكر"أنَّ أجسام الملائكة من نور[1]، ولهذا هم أجساد لطيفة لا تدركهم الأبصار في عموم الأحوال"[2].

فقوله"أجسام الملائكة من نور"يقرِّر بهذا وجود الملائكة، وأنَّهم مخلوقون من مادة وهي النَّور، وأنَّهم أجسامٌ لطيفة تصعد وتنزل[3].

ثم هو يؤكد كونهم أجساماً، فيقول:"والأنوار أجسام"[4]، وكأنه يشير بذلك إلى أن الملائكة، وإنْ كانت خُلقتْ من نور، فهذا لا يَنفي عنهم وصفُ الجسمية، أو أنهم خيالاتٌ لا حقيقة لها.

وماذهب إليه رحمه الله من أنهم مخلوقون من نور، دليله ما ثبت في صحيح مسلم، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ :((خُلِقَت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))[5].

يقول الإمام البيهقي رحمه الله فيمن وصف الملائكة بأنهم روحانيين –أي من الروح:"ومن قال هذا، قال:الروح جوهر، وقد يجوز أن يؤلِّف الله سبحانه أرواحا فيُجَسِّمها، ويخلق خلقا ناطقا عاقلا. وقد يجوز أن تكون أجسام الملائكة على ما هي عليه اليوم، مخترعة كما اخترع عيسى وناقة صالح عليهما السلام"[1].

---

١. قال الشيخ الألباني رحمه الله:"وأما ما رواه عبدالله بن أحمد في السنة (ص١٥١) عن عكرمة قال:"خلقت الملائكة من نور العزّة، وخلق إبليس من نار العزّة". وعن عبدالله بن عمرو قال:(خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر) قلت– أي الألباني– فهذا كلُّه من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها؛ لأنَّها لم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ". السلسلة الصحيحة (١/٨٢٠). وذلك لأخذ ابن عمر رضي الله عنهما عن ممَّن أسلم من أهل الكتاب والله أعلم.

٢. نزهة الأعين النواظر (٥٩٤-٥٩٥).

٣. يُنظر كشف المشكل (٢/٣٢٧).

٤. كشف المشكل (١/٣٧٢).

٥. رواه مسلم برقم: (٢٩٩٦).

١. شعب الإيمان(١/١٧١).

ووصفه رحمه الله الملائكة، بأنهم"أجساد لطيفة، لا تدركهم الأبصار، في عموم الأحوال" فهذا لم يقل به أحد من سلف الأمة حسب اطلاعي، والله أعلم، وقد ذكر المناوي رحمه الله في فيض القدير بأن"الملائكة، عند عامة المتكلمين، أجسام لطيفة"[١]، فكأنَّ هذا المصطلح، عُرف به المتكلمون[٢]، والله أعلم.

فوصفه رحمه الله الملائكة بأنها من نور، هذا لا إشكال فيه، وذلك لما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها كما تقدّم.

وأمَّا وصفه لهم بالجسمية، فالمراد بالجسمية في اللغة هو:تجمُّعُ الشيء، أو كلُّ شخصٍ مُدْرك[٣]. وهو بهذا المعنى متحقق فيهم عليهم السلام، وذلك ما ثبت من رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام مرتين، وما ثبت كذلك من رؤية الصحابة لبعض الملائكة في تصورهم بصورة البشر[٤].

ووصفهم بالجسمية، هو خلاف ما عليه الفلاسفة الذين زعموا أن الملائكة "ماهيات مجردة عن المادة أصلا"[٥].

ولهذا ذكر عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية أن الفلاسفة الأوائل لم يعرفوا الملائكة، ولم يتكلموا فيهم بنفي أو إثبات، وإنما تكلم متأخروهم كابن سينا جمعاً بين النبوة والفلسفة بزعمهم[٦]، ولهذا يجعلونها من التخيلات كما يتخيل النائم[٧].

وأمَّا وصفه لهم بأنَّهم أجساد لطيفة، فلفظة (لطيفة) تُطلق ويراد بها أحد معنيين[٨]:

الأول:الشفافية، وأنَّها لا تُرى، ولعلّ هذا مقصود الإمام ابن الجوزي رحمه الله، حيث أتبع قوله "أجساد لطيفة" بقوله:"لا تدركها الأبصار" فكأنَّه يقول: إنَّ من لطافتها أنَّها لا ترى.

---

١. (١٠٥/١). يُنظر: فتح الباري(٢١/١) وشرح المقاصد(٥٤/٢).

٢. يُنظر: مقالات الإسلاميين(٤٠٤).

٣. يُنظر مقاييس اللغة (٤٥٧/١).

٤. سيأتي الحديث عنه بمشئة الله.

٥. رسالة الحدود لابن سينا(٦٩). نقلاً عن الفلاسفة وموقف ابن تيمية منهم (٣٩٥).

٦. يُنظر: دقائق التفسير (٤١٥/١-٤١٦).

٧. الفلاسفة وموقف ابن تيمية منهم (٣٩٨).

٨. يُنظر المواقف (٦٩٣/٢).

الثاني:سرعة الانفعال والانقسام إلى أجزاء ورقة القوام.

وعلى هذا المعْنَيَيْن، فلا إشكال في إطلاق هذا اللفظ، وصفاً للملائكة الكرام عليهم السلام، وذلك لثبوت هاتين الصفتين فيهم عليهم السلام، أما الشفافية وعدم رؤيتهم، فقد ثبت في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله[1]، وأما المعنى الآخر، وهو سرعة الانفعال والانقسام، فهذا في السنة ما يدل عليه، من ذلك ما ورد أن جبريل عليه السلام غطى الأفق، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، أنَّها قالت:(من زعم أن محمداً رأى ربَّه، فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته، وخَلْقُهُ سادٌّ ما بين الأفق)[2].

فهو في هذه العظمة، نراه عليه السلام بصورة دِحْية الكلبي[3]، ثمَّ دخولُهُم عليهم السلام في ضيق القبور[4]، وسؤالُهُم الميِّت، وغير ذلك مما تظافرت عليه السنَّة، ودلَّت عليه.

وتَرْك هذا الوصف أولى؛ لعدم وروده في الكتاب والسنة، فألفاظ الكتاب والسنة فيها الغنية والكفاية، والتقيد بما ورد في القرآن والسنة، والاقتصار عليهما أولى، ولو استعيض عن هذه اللفظة بـ (الروح) لكان أولى؛ لأمرين:

١.أنَّه ورد في بعض الآثار تسمية الملائكة بالروحانيين[5]، والمراد بهذا المعنى"أنَّهم أجسامٌ لطيفةٌ لا يدركُها البصرُ"[6].

٢.إذا كان هذا اللفظ أعني (الروحانيون) هو نفس معنى أجساد لطيفة، فالتعبير به أولى؛ لوروده في السنة.

وبهذا يتبين رأي ابن الجوزي رحمه الله في هذه المسألة، وموافقته لما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة.

---

١. يُنظر صفحة (٢٧٣).

٢. رواه البخاري برقم: (٣٢٣٤)، ومسلم برقم: (١٧٧) واللفظ للبخاري.

٣. روى خبره البخاري برقم: (٣٦٣٤)، ومسلم برقم: (٢٤٥١) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

٤. كما ورد في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. وسيأتي الكلام عنه صفحة (٣٩٣).

٥. رواه البهقي في شعب الإيمان (٢٧٩/٥) من قول علي بن أبي طالب. يُنظر: العظمة لأبي الشيخ (١٤٤٠/٤).

٦. النهاية في غريب الحديث (٢٧٢/٢). يُنظر: لسان العرب (٤٦٤/٢).

المسألة الثانية: صفة الملائكة:

سأتحدث هنا عن صفات الملائكة الخَلْقية والخُلُقية.

الصفات الخَلْقية

يقول ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره:"أصحاب أجنحة﴿ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ فاطر:١، فبعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة، وبعضهم له أربعة"[١].

ومما ذكره رحمه الله في صفاتهم الخَلْقية كذلك، قوله:"أن الملائكةَ في الحقيقة كاشفةٌ، تنتشر وتَنقبِض، بينما جبريل ظهر ناشراً جناحيه من المشرق إلى المغرب، تصوّرَ في صورةِ دِحية، وحَوته الحُجرة، ودخل تحت العباءة، وتدخلُ الملائكة إلى ضِيق اللُّحود"[٢].

ثمَّ يستدلُّ على انتشار الملائكة وانقباضها، بأنَّنا نرى"شعاع الشمس ساعة تطلع من المشرق إلى المغرب في وقت واحد، ولو رُفعتْ إجَّانة[٣] عن مصباح، انبسط في الآفاق. وآكدُ من هذا، ما نراه في نفوسنا، حين نرفع الجَفْن عن العين، فنرى الأفلاكَ ونجومَها، إدراكاً لها بالشعاع المنبعثِ من عيوننا، إلى ذلك المحلِّ الأعلى، قاطعاً لتلك المسافة، فلا يخلو جبريل أنْ يكون منْ جنس تلك الأنوار، أو يكون قد جُعلتْ فيه من سرعة الحركة، ما جعل في النور"[٤].

فتراه هنا يصفها بالانقباض والانتشار، وهذا الوصف صحيح المعنى لا إشكال عليه، وهو الذي دلَّت عليه الأحاديث كما تقدم في المسألة الماضية.

ومما يتبع الصفات الخَلْقية، وصفُ الملائكةِ بالذُّكورية أو الإناث.

فأما وصفهم عليهم السلام بكونهم إناثاً، فيقول رحمه الله في زعم المشركين، أنَّ الملائكةَ بناتُ:"﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ ﴾النجم:٢٨، أي: ما يستيقنون أنَّها إناثٌ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا

---

١. زاد المسير (٤٧٣/٦).

٢. كشف المشكل (٢٢٧/٢-٢٢٨).

٣. الإجانة: إناء تغسل فيه الثياب. يُنظر: المعجم الوسيط (٧/١).

٤. مصدر سابق.

ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴾النجم:٢٨أي:لا يقوم مقام العلم، فالحقُّ هاهنا، بمعنى العلم"[١].

وأمَّا وصفُهم بالذكورية، فإنِّي لم أجدْ لابن الجوزي رحمه الله نصَّاً صريحاً في ذلك، لا نفياً ولا إثباتاً، ولكنَّه ذكر في كتابه نزهة الأعين النواظر، في معاني كلمة (الرِّجال) في القرآن الكريم، ما يشير إلى إثبات الذكورية لهم، أو بعبارة أدقّ، الرُّجولة، حيث قال في باب الرجال:"وذَكَرَ بعضُ المفسرين، أنَّ الرِّجال في القرآن، على أحدَ عشرَ وجهاً"[٢] ثمَّ ذكر الوجه الثاني، فقال:"والثاني: الملائكة، ومنه قوله تعالى في الأعراف﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾الأعراف:٤٦"[٣].

فهنا يشير إلى أنَّ وصف الرجال في الآية، المراد بها: الملائكة. ولكنَّه في كتابه تذكرة الأريب، يذكر بأنَّ أصحابَ الأعرافِ هم"قومٌ تساوَتْ حسناتُهم وسيئاتُهم، ثمَّ يُؤمَر بهم إلى الجنَّة"[٤]، بخلاف ما ذكره في نزهة الأعين.

وفي زاد المسير حكى القولين في الآية، ولم يرجِّحْ بينهما، ولم يعقب بشيء، لكنَّه حينما ذكر القولين، ذكر في القول الأول، أنَّ أصحاب الأعراف من بني آدم، وهو قول الجمهور[٥]، وأنَّ القول الثاني ذكره أبو مِجْلَز رحمه الله[٦]، ومن عادة الإمام ابن الجوزي رحمه الله، اتِّباع ما عليه الجمهور، وهذا واضح في منهجه، خاصةً إذا علمنا، أنَّ القولَ الأول، عليه عامة الصحابة[٧]، وخالَفهم فيه أبومِجْلَز رحمه الله.

أضف إلى ذلك، أنَّ ما ذكره في تذكرة الأريب، غالباً ما يذكر فيه القول الراجح، والله أعلم.

---

١. زاد المسير (٧٤/٨).

٢. نزهة الأعين النواظر(٣٢٦/١).

٣. مصدرسابق (٣٢٧/١).

٤. (١٧٩/١).

٥. يُنظر: زاد المسير (٢٠٥/٣).

٦. مصدر سابق (٢٠٦/٣). وهو لاحق بن حميد السدوسي البصري. حديثه في الكتب الستة. مات أيَّام عمر بن عبد العزيز. يُنظر: الجرح والتعديل (١٢٤/٩)، وتهذيب التهذيب (١٧١/١١).

٧. يُنظر: زاد المسير (٢٠٥/٣-٢٠٦)، والطبري (١٩٤/٨)، وابن كثير (٢١٧/٢).

وأمَّا وصفهم بكونهم إناثا، فهو قول المشركين كما حكاه عنهم القرآن، يقول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾الزخرف: ١٩.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله:"فالمشركون قبَّحهم الله، جعلوا الملائكةَ الذين هم عباد الرحمن إناثاً، ثمَّ ادَّعوا أنَّهم بناتُ الله، ثمَّ عبدوهم. فاقترفوا الجريمة العظمى في المقامات الثلاث"[1].

أمَّا وصفهم بالذكورية، فقد تقدَّم أنَّه لا يوجد نصٌّ صريحٌ في هذه المسألة، وهذه المسألةُ للعلماء فيها قولان، كما حكاه ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره، والصواب في هذه المسألة، أنَّهم لا يوصفون لا بالرِّجولة ولا بالذُّكورية، لعدم ورود النَّص، وقد ردَّ الإمام الطبري رحمه الله على أبي مجلز قوله، فقال:"وكان ذلك لا يُدرك قياساً، وكان المتعارف بَيْن أهلِ لسان العرب، أنَّ الرَّجل: اسمٌ يَجمع ذكورَ بني آدم، دون إِناثهم، ودون سائرِ الخلق غيرهم، كان بَيِّناً أنَّ ما قاله أبو مجلز من أنَّهم ملائكةٌ، قولٌ لا معنى له"[2].

ويقول الرازي رحمه الله:"ولقائل أن يقول الوصف بالرجولية إنما يحسن في الموضع الذي يحصل في مقابلة الرجل من يكون أنثى، ولما امتنع كون الملك أنثى امتنع وصفهم بالرجولية"[3].

ولهذا عاب الله سبحانه على المشركين قولهم إن الملائكة إناث، معللاً ذلك بقوله سبحانه: ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾الزخرف:١٩، فهذا استفهام استنكاري، ينكر فيه سبحانه على المشركين قولهم إن الملائكة بنات الله، وكذلك يقال فيمن وصفهم بالذكورية أو الرجولة، أشهدوا خلقهم؟.

وبناءً على ما تقدم، فإنَّ عالَمَ الملائكةِ عالَمٌ غيبيٌّ، لا يدرك كنهه إلا بنص صحيح من الوحي[1]، ولم يثبت نص في هذه المسألة والله أعلم.

---

١. أضواء البيان (١٥٨/٣). ويُنظر: تفسير ابن كثير (٢٥٦/٤).

٢. تفسير الطبري (٤٦٠/١٢-٤٦١).

٣. التفسير الكبير (٧٢/١٤).

١. يُنظر:فتح الباري (٢٩٨/٨)، والحبائك للسيوطي (٢٦٥-٢٦٦).

وعليه يتبين موافقة ابن الجوزي رحمه الله لما عليه الكتاب والسنة، ولما عليه سلف الأمة.

الصفات الخُلُقية

من خلال قراءتي لكتب ابن الجوزي رحمه الله، وجدته ذكر نوعين من الصفات الخُلُقية:

الأول:الصفات الخُلُقية للملائكة الواردة في القران والسنة.

الثاني: الصفات الخُلُقية للملائكة التي لم ترد في القران والسنة.

أما **النوع الأول** فهي كثيرة، ولكن سأذكر صفة واحدة وهي العلم؛ وذلك بسبب الخلاف الحادث فيها.

يذكر رحمه الله كيفية علم الملائكة وأخذهم له، فيقول في قول الملائكة:﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾البقرة: ٣٠:"وهل علمتِ الملائكة أنهم يفسدون بتوقيف من الله تعالى، أم قاسوا على حال من قبلهم؟ فيه قولان"[١]، ثمَّ ساق القولين ولم يرجح بينهما[٢].

والقولان اللذان ذكرهما، هما لابن مسعود وهو القول الأول، والثاني لابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

وفي تفسيره لسورة النَّجم، يثبت رحمه الله تعليمَ جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، فيقول:"علَّمه شديدُ القوى وهو جبريل عليه السلام، علَّم النبي ﷺ"[٣].

النوع الثاني:الصفات التي لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، فمنها:العقل والجدل.

فنراه يصفهم بالجدل بناء على أنها موصوفة بالعقل، فيقول:"وكل ما يعقل من الملائكة والجنَّ يجادل"[١].

وإثباته لهاتين الصفتين كما نلاحظ، لم يكن بمحض العقل أو التخمين، بل بما تقتضيه آيات الكتاب من مخاطبة الله لملائكته، وأنه لا يخاطب إلا من يعقل.

---

١. زاد المسير (٦٠/١).

٢. يُنظر: تذكرة الأديب (٥٣/١) ولم يرجح بينهما.

٣. زاد المسير (٦٤/٨).

١.كشف المشكل (١٧٧/١).

وقد أنكر بعض العلماء صفة العلم والعقل للملائكة، وقال:بأنَّه قولٌ بلا دليل، وأنَّ العقل لا يوصف به إلا الإنسان، ولم يقل أحد بأنَّ الملائكة كالإنسان[1].

والصحيح أنَّها توصف بالعلم وبالعقل، والأدلة على ذلك كثيرة: قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾البقرة:٣٢، فلو كانت ما تعلم ولا تعقل، ما صحَّ قولهم {إلا ما علَّمتنا}. وقوله تعالى:﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾النجم:٥. والمراد به جبريل عليه السلام[2].

المسألة الثالثة : وجودهم المكاني:

تعرّضَ الإمام ابن الجوزي رحمه الله لمكان سُكْنى الملائكة، وأماكن منازلهم.

فيقول عند قوله تعالى:﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾الصافات:١٦٤:"أي:مكان في السماوات مخصوص يعبد الله فيه"[3].

ويقول عند قوله تعالى:﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾الأنبياء:١٧:"من أهل السماء من الملائكة"[4].

وما ذهب إليه رحمه الله هو قول أهل السنة والجماعة.

يقول البغوي رحمه الله:"قال عطاء عن ابن عباس:خلق في كل سماء خلقها من الملائكة"[5].

ويقول الإمام البيهقي رحمه الله في كلامه عن خصائص النبوة:"ومنها أنَّه جمع له بين إنزال الملك عليه، أو صِعَاده إلى مساكن الملائكة"[1].

---

١. ذكر هذا الشيخ حامد الفقي رحمه الله في مقالٍ له في مجلَّة الهدى النبوي، العدد: (٦)، شهر جمادى الآخرة، عام ١٣٦٨هـ، صفحة (١٠)، من كتاب تنبيه النبلاء (١٥).

٢. يُنظر: تفسير ابن كثير (٤٤٤/٧).

٣. زاد المسير (٩٣/٧).

٤. تذكرة الأديب (٣٤٥/١).

٥. البغوي (١٠٩/٤). يُنظر: الطبري (١٩٤/١).

١. دلائل النبوة (٤٩٩/٥).

وما قرّره ابن الجوزي رحمه الله هو بخلاف من يقول بأنَّ الملائكة ليس لهم مكان، هروبا من إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى[1].

المسألة الرابعة : عصمة الملائكة:

يرى الإمام ابن الجوزي رحمه الله عصمة الملائكة وتنزيههم عن مقارفة الذنوب.

يقول رحمه الله:"وقيل: لَمْ يكنْ قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾البقرة:٣٠، على وجه الاعتراض على التقرير، ولكن على معنى الاستفهام ومطالعة الفائدة، فإنَّ حَمْل الخطاب على ما يوجب تنزيه الملائكة أولى؛ لأنهم معصومون، قال الله عز وجل ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾التحريم:٦"[2].

ويقول في المنظوم:"فأنتم في عصمة أفعالكم"[3]، ويقول أيضاً:"ثمرات زروعهم نشأت لا عن تعب، سقاها سيح[4] العصمة"[5].

ولكنه يعود رحمه الله فيناقض نفسه في نص آخر غير بعيد عن النص الأول، فيقول في المنظوم:"ولم تقبل توبة الملائكة إلا بشرط الاستغفار لك﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾الشورى:٥"[6].

ويقول في أخبار الحمقى:"ادعاء هاروت وماروت الاستعصام عن الوقوع في الذنب ومقاومة الأقدار، فلما نزلا من السماء على تلك النية نزلا"[7].

وإذا رأى القارئ النصّين، ظنّ أن ثمَة تناقض عند الإمام ابن الجوزي رحمه الله، أو أن هذا قول آخر له في المسألة.

---

١. يُنظر رسالة: الشيخ محمدأبو زهرة وآراؤه الاعتقادية (٣٠٢-٣٠٣).

٢. المنظوم والمنثور (١٢٦).

٣. المنظوم والمنثور (١٢٩).

٤. السيح: الماء الجاري. يُنظر::مقاييس اللغة (١٢٠/٣).

٥. المدهش (٣٣٨).

٦. المنظوم والمنثور (١٣٩).

٧. أخبار الحمقى (٢٦٦). وإيراده لها باعتبار أنَّهما من الملائكة في أخبار الحمقى فيه نظر كما لا يخفى.

والذي يترجَّح لي -والعلم عند الله- أنَّه ليس هناك تناقض، ولكن هذا من إسهاب ابن الجوزي رحمه الله في مقام الوعظ، ومن عثراته وتجاوزاته رحمه الله أثناء تأليفه، وعدم تحريره لمؤلفاته، فهناك فرق بين ما يذكره رحمه الله كتقرير لمسألة ما، وبين ما يذكره في أثناء وعظه ونصحه، وهذا ليس خاصا به، بل كثير من الناس يتكلم ولا يشعر بنفسه، حتى ذُكر عن الشيخ الأمين حينما ردَّ على ابن حزم رحمة الله عليهما في مسألة القياس، في درس الحرم النبوي الشريف، ثمَّ فُرِّغ درسُه، وكتب، وعرض عليه، وسمعه الشيخ بصوته، قال:"لولا أني أسمع صوتي بأذني وأنت - يعني تلميذه الشيخ عطية سالم- أتيتني بها مكتوبة، ما صدَّقتُ أن شخصاً يقول هذا ارتجالا"[1].

فأقول لعلَّ هذا سبق لسان من ابن الجوزي رحمه الله، أو عدم تحريره لكتبه، ومما يؤيد قوله في عصمة الملائكة، ما قاله في زاد المسير:"والملائكة رسل الله، فهم معصومون من الكفر"[2].

بل نجد ابن الجوزي رحمه الله يردُّ عن الشبه التي تُنَاقِض عصمة الملائكة في الظاهر، مما يدل على تعظيمه لجنابهم عليهم السلام. وهذه الشبه هي:

الشبهة الأولى:القول بأنَّ الملائكة اعترضوا على الله بقولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ البقرة: ٣٠، فنجده رحمه الله يرد هذه بما تقدم بأنَّ مرادهم الاستفهام ومطالعة الفائدة لا الاعتراض.

ولهذا حينما ذكر أقوال العلماء في تفسير هذه الآية، نجده كيف يذكر تخريجات أهل العلم في ذلك، فيقرِّر أنَّ للعلماء ثلاثة أقوال هي:

"القول الأول:أنَّ الألف للاستفهام الداخل على معنى العلم ليقع به التحقيق.

القول الثاني: أنَّهم قالوه لاستعلام وجه الحكمة لا الاعتراض.

القول الثالث: أنَّهم سألوا عن حال أنفسهم، فتقديره: أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبح بحمدك أم لا؟"[1].

---

١. سيرة الشيخ الأمين، للسديس (٢٢١-٢٢٢). دار الهجرة، السعودية- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ١٩٩١م. تأليف: عبدالرحمن السديس.

٢. (١٥٣/٥).

١. زاد المسير باختصار (٦٠/١).

الشبهة الثانية: القول بأنَّ إبليس من الملائكة، وقد عصى الله عزَّ وجلَّ، ممَّا يدلُّ على انتفاء العصمة عنهم. وسيأتي الحديث عنها بمشيئة الله في مبحث الجن[1].

الشبهة الثالثة :القول بأنَّ هاروت وماروت كانا من الملائكة فعصيا الله سبحانه، ولو كان الملائكة معصومين عن الخطأ لما زلَّتْ قدماهما في شرب الخمر، واقتراف الزنا، وقتل النفس.

وهذه المسألة تكلَّم فيها ابن الجوزي رحمه الله، وسيكون الحديث عن هذه المسألة في الأمور التالية:

- ❖ هل هاروت وماروت ملكان؟
- ❖ هل ثبت الخبر في كونهما عصيا الله سبحانه؟
- ❖ وإن كان الذي نزل عليهما سحرا أو ما يفرق بين المرء وزوجه- وهو سحر- فما وجه نزوله على الملكين؟.

هذه مسائل نناقشها بإذن الله مع ابن الجوزي، ونعرف موقفه منها، والصواب في ذلك.

يقرر ابن الجوزي رحمه الله أنَّ هاروت وماروت من الملائكة، فيقول في زاد المسير:"قوله تعالى﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾البقرة:١٠٢وقرأ ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير والزهري [الملِكين] بكسر اللام، وقراءة الجمهور أصح"[2] أي:التي بفتح اللام (ملَكين)أي:أنهما من الملائكة، بخلاف قراءة الكسر التي معناها أنهم من المُلك[3].

يرى ابن الجوزي رحمه الله بأنَّ هاروت وماروت ملَكان، بخلاف من يقول بأنهما من الجن[4]، أو من الإنس[1]، ومن قال بأنَّهم ليسوا من الملائكة، قالها هروباً من نسبة السحر للملائكة، وأن لا تنتفي عنهم العصمة.

ولكن هل هذا يلزم من يقول بأنَّ هاروت وماروت ملكين؟ سيأتي الحديث عنه قريبا بمشيئة الله تعالى.

---

١. في مسألة: إبليس من الجن.

٢. زاد المسير (١٢٢/١)، ويُنظر المنظوم والمنثور (١٢٧)، والمدهش (٧٨)، صيد الخاطر (٨٩).

٣. يُنظر: تفسير الطبري (٤٣٥/٢-٤٣٦)، والكامل في القراءات العشر (٤٩٠).

٤. يُنظر: الفصل في الملل والنحل (١٤٥/٣)، والقرطبي (٥٠/٢).

١. يُنظر: تفسير القاسمي محاسن التأويل (٣٦٥/١).

وإن قلنا بأنَّهم ملكان، هل ثبت أنَّهما نزلا إلى الأرض وعصيا الله عزَّ وجلَّ أم لا؟ حيث يُروى أنَّهما نزلا من السماء وركبت فيهما الشهوة، وأنَّهما شربا الخمر، ثمَّ زنيا، ثمَّ قتلا رجلا كان شاهداً عليهما، وأنَّ المرأة التي زَنَيَا بها اسمها الزهرة، وأنَّ الله مسخها كوكباً هو الزهرة، وأنَّهما خُيِّرا بين عذاب الآخرة أو الدنيا، فاختارا عذاب الدنيا.

يقول ابن الجوزي رحمه الله عن هذه الأخبار:"إلا أنَّ هذه الأشياء بعيدة عن الصحة"[١].

ويقول في الموضوعات:"هذا حديث لا يصح"[٢]. فهو يرى ضعفها وعدم صحتها.

ولهذا نجد أئمة الحديث حكموا على الحديث بالنَّكارة، كما ذكر ذلك الشيخ الألباني رحمه الله في الضعيفة عن الإمام احمد وأبي حاتم[٣] رحمة الله على الجميع[٤].

وقد حكم الشيخ الألباني رحمه الله عليه بالوضع[٥]، وقال مرة أخرى:"باطل مرفوع"[٦]، وقال أيضاً:"والموقوف صحيح"[٧]، وذلك؛ لأنَّه ثبت وقفه عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأنَّه تلقاه عن كعب الأحبار رحمه الله.

يقول الإمام البيهقي رحمه الله:"ورويناه من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر موقوفا عليه،وهو أصح، فإنَّ ابن عمر أخذه عن كعب"[٨]، ويقول البيهقي أيضاً"وهذا أشبه أن يكون محفوظا"[٩] يقصد أثر ابن عمر رضي الله عنهما، أي أنَّ المحفوظ هو الوقف لا الرفع.

قال الشيخ الألباني رحمه الله:"قد يتوهم – بل أوهم– بعضُهم صحَّتَه وهو منكر باطل"[١٠].

---

١. زاد المسير (١٠٢/١).

٢. الموضوعات (١٣١/١).

٣. محمد بن إدريس بن المنذر بن داود، بن مهران الحنظليّ، أبو حاتم: حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم. توفي سنة ٢٧٧هـ. سير أعلام النبلاء (٢٤٧/١٣)، والأعلام (٢٧/٦).

٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣١٨/١).

٥. مصدر سابق (٣١٢/١).

٦. مصدر سابق (٣١٥/١).

٧. الضعيفة (٣١٥/١).

٨. شعب الإيمان (١٨١/١).

٩. شعب الإيمان (١٨١/١).

١. الضعيفة (٣١٢/٢-٣١٣).

ويقصد الشيخ الألباني بذلك الحافظ ابن حجر والسيوطي رحمة الله على الجميع، حيث حكما على الحديث بالصحة.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:"وله طرق كثيرة، جمعتها في جزء مفرد يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصة لكثرة الطرق الوارده فيها، وقوة مخارج أكثرها والله أعلم"[١].

وقد ردَّ عليه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في شرحه للمسند، فقال:"فإنَّها كلَّها طرق معلولة أو واهية"[٢].

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تاريخه بعد ذكر الحديث:"فهذا أظنُّه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار، وتلقَّاه عنه طائفة من السلف فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل"[٣].

وممَّا سبق يتبين لنا أنَّ الآثار المرويَّة في هاروت وماروت ضعيفةٌ، وأنَّ الذي صحَّ هو عن كعب الأحبار، ولا يصح مرفوعا عنه ﷺ والله أعلم.

ما تقدم من نقد للحديث فهو نقدٌ من حيث الصنعة الحديثية، ونقد الخبر من حيث اتصاله وانقطاعه.

أمَّا نقده من حيث المتن، فإنِّي لم أجد للإمام ابن الجوزي نقداً للرواية سوى تنزيه الملائكة عمَّا ذُكر في هذه الأخبار، وأنَّه ينافي عصمة الملائكة[٤].

وقد ذكر العلماء أوجهاً أخرى لنقد المتن، ومن ذلك:

- أنَّه ينافي عصمة الملائكة، وقد تقدم ذلك عن ابن الجوزي رحمه الله.
- أنَّ كوكب الزهرة الذي نراه صغيراً في أعيننا لبعده عنَّا، ولو كان قريبا لكان أكبر من الأرض، وهو بخلاف حجم المرأة التي مسخت[١].
- يبعد أنَّ امرأةً فاجرةً يعلِّمُها الملكان اسم الله الأعظم[٢].

---

١. القول المسدد (٤٨) إدارة ترجمان السنة لاهور– باكستان، ط٤، ١٤٠٢هـ.

٢. شرح المسند (٣٢/٩).

٣. (٣٧/١).

٤. يُنظر: الفصل في الملل والنحل (١٤٥/٣)، والسلسلة الضعيفة (٣١٨/١)، شرح المسند لأحمد شاكر (٣٢/٩).

١. شرح المسند (٣٢٢/٩).

٢. الفصل لابن حزم (٢٦/٤).

● وكونها مسخت إلى كوكب أو نجم، فكيف يقسم الله بها –والقسم يدل على التعظيم– حيث يقول سبحانه ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾التكوير:١٥-١٦وهي قد فعلت ما فعلت[١].

● أنهما خُيِّرا بين عذاب الدنيا والآخرة، وهذا فاسدٌ؛ لأنَّه لا يصح أن يخيَّر الله المشرك في العذاب، وإن كانا تابا فالتوبة تجب ما قبلها[٢].

وإذا تقرَّر أنَّ ما ورد عنهما من أنَّهما عصيا الله ضعيف، وتقرَّر كذلك أنَّهما من الملائكة، وأنَّهما كانا يعلمان الناس السحر، إذاً ما الحكمة من إرسالهما، وتعليمهما للناس؟.

يقول ابن الجوزي رحمه الله:"فإن قيل إذا كان السحر نزل على الملكين فلماذا كُره؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما ابنُ السري:

أحدهما: أنَّهما كانا يعلمان الناس ما السحر، ويأمران باجتنابه، وفي ذلك حكمة؛ لأنَّ سائلاً لو قال ما الزنى؟ لوجب أن يوقف عليه ويُعلَّم أنَّه حرام.

والثاني:أنَّه من الجائز أن يكون الله تعالى امتحن الناس بالملكين، فمن قبل التعلم كان كافرا، ومن لم يقبله فهو مؤمن، كما امتحن بنهر طالوت"[٣].

وما ذهب إليه من تعليل، هو ما ذكره ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره، حيث يقول:"فإن التبس على ذي غباء ما قلنا، فقال: وكيف يجوز لملائكة الله أنْ تُعلِّمَ الناسَ التفريقَ بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أنْ يُضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة؟ قيل له:إنَّ الله جلَّ ثناؤه عرَّفَ عِباده جميعَ ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه، ثمَّ أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه. ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم. فالسحر مما قد نَهى عبادَه من بني آدم عنه، فغير منكرٍ أنْ يكون جلَّ ثناؤه علَّمه الملكين اللذين سمَّاهما في تنزيله، وجعلهما فتنةً لعباده من بني آدم–كما أخبر عنهما أنَّهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما:﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾البقرة:١٠٢– ليختبرَ بهما عبادَه الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيُمحِّص المؤمن

١. تفسير الخازن (٧٦/١).

٢. تفسير الخازن (٧٦/١).

٣. زاد المسير (١٢٢/١-١٢٣).

بتركه التَعلُّمِ منهما، ويخزي الكافرَ بتعلُّمِه السحرَ والكفر منهما. ويكون الملكان في تعليمهما من علَّما ذلك لله مطيعين، إذْ كانا عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه يعلمان. وقد عُبِد من دون الله جماعةٌ من أولياء الله، فلم يكنْ ذلك لهم ضائراً، إذْ لم يكن ذلك بأمرهم إيَّاهم به، بل عُبِد بعضُهم والمعبود عنه ناهٍ. فكذلك الملكان،غير ضائرِهما سحرُ مَنْ سَحَرَ ممَّن تعلَّمَ ذلك منهما، بعد نهيهما إيَّاه عنه، وعظتهما له بقولهما:﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾البقرة:١٠٢، إذْ كانا قد أدَّيا ما أمر به بقِيْلِهما ذلك"[١].

ولعلّ الوجه الثاني هو الأقرب للصواب، والله أعلم.

وما ذهب إليه ابن الجوزي رحمه الله من عصمة الملائكة ، هو مذهب أهل السنة والجماعة كما تقدم.

المسألة الخامسة: أعمال الملائكة:

بوَّب ابن الجوزي رحمه الله في كتابه المنتظم بابا بعنوان:"أعمال الملائكة" ثمَّ قال:"جمهور الملائكة مشغولون بالتعبد كما قال الله عزَّ وجلَّ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ الأنبياء:٢٠، فمنهم قيام في التعبد، ومنهم ركوع، ومنهم سجود، وكل من رُتِّب لعبادة فهو مُقيمٌ عليها إلى يوم القيامة"[٢].

ويقول في زاد المسير عند قوله تعالى عن الملائكة﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾فاطر:١، فقال:"{رسلاً}يرسلهم إلى الأنبياء وإلى ما يشاء من الأمور"[٣]، ويفهم من هذا النَّص، أنَّ كلَّ الملائكة رسلٌ لهم أعمال يقومون بها، بخلاف ما تقدم من أنَّ جمهورهم مشتغل بالعبادة، لكن ما يمنع أن يكون لهم أعمالاً أخرى يرسلُهم الله فيها.

وبعد أن ذكر ابن الجوزي رحمه الله أعمالَ الملائكة وأطال في ذلك، قال:"فلو ذهبنا نكتُبُ كلَّ شيءٍ مِن هذا طال ذلك"[١].

---

١. جامع البيان (٤٢٦/٢-٤٢٧).

٢. المنتظم (١٩٢/١).

٣. (٤٧٣/٦).

١. المنتظم (١٩٤/١).

يقول ابن القيم رحمه الله:"فكلُّ حركةٍ في السماوات والأرض من حركات الأفلاك والنُّجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنَّبات والحيوان، فهي ناشئةٌ عن الملائكة الموكَّلين بالسماوات والأرض، كما قال تعالى﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾النازعات:٥، وقال تعالى:﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾الذاريات:٤، وهي الملائكة عند أهل الإيمان واتباع الرسل عليهم السلام"[1].

المسألة السادسة : قتال الملائكة وحضورها الحروب:

يرى ابن الجوزي رحمه الله أنَّ الملائكة قد حضرت غزوة بدر وأحد والخندق وحنين، وأنَّها لم تقاتل إلا يوم بدر.

يقول رحمه الله:"غير أنَّ الملائكة لم تقاتلْ إلا يوم بدر"[2].

ويقول:"وقاتلتِ الملائكة يومَ بدر، ولم تقاتلْ في غير ذلك اليوم، كانت تحضُرُ ولا تقاتل"[3].

ويقول عن غزوة أحد:"وحضرت الملائكة ولم تقاتلْ"[4]، وقال أيضاً:"قال علماء السير: كان اللواء مع مصعب بن عمير، فقتل فأخذ اللواء مَلَكٌ في صورته"[5].

ويقول في غزوة حنين:"وكان سيماء الملائكة يوم حنين عمائم حمر، قد أرسلوها بين أكتافهم"[6].

ويحكي في غزوة حنين الاختلاف فيقول:"هل قاتلت الملائكة يومئذ أم لا؟ فيه قولان"[1]. ولكنَّه لم يرجِّحْ.

ويقول عن الأحزاب:"والجنود الملائكة، ولم تقاتلْ يومئذ"[2].

---

١. إغاثة اللهفان (١٢٥/٢).

٢. زاد المسير (٤٥٤/١).

٣. المنتظم (١١٨/٣).

٤. المنتظم (١٦٤/٣).

٥. المنتظم (١٦٧/٣).

٦. المنتظم (٣٣٦/٣). ويُنظر: زاد المسير (٤١٦/٣).

١. زاد المسير (٤١٦/٣).

٢. زاد المسير (٣٥٧/٦).

ويقول في قوله تعالى:﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾التوبة:٤٠:"وهم الملائكة يوم بدر والأحزاب"[١]. فأثبت رحمه الله حضورهم في الغزوتين، لكنَّه لم يثبت قتالهم فيهما.

والنَّاس في قتال الملائكة أقوال:

الأول :أنَّها قاتلت في غزوة بدر فقط، وكان حضورها في الباقي للبشرى، ولطمئنة المؤمنين، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد[٢].

الثاني :أنَّها قاتلت في بدر وغيرها كأُحد وحنين[٣].

الثالث :أنَّها لم تقاتلْ لا في بدر ولا غيره، وأنَّها حضرت للتثبيت والعدد والمدد، وطمئنة قلوب المؤمنين[٤].

الرابع :أنَّها قاتلت يوم بدر، وفي أُحد قاتلت عن النبي ﷺ فقط، وهو قولٌ انفرد به الإمام البيهقي رحمه الله[٥].

هذه أقوال العلماء رحمهم الله في هذه المسألة، وهنا سأتطرق في قضية قتال الملائكة، إلى إنكار من أنكر ذلك سواء كان في بدر أم لا.

فأمَّا بدر فنزلت الملائكة وقاتلت، وهذا ثابت في السنَّة، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال:(بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتَدُّ في أثر رجل من المشركين أَمامَه، إذ سمع ضربةً بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أَقدِمْ حيزوم، فنظر إلى المشرك أَمامَه فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفُه، وشقَّ وجهَه كضربةِ السوط، فاخضرَّ ذلك أَجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ.فقال:((صَدَقْتَ، ذلك مِن مددِ السماءِ الثالثة))[١].

---

١. تذكرة الأريب (٢١٥/١).

٢. يُنظر: روح المعاني (١٧٤/٩)، فتح القدير (٣٤٨/٢)، الثقات لابن حبان (١٦٨/١)، تفسير ابن كثير (٤٠٢/١)، العذب النَّمير (٥٠٥/٤)، مرويات غزوة حنين وحصار الطائف (١/ ٢١٨).

٣. يُنظر: شرح مسلم للنووي (٦٦/١٥)، تفسير ابن عطية (٥٠٥/٢)، تفسير القرطبي (٩٩/٨)، عمدة القاري (١١٠/١٤)، مرويات غزوة حنين وحصار الطائف (٢١٧/١).

٤. يُنظر: اللباب في علم الكتاب (٤٦٤/٩-٤٦٥).

٥. يُنظر: السيرة الحلبية (٤٢٩/٢)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٢٩١/٢٠).

١. رواه مسلم (١٧٦٣) .

وقد ثبت في المسند عن أبي داود المازني[1] رضي الله عنه أنَّه قال:(إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصلَ إليه سيفي، فعرفتُ أنَّه قد قتله غيري)[2].

وكذلك قصة مَنْ أَسَر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقول العباس: إنَّ هذا والله ما أَسرني، لقد أَسرني رجلٌ أَجْلح[3]، مِن أحسن النَّاس وجهاً، على فرسٍ أَبْلق، ما أَراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال:((اسكت، فقد أيَّدك الله تعالى بملكٍ كريم))[4].

فهذه الآثار تدل صراحة على حضور الملائكة غزوة بدر، وقتالهم فيها.

وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:(رأيتُ رسول الله ﷺ يوم أُحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثيابٌ بيض، كأشدِّ القتال ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ)[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام، فقال:قد وضعتَ السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم. قال فإلى أين؟ قال:هاهنا. وأشار إلى بني قريظة. فخرج النبي ﷺ إليهم[6].

فهذه الآثار تدلُّ دلالةً واضحةً في أنَّ الملائكة عليهم السلام، حضروا معاركَ المسلمين، وقاتلوا معهم، وحملوا السلاح، ودافعوا عن نبيِّنا ﷺ وقاتلوا معه.

وبهذا يتضح بطلان مَنْ أنكر قتال الملائكة.

بل إنَّ العلماء عدُّوا من خصائصه ﷺ قتال الملائكة معه.

يقول الإمام البيهقي رحمه الله:"ومنها قتال الملائكة معه"[1].

---

١. عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبذول بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري الخزرجي، أبو داود المازني، المشهور بكنيته. شهد بدراً.الاستيعاب (١٢١٧/٣)، والإصابة (٥٩٨/٤).

٢. مسند أحمد برقم: (٢٣٧٧٨).

٣. الأجلح: الجاح ذهاب شعر مقدم الرأس. مقاييس اللغة (٤٧٠/١).

٤. رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (٩٤٨).

٥. البخاري برقم: (٤٠٥٤)، ومسلم برقم: (٢٣٠٦).

٦. البخاري برقم: (٤١٢٢)، ومسلم برقم: (١٧٦٩).

١. دلائل النبوة (٤٩٩/٥).

ويقول الخيضري[1] رحمه الله في كتابه اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ:"المسألة الثالثة والستون: مقاتلة الملائكة عليهم السلام معه ﷺ في بدر، ولم يكونوا مع غيره إلا مدداً"[2].

ولهذا فإنَّ مَنْ أنكر قتال الملائكة لا حجَّة صحيحةً ثابتةً له، بل إنَّ القرآن يدلُّ عليه صراحةً، قال تعالى﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال:١٢، ولهذا مَن أنكر قتال الملائكة، فقد أنكر صريحَ القرآن.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله:"وظاهرُ سياق آية الأنفال هذه، تدلُّ على أنَّ الملائكة هُمُ الذين أُمروا بالضرب فوق الأعناق وضرب البنان؛ لأنَّه قال:﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾فهذا السياق للملائكة﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾فهذا السياق ظاهر في الملائكة"[3]، ويقول أيضا:"والذين قالوا عن الملائكة لم تقاتل يوم بدر، لا حجة قوية معهم؛ لأنهم استدلوا على ذلك بأن ملكا واحدا يقدر على إبادة جميع الناس، وأن جبريل رفع مدائن قوم لوط على ريشة من جناحه". ثمَّ يجيب الشيخ عن هذا فيقول:"ولا مانع من أن الله يجعل الملائكة مددا وعونا يقْتُلُون معهم، ليكون شرف الهزيمة لأصحاب محمد ﷺ؛ لأنَّ الملك لو أهلكهم ما كان للصحابة في ذلك فضل ولا من شرف، ولكن الله أعانهم ليكون النصر بأيديهم، وإهانة الكفار بأيديهم، كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ﴾التوبة:١٤"[1].

---

١. محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر، قطب الدين أبو الخير ابن الخيضري الزّبيدي الدمشقيّ الشافعيّ. من العلماء بالتراجم والأنساب والحديث. أصلُه من عرب البلقاء. توفي سنة ٨٩٢هـ. البدر الطالع (٢/٢٤٥)، والأعلام (٧/٥١).

٢. (٢/٢٣٧).

٣. العذب النَّمير (٤/١٨٦٧).

١. العذب النَّمير (٤/١٨٦٨).

وهناك جوابٌ آخر، وهو أنَّ الله يبتلي بعضهم ببعض، ولهذا فإن الله قادر على أن يكون الناس مؤمنين، ولكن ليبتلي خلقه سبحانه.

وبِهذا يتبيَّن مذهبَ ابن الجوزي رحمه الله في إثبات قتال الملائكة موافقةً لكتاب الله وسنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، خلافاً لمن أنكر قتالهم عليهم السلام.

المسألة السابعة: رؤية البشر – من غير الأنبياء– للملائكة:

إنَّ رؤية الملائكة على ضربين:

الأول: رؤيتهم على صورتهم التي خلقهم الله عليها.

الثاني: رؤيتهم وهم يتصورون على أحد من البشر.

وقد تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله عن كلا الضربين، وبيَّن الحكم فيهما.

فأمَّا رؤيتهم على صورتهم المَلكيَّة، فيقول عند قوله:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾الأنعام:٩ قال:"أي: ولو جعلنا الرسول إليهم ملكاً، لجعلناه في صورة رجل؛ لأنَّهم لا يستطيعون رؤية الملك على صورته"[١] أي على صورته التي خلقه الله عليها.

وقال في تلبيس إبليس:"ليس في قوى البشر رؤية الملك"[٢].

وهو بهذا يتفق قوله مع قول علماء السلف، في عدم رؤية البشر–باستثناء الأنبياء عليهم السلام– للملائكة عليهم السلام.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾الأنعام:٩:(ما أتاهم إلا في صورة رجل؛ لأنَّهم لا يستطيعون النَّظر إلى الملائكة)[٣].

ويقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير لقوله تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾الأنعام:٩:"لأنَّهم لا يقدرون أن يروا الملك في صورته"[١].

١.(٨/٣).

٢. (٤١٤).

٣. ابن جرير (١٥٢/٧).

١. مصدر سابق.

ولهذا نجد ابن الجوزي رحمه الله تعالى في نفيه لرؤية الملائكة، قيَّدها بقوله"على صورته"[1]. ولما تكلَّم على حديث موسى عليه الصلاة والسلام مع ملك الموت[2]، قال:"فصادفت تلك الدفعة، عينَه المركبةَ في الصورة البشرية، لا العين الملكيَّة"[3].

هذا ما يتعلَّق برؤيتهم لعامة البشر، أمَّا بخصوص الأنبياء عليهم السلام، فيقرِّر رحمه الله بأنَّه ممكن لهم رؤيتهم.

يقول رحمه الله:"ليس في قوى البشر رؤية الملك، وإنَّما الله تعالى يقوي الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة"[4].

ويؤكِّد رحمه الله هذا، حينما ذكر اختلاف العلماء في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾النجم:١٣وهل الضمير يرجع إلى الله سبحانه وتعالى أم إلى جبريل عليه السلام؟ وأنَّ من قال إلى الله، حمل الرؤية بالقلب والفؤاد، ومن قال جبريل"فلا يحتاج على هذا القول أن يقال رآه بقلبه ولا بفؤاده"[5] لأنَّ رؤية الأنبياء لهم ممكنة، فليس هناك داعي لأنْ يُقال أنَّ الرؤية بالفؤاد أو بالقلب.

وما ذكره رحمه الله هو ما دلَّتْ عليه السنة، فعن أبي إسحاق الشيباني، قال:سألتُ زرَ بن حبيش[1]عن قول الله تعالى:﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ النجم:٩-١٠ قال: حدثنا ابن مسعود: أنَّه رأى جبريل، له ستمائة جناح[2].

وعن مسروق[1] قال:كنت عند عائشة، فقلتُ: أليس الله يقول:﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ النجم:٧﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾النجم:١٣؟ فقالت:أنا أولُ هذه الأمة سألتُ رسولَ الله

---

١. زاد المسير (٨/٣).

٢. رواه البخاري برقم: (٣٤٠٧)، ومسلم برقم: (٢٣٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣. كشف المشكل (٤٤٤/٣).

٤. تلبيس (٨٤/١).

٥. كشف المشكل (٤٥٣/٢)، وإن رجح في تذكرته قول ابن عباس (١٨٦/٢).

١. زِرُّ بن حُبَيش بن حباشة بن أوس بن بلال الأسدي، من بني أسد بن خزيمة، يكنى أبا مريم، وقيل: يُكنى أبا مطرف. أدرك الجاهلية ولم يرَ النبي ﷺ، وهو من أجلاء التابعين، ومن كبار أصحاب ابن مسعود، أدرك أبا بكر وعمرَ رضي الله عن الجميع. توفي سنة ٨٣هـ أو قبلها بقليل. الاستيعاب (٥٦٣/٢)، والإصابة (٥٢٢/٢).

٢. رواه البخاري برقم: (٣٢٣٢)، ومسلم برقم: (١٧٤).

ﷺ عنها، فقال:((إنَّما هو جبريل، لم أرَه على صورته التي خُلِقَ عليها غير هاتين المرتين، رأيتُه منهبطاً مِن السماء، سادّاً عِظَمُ خلقِه ما بين السماء إلى الأرض))[2].

وقال الإمام البيهقي رحمه الله:"ومنها– أي من خصائصهﷺ– آرائه إيَّاه في صورته التي خُلِقَ عليها"[3].

ولهذا ذكر تقي الدين ابن تيمية رحمه الله أنَّ رؤيته ﷺ للملائكة من دلائل نبوته، فقال:"وذكر أنَّه رأى من آيات ربِّه الكبرى، ولم يعيِّن ما رآه، وهو جبريل الذي رآه في صورتِه التي خُلِقَ عليها مرتين؛ لأنَّ رؤية جبريل هي من تمامِ نبوته"[4].

وأمَّا رؤيتهم على الصورة البشرية، فهذا ممكن للأنبياء ولعامة الناس، والذي أريد أن أذكره هنا عن ابن الجوزي رحمه الله، أنَّه يقرِّر أنَّ هذه الرؤية تخفى على الناس، بل على الأنبياء عليهم السلام أحياناً.

يقرِّرُ ابن الجوزي رحمه الله ذلك، فيقول رحمه الله:"وقد يخفى الملكُ على النبي إذا جاء في صورة البشر، كما خَفِيَتْ الملائكة على إبراهيم ولوط، وخَفِيَ جبريل على نبيِّنا لما جاءه في صورة رجل، فسأله عن الإسلام والإيمان[1]، فروى الحديثَ الدار قطنيُّ من وجوه، ففي بعضها أنَّ رسول الله ﷺ قال:((ما خفي عليَّ جبريل قط مثل اليوم))، وفي لفظ ((ما عرفته حتى ولَّى))[2]"[3].

وما يدَّعيه البعض أنَّه رأى الملائكةَ على الصورة البشرية، ادعاءٌ باطل؛ لأنَّه كيف يعلمُ بأنَّه ملك؟ وهذا أمرٌ خَفِي على الأنبياء، كيف يَعلمُه هو؟ وفَتحُ هذا الباب– وهو ادعاء رؤية الملائكة– يؤدِّي إلى أمورٍ لا تحمد، وهو مما يستخدمُه أهلُ البدع من الصوفية وغيرهم

---

١. أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلمان بن معمر. الإمام، القدوة، العلم. وهو من المخضرمين من كبار التابعين. مات سنة ٦٣هـ. السير (٦٣/٤)، الإصابة (٢٢٩/٦).

٢. رواه مسلم برقم: (١٧٧).

٣. دلائل النبوة (٤٩٩/٥).

٤. النبوات (١٢٧/١). يُنظر: درء التعارض (١٣٢/٥).

١. مراده حديث أمير المؤمنين عمر المشهور الطويل في مسلم برقم: (٨).

٢. رواه الدارقطني (٣٤١/٣)، ولفظه: ((فوالذي نفسي بيده، ما شبَّه علي منذ أتاني قبل مرتي هذه، وما عرفتُه حتى ولَّى)).

٣. كشف المشكل (٤٤٤/٣).

لاستغواء الجهال، وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله أقوالَهم في ذلك على وجه الاستنكار، وأنَّهم يفعلون ذلك استغواء للعامة وجهلة الناس.

فيَنقُل عن الحارث الكذَّاب[1] قولَه"ويقول أُخْرجوا حتى أريَكم الملائكةَ، فيُخرجهم على دير المران[2]، فيريهم رجالاً على خيل، فتَبِعَه بشرٌ كثير، وفشى الأمر، وكَثُرَ أصحابه"[3].

وقال أيضاً عن سهل التَّستُري[4]:"قال السُّلمي: وحكى رجل عن سهل بن عبدالله التستري أنَّه يقول: إنَّ الملائكة والجنَّ والشياطين يحضرونه، وأنَّه يتكلَّم عليهم، فأَنكر ذلك عليه العوام، حتى نسبوه إلى القبائح، فخرج إلى البصرة فمات بها"[5].

وبهذا نجدُ كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله تصدَّى لهذه الخرافات وحذَّر منها، ونبَّه إلى استغلال هؤلاء لعامة الناس بذكر مثل هذه الحكايات.

وما كان الإمام ابن الجوزي رحمه الله يتكلَّم بذلك، إلا وهو شائعٌ في مجتمعه، منتشرٌ في زمانه، فيقول:"وقد رأينا في زماننا مَنْ يشيرُ إلى الملائكة، ويقول هؤلاء ضيفٌ مكرمون، يوهم أنَّ الملائكةَ قد حضرت"[1].

المسألة الثامنة: تفضيل البشر على الملائكة:

إنَّ القارئ لكتب الإمام ابن الجوزي رحمه الله ، يلاحظ أنَّ هذه المسألة وهي المفاضلة بين الملائكة والبشر، أخذتْ حيِّزاً من كتبه رحمه الله، وتعرَّض لها في أكثر من مصنَّف، حتى شطح في بعض عباراته رحمه الله لتقريره لهذه المسألة، وأَثارتْ عليه نكيرُ علماءِ عصرِه في

---

١. الحارث بن سعيد، ويقال: الحارث بن عبد الرحمن بن سعد الدمشقيّ المتنبي الكذَّاب، مولى أبي الجلاس العبدري القرشي، ويقال: مولى مروان بن الحكم، صَلَبَه عبدُالملك بن مروان، توفي سنة٦٩هـ. لسان الميزان (١٥١/٢)، والأعلام (١٥٤/٢).

٢. ديران مران: بضمِّ الميم، بالقرب من دمشق، على تَلٍّ مشرف. معجم البلدان (٥٣٣/٢)، والديارات للأصبهاني (٢٥).

٣. تلبيس إبليس (٤٥٧/١). يُنظر: المنتظم (٢٠٥/٦)، وتاريخ دمشق (٤٢٨/١١).

٤. سهل بن عبدالله بن يونس شيخ العارفين، أبومحمد التستري، الصوفي الزاهد، لقِيَ ذا النون المصري وصحبه، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، توفي سنة ٢٨٣هـ. السير (٣٣٠/١٣) والأعلام (١٤٣/٣).

٥. تلبيس إبليس (٩٧٧). ذكر الطوسي رحمه الله أنَّ سبب خروجه هو قوله:"التوبة فريضة على العبد مع كلِّ نفس" اللمع (٤٤٩). وهذا هو الصواب –والله أعلم- كما ذكره الدكتور المزيد في تحقيقه على التلبيس، وذلك لأمور، أهمها أنَّ هذا خلاف ما اشتهر عن التستري رحمه الله من كلمات مفيدة ومواعظ حسنة.

١. تلبيس (٤٦٦/١).

عرضه لهذه القضيَّة، وهذا الإنكار عليه يتَّضِحُ في رسالة الإمام العلثي إسحاق بن أحمد لابن الجوزي رحمهما الله.

يقول الإمام العلثي في رسالته لابن الجوزي رحمهما الله:"فعندك مِن الأقوال التي لا تَليقُ بالسنَّة ما يضيقُ الوقتُ عن ذكرها، فذُكر عنك أنَّك ذكرتَ في الملائكة المقرَّبين، الكرام الكاتبين، فصلاً زَعمتَ أنَّه مواعظٌ، وهو تشفيقٌ وتفهيقٌ، وتَكلُّفٌ بشع، خلا أحاديثَ رسول الله ﷺ وكلام السلف الصالح الذي لا يخالف سنَّة، فعمَدتَ وجعلتَها مناظرةً معهم، فمَنْ أَذِنَ لك في ذلك؟ وهم مستغفرون للذين آمنوا، و لا يستكبرون عن عبادة الله، وقد قَرَنَ شهادته بشهادتهم قبل أولي العلم، وما علينا كان الآدميُّ أفضل مِنهم أم لا؟ فتلك مسألةٌ أخرى.

فشرعتَ تقول: إذا ثارَتْ نارُ الحسد فمَن يطفيها؟ وفي الغيبة مافيها. مع كلامٍ غثٍّ، أليس منَّا فلان؟ ومنَّا الأنبياء والأولياء؟ من فعل هذا مِن السلف قبلك؟ ولو قال لك قائل من الملائكة: أليس منكم فرعون وهامان؟ أليس منكم مَن ادَّعى الربوبية؟ فعمَّن أخذتَ هذه الأقوالَ المحدثة، والعباراتِ المزوَّقة، التي لا طائلَ تحتها، وقد شغلتَ بها الناس عن الاشتغال بالعلم النَّافع، أحدهم قد أُنسيَ القرآن وهو يعيد فضل[1] الملائكة ومناظرتهم، ويتكلَّم به في الآفاق، فأين الوعظ والتذكير من هذه الأقوال الشنيعة البشعة؟"[2].

نلاحظ من هذا النَّص المتقدِّم أموراً منها:

١. قوله:"فذُكر عنك في الملائكة المقربين...فصلا زعمت أنه مواعظ وهو تشفيق وتفهيق".

هذا يدلُّ على أنَّ الإمام إسحاق العلثي رحمه الله، لم يقفْ على كلام ابن الجوزي والله أعلم، وإنَّما ذُكر له كما قال، ولو وقف عليه لكان أفضل، وأبرأ للذمَّة[3]، خاصَّة أنَّه في بغداد، بل إنَّ ابن عمِّه الإمام طلحة العلثي رحمه الله، كان من المقربين لابن الجوزي وأحد تلامذته[4].

---

١. هكذا في طبقات الحنابلة ولعلَّ الصواب[فصل].

٢. الذيل على طبقات الحنابلة (٣/٤٤٧-٤٤٨).

٣. يقول الله تعالى [وما شهدنا إلا بما علمنا] وليس الخبر كالمعاينة.

٤. يُنظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/٥٠٣) وَ (٢/٥٠٥).

وهذه العبارة تدلُّ على أنَّه لم يراجعْ ابنَ الجوزي رحمه الله لمناقشته ونصحه، وإنَّما أرسل إليه رسالته المتقدمة بناء على ما ذُكِرَ عنه رحمة الله عليهما.

٢. وفي قوله رحمه الله:"وما علينا كان الآدمي أفضل منهم أم لا؟ فتلك مسألة أخرى".

يلاحظ أنَّه لم يُنكرْ عليه ذكرَه لهذه المسألة وهي التفضيل بين الملائكة والبشر، وإنَّما أنكر عليه عباراتِه أثناءَ عرضِه لهذه المفاضلة وهي طريقة المناظرة كقوله:"منَّا الأنبياء والأولياء"، ولهذا يقول الإمام إسحاق:"ولو قال لك قائل من الملائكة: أليس منكم فرعون وهامان؟"، فهو ينكر عليه العرض لا أصلَ المسألة والله أعلم، وإن كانت عبارة الإمام إسحاق رحمه الله "وما علينا" كأنَّها تدلُّ على عدم أهمية ذكر هذه المسألة، ويؤكِّد ذلك والله أعلم قوله"وقد شغلتَ بها الناس عن الاشتغال بالعلم النافع"، إلا إن كان الضمير في "بها" يعود على "الأقوال المحدثة والعبارات المزوقَة" فيكون إنكاره على طريقة عرضه للمسألة، لا على أصل المسألة، والله أعلم.

وهنا أحبُّ أن أنوِّه على أنَّ هذه المسألة قد ذكرها العلماء من أهل السنة قبل ابن الجوزي رحمه الله.

فقد سئل عنها الإمام أبو حنيفة رحمه الله[1]، ونُقل عن الإمام أحمد رحمه الله تفضيلَه صالحي البشر على الملائكة[2]، وذكرها الإمام اللالكائي رحمه الله في كتابه شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، فقال:"سياق ما دلَّ من كتاب الله وسنَّة نبيِّه في أنَّ بني آدم خيرٌ من الملائكة"[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وكنتُ أحسب أنَّ القولَ فيها مُحْدَثٌ، حتى رأيتها أثرية سلفية صحابية، فانبعثتِ الْهمة إلى تحقيق القول فيها، فقلنا حينئذ بما قاله السلف"[4].

أقول لعلَّ الإمام إسحاق العلثي رحمه الله، أراد بعض العبارات التي قالها ابن الجوزي رحمه الله التي يتوهم فيها تنقص الملائكة، من ذلك:

---

١. شرح الطحاوية (٤١١/٢).

٢. الملائكة والجن دراسة مقارنة بين الأديان (١٠٣).

٣. شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٣٥/٧).

٤. مجموع الفتاوى (٣٥٧/٤).

- " ثمَّ رقاه-أي نبينا ﷺ – إلى عالم السماوات، ليتعلَّم الملائكةُ آدابَ العبودية"[1].
- "فصورةُ الآدميِّ أعجبُ من ذوي أجنحةٍ"[2].
- "فكانت شماتةُ الملائكة الذين سجدوا له، أشدُّ عليه من مفارقة الجنَّة"[3] وهذا في معرِض كلامه عن سيدنا آدم عليه السلام.
- "وهل ثمَّ إلا عبادة ساذجة، ليس فيها مقاومة طَبْعٍ، ولا ردَّ هوى؟ وهل هي إلا عبادة صوريَّة بين ركوعٍ وسجودٍ وتسبيحٍ؟ فأينَ عبادتُهم المعنويَّة من عبادتِنا؟ ثمَّ أكثرهم في خدمتنا"[4].
- "إنَّكم معشر الملائكة، وإن فخرتم على الآدميين بالأعمال، وعيَّرتموهم بالإفساد، فلأجعلنكم خدمتهم[1]، فمنكم من يغرس لهم في الجنان... ومنكم ومنكم...ومنكم"[2].

فهذه العبارات لو ترَكَها رحمه الله لكان أولى، بل فيها ما لايجوز قوله، كقوله أنّهم يتعلمون آداب العبودية، ووصفه لعبادتهم عليهم السلام بالسذاجة، وهل يرتضي الله عزَّ وجلَّ بهذه العبادة الساذجة؟ وفي غالب ظنِّي أنَّه هو أَحسَّ بهذا التجاوز في عباراته، فبعد ذكرِه لبعض كلامِه السابق قال مستدركاً:"ولا تَظنَّنَّ أنِّي أعتقدُ في تعبد الملائكة نوع تقصير"[3]، فكأنَّه يقول رحمه الله لا يُفهم من قولي أنِّي أُقلِّلُ من شأن عبادة الملائكة لربِّهم، أو من شأنهم، كما تقدَّم معنا في عصمتهم عليهم السلام.

فأقول لو عرَض المسألة كنقاش علمي؛ لكان أولى وأسلم، وكما قيل:

إنَّ السَّلامةَ مِنْ سَلمَى وجارتِها ***** أنْ لا تَحِلَّ على حالٍ بواديها[4]

---

١. المنظوم (٧٤٤).

٢. يلاحظ هنا أنه رحمه الله تجاوز فتكلَّم في تفضيل الخِلْقَة، وهذا وإن كان صحيحاً استناداً لقوله تعالى[لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم] إلا أنَّ العبارة توهم نوع تنقص والله أعلم.

٣. المنظوم (١٥٦). ويُنظر: أيضاً (١٥٧) و (٣٠٥) و (٦٨٣).

٤. صيد الخاطر (٨٩).

١. كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب (في خدمتهم) إلا أن يحمل أنَّه منصوب على نزع الخافض، أي في خدمتهم.

٢. المنظوم والمنثور (١٣٢).

٣. صيد الخاطر (٨٩).

٤. ذكره الخوارزمي في مفيد العلوم (٥١١)، وأبوحيان في الصداقة والصديق (٦٦)، والقزويني في أخبار قزوين (٣٧٩/١)، وميارة في الإتقان والإحكام (١١/١) بدون نسبة.

يقول الإمام الذهبي رحمه الله تعالى عن محنة الإمام وكيع الرؤاسي رحمه الله حينما رَوى أثراً أنَّه ﷺ بعد وفاته رَبَا بطنُه[1] وانثنت خنصراه[2]، فكادَ أن يقتلَه الناسُ، يقول الإمام الذهبي رحمه الله معلِّقاً:"محنة وكيع – وهي غريبة – تورَّط فيها، ولم يردْ إلا خيراً، ولكنْ فاتته سكتةٌ"[3].

فكذلك ابن الجوزي رحمه الله، لم يردْ إلا خيراً، ولكن فاتته سكتة، فرحمة الله عليهم أجمعين، وجمعنا بهم في دار كرامته.

ونعود– والعود أحمد – لمناقشة المسألة، فأقول وبالله التوفيق، لقد تكلَّم العلماء في هذه المسألة، وألَّفوا فيها الكتب، فمِمَّن ألَّف فيها تاج الدين الفزاري رحمه الله، وسماه (الإشارة في البشارة في تفضيل البشر على الملك)[4]، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله، حيث قال:"ولنا في هذه المسألة مصنف مفرد، ذكرنا فيه الأدلَّة من الجانبين"[1]. ومِنْ أوسع من تكلَّم فيها شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى[2]، وكذلك الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرحه للطحاوية[3]، والحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح[4]، والحافظ ابن كثير في تاريخه[5].

والأقوال في هذه المسألة هي[6]:

١. تفضيل صالحي بني آدم على الملائكة، وهو قول أكثر أهل السنَّة.

٢. تفضيل الملائكة على صالحي بني آدم، وهو قول المعتزلة.

٣. تفضيل حقيقة البشر على حقيقة الإنسان، ولا يلزم تفضيل كل فرد على كل فرد.

---

١. أي انتفخت بطنه ﷺ بعد موته.

٢. رواه ابن سعد في الطبقات من حديث عوف الأعرابي عن الحسن البصري (٢/٢٧١)، ورواه ابن عدي في الكامل (٤٨/٧) من حديث وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبدالله البهي.

٣. سير أعلام النبلاء (١٥٧/٩).

٤. ذكره عنه ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٤١٣/٢).

١. مجموع الفتاوى (٣٤٤/٤).

٢. يُنظر: الفتاوى (٣٤٤/٤)، (٢٩٩/١٠)، (٩٥/١١)، (٣٧٢/١١).

٣. يُنظر: (٤١٠/٢-٤٢٣).

٤. يُنظر: الفتح (٣٨٦/١٣-٣٨٨).

٥. يُنظر: (٤٩/١).

٦. يُنظر: هذه الأقوال: فتح الباري (٣٨٦/١٣)، شرح الطحاوية (٤١٠/٢)، ومقالات الإسلاميين للأشعري(٤٣٩).

٤. تفضيل الأنبياء على الملائكة.

٥. تفضيل الملائكة على الأنبياء إلا نبينا محمدا ﷺ.

٦. جميع أئمة الشيعة أفضل من جميع الملائكة وهو قول الشيعة.

٧. تفضيل صالحي البشر باعتبار كمال النهاية، وتفضيل الملائكة باعتبار البداية. وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١].

قال ابن القيم رحمه الله:"وبهذا التفصيل، يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه"[٢].

ومراده بكمال النهاية، دخول الجنَّة ورضوان الله عنهم، وزوال كل ما فيه نقص وملام[٣].

وذِكرُ الأدلة من كلا الفريقين، ومناقشتها يطول، ولكن الراجح والله أعلم هو تفضيل صالحي البشر والأنبياء على الملائكة.

يقول شيخ الإسلام قال:"وما علمت عن أحد من الصحابة ما يخالف ذلك، وهذا هو المشهور عند المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو أن الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة"[١].

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تاريخه:"وأحسن ما يستدل به في هذه المسألة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن عبدالله بن عمرو مرفوعا - وهو أصحّ - قال:((لما خلق الله الجنَّة، قالت الملائكة: يا ربنا اجعل لنا هذه نأكل منها ونشرب، فإنَّك خَلقتَ الدنيا لبني آدم، فقال الله: لنْ أجعلَ صالحَ ذريَّة من خلقتُ بيَدَيَّ، كمَن قلتُ له كن فيكون))[٢]"[٣].

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:"وأكثر العلماء على أنَّ خيارَ الرُّسلِ مِن الآدميين أفضل من الملائكة"[٤].

---

١. مجموع الفتاوى (٣٤٣/٤).

٢. مجموع الفتاوى (٣٤٣/٤).

٣. مجموع الفتاوى (٣٠٠/١٠).

١. مجموع الفتاوى (٣٤٤/٤).

٢. رواه عبدالرزاق في تفسيره برقم: (١٥٩٢).

٣. البداية والنهاية (١٢٧/١). ويُنظر: تفسير ابن كثير (٩٧/٥)، يُنظر: نقض عثمان بن سعيد (١٤) وتخريج المحقق وهو الشيخ منصور الساري للحديث وتصحيحه له.

٤. العذب النَّمير(٢٥٣/١).

وقبل الانتهاء مِن هذا البحث أودُّ أن أنوِّهَ إلى أمر، وهو أنِّي حين بحثي في هذه المسألة، كنتُ أسأل ما هي ثمرة الخلاف فيها؟ وهل ينبني عليها شئ من مسائل العلم؟ حتى رأيتُ الإمام ابن أبي العز رحمه الله يقول:"وكنتُ ترددتُ في الكلام على هذه المسألة، لقلَّة ثمرتِها، وأنَّها قريبٌ مما لا يعني، و((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه))[1]"[2].

ثمَّ يقول:"فإنَّ الواجبَ علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أيّ الفريقين أفضل، فإنَّ هذا لو كان من الواجبات لبُيِّنَ لنا نصًّا...فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفياً وإثباتاً- والحالة هذه -أولى"[3].

وقد قيل للإمام مالك رحمه الله:ما تقول في طلب العلم؟ قال:حسن جميل، لكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه[1].

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله:"والتفضيل بين الرسل والملائكة معروف عند العلماء، ولم يقمْ عليه دليل قاطعٌ، ولا حاجة لنا فيه. لو لَقِيَ الإنسانُ ربَّه وهو لم يبحثْ في التفضيل بينهم، لم يسألْه عن ذلك"[2].

---

١. رواه الإمام أحمد في المسند برقم: (١٧٣٢)، والترمذي برقم: (٢٣١٧).

٢. شرح الطحاوية (٤١٠/٢).

٣. مصدر سابق (٤١١/٢-٤١٢).

١. سير أعلام النبلاء (٩٨/٨).

٢. العذب النَّمير (٣٩١/١).

المطلب الثاني: ما يتعلَّق بالجنِّ، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: حقيقة الجنِّ والشياطين:

ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله في المنتظم، أنَّ الجنَّ ثلاثة أنواع، جانٌّ وجنٌّ وشياطين، ثمَّ تحدَّث عن الجان والشياطين، ولم يذكر شيئا عن الجنِّ.

يقول رحمه الله"هذا الجنُّ ثلاثة أنواع:جانٌّ وجنٌّ وشياطينٌ"[1] .

فقوله"ثلاثة أنواع" قد يفهم منه أنَّهم ثلاثة أصناف متغايرة، ولكن ما يذكره في كتبه تدلُّ على إنَّهم صنف واحد، فيقول عن الشياطين أنَّهم كلُّ"مُتجبِّرٍ عاتٍ من الجنِّ"[2]، ويذكر في قوله تعالى﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾الجن:٤ بأنَّ المراد به هو إبليس[1]، ومعلوم أنَّ ذلك من قول الجنِّ.

ويقول في تذكرة الأريب:"واستمتاع الإنس بالجنِّ، أنَّ الجنَّ زيَّنَت لهم الشهوات، حتى سَهُلَ عليهم فعلها"[2]، والذي تُسوِّل لهم المعاصي هي الشياطين، ويقول في قوله تعالى:﴿ بَلْ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ ﴾سبأ: ٤١،"أي يُطِيعون الشياطين"[3].

وفي حديث النَّهي عن الأكل بالشمال[4] يقول:"وقد دلَّ هذا الحديثُ على أنَّ الشيطانَ يأكل ويشرب، وقد سبق في مسند ابن مسعود أنَّ الجنَّ سألوا الله الزاد"[5].

ومِن خلال ما سبق يتبين أنَّهم جنس واحد، وهو جنس الجنِّ، وأنَّهم خُلِقوا من نار، ممَّا يؤكِّد أنَّه يرى أنَّهم شيءٌ واحد.

وأمَّا الجانّ فقد حكى فيه الخلاف وأنَّه على ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول:أنَّه مسيخ الجنِّ[6].

---

١. المنتظم (١/١٧٤) .

٢. المنتظم (١/١٧٥).

١. تذكرة الأريب (٢/٢٤٧).

٢. (١/١٦٨).

٣. تذكرة الأريب (٢/٩٦).

٤. رواه مسلم برقم: (٢٠٢٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

٥. كشف المشكل (٢/٥٩٥).

٦. زاد المسير (٤/٣٩٩)، المنتظم (١/١٧٥).

القول الثاني:أنَّه أبو الجنِّ[1].

القول الثالث:أنَّه إبليس[2].

ثمَّ هو يرجِّح في تذكرة الأريب، بأن المرادبـ [الجان] أبوالجن[3].

ولكن هل إبليس هو أبو الجنِّ؟ حكاه قولا في تفسيره زاد المسير حيث قال:"فإن قيل أليس أبو الجن هو إبليس؟ فعنه جوابان:

أحدهما:أنَّه هو... والثاني: أنَّ الجان أبو الجنِّ، وإبليس أبو الشياطين، فبينهما إذاً فرق على ما ذكرناه عن ابن عباس"[1].

والذي يترجَّح عنده -والعلم عند الله- أنَّه يرى أنَّ الجان أبو الجنِّ، للأمور التالية:

الأول:أنَّه رجّح في تذكرة الأريب أنَّ الجان أبو الجنِّ، كما تقدَّم.

الثاني:أنِّي لم أرَ له نصَّاً في شيء من كتبه يدلُّ على أنَّ إبليس أبو الجنِّ.

وللعلماء في هذه المسألة قولان:

القول الأول: ذهب بعض العلماء أنَّ إبليس هو أبو الجنِّ، وممَّن ذهب إلى ذلك محمد بن شهاب الزهري رحمه الله، حيث قال: إبليس أبو الجنِّ[2]. وهو قول ابن زيد والحسن[3]، وقتادة[4]، وابن عطية[5]، والحافظ ابن حجر[6]، والسعدي[7] رحمة الله على الجميع.

يقول شيخ الإسلام:"والشياطين هم مردةُ الإنس والجن، وجميع الجنِّ ولد إبليس"[1].

---

١. زاد المسير (٣٩٩/٤)، المنتظم (١٧٤/١).

٢. زاد المسير (٣٩٩/٤). وقد ذكر قولاً ثالثاً في المنتظم (١٧٤/١) وهو" أنَّ الجان هو الإثنين-هكذا في المطبوع ولا معنى له- قاله الحسن وعطاء وقتادة ومقاتل". ولعلَّ المرادَ إبليس-نعوذ بالله منه- والله أعلم، ويدلُّ على ذلك أنَّه قال في تفسيره (٣٩٩/٤)"والثالث: أنَّه إبليس. قاله الحسن وعطاء وقتادة ومقاتل". فنسب القول إلى هؤلاء الأئمة الأربعة. فالذي في المنتظم هو خطأ مطبعي والله أعلم .

٣. يُنظر: تذكرة الأريب (٢٨٤/١).

١. زاد المسير (٣٩٩/٤).

٢. العظمة (١٦٤٥/٥)، الدر المنثور (٤٠٢/٥).

٣. المحرَّر الوجيز لابن عطية (١٢٤/١)، الطبري (٢٦٦/١)، وكذلك الطبري (٢٦٢/١٥)، القرطبي (١٦١/١٧).

٤. تفسير البغوي (٤٩/٣)، القرطبي (٢٩٤/١).

٥. المحرر الوجيز لابن عطية (٣٥٩/٣).

٦. فتح الباري (٣٦٩/٦).

٧. (٤٣١/١).

ويروى في ذلك حديثاً مرفوعاً، فعن معاوية بن الحكم السلمي أنَّه قدَّم على رسول الله ﷺ. فقال:يا رسول الله إنِّ أريد أن أسألك عن أمر لا أسأل عنه أحدا بعدك. من أبونا؟ قال:آدم. قال:من أمنا؟ قال:حواء. قال:من أبو الجنِّ؟ قال:إبليس[٢].

وذهب جمهور المفسرين[١] إلى أنَّ الجان أبو الجنِّ، وممَّن قال بذلك ابن مسعود[٢] وابن عباس[٣] رضي الله عنهما، وكذلك مجاهد[٤]، والبغوي[٥]، والزمخشري رحمهم الله[٦].

المسألة الثانية: إبليس من الجن:

إنَّ مسألةَ هل إبليس من الملائكة أم من الجن، هي من المسائل المشهورة بين العلماء.

ولقد ساهم الإمام ابن الجوزي رحمه الله في هذه المسألة، وأدلى فيها بدلوه، مقرِّراً بأنَّه مِن الجنِّ.

يقول رحمه الله:"كان إبليس سبعمائة ألف سنة في عِدَد الملائكة، وهو من الجنِّ"[٧].

ويقول رحمه الله في قوله تعالى:﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ الكهف:٥٠:"أصله منهم"[٨].

وإن كان رحمه في زاد المسير، لم يرجح كعادته، وهذا في الغالب أنه يحكي الأقوال، ولكنه لا يرجح، بل يحكي الأقوال في المسألة مستدلا لكلا الفريقين أحياناً.

يقول رحمه الله:"وفي قوله﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾الكهف:٥٠ قولان:

---

١. مجموع الفتاوى (٧/١٥). يُنظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٣٥).

٢. المعجم الأوسط (٦/١٩٧). قال الهيثمي:"رواه الطبراني في الأوسط وفيه طلحة بن زيد ضعفه البخاري وأحمد وذكره ابن حبان في الثقات" مجمع الزوائد (١/١٩٣).

١. فتح القدير (٣/١٣٠).

٢. تفسير البحر المحيط (١/٣٠٣).

٣. تفسير البغوي (٣/٤٩).

٤. روح المعاني (٢٧/١٠٥).

٥. تفسير البغوي (٤/٢٦٨).

٦. الكشاف (٤/٤٤٩).

٧. المنظوم والمنثور (١٦٧).

٨. تذكرة الأريب (١/٣٢٠).

أحدهما:أنَّه من الجنِّ حقيقة لهذا النَّص، واحتجَّ قائلوا هذا، بأنَّ له ذرية وليس للملائكة ذرية، وأنَّه كَفَرَ، والملائكة رسل الله معصومون من الكفر.

والثاني:أنَّه كان من الملائكة، وإنَّما قيل من الجنِّ؛ لأنَّه كان من قَبِيلٍ من الملائكة يقال لهم الجنّ، قاله ابن عباس"[1].

ففي المسألة قولان كما ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله.

وقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله أنَّ كون إبليس من الملائكة، هو قول الجُمهور، وأنَّه المروي عن ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب وابن جريح[1]، وهو الذي رجَّحه الطبري في تفسيره[2].

ومن قال بأنَّه من الجنِّ فهو مرويٌّ عن الحسن البصري والزهري[3].

واستدلَّ من قال بأنَّه من الملائكة، بأنَّ الاستثناء منقطع، وأنَّه استثناء من الجنس[4]، أي من جنس الملائكة، واستدلوا بما ورد عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما.

ومن قال بأنَّه من الجنَّ استدلوا بما يلي :

أولاً: قال تعالى:﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله تعالى:"وقوله في هذه الآية الكريمة ﴿ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ ظاهرٌ في أنَّ سببَ فسقِهِ عن أمر ربِّه كونَه من الجنِّ. وقد تقرَّر في الأصول في (مسلك النَّص) وفي (مسلك الإيمان والتنبيه)، أنَّ الفاء من الحروف الدالة على التعليل، كقولهم سَرَقَ فقُطِعت يدُه، أي:لأجل سرقته، وسها فسجد، أي:لأجل سهوه، ومن هذا القبيل قوله تعالى﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾المائدة:٣٨ أي: لعلَّة

---

١. زاد المسير (١٥٣/٥) .

١. يُنظر: تفسير القرطبي (٢٩٤/١).

٢. (٢٢٧/١).

٣. زاد المسير (٦٥/١) .

٤. زاد المسير (٦٥/١). يُنظر: الطبري (٢٢٤/١).

سرقتِهما، وكذلك قوله هنا﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ ﴾أي: لعلَّةِ كينونته من الجنِّ"[1] أي:لأجل أنَّه كان من الجنِّ ففسق عن أمر ربِّه.

ثانياً: كذلك استدلوا بقوله ﷺ:((خُلِقَتْ الملائكةُ من نور، والجانّ من نار))[2]، فهذا نصٌّ واضح بأنَّ الجنَّ مخلوقةٌ من نار، وإبليس بنصِّ القرآن مخلوقٌ من نار، حيث قال عن نفسه مخاطباً ربَّ العزَّة والجلال﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ص:٧٦.

ثالثاً: بأنَّ له ذريةً، والملائكة لا ذرية لهم، ولا يتزاوجون أصلا، قال تعالى:﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾الكهف:٥٠، وقال تعالى:﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾الرحمن:٧٤.

رابعاً: وممَّا يُستدلُّ به — ولم أرَ أحداً ذكره – قوله ﷺ حينما جاءه إبليس بشهاب من نار، قال ﷺ:((إنَّ عدوَّ الله إبليسُ جاء بشهاب من نار ليجعلَه في وجهه... والله لولا دعوةُ أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعبُ به ولدانُ أهل المدينة))[1]، ودعوة سليمان عليه السلام أنَّ الله يهبه ملكاً لا يهبه لأحد من بعده، ومن هذا الملك تسخير الجنِّ له، ولو أنَّ النبي ﷺ أوثقه ليلعب به ولدان المدينة، لسُخِّر له الجنّ، ولكن بسبب دعوة سليمان عليه السلام لم يوثقه ﷺ والله أعلم.

وما احتجَّ به الأولون، أنَّ إبليسَ كان من قبيل من الملائكة يُسمون بالجنِّ، أو أنَّه كان من أشراف الملائكة، ومن خزان الجنَّة، وأنَّه يُدبِّر أمرَ السماء الدنيا، فهذا"كلُّه من الإسرائيليات التي لا معوَّل عليها"[2].

يقول الشيخ الإسلام:"والتحقيق أنَّه كان منهم— أي من الملائكة– باعتبار صورته، و ليس منهم باعتبار أصله، ولا باعتبار مثاله"[3].

---

١. أضواء البيان (٣/٢٩٠).

٢. تقدّم صفحة (٢٧٨).

١. رواه مسلم برقم: (٥٤٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

٢. أضواء البيان (٢/٦٩١).

٣. مجموع الفتاوى (٤/٣٤٦). يُنظر: (٤/٢٣٥) حيث يقرر أن إبليس أبو الجن.

المسألة الثالثة: ليس من الجنِّ رسل:

ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله هذه المسألة في تفسيره، وذكر أقوال العلماء في ذلك، فقال رحمه الله:"واختلف في الرسالة إلى الجنِّ على أربعة أقوال:

أحدهما: أنَّ الرسل كانت تبعث إلى الإنس خاصة، وأنَّ اللهَ تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الإنس والجنِّ ، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني:أنَّ رسل الجنِّ هم الذين سمعوا القرآن، فولَّوا إلى قومهم منذرين. روي عن ابن عباس أيضاً. وقال مجاهد:الرسل من الإنس، والنُّذر من الجنِّ، وهم قوم يسمعون كلام الرسل، فيبلغون الجنَّ ما سمعوا.

والثالث:أنَّ الله تعالى بعث إليهم رسلاً منهم كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، قاله الضحاك ومقاتل وأبو سليمان، وهو ظاهر الكلام.

والرابع: أنَّ الله تعالى لم يبعث رسلاً منهم، وإنَّما جاءتهم رسل الإنس. قاله ابن جريج والفراء والزجاج.

قالوا: ولا يكون الجمع في قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾الأنعام:١٣٠مانعاً من أن تكونَ الرسلُ من أحد الفريقين، كقوله تعالى:﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ الرحمن:٢٢، وإنَّما هو خارجٌ من الملح وحده"[١].

فنراه رحمه الله أسهب في ذكر المسألة، وذكر أقوال أهل العلم فيها ولم يرجِّح، وإن كان قوله في ذكره للقول الثالث وهو أنَّ من الجنِّ رسلاً "وهو ظاهر الكلام" أي: ظاهر القرآن، ما يشير إلى ترجيحه لهذا القول والله أعلم.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله:"وأمَّا الذين قالوا بقول الضحاك فإنَّهم قالوا: إنَّ الله تعالى ذكره أخبر أنَّ من الجنِّ رسلاً أُرسلوا إليهم، كما أخبر أنَّ من الإنس رسلاً أُرسلوا إليهم. قالوا: ولو جاز أن يكون خبرُه عن رسل الجنِّ بمعنى أنَّهم رسل الإنس، جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس بمعنى أنَّهم رسل الجنِّ.

---

١. زاد المسير (١٢٥/٣).

قالوا: وفي فساد هذا المعنى ما يدلُّ على أنَّ الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم أنَّهم رسل الله؛ لأنَّ ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره"[1].

هذا الكلام ردٌّ لمن يقول بقول الضحاك على تأويل ابن عباس رضي الله عنهما، بأنَّ المراد برسل الجنِّ، أنَّهم رسلُ رسلِ الإنس، فهم يقولون لو أجزنا هذا، لأجزنا أن نقول بأنَّ المراد برسل الإنس أنَّهم رسلُ رسلِ الجنِّ. وهذا لم يثبت، وهو فاسدٌ ممَّا يدلُّ على أنَّ الخبرين -رسل الإنس ورسل الجن- أنَّهم رسل الله سبحانه وتعالى.

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله وهو ممن يقول بأنَّ من الجنِّ رسل:"وباليقين ندري أنَّهم قد أُنذروا، فصحَّ أنَّهم جاءهم أنبياءُ منهم،قال تعالى:﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾الأنعام: ١٣٠"[1].

وجمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً أنَّ الرسل من الإنس[2]، والله أعلم.

ولعلّ مما يدلُّ على أنَّهم منذرين وليس منهم رسول، قولهم في الأحقاف﴿ كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ ﴾الأحقاف: ٣٠، فهذا يدلُّ على أنَّهم على شريعة موسى عليه السلام كما ذكر العلماء، وأنَّهم لم يكونوا على غير شريعة نبي منهم وإلا ذكروه، خاصة أنَّ المدّة من موسى عليه السلام إلى نبينا ﷺ طويلة[3]، ففي عدم إرسال نبي لهم خلال هذه المدة الطويلة إشارة أنهم لا رسول منهم.

ومن نقل من العلماء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الجن قتلوا نبيا لهم قبل آدم اسمه يوسف، وأن الله تعالى بعث إليهم رسولا وأمرهم بطاعته، فليس ببعيد؛ لأنَّ الله تعالى ما كان ليعذب أحدا من خلقه حتى يبعث إليه رسولا، قال تعالى﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾الإسراء: ١٥، ويقول سبحانه:﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ النساء: ١٦٥، والحكمة إقامة الحجة على العباد، سواء من الإنس أو الجنِّ.

---

١. الطبري (١٢/١٢٢).

١. الفصل في الملل والنحل (٣/١٤٧).

٢. يُنظر: العذب النَّمير (٢/٢٦٩)، وآكام المرجان (٦٣)، وتفسير الطبري (١٢/١٢٢)، والقرطبي (٧/٨٦).

٣. يُنظر: فتح الباري (٤/٤٤٩) حيث ذكر عن أهل النقل أنها أكثر من ألفي سنة.

ولعلَّ ممَّا يؤيِّدُ ذلك، ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾الطلاق:١٢، قال:(سبع أرضين، في كلِّ أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدمكم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى)[١].

المسألة الرابعة: دخول مؤمني الجنِّ الجنَّة:

تطرّق الإمام ابن الجوزي رحمه الله لهذه المسألة في تفسيره الزاد، فقال:"وفي دخول الجن الجنَّة إذا آمنوا، قولان:

أحدهما:يدخلونها ويأكلون ويشربون، قاله الضحاك.

والثاني:أن ثوابهم أن يجازوا ويصيروا ترابا، رواه سفيان عن ليث"[١].

وذكر قريبا منه في المنتظم[٢]، وفي التبصرة ما يشير إلى دخولهم الجنَّة والله أعلم[٣].

وقد تكلَّم العلماء في هذه المسألة، وهي دخول الجنِّ الجنَّة أم لا؟ على قولين كما ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله.

وقبل أن أتعرَّض لكلام العلماء فيها، فالإجماع منعقد على أنَّ الجنَّ مُكلَّفون[٤]، وأنَّ منهم كفار يدخلون النار[٥].

أمَّا مؤمنوا الجنِّ هل هم في الجنَّة أم لا؟ فللعلماء قولان:

القول الأول:أنَّهم لا يدخلون الجنَّة، وأنَّ جزاءهم هو الإجارة من النار فقط دون نعيم الجنَّة.

وهذا القول مأثور عن الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله[٦].

---

١. رواه الحاكم في المستدرك (٤٩٣/٢). وقال:"حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وصحَّحه الذهبي رحمه الله.

١. (١٢٥/٣).

٢. (١٧٥/١).

٣. (٣٣٩/٢).

٤. مفتاح دار السعادة (٣٧/١) ، طريق الهجرتين (٤٢٠-٤٢٤) ، أضواء البيان (٢٤٠/٧).

٥. مفتاح دار السعادة (٣٩/١) ، طريق الهجرتين (٤٢٤-٤٢٧) ، مجموع الفتاوى (٨٦/١٣) ، العذب النَّمير (٢٢٢/٣) ، أضواء البيان (٢٤٠/٧).

٦. الفتح (٣٤٦/٦) ، مجموع الفتاوى (٣٩/١٩).

واستدلوا بآية الأحقاف في كلام الجنِّ لقومهم ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾الأحقاف: ٣١ ولم يذكروا دخولَهم الجنَّة[١].

القول الثاني: وهو قول جُمهور أهل العلم أنهم يدخلون الجنَّة، وهو مأثور عن الإمام الأوزاعي ومالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد بن الحسن[٢].

وكأنه رأي الإمام البخاري رحمه الله، يقول ابن القيم رحمه الله:"وفي الآية—آية الرحمن﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ الرحمن: ٧٤- دليلٌ لما ذهبَ إليه الجمهور أنَّ مؤمنَ الجنِّ في الجنَّة، كما أنَّ كافرَهم في النَّار، وبوَّب عليه البخاريُّ في صحيحه فقال: بابُ ثوابِ الجنِّ وعقابِهم[١]، ونصَّ عليه غير واحد من السلف"[٢] فهنا نرى أنَّ الإمامَ البخاري رحمه الله وغيره من السلف أثبتوا لهم الثواب والعقاب.

وقد استطرد الإمام ابن القيم في ذكر الأدلة لبيان أنَّ مؤمني الجنِّ في الجنَّة، وذكر عشرة أدلة على ذلك[٣]، وكذلك الشيخ الأمين رحمه الله في العذب النَّمير[٤]، والأضواء[٥].

فأمَّا استدلالهم بعدمِ ثوابِ الجنِّ بآية الأحقاف، فإنَّ الآية لم تنص على عدم الثواب أو عدم دخول الجنَّة، بل نفَتْ عنهم عذابَ النَّار فقط.

وأمَّا أدلة الجمهور فمنها:

١. قوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾الرحمن: ٤٦، حيث إنه سبحانه وتعالى"بيّن شموله للجن والإنس بقوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾الرحمن: ١٣"[٦].

---

١. يُنظر: العذب النَّمير (٣/٢٢٣).

٢. يُنظر: مجموع الفتاوى (١٩/٣٩) ، الفتح (٦/٣٤٦).

١. تبويب البخاري هو :"باب ذكر الجنِّ وثوابهم وعقابهم" صحيح البخاري ٣/١٢٠٠.

٢. حادي الأرواح (٢٢٣).

٣. مفتاح دار السعادة (١/٣٧-٣٩).

٤. (٢/٢٧٢) ، (٣/٢٢٣) ، (٤/٣٤٧).

٥. (٧/٢٣٦-٢٤٠).

٦. الأضواء (٧/٢٣٦).

٢. قوله تعالى﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾الأحقاف:١٩وأتت هذه الآية بعد ذكر أهل الجنَّة وأهل النار من الجن والإنس، مما يدل على أنَّ لهم منازل بسبب أعمالهم، وبهذا احتج عليهم الإمام الأوزاعي رحمه الله[١].

٣. أنه إذا ثبت دخول مسيئهم النار بعدله سبحانه، فدخول محسنهم الجنَّة بفضله من باب أولى؛ لأنَّ رحمته سبقت غضبه سبحانه؛ ولأنه سبحانه أنشأ للجنة أقواما سكنوها من غير عمل، فمن باب أولى، من آمن بالله وعمل صالحا فمصيره الجنَّة[٢].

٤. العمومات الموجودة في كتاب الله عز وجل كقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾الكهف:١٠٧[١].

وهذا المبحث يقودنا إلى قضية مِلَلِ ونِحلِ الجنِّ، وأنهم كما قال تعالى﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾الجن:١١.

يقول ابن الجوزي رحمه الله:"﴿ قِدَدًا ﴾الجن:١١ أي:فِرقاً مختلفة. قال الحسن: منهم قدرية ومرجئة ورافضة"[٢].

ويقول رحمه الله أيضاً:"والجنُّ يموتون، ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون. وقال السدي: في الجنِّ شيعةٌ وقدريةٌ ومرجئةٌ"[٣].

وما ذكره رحمه الله هو مذهب السلف الكرام.

روى ابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:﴿ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾الجن:١١ قال:(أهواءٌ شتَّى)[١].

---

١. النبوات (١٠١١/٢).

٢. مفتاح دار السعادة (٣٩/١).

١. يُنظر: طريق الهجرتين (٤٢٦).

٢. تذكرة الأريب (٢٤٨/٢).

٣. المنتظم (١٧٥/١) ، ويُنظر زاد المسير (٣٨٠/٨).

٤. هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظليّ الرازيّ، أبو محمد. صاحب كتاب الجرح والتعديل. توفي ٣٢٧هـ السير (٢٦٣/١٣)، والأعلام (٣٢٤/٣).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :"ففيهم- أي الجنّ - الكفار والفساق والعصاة، وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلَّة العلم كما في الإنس، وكل نوع من الجنِّ يميل إلى نظيره من الإنس، فاليهود مع اليهود، والنَّصارى مع النَّصارى، والمسلمون مع المسلمون، والفساق مع الفساق، وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع"[٢].

---

١. (١٠/٣٣٧٧).

٢. دقائق التفسير (٢/١٣٩).

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالكتب، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: إعجاز القرآن الكريم، وفيه مسألتان: وهما:

المسألة الأولى: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم عند ابن الجوزي رحمه الله.

المسألة الثانية: الصَّرفة.

المطلب الثاني: تخطئة مقولة [في القرآن لحن تصلحه العرب].

المطلب الثالث: التوراة والإنجيل.

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالكتب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إعجاز القرآن الكريم:

تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله عن إعجاز القرآن الكريم في غير ما موضع، وبيّن مكانة القرآن الكريم وإعجاز البشر أن يأتوا بمثله، وتكلّم عن إعجازه البياني، خاصة أنَّ ابن الجوزي رحمه الله، من العلماء المهتمين باللغة.

ثمَّ يقرِّر ابن الجوزي رحمه الله، أنَّ معجزات الأنبياء تكون من جنس ما يكون مشتهراً عند أقوامهم، حتى تكون أبلغ في الحجة على أقوامهم، وأوضح دلالة، يقول رحمه الله:"لـمَّا غَلبَ السحرُ في زمن موسى عليه السلام، وجاءَهم بجنسه في معجزاته، ففلق البحر، وألقى العصا. ولما غلب الطب في زمن عيسى عليه السلام، جاءهم بجنسه، فأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه. ولما غلبت الفصاحة وقول الشعر والنظم والنثر في زمن نبينا ﷺ، جاءهم بالقرآن"[١].

فمعجزته الكبرى ﷺ هي القرآن الكريم، وهو الذي تحدَّى الله به العرب في أكثر من آية، وهي من جنس ما كان مشهوراً عندهم من الفصاحة، والبلاغة، والبيان.

وسيكون الحديث إن شاء الله عن مسألتين:

المسألة الأولى: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم عند ابن الجوزي رحمه الله:

ذكر ابن الجوزي رحمه الله خمسة أوجه من الإعجاز في القرآن الكريم في كتابه الوفا بأحوال المصطفى ﷺ، وتطرَّق للحديث عنها في بقية كتبه، بشكل متفرِّق، وذلك في تفسير آية، أو شرح حديث، أو غير ذلك. وهذه الأوجه الخمسة، هي:

١. اشتماله على الفصاحة والبلاغة في الإيجاز والإطالة .

٢. مفارقته لأساليب الكلام وأوزان الأشعار .

٣. ما تضمن من أخبار الأمم السابقة، وسير الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب، مع كون الآتي بها أمياً لا يكتب ولا يقرأ .

٤. إخباره عن الغيوب المستقبلية الدالة على صدقه لوقوعها على ما أخبر .

٥. أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض[٢].

---

١. الوفا بأحوال المصطفى (٢٦٥).

٢. يُنظر: الوفا (٢٦٥-٢٧٠).

فهذه خمسة أوجه من الإعجاز في القرآن الكريم، ذكرها مجملة في الوفا، وتكلَّم عنها في كتبه الأخرى، وسوف أتناول بمشيئة الله هذه الأوجه بشيء من التفصيل.

الوجه الأول والثاني: اشتماله على الفصاحة والبلاغة، في الإيجاز والإطالة، ومفارقته لأساليب الكلام، وأوزان الأشعار.

هذان الوجهان متقاربان، حيث يتعلقان ببلاغة القرآن، ولهذا تحدثت عنهما في موضع واحد.

يقول رحمه الله في زاد المسير:"فليأتوا بحديث مثله في نظمه، وحسن بيانه".

ويقول في تفسيره لقوله تعالى﴿ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ هود:١:"الخامس: أنه إعجاز النظم، والبلاغة، وتضمين الحِكَم المعجزة"[١].

وذكر أن كلام العرب على ضربين:

الأول: الموجز الذي لا يخفى.

الثاني: المجاز والكنايات والإشارات.

وأن القرآن أتى على هذين الضربين من الكلام[٢].

فمن خلال ما تقدم، نجده يرى أن الإعجاز في القرآن الكريم من الناحية البيانية، يشمل أربعة أمور، هي:

١. الإعجاز في نظم القرآن.

٢. الإعجاز في تضمينه الحكم المعجزة، ومراده بها المعاني.

٣. الإعجاز في حسن بيان القرآن الكريم.

٤. إعجاز القرآن في مفارقته لأساليب الكلام، وأوزان الشعر.

وقريب مما ذكره ابن الجوزي رحمه الله، ذكره الإمام الخطابي رحمه الله، وذلك أن الإعجاز يكون في أمور ثلاثة:

١. الإعجاز في اللفظ.

٢. الإعجاز في المعاني والحوامل لهذا اللفظ.

---

١. زاد المسير (٤/٧٣). يُنظر: المنظوم والمنثور (٣٦٤-٣٦٥)، وتلبيس إبليس (٢/٤٢٠).

٢. يُنظر: زاد المسير (١/٣٥١).

٣.الإعجاز في النظم وائتلاف هذه المعاني والألفاظ بعضها ببعض[1].

ولهذا يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله :"وإعجازه من جهة نظمه، ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط"[2].

الوجه الثالث: ما تضمَّن من أخبار الأمم السابقة، وسير الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب، مع كون الآتي بها، أُمِّيَّاً لا يكتب ولا يقرأ.

يقول رحمه الله في آخر سورة يوسف عند قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ ﴾يوسف:١٠٢: "وفي هذا، احتجاج على صحة نبوة نبينا ﷺ؛ لأنَّه لم يشاهد تلك القصة، ولا كان يقرأ الكتاب، وقد أخبر عنها بهذا الكلام المعجز. فدلَّ على أنه أخبر بوحي"[1].

وما ذكره رحمه الله عن الغيبيات الماضية، أشار إليه غير واحد من العلماء، يقول شيخ الإسلام عن أصحاب الكهف: "وإخبار النبي ﷺ بقصتهم، من غير أن يعلمه بشر، آية على نبوته"[2].

ويقول أيضاً :"والقرآن مملوء من أخبار عن الغيب الماضي، الذي لا يعلمه أحد من البشر، إلا من جهة الأنبياء، الذين أخبرهم الله بذلك، ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة، فإن هذه الأمور الغيبية المعيَّنة المفصلة، لا يؤخذ خبرها قط، إلا عن نبي كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وليس أحد ممن يدعي المكاشفات، لا من أولياء الله، ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك، ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء، وخصائصهم، التي لا يشركهم فيها غيرهم"[3].

الوجه الرابع :إخباره عن الغيوب المستقبلية، الدالة على صدقه، لوقوعها على ما أخبر.

---

١. يُنظر: بيان إعجاز القرآن (٢٦-٢٧).

٢. شرح الطحاوية (٢٠٥/١).

١. زاد المسير (٢٩٣/٤).

٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٨٤/٥).

٣. الجواب الصحيح (٣٨٦/٥).

ويمثل على ذلك بقوله تعالى لليهود: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾البقرة:٩٤، ثمَّ يقول عنهم: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾البقرة:٩٥، وبقوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾البقرة:٢٣، ثمَّ قال تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾البقرة:٢٤[1]. ويقول في تفسيره لسورة الروم، وأنَّ الروم ستغْلِبُ الفرس بعد بضع سنين: "وهذا من علم الغيب، الذي يدل على أن القرآن حق"[2].

ويقرر العلماء هذا النوع من الإعجاز، فيقول الخطابي رحمه الله :"وزعمت طائفة أن إعجازه، إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، نحو قوله سبحانه ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾الروم:١-٤، وكقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ﴾ الفتح:١٦ونحوهما من الأخبار التي صدقت أقوالها مواقع أكوانها. قلت أي: الخطابي-: ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره، نوع من أنواع إعجازه"[1].

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في الجواب الصحيح ستة عشر خبراً، أخبر عنها القرآن، وهي لم تقع ثمَّ وقعت[2].

ومن أجمل ما ذكره رحمه الله في إخبار الله عن اليهود بعدم تمنيهم الموت، قال:"وهذا دليل من وجهين: من جهة إخباره بأنه لا يكون أبداً، ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت، مع أن ذلك مقدور لهم، وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة، وهم مع حرصهم على تكذيبه، لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه، بإظهار تمني الموت"[3].

الوجه الخامس: أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾النساء:٨٢، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر:٩.

---

١. الوفا (٢٦٩)

٢. زاد المسير (٢٨٨/٦)و الوفا (٢٦٩).

١. إعجاز القرآن (٢٣).

٢. يُنظر: الجواب الصحيح (٧٠/٦-٧٩).

٣. الجواب الصحيح (٧٦/٦).

وينقل عن ابن عقيل رحمه الله قوله:"حفظ جميعه، وآياته، وسوره التي لا يدخل عليها تبديل، من حيث عجز الخلائق عن مثلها، فكان القرآنُ حافظَ نفسه، من حيث عجز الخلائق عن مثله"[1].

وإنَّ دواعي المستشرقين لإثبات التحريف في القرآن قائمة، ومخطوطات القرآن موجودة في مكتباتهم ومكتبات العالم، فكونهم لم يثبتوا تحريف القرآن، والحالة هذه، فهذا من أوضح الأدلة، على حفظ الله لكتابه، وعجز أعداء الله، لإثبات التحريف في القرآن الكريم.

وقبل أن أختمَ هذا البحث، أحبُّ أن أذكر نصَّاً لابن الجوزي رحمه الله، يشير فيه إلي قضية الإعجاز العلمي إن جاز التعبير.

يقول رحمه الله:"هذا والآتي به رسول الله ﷺ، ما قرأ ولا كتب، ولا بحث على علم، ولا طلب ولا نشأ في بلاد اعتاد أهلُها تَقْييدَ المعارفِ العقلية، ولا تَخْليدَ الحقائقِ العلمية، وإنَّما نشأ في بلاد صحراوية، وفي قومٍ أهل جاهلية، سبقتْهم الأممُ إلى فضيلة العلم، فدوَّنوا الكتبَ قبلَهم، وتكلَّموا في أنواع العلوم دونهم، كالفُرس، والروم، واليونان، وغيرهم، والعربُ عن ذلك كلِّه بمعزل. وإنَّما عزلهم الله عن ذلك؛ لظهور هذا النَّبي منهم، فلو كانوا قبل ذلك أهلَ العلوم، لقال قائلٌ: تعلَّم وعلَّم، فكان منعهم[1]من العلوم، مقوِّياً لآياتِه، ومؤكِّداً لصدقِه عليه الصلاة والسلام"[2]. وهذا النص، يُعتبر من أقدم النصوص-إن لم يكن أوحدها- التي تؤصِّل للإعجاز العلمي، وتُثبته، في وقتٍ قد يمنعه آخرون في العصر الحاضر.

المسألة الثانية: الصَّرفة:

تعريف الصَّرفة لغة واصطلاحاً:

لغة: يقول ابن فارس رحمه الله:"الصاد والراء والفاء: معظم بابه، يدل على رجع الشيء. من ذلك، صَرَفْتُ القوم صَرفاً وانصرفوا، إذا رجَعتَهم فرَجَعوا"[3].

---

١. الوفا بأحوال المصطفى(٢٧٠). ويُنظر: زاد المسير (١٤٤/٢).

١. أي: منع العرب من هذه العلوم.

٢. المنظوم والمنثور (٣٦٦-٣٦٧).

٣. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٤٢/٣). يُنظر: المعجم الوسيط (٥١٣/١).

اصطلاحاً: يُعرِّفه الخطابي بقوله:"أي: صَرفُ الهمم عن المعارضة، وإن كانت مقدوراً عليها، وغير معجزه عنها، إلا أنَّ العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجاري العادات، صار كسائر المعجزات"[١].

والقائل بالصَّرفة، إسحاق بن إبراهيم النظام، حيث يقول:"فأمَّا التأليف والنَّظم، فقد كان يجوز أن يَقدرَ عليه العباد، لولا أنَّ اللهَ منعهم بمنعٍ وعجزٍ أحدثه فيهم"[١].

وقد خالفه فيما ذهب إليه العلماء، حتى أصحابه المعتزلة كما ذكره أبو الحسن الأشعري رحمه الله في المقالات[٢].

وقد تطرَّق الإمام ابن الجوزي رحمه الله لقضية الصَّرفة، فقال:"وقد كان المرتضى العلوي[٣] يقول بالصَّرفة، وأنَّ الله تعالى صرف العرب عن الإتيان بمثله؛ لأنهم عجزوا. قال ابن عقيل: الصرف عن الإتيان بمثله، دالٌّ على أن القدرة لهم حاصلة، فإن كان في الصرف نوع إعجاز، إلا أنَّ كون القرآن في نفسه ممتنعاً على الإتيان بمثله، لمعنىً يعود إليه أكبر في الدلالة، وأعلم لفضيلة القرآن.

وما قول من قال بالصَّرفة، إلا بمثابة من قال: إن عيون الناظرين إلى عصا موسى، تخيّل لهم أنها حية وثعبان، لا أنها في نفسها انقلبت.

قال: والتحدي للمصروف عن الشيء لا يَحْسُن، كما لا يُتحدَّى العجم بالعربية. هذا قول ابن عقيل.

وأنا أقول: إنما يُصرفون عن الشيء، بتغيير طباعهم عند نزوله أن يقدروا على مثله.

فهل وجد لأحد منهم قبل الصرفة منذ وجد العرب، كلامٌ يقاربه مع اعتمادهم الفصاحة؟"[٤].

---

١. القول في بيان إعجاز القرآن (٢٢).

١. مقالات الإسلاميين (٢٢٣). يُنظر: بحث (القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم) د. إبراهيم التركي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثاني، (١٥٧-١٥٨).

٢. مقالات الإسلاميين (٢٢٥).

٣. علي بن الحسين بن موسى القرشي، العلوي، الحسيني، الموسوي، البغدادي، من ولد موسى الكاظم. نقيب الطالبيين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر. يقول بالاعتزال. يقول الذهبي رحمه الله:" هو جامع كتاب (نهج البلاغة)". توفي سنة ٤٣٦هـ. سير أعلام النبلاء (٥٨٨/١٧)، والأعلام (٢٧٨/٤).

٤. الوفا بأحوال المصطفى (٢٦٨-٢٦٩) .

وقد ردَّ العلماء على القول بالصَّرفة، كما تقدَّمَ شيء من ذلك في كلام ابن عقيل وابن الجوزي رحمهما الله، فمن الأوجه التي ذكرها العلماء في الردِّ على من يقول بالصَّرفة، ما يلي:

١. إنَّ قولــه تعــالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾الإسراء:٨٨، يشهد بخلاف ما ذهبوا إليه من القول بالصَّرفة، حيث إنَّ الآية تذكر أنَّ الإتيان بمثل هذا القرآن، يحتاج إلى تكلُّفٍ، ومظاهرة من الثقلين، حتى يأتوا بمثله، وهم غير قلدرين على ذلك. ولو كان المراد الصَّرفة، لما ذكر سبحانه وتعالى المظاهرة على الإتيان بمثله[١].

٢.أن يقال: إمَّا أنَّ الناس قادرون على معارضة القرآن الكريم أو عاجزون، فإن كانوا قادرين على معارضته، ثمَّ الله سلبهم هذه القدرة، فهذا من أبلغ الخوارق، وإن كانوا عاجزين عن معارضته، ثبت كونه خارقاً للعادة. فعلى تقدري النقيضين ثبت إعجازه[٢].

٣.يلزم من هذا القول، أن يكون القرآن في أدنى مراتب البلاغة، لتظهر خرق العادة في صرفهم عن معارضته، وإن كان في أعلى مراتب البلاغة، عجزوا عن معارضته، بسبب نظمه، وحسن بيانه، وبلاغته[٣].

---

١. يُنظر: بيان إعجاز القرآن (٢٣).

٢. يُنظر: الجواب الصحيح (٥/٤٣٠-٤٣١). يُنظر: القول في الصرفة، للدكتور أحمد نافع المورعي، موقع جامعة أم القرى، على الرابط : http://uqu.edu.sa/page/ar/118453 .

٣. يُنظر: رفع الأستار عن محيا مخدرات طلعة الأنوار (٢٢).

المطلب الثاني: تخطئة مقولة [في القرآن لحن تصلحه العرب]:

إنَّ من المقرَّر عند المسلمين، أنَّ المصحفَ متواترٌ، من عهد الصحابة إلى عصرنا الحاضر، فضلاً أنَّ الله سبحانه وتعالى تكفَّل بحفظه، ومن تكفَّل الله بحفظه، فلا يخشى عليه الضياع.

ولكن هناك من يريد الطعن في كتاب الله عزوجل ، من المستشرقين النصارى وغيرهم من أعداء الدين.

ومن ذلك القدح في تواتر القرآن الكريم[1]، وذلك من خلال الطعن في بعض الآيات من كتاب الله، التي تنفي عن القرآن صفة التواتر زعموا.

وذكروا مثالاً على ذلك، قوله تعالى:﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾النساء:١٦٢، وأنَّ هذا خطأ من الكتاب، ولحن في القراءة، واستندوا في ذلك على قول عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث قال:(إنَّ في المصحف لحناً، ستقيمه العربُ بألسنتها. فقيل له: ألا تُغيِّره؟ فقال: دعوه، فإنَّه لا يَحِلُّ حراماً، ولا يُحَرِّم حلالاً)[2]. وكذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت لهشام بن عروة رحمه الله:(يا ابن أخي، هذا خطأٌ من الكاتب).

وقد ردَّ العلماء على هذه الفرية، ومن هؤلاء الإمام ابن الجوزي رحمه الله، حيث ذكر في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾النساء:١٦٢أربعة تخريجات عليها، يقول رحمه الله:"وفي نَصب المقيمين، أربعة أقوال: أحدها: أنَّه خطأٌ من الكاتب، وهذا قول عائشة. وروي[3]عن عثمان بن عفان أنَّه قال:(إنَّ في المصحف لحناً، ستقيمه العربُ بألسنتها)[4]. وقد قرأ ابن مسعود، وأُبيُّ، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والجحدري {والمقيمون الصلاة } بالواو. وقال الزجاج: قول من قال إنه خطأٌ، بعيدٌ جداً؛ لأنَّ الذين جمعوا القرآن، هم أهلُ اللغة والقدوة، فكيف يتركون في كتابِ الله شيئاً، يُصلُحه غيرُهم؟ فلا ينبغي أن يُنسب هذا إليهم.

---

١. يُنظر: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين (٩٩-١٠٢).

٢. البغوي (٧٢١/١).

٣. يلاحظ أنَّه قال"رُوي" بصيغة التمريض، مما يدل على أنَّه يرى تضعيف هذه الرواية.

٤. سيأتي الكلام عنه بعد قليل بمشيئة الله.

وقال ابن الأنباري: حديث عثمان لا يصح؛ لأنَّه غيرُ متصل، ومحال أن يؤخِّر عثمانُ شيئاً فاسداً ليصلحه من بعده"[1]، ثمَّ ذكر التخريجات النحوية لهذه الآية، مبيناً أنَّه لا لحن في الآية.

ويقول في قوله تعالى:﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾التوبة:١٠٣، يقول:"ولا يجوز في: ﴿ وَتُزَكِّيهِم ﴾ التوبة:١٠٣ إلا إثبات الياء، اتباعاً للمصحف"[2].

يؤخذ على ابن الجوزي رحمه الله، في النَّقل المتقدّم، أنَّه نسب هذا القول إلى عائشة رضي الله عنها، وهو لم يَثبتْ عنها ذلك، وذلك لأنَّها من رواية العراقيين عن هشام بن عروة، وهذه الرواية فيها كلام، قال الأثرم: قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: أبومعاوية، صحيح الحديث عن هشام؟ قال: لا، ما هو بصحيح الحديث عنه[1].

وعلى ما ذهب إليه ابن الجوزي رحمه الله، درج أئمة الإسلام رحمة الله عليهم، وردُّوا الرواياتِ الضعيفةَ في هذا الباب.

أمّا أثر عثمان رضي الله عنه، فالكلام فيه من جهة السند والمتن:

أمَّا من جهة السند: فقد رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/٢٢٨-٢٣١) برقم:(١٠٤)، و(١٠٥)، والداني في المقنع (٦٠٩) برقم:(١٣٩)، وهو معلَّل، لأمرين:

الأول: بسبب الانقطاع الذي في سنده، كما نصَّ على ذلك الإمام البخاري رحمه في التاريخ الكبير[2].

الثاني: فيه عبدالله بن أبي فطيمة، لم يوثقه إلا ابن حبان في الثقات[3].

---

١. زاد المسير(٢/٢٥١-٢٥١). ويُنظر: زاد المسير (٥/٢٩٧-٢٩٩).

٢. زاد المسير (٢/٢٥١).

١. شرح علل الترمذي لابن رجب (٢/٦٨٠). يُنظر في الكلام على هذا الأثر: التفسير من سنن سعيد بن منصور، هامش رقم: (٤) (٤/١٥١٠-١٥١٤)، وبحث عن أثر عائشة رضي الله عنها رواية ودراية، د. جمال أبوحسان، من مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، مجلد (٧)، عدد (٢)، وهي على هذا الرابط:

http://zujournal.org/eng/index.php?option=com_categoryblock&view=article&Itemid=551&id=607.

٢. التاريخ الكبير (٥/١٧٠-١٧١).

٣. الثقات لابن حبان (٧/٤١).

يقول الإمام السخاوي رحمه الله عن هذا الأثر:"ضعيف، والاسناد فيه اضطراب وانقطاع"[1].

وذكر الداني رحمه الله ستَّ رواياتٍ لهذا الأثر، وقد أعلَّها المحقِّق بالانقطاع[2].

أمَّا من جهة المتن: فالكلام فيه من جانبين:

الجانب الأول: ردُّ الرواية بسبب وجود العلَّة في متنها، وذلك لأمور:

١. أنَّه مخالفٌ لما هو معروف عن الصحابة رضوان الله عليهم من مسارعتهم في إنكار المنكر، فكيف يقرون اللحن في القرآن.

٢. اللَّحن قبيح في كلام العرب، وتستهجنه، فكيف يرتضيه الصحابة في كتاب الله؟[1] ولهذا يقول ابن أبي داود رحمه الله:"لو كان فيه لحنٌ، لا يجوز في كلام العرب جميعاً، لما استجاز أن يُبعث به إلى قوم يقرأونه"[2].

الجانب الثاني: على فرض صحة الرواية، فإنَّه يخرَّج على أحد الأمور التالية:

١) أنَّ قوله (أرى فيه شيئاً من لحن) أي: من لغة. ومنه قول عمر رضي الله عنه:(إنَّا لنرغب عن كثير من لحن أُبي)[3] أي: من لغة أُبي[4].

٢) أنَّ المراد باللحن، اللحن في التلاوة دون الرَّسم[5].

ومن أجمل الردود على ضعف هذه الرواية، ما ذكره الإمام الطبري رحمه الله في تفسير بقوله:"وإنَّما اخترنا هذا على غيره؛ لأنَّه قد ذكر أنَّ ذلك في قراءة أُبَيِّ بن كعب [والمقيمين الصلاة]، وكذلك هو في مصحفِه، فيما ذكروا. فلو كان ذلك خطأً من الكاتب؛ لكان الواجب أن يكون في كلِّ المصاحف – غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في

١. روح المعاني للألوسي (١٥/٦).

٢. يُنظر: المصاحف (٢٢٩/١).

١. يُنظر: تفسير محاسن التأويل للقاسمي (١٣٣/٧)، ورد البهتان عن إعراب آيات القرآن (٢٣-٣٣).

٢. المصاحف (٢٢٨).

٣. الأثر رواه البخاري في صحيحه برقم: (٥٠٠٥).

٤ يُنظر: المصاحف (٢٢٨).

٥. يُنظر: المقنع لأبي عمروٍ الداني (٦٠٧-٦٠٨).

كتابه – بخلاف ما هو في مصحفنا. وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أُبَيّ في ذلك، ما يدل على أنَّ الذي في مصحفنا من ذلك، صواب غير خطأ.

مع أنَّ ذلك لو كان خطأً من جهة الخطِّ ، لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلِّمون من علَّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم، ولقَّنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب. وفي نقل المسلمين جميعا ذلك قراءةً، على هو ما به في الخط مرسوماً، أدلُّ دليلٍ على صحة ذلك وصوابه، وأنْ لا صنع في ذلك للكاتب"[١].

وقد بسط شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى الكلام في هذه المسألة فليراجع[١].

---

١. تفسير الطبري (٣٩٧/٩-٣٩٨).

١. مجموع الفتاوى (٢٥٢/١٥-٢٥٧). ويُنظر: روح المعاني(٣٢/١) و (٥٣٥/٨).

المطلب الثالث: التوراة والإنجيل:

إنَّ النَّاظر في كلام ابن الجوزي رحمه الله فيما يتعلق بالكتب السماوية الأخرى، يجده يقرِّر ما يلي:

١. ثبوت التحريف في التوراة والإنجيل.

يقول رحمه الله عن القرآن الكريم:"وهذا لأنَّه أصلُ هذه الشرائع، والمثبِتُ لكل شريعة تقدَّمتْ. فإنَّ جميع الملل، ليس عندهم ما يدلُّ على صحة ما كانوا فيه إلا كتابَنا؛ لأنَّ كتبهم غُيِّرتْ وبُدِّلت"[١].

ويقول أيضاً في تفسيره، مبيناً معنى التحريف:"﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ﴾ النساء:٤٦ أي: قوم يحرِّفون. والتحريف: التغيير. و﴿ٱلْكَلِمَ﴾ النساء:٤٦:جمع كَلِمة، وهو تبديل ما في التوراة"[١].

ويقول في تحريف أهل الكتاب لاسم نبيناﷺ في كتبهم:"وقد جاء نعتُه — أي: نبينا ﷺ- في الكتب المنزَّلة، واسمه غيَّرتْه اليهود، وكان مصرَّحاً به، مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل"[٢].

ويقول أيضاً:"﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾ آل عمران: ٧٨ يقلبونها بالتحريف والزيادة"[٣].

و يقول مخبراً عما بأيدي أهل الكتاب من كتب:"وما في أيدي الكتابيّين، من التوراة والإنجيل أمر مغير"[٤].

ويستدلُّ على تبديلها، بإخبارها عن أمور مستقبلية، تحدث لنبي الله موسى عليه السلام، بعد مماته، من ذكر وصيَّته، وكيف موته، فيقول رحمه الله:"ويدلُّ على تبديلها، أنَّ فيها أسفارَ موسى، وما جرى له، وكيف كان موته ووصيته إلى يوشع، وحزن بني إسرائيل

---

١. صيد الخاطر (١٩٧).

١. تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١/١١٧).

٢. المنظوم والمنثور (٣٧٠).

٣. زاد المسير (١/٤١٢).

٤. كشف المشكل (١/٨٢). يُنظر: زاد المسير (٢/٣٥٨) و (٢/٩٩) و(٢/٣١٣) و(١/١٠٢) و(١/٣٩٧) و (١/١٠٣) و(١/١٠٦) و (١/٢٢٧)، والمنظوم والمنثور (٣٥٤).

عليه، وغير ذلك مما لا يشكل على عاقل، أنَّه ليس من كلام الله، ولا من كلام موسى، وفي أيدي الساحرة توراة تخالف هذه الموجودة"[1].

٢. إخفاء اليهود لما جاء في التوراة.

يذكر رحمه الله إخفاء آية الرَّجم وصفة رسول الله ﷺ من التوراة، فيقول عند قوله تعالى:﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ الأنعام: ٩١، يقول رحمه الله:"والمعنى: تبدون منها ما تحبون، وتخفون كثيرا مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم ونحو ذلك مما كتموه"[2].

٣. إثباته لبعض النُّصوص في التوراة والإنجيل بعدم تبديلها.

يذهب رحمه الله، إلى أنَّ هناك نصوص من التورة والإنجيل، لم تنالها يد التحريف، وأنَّها باقية إلى اليوم، يقول رحمه الله:"وممَّا هو ثابتٌ فيها لم تبدِّلْه:(جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلاء من جبال فاران)[1].

فقوله :(من سيناء) إشارةً إلى موسى، وقوله:(من ساعير) إشارةً إلى عيسى، قوله (من فاران) جبال مكة؛ لأنَّ جبالَ مكة، تسمَّى فاران بالإجماع من المسلمين واليهود والنَّصارى، ولم يَخرجْ منها، إلا محمدٌ المكيّ الهاشميّ القرشيّ ﷺ وعلى آله وصحبه وسلَّم كثيراً"[2].

ويذكر أنَّ قصة يوسف الواردة في كتاب الله، موافقة لما هي عليه في التوراة، فيقول رحمه الله:"من تفكَّر عَلِم أنَّ محمداً ﷺ مع كونِه أُمِّيّاً، لم يأتِ بهذه القصَّة على موافقة ما في التوراة من قبل نفسه، فاستُدلَّ بذلك على صحَّة نبوَّته"[3].

وقد ذكر عدة نصوص رحمه الله في الوفا من التوراة والإنجيل، واستدلَّ بها على نبوة سيدنا محمد ﷺ[4].

وللعلماء في مسألة تحريف التوراة الإنجيل ثلاثة أقوال :

---

١. المنتظم (٤١٢/١). يُنظر: المنتظم (٥١/١٠).

٢. زاد المسير (٨٤/٣). ويُنظر: زاد المسير (٣١٦/٢).

١. سفر التثنية (٣٣/١). وقد جاءت هذه البشارة في سفر حقبوق (٣/٣) ففيه:(الله جاء من تيمان، والقدوس من جبال فاران، سلاه. جلاله غطى السماوات والأرض، أمتلات من تسبيحه، وكان لمعان كالنّور).

٢. المنظوم والمنثور (٣٧٠-٣٧١).

٣. زاد المسير (٢٩٧/٤).

٤. يُنظر: الوفا (٦١-٧٣).

القـول الأول: أنَّ كلَّهـا أو أكثرهـا مبـدَّلٌ ومغيَّـرٌ، حـتى غـلا بعضـهم، فقـال: يجـوز الاستجمار بها من البول[1].

القول الثاني: أنَّ التبديل وقع في التأويل، لا في التنزيل.

وقال بهذا القول، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله، صاحب الصحيح، حيث قـال في صـحيحه:"يحرِّفون: يُزيلـون. ولـيس أحـدٌ يزيـل لفـظ كتـابٍ مـن كتـب الله عـزَّ وجـلَّ، ولكنَّهم يحرِّفونه: يتأوَّلونه على غير تأْويلِه"[2].

وشـكَّك الحـافظ ابـن حجـر رحمـه الله في نسـبة هـذا القـول للبخـاري، وقـال:"يحتمـل أنْ يكون بقيةُ كلام ابن عباس في تفسير الآية"[1]. وقد قال بهذا القول أيضاً الرازي[2].

القول الثالـث:أنَّ التغيير، وتبـديلَ الألفـاظ، حـدث ووقـع، ولكنَّـه قليـلٌ، وهـذا قـول شـيخ الإسلام ابن تيمية[3]، حيث يقول رحمه الله:"وذهـب كثير من علمـاء المسلمين، وأهل الكتـاب إلى أنَّه بُدِّلَ بعض ألفاظها. هذا المشهور عن كثير من علمـاء المسلمين، وقاله أيضاً كثيرٌ من علمـاء أهـل الكتـاب. حـتى في صَلْبِ المسيح ذهبتْ طائفةٌ من النَّصـارى إلى أنـه لم يُصـلب، وإنما صُلب الذي شُبِّه بالمسيح"[4].

ويرى الإمام ابن تيمية رحمه الله أنَّ التغيير في الأخبار، أما الأحكام فلم تتبدل ولم تتغير. يقول رحمه الله:"وأمَّا الأحكام التي في التوراة، فما يكاد أحدٌ يدَّعي التبديل في ألفاظها"[5].

وقبل أن أُنهي الكلام على هذه المسألة، أودُّ أن أذكر نصَّاً للشيخ محمد الأمين رحمه الله حيث يقول:"والقرطاس: الورقة. كما هو معروف؛ لأنَّ نسخةَ التوراة الكبيرة كلُّها فيها الحق، فإذا أرادوا التحريف أخذوا أوراقاً مفرقةً، وكتبوا فيها أشياءَ متعددةً مما يريدون أن يُحرِّفوه، وتركوا نسخةَ الكتابِ الكبيرةِ غيرَ حاضرة، فإذا أرادوا التحريف، قالوا: هذا القرطاس نقلنا فيه

---

١. يُنظر: الجواب الصحيح (٢/٤٢٠)، وإغاثة اللهفان (٢/٣٤٦)، وفتح الباري (١٣/٥٢٣).

٢. كتاب : التوحيد، باب : قول الله تعالى [بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ] ويُنظر إغاثة اللهفان (٢/٣٤٦) و فتح الباري (١٣/٥٢٢).

١. فتح الباري (١٣/٥٢٣).

٢. التفسير الكبير (١٢/٦٥).

٣. يُنظر: إغاثة اللهفان (٢/٣٤٨)، وفتح الباري (١٣/٥٢٤).

٤. الجواب الصحيح (٢/٤١٩-٤٢٠). يُنظر: مجموع الفتاوى (٤/٢١٢-٢١٣).

٥. الجواب الصحيح (٢/٤٢٤).

من محل التوراة في المحل الفلاني كذا وكذا، وهذا نصُّه، وهو محرف، ولم يأتوا بأصل الكتاب؛ لأنَّه لو جاء لظهرت الحقيقة فيه. وهذا معنى: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ ﴾ ﴿تُبْدُونَهَا﴾ الأنعام:٩١ أي: القراطيس المحرَّفة على أهوائكم ﴿ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ الأنعام:٩١ وجعله بهذه القراطيس، ليستعينوا بها على إخفاء ما لايحبون وإبداء ما يحبون؛ لأنَّه لو جاءت نسخة الكتاب كاملةً لعرف الحقيقة فيه، ولذلك يكتبونها كتباً محرَّفة، كما قال:﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران:٧٨ وهذا معنى قوله:﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا ﴾ محرَّفة للنَّاس ﴿ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ في النسخة الكبيرة لا تُظهرونه"[1].

وقد سبقه إلى هذا المعنى أبو الفداء إسماعيل ابن كثير رحمه الله، حيث قال: ﴿قَرَاطِيسَ ﴾ أي: قطعاً يكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديهم، ويُحرِّفون فيها ما يُحرفون ويُبدلون ويَتأولون"[2].

ومن خلال هذين النَّصَّين، يمكن أن يقال، إنَّ في المسألة قولاً رابعاً، وهو بأنَّ النسخة الأم الموجودة عند أحبارهم ورهبانهم، لم تتغيرْ ولم تتبدلْ، وأنَّ التَّغيير والتبديل حصل فيما ينقلونه الأحبار والرهبان في قراطيس يبدونها للناس. كما حكاه الله عنهم في سورة الأنعام.

وهذا القول يلاحظ أنه جمَعَ بين الأقوال، بين من يُثبِت التحريف، وبين من يَنفيه.

يقول ابن القيم في إغاثة اللهفان عن شيخ الإسلام قوله:"وقع النزاع في هذه المسألة بين بعض الفضلاء. فاختار هذا المذهب – عدم التحريف– ورهَن غيره، فأنكر عليه، فأحضر لهم خمسة عشر نقلاً به"[3].

١. العذب النَّمير (٤١٩/١).

٢. (٣٠٠/٣).

٣. (٣٤٧/٢).

ومن هذه الأدلة عدم تحريفهم لآية الرجم، وإكرام النبي ﷺ لنسخة التوراة التي أُتي له بها، حيث أخذ الوسادة من تحته ووضعها تحت التوراة، وقال:((وآمنتُ بكِ وبِمَنْ أَنزلَكِ))[١]، ولو كانت محرفةً، ما أكرمها وقال لها ما قال.

ومما يؤيد هذا القول والعلم عند الله، ما حدث لمخطوطات البحر الميت، والتي تمَّ العثور عليها ما بين عام ١٩٤٧-١٩٥٦م، داخل كهوف الجبال، الواقعة شمال غرب البحر الميِّت، بمنطقة قمران[٢]، والتي حاولت هيئة الآثار الإسرائيلية التَّكَتم عليها، وعدمَ نشرها[٣]، خاصة ما يتعلق بمخطوطات الكهف رقم ٤، حيث إنَّه لم يُنشر من هذا الكهف الذي وجد فيه خمسمائة نصٍّ، إلا حوالي المائة نصٍّ فقط[١].

هذا ما يتعلق بالتوراة، أمَّا الإنجيل، فإنَّ التبديل فيه أظهر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"والتبديل في الإنجيل أظهر، بل كثير من الناس يقول: هذه الأناجيل ليس فيها من كلام الله إلا القليل. والإنجيل الذي هو كلام الله، ليس هو هذه الأناجيل"[٢].

ولذا يذهب بعض الباحثين، إلى أنَّ الإنجيل فُقد في زمن مبكر من تاريخهم، ولهذا صار عند النَّصارى أربعة أناجيل، ولا ينسب واحدٌ منها إلى المسيح عليه الصلاة والسلام، ممَّا يؤكد ضياع إنجيل الله، أو إنجيل المسيح مُبَكراً[٣].

ولعلَّ هذا القول، أقرب للصواب، والله أعلم.

---

١. رواه أبوداود برقم: (٤٤٤٩). وحسَّنه الألباني في الإرواء (٩٤/٥).

٢. يُنظر: مخطوطات البحر الميت (١٠).

٣. مصدر سابق (٩٣).

١. مصدر سابق (٩٤).

٢. الجواب الصحيح (٤٢٠/٢).

٣. يُنظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (١٩٩).

المبحث الثالث: آراؤه في مسائل الإيمان بالرسل، وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المطلب الثاني: الوحي.

المطلب الثالث: النبوة اصطفاء من الله.

المطلب الرابع: دلائل النبوة.

المطلب الخامس: عصمة الأنبياء.

المطلب السادس: الإيمان بنبينا ﷺ .

المطلب السابع: الإسراء والمعراج.

المطلب الثامن: رؤية النبيّ ﷺ لربّه

المطلب التاسع: فضله ﷺ على الأنبياء.

المطلب العاشر: ميراثه ﷺ.

المبحث الثالث: آراؤه في الإيمان بالرسل، وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النبيِّ والرسول والفرق بينهما:

تعريف النبي لغة واصطلاحاً:

لغة: يقول ابن فارس رحمه الله:"نبو:النون والباء والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على ارتفاع الشيء عن غيره، أو تنح عنه ... ويقال إن النبي ﷺ اسمه من النبوة، وهو الارتفاع، كأنه مفضل عن سائر الناس"[1].

ويقول أيضاً:"النون والباء والهمزة، قياسه الإتيان من مكان إلى مكان، يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض نابئ، وسيل نابئ، أتى من بلد إلى بلد، ومن هذا القياس النبأ الخبر؛ لأنَّه يأتي من مكان إلى مكان، والمنبئ المخبر، وأنبأته ونبأته. ومن همز النبي، فلأنه أنبأ عن الله"[1].

اصطلاحاً: من أوحى الله إليه بشرع ليعمل به، ولم يؤمر بتبليغه[2].

تعريف الرسول لغة واصطلاحاً:

لغة: يقول ابن فارس رحمه الله:"الراء والسين واللام، أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد. فالرَّسل:السَّير السَّهل...وشعرٌ رَسْلٌ، إذا كان مُسْترسَلاً"[3].

ويقول الراغب الأصفهاني[4] عليه رحمة الله:"أصل الرسل: الانبعاث على التؤدة. ومنه الرسول المنبعث، وتصور منه تارة الرفق، فقيل على رسلك، وإذا أمرته بالرفق، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول"[5].

اصطلاحاً: من أوحى الله إليه بشرع ليعمل به، وأُمر بتبليغه[6].

---

١. مقاييس اللغة (٣٨٤/٥-٣٨٥).

١. معجم مقاييس اللغة لابن الفارس (٣٨٥/٥)، يُنظر: لسان العرب (١٦٢/١). يُنظر: زاد المسير(٢٧٤/١).

٢. يُنظر: شرح الطحاوية (١٥٥/١)، ولوامع الأنوار (٤٩/١).

٣. معجم مقاييس اللغة (٣٩٢/٢).

٤. الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان)سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي.توفي سنة ٥٠٢هـ. السير (١٢٠/١٨)، والأعلام (٢٥٥/٢).

٥. المفردات في غريب القرآن للأصفهاني(٣٥٢). يُنظر: لسان العرب (٢٨١/١١).

٦. يُنظر: شرح الطحاوية (١٥٥/١)، ولوامع الأنوار (٤٩/١).

وبالنظر إلى معنى الرسول في الاصطلاح الشرعي، نجده يدل عليه اللفظ اللغوي، فهو المبعوث من عند الله، بالرفق والإحسان وحب الخير لهم[1].

الفرق بين النبي والرسول:

ما تقدم من تعريف النبي والرسول، هو المشهور، ولكن بالنَّظر إلى هذين التعريفين، فإنَّه تَرِدُ عليه بعض الإشكالات، مِن أهمها أنَّه كيف يكرم الله عبداً بالنبوة، ثمَّ لا يأمره بالتبليغ؟ فإنَّ مَن دون الأنبياء من عباد الله المسلمين، مأمورين بتبليغ دين الله، ومأمورين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعليه فإنَّ الصحيح في الفرق بين النبي والرسول، أنَّ النبي ينبئه الله، ويوحي إليه، ولكنَّه يعمل بشريعة من قبله، ويبعث إلى قوم مؤمنين، ولهذا يكون بمثابة العالِم يعلِّمُ المؤمنين الذين عندهم.

وأنَّ الرسول، هو الذي أرسله الله برسالةٍ من عنده لقوم خالفوا أمر الله، ولا يلزم أن يأتيَ بشريعة جديدة، بل يكون متَّبِعاً شرعَ من قبله كداود وسليمان عليهما السلام، كانا متبعين لشريعة التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وهما من المرسلين[1].

يقول الشيخ الأمين رحمه الله:"وآية الحج هذه[2] تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه: غير صحيح؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾الحج: ٥٢ يدل على أن كلاً منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير. واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول؛ هو من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله؛ كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون

---

١. يُنظر: العذب النَّمير من مجالس الشنقيطي في التفسير(٢/٦٦٣-٦٦٤).

١. يُنظر: النبوات (٢/٧١٤-٧١٨)، وبحث بعنوان: مفهوم النبوة والرسالة، د. أسماء محمد توفيق بركات، على الرابط: uqu.edu.sa\page\ar\161074 ، وبحث بعنوان :التعريف بالنبي والرسول، د. عائشة علي الخوتاني، على الرابط: uqu.edu.sa\page\ar\39883. كلاهما بموقع جامعة أم القرى بمكة.

٢. يعني قوله تعالى: {وما أرسلنا من قبْلِك من رسولٍ ولا نبِيٍّ} .

ويـؤمرون بالعمـل بمـا في التـوراة، كمـا بينـه تعـالى بقولـه: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ﴾المائدة:٤٤"[١].

الفرق بين الرسول والنبي عند ابن الجوزي رحمه الله.

من خلال قراءتي لكتب ابن الجوزي رحمه الله، لم أجدْ له كلاماً صريحاً في الفرق بينهما، أو أنَّهما بمعنى واحد، ولكن هناك عبارات يتضح منها رأيه في هذه المسألة بإذن الله.

فالبِّنسبة للفرق بين الرسول والنبي، فإنَّنا نستطيع القولَ بأنَّه يرى بأنَّ بينهما فرقاً، وذلك من خلال إيراده لحديث أبي ذر رضي الله عنه في ذكر عدد الأنبياء والرسل[١]، وكذلك ما ذكره بأنَّ نبينا ﷺ نبئ ثمَّ أرسل فيما بعد، يقول رحمه الله:"فإنه نبئ قبل أن يرسل"[٢]، فهذا ممَّا يؤكِّد ما تقدم من أنَّه يرى فرقا بين النبوة والرسالة، حيث أثبت أنَّه نُبِّيءَ، ثمَّ أُرسل، ولو كانا بمعنى واحد، لم يفرق بينهما، وهذا ظاهر، ولهذا فإنّ النبوة تكون في بداية الأمر، و أن الرسالة تأتي عقبها.

ثمَّ يشير إشارة، يبين فيها الفرق بين النبي والرسول، وأنَّ النبي لم يؤمر بالبلاغ، بخلاف الرسول الذي أُمر أن يبلِّغَ دين الله، مشبهاً النبي بالزَّاهد، والرسول بالعالم، ولهذا فُضِّلَ الرسل على الأنبياء، فيقول رحمه الله :"ثمَّ منفعةُ العلمِ معروفة، وزُهدُ الزَّاهد، لا يتعدَّى عتبة بابه، وقد قال ﷺ :((لأَنْ يَهدِيَ اللهُ بِكَ رجلاً، خيرٌ لك ممَّا طلعَتْ الشمس))[٣]. ثمَّ اعتُبِر فضل الرسل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والجوارح[٤]على التي لا تصيد. والطِّين الذي يُعمَلُ منها ما يَنتفِعُ به على الطِّين في المقلع[٥]"[٦]. فمن خلال هذا النَّص، فإنَّه يرى رحمه الله أنَّ النبي

---

١. أضواء البيان (٢٩٠/٥).

١. تلقيح فهوم أهل الأثر (٣).

٢. كشف المشكل (٢٤١/٢).

٣. رواه البخاري برقم: (٣٠٠٩)، ومسلم برقم: (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

٤. أي الحيوانات الجارحة المعلَّمة.

٥. المقلع: المكان الذي تقلع منه الحجارة، ويستعان على ذلك بالماء، فيكثر الطين في هذه المقالع. ذكره محقق صيد الخاطر، هامش (٢).

٦. صيد الخاطر(١٨٤-١٨٥).

هو الذي نبئ وأخبر، ولكنَّه لم يؤمر بالتبليغ، والرسول هو الذي نبيء وأمر بالتبليغ، وبهذا فضل الرسول على النبي.

وقد تقدم أنَّ الراجح في الفرق بين النبي والرسول، هو أنَّ النبي أُرسل إلى قوم مؤمنين، يأمرهم بعبادة الله، فهو بمثابة المجدِّد للأمة تعاليمَ دينِها، الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر، فهو يدعوا مَن عنده مِن المؤمنين إلى عبادة الله، على وفق شرع الله، بخلاف الرسل التي تُرسل إلى أقوام كافرين، يدعونهم إلى توحيد الله. فهذا معنى الرسالة، بخلاف النبوة، فإنَّها تختص بالمؤمنين من عباد الله، والدعوة إلى تحقيق العبودية لله، وإقامة شرع الله.

المطلب الثاني: الوحي:

تعريف الوحي لغة واصطلاحاً:

لغة: تدور المعاني اللغوية للوحي، على الإعلام، والإخفاء، والسرعة. يقول ابن فارس رحمه الله:"وحى: الواو والحاء والحرف المعتل، أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك... وكل ما في باب الوحي، فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه. والوحي السريع، والوحي الصوت"[1].

وقال ابن قتيبة رحمه الله: "الوحي: كل شيء دللت به من كلام، أو كتاب، أو إشارة، أو رسالة"[1].

اصطلاحاً: وأمَّا في الاصطلاح، فروى العلماء عن الإمام الزهري رحمه الله تفسيراً مطولاً للوحي[2]، يقول رحمه الله: "والوحي: ما يوحي الله به إلى النبي من أنبيائه، فيُثبِّتُ الله تعالى ما أراد من وحيه في قلب النبي، فيتكلَّم به النبي عليه الصلاة والسلام ويُبيِّنُه. وهو كلام الله ووحيه، ومنه ما يكون بين الله ورسله، لا يكلِّم به أحدٌ من الأنبياء أحدا من الناس، ولكنَّه سرٌّ غيْبٌ بين الله ورسله، ومنه ما يتكلَّم به الأنبياء، ولا يكتبونه لأحد، ولا يأمرون بكتابته، ولكنَّهم يحدِّثون به الناس حديثاً، ويبيِّنون لهم أنَّ الله تعالى أمرَهم أن يبيِّنوه للناس ويبلِّغوهم، ومن الوحي ما يُرسل الله به من يشاء من اصطفى من ملائكته؛ فيُكلِّمون أنبياءه من الناس، ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء؛ فيوحون به وحياً في قلوب من يشاء من رسله، وقد بيَّن الله عزَّ وجلَّ لنا في كتابه أنَّه يرسل جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ، قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾البقرة:٩٧،وذكر أنَّه الروح الأمين، فقال:﴿ وَإِنَّهُۥ

---

١. مقاييس اللغة (٩٣/٦).

١. تأويل مشكل القرآن (٤٨٩).

٢. من المعلوم أنَّ التعاريف تكون مختصرة، لا مطولة، ولكني آثرت ذكر تعريف الإمام الزهري رحمه الله، لجلالة قدره، وسعة علمه، هذا أولاً، وثانياً لأنَّ فيه تفصيلا لأنواع الوحي؛ فلهذا ذكرته.

﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٢-١٩٤"[١].

وبالنَّظر في كلام ابن الجوزي رحمه الله، نجدُه عرَّفَ الوحيَ بطريقة أهل المنطق، وهو الحدّ، ومع ذلك راعى المعنى اللغوي في التعريف، ولم يهمله.

يقول رحمه الله:"وقد حدَّ بعضهم الوحي فقال: إيصالُ المرادِ إلى الموحى إليه، على أسرع وجهٍ وألطفِه"[٢]، وهذا المعنى – أعني السرعة واللطف- غير موجود في تعريف الإمام الزهري رحمه الله، وهو معنى تؤيِّدُه اللغةُ والأحاديثُ الصحيحة، فأمَّا اللغة فقد تقدَّم من كلام ابن فارس رحمه الله ما يُبيِّن أنَّ من معاني الوحي، السرعة.

وأمَّا الأحاديث الصحيحة، فنرى ابن الجوزي رحمه الله، يقرِّر سرعة إلقاء الوحي على نبينا ﷺ، فيقول في شرحه لحديث تحريم قطع شجر مكة، وفيه أنَّ العباس رضي الله عنه قال:يارسول الله:إلا الإذخر. فقال عليه الصلاة والسلام:((إلا الإذخر))[١]،فيقول ابن الجوزي رحمه الله:"وقد استدلَّ بعضُهم عن أنَّ النبي ﷺ كان يحكُمُ باجتهاده بقول العباس في أثناء الكلام:(إلا الإذخر) فقال رسول الله ﷺ:((إلا الإذخر))ولم ينتظر الوحي. قال ابن عقيل: هذا استدلال أَبلَه، فإنَّ الوحيَ كان أقربُ إلى قلبه من الاستثناء إلى لسانه"[٢].فهذا المعنى-وهو سرعة الوحي إلى الموحى إليه- ذكره ابن الجوزي رحمه الله، ولم يشر إليه الإمام الزهري رحمهما الله.

وما ذكره الإمام الزهري رحمه الله، من طرق إتيان الوحي، وأنواعه للنبي ﷺ، نجد الإمام ابن الجوزي رحمة الله عليه تطرَّق لها، وبيَّنها.

يقول رحمه الله:"قوله:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ الشورى:٥١قال المفسرون: المراد بالوحي هاهنا، الوحي في المنام[٣]﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾كما كلَّمَ موسى[١]

---

١. الأسماء والصفات للبيهقي (٤٩٦/١).

٢. نزهة الأعين النواظر (٦٢١).

١. رواه البخاري برقم: (١٣٤٩)، ومسلم برقم: (١٣٥٣)من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

٢. كشف المشكل (٣٢٧/٢).

٣. وهو الذي يرجحه رحمه الله. يُنظر: تذكرة الأريب (١٤٢/٢)، نزهة الأعين النواظر (٦٢٢).

﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا ﴾ كجبريل ﴿ فَيُوحِيَ ﴾ ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء"[2].

وقد عقد ابن الجوزي رحمه الله، في كتابه المنتظم[3]،فصلاً يذكر فيه صفة نزول الوحي عليه ﷺ، وكذلك في كتابه الحدائق[4]، والوفا[5]، وصفة الصفوة[1].

يقول رحمه الله:"فصل: فأمَّا صفة نزول الوحي عليه ﷺ، فأخبرنا... أنَّ الحارث بن هشام[2] سأل النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ:((أحياناً يأتيني في مِثلِ صَلْصَلَة الجَرس، وهو أشدُّه عليَّ، فيُفصمُ عنِّي وقد وَعيْتُ ما قال، وأحياناً يتمثَّلُ لي الملك رجلاً، فيكلِّمُني فأعي ما يقول)). قالت عائشة: ولقد رأيتُه ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا[3].قال مؤلفه[4] أخرجاه في الصحيحين.

وفيهما من حديث يعلى بن أمية[5] أنَّه كان يقول لعمر رضي الله عنه:ليتني أرى رسول الله ﷺحين ينزل عليه الوحي. فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة، جاءه رجل فسأله عن شيء

---

١. أي:يقظة. يُنظر: المنظوم والمنثور (٧٣٥) حيث قال:"كفاحا".

٢. كشف المشكل (٣٦٢/٤ – ٣٦٣).

٣. (٣٥٤/٢).

٤. (١٩٢/١).

٥. (١٦٨).

١. (٨١/١)

٢. الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، يكنى أبا عبد الرحمن.شهد بدراً كافراً، أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه. مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، وقيل قتل يوم اليرموك سنة ١٥هـ. الاستيعاب (٣٠١/١)، الإصابة (٦٩٧/١).

٣. رواه البخاري برقم: (٢)، ومسلم برقم: (٣٢١٥)من حديث هشام بن الحارث رضي الله عنه.

٤. هذه العبارة (قال مؤلفه) من النساخ، والمراد بها ابن الجوزي رحمه الله، وهي موجودة في غير ما كتاب لابن الجوزي رحمه الله.

٥. يعلى ابن منية ينسب حينا إلى أبيه وحينا إلى أمه، وهو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي الحنظلي، أبو صفوان. أسلم عام الفتح. وشهد حنين والطائف وتبوك.قتل سنة ٣٨هـ بصفين، وكان مع علي رضي الله عنهما. الاستيعاب (١٥٨٥/٤)، الإصابة (٥٣٨/٦).

فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى أن تعال، فجاء يعلى فأَدْخَل رأسَه، فإذا هو محمَرُّ الوجه، يَغُطُّ كذلك ساعة، ثمَّ سُرِّيَ عنه[1].

وقد أخبرنا...عن عبدالله بن عباس قال:بينما رسول الله ﷺ بفناءِ بيته بمكة جالس، إذ مرَّ به عثمان بن مظعون، فتكشر إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله:((ألا تجلس)) قال:بلى. قال:فجلس ورسول الله ﷺ مستقبله، فبينا هو يحدِّثُه، إذ شَخَصَ رسولُ الله ﷺ ببصرِهِ إلى السماء، فنَظَر ساعةً إلى السماء، فأخذ يضعُ بصرَه حتى وضعه على يمينه في الأرض، فتحرَّف رسول الله ﷺ عن جليسه عثمان إلى حيثُ وضع بصره، وأخذ يَنفُضُ رأسَه كأنه يَسْتَفْقِهُ ما يقول له، وابن مظعون ينظر، فلمَّا قضى حاجته واستفقه ما يقال له، شخص بصرُ رسول الله ﷺ إلى السماء كما شَخَصَ أوَّلَ مرَّةٍ، فاتبعه بصره حتى توارى في السماء، فأقبل عثمان بجلسته الأولى، فقال:يا محمد، فيما كنت أجالسك وآتيك، ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة، قال:((وما رأيتني فعلت؟)) قال: رأيتك تَشْخَصُ ببصرك إلى السماء، ثمَّ وضعتَه حيثُ وضعتَه على يمينك، فتحرَّفتُ إليه وتركتني، فأخذت تَنْفُضُ رأسَك كأنَّك تَسْتَفْقُه شيئاً يقال لك. قال:((وفَطِنتَ لذلك؟)) قال عثمان: نعم. قال رسول الله ﷺ:((أَتاني رسولُ الله آنفاً وأنت جالسٌ)) قال:رسول الله؟ قال:((نعم)) قال:فما قال لك؟ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾النحل:٩٠.قال عثمان: فذلك حين استقرَّ الإيمان في قلبي، وأحببتُ محمداً رسول الله ﷺ[1].

وقال أبو أروى الدوسي[2]:(رأيتُ الوحيَ ينزِلُ على رسول الله ﷺ، وإنَّه على راحلته، فترغو وتفتل[3] يديها، حتى أظنُّ أنَّ ذراعَها ينفصِمُ، فربَّما بَرَكَت، وربَّما قامت مؤتَّدة[1] يديها، حتى يسرى من ثقل الوحي، وإنَّه لينحدِرُ منه مثل الجُمان. رواه ابن سعد[2]"[3].

---

١. رواه البخاري برقم: (١٧٨٩)، ومسلم برقم: (١١٨٠).

١. رواه أحمد في المسند برقم: (٢٩١٩)، والبخاري في الأدب المفرد برقم: (٨٩٣). قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"إسناد جيد متصل حسن، قد بين فيه السماع المتصل" تفسير ابن كثير (٥٩٧/٤).

٢. لا يعرف اسمه ولا نسبه. وكان يسكن ذا الحليفة. مات في آخر خلافة معاوية رضي الله عنهما. الاستيعاب (١٥٩٦/٤)، الإصابة (٨/٧).

٣. في المحكم لابن سيده:"والفَتَلُ أيضاً: انْدِماجٌ في مَرْفِقِ النَّاقَةِ، وبُيُونٌ عن الجَنْبِ". المحكم (٤١٩/٩).

ويقول في حديث إتيان الملك وإلقائه في روعه:"((إنَّ روحَ القدس نفث[4] في روحي))[5] أي في جلدي ونفسي"[6].

وبهذا نجد ما ذكره الإمام الزهري رحمه الله في تعريفه للوحي، قرَّرَه ابن الجوزي رحمه الله في أكثر من موضع في كتبه، وزاد عليه معنى لم يذكره الزهري رحمه الله، وهو أن من خصائص السرعة إلى الموحى إليه، مستدلاً بحديث العباس رضي الله عنه المتقدم، وبما ذكره علماء اللغة في ذلك.

ثمَّ إنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى أنَّ الوحيَ درجاتٌ، فينقل عن ابن عقيل رحمه قوله الله:"والمنامُ أدنى طُرُقِ الوحيِ وأقلُّها"[1].

ويقول أيضاً:"ومن هذا الجنس، شروع الخليل عليه الصلاة والسلام في ذَبْحِ وَلدٍ بمنام، وإن كان الوحيُ في اليقظةِ آكد"[2].

بل من طريف ما ذكر في ذلك، أنَّه حينما تطرَّق لمسألة فضل الإمامة على الأذان، واشتغال النبي ﷺ بالإمامة دون الأذان، وأنَّ الأذان ثبت بالمنام، يقول:"وما ثبت بالوحي، فهو أولى ممَّا ثَبَتَ بالمنام"[3].فهو يرجِّح الإمامة على الأذان؛ لأنَّ الإمامةَ ثبتت بالوحي، والأذان ثبت بالمنام.

وإذا كان الوحي درجات، فإنَّه يقرِّر أنَّ أُوْلَى درجاتِه المنام، ثمَّ يرتقي إلى اليقظة.

---

١. في الوفا (١٧١) "مؤبدة يديها". ولم يتبيَّن لي المعنى.

٢. الطبقات لابن سعد (١/١٩٧).

٣. المنتظم (٢/٣٥٤-٣٥٦) باختصار.

٤. النَّفث: النَّفْث بالفمّ، وهو شبيه بالنَّفخ، وهو أقلُّ من التَّفْل؛ لأنَّ التَّفْلَ لا يكون إلا ومعه شيءٌ من الرِّيق. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٨٨).

٥. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٠٦) ويُنظر: السلسلة الصحيحة (٦/٨٦٥)، رقم: (٢٨٦٦).

٦. غريب الحديث (١/٤٢٠).

١. كشف المشكل(١/٦٥).

٢. صيد الخاطر (١٠١).

٣. المنظوم والمنثور (٤٨٢).

يقول رحمه الله:"وجماعةٌ أخرى -أي من الأنبياء- ابتدءوا بالوحي في المنام، ثمَّ رَقُوا إلى الوحي واليقظة"[1].

وقوله هذا، يؤيِّده ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:(أولُ ما بُدئ به رسولُ الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصَّالحة في النَّوم)[2].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله مقرِّراً هذا، بـ"أنّ أوّلَ أحوال النبيين في الوحي بالرؤيا، كما رواه أبونعيم في الدلائل بإسناد حسن عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود قال:إنَّ أولَ ما يؤتى به الأنبياء في المنام، حتى تهدأَ قلوبهم، ثمَّ ينزلُ الوحي بعدُ في اليقظة[1]"[2].

المطلب الثالث: النبوة اصطفاء من الله:

إنَّ النبوة نعمةٌ يَمُنُّ الله بها على من يشاء من عباده، وقد أجلى الله هذا المعنى في قوله سبحانه ردَّاً على كفَّار مكة حينما قالوا﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف:٣١ فقال الله رادَّاً عليهم قولَهم، مبيِّناً أنَّ النبوة هبةٌ منه سبحانه واصطفاء﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ ﴾ الزخرف:٣٢، وقد خالف في ذلك بعض الفلاسفة الإسلاميين، وقالوا بأنَّ النبوة مكتسبة، وأنَّ الإنسان قد يصل إليها، ولهذا طَمِع فيها أكابرهم، كما ورد عن السهروردي المقتول[3] أنَّه كان يقول: لاأموت حتى يُقالُ فيَّ قُمْ فأنذر[4].

وأسباب اكتساب النبوة عندهم ثلاثة أسباب، أو إن شئت فقل: ثلاث قوى[5]:

---

١. كشف المشكل (٢/٧٦-٧٧).

٢. رواه البخاري برقم: (٣).

١. لم أجده في الدلائل نسخة قلعة جي، حيث إنَّ الكتاب المطبوع، هو منتخب، وأصل الكتاب مفقود كما هو معلوم، وقد ساق الحافظ ابن كثير سند الحافظ أبي نعيم رحمه الله في الدلائل، ثمَّ قال:"وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه، وهو كلام حسن". البداية والنهاية (٤/٩).

٢. فتح الباري (١/٩).

٣. أبو الفتوح شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك. وقيل: اسمه عمر. الفيلسوف المنطقي. من الأذكياء إلا أنَّه قليل الدين.قتل مخنوقاً في سجنه في أواخر ٥٨٦هـ، وقيل ٥٨٧هـ. سير أعلام النبلاء (٢١/٢١١)، والأعلام (٨/١٤٠).

٤. يُنظر: درء التعارض (١/٣١٨)، والفتاوى (٧/٥٨٨).

٥. يُنظر: درء التعارض (٥/٣٤١). الإشارات (٢/٣٦٨-٣٧٠).

١. قوة قدسية، يتحصل العلم بسهولة، وبدون مشقة.

٢. قوة تجعل المعقولات في نفسه خيالات، ترى وتسمع.

٣. قوة يتصرف بها في العالم.

وقد قرَّر الإمام ابن الجوزي رحمه الله أنَّ النبوة اصطفاءٌ من الله عزَّ وجلَّ، يصطفي من يشاء من عباده، ونعمةٌ يَمُنُّ بها على من يشاء، وأنَّها غير مكتسبة.

ففي تفسيره لقول الأنبياء ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾إبراهيم:١١ يقول:"يعنون بالنبوة والرسالة"[١].

وفي كونها نعمة من نعم الله يمنُّ بها على من يشاء، يقول في قوله تعالى:﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾يوسف:٥٦:"أي: نختصُّ بنعمتنا من النبوة والنَّجاة"[١].

وفي كتابه نزهة الأعين النواظر في الأشباه والنظائر، يذكر معاني كلمة (الفضل) في القرآن، ومنها:"الإنعام بالنبوة، ومنه قوله تعالى في سورة النساء:﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا﴾النساء:١١٣، وفي بني إسرائيل:﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرًا﴾ الإسراء:٨٧"[٢].

ويذكر أنَّها رزقٌ من الله، ففي ذكره لأقوال العلماء في المراد بالرزق في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنًا﴾هود: ٨٨، قال:"والثاني: النبوة"[٣].

ويبيِّنُ كذلك أنَّها غير مكتسبة، فيقول في كلام له عن علو الهمة:"فلو كانت النبوة مثلاً تأتي بكسبٍ، لم يجزْ أن يقتنعَ بالولاية"[٤].

ويقول أيضاً:"ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد، رأيت المقصِّر في تحصيلها في حضيض"[٥].

---

١. زاد المسير (٣٥٠/٤).

١. زاد المسير (٢٤٥/٤).

٢. (٤٧٢). يُنظر: تذكرة الأديب (٢٥٩/١).

٣. زاد المسير (١٥١/٤).

٤. صيد الخاطر (٢٣٢).

٥. صيد الخاطر (١٧٣).

ثمَّ نراه يجيب على شبهة للبراهمة، يبين فيها أنَّ النبوة اصطفاءٌ، كما أنَّ الله يصطفي من النبات والأحجار ما يكون دواء للناس في أبدانهم، فكذلك الأشخاص يصطفي من يشاء ليكون دواءً للناس في أرواحهم، يقول رحمه الله:"وقد ألقى إبليس إلى البراهمة[1] ستَّ شبهاتٍ، الشبهةُ الأولى: استبعاد اطِّلاع بعضِهم على ما خَفِيَ عن بعض، فقالوا:﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ المؤمنون:٢٤، والمعنى: فكيف أطْلَع على ما خَفِيَ عنكم؟ وجواب هذه الشبهة، أنَّهم لو ناطقوا العقول، لأجازت اختيار شخصٍ يُخَصُّ بخصائص يعلو بها جنسَه، فيَصلُحُ بتلك الخصائص لتلقُّفِ الوحي، إذ ليس كل أحد يصلح لذلك، وقد عَلِم الكلُّ أنَّ الله سبحانه ركَّب الأمزجة متفاوتة، وأخرج إلى الوجود أدويةً تُقاوم ما يعرض من الفساد البدني. فإذا أمدَّ النبات والأحجار بخواصٍّ لإصلاح أبدان خُلقتْ للفناء هنا، وللبقاء في الدار الآخرة، لم يَبعُدْ أن يخصَّ أشخاصاً من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية إليه، إصلاحاً لمن يفسد في العالم بسوء الأخلاق والأفعال، ومعلوم أنَّ المخالفين لا يستنكرون أن يَخصَّ أقواماً[1] بالحكمة، ليُسْكِنُوا فوراتِ الطِّباعِ الشريرة بالموعظة.

وكيف ينكرون إمدادَ الباري سبحانه بعض الناس برسائل وقضايا يصلح بها العالم، ويطيب أخلاقهم، ويقيم بها سياستهم، وقد أشار عزَّ وجلَّ إلى ذلك في قوله تعالى:﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ يونس:٢"[2].

وهذا القول وهو أنَّ النبوة مكتسبة، وأنَّ الإنسان ممكن إذا تحصَّل على شروطها أن يصل إلى النبوة، وأنَّها ليست اصطفاء من الله لمن يشاء من عباده، هو قول الفلاسفة كما تقدَّم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ولهذا كان من أصلهم أنَّ النبوة مكتسبة، وكان السهروردي المقتول يطلب أن يكون نبياً، وكذلك ابن سبعين وغيره"[1].

---

١. البراهمة: نسبة إلى قبيلة بالهند من ولد ملك من ملوكهم يُسمَّى برهمي، وقيل: انتسبوا لرجل منهم يقال له برهام. ويقولون بالتوحيد على نحو قول المسلمين، وينكرون النبوات، ومنهم من يميل إلى الدهر، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية، ويقول بملة إبراهيم عليه السلام. الملل والنحل (٩٥/٣)، الفصل (٦٣/١).

١. في الأصل (أقوام) والمثبت هو الصحيح ؛ لأنه مفعول به منصوب.

٢. تلبيس إبليس (٤١٢/٢-٤١٣).

ويقول أيضاً:"فالنبوة عندهم – أي الفلاسفة – فيض يفيض على الإنسان بحسب استعداده"[2].

وماذكروه باطل من عدة أوجه:

١.أنه مخالف لصريح القرآن في أنها هبة من الله، واصطفاء من الله لمن يشاء من عباده.

٢.أن هذه الأمور الثلاثة مدركة لآحاد الناس[3].

٣.أنها تخالف النصوص الشرعية المقتضية بأنَّ نبينا هو خاتم النبيين.

٤.إن القول بأنَّ النبوة مكتسبة، يلزم منه أنها تسلب، ولا قائل بذلك، ولا دليل عليه.

٥.أنَّ هذا القول مخالف لما عليه إجماع المسلمين، يقول الحافظ العراقي رحمه الله:"وأما ما ذهب إليه بعض من ينتسب إلى الصوفية، من أن النبوة مكتسبة، وأنه يجوز أن يتخذ الله بعد نبينا نبيا آخر، فهذا قول منابذ للشريعة، ومخالف لإجماع الأمة"[1].

وبهذا نرى كيف أن ابن الجوزي رحمه الله قرر هذا المعنى، وردّ على من ينكر اختصاص الله بالنبوة لبعض خلقه.

---

١. النبوات (٢/٧٠٢-٧٠٣). يُنظر: الصفدية (١/٥-٦).

٢. منهاج السنة النبوية (٢/٤١٥).

٣. يُنظر: الصفدية (١/٢٢٩)، وموقف ابن تيمية من الفلاسفة (٤٢٢)

١. طرح التثريب في شرح التقريب (٢/١١٢).يُنظر: روضة الطالبين (١٠/٧٠).

المطلب الرابع: دلائل النبوة:

المراد بدلائل النبوة، الأدلة الدالة على نبوة الأنبياء، وتسمى أعلام النبوة، وهي التي يسميها النُّظَّار بالمعجزات[1].

وتكلَّم العلماء في هذه الدلائل، الدالة على نبوة الأنبياء، من حيث تسميتها، ومن حيث حصرها في المعجزة أم لا؟ وإذا كانت هذه الدلائل محصورة في المعجزة، فهل هذه المعجزة متعددة، أم إنَّها محصورةٌ في نطاق معيَّن؟ وهل لهذه المعجزة من شروط؟ وهل بينها وبين الكرامة والسحر فرق؟ هذه المسائل وغيرها، هي محل بحث علماء الاعتقاد، وسأتناول ما تعرَّض له ابن الجوزي رحمه الله، من حديث حول هذه المسائل، وسأبين –بحول الله وقوته– ما ذهب إليه رحمه الله، وهل هو موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، أم مخالف لهم؟.

وسيكون البحث حول المسائل التالية:

المسألة الأولى: مصطلح دلائل النبوة، والمعجزة.

المسألة الثانية: طرق دلائل النبوة.

المسألة الثالثة: جعل التحدِّي شرطٌ في المعجزة.

المسألة الرابعة: كون المعجزة خارقةً للعادة، واختلافها للسحر والكهانة.

المسألة الخامسة: الكرامة.

المسألة الأولى: مصطلح دلائل النبوة، والمعجزة:

من خلال قراءتي لكتب ابن الجوزي رحمه الله، ومن خلال كذلك بحثي في كتبه عن طريق البرامج الحاسوبية، لم أجده ذكر هذا المصطلح (دلائل النبوة أو أعلام النبوة) إلا في موضع واحد، في تفسيره تذكرة الأريب، حيث قال:"عسى أن يعطيني من الدلائل على النبوة، أقرب من قصة أصحاب الكهف"[1]، بخلاف لفظة المعجزة، فإنَّها هي العبارة الحاضرة في مؤلفاته رحمه الله، ولهذا بوَّب في كتابه الوفا، باباً بعنوان:"أبواب معجزاتهﷺ"[2]، وكذلك فعل في كتابه الحدائق[3]، وصفة الصفوة[1].

---

١. يُنظر: الجواب الصحيح (٤١٢/٥).

١. تذكرة الأريب في تفسير الغريب (٢١٢).

٢. الوفا (٢٦٣).

٣. يُنظر: الحدائق (٢٠٩/١).

وإنَّ مصطلح دلائل النبوة، أولى من مصطلح المعجزة، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أنَّ لفظةَ المعجزة، لم ترد في كتاب الله ولا سنَّة رسوله ﷺ، بل الوارد هو الآيات والبراهين والبينة، كما قال تعالى﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا ﴾الأنعام:٤، ولم يقل معجزة، وقال تعالى في آية موسى عليه السلام – وهي اليد والعصا–:﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ﴾ القصص:٣٢ فسمَّاها برهاناً، وقال تعالى عن بني إسرائيل:﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الأنعام:١٥٧فسمَّى ما أتاهم من أنبيائهم بيِّنة، وغيرها من الآيات الدالة على أنَّ الله سمى ما أيَّد به أنبياءه، آيات وبراهين وبينات، والتقيد بما في الكتاب والسنة أولى.

الوجه الثاني: أنَّ التسمية بالآية والبرهان، تشمل المعجز وغير المعجز من دلائل نبوته ﷺ، فتشمل بشارات الأنبياء به، وإخبار الكتب السابقة عنه، وتشمل سيرته وهيئته ﷺ، بخلاف المعجزة، فإنَّها قاصرةٌ على معنى عجز البشر عن الإتيان بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام.

الوجه الثالث: أنَّ التعبير بالآية والبرهان والبينة، تشتمل على معان لا توجد في لفظ المعجزة، بل إنَّ لفظ الآية، يتضمن معنى الإعجاز وغيره[1]، ولهذا فإنَّ استخدام الألفاظ التي تدلُّ على أكثر من معنى أولى.

الوجه الرابع: أنَّ لفظة المعجزة ومشتقاتها، لم ترد في القرآن الكريم، إلا في سياق إرادة عجز الكفار لله سبحانه وتعالى، منها قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ الحج:٥١، أو أنَّ الله سبحانه لا يعجزه شيءٌ، قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ﴾التوبة:٢، ولم ترد غير ذلك والله أعلم.

---

١. يُنظر: صفة الصفوة (٩١/١).

١. يُنظر: المعجم الوسيط (٣٥/١).

الوجه الخامس: أنَّ لفظ العجز، فيه تجوُّز في العبارة؛ لأنَّ بعض الآيات التي أيَّد الله بها عباده، ليستْ في مقدور البشر أصلاً، وذلك مثل انشقاق القمر، أو الإسراء والمعراج، فليس من اللَّائق أنَّ نصفَ البشر بالعجز عن أن يفعلوا ذلك، وهو ليس في مقدورهم شقّ القمر، أو العروج إلى ملكوت السماوات، حتى سمع ﷺ صريف الأقلام[1].

الوجه السادس: أنَّ لفظ المعجزة، فيه إجمالٌ، فهي معجزة لمن؟ هل للإنس والملائكة والجن؟ أم لأحدهم؟ أم أنَّها معجزة لقوم دون آخرين؟ بخلاف لفظ البرهان والآية والبينة، فهي متعلقة بالأنبياء، بمعنى أنَّها علامة، وتأييد، وبيان لنبوة الأنبياء.

وبناءً على ما تقدم، فإنَّ استعمال اللفظ القرآني، أولى بالصواب، ولو أنَّ الإمام ابن الجوزي رحمه الله بوَّب في كتابه الوفا بـ(آيات النبوة) أو(دلائل النبوة)، لكان أولى، والله أعلم.

المسألة الثانية: طرق دلائل النبوة:

إنَّ ما تقدَّم ذكره من الحديث عن دلائل النبوة، كان من الناحية النظرية الاصطلاحية، أمَّا من الناحية العملية -إن جاز التعبير- لم يكن اقتصار ابن الجوزي رحمه الله في حديثه عن دلائل النبوة قاصراً على المعجزات فقط، بل إنَّه يرى أن خُلُقه ﷺ وسيرته وزهده، وشريعته، أدلَّةٌ دالَّةً على نبوته ﷺ.

وكلامه رحمه الله في هذه القضية واضحٌ أتمَّ الوضوح، فهو لا يحصر دلائل نبوته ﷺ في زاوية ضيقة مختزلة في المعجزة، أويجعلها بشكل أضيق ويحصرها في القرآن الكريم فقط، بل توسَّع في ذلك إلى أن جعل أتباعه من أمَّتِه دليلٌ على نبوته ﷺ كما سيأتي معنا بإذن الله.

يقول رحمه الله في مقدِّمة تبويبه لمعجزات النبي ﷺ:"كانت صورة نبينا ﷺ، وهيئته، وسمته، تدلُّ العقلاء على صِدْقه. ولهذا قال عبدالله بن سَلاَم:(فلما رأيت وجْهَه، عرفت أنَّه ليس بوجه كذاب)[1]. ومَنْ سمع كلامَه، ورأى آدابه، لم يَدْخله شكٌّ.

وكان في صِغره يُعرف بالأمانة، والصدق، وجميل الأخلاق. وقد قال قيصر في حديث أبي سفيان: لم يكن ليَذَر الكَذِبَ على الناس، ويكذب على الله تعالى"[2].

---

١. يُنظر: شرح السنوسي على عقيدة أهل التوحيد (٢٣٦). وحديث سماعه ﷺ لصريف الأقلام، رواه البخاري برقم: (٣١٦٤)، ومسلم برقم: (١٦٣).

١. رواه الترمذي برقم: (٢٤٨٥)، وابن ماجة (٤٢٣/١) من حديث عبدالله بن سلام رضي الله عنه.

٢. الوفا (٢٦٣).

ويقول في كلام جميل له رحمة الله عليه، ذكر فيه أكثر من دليل على إثبات نبوته ﷺ، آثرتُ أن أذكره بتمامه، يقول عليه رحمة الله:"ودليلُ صحة نبوة نبينا ﷺ، أجلى من الشمس، فإنَّه ظهر فقيراً، والخلق أعداؤُه؛ فوُعِد بالملك فمَلَك، وأخبر بما سيكون فكان، وصِيْنَ من زمن النبوة عن الشَّره، وخساسةِ الهمَّة، والكذب والكبر، وأُيِّدَ بالثقة والأمانة والنزاهة والعفة، وظهرت معجزاتُه للبعيد والقريب. وأُنزل عليه الكتاب العزيز، الذي حارت فيه عقول الفصحاء، ولم يقدروا على الإتيان بآية تُشبهُه، فضلًا عن سورة، قد قال قائلهم وافتضح، ثمَّ أخبر أنَّه لا يُعارض فيه، فكان كما قال، وذلك قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾البقرة:٢٢-٢٣، وكذلك قوله:﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾البقرة:٩٤-٩٥، فما تمناه أحد، إذ لو قال قائل: قد تمنيته، لبطلت دعواه.

وكان يقول ليلة غزاة بدر:((غدًا مصرع فلان هاهنا))[١]فلا يتعداه. وقال:((إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده))[٢]فما مَلَك بعدهما من له كبير قدر، ولا من استتبَّ له حال.

ومن أعظم دليلٍ على صدقه، أنَّه لم يُرِدِ الدنيا، فكان يبيت جائعًا، ويؤثر إذا وجد، ويلبس الصوف، ويقوم الليل؛ وإنَّما تُطلب النواميس لاجتلاب الشهوات، فلمَّا لم يردْها، دلَّ على أنَّه يدُلُّ على الآخرة التي هي حق.

ثم لم يزلْ دينُه يعلو حتى عمَّ الدنيا، وإن كان الكفر في زوايا الأرض؛ إلا أنَّه مخذول.

وصار في تابعيه من أمَّتِه الفقهاء، الذين لو سمع كلامهم الأنبياء القدماء، تحيَّروا في حسن استخراجهم، والزهاد الذين لو رآهم الرهبان، تحيَّروا في صدق زهدهم، والفطناء الذين لا نظير لهم في القدماء"[١].

---

١. رواه مسلم برقم: (١٧٧٩).

٢. رواه البخاري برقم: (٣١٢٠)، ومسلم برقم: (٢٩١٨).

فهذا الكلام من الإمام ابن الجوزي رحمه الله، يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّه يرى أنَّ دلائل النبوة غير محصورة في المعجزة، بل إنَّها كثيرة بكثرة معجزاته وأحواله وسمته وخلقه ﷺ.

وممَّا يَستدِل به على نبوته، زهده ﷺ في هذه الدنيا، إذ لو كان له غرض في شيء من أمور الدنيا، لعمل بعمل الملوك، فيقول رحمه الله:"ولو لم يكن من الدليل على صدق نبينا ﷺ إلا إعراضه عن الدنيا، وتضييق العيش عليه، ثمَّ لم يخلِّف شيئاً، وحَرَم أهله الميراث، لكفاه ذلك دليلاً على صدق طلبه لمطلوب آخر"[1].

وممَّا يذكره دليلاً على صدقه ونبوته، شريعتَه ﷺ التي جاء بها من عند الله، يقول رحمه الله:"وأمَّا معجزاته ﷺ، فإنَّ من شاهد أحواله، ومحاسن إشاراته، في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز العقلاء والفقهاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم، لم يبقَ له ريب في أنَّ ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية، وأنَّه لا يتصوَّر ذلك، إلا باستمداد من تأييد سماوي، وقوةٍ إلهية، فإنَّ ذلك لا يصلح لملبِّس ولا كذَّاب"[2].

ومن الأدلة التي يذكرها ابن الجوزي رحمه الله وهي دالة على صدقه ونبوته ﷺ، نصرة الله وتأييده له ﷺ، فينقل عن الإمام ابن عقيل الحنبلي رحمه الله قولَه:"ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا ﷺ، أنَّ الباري سبحانه إنَّما يُمْهل الكذاب يسيراً، ثمَّ يستأصله بالعذاب. فيجوز أن يمهلَ من يكذب عليه سنين، ثمَّ يثبِّت شريعته بعده؟ وقد أقدم على نسخ شريعتين قبله، وحلَّل السَّبْت، ثمَّ ينصر أتباعه على الأمم ويؤيد حكمته بالإعجاز؟ حاشاه أن يفعل ذلك، إذ لو فعله، لم يُتَبيِّنِ اْلصدقُ من المحال"[3].

فهذه مجموعة من الأدلة والبراهين، يسوقها لنا الإمام ابن الجوزي رحمه الله، في سياق جميل، مبيناً أن معجزاته ﷺ، ليست محصورة فيما يكون فيه التحدِّي، أو فيما لا يكون في وسع البشر فعله، بل سمته، وصورته، وأخلاقه، وزهده في هذه الدنيا، وإعراضه عنها، وشريعته الكاملة، ونصرة الله له ولأتباعه على مرِّ العصور، لأكبر دليل على أنَّ هذا الرجل مبعوث من عند ربِّ العالمين.

---

١. صيد الخاطر (٤٢٠-٤٢١).

١. صيد الخاطر (٢٩٠).

٢. منهاج القاصدين (٥٥٨/١).

٣. الوفا (٣٥١).

يقـول نفطويـه[1] رحمـه الله في قولـه تعـالى:﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ ﴾ النور:٣٥:"هو مثل ضربه الله لنبيِّه، يقول يكاد منظرُه يدلُّ على نبوته، وإن لم يَتْلُ قرآناً كما قال ابن رواحة:

لوْ لمْ يَكنْ فيهِ آياتٌ مبينةٌ ******كانتْ بَديهتُه تُنْبِيكَ بالخبرِ"[2].

وللعلماء في حصر الدلالة على النبوة في المعجزة، خمسة أقوال[3]:

القـول الأول: حصـر دلالـة النبـوة على المعجـزة، وهـذا عليـه أكثـر الأشـاعرة. يقـول أبـو إسحاق الإسفرائيني[4] رحمه الله:"المعجزات دلالات صدق الأنبياء"[5].

ويقول التفتازاني[6] رحمه الله:"والدليل على نبوة الأنبياء المعجزات"[7].

ويقـول ابـن فـورك رحمـه الله[8]:"المعجزات دلالات الصـدق، ثمَّ إنِ اْدعـى صـاحبُها النّبـوة، فالمعجزات تدل على صدقه في مقالته"[9].

القول الثاني: عدم حصر دلائل النبوة في المعجزة، بل هناك دلائل أخرى غيرها، ولكن هـؤلاء رأوا أنَّ الـدلائل الأخـرى، إنَّمـا هـي للتكميـل، وزيـادة التقريـر، يقـول الإيجـي رحمـه الله:"إثبـات نبـوة محمـد ﷺ، وفيـه مسـالك: المسـلك الأول-وهـو العمـدة- أنَّـه ادعـى النبـوة،

---

١. نفطويه أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان العتكي، الأزدي، الواسطي، المشهور بنفطويه، صاحب التصانيف . الإمام، الحافظ، النحوي، العلامة، الأخباري. كان على طريقة سيبويه. توفي سنة ٣٢٣هـ. سير أعلام النبلاء (١٥/٧٥)، والأعلام (١/٦١).

٢. الجواب الصحيح (٦/٥١١).

٣. يُنظر: شرح الأصبهانية (٤٧١)، المواقف للإيجي (٣٤٩-٣٥٨).

٤. أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني، أبو حامد البغدادي، شيخ الشافعية، له تعليقة على شرح المزني تقع في خمسين مجلد، مات سنة ٤٠٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٧/١٩٣)، والأعلام (١/٢١١).

٥. نقله عنه القشيري في رسالته (٢/٥٢٠).

٦. مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الحنفي، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. كانت في لسانه لكنةٌ. توفي سنة ٧٩٢هـ وقيل ٧٩١هـ. الدرر الكامنة (٦/١١٢)، والأعلام (٧/٢١٩).

٧. نقله عنه ابن تيمية في شرح الأصفهانية (٤٧١).

٨. أحمد بن موسى بن مردوية بن فورك الأصبهاني، صاحب التفسير الكبير، حافظ مجود علامة، من قدماء الأشاعرة، توفي سنة٤١٠هـ. تاريخ أصبهان (١/١٦٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/٣٠٨).

٩. نقله القشيري في رسالته (٢/٥٢٠).

وظهرت المعجزة على يده"[1]، ثمَّ ذكر بقية المسالك، ثمَّ قال:"قلنا: المعتمد ظهور المعجزة على يده، وهذه الوجوه الأخر، للتكملة وزيادة التقرير"[2]. وهذا ذهب إليه بعض الأشاعرة.

القول الثالث: من لا يجعل المعجزة دليلاً، وأنَّ الدليل، هو استواء ما يدعوا إليه، وسلامته من التناقض.

القول الرابع: من يوجب تصديق الأنبياء بدون معجزة[3].

القول الخامس: أنَّ دلائل النبوة وأعلامها كثيرة، منها المعجزات. وهذا هو قول أهل السنة والجماعة[4].

وما قررناه من أنَّ آيته ﷺ ليست محصورة في المعجزات، ولهذا آمن به ﷺ، خديجة وأبوبكر الصديق رضي الله عنهما، ولم يكن ثمَّت إعجاز، ولم يطلبوا منه ﷺ معجزة حتى يؤمنوا به ﷺ، بل استدلوا بدلالة أحواله عليه الصلاة والسلام، ولهذا قالت خديجة رضي الله عنها:(فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)[5]، فبهذه الخصال، استدلت رضي الله عنها على نبوته.

وكذلك استدل هرقل على نبوته ﷺ، بأحواله ﷺ التي أخبره بها أبو سفيان رضي الله عنه، حتى قال: فلو أعلم أني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه[6].

وقد بوَّب الإمام اللالكائي رحمه الله في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باباً بعنوان:"سياق ما روي في معجزات النبي ﷺ ممَّا يدلُّ على صدقه، وخرق الله العادة الجارية، لوضوح دلالته وإثبات نبوته، ونفي الشك والارتياب في أمره"[7] ثمَّ ذكر حديث أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل ملك الروم، وهو كما ترى ليس فيه أيَّ معجزة لرسول الله ﷺ، بل

---

١. المواقف (٣٤٩).

٢. المواقف، طبعة عالم الكتب، بيروت، ص(٣٥٧).

٣. حكى شيخ الإسلام في شرحه للأصبهانية، القول الثالث وعزاه لبعض النظار، والرابع ولم يعزه لأحد. يُنظر: شرح الأصبهانية (٤٧١).

٤. يُنظر: الفصل لابن حزم (٥/٦)، وشرح الأصبهانية (٤٧١).

٥. رواه البخاري برقم: (٣)، ومسلم برقم: (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٦. الخبر رواه البخاري برقم: (٧).

٧. شرح اعتقاد أهل السنة (٤/٧٩٠).

كلُّ ما فيه هو خبرٌ عن هديه وخلقه وحاله مع أعدائه، مما يدلُّ على أنَّ مذهب أهل السنة هو تقرير النبوة بالمعجزة وغيرها، وأنَّها غير مقتصرة على قضية الإعجاز فقط.

ويقول القاضي عياض رحمه الله:"وإذا تأمَّل المتأمِّل المنصف، ما قدَّمناه من جميل أثره، وحميد سيره، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجملة كماله، وجميع خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله، لم يمترِ في صحة نبوته، وصدق دعوته"[1].

وبهذا يتبين لنا موقف الإمام ابن الجوزي رحمه الله، وأنَّه على ما عليه سلف الأمة، من إثبات نبوته ﷺ، بالمعجزة وغيرها من الدلائل، التي تدلُّ على صدقه ونبوته، وأنَّه رسول ربِّ العالمين.

المسألة الثالثة: جعل التحدِّي شرطٌ في المعجزة:

تقدَّم معنا في المسألة السابقة، موقف ابن الجوزي رحمه الله من عدم حصره دلالة النبوة في الإعجاز، بل اعتبر أنَّ دلائل نبوته أكثر من أن تُحصر، فجعل أحواله وهيئته ووجهه الشريف ﷺ من قبيل الأعلام التي تدلُّ على نبوته، وعليه فإنَّه لا يرى التحدِّي شرطاً في المعجزة، وإلا اقتصر في سرده للمعجزات، على ما ورد التحدي به، وهو القرآن الكريم.

وممَّا يؤكِّد ذلك، قوله رحمه الله:"وكانت آيات النبوة تظهر عليه قبل النبوة، فكان يرى النور والضوء، ولا يَمرُّ بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله، وقال:((إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن))[2]"[3]. فهذه بعض آياته ﷺ ومعجزاته التي ظهرت قبل نبوته، ولم يكن ثمَّ تحدٍ وقتها، فتسميته لها آية، يدل على أنَّ قضية التحدي غير مشروطة في المعجزة والله أعلم.

ويقول رحمه الله عن تفرُّقِ الصحابة عنه عليه الصلاة والسلام يوم حنين:"ما تَفرَّقوا،بل فُرِّقوا، ليظهر معجزة نبوته"[4]. فهل ترى هنا تحديّاً للمشركين؟ ومع ذلك سمَّاها معجزة.

---

١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (٣٤٢).

٢. رواه مسلم برقم: (٢٢٧٧).

٣. التبصرة (٣٨١/١).

٤. المنظوم والنثور (٣٦٢).

ويقول في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس:"﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ ﴾ النمل:٤٢ بصحة نبوة سليمان﴿ مِن قَبْلِهَا ﴾ أي: الآيات المتقدمة من الهدهد، وتميز الغلمان من الجواري[١]"[٢]. فالهدهد من معجزات نبي الله سليمان عليه السلام، ولم يكن ثمَّتْ تحدٍّ مع بلقيس أو غيرها من المشركين.

فهذه النُّصوص كما ترى، تدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّه رحمه الله يرى أنَّ الآياتِ والمعجزاتِ لا يُشترط لها التحدي، وأنَّ منها ما كان قبل النبوة في وقتٍ لم يُبعث بعدُ ﷺ، حتى يشترط تحدٍّ لمن بعث إليهم، وكذلك ما وقع له في حنين فأيُّ تحدٍّ فيها؟.

وما ذكره رحمه الله هو ما عليه أهل السنة والجماعة.

والدليل على أنَّ شرط التحدِّي غير معتبر، ما يلي[٣]:

١. أنَّه شرطٌ لم يرد في كتاب الله، ولا سنَّة رسوله ﷺ، والقرآن لما تحدَّاهم، ما تحدَّاهم ابتداءً، بل لما قالوا إنَّه مفترى، تحدَّاهم أن يأتوا بسورة من مثله، قال تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾يونس:٣٨، بل ما ورد في سورة الأنبياء يدُلُّ على أنَّ القرآن ما أُتِيَ به ليتحدَّى به كفار مكة، يقول الله تعالى:﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء:٥، فقولهم:﴿ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ بعد قولهم ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ ﴾ يدلُّ على أنَّه لم يخبرْهم ﷺ بأنَّ القرآنَ آيةٌ، وإلا لما طلبوها، ولكن حينما رأوا بلاغة القرآن، وتأثيره في النفوس، ودخول الناس في الإسلام بسببه، قالوا إنه مفترى، فجاء التحدي بأن يأتوا بسورة من مثله.

٢. إنَّ اشتراط التحدِّي في المعجزة، يلزم منه القدح في بقية المعجزات. يقول ابن حزم رحمه الله:"ومن ادعى أنَّ إحالة الطبيعة لا تكون آية إلا حتى يتحدَّى فيها النبيُّ ﷺ الناسَ، فقد كذب وادَّعى مالا دليل عليه أصلا، لا من عقل ولا من نصٍّ قرآن ولا سنة، وما كان هكذا فهو باطل ويجب من هذا أنَّ حنين الجذع، وإطعام النفر الكثير من الطعام اليسير حتى

---

١. يُنظر قصة تميز الغلمان من الجواري تاريخ دمشق (٧٢/٦٩).

٢. تذكرة الأريب (٤٩/٢).

٣. يُنظر: الفصل لابن حزم (٥/٥-٦)، النبوات (٦٠٥/١).

شبعوا وهم مئون من صاع شعير، ونبعان الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ، وإرواء ألف وأربعمائة من قدح صغير تضيق سعته عن شبر، ليس شيءٌ من ذلك آيةً له عليه السلام؛ لأنَّه عليه السلام لم يتحدَّ بشيءٍ من ذلك أحداً"[1].

المسألة الرابعة: كون المعجزة خارقةً للعادة، واختلافها للسحر والكهانة:

قبل معرفة رأي ابن الجوزي رحمه الله، في كون خرق العادة شرط في المعجزة أم لا، أحبُّ أن أذكر أقسام العادة، فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عادات تتمثّل في أفعال العباد، وهي تختلف باختلاف الناس، وبلدانهم، وصنائعهم، وعلومهم، ومن ذلك السحر، فما يفعلونه – وإن كان خارقاً للعادة بالنسبة لنا الذين نجهل طرق السحرة وعلومهم- فهو لا يخرج عن السنن الكونية، ويعتبر مقدوراً عليه عند الإنس والجنَّ. ولو قال قائل، إنَّ أفعال السحرة، تعتبر من العادات عند الجنَّ، ما جانب الصواب.

القسم الثاني: عادات كونية، تتمثل قوانين الطبيعة، وخواص المادة، ونظام الأسباب والمسببات.

القسم الثالث: عادات تتعلَّقُ بفعل الله تعالى، كنصرة أوليائه، وإنجاز وعده لرسله، وهلاك أعدائهم، وغير ذلك.

والذي يتعلَّق بمناط البحث هنا، هو القسم الثاني.

وبالنَّظر لكلام ابن الجوزي رحمه الله في هذه المسألة، فإنَّه يثبت خوارق العادات في معجزاتهم عليهم الصلاة والسلام، فيقول رحمه الله في أثناء ردِّه على جاحدي النبوة بأنَّ:"المعجزة ما خرقت العاداتِ"[2].

ويقول أيضاً:"آيات الأنبياء نوادر لا يقاس عليها"[3]، بمعنى أنَّها خارقةٌ للعادة، التي هي من القسم الثاني، أي : العادات الكونية، وخواص الأسباب، ونظام الأسباب والمسببات، وعليه فهذه الأمور لا يقاس عليها شيء من أفعال البشر.

---

١. المحلى (٣٦/١).

٢. تلبيس إبليس (٤١٣/٢).

٣. زاد المسير (٢٨٩/١).

ومع تقريره بأنَّ معجزاتِ الأنبياء خوارقٌ للعادات، فإنَّه لا يلزم أن يقال بأنَّها من جنس السحر والشعوذة والكهانة، ولا أنَّ الفرق بينهما، هو أنَّ النبي يدَّعي النبوة، والساحر لا يدعيها كما تقوله الأشاعرة[1].

يقول ابن الجوزي رحمه الله:"آيات الأنبياء نوادر لا يقاس عليها"[2]. أي: لا يقاس عليها ما يفعله السحرة والكهنة والمشعوذين،؛ لأنَّ المعجزات تكون خارقةً للعادات الكونية، بخلاف السحر فهو خارق لعادة أفعال العباد.

ويقول رحمه الله ذاكراً شبهة جاحدي النبوة والجواب عنها:"الشبهة الثالثة: قالوا: نرى ما يدَّعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات، وما يلقى إليهم من الوحي، يَظهرُ جنسه على الكهنة والسحرة، فلم يبقَ لنا دليل نفرِّقُ بين الصحيح والفاسد.

والجواب أنَّ نقول: إنَّ الله تعالى بيَّن الحجج ثمَّ بثَّ الشبهة، وكلَّف العقولَ الفرقَ" ثم يوضح الفرق قائلاً:"فلا يَقدِر ساحرٌ أن يُحيَ ميتاً، ولا أن يخرج من عصا حية، وأمَّا الكاهن فقد يصيبُ، وقد يخطيء، بخلاف النبوة التي لا خطأَ فيها بوجه"[3]، فهذا الفرق كما ترى، يبين أنَّ جنس ما يأتي به أنبياء الله عليهم السلام، يختلف تماماً عمَّا يفعله السحرة، فهم لا يستطيعون إحياء الأموات، ولا أن يخرج الحية من عصا. وكذلك الكهان، فإنَّهم وإن أخبروا بالغيب، فهم يختلفون عن ما يخبر به الأنبياء، حيث الكاهن يخطيء ويصيب، بخلاف أخبار أنبياء الله عليهم السلام، لا يعتريها خطأٌ، وأنَّه لم يجعل الفرق بين ما ظهر على يد السحرة والكهان هو ادعاء النبوة من قبل النبي، أو أنَّ الله لا يُمكِّن الساحرَ من فعل السحر، كما يقوله الأشاعرة.

فحكايته عن جاحدي النبوة، أنَّهم يقولون عن معجزات الأنبياء، بأنَّه"ظهر جنسه على الكهنة والسحرة" ثمَّ ردَّه عليهم، دليل على أنَّه يرى بأنّ جنس المعجزة يختلف عن جنس السحر.

---

١. يُنظر: الإرشاد (٣٢٤-٣٢٦).

٢. زاد المسير (٢٨٩/١).

٣. تلبيس إبليس (٤١٤/٢-٤١٥).

ويقول أيضاً:"وهذا القرآن الذي له منذ نزل دوين الستمائة سنة، فالأسماع تدركه، والأفكار تتدبره، والتحدِّي به على الدوام، ولم يقدرْ أحدٌ على مداناة سورة منه. فأين هذا والخاصية والسحر والشعوذة؟"[١].

ثم ينقُلُ كلاماً لابن عقيل رحمه الله فيقول:"صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحقِّ، وثبوت الشرائع بين الخلق، والامتثال لأوامرها ... ثمَّ مَعَ ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا أثرا، بل الجوامع تتدفق زحاما، والآذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي ﷺ والإقرار بما جاء به ... فجعل بعضهم يندس في أهل النقل فيضع المفاسد عَلَى الأسانيد ويضع السير والأخبار، وبعضهم يروي ما يقارب المعجزات من ذكر الخواص في أحجار وخوارق للعادات في بعض البلاد، وأخبار الغيوب عن كثيرٍ من الكهنة والمنجمين، ويبالغ في تقرير ذلك، حتى قالوا: إنَّ سطيحاً[٢] قال في الخبيء الذي خبيء له: حبَّةُ برٍّ، في إحليل مهر. والأسود كان يعظ، ويقول الشيء قبل كونه[٣].

وههنا اليوم مُعزِّمون يكلِّمون الجنِّيَ الذي في بطن المجنون، فيكلِّمهم بما كان وما يكون، وما شاكل ذلك من الخرافات، فمَن رأى مثل هذا قال-لقلَّة عقله وقلَّة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة-:وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب هذا؟ وليس قول الكاهن: حبَّة بُرٍّ، في إحليل مهر، وقد أخفيتُ هذا الخفاء، بأكثر من قوله:﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾آل عمران:٤٩، وهل بقي لهذا وقع في القلوب، وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم؟"[٤].

---

١. تلبيس إبليس (٢/٤٢٠).

٢. ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن الذئب، من بني مازن، من الأزد: كاهن جاهليّ غساني. من المعمرين. كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه. كان أبداً منسطحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، ويقال: كان يُطوى كما تُطوى الحصيرة، ويتكلَّم بكل أعجوبة. مات بعد مولد النبي ﷺ بقليل. الأعلام للزركلي (٣/١٣).

٣. وهذه العبارة فيها ردٌّ على الأشاعرة القائلين بأنَّ الفرق بين المعجزة وسحرِ الساحرِ وكهانةِ الكاهنِ هو ادعاء النبي للنبوة، وأنَّ الساحر أو الكاهن لا يدَّعيها، وإذا ادعها فلا يمكِّنُه الله منها، فهذا الأسود ادَّعى النبوة، وأخبر بشيءٍ من الغيب، لكنَّه لم يمكَّن فيما أراد من حرق أبي مسلم الخولاني رحمه الله. يُنظر: قصته في حلية الأولياء (٢/١٢٩)، والبداية والنهاية (٦/٢٦٧).

٤. تلبيس إبليس (٢/٤٢١-٤٢٣).

فهذا النَّص الذي نقله عن أبي الفداء ابن عقيل رحمهما الله، يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ هناك فرقاً بين المعجزة وفعل السحرة والكهان في جنسهما، وأنَّ الفرق ليس ادعاء النبوة، بخلاف الساحر الذي لا يستطيع أنْ يدعيَها، وأنَّه إذا ادَّعى النبوة، لا يُمكِّنُه الله من سحره كما تقول الأشاعرة .

وللناس في كون خرق العادة شرط المعجزة، ثلاثة أقوال، هي:

القول الأول: قول المعتزلة، قالوا: إنَّ خرق العادة، شرط في المعجزة، وهي تكون في المعجزات فقط، عند إرسال الرسل، ولا تكون في غيرها. وعليه أنكروا الكرامات، وأفعال السحرة.

القول الثاني: قول الأشاعرة: قالوا: إنَّ خرق العادة شرط في المعجزة، وقالوا بأنَّ جنس معجزة الأنبياء، من جنس فعل السحرة، والفرق بينهما، هو ادعاء الأنبياء للنبوة، والسلامة من المعارض، بخلاف الساحر، الذي لا يمكنه الله من ادعاء النبوة، وأنه لا يسلم من المعارض[1]. والذي جعلهم يقولون إنها من جنس فعل السحرة، أنهم جعلوا خوارق العادات في معجزات الأنبياء، القسم الأول، وهو ما تتمثل بأفعال العباد، وعلومهم، لا من القسم الثاني، وهو ما يتعلق بالعادات الكونية، وخواص الأشياء، ونظام الأسباب والمسببات، فجعلهم العادات من قبيل العادات المتعلقة بأفعال العباد، لا من قبيل السنن الكونية، حتى يسلم أصلهم في السببية، حيث إنَّ إثبات السببية يلزم منه نفي الخوارق، وذلك أنهم يقولون: العلاقة بين السبب والمسبب، علاقة اقترانية لا تأثيرية، فحرق الورقة مثلاً، ليس سببه النار، بل السبب اقترانها بالنار، وقس على ذلك جميع الأسباب ومسبباتها، وعليه يلزمهم أن يقولوا، أنَّ عند رمي موسى عليه السلام العصا، انقلبت ثعباناً بالاقتران، لا من باب الإعجاز.

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله:"إنَّ آيات الأنبياء خارجة عن مقدور من أرسل الأنبياء إليه، وهم الجن والإنس. فلا تقدر الإنس والجنُّ أن يأتوا بمثل معجز الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾الإسراء:٨٨"[2].

---

١. النَّظامية (٦٣)، شرح السنوسي (٢٣٦) وَ (٢٣٩).

٢. النبوات (٥٠٢/١).

ويقول شيخ الإسلام:"وأمَّا خوارق مخالفيهم-أي مخالفي الأنبياء- كالسحرة والكهان، فإنَّهما من جنس أفعال الحيوان، من الإنس وغيره من الحيوان والجنِّ، مثل قتل الساحر، وتمريضه لغيره، فهذا أمر مقدور معروف للناس بالسحر وغير السحر، وكذلك ركوب المكنسة أو الخابية، أو غير ذلك"[1]. لأنها من القسم الأول من العادات.

فمثلاً معجزة موسى عليه السلام في قلب العصا إلى حيَّة، فهذا قلب جنس إلى جنس آخر، أمَّا ما فعله السحرة فليس كذلك، بل هو تخييل كما قال تعالى﴿ ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾﴾طه:٦٦[2].

ولهذا نرى ابن الجوزي رحمه الله يقول عن سحرة موسى عليه السلام بأنَّهم:"كانوا بأبواب السحر ومذاهب الاحتيال أعرف من غيرهم، وقد علموا أنَّ ما جاء به موسى ليس بسحر، كان ذلك في حقِّ غيرهم أبين وأوضح، وكانوا هم لمعرفته أخصّ"[3]وما ذلك إلا لمعرفتهم بأنَّ هناك فرق بين جنس المعجزة والسحر.

بل يؤكِّد رحمه الله ذلك بقوله:"وقد استدلَّ قوم بهذه الآية{يخيَّلُ إليه من سحرهم أنَّها تسعى} على أنَّ السحر ليس بشيء. وقال:إنَّما خُيِّل إلى موسى. فالجواب: أنَّا لانُنكِر أن يكونَ ما رآه موسى تخييلاً، وليس بحقيقة، فإنَّه من الجائز أن يكونوا تركوا الزئبق في سلوخ الحيات حتى جرت، وليس ذلك بحيات"[4].

فيرى رحمه الله أنَّ ما فعَلَه السَّحرة، ليس بقلب العصا إلى ثعبان كفعل نبيِّ الله موسى عليه السلام، بل هو تخييل أوشعوذة.

---

١. النبوات (١/١٤٤-١٤٥).

٢. يُنظر: النبوات (١/١٤٥)، (١/١٧٠).

٣. زاد المسير (٥/٣٠٧).

٤. زاد المسير (٥/٣٠٢).

المسألة الخامسة: الكرامة.

الكرامة لغة واصطلاحاً:

لغة: يقول ابن فارس رحمه الله:"الكاف والراء والميم، أصل صحيح، له بابان، أحدهما: شرف في الشيء، في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق... والأصل الآخر: الكرم وهي القلادة"[١].

اصطلاحاً: يقول السفاريني[٢] رحمه الله:"الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم"[٣].

أسهب ابن الجوزي رحمه الله في الحديث عن الكرامة، وخاصة ما يتعلق بالجانب القصصي منها، وهذا ملاحظ في كتبه. وسبب اهتمام ابن الجوزي رحمه الله بها يرجع لأمور، منها:

١. انتشار الكلام عن الزهد والكرامات والسلوك في عصره.

٢. تأثره بحياة الزهاد، فقد قرأ على أحدهم في رباط بهروز الخادم[٤]، بل إنه مارس شيئا من أمور الزهد من التقشف والتقلل في المطعم[٥].

٣. اهتمامه بالوعظ، ولما هذه القصص من تأثير في النفوس، فقد أكثر منها رحمه الله في كتبه الوعظية، ولهذا يقول في مقدمة كتابه صفة الصفوة:"أيها الطالب الصادق، والمريد المحقق، لما نظرتَ في كتاب حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، أعجبك ذكر الصالحين والأخيار، ورأيته دواء لأدواء النفس، إلا أنك شكوت من إطالته ... وسألتني أن أختصره

---

١. مقاييس اللغة (١٧٢/٥).

٢. محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. له عدة مصنَّفات، من أشهرها لوامع الأنوار. توفي سنة ١٣١٧هـ. الأعلام (١٤/٦).

٣. لوامع الأنوار البهية (٣٩٢/٢). يُنظر: المدخل لكتاب كرامات أولياء الله للالكائي رحمه الله (١٤-١٥).

٤. المنتظم (٢٢/١٨).

٥. يُنظر: صيد الخاطر (٤٥٩-٤٦٠)

لـك، وأنتقـي محاسـنه، فقـد أعجبـني منـك أنـك أصبت في نظـرك" فهـو يـرى أنَّ سـيرهم وأخبارهم، وما لهم من كرامات، يكون تزكية للنفوس، ومعيناً لها على الطاعة.

وسيكون الحديث عن هذه المسألة، على النحو التالي:

١. يقرُّ الإمام ابن الجوزي رحمه الله بأصل الكرامات، وأنَّها واردة في الكتاب والسنة، بل إنَّ بعـض سُـوقَه في الـوعظ، قـائم علـى الكرامـات، وقصـصِ الصـالحين، وأحـوالِ العبـاد والزاهدين، ولهذا أكثر من أخبارهم وقصصهم.

يقول رحمه الله في تقريره للكرامة:"وأنكرت المعتزلة إثبات النظر[١] والفراسة وسائر كرامات الأولياء، وقد نطق بإثباتها العقل والنقل.

أمَّـا النقــل: فقولــه تعــالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾الحجــر:٧٥ أراد بهــا المتفرسين[٢]. وقال عليه السلام:((إن من أمتي لمحدثين[٣] ومُكَلَّمين، وإن منهم لعمر))[٤]. وروي أنَّ إنساناً دخل على عثمان رضي الله عنه، وكان الرجل قد نظر إلى امرأة، فقال عثمان: أما يستحي أحدكم أن يدخل عليَّ وآثار الزنا في عينيه؟ فقال له الرجل: أوحيٌ بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال له: لا، ولكن تبصرة وفراسة صادقة[٥]... وما ينكر ذلك إلا طاعن على كلام الله تعالى وكلام رسوله وأحوال الصحابة والتابعين.

وأمَّا العقل فمن وجهين:

أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة، فإنَّه يطلع بها على المغيبات، وإذا جاز ذلك في حالة النوم، جاز في حال اليقظة، إذ لا معنى للنوم إلا ركود الحواس، وعدم انشغالها بالمحسوسات، فـالولي إذا قمـع الشـهوات، صـارت هـذه الحـواس عنـده كالمعدومـة، فيشـاهد في اليقظـة مـا تشـاهده أنـت في النوم، فـإنَّ هـذه الحـواس هـي الـتي تشـغل القلـب عـن الاطـلاع، فكـم مـن

---

١. مراده بالنظر، ما ورد عنه ﷺ من قوله:((اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله))، وسيأتي تخريجه صفحة (٣٧٥).

٢. يُنظر: زاد المسير (٤٠٩/٤)، تذكرة الأريب (٢٨٥/١).

٣. قال ابن وهب: مُلْهمون. يُنظر: صحيح مسلم (١٧٤/٤).

٤. رواه البخاري برقم: (٣٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم برقم: (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٥. لم أجد من خرجه من أهل السنن والآثار، ولكن ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٢٥/٣)، والرازي في تفسيره (٧٥/٢١)، وابن القيم في مدارجه (٤٨٧/٢).

مستيقظ لا يسمع مناديه، ولا يرى من يحادثه لاشتغاله بنفسه، وصحة حالة اليقظة، دليلٌ على صحة حالة الرقدة. وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنَّه قال:((أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤيا))[1]، فإنَّ المؤمن إذا نام على الطهارة صعدت روحه إلى العرش، فيكاشف بأسرار الملكوت، فإذا رجعت إلى عالم الملك تخبر بما به، وقال عليه السلام:((الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))[2]. الحقُّ تعالى يقول:﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾يونس:٦٤، فالبشرى في الحياة الدنيا، الرؤيا الصالحة[3]...والدليل[4]على إثبات الكرامات من جهة العقل: إخبار الأنبياء عليهم السلام عن المغيبات في الأمور المستقبلة، وإذا جاز ذلك في حق النبي، جاز في حق غيره من الأولياء، إذ لا معنى للنبي إلا عبد كوشف بحقائق الأشياء، وإذا ثبت هذا فلا يستحيل أن يكاشف شخص بحقائق الأشياء، وإن لم يشتغل بإصلاح الخلق، وهذا يسمى وليا لا نبياً، والفرق بينهما، أنَّ الولي لا يدعوا إلى اتباعه، والنبي يدعوا إلى اتباعه، ومن سوّغ أن كرامات الأولياء تأويلات، فقد سوغ لمعجزات الأنبياء تأويلات، فلا شكَّ في كفره"[5].

وهذا النَّص من ابن الجوزي رحمه الله، لي معه وقفات:

الوقفة الأولى: ذكره لإنكار المعتزلة للكرامات، وذلك حتى لا تختلط المعجزة بالكرامة كما يقولون، وهذا سيأتي في أقوال الناس في هذه المسألة ومناقشتها.

الوقفة الثانية: قصوره رحمه الله في الاستدلال على إثبات الكرامة، حيث استدلَّ رحمه الله بقوله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾الحجر:٧٥، وهذه الآية لها

---

١. رواه مسلم برقم: (٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢. رواه البخاري برقم: (٦٩٦٨) من حديث أبي سعبد الخدري، ومسلم برقم: (٨) من حديث أبي هريرة، وَ(٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

٣. يُنظر: زاد المسير (٤٤/٤)، حيث قال فيها ثلاثة أقوال :أحدها: أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، رواه عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وجابر بن عبدالله وأبو هريرة عن النبي ﷺ". ويُنظر: تذكرة الأريب (٢٣٨/١)، حيث فسَّرها كذلك بالرؤيا الصالحة.

٤. أي الدليل الثاني.

٥. المنظوم والمنثور (٨٧٧-٨٩١).

أكثر من معنى، فمن معانيها، المعتبرين، والناظرين، والمتأملين[1]، فهي محتملة. بل أصل التوسم، مأخوذ من الوسم، وهو العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها[2]. ولهذا لو استدلَّ بما أكرم الله بها مريم عليها السلام، وقصة أصحاب الكهف، لكان أوضح في الاستدلال، لثبوتها ممَّن ذكرنا وهم ليسوا بأنبياء.

والذي حمله على الاستدلال بهذه الآية-والله أعلم- أنَّه ورد في الحديث: ((اتقوا فراسة المؤمن، فإنَّه ينظر بنور الله))، ثمَّ قرأ ﷺ الآية السابقة، والحديث فيه ضعف، فقد رواه الترمذي في جامعه، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، برقم: (٣١٢٧)، وقال الترمذي في جامعه:"هذا حديث غريب، إنَّما نعرفه من هذا الوجه"[3]إشارة منه إلى ضعفه، وهو كذلك[4].

وأمَّا استدلاله بما ورد عن عثمان رضي الله عنه، فكان الأولى الاستدلال بما ثبت عن الصحابة، ممَّا هو مخرج في كتب السنة، ومن ذلك ما ورد في البخاري من قصة خبيب الأنصاري رضي الله عنه حينما أسره المشركون، وأكله للعنب وهو موثق في الأسر، وما بمكة من ثمر[5]، وغيرها مما ورد في الصحيحين وغيرها.

الوقفة الثالثة: قوله رحمه الله:"والفرق بينهما، أنَّ الولي لا يدعو إلى اتباعه، والنبي يدعو إلى اتباعه"، وهذا الفرق هو مذهب الأشاعرة، وسيأتي ذكر قولهم، ومناقشتهم بعد قليل، إن شاء الله.

وللنَّاس في الكرامة ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول المعتزلة المنكرين للكرامة، وهو قول ابن حزم الظاهري رحمه الله، وأبوإسحاق الإسفرائيني[6]. والسبب في إنكارهم، هو اختلاط المعجزة بالكرامة[7].

---

١. يُنظر: تفسير ابن كثير (٥٤٣/٤)، أضواء البيان (٢٨٧/٢).
٢. يُنظر: أضواء البيان (٢٨٦/٢).
٣. (٢٩٨/٥).
٤. يُنظر: ميزان الاعتدال (١٧/٤)، يُنظر: السلسلة الضعيفة ٢٩٩/٤، برقم: (١٨٢).
٥. رواه البخاري برقم: (٣٠٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
٦. نقله عنه القشيري في رسالته (٥٢٠/٢). ويُنظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء (٧١).
٧. يُنظر: المغني للقاضي عبدالجبار (٢٤١/١٥) بواسطة خوارق العادات في القرآن الكريم (٦٢)، والمحلَّى (٣٦/١).

ولهذا اشترطوا في المعجزة أن تكونَ واقعةً عُقيب دعوى المدَّعي للنبوة[1]، حتى يفرِّقون بين المعجزة والكرامة[2]، ويجاب عن ذلك بأمرين:

الأمر الأول: أنَّ الكرامات ثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن ذلك ما ورد في حقِّ مريم عليها السلام من إيتاء فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وقصة أصحاب الكهف، وغيرها.

الأمر الثاني: أنَّ النبوة قد انقطعت بمحمد ﷺ، وهو خاتم الأنبياء، ولهذا لا يشتبه الأمر بانقطاع النبوة.

القول الثاني:قول الأشاعرة، وهو المبالغة فيها وجعلها بدون حدّ، فيجعلون الفرق بين آيات الأنبياء والكرامة في أمور، منها:

الأول: في التسمية، وذلك للتمييز بينهما.

الثاني:أنَّ النَّبي لا يكتم معجزته، بل يتحدَّى بها، بخلاف الولي الذي يجتهد في كتمها[3].

الثالث: أنَّ من الفروق التي فرقوا بها بين المعجزة والكرامة، الفرق في الادعاء، فالنبي يدَّعي النبوة، بخلاف الولي، فإنَّه لا يدعيها، يقول الجويني رحمه الله:"فإن قيل: مالفرق بين الكرامة والمعجزة؟ قلنا: لا يفترقان في جواز العقل، إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة"[4]. وهذا الفرق غير صحيح، لأمور:

أولاً: أنَّ النبوة قد انقطعت بمحمد ﷺ، وهو خاتم الأنبياء، ولهذا لا يشتبه الأمر بانقطاع النبوة.

ثانياً: أنَّ هناك أكثر من فرق بين معجزة الأنبياء، وكرامات الأولياء، وسيأتي ذكرها بعد قليل، بحول الله وقوته.

ثالثاً: ما ذكروه من أنَّ الفرق في التسمية، لكي يميِّزوا بينهما، فإنَّ لفظ الكرامة تطلق على ما وقع للنبي والولي على حدٍّ سواء، وهذه القضية وإن كانت قضية مصلحات — ولا مشاحة في الاصطلاح– إلا أنَّ السلف كانوا يطلقون لفظ الكرامة على المعجزة، وعليه فهذا

---

١. يُنظر: الأصول الخمسة (٥٦٩).

٢. يُنظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء (٨٥).

٣. يُنظر: أصول الدين للبغدادي (١٧٤)، والنبوات (١/١٣٦–١٣٨).

٤. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (٢٦٩).

الفرق لا يعتبر فرقاً، على الأقل عند سلف الأمة، روى سعيد بن منصور في سننه عن شيبة بن نصاح، قال: سألت سعيد بن المسيب، عن العزل، فقال: إنَّ الله عز وجل لما خلق آدم، أكرمه كرامةً لم يكرمْها أحدا من خلقه، أراه من هو كائن من صلبه إلى يوم القيامة"[1] فهنا سمّى سعيد بن المسيب رحمه الله الآية أو المعجزة كرامة.

القول الثالث:قول أهل السنة، وهو أنَّ كرامات الأولياء حقٌّ، ولكن لا تصل إلى مثل معجزات الأنبياء[2]، بل بينهما فرق، وذلك من عدة أوجه:

الأول:أنَّ المعجزة قد تكون مقرونةً بدعوى التحدِّي وقد تكون غير مقرونة بها، بخلاف الكرامة، ولهذا تأتي لإقناع من كفر بهذا النَّبي، أو تأييداً لأتباعه، بخلاف الكرامة فإنَّما تأتي لذات الولي، وتكون تثبيتاً له، أو جزاء له على طاعته لله.

الثاني:أنَّ الكرامة قد تكون لصاحبها كرامة في زمنه، فمثلا فاكهة الصيف في الشتاء لمريم عليها السلام، لا يعتبر في زماننا من الكرامات، لتوفر الفاكهة على مدار العام.

الثالث: أنَّ المعجزة تتكرَّر، كما حدث لموسى عليه السلام حينما ألقى عصاه أمام فرعون، ثمَّ ألقاها مرة أخرى أمام السحرة، بخلاف الكرامة.

الرابع:أنَّ النبي الذي يأتي بالمعجزة معصوم من الخطأ، بخلاف الولي الغير معصوم.

الخامس:أنَّ الكرامة حصلت للولي بمتابعته للنبي، بخلاف النبي الذي أتى بالمعجزة من عند الله سبحانه ابتداءً إن جاز التعبير ولهذا لو عصى الوليُّ نبيَّه، لما منّ الله عليه بالكرامة.

السادس: أنَّ ما منَّ الله به من الكرامة لوليِّه، تعتبر معجزة لهذا النبي المتبع، ودليلاً لصدقه، حيث حدثت في أتباعه دون غيرهم من الأمم الضالة.

٢. بيان منهجه في التعامل مع الكرامات، وهذا يتبيَّن في أمور:

أولاً: يوضح ابن الجوزي رحمه الله موقفه من الكرامات، بأنَّه لا يُقبل منها إلا ما صحَّ، ويَردُّ ما لم يثبت منها، وكانت معارضةً للشرع. يقول رحمه الله: "وكم ينقلون أنَّ أقواماً مشوا على الماء، وقد قال إبراهيم الحربي: لا يصحُّ أنَّ أحداً مشى على الماء قط. فإذا سمعوا هذا قالوا: أتنكرون كرامات الأولياء الصالحين؟ فنقول: لسنا من المنكرين لها، بل نتبع ماصحَّ"[1].

---

١. التفسير من سنن سعيد بن منصور (٥/ ١٦٦).

٢. يُنظر: النبوات (١/١٤١).

١. صيد الخاطر (٤٤).

وهذا هو المنهج الصحيح في الأخبار بشكلٍ عام، وما يتعلَّق بالكرامات بشكلٍ خاص، أنَّه لا يقبل منها إلا الصحيح منها، ومن ذلك كرامات الصالحين. وقد بالغ الناس فيها، حتى ادَّعوا ما لله لأوليائهم، ثمَّ هو يذكر قصصهم في كتابه تلبيس إبليس، ويبيّن فيها بعد كل قصة، المخالفات التي تصادم الشرع، ولا يقبلها العقل.

ومن ذلك ما ذكره عن بعضهم، أنَّه قال:"كنت أقرأ في حكايات الصوفية، فصعدت يوماً إلى السطح، فسمعت قائلاً يقول:﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾الأعراف:١٩٦فالتفتُّ، فلم أرَ أحداً، فطرحت نفسي من السطح، فوقفت في الهواء. قلت: هذا محال، لا يشك فيه عاقل، ولو قدرنا صحته فإن طرح نفسه من الحرام، وظنه أن التولي يكون لمن فعل المنهي عنه سوء فهم"[١].

وبهذه الحجج العقلية البسيط، ينقد حكاياتهم وقصصهم فيما يروونه من أكاذيبهم.

ومع ذلك، فإنه يذكر في كتبه رحمه الله من ذلك ما يُعلم عدم صحته، ومن ذلك ما يذكره من قصص وأخبار عمَّن رأى الخضر عليه السلام، وهو ينكر حياة الخضر عليه السلام في رسالة له بعنوان (عجالة المنتظر في شرح حال الخضر)[٢]، ولكنَّه يذكرها من باب الوعظ[٣].

ثانياً: تحذيره ممن يدَّعي الكرامات وينسبها إلى نفسه جهلاً واغترارا من الشيطان.

عقد الإمام ابن الجوزي رحمه الله باباً في كتابه تلبيس إبليس بعنوان:"الباب الحادي عشر: في ذكر تلبيس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات"[٤]. ثمَّ ذكر أنَّ سبب ادعاء الناس الكرامة أنَّ"من العباد من يرى ضوءاً، أو نوراً في السماء، فإن كان رمضان قال رأيت

---

١. تلبيس إبليس (٥٨٢).

٢. يُنظر: المنتظم (٣٦٣/١).

٣. يذكر ابن الجوزي عن الغزالي منكراً عليه ذكر بعض قصص الكرامات الباطلة، وبعض تراتيب السلوك، وأن ذكره لها في باب التعليم، فكأنه يشير إلى أن ما كان للوعظ لا للتعليم فهذا قد يستسمح فيه والله أعلم. يُنظر: تلبيس إبليس (٣١١-٣١٣). ويقول عن الغزالي رحمه الله:"ما أرخص ما باع الفقه بالتصوف" التلبيس (٣١٢).

٤. (٥٦٣).

ليلة القدر، وإن كان في غيره قال: قد فتحت لي أبواب السماء. وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة، وربَّما كان اتفاقاً، وربَّما كان اختباراً، وربَّما كان من خداع إبليس"[1].

فهو يرى أنَّ هناك فئة من الناس، تبحث عن الكرامة وتدعيها، وبعضه يكون خداعاً وتدليساً واختباراً، بل آل ببعضهم أنِ ادْعى النبوة والعياذ بالله[2].

بل وصل الحال ببعضهم إلى هوس الكرامات، أن وَضْع القصص الكاذبة"ليشيدوا بزعمهم أمرَ القوم، والحقَّ لا يحتاج إلى تشييد بباطل"[3].

ثالثاً: تحذيره ممَّن يدَّعي الكرامات، وينسبها إلى نفسه، طلبا للدنيا، واستغواء للعوام.

يقول رحمه الله:"وقد كان جماعة من المتصنعين بالزهد، مالوا إلى طلب الدنيا والرئاسة، فاستغواهم الهوى، فخرقوا بإظهار ما يشبه الكرامات، كالحلاج وابن الشباش وغيرهما ممن ذكرت حال تلبيسه في كتاب (تلبيس إبليس)، وإنما فعلوا ذلك لاختلاف أغراضهم"[4].

ويقول أيضاً:"وقد اندسَّ في الصوفية وتشبَّه بهم أقوام، شطحوا في ادعاء الكرامات، وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم"[5].

فهذا من أحد أغراضهم التي ذكرها في صيد الخاطر، وهو الاستحواذ على أموال الناس، وعقولهم، وقلوبهم.

ويقول عن هؤلاء:"وما في هؤلاء من يعرف الله عز وجل ولا يخافه، نعوذ بالله من الخذلان "[6].

رابعاً: بيانه أن سبب انتشار الكرامات الباطلة، والتي لا حقيقة لها، هو الجهل.

يرى ابن الجوزي رحمه الله أن من أسباب انتشار ادعاء الكرامات، واستغلال من يدعيها لأغراض دنيوية، قلة العلم الشرعي والجهل بالعلم[7]، فينقل عن إبراهيم الخراساني قوله:

---

١. تلبيس إبليس (٥٦٥). ومن ذلك ما حدث للجيلاني رحمه الله في قصته المشهورة. يُنظر: قاعدة جليلة في التوسل (٤٤).

٢. تلبيس إبليس (٥٨٠).

٣. يُنظر: تلبيس إبليس (٥٧٩).

٤. صيد الخاطر (٤٢٢).

٥. تلبيس إبليس (٥٨٣).

٦. تلبيس إبليس (٥٨٧).

٧. يُنظر: صيد الخاطر (٤٣).

"احتجت يوماً إلى الوضوء، فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة، رأسه ألين من الخز، فاسْتَكْتُ بالسواك، وتوضأت بالماء، وتركتها وانصرفت. قلت: في هذه الحكاية، من لا يوثق بروايته، فإن صحت، دلت على قلة علم هذا الرجل، إذ لو كان يفهم الفقه، علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز، ولكن قلَّ علمه فاستعمله. وإن ظن أنه كرامة –والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعاً– إلا أن يكون، أظهر له ذلك عل سبيل الامتحان"[1].

خامساً: بيانه أنَّ العلم يقي صاحبه – بإذن الله – من الوقوع في الأوهام التي لا حقيقة لها، ويظن أنها من الكرامات.

يذكر بسنده رحمه الله في هذا، قصةً عن الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله، حيث قال أحد أصحابه، وهو فرقد:"يا أبا عمران أصبحتُ اليوم وأنا مهتم بضريبتي، وهي ستة دراهم، وقد أهلَّ الهلال، وليست عندي، فدعوت، فبينا أنا أمشي على شط الفرات، إذا أنا بستة دراهم، فأخذتها، فوزنتها، فإذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص. فقال– أي الإمام إبراهيم النخعي –: تصدَّق بها، فإنها ليست لك"[2].

يقول ابن الجوزي رحمه الله معلقاً على هذه القصة:"فانظروا إلى كلام الفقهاء وبُعْدَ الاغترار عنهم. وكيف أخبره أنها لقطة، ولم يلتفت إلى ما يشبه الكرامة"[3].

وهذا من بركة العلم النافع على صاحبه، فإنه يحفظه من الاغترار، والوقوع فيما لايجوز، ومن ذلك قصة الإمام الجيلاني رحمه الله المشهورة، حيث قال: "كنت مرة في العبادة، فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور، فقال لي:يا عبد القادر، أنا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك. قال:فقلت له أنت الله الذي لا إله إلا هو؟ اخسأ ياعدو الله. قال:فتمزق ذلك النور وصار ظلمة، وقال:يا عبد القادر، نجوتَ مني بفقهك في دينك وعلمك، وبمنازلاتك في أحوالك. لقد فتنتُ بهذه القصة سبعين رجلاً. فقيل له:كيف علمت أنه الشيطان؟ قال:بقوله لي:حلَّلتُ لك ما حرمتُ على غيرك، وقد علمتُ أن شريعة محمد ﷺ لا تنسخ ولا تبدل"[4].

---

١. تلبيس إبليس (٥٧٤).

٢. تلبيس إبليس (٥٧٢).

٣. تلبيس إبليس (٥٧٢).

٤. قاعدة جليلة في التوسل (٤٤).

المطلب الخامس: عصمة الأنبياء:

تعريف العصمة لغة واصطلاحاً:

لغة: يقول ابن فارس رحمه الله:"العين والصاد والميم: أصل واحد صحيح، يدل على إمساك، ومنع، وملازمة. والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك العصمة، أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه. واعتصم العبد بالله تعالى، إذا امتنع. واستعصم التجأ"[1].

اصطلاحاً: هو حفظ الأنبياء عليهم السلام من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة، والثبات في الأمور، وإنزال السكينة[2].

وقد تنازع الناس في عصمة الأنبياء، في عدة مسائل، وسأتكلم على المسائل التي تطرق لها الإمام ابن الجوزي رحمه الله، وهي:

- عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الجملة.
- عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في التبليغ، وأداء الرسالة.
- عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة.
- عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد النبوة من الكبائر دون الصغائر.

فهذه المسائل التي وجدت الإمام ابن الجوزي رحمه الله، تطرَّق لها، وتكلَّم عليها. وسأعرض كلامه رحمه الله في هذه المسائل، مبيناً –بحول الله– رأيه فيها، وأقوال أهل العلم، ومناقشته فيها.

المسألة الأولى: عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الجملة.

يقول رحمه الله:"الأنبياء يُعصمون بطهارة الوضع بالنبوة والوحي"[3]. فقوله رحمه الله"بطهارة الوضع" يدلُّ على أنَّه يرى أنَّهم عليهم الصلاة والسلام، طاهرون بسبب النبوة والوحي.

---

١. مقاييس اللغة (٤/٣٣١).

٢. يُنظر: فتح الباري (١١/٥٠١-٥٠٢)، وإعلام المسلمين بعصمة النبيين (١٦)، وبحث بعنوان (عصمة الأنبياء)، د. يوسف السعيد، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، عدد:(٢٨)، صفحة (١٧-٢٠).

٣. كشف المشكل (٢/٩١).

وفي تفسيره لقوله تعالى﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ الأعراف:١٧٥، ذكر في المراد بالآيات التي آتاها الله سبحانه وتعالى لبلعام[١]، خمسة أقوال منها:"الثالث: أنَّه أوتي النبوة، فرشاه قومه على أن يسكت، ففعل وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد. وفيه بعد؛ لأنَّ الله تعالى لا يصطفي لرسالته إلا معصوماً عن مثل هذه الحال"[٢].

فنراه رحمه الله يقرر عصمة الأنبياء عليهم السلام، وأن الله لا يصطفي إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى.

يقول ابن عطية رحمه الله:"وهذا قول مردود، لا يصح عن مجاهد. ومن أعطي النبوءة، فقد أُعطي العصمة"[٣].

المسألة الثانية: عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في التبليغ، وأداء الرسالة.

يقول ابن الجوزي رحمه الله:"ولا يجوز أن يظنَّ برسول الله ما هو منزَّهٌ عنه من الشطح والزَّلل في القول، مع شهادة الحقِّ عزَّ وجلَّ له بالعصمة في كلامه بقوله تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾النجم:٣. وقال له عبدالله بن عمرو بن العاص:أكتبُ ما أسمعُ منك؟ قال:((نعم)). قال:في السَّخط والرِّضا؟ قال:((في السَّخط والرِّضا، فإنَّه لا ينبغي لي أن أقول إلا حقاً))[٤]"[٥].

فمِن خلال هذا النَّص لابن الجوزي رحمه الله، نراه يؤصِّل لمسألة عصمة الأنبياء في التبليغ، وأداء الرسالة، وذلك باستدلاله بآية النجم، وأنَّه ﷺ ما ينطق عن الهوى، بل هو وحيٌ يأتيه من عند الله، فما هو إلا مبلِّغُ وحيِ الله سبحانه وتعالى.

ثمَّ هو يستدلُّ بحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه وعن أبيه، وهو نصٌّ في هذه المسألة، وللحديث قصَّة يتبيَّن منها وجه الدلالة بشكلٍ أوضح، وذلك أنَّ عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: كنتُ أكتبُ كلَّ شيءٍ أسمعُه من رسول الله ﷺ أريد حفظه،

---

١. يُنظر خبره في تفسير ابن كثير (٣/٥٠٧-٥١٢).

٢. زاد المسير (٣/٢٨٨).

٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/٤٧٦).

٤. رواه أحمد برقم: (٦٥١٠)، وأبوداود برقم: (٣٦٤٦) بإسناد صحيح.

٥. كشف المشكل (١/١٣٧).

فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كلَّ شيء تسمعه؟ ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلَّم في الغضب والرِّضا. فأمسكتُ عن الكتاب. فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فأومَأَ بأصبعه إلى فِيه، فقال:((اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقٌّ))، فسبب الحديث إذاً، هو ما وقع من خلاف بين عبدالله وقريش، وأنَّ النبي ﷺ بشرٌ، قد يصيب وقد يخطىء، ونَهَوْه عن الكتابة، فانتهى رضي الله عنه، حتى رأى رسول الله ﷺ، فأخبره ما حدث بينه وبين قريش، فأخبره ﷺ أنْ يكتب كلَّ شيء عنه، وأنَّ هذا لا يعارض بشريَّته عليه الصلاة والسلام، فهو بشرٌ، ولكنَّه مؤيَّد من الله، مبلِّغٌ عنه دينه، معصومٌ بعصمة الله له، ولهذا لا يقول إلا حقاً.

ثمَّ يعرض ابن الجوزي رحمه الله، إشكالاً في هذا الباب، فيقول رحمه الله:"سُئل رسول الله ﷺ عن أشياء كرِهَها، فلمَّا أُكثر عليه، غَضِب، ثمَّ قال: ((سلوني عمَّا شئتم)). فقال رجل: من أبي؟ فقال: ((أبوك حذافة)). إنَّما قال: سلوني عمَّا شئتم، غضباً. فإن قيل: فجوابه حُكْمٌ، وقد قال: ((لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان))[1]، فالجواب: أنَّه لما كان معصوماً من الزَّلل، تساوى غضبه ورضاه في أنَّه لا يقول إلا الحقّ"[2]، فيقرِّر ابن الجوزي رحمه الله، أنَّ من خصائصه ﷺ، استواء الرِّضا والغضب عنده ﷺ، في القول، وأنَّه لا ينطق إلا بوحي ﷺ.

ثمَّ نراه رحمه الله، يبيِّن خطورةَ هذه القضيَّة في قصة الغرانيق، وما يترتب عليها، وما يلزم منها، فيقول رحمه الله: "فلا تغتر بما تسمعُه في التفاسير من أنَّه جرى على لسانه، فإنَّه لوصحَّ هذا، لاختلط الحقُّ بالباطل، وجاز أن يُشكَّ في الصحيح، فيقال: لعلَّ هذا ممَّا ألقاه الشيطان أيضاً، وقد عَصَمَ الله نبيه من مثل هذا، وبيّن كيفية حفظ الوحي من الشياطين، فقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾الجن:٢٧، والمعنى: أن يحرس الوحي عند تلاوة الملك له على الرسول من استراق الشياطين؛ لئلا يسبقونه إلى الكاهن فيتكلَّم به قبل الرسول، وهذه العصمة تنافي صحة ما ادُّعي مما أنكرناه"[3].

---

١. رواه البخاري برقم: (٧١٥٨)، ومسلم برقم: (١٧١٧).

٢. كشف المشكل (٤٠٧/١).

٣. كشف المشكل (٢٧٤/١-٢٧٥).

فينبِّهُ رحمه الله إلى خطورةِ قولِ من يقول بصحةِ حديثِ الغرانيق[1]، وأنَّه يلزمُ من ثبوته الطعنَ في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أعظم قضيةٍ جاءوا بها، وهي البلاغ عن ربِّ العالمين.

وما ذهب إليه رحمه الله، هو مادلَّ عليه الكتاب والسنة، وهو ما عليه إجماع المسلمين.

يقول أبوالعباس ابن تيمية رحمه الله:"وهذه العصمة الثابتة للأنبياء، هي التى يحصل بها مقصود النبوة والرسالة... والعصمة فيما يبلِّغونه عن الله ثابتة، فلا يَستقِّر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"[2].

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعليقه على قصة الغرانيق:"يستحيلُ عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد، لمكان عصمته"[3].

ويقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله:"واعلم أنَّ جميع العلماء أجمعوا على عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في كلِّ ما يتعلق بالتبليغ"[4].

المسألة الثالثة: عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكفر قبل النبوة.

يقول رحمه الله في حقِّ نبينا ﷺ:"وربَّما ظنَّ ظانٌّ، أنَّ رسول الله كان يأكل ممَّا يذبح على النُّصب، وليس كذلك، فإنَّ الله سبحانه عصمه عن ذلك، وعن أكل لحم الميتة، وكان يتبع شريعة إبراهيم. بلى، إنَّ الظاهر أنَّه كان يأكلُ مما يذبحونه لأنفسهم، ويرى أنَّ الذَّكاء قد وقعت بفعلهم، ولا يتسع له أن يذبح لنفسه في كلِّ وقت، وإنَّما ظنَّ زيد فيه أنَّه يأكل من ذلك"[5]،أي: ممَّا ذبح على النصب. ويقصد بزيد، هو زيد بن عمرو بن نفيل، مؤمن الجاهلية، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال:((إنَّ النبي ﷺ

---

١. سيأتي مبحث خاص عن الغرانيق بحول الله. يُنظر صفحة (٣٧٦).

٢. الفتاوى (٢٩٠/١٠).

٣. فتح الباري (٤٣٩/٨).

٤. أضواء البيان (١٠٥/٤).

٥. كشف المشكل (٥٧٩/٢).

لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدَح[1]، قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقُدِّمت إلى النبي ﷺ سفرة، فأبى أن يأكل منها. ثمَّ قال زيد: إنّي لستُ آكلَ ممَّا تذبحون على أنصابكم، ولا آكلَ إلا ما ذُكِرَ اسم الله عليه. وأنَّ زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض، ثمَّ تذبحونها على غير اسم الله. إنكاراً لذلك وإعظاماً له))[2].

فهو يرى أنَّ النبي ﷺ كان معصوما من الشرك قبل بعثته، ثمَّ نراه أوَّلَ ما قد يرد من أنَّه ﷺ كان يأكل من ذبائح قومه، بأنَّ ذلك قد يشقُّ عليه ﷺ، وأنَّهم كانوا يذبحون لأنفسهم، وكلامه في ما ذبح للأكل ولم يُذكر اسم الله عليه، أمَّا ما ذبح على النّصب، فيؤكد في كتابه الوفا عدم صحته، حيث ينقل عن الإمام أحمد رحمه الله في ذلك قوله:"قال أحمد بن حنبل:من قال إنَّ رسول الله ﷺ كان على دين قومه فهو قول سوء، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب؟"[3]، فهو بذلك يقرِّر من كونه ﷺ لم يأكلْ ممَّا ذُبح على النَّصب. أمَّا الذي يُذبح للأكل ممَّا لم يُذبح على النُّصب، فلا حرج فيه، حتى ولو لم يذكر اسم الله عليه، كما ذكره الخطابي رحمه الله[4].

ويجيب ابن الجوزي رحمه الله على قول من يقول إنَّه على دين قومه:"وقال ابن قتيبة: قد جاء في الحديث أنَّه كان على دين قومه أربعين سنة[5]. ومعناه:أنَّ العرب لم يزالوا على بقايا من دين إسماعيل، من ذلك حج البيت، والختان، وإيقاع الطلاق إذا كان ثلاثا، وأنَّ للزوج الرجعة في الواحدة والاثنتين، ودية النَّفس مائة من الإبل، والغسل من الجنابة، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر، وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغسل والحج، وكان لا يقرب الأوثان، ويعيبها. وكان لا يعرف شرائع

---

١. وادي بمكة، أعلاه خريق العشر وكان هذا الشق يسمى مكة السدر، ووسطه فخ ويعرف اليوم بالزاهر، وأسفله بلدح وهو بين أمّ الدود (الجُوْد حالياً) إلى الحُدَيْبِية (الشُّمَيْسِي).معجم البلدان(١/٤٨٠)،ومعالم مكة للبلادي(١٣)، (٤١).

٢. صحيح البخاري برقم: (٣٨٢٦).

٣. الوفا (١٣٩). وقول الإمام أحمد رحمه الله، أخرجه الخلال في السنة (١/١٩٥).

٤. سيأتي قريبا إن شاء الله.

٥. لم أجده مرفوعا، وإنما هو من قول السدي كما رواه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٨٨)، وابن عطية في المحرر (٥/٤٩٤).

الله التي شرعها لعباده على لسانه، فذلك قوله: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ الشورى:٥٢ يعني شرائع الإيمان، ولم يرد الإيمان الذي هو الإقرار بالله؛ لأنَّ آباءه الذين ماتوا على الشرك، كانوا يؤمنون بالله ويحجون له البيت مع شركهم"[1].

فهو يقرِّر أنَّه عليه الصلاة والسلام على شريعة إبراهيم عليه السلام، وأنَّ الله عصمه من الشرك[2].

ويجيب رحمه الله كذلك على سؤال مشهور[3] في التفسير- يتعلَّق بعصمة الأنبياء قبل مبعثهم- عند قوله تعالى ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ الأعراف:٨٨ فيقول رحمه الله:"فان قيل كيف قالوا لتعودنَّ، وشعيب لم يكن في كفر قطّ فيعود إليه؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّهم لما جمعوا في الخطاب معه من كان كافرا، ثمَّ آمن، خاطبوا شعيبا بخطاب أتباعه، وغلبوا لفظهم على لفظه لكثرتهم وانفراده.

والثاني: أنَّ المعنى لتصيرنَّ إلى ملتِنا، فوقع العود على معنى الابتداء، كما يقال: قد عاد عليَّ من فلانٍ مكروه، أي قد لحقني منه ذلك، وإنْ لم يكنْ سَبَقَ منه مكروه. قال الشاعر:

فإنْ تَكُنِ ٱلأيَّامُ أَحْسَنَّ مرَّةً ****** إليَّ فقد عَادَتْ لهنَّ ذنوبُ"[4].

وهذه المسألة- وهي عصمة الأنبياء عليهم السلام قبل النّبوة – للناس فيها قولان[5]:

القول الأول: عصمتهم عليهم الصلاة والسلام من الذنوب والشرك والكفر قبل النبوة. وهذا عليه كثيرٌ من أهل السنة والحديث والمعتزلة،[6]، بل حكى بعضهم الإجماع عليه[1]، وهو المنقول عن مفسّري السلف[2].

---

١. زاد المسير (٢٩٨/٧-٢٩٩). يُنظر: كشف المشكل (٩٢/٤)، ويُنظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١٧٦).

٢. يُنظر الوفا (١٣٩-١٤٠)، يُنظر: زاد المسير (٢٩٨/٧-٢٩٩).

٣. يُنظر العذب النَّمير (١٤١٦/٣).

٤. زاد المسير (٢٣٠/٣-٢٣١). والبيت لكعب بن سعد الغنوي في مرثيَّة لأخيه. جمهرة أشعار العرب (٥٦١/١)، وأنساب الأشراف (٢٥٩/١٣)، وديوان المعاني (١٧٩/٢).

٥. يُنظر: شرح المواقف (١٣٤/٣)، وتفسير آيات أشكلت لابن تيمية (١٨١/١)، ونثر الورود (٣٦٢)، وبحث بعنوان:(عصمة الأنبياء)، د. يوسف السعيد، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، عدد:(٢٨)، صفحة:(٢١).

٦. يُنظر: تفسير آيات أشكلت (١٨١/١).

القول الثاني:أنَّه قد يقع منهم الكفر والشرك، وهو قول لبعض أهل السنَّة، وكثيرٍ من المعتزلة[3]، والأشاعرة[4]، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وقد انتصر شيخ الإسلام رحمه الله لهذا القول، وردَّ على أدلَّة من قال بالمنع، وذكر أنَّه"ليس في أدلة الكتاب والسنة والإجماع ما يخبر بذلك"[5]، بل قال:"والذي عليه نظار أهل السنَّة، أنَّه ليس في العقل ما يمنع ذلك"[6].

ويقول أيضاً:"والتائب من الكفر والذنوب، قد يكون أفضل ممَّن لم يقع في الكفر والذنوب، وإذا كان قد يكون أفضل، فالأفضل أحقُّ بالنبوة ممَّن ليس مثله في الفضيلة"[7].

وقد استدل الإمام ابن تيمية رحمه الله بقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾العنكبوت:٢٦حيث قال:"قال أكثر العلماء: إنَّه يجوز على الله أن يبعث نبياً ممن آمن بالأنبياء قبل محمد ﷺ، فإنَّه إذا جاز أن يبعث نبياً من ذرية إبراهيم وموسى، فمن الذين آمنوا بهما أولى وأحرى"[8].

واستدلَّ كذلك بقوله تعالى عن نبيِّ الله شعيب عليه الصلاة والسلام، حيثُ قال تعالى عنه وعن قومه:﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَا ﴾الأعراف:٨٨-٨٩ ، وبقوله تعالى في سورة إبراهيم

---

١. ذكره الجرجاني في شرحه على المواقف (١٣٤/٣). ذكره عنه السعيد في عصمة الأنبياء (٢١).

٢. ذكره الإمام ابن تيمية في كتابه تفسير آيات أشكلت (١٦٠/١).

٣. عصمة الأنبياء للرازي (٤٠). وقد حكى الإجماع عن المعتزلة، أبو الحسن الأشعري رحمه الله في المقالات، يُنظر مقالات تالإسلاميين:(٢٦٦).

٤. وقد قال به ابن جرير الطبري رحمه الله، قال الشيخ الأمين:"وظاهر كلام ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة الأعراف ذاهباً أن شعيباً كان معهم – سابقاً – على ملتهم، وكذلك قال صريحاً عن إبراهيم في قوله [فلما جنّ عليه الليل رءا كوكباً قال هذا ربي]". العذب النَّمير (١٤١٨/٣)، يُنظر: تفسير الطبري (٥٦١/١٢).

٥. تفسير آيات أشكلت (١٧٨/١).

٦. تفسير آيات أشكلت (١٧٨/١).

٧. مجموع الفتاوى:(٣١٠/١٠)، يُنظر: منهاج السنة النبوية (٣٩٧/٢-٣٩٨)، (١٣٥/٧).

٨. منهاج السنة (٢٨٤/٨) ويُنظر: مجموع الفتاوى(٣١٠/١٠).

عن الأنبياء قولهم لقومهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾إبراهيم: ١٣.

ثمَّ ناقش ابنُ تيمية ابنَ الجوزي رحمهما الله في توجيهه المتقدِّم[١] لهذه الآية، فقال عن الوجه الأول:"والجواب الأول[٢]–مع ضعفه– لا يتأتى في سورة إبراهيم"[٣]؛ لأنَّ الخطاب في سورة إبراهيم للرُّسل لا للأتباع، بخلاف آية الأعراف فإنَّها للرُّسل والأتباع.

وأجاب عن الوجه الثاني بأنَّ الفعل (عاد) إذ عُدّي بنفسه أفاد المعنى الذي ذكره ابن الجوزي رحمه الله، وهو بمعنى (صار) إلى كذا من جديد، ومنه قولهم:عاد الطينُ خزفاً، وعاد الخمرُ خلَّاً[٤]، بخلاف ما عُدِّيَ بحرف الجرِّ(في)، فإنَّه يكون كما في آية الأعراف"صريح بالعود إلى أمرٍ كان عليه الرسل وأتباعهم، لا يحتمل غير ذلك كما قال ابن عطية"[٥]والله أعلم بالصواب.

وهذا النقاش في مسألة عصمة الأنبياء من الشرك قبل البعثة في الجملة، أمَّا ما يتعلق بنبينا محمد ﷺ، فلم أجدْ من قال بأنَّه وقع في الشرك قبل البعثة كما تقدَّم من تقرير ابن الجوزي رحمه الله لهذه المسألة.

يقول الإمام ابن حبان في صحيحه:"ذكرُ الخبر المدْحض قولَ مَن زعم أنَّ النبي ﷺ كان على دين قومه قبل أن يُوحى إليه" ثمَّ ذكر حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول:((ما هممتُ بقبيح ممَّا يهمُّ أهل الجاهلية إلا مرَّتين من الدهر... الحديث))[٦].

---

١. يُنظر صفحة (٣٥٥).

٢. وهو مخاطبة شعيب عليه السلام بمخاطبة أتباعه وهو فرد واحد فعبَّر بالعدد الكثير.

٣. تفسير آيات أشكلت (١٧١/١).

٤. يُنظر: العذب النَّمير (١٤١٧/٣).

٥. تفسير آيات أشكلت (١٧٥/١–١٧٦).

٦. صحيح ابن حبان (١٦٩/١٤–١٧٠)، وقد حسن إسناده المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط ونقل قول الحافظ ابن حجر:"إسناده حسن متصل، ورجاله ثقات". يُنظر: البداية والنهاية (٢٨٩/٢). وقد ألَّف بعض العلماء وهو جعفر بن أحمد العلوي السمرقندي رسالةً في الرَّدِّ على من زعم أنَّ النبي ﷺ كان على دينِ قومه قبل النُّبوة. يُنظر: نوابغ الرواة في رابعة المئات (٦٨)، وحقوق النبي ﷺ على أمَّته (١٣٤/١).

ويقول أبونعيم الأصبهاني رحمه الله في دلائله:"الفصل الثالث عشر: ذكرُ ما خصَّه الله عزَّ وجلَّ به من العصمة، وحماه من التدين بدين الجاهلية..."[1] ثمَّ يقول رحمه الله:"وممَّا عظم به ﷺ وحُرِسَ منه أن لا يتعرَّى كفعل قومه وأهله، وإذا حفظ من التعري فما فوقه أولى أن يعصم منه وينهى عنه"[2].

ويقول الإمام الخطابي رحمه الله:"كان النبي ﷺ لا يأكلُ ممَّا يذبحون عليها للأصنام، ويأكل ما عدا ذلك، وإن كانوا لايذكرون اسم الله عليه؛ لأنَّ الشرع لم يكن نزل بعدُ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، الا بعد المبعث بمدَّةٍ طويلة"[3]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عن هذا القول-وقد ذكر أكثر من تخريج للعلماء لحديث ابن عمر المتقدم عن زيد بن عمرو بن نفيل-:"وهذا الجواب أولى"[4].

ويقول مجد الدين أبوالبركات رحمه الله:"مسألة: نبيُّنا محمدٌ ﷺ لم يكنْ على دين قومه، نصَّ عليه، بل كان متعبداً بما صحَّ عنده من شريعة إبراهيم، ذكره ابن عقيل، وقال: وبه قال أصحاب الشافعي، وقال قوم بالوقف وأنَّه يجوز ذلك، ويجوز أنَّه لم يكن متعبدا بشيءٍ أصلا"[5].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله:"ولم يكن على دين قومه المشركين"[6].

والذي ينظر في سيرته ﷺ وكيف أحاطه الله بعنايته ولطفه منذ ولادته، وما حصل ﷺ من شقٍّ لصدره وإخراج حظِّ الشيطان منه، يتبيَّن له عصمته ﷺ من الشرك وغيره من المعاصي، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:(إنَّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرجَ القلبَ، فاستخرج منه علقةً، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثمَّ غسله في طست من ذهب بماءِ زمزم، ثمَّ لأمه، ثمَّ

---

١. دلائل النبوة (١٨٥).

٢. دلائل النبوة (١٨٨).

٣. فتح الباري (١٤٣/٧).

٤. مصدر سابق.

٥. المسودة (١٨٢).

٦. الفتاوى (٥٠١/٢٧). يُنظر: المسودة (١٨٢).

أعاده في مكانه)، فإذا نُزع حظ الشيطان منه، هل يمكن أن يقع في المعاصي فضلاً عن الشرك؟

المسألة الرابعة: عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد النبوة من الكبائر دون الصغائر.

يقول رحمه الله:"اعلم أنَّ العلماء اختلفوا في عصمة الأنبياء من الصغائر، ولا خلاف بينهم في الكبائر أنَّهم معصومون منها ومن الشرك"[1].

ويقول أيضاً في شرحه لحديث((إنِّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرَّة))[2]:"اعلم أنَّ هفوات الطباع لا يسلم منها أحد، فالأنبياء وإن عُصِموا من الكبائر، لم يُعصموا من الصغائر، ثمَّ يتجدَّد للطبع غفلات يفتقر إلى الاستغفار"[3].

ويعلِّلُ رحمه الله سببَ فعلهم عليهم الصلاة والسلام لخلاف الأولى[4]، والحكمة من ذلك، فيقول:"فإن قال قائل:كيف خَفِيَ الصواب على رسول الله وأبي بكر[5]؟ فالجواب لثلاثة أوجه:

أحدها: ليظهر النَّقص على التام.

الثاني: ليعلم أنَّ الإصابة بتوفيق الله عزَّ وجلَّ، لا برأي الإنسان وترويه، ولذلك أطلع سليمانَ على ما خَفِيَ عن داودَ، والخضرَ عن ما غابَ عن موسى عليهم السلام"[6].

ويقول في شرحه لقوله ﷺ((إنَّه ليُغان على قلبي، وإنِّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرَّة))[7]:"قلتُ: ويحتمل معنيين:

أحدهما:أنَّ معرفةَ الله عزَّ وجلَّ عند العارف كلَّ لحظة، تزيدُه لما يستفيده من العلم به سبحانه، فهو في صعود دائم، فكأنَّ النبي ﷺ كان كلَّما ارتقى عن مقام بما يستفيده من

---

١. المنظوم والمنثور (١٩١)، يُنظر: تلبيس إبليس (١/٤٠٥).

٢. رواه البخاري برقم: (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣. كشف المشكل (٣/٥٢٢).

٤. يُنظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/١٧٠)، وكشف المشكل (٤/٢٣١).

٥. يعني في قصة أسارى غزوة بدر.

٦. كشف المشكل (١/٨٣-٨٤).

٧. رواه مسلم برقم: (٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني رضي الله عنه.

العلم بالله عزَّ وجلَّ حين قال له:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾طه:١١٤، يرى ذلك الذي كان فيه نقصاً وغطاءً، فيستغفر من الحالة الأولى، ومن هذا المعنى قيل: حسنات الأبرار ذنوب المقربين... .

والمعنى الثاني: أنَّ التغطية على قلبه كانت لتقوية الطبع على ما يلاقي، فيصير بمثابة النوم الذي تستريح فيه الأعضاء من تعب اليقظة، وذلك أنَّ الطاعة على الحقائق ومواصلة الوحي تضعف قلبه وتوهن بدنه، وقد أشار عزَّ وجلَّ إلى هذا في قوله:﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ المزمل:٥، وقوله:﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾الحشر:٢١،فلولا أنه كان يتعاهد بالغفلة، لما عاش بدنه لثقل ما يعرض له.

وشاهد هذا ما يلحقه من البرحاء[١] والعَرق عند الوحي، وقد كان عليه السلام يتعرَّض لهذه التغطية بأسباب يلطِّفُ فيها طبعه كالمزاح ومسابقة عائشة، وتخيّر المستحسنات، وكلُّ ذلك ليعادل عنده من قوة اليقظة. فإن قيل:على هذا فكيف يتعرَّض بشيءٍ ثمَّ يستغفرُ منه؟ قلنا: لأنَّه يرى تلك الحالة بالإضافة إلى الجِدِّ تقصيراً، إلا أنَّ الحاجة تدعو إليها، فتكون بمثابة زمن الأكل والنوم والغائط"[٢].

وهذا التعليل الأخير فيه نظرٌ والله أعلم؛ لأنَّ هذه الأمور التي ذكرها ابن الجوزي رحمه الله إنِ اْستحضر المرءُ فيها النيَّة، كانت عبادةً يتقرَّب بها إلى الله. أضف إلى"أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يفعلون الجائز للتفكه –أي: التلذذ والرغبة في الدنيا– وإنَّما يفعلون ذلك تشريعاً لأممهم، أو بنيِّة الزُّلْفَى–أي: القربى من الرفيع وهو الله تعالى– كالأكل والشرب بنية التَّقوي على العبادة"[٣].

وعصمتهم عليهم الصلاة والسلام من كبائر الذنوب، هو قول عامَّة السلف، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "فإنَّ القول بأنَّ الأنبياءَ معصومون عن الكبائر دون الصغائر: هو

---

١. البرحاء: شدَّة الكرب من ثقل الوحي. يُنظر: النهاية في غريب الأثر (١١٣/١).

٢. كشف المشكل (٢٣١/٤-٢٣٢).

٣. نثر الورود على مراقي السعود (٣٦٣/١)، وذلك عند شرحه لقول الناظم:

..................*.... ولم يكن لهم تفكُّه

بجائزٍ بل ذاك للتشريعِ*أو نيَّةِ الزُّلفى من الرَّفيع.

قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنَّه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أنَّ هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول"[1].

ويقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله بعد أن ذكر أقوال العلماء في العصمة:"وحاصل كلام الأصوليين في هذه المسألة، عصمتهم من الكفر، وفي كلِّ ما يتعلق بالتبليغ والكبائر"[2].

وأمَّا الصغائر، فهذه للعلماء فيها قولان، والصحيح أنَّه قد يَقعُ منهم عليهم الصلاة والسلام الصغائر، ولكن لا يقصدون مخالفةَ أمر الله المعلوم لديه، ومع ذلك، فإنَّهم لا يُقرَّون عليه.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء، أنَّهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يقرون عليها، ولا يقولون إنَّها لا تقع بحال"[3].

ويقول الشيخ الأمين رحمه الله:"وأنَّ أكثر أهل الأصول على جواز وقوع الصغائر، غير الصغائر الخسَّة منهم"[4].

وبهذا نرى كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله وافق السلف في عصمة الأنبياء من كبائر الذنوب، ووافق جمهور العلماء، في أنَّ أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام قد يقع منهم الصغائر، وأنَّهم لا يقرون عليها.

وهنا كلام مهم للشيخ الشنقيطي رحمه الله يتعلَّق بهذه المسألة، يقول رحمه الله: "الذي يظهر لنا أنَّه الصواب في هذه المسألة، أنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لم يقع منهم ما يزري بمراتبهم العَليَّة، ومناصبهم السامية، ولا يستوجب خطأ منهم، ولا نقصاً فيهم صلوات الله وسلامه عليهم -ولو فرضنا أنَّه وقع منهم بعض الذنوب-؛ لأنَّهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله، حتى ينالوا بذلك أعلى درجاتهم،

١. مجموع الفتاوى (٣١٩/٤).

٢. أضواء البيان (١١٩/٤)، يُنظر: نثر الورود (٣٦٢)، مبحث عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام د.يوسف السعيد مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد:(٢٨)، ص:(٣٦-٣٧).

٣. مجموع الفتاوى (٣٢٠/٤).

٤. أضواء البيان (١١٩/٤).

فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك، وممَّا يوضِّح هذا قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾طه:١٢١-١٢٢

فانظر أيَّ أثرٍ يبقى للعصيان والغيِّ بعد توبة الله عليه، واجتبائه أي اصطفائه إياه، وهِدايته له. ولا شكَّ أنَّ بعضَ الزّلات، ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب ذلك الزّلة، والعلم عند الله تعالى"[١].

وهنا أحبُّ أن أنوِّهَ إلى أمرين:

الأول: ومع تقرير ابن الجوزي رحمه الله لهذه المسألة، وإثباته وقوع الصغائر منهم عليهم الصلاة والسلام فقط، نجد منه إشارة في موطن آخر، إلى إثبات العصمة المطلقة وعدم وقوع الصغائر منهم عليهم الصلاة والسلام، فيقول:"إن توهمت أنَّ استغفار النبي ﷺ كان من ذنب، فقد أسأتَ الظنَّ بنبيِّك ﷺ؛ لأنَّه في بدء القسمة توجَّه بتاج العصمة، وإنَّما قال ((أستغفر)) مأخوذ من الغفر وهو الستر، فكأنَّه سأل الله ستر حاله"[٢]. فنلاحظ أنَّه أطلق كلمة الذنب، فهي تشمل الكبائر والصغائر، ثمَّ يفسر طلب سؤاله ﷺ المغفرة من ربه، بطلب الستر، دون محو الذنب.

وهذا يتناقض مع ما قرَّره من وقوع الصغائر منهم كما تقدَّم[٣]، ولكن قد يُخَـرَّجُ بأنَّه عنى كبائر الذنوب لا صغارها، والله أعلم.

الثاني: بالمقابل، هناك عبارات صدرت من الإمام ابن الجوزي رحمه الله، والتي كان لا ينبغي أن تصدر، وما ذلك -والعلم عند الله- إلا بسبب عدم تحريره لكتبه وإسهابه في التأليف، واستخدام بعض العبارات في الوعظ. وإلا فالإمام ابن الجوزي رحمه الله من علماء المسلمين المنافحين عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، معظِّماً لهما ولأنبيائه عليهم الصلاة السلام، ومن أوضح ذلك منافحته في الذبِّ عنهم كما تقدَّم، وإثباته العصمة لهم.

ومن هذه العبارات قوله في قصة يوسف عليه السلام:"وبالعكس منه حالة آدم في موافقته هواه، لقد عادت نقيصة في حقِّه أبداً لولا التدارك فتاب عليه"[١].

---

١. أضواء البيان (١١٩/٤).

٢. المنظوم والمنثور (٣٨٦).

٣. يُنظر صفحة (٣٥٩).

ويقول عن موسى عليه الصلاة والسلام:"فجاءت الملائكة ألوفاً ألوفاً، صفوفاً صفوفاً، واصطفوا حوله، وجعلوا يقولون: يا ابن النِّساء والحيِّض، مثلك يطلب النَّظر إلى الله"[٢].

وغيرها من الألفاظ التي لا ينبغي أن تذكر، ولهذا نجده في موضع آخر يقول عن آدم عليه السلام:"ولولا سابقة القدر، ما قدر- أي إبليس- عليه"[٣]، فنراه معظِّماً لجانب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا الأصل فيه رحمه الله، أمَّا صدور بعض الألفاظ منه وإن كانت غير مقبولة، فلا يحكم على الرجل من خلالها.

ولا أقصد بذلك تتبع زلَّات العلماء والعياذ بالله، بل المقصد الدفاع عن ابن الجوزي رحمه الله، حيث إنَّ القارئ لكتب ابن الجوزي رحمه الله، لو رأى مثلَ ذلك قد يسيءُ الظنَّ بهذا الإمام، فأحببتُ التنويه إلى ذلك، والله الموفق.

---

١. صيد الخاطر (٢٩١).

٢. المنظوم والمنثور (٧٣٠).

٣. المواعظ والمجالس (٢٦٥).

المطلب السادس: الإيمان بنبينا ﷺ:

تكلَّم الإمام ابن الجوزي رحمه الله عن بعض مسائل الإيمان بنبينا محمد ﷺ، وسوف أجعل الحديث عنها في عدَّة مسائل على النحو التالي:

المسألة الأولى: طاعته ﷺ واتباع سنته وشرعه.

المسألة الثانية: الإيمان بكونه خاتم النبيين.

المسألة الثالثة: عموم رسالته ﷺ.

المسألة الرابعة: عصمته ﷺ.

المسألة الخامسة: محبته ﷺ.

المسألة الأولى:طاعته واتباع سنته وشرعه.

بوَّب الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتابه الوفا باباً بعنوان:"الباب الحادي عشر: في وجوب طاعته.

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩، وقال:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾النساء: ٨٠.

عن عروة بن الزبير قال:إنَّ الزبير كان يحدِّث أنَّه خاصمَ رجلاً من الأنصار-وقد شهد بَدْراً- إلى النبي ﷺ في شِراج[1] من الحَرّة كانا يسقيان به النَّخل. فقال النبي ﷺ:((اسْقِ ثمَّ أَرسِل إلى جارك)). فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله: أنْ كان ابن عمتك؟ فتلوَّن وجهُ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ قال للزبير:((اسْقِ ثمَّ احبس الماء حتى يَرجِعَ إلى الجدْر)). فاستوفى النبي ﷺ للزبير حقَّه في صريح الحكم، وكان النبي ﷺ قبل ذلك قد أشار إلى الزبير برأي فيه سعة له وللأنصاري، فلمَّا أغضب الأنصاري رسول الله ﷺ، استوفى رسول الله ﷺ حقَّه في صريح الحكم.

١. الشِّراج: مسيل الماء من الحرَّة إلى السهل. مشارق الأنوار (٢/ ٢٤٧).

قال عروة:قال الزبير:ما أحسبُ هذه الآية نزلت إلا في ذلك:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥.أخرجاه[١]"[٢].

ويُبيِّن رحمه الله معنى الطاعة في قوله تعالى:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾النساء:٥٩:"طاعة الرسول في حياته، امتثال أوامره، واجتناب نهيه، وبعد مماته اتباع سنته"[٣].

ويقول في قوله تعالى﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾الأحزاب:٦:"أي: أحقُّ، فله أنْ يحكمَ فيهم بما شاء. قال ابن عباس:إذا دعاهم إلى شيءٍ، ودعتهم أنفسهم إلى شيءٍ، كانت طاعته أولى من طاعة أنفسهم. وهذا صحيح، فإنَّ أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، والرسول يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم"[٤].

ويقول عن شريعته ﷺ:"اعلم أنَّ بدء الشرائع كان على التخفيف، فلا يعرف في شرع نوح وهود وصالح وإبراهيم تثقيل، ثمَّ جاء موسى بالتشديد والإثقال، وجاء عيسى بنحو عن ذلك، وجاءت شريعة نبينا تنسخ تشديد أهل الكتاب، ولا تطلق في تسهيل من كان قبلهم، فهي على غاية من الاعتدال مع ما تحوي من محاسن الآداب وتلقيح العقول، وتعليم الفطنة، وتدل على استنباط خفي المعاني إلى غير ذلك ممَّا لم يكن فيما تقدَّم"[٥].

ولهذا يرى أنَّ البدع نقصٌ للشريعة، فيقول:"إذا كانت البدعة كالمتمّم، فقد اعتقد نقصَ الشريعة"[٦].

---

١. رواه البخاري برقم: (٢٣٥٩-٢٣٦٠)، ومسلم برقم: (٢٣٥٧).

٢. الوفا(٣٨٠).

٣. زاد المسير (١١٦/٢). يُنظر: المنظوم والمنثور (١٠٧٨).

٤. زاد المسير (٣٥٢/٦).

٥. كشف المشكل (٤٦/٣).

٦. تلبيس إبليس (٢٦/١). يُنظر: تلبيس ابليس (١٥١/١).

ويقرر رحمه الله بأنَّ:"الشريعة سياسة إلهية، ومحال أن يقع في سياسة الإله خللٌ يحتاج معه إلى سياسة الخلق، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ الأنعام:٣٨ وقال: ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾الرعد:٤١"[١].

فمن خلال ما سبق نجد كيف يجعل طاعته ﷺ في اتباع سنَّته، وأنَّ الله أكرمه بشريعة وسطا، بين التشديد والتسهيل، وأنَّ من طاعته ﷺ عدم الابتداع في شرعه، والزيادة فيها.

المسألة الثانية: الإيمان بكونه خاتم النبيين ﷺ.

ختم الله الرسالة بنبيِّه وصفيِّه وخليلِه محمد ﷺ، فجعله آخر الأنبياء، وهو آخر لبنة في الدار التي بناها صاحبها، ولم يضعها، وهو خاتم النبيين ﷺ.

وقد أخبر ﷺ أنَّه لن تقوم الساعة، حتى يخرج ثلاثون كذابا[٢].

وقد قرَّر ابن الجوزي رحمه الله ختم النبوة على صاحبها أفضل الصلاة وأتمَّ التسليم من عدَّة أوجه:

الوجه الأولى: كلامه على الأدلة الدالة على كونه ﷺ خاتم النبيين، وأنَّه لا نبي بعده، حيث عقد الإمام ابن الجوزي رحمه الله باباً في كتابه الوفا بعنوان:"الباب الثامن عشر: في كونه خاتم النبيين"[٣]، ثمَّ ساق الأدلة الدالة على ذلك، ومنها: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:((خُتِم بي النَّبيُّون))[٤].

وأشار في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾الأحزاب:٤٠، إلى القراءات في {خاتم} وأنَّ"من قرأ:{خاتم}بكسر التاء، فمعناه: وختم النبيين، ومن فتحها، فالمعنى: آخر النبيين"[٥].

الوجه الثاني: كلامه عن خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ.

---

١. تلبيس إبليس (١/١٦٢).

٢. رواه أحمد في المسند برقم: (٩٨١٨)، وأبوداود برقم: (٥١٠)، والترمذي برقم: (٢٢١٩). وقال حديث صحيح.

٣. زاد المسير (٦/٣٩٣) يُنظر: المنظوم والمنثور (٣٤٧-٣٤٨).

٤. رواه مسلم برقم: (٥٢٣).

٥. زاد التفسير (٦/٣٩٣).

فقد تكلَّم رحمه الله عن خاتم النبوة الموجود بين كتفيه عليه الصلاة والسلام، وبين معناه والمراد منه في أكثر من موضع من كتبه، فقد عقد باباً في الوفا، فقال:"الباب الواحد والثلاثون: في ذكر خاتم النبوة"[1]، ثمَّ ذكر الأحاديث الدالة عليه[2]، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن الجَعْد بن عبد الرحمن قال:سمعتُ السائب بن يزيد يقول:(ذهبتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنَّ ابن أختي وَجِع. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضَّأ فشربتُ من وضوئه، وقمتُ خلف ظهرِه، فنظرتُ إلى الخاتم بين كتفيه، فإذا هو مثل زِرِّ الحَجَلَةِ)[3].

الوجه الثالث: أسماؤه الدالَّة على كونه ﷺ خاتم النبيين.

تكلم ابن الجوزي رحمه الله على أسمائه ﷺ في أكثر من موضع من كتبه، فذكر في كتابه تلقيح فهوم أهل الأثر، ثلاثة وعشرين اسماً[4]، ومن هذه الأسماء الدالة على كونه خاتم الأنبياء، الخاتم، والعاقب، والمقفي[5].

ففسَّر العاقب والمقفي بقوله:"فالعاقب آخر الأنبياء، والمقفي تبع الأنبياء"[6].

ويقول أيضاً:"والعاقب آخر الأنبياء، والمقفي بمعنى العاقب؛ لأنَّه تبع الأنبياء، وكل شيء تبع شيئاً، فقد قفَّاه"[7].

وبهذه الأوجه الثلاثة، يقرر رحمه الله أنَّه ﷺ هو خاتم النبيين، وأنَّه لا نبي بعده.

ثمَّ هو اهتمَّ بالردَّ على بعض الشبهة التي قد تطرأ على هذه القضية.

ففي تعليقه على خبر النبي ﷺ مع علي رضي الله عنه في غزوة تبوك، حينما قال له:((ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، غير أنَّه لا نبي بعدي))[1]، يقول رحمه

---

١. الوفا (٢٢٦).

٢. يُنظر: أيضاً الوفا (٤٠٩-٤١٠)، حيث ذكر الأحاديث الواردة وعلَّق على غريبها.

٣. رواه البخاري برقم: (١٩٠)، ومسلم برقم: (٢٣٤٥). و زر الحَجَلة:يقول ابن الأثير:"الحجلة بالتحريك: بيت كالقبة، يُستر بالثياب، وتكون له أزرار كبار، وتجمع على حجال"النهاية في غريب الحديث (٣٤٦/١). يُنظر: مشارق الأنوار (١٨٣/١).

٤. تلقيح فهوم أهل الأثر (٩). يُنظر: الوفا (١٠٣-١٠٥).

٥. تلقيح مفهوم أهل الأثر (٩)، الوفا (١٠٤)، المدهش (٤٩).

٦. المدهش (٤٩).

٧. تلقيح مفهوم أهل الأثر (٩). يُنظر: الوفا (١٠٤).

الله:"لما شبَّهه في تخليفه إياه بهارون حين خلفه موسى، خاف أن يتأول متأول فيدعي النبوة لعلي عليه السلام، فقال:((غير أنَّه لا نبي بعدي))، وإنَّما كانت خلافة هارون في وقت خاص في حياة موسى"[2].

وفي حديث نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وأنَّه يصلِّي خلف الأمراء، يقول:"اعلم أنَّه لو تقدَّم عيسى عليه السلام، لوقع في النُّفوس إشكال، ولقيل: أتُراه تقدَّمَ على وجه النيابة أم ابتدأ شرعاً ؟ فيُصلِّي مأموماً؛ لئلا يتدنَّسَ بغبار الشُبْهة وجهُ قوله:((لا نبي بعدي))"[3].

وأرى أنَّ هذا التعليل بعيدٌ والله اعلم؛ لأنَّ عيسى عليه السلام لو لم يتقدَّم الآن، فلا مانع من تقدُّمِه للصلاة فيما بعد، بل قوله ﷺ كما في مسلم:((إذ أوحى الله إلى عيسى إنِّي قد أخرجتُ عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور))[4] فيه أنَّه هو إمام الناس وقتئذ، أضف لو وقع إشكال سيجيبهم عليه المسيح عليه السلام، والله أعلم.

المسألة الثالثة : عموم رسالته ﷺ.

يقول رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ سبأ:٢٨:"أي عامَّة لجميع الخلائق"[5]. ويقول أيضاً:"كان النبي إذا بُعثَ في الزمان الأول إلى قوم، بُعث غيره إلى آخرين، وكان يجتمع في الزَّمن الواحد جماعةٌ من الرسل، فأمَّا نبينا ﷺ فإنَّه انفرد بالبعث، فصار نذيراً للكلِّ من غير أن يُزاحِمَه أحدٌ"[6].

ويؤكِّدُ هذا بذكر شبهة وردت من الشام، وعرضت على الإمام ابن عقيل رحمه الله، فيقول:"وقرأتُ بخطِّ ابن عقيل، قال: جاءت فتوى من دمشق: ما تقولون في هذا الحديث: ((بعثت إلى الخلق كافة))[7] والنَّظر والتأمُّل يمنع صحة هذا؛ لأنَّه إذا كان النبي مبعوثاً إلى قوم

---

١. رواه مسلم برقم: (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

٢. كشف المشكل (٢٣٦/١-٢٣٧).

٣. كشف المشكل (٨٨/٣).

٤. رواه مسلم برقم: (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

٥. زاد المسير (٤٥٦/٦).

٦. كشف المشكل (٤١/٣) .

٧. رواه البخاري برقم: (٤٣٨)، ومسلم برقم: (٥٢١)من حديث جابر رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

يبلغ من تعدته إلى غيرهم؛ لأنَّ صفة التخصيص في الإرسال لا تقتضي العموم، كما لو قال القائل لرسوله:اذهب إلى بني تميم، فإنه إذا تعدَّى إلى بني عدي كان مخالفاً. فلو كان موسى مخصوصاً ببني إسرائيل، ثمَّ جاءه غيرهم من الأمم يسألونه عمَّا جاء به، لم يجزْ له كتمانه عنهم، ولا أن يقول إنِّي غير مبعوث إليكم، بل كان الواجب عليه إجابةُ التُركِ والفُرسِ والعَربِ وكلِّ من سأله عن الأحكام التي جاء بها بما بعث به إلى بني إسرائيل، بل كان لا يجوز له أن يجيبَ أحداً من هؤلاء إذا كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل خاصة. قال السائل: وأيضاً إذا قال له: مر بني إسرائيل بالصلاة، ومن زنى من بني إسرائيل فعاقبه على زناه، لم يجز له أن يعاقب غيرهم على الزنا، وهذا كالحكم إذا علِّق غاية لا يتعدَّى إلى غيرها: فإن قلنا: إنَّه مُنعَ من إرشاد من جاء إليه للاسترشاد من أنواع الخلق، لم يجزْ ذلك، وإذا بطل هذان القسمان، ثبت أنَّ كلَّ رسول إنَّما بعث إلى جميع الخلق. وليس لقائل أن يقول:إنَّه أرسل إلى بني إسرائيل خاصَّة، والناس بالخيار بين اتباعه وتركه. قال السائل: وطريقة أخرى، وهو أنَّ الله تعالى رفع العذاب عن الخلق مع عدم الرسل بقوله:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء:١٥، وأثبت الحجَّة على الخلق ببعثة الرسل. وقد ثبت أنَّ الله تعالى أهلك جميع أهل الأرض بالطوفان، وما ذلك إلا لمخالفة نوح، فلو لم يكن مرسلاً إلى جماعتهم، لما أهلكهم بمخالفته ودعا عليهم،وليس لقائل أن يقول: فقد قال في حق نوح:﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾نوح:١ ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا ﴾ الأعراف:٨٥، فقد خصص مثل ذلك نبينا بقوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾التوبة:١٢٨فامتنَّ على قريش بذلك.

فأجاب حنبليٌّ محقِّقٌ في الأصول - يعني ابن عقيل نفسه- فقال:إنَّ خصيصة النبي ﷺ حاصلةٌ من جهة خَفيِّةٍ عن كثير من العلماء، وذلك أنَّ شريعة نبينا ﷺ جاءت ناسخةً لكلِّ شريعةٍ قبلها، فلم يبقَ يهودية ولا نصرانية ولا دين من سائر الأديان التي جاءت بها النبوات، إلا أَمرَ بتركها، ودعا إلى شريعته، ومعنى قوله:((كلُّ نبيٍّ بُعِثَ إلى قومه))، المراد:أنَّه قد كان يجتمع في العصر الواحد نبيان يدعو كلُّ واحدٍ منهما إلى شريعة تختصه، ولا يدعو الأمَّة التي بعث فيها غيره إلى دينه ولا يصرف عنه، ولا ينسخ ما جاء به الآخر، فهذه خصيصة لم

تكن لأحد قبله، حتى إنَّ نوحاً لم يُنقل أنَّه كان معه نبيّ، فدعا إلى ملَّتِه ملة ذلك النبي ولا نسخها، وهذا يدفع ما قالوا وقدروه من الأسئلة وعقبوه بالأجوبة، ويوضِّح هذا أنَّه لما وَجَدَ ورقةً من التوراة بيد عمر قال:((ألم آتكم بها بيضاء نقية؟ والله لو أدركني موسى لما وسعه إلا اتباعي))[1]؛ لأنَّه لا يقدر عيسى أن يقول في التوراة، ولا في حقِّ موسى هذه المقالة، فعُلم أنَّ هذه الخصيصة التي امتاز بها عن جميع الأنبياء دون ما توَّهمه السائل من البعثة العامة إلى جميع الناس، دون أرباب الشرائع، والله أعلم"[2].

وما ذكره ابن الجوزي عن ابن عقيل رحمهما الله قد يشكل عليه أمور:

الأول: لو أنَّ موسى عليه السلام رأى مع أحدٍ من أصحابه ورقةً من صحف إبراهيم عليه السلام، أو غيره من الرسل الذين قبله، هل كان يأمرهم باتباعها دون شريعته التي أرسله الله بها إلى بني إسرائيل، أم ينهاه عن ذلك؟. وهناك جوابٌ آخر على ما ورد في الرسالة، وهو أنَّ كون موسى عليه السلام أُرسل إلى بني إسرائيل، لا يمنع لو رأى جاهلاً أن يوجهه أو أن يرشده، والدليل على ذلك ما فعله مع الخضر من إنكاره عليه، ولم يمنعه من الإنكار عليه أنَّه ليس من بني إسرائيل.

الثاني: ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما حينما قيل له: فما فضَّله على الأنبياء؟ قال:إنَّ الله تعالى يقول:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾إبراهيم:٤، وقال لمحمد ﷺ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾سبأ:٢٨،فأرسلَه إلى الإنس والجنِّ[3].

فمن خلال هذا النَّص يتبيَّن لنا معنى عموم دعوته، وأنَّ المراد أنَّ الأنبياء أُرسلت إلى أقوامهم، وبألسنتهم، بخلاف نبينا ﷺ فإنَّه -وإن كان أرسل بلسان قومه- أُرسل إلى الناس جميعاً.

أمَّا معنى كون دعوة نبينا ﷺ عامة، أنَّه يجب أن يبلِّغ الناس كافة دين الله عزَّ وجلَّ، بخلاف دعوة موسى عليه السلام، فإنَّها إلى بني إسرائيل، ويجب أن يبلِّغهم دين الله، أمَّا

---

١. رواه أحمد في المسند برقم: (١٥١٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه. "قال البخاري: قال مجالد عن الشعبي عن جابر إن عمر أتى بكتاب ولا يصح" الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠/٤).

٢. كشف المشكل (٤١/٣-٤٣)، وقد ذكره مختصراً في كتابه الوفا (٣٧١-٣٧٢).

٣. سيأتي تخريجه بمشيئة الله صفحة (٣٨٧).

غيرها من الأمم فلا يجب عليه، هذا في حال لم يُبعثْ إليهم رسول، أمَّا في حال بُعث إليهم رسول، فإنَّهم سيتبعون شريعةَ رسولهم الذي أُرسل لهم. ومثل ذلك ما فعله سليمان مع بلقيس، فإنَّه لم يحرِّك الجيوش لقتالهم ابتداءً، مع أنَّه كان يملك من الجند ما لم يؤته ملِك قبله أو بعده، ولكن حينما جاءه العلم أنَّهم يعبدون الشمس من دون الله، أرسل إليهم يأمرهم بنبذ الشرك وعبادة الله عزَّ وجلَّ.

وما قرَّره ابن الجوزي رحمه الله من عموم رسالته ﷺ، هو ما عليه المسلمون، بل إنَّ اليهود يعلمون أنَّه بُعِثَ إلى الناس كافَّة[1]، ولهذا كان من طرق إلباسهم الحقَّ بالباطل أنَّهم كانوا يقولون: محمد نبيٌّ مبعوث، إلا أنَّه مبعوث إلى غيرنا[2].

ولهذا يقال لهم: بأنَّه لو كان النبي ﷺ حقًّا كما تقولون، ولكنَّه بعث إلى غيركم، لقيل: بأنَّه ﷺ أَخبر عن نفسه أنَّه أُرسل لعامَّة الناس، ولكونه نبياً يجب عليكم تصديقه، فإنَّ الأنبياء منزهون عن الكذب، خاصّة ما يتعلَّق بتبليغ الرسالة كما تقدَّم.

يقول مجاهد بن جبر رحمه الله: كلَّم الله موسى، وأرسل محمداً إلى الناس كافة[3].

ويقول الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان:١"وهذه الآية الكريمة، تدلُّ على عموم رسالته ﷺ للأسود والأحمر، والجنِّ والإنس، لدخول الجميع في قوله تعالى:﴿ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾وهذا المعنى الذي دلَّتْ عليه هذه الآية الكريمة، جاء موضحاً في آياتٍ أُخر، كقولة تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف:١٥٨وقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾سبأ:٢٨ أي:أرسلناك للناس كافة أي جميعاً، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ الأنعام:١٩وقوله تعالى:﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

١. تفسير الطبري (١/١٠٨) وَ (١/٢٥٦).

٢. تفسير الطبري (١/٢٥٤).

٣. تفسير الطبري (٣/١). يُنظر: ابن كثير (٢/٢٥٦)، والفتاوى (٤/٢٠٤) وَ (١٣/٢٦٦).

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن:٣٣-٣٤

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الأحقاف:٢٩-٣٢"[١].

المسألة الرابعة : عصمته عليه الصلاة والسلام:

وقد تقدَّم الكلام سابقاً في عصمة الأنبياء بشكل عام، وهنا أحاول الحديث عن بعض ما قد يشتبه على البعض، أو يروّج له البعض الآخر، من أحداث يُظنُّ أنَّها تنافي مقام عصمة نبينا عليه الصلاة والسلام.

وقد تطرَّق ابن الجوزي رحمه الله لها وللكلام عنها، وتوجيهها وبيان عدم منافاتها لعصمته عليه الصلاة والسلام.

- **قصته ﷺ مع زينب رضي الله عنها.**

ذكر رحمه الله في تفسيره زاد المسير، ما يقوله كثير من المفسرين[٢] من أنَّ النبي ﷺ نظر إلى زينب رضي الله عنها وهي تحت زيد، فقال:((سبحان مقلب القلوب))[٣] وأنَّه وقع في حبِّها[٤].

ثمَّ قال رحمه الله:"فصل: وقد ذهب بعض العلماء إلى تنزيه رسول الله من حبِّها وإيثاره طلاقها. وإن كان ذلك شائعاً في التفسير"[٥].

---

١. أضواء البيان (٣/٦).

٢. يُنظر: فتح الباري (٨/٥٢٤) ، أضواء البيان (٦/٢٣٩).

٣. ذكر هذه القصة غالب كتب التفسير، ولم أجد لها سندا، يقول الحافظ في تخريج الكشاف:"وذكر الثعلبي في تفسيره الحديث بلفظ المصنف من غير سند" (٣/١١٢).ويقول أبوبكر بن العربي:"وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد" أحكام القرآن لابن العربي (٣/٥٧٧).

٤. يُنظر: زاد المسير (٦/٣٨٦).

٥. زاد المسير (٦/٣٨٨).

ونقل عن ابن عقيل رحمه الله قوله:"الذي كتمه رسول الله ﷺ التَّمَنِّي لفراق زيدٍ إيَّاها، وإخفاؤه في نفسها استحسانها. وتَمَنِّيه أن يتزوجها ليس بمعصية"[1]. ومع ذلك فقد استهجنه العلماء.

وقد كان ابن الجوزي رحمه الله، يميل إلى ما ذكره ابن عقيل والعلم عند الله[2]، حيث ذكر في كتابه تذكرة الأريب، في تفسيره لقوله تعالى﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ ﴾ الأحزاب:٣٧ قال:"إيثار طلاقها"[3]، أي: حبُّه لزينب، ورغبته ﷺ أن يطلِّق زيدٌ زوجه.

وعليه فكأنَّه كان يرى صحة القصة المذكورة في كتب التفسير والله أعلم[4].

والذي يترجَّح أنَّه القول القديم له والله أعلم، حيث أنَّ كتاب زاد المسير متأخِّرٌ عن كتاب تذكرة الأريب[5]، أضف إلى أنَّ كتابه الزاد من كتبه التي قرئت عليه وحررها رحمه الله.

وعلى كلٍّ فالحديث ضعيف، إن لم يكن موضوعاً، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:"ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم، أحببنا أنَّ نضربَ عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها. وقد روى الإمام أحمد هاهنا أيضاً حديثاً، من رواية حمَّاد بن زيد، عن ثابت عن أنس فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً"[6].

وقال الحافظ ابن الحجر رحمه الله بعد ذكره للقصة:"وَوَرَدَتْ آثارٌ أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والذي أوردتُه منها هو المعتمد"[7].

والمعتمد الذي ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله، هو ما أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي أنَّه قال:"بلغنا أنَّ هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمُّها أميمةُ بنت

---

١. كشف المشكل (٣/١٩١).

٢. وقد ذهب إلى هذا القول ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي (١٦٣)، ولم يذكر الإمام الطبري في تفسيره غير هذا القول (٢٢/١٢).

٣. تذكرة الأريب (٢/٨٦).

٤. وقد ذكر الحديث في كتابه المنتظم (٣/٢٢٥-٢٢٦)، ولم يعلِّق عليه.

٥. يُنظر: زاد المسير (٩/٢٨٠).

٦. تفسير ابن كثير (٦/٤٢٤-٤٢٥)، يُنظر: السلسلة الضعيفة (٧/٤٠٢)رقم (٣٣٩٠) حيث حكم عليه بالضعف وكذلك الضعيفة (١٤/٧٩٩) وحكم عليه بالنكارة الشديدة.

٧. فتح الباري (٨/٥٢٤).

عبد المطلب عمَّةَ رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثمَّ إنها رضيت بما صنع الرسول ﷺ فزوجها إيَّاه، ثمَّ أَعلمَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه ﷺ بعدُ أنَّها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يُمسكَ عليه زوجه، وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه، ويقولوا تزوَّجَ امرأةَ ابنه، وكان قد تبنَّى زيداً"[1].

ويقول القرطبي رحمه الله:"ورُوي عن عليِّ بن الحسين أنَّ النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أنَّ زيدا يطلق زينب، وأنَّه يتزوجها بتزويج الله إيَّاها، فلمَّا تشكَّى زيد للنبي ﷺ خُلَقَ زينب، وأنَّها لا تطيعه، وأَعلَمَه أنَّه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصيَّة:((اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك)) وهو يعلمُ أنَّه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنَّه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر، من أن خَشِيَ الناس في شيءٍ قد أباحه الله له، بأن قال أمسك، مع علمه بأنَّه يطلِّق، وأعلمه أنَّ الله أحقُّ بالخشية، أي:في كل حال. قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم"[2].

ويقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله:"قال مقيّده عفا اللَّه عنه وغفر له:التحقيق إن شاء اللَّه في هذه المسألة، هو ما ذكرنا أنَّ القرآن دلَّ عليه، وهو أنَّ اللَّه أعلم نبيّه ﷺ بأنَّ زيدًا يطلِّق زينب، وأنَّه يزوّجها إيّاه ﷺ، وهي في ذلك الوقت تحت زيد، فلمَّا شكاها زيد إليه ﷺ قال له:﴿ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ الأحزاب:٣٧ فعاتبه اللَّه على قوله:

---

١. الفتح (٨/٥٢٤)، وقد قال الحافظ :"وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي ، فساقها سياقاً واضحاً حسناً "، ولم تذكر الباحثة فائقة حسن الحسني في رسالتها (مرويات السدي الكبير وأقواله في التفسير) هذه الرواية، ولعلها لم تجدها في كتب التفسير مسندةً، حيث قال ابن أبي حاتم "عن السدي" وذكر الأثر، ولم يذكره الطبري.

٢. تفسير القرطبي :(١٤/١٩٠-١٩١).

﴿ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ ﴾ بعد علمه أنّها ستصير زوجته هو ﷺ، وخشي مقالة الناس أن يقولوا – لوأظهر ما علم من تزويجه إياها– إنَّه يريد تزويج زوجة ابنه، في الوقت الذي هي فيه في عصمة زيد. والدليل على هذا أمران:

الأول: هو ما قدّمنا[1] من أنَّ اللَّه جلَّ وعلا قال: ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ الأحزاب:٣٧ وهذا الذي أبداه اللَّه جلَّ وعلا، هو زواجه إياها في قوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾ الأحزاب:٣٧ ولم يبدِ جلَّ وعلا شيئاً ممَّا زعموه أنَّه أحبَّها، ولو كان ذلك هو المراد لأبداه الله تعالى كما ترى.

الأمر الثاني: أنَّ الله جلَّ وعلا صرَّح بأنَّه هو الذي زوجه إيَّاها، وأنَّ الحكمة الإلهية في ذلك التزويج، هي قطع تحريم أزواج الأدعياء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ ﴾ الأحزاب:٣٧، فقوله تعالى: ﴿ لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ ﴾ الأحزاب:٣٧ تعليلٌ صريحٌ لتزويجه إيَّاها لما ذكرنا، وكون الله هو الذي زوَّجه إيَّاها لهذه الحكمة العظيمة، صريح في أنَّ سبب زواجه إيَّاها ليس هو محبته لها التي كانت سبباً في طلاق زيد لها كما زعموا، ويوضحه: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا ﴾ الأحزاب:٣٧ الآية؛ لأنَّه يدلُّ على أنَّ زيداً قضى وطره منها، ولم تبقَ له بها حاجة، فطلَّقها باختياره والعلم عند الله تعالى"[2].

وينقل الإمام القرطبي رحمه الله عن بعض أهل العلم فيقول: "ليس هذا من النبي ﷺ خطيئة؛ ألا ترى أنَّه لم يؤمرْ بالتوبة ولا بالاستغفار منه، وقد يكون الشيء ليس بخطيئة، إلا أنَّ غيره أحسن منه، وأخفى ذلك في نفسه خشيةَ أن يُفتَتَنَ الناسُ"[3].

١. يُنظر: الأضواء (٦/٢٣٩).

٢. أضواء البيان (٦/٢٤١).

٣. تفسير القرطبي (١٤/١٩١). وتعليله أنَّه أخفاه خشية أن يفتتن الناس بعيدٌ، لأنَّه ﷺ ترك أكثر مِن فعلٍ ولم يعاتبه الله في ذلك، كعدم قتله للمنافقين، وعدم هدم الكعبة وبناؤها على قواعد إبراهيم، والله أعلم.

ثمَّ تعرَّض الإمام ابن الجوزي رحمه الله لقوله تعالى في هذا السياق﴿ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾الأحزاب:٣٧ فقال:"أي: أولى أن تخشى في كل الأحوال، وليس المراد أنَّه لم يخش الله في هذه الحال، ولكن لما كان لخشيته بالخلق نوع تعلُّق، قيل له: الله أحقُّ أن تخشى منهم"[١]، فانظر إلى قوله رحمه الله"لما كان لخشيته بالخلق نوع تعلُّق"ممَّا يدُلُّ على كمال أدبِه رحمه الله لمقام النبوة. فهذا ممَّا يؤكد أنَّه رحمه الله معظِّم لجانب العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

● **الغرانيق.**

خبر الغرانيق هو أنَّ رسول الله ﷺ لما نزلت عليه سورة النجم، قرأها حتى بلغ قوله تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾النجم:١٩-٢٠ فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهنَّ لتُرتجى، فلمَّا سمعت قريش بذلك فرحوا، فأتاه جبريل، فقال:ماذا صنعت؟ تَلْوت على الناس ما لم آتك به من الله. فحَزَنَ رسول الله ﷺ حزناً شديداً.

تكلَّم الإمام ابن الجوزي رحمه الله على هذه القصة وبيَّن ضعفها، من حيث السند والمتن، فأمَّا من حيث سند الرواية، فقال:"قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح"[٢].

وأمَّا من حيث المتن، فعلَّلَها بأمرين:

الأول:أنَّ مثل هذا يؤدي إلى عدم الوثوق بالأخبار، وأنَّه لو ثبتت لـ"جاز أن يُشكَّ في الصحيح، فيقال:لعلَّ هذا مما ألقاه الشيطان أيضاً"[٣] ولهذا قال:"يقع به هدم أصل عظيم"[٤] ومراده ردّ الأحاديث والأخبار الثابتة عنه ﷺ.

---

١. زاد المسير (٣٨٨/٦).

٢. زاد المسير (٤٤١/٥).وقد ذكر ابن الجوزي هذا الحديث مستدلَّاً به في كتابه المنظوم والمنثور (١٦٨) فقال:"لقد دخل على آدم ومحمد متلصِّصَاً لا متسلِّطاً، دخل على الرسول في صلاته، حتى قال: تلك الغرانيق العُلَى، وإنَّ شفاعتَهُنَّ لترتجى".واعلم أنَّ هذا بسبب عدم تحريرِه لكتبه، وتغلب جانب الوعظ عليه، أو أنَّه قول قديم-لأنَّ هذا الكتاب من كتبه المتقدمة- ثمَّ تراجع. وإلا فالقصَّة لم تكنْ في صلاة،وإنَّما قرأها على الملأ.يُنظر:تذكرة الأريب (١١/٢).

٣. كشف المشكل (٢٧٥/١).

٤. كشف المشكل (٢٧٥/١).

الثاني: أنّها مخالفةٌ لعصمة الأنبياء المقررة عند المسلمين، فيقول:"لأنَّ رسول الله ﷺ معصوم عن مثل هذا"[1] فهو يردُّه لأنَّها منافيةٌ لأصل الشرع من حيث ثبوت عصمة الأنبياء عليهم السلام.

ومع ذلك فقد تأوَّل ابن الجوزي رحمه الله ما ورد في الحديث[2]، فيقول رحمه الله:"وقد بيَّنت في التفسير أنَّ شيطاناً تكلَّم بذلك فسمعوه، إمَّا من شياطين الجنِّ[3] أو من شياطين الإنس؛ لأنَّهم كانوا إذا قَرَأَ الرسولُ لغوا كما وصفهم الله عز وجل بقوله:﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾فصلت:٢٦، فلمَّا سمعوا هذه السورة، قال بعض الشياطين هذه الكلمات على وزنها، فظنّوا أنّ رسول الله قد قالها، وإنما قيلت في ضمن تلاوته، فأما أن يكون جرى على لسان الرسول المعصوم مثل هذا، فمحال"[4].

ثمَّ يعزز ذلك بأنَّ الوحي محفوظ من الله، وأنَّه سبحانه "بيَّن كيفية حفظ الوحي من الشياطين، فقال تعالى:﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ الجن:٢٧والمعنى: أن يحرس الوحي عند تلاوة الملك له على الرسول من استراق الشياطين؛ لئلا يسبقونه إلى الكاهن فيتكلَّم به قبل الرسول"[5].

ويؤكد هذا بأنَّه قول كبار العلماء، فقال:"وقد ذهب إلى ما قلتُه كبار العلماء، منهم أبو الحسين بن المنادي[6]، وأبو جعفر النحاس[1]، وأبو الوفاء بن عقيل، في خلق كثير من المحققين"[2].

---

١. زاد المسير (٤٤١/٥).

٢. يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:"وإذا تقرر ذلك- أي تصحيحه للحديث- تعيَّن تأويل ما وقع فيها مما يستنكر". فتح الباري (٤٣٩/٨).

٣. لم يذكر في تفسيره شياطين الجنِّ، ولعلَّه في التفسير الكبير، وفي الوفا أطلق فقال:"وإنَّما قالها بعضُ الشياطين" (١٩٣).

٤. كشف المشكل (٢٧٤/١).

٥. كشف المشكل (٢٧٥/١).

٦. أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد المنادي، والمنادي: بضم الميم، وفتح النون، وفي آخرها الدال المهملة. وهذه النسبة إلى من ينادي على الأشياء التي تباع والأشياء المفقودة التي يطلبها أربابها. كان ثقةً أميناً حجةً صادقاً، ولم يسمع الناس منه إلا اليسير؛ وذلك لشراسة أخلاقه. صنف في علوم القرآن أربعمائة كتاب ونيَّفا وأربعين كتاباً، جمع بين الرواية والدراية. توفي سنة٣٣٦هـ. الأنساب للسمعاني (٣٨٥/٥)، والمنتظم (٦٤/١٤)، البداية والنهاية (٢١٩/١١).

وكما قال رحمه الله، فإنَّ المحقِّقين من أهل العلم، ذهبوا إلى بطلان الحديث سنداً ومتناً.

وقد ألَّف فيها الشيخ الألباني رحمه الله رسالته المشهورة (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق)، وقد قسّم رسالته في ردِّ هذه القصة إلى قسمين: إبطالها سنداً ومتناً.

أمَّاالسند فذكر عشر رواياتٍ لها، وضّح عللها، و بيَّن ضعفها.

وممَّا ذكره ما روي عن إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله أنَّه سئل عن هذه القصة ؟ فقال:"هذا من وضع الزنادقة"[٣].

وذكر تحسين الحافظ ابن حجر رحمه الله[٤]، ثمَّ تعقَّب على الحافظ وردّ عليه تحسينَه له.

وكذلك ردَّ الخبر من حيث المتن، وذكر أقوال العلماء في ذلك كالإمام أبي بكر بن العربي، والقاضي عياض رحمهم الله.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله:"مع أنَّه قد دلَّتْ آيات قرآنية على بطلان القول، وهي الآيات الدالة على أنَّ الله لم يجعل للشيطان سلطاناً على النبي ﷺ وإخوانه من الرسل وأتباعهم المخلصين، كقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ النحل:٩٩-١٠٠، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ الحجر:٤٢ وقوله:﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾إبراهيم:٢٢، وعلى القول المزعوم أنَّ الشيطان ألقى على لسانه ﷺ ذلك الكفر البواح،فأيُّ سلطان له أكبر من ذلك؟.

ومن الآيات الدالة على بطلان ذلك القول المزعوم، قوله تعالى في النبي:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾النجم:٣-٤وقوله:﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ

---

١. أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري النحوي. مفسِّر، أديب. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. توفي سنة ٣٣٨هـ. السير (٤٠١/١٥)، والأعلام (٢٠٨/١).

٢. كشف المشكل (٢٧٥/١).

٣. نصب المجانيق (٤٦).

٤. وقد حسَّن الحافظ ابن حجر رحمه الله هذه القصة حيث يقول :"فإنَّ الطرق إذا كَثُرت وتباينت مخارجُها دلَّ ذلك على أنَّ لها أصلاً، وقد ذكرتُ أنَّ ثلاثةَ أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل" فتح الباري (٤٣٩/٨).

﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ الشعراء:٢٢١-٢٢٢، وقوله في القرآن العظيم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾الحجر:٩ وقوله تعالى:﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾فصلت:٤٢"[١].

● **سحره ﷺ.**

ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت:سُحر النبي ﷺ، حتى كان يُخيَّلُ إليه أنَّه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثمَّ قال:((أشعرت أنَّ الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان: فقعد أحدُهما عند رأسي، والآخر عند رجلي. فقال أحدُهما للآخر: ما وجع الرَّجُل؟ قال:مطبوب. قال: ومن طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال:فيما ذا؟ قال: في مشط ومشاطة، وجفِّ طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال:في بئر ذروان)). فخرج إليها النبي ﷺ، ثمَّ رجع فقال لعائشة حين رجع:((نخلُها كأنَّه رؤوس الشياطين)) فقلتُ: استخرجتَه؟ فقال:((لا، أمَّا أنا فقد شفاني الله، وخشيتُ أن يثير ذلك على الناس شرًّا)) ثمَّ دُفنتْ البئر[٢].

وهذه من الأحاديث التي أنكرها بعض المتكلمين، وردّوها لمصادمتها للعقل، وأنَّه إذا وقع أنَّه سحر ﷺ، فلا يأمن أن يؤثر على الوحي.

يقول أبوبكر الجصاص في تفسيره:"وقد أجازوا من فعل الساحر ما هو أطم من هذا وأفظع، وذلك أنَّهم زعموا أن النبي عليه السلام سُحر، وأنَّ السحر عَمِل فيه، حتى قال فيه:((إنَّه يتخيَّل لي أنيِّ أقول الشيء وأفعله، ولم أقله ولم أفعله)) ... ومثل هذه الأخبار، من وضع الملحدين، تلاعباً بالحشو الطغام، وإستجراراً لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام، والقدح فيها"[٣].

وقد تطرَّق الإمام ابن الجوزي رحمه الله لهذه المسألة والردِّ على من خالف فيها، يقول رحمه الله:"وقد أنكر قومٌ من المتكلمين صحة هذا الحديث، وقالوا لو جاز أن يؤثِّر السحرُ في رسول الله ﷺ، لم يؤمن أن يؤثِّر ذلك في الوحي إليه، فيقع ضلال. والجواب:أمَّا نقل الحديث

---

١. أضواء البيان(٥/٢٨٦). ويُنظر: رحلة الحج للشيخ الشنقيطي (١٢٠-١٣٢).

٢. رواه البخاري برقم: (٣٢٦٨).

٣. أحكام القران للجصاص(١/٦٠). يُنظر: تفسير الرازي (٣٢/١٧٢).

فلا يرتاب بصحته... والأنبياء بشرٌ يجري عليهم ما يجري على البشر، إلا أنَّ ما يتعلَّقُ بالوحي محفوظٌ، وهم محفوظون فيه، قال تعالى:﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾الجن:٢٧والمعنى أنه: يحفظ الوحي من استراق الشياطين؛ لئلا يلقوه إلى الكهنة، فيتكلَّموا به قبل النبي"[١].

ويؤكد رحمه الله سحر النبي ﷺ بقوله:"وقد سحر رسول الله ﷺ حتى أثرَّ فيه"[٢].

وما ذكره رحمه الله هو ما عليه أهل العلم وسلف الأمة.

يقول الشيخ الأمين:"وعلى كلِّ حال، فهو ﷺ معصوم بالإجماع من كل ما يؤثِّر خللاً في التبليغ والتشريع، وأمَّا بالنسبة إلى الأعراض البشريَّة كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر؛ لأنَّهم بشر"[٣].

ويقول الشيخ الألباني رحمه الله في تخريجه لهذا الحديث:"ومن المفيد أن نذكر أنَّ بعض المبتدعة قديماً وحديثاً، قد أنكروا هذا الحديث الصحيح، بشبهات هي أوهى من بيت العنكبوت، وقد ردَّ عليهم العلماء في شروحهم، فليرجع إليها من شاء"[٤].

وممَّا يُردُّ به على من ينكر هذا، أنَّ رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام قد سحر، كما جاء في التنزيل ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴾طه:٦٦، فإذا كان حديث البخاري أخبار آحاد كما يقولون، فما هو قولهم بما ورد في القرآن عن نبي الله موسى عليه السلام؟ وما جاز على نبيٍّ من الأنبياء، جاز على بقيتهم عليه السلام.

المسألة الخامسة: محبته ﷺ:

عقد رحمه الله باباً في الوفا بعنوان:"الباب الثاني عشر: في وجوب تقديم محبته على الوالد والولد والنفس"[١].

---

١. كشف المشكل (٣٤٢/٤).

٢. زاد المسير (٣٠٢/٥).

٣. أضواء البيان (٦٠/٤). وللمسألة كلام طويل، يُنظر: الأضواء (٦١/٤) وما بعده، وفتح الباري(٢٢٦/١٠-٢٢٧)، وتأويل مختلف الحديث (٢٦٠/١-٢٦٥).

٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦١٩/٦).

١. (٣٨٢).

وذكر فيه حديث أنس بن مالك وعمر رضي الله عنهما، وبين رحمه الله ما المراد بهذه المحبة، فقال في شرحه لحديث أنس رضي الله عنه ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين))[١] قال:"اعلم أنَّ المراد بهذه المحبة، المحبة الشرعية، فإنَّه يجب على المسلمين أن يقوا رسول الله ﷺ بأنفسهم وأموالهم، وليس المراد بهذا المحبَّةَ الطبيعية، فإنَّهم قد فرُّوا عنه في القتال وتركوه، وكلُّ ذلك لإيثار حب النفس"[٢].

ويقرر هذا المعنى في شرحه لحديث عمر رضي الله عنه:"إن قال قائل: كيف كلَّفه بما لا يدخل تحت طوقه؟ فإنَّ المحبة في الجملة ليست إلى الإنسان، ثمَّ إن حبَّه لنفسه أشد من حبه لغيرها، ولا يمكنه تغيير ذلك، فالجواب: أنه إنما كلفه الحب الشرعي، وهو إيثاره على النفس، وتقديم أوامره على مراداتها، فأمَّا الحبّ الطبيعي فلا"[٣].

معنى كلامه رحمه الله، أنَّ الواجب على المؤمن محبةَ النبي ﷺ محبةً يقدِّمُها على نفسه وأهله، وأن يقيَ النبي ﷺ بنفسه وأهله، ولكن هذه المحبَّة قد يطغى عليها المحبَّة الطبيعية للإنسان لنفسه، فيفر منه عند رؤية الموت خوفاً على نفسه، فيكون مقصراً في محبة النبي ﷺ من الناحية الشرعية، وذلك بسبب طغيان المحبة الطبيعية عليها والله أعلم.

وهناك جواب ذكره العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، وإن كان ليس في مسألة المحبَّة، إلا أنَّها مثلها، يقول رحمه:" أمَّا النَّدم فإنَّه ليس من أفعال الإنسان الاختيارية، وإنَّما هو انفعال وتأثر نفساني، والانفعالات والتأثرات النفسانية ليست تحت قدرة البشر، وليست من عمل البشر باختيارهم حتى يطلق عليها أنَّها واجبة، ونحن نشاهد هذا... وترى الرجل – والعياذ بالله– إذا كان يعشق امرأةً جميلةً بارعةً في الجمال، إذا نال منها قبلة، إذا أراد أن يتندَّم يتخيَّلُ له خيالُ ذلك الجمال، فينبسط إليه قلبُه، ولا يستطيع النَّدم؛ فلذا كنَّا نُعَاين الرَّجلَ قد يريد أن يندم ولا يندم، وقد يريد أن لا يندم فيندم، فالنَّدم انفعال نفساني، وتأثرٌ ليس من الأفعال الاختيارية، فكيف نقول: إنَّه واجب، وإنَّه ركن للواجب؟ هذا السؤال الأول. والجواب عن هذا: هو ما حقَّقَه بعض العلماء من أنَّ الندم لا يعجز عنه الإنسان إلا إذا كان مسترسلاً مع النَّفس، محابياً لها فيما لا ينبغي؛ لأنَّ أسبابَ الندمِ قائمةٌ بكثرة، متوفِّرة

---

١. رواه البخاري برقم: (١٥)، ومسلم برقم: (٤٤).

٢. كشف المشكل (٢٣١/٣).

٣. كشف المشكل (١٦٨/٤).

كلَّ التوفر، ومن أخذ بالأسباب كان في استطاعته حصول المسبَّب، ذلك لأنَّ عامَّة العقلاء يُطْبِقون على أنَّ الإنسان إذا قُدِّمَ إليه شراب في غاية الحلاوة واللذاذة، لا يوجد شراب أحلى منه، ولا ألذَّ، إلا أنَّ هذا الشراب فيه سمٌّ قاتل فتَّاك، فعامة العقلاء لا يَسْتَحْلُون حلاوة هذا الشراب، ولا يَلْتَذُّون بلذَّته؛ لِما فيه من السمِّ القاتل الفتاك، وحلاوة المعاصي – أعاذنا الله والمسلمين منها – تنطوي على السمِّ القاتل الفتاك، وهو سخط ربِّ العالمين وغضبه جلَّ وعلا؛ لأنَّ الإنسان لا يدري إذا سَخِط عليه ربُّه أن يهلكَه في وقته، ثمَّ يجعله في عذاب، فإذا عرف الإنسان أنَّ حلاوةَ المعاصي تنطوي على السمِّ القاتل الفتاك من سخط ربِّ العالمين، وألزَمَ نفسه بالحقائق، وعرف أنَّه تعرَّض لسخط خالق السماوات والأرض بلذَّةٍ فانيةٍ، تنطوي على السمِّ الفتَّاك من سخط ربِّ العالمين، فالعاقل إذا أخذ هذه الأسبابَ على حقيقتها، ولم يُجامِل نفسه، ولم يُحَابِها، لا بدَّ أن يندم، فبسبب كون أسبابِ الندم متيسرةٌ، متوفِّرةٌ قائمةٌ، وأنَّ من أخذ بالأسباب غالباً يحصل المسبَّب، من هنا قيل: إنَّ النَّدمَ واجبٌ مِن هذه الحيثية"[1]. وكذلك حبُّ النبي ﷺ واجبٌ من حيث أنَّ حبَّه وتقديمَه على النَّفس يكون سبباً للفوز بالدنيا والآخرة، وأنَّ من قدَّم حبَّ نفسه على حبِّ رسول الله ﷺ فإنَّه يتعرَّض لسخط الله وغضبه، هذا وإن كان الإنسان يُحِبُّ نفسه، إلا أنَّه يجب عليه أن يتعاطى أسباب حبِّ رسول الله ﷺ.

وإن كان ما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله في مسألة النَّدم يختلف نوعاً عن مسألتنا، وذلك من جهة أنَّ النبي ﷺ تحبّه النُّفوس، وتفديه المهج ابتداءً.

ومن جميل ما ذكر ابن الجوزي رحمه الله في محبَّةِ النبي ﷺ قوله رحمه الله:"تحركتْ لتعظيمه السواكن، فحنَّ إليه الجذع، وسبَّح الحصى، وتزلزلَ الجبل، وتكلَّم الذِّيب، كلٌّ كنَّى عن شوقه بلغاته"[2].

ويقول أيضاً معبراً عن حبِّه للنبي ﷺ:"فصاح لسانُ الشَّوق، نظرةً من محمد، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها. هذا مذهبُ المحبين إجماعاً من غير خلاف.

ولو قِيلَ للمَجْنون ليلى ووصلَها******تُريدُ أم الدُّنيا وما في خباياها

---

١. العذب النّمير (١/٣٤٨-٣٤٩).

٢. المدهش (١٤٢).

لَقَالَ ترابٌ مِنْ غُبارِ نعالها******أَلذُّ إلى نَفسي وأَشْفى لبلواها"[1].

ويُعلِّق على مواقف حبِّ الصحابة لرسول الله ﷺ، فيقول:"قطَّعتْ قريشٌ لحمَ خُبيب، ثمَّ حملوه إلى الجذع ليصلب، فقالوا أتحبُّ أنَّ محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحبُّ أنِّ في أهلي وولدي، وأنَّ محمداً شيك بشوكة، ثمَّ نادى وامحمداه[2]

إنَّ في الأسرِ لَصَبا******دمعةٌ في الخدَّ صبّ

هو بالروم مقيمُ******وله بالشَّام قلبُ

لما بعث معاذ إلى اليمن، خرج الرسول يودِّعُه، ودموعُ معاذٍ تَرُشُّ طريق الوداع

ولـمَّا تَزايلْنا مِن الجزعِ وانتَأَى ****** مشرقُ ركبٍ مصعد عن مغرب

تبيَّنتُ أن لا دَارَ من بعد عالجٍ ****** تُسَرُّ وأن لا خُلَّةً بعد زينب"[3].

---

١. المدهش (١٧٧).

٢. طبعا لم يقل خبيب رضي الله عنه ما ذكره المصنف من قوله (ثم نادى و امحمداه) وإنَّما الذي ذكرته كتب السيرة قوله (اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا) سيرة ابن هشام (١٧٣/٢). وقد روى البخاري قصة خبيب رضي الله عنه ولم يذكر ما قال. يُنظر: الفتح (٣٨٣/٧).

٣. المدهش (٢٤٣).

المطلب السابع: الإسراء والمعراج:

إنَّ الحديث عن الإسراء والمعراج، هو من مباحث السيرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، ولكن سأتناول الحديث عن مسألةٍ لها علاقةٌ بمبحث الاعتقاد، وهي هل وقع الإسراء والمعراج بروحه وجسده يقظةً؟ أم أنَّها كانت بروحِه دون جسده، أي أنَّها في المنام، لا في اليقظة؟.

يقول رحمه الله:"وقد زعم قومٌ أنَّ المعراج كان مناماً. ويرُدُّ قولهم أنَّ المشركين أنكروا عليه ما قال، ولو كان مناماً لم ينكرْه أحد"[1]. فهو يرى أنَّ الإسراء كان بالروح والجسد، وأنَّه لم يكن في المنام.

ولهذا فهو يذكر خلاف المفسرين، هل كان الإسراء من نفس المسجد، أم من بيت أم هاني[2]؟ ثمَّ يذكر اختلاف العلماء هل دخل المسجد الأقصى أم لا[3]؟ مما يدُلُّ على أنَّه يرى أنَّ الإسراء والمعراج بالروح والجسد معاً.

ثم نراه يورد إشكالاً، فيقول رحمه الله:"فإن قيل: ما معنى قوله:﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾الإسراء:١ وأنتم تقولون: صعد إلى السماء؟ فالجواب: أنَّ الإسراء كان إلى هنالك، والمعراج كان من هنالك.

وقيل: إنَّ الحكمة في ذكر ذلك، أنَّه لو أَخبر بصعوده إلى السماء في بدء الحديث لاشتدَّ إنكارهم، فلمَّا أخبر بيت المقدس وبان لهم صدقَه فيما أخبرهم به من العلامات الصادقة، أخبرَ بمعراجه"[4].

فعرضه لهذه المسائل وذكره لها، يدُلُّ دلالةً واضحةً أنَّه يرى بأنَّ الإسراء والمعراج كان بروحه وجسده عليه الصلاة والسلام.

---

١. التبصرة (٤٢/٢).

٢. زاد المسير (٤/٥).

٣. زاد المسير (٥/٥).

٤. زاد المسير (٥/٥).

ثمَّ يحكى أقوال العلماء، هل الرؤية في قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ﴾ الإسراء: ٦٠ في اليقظة أم في المنام؟ ويرجِّح بأنَّ الرؤية بصريَّةً[١]، أي: إنَّها يقظة، فهذا دليلٌ آخر بأنَّ الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد، حيث رجَّح كون الرؤية بصريَّة وليستْ قلبيَّة.

وما قرَّره من إعراجه ﷺ في اليقظة، هو ما عليه أهل السنَّة والجماعة.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:"وقد دلَّت الأحاديث المذكورة على أنَّ الإسراء والمعراج كليهما بجسمه وروحه، يقظةً لا مناماً، كما دلَّتْ على ذلك أيضاً الآيات التي ذكرنا. وعلى ذلك من يُعتدُّ به من أهل السنَّة والجماعة، فلا عبرة بمَنْ أنكر ذلك مِن الملحدين"[٢].

---

١. يُنظر: مسألة رؤية النبي ﷺ لربه .

٢. أضواء البيان (٣/٣٥٨).

المطلب الثامن: رؤية النبي ﷺ لربّه:

من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنَّة، مسألة رؤية النبي ﷺ لربّه ليلة الإسراء والمعراج.

وقد وقع الخلاف في هذه المسألة على ثلاثة أقوال[1]:

القول الأول: أنَّه رآه مطلقاً، وهذا محكيٌّ عن ابن عباس وأنس وأبي هريرة رضي الله عنهم.

القول الثاني: من قيَّد الرّؤيا بالقلبية، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

القول الثالث: من نفى الرؤيا، وهو قول عائشة رضي الله عنها.

فهذه أقوال الصحابة في مسألة رؤية النبي ﷺ ربَّه، وعند التأمّل في هذه الأقوال، نجد أنَّه لا خلاف بينهم في هذه المسألة، فما ورد من أنَّه ﷺ رآى ربَّه، يحمل على الرؤية القلبية، ويبقى ما ورد من نفي الرؤية على إطلاقه.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله:"التحقيق الذي دلَّت عليه نصوصُ الشرع، أنَّه ﷺ لم يرَهُ بعَيْنِ رأسه. وما جاء عن بعض السلف من أنَّه رآه: فالمراد به الرّؤية بالقلب"[2].

ويدل على ذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه في مسلم، حينما سأل النبي ﷺ عن رؤيته لربّه، فأجابه ﷺ بقوله:((نورٌ أنَّى أراه))[3] وفي رواية أخرى ((رأيتُ نوراً))[4]، أي أنَّ الذي منعني من رؤيته سبحانه، هو النور الذي هو حجابه سبحانه وتعالى.

وقد تكَّلم ابن الجوزي رحمه الله في هذه المسألة، يقول رحمه الله:"يا محمد منعتُ الكليمَ من رؤيتي، حتى لا يسبقك أحدٌ بالنظر إليَّ ...ولك-أي يا محمد- النَّظر إليَّ، بحضرة القرب على بساط النُّور"[1].

---

١. يُنظر: هذه الأقوال ونسبتها لأصحابها كتاب رؤية النبي لربه، ، د.محمد بن خليفة التميمي (١٠-١٨).

٢. أضواء البيان (٩/٣).

٣. رواه مسلم برقم: (٢٩١).

٤. رواه مسلم برقم: (٢٩٢).

١. المنظوم والمنثور (٢٧٦). ويُنظر نفس المصدر: (٧١٨).

وفي تذكرة الأريب يرجِّح تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:﴿ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾النجم:١٣ فيقول:"قال ابن عباس رأى محمدٌ ﷺ ربَّه، وذلك أنَّه لما عاود لأجل الصلوات رآه مرةً أخرى"[١].

ويجيب على قول ابن عباس رضي الله عنهما بأنَّها رؤية قلبية، بأنَّ هذا "رأيٌ من ابن عباس، حَمَل فيه الحقيقةَ على المجاز؛ لأن الرّؤيا إذا أُطلقت فحقيقتها بالبصر"[٢].

ويجيب كذلك على قول عائشة رضي الله عنها: من حدَّثك أنَّ محمَّداً رأى ربَّه فقد كذب، بثلاثة أوجه:

"أحدها: أنَّه رأيٌ لا رواية، ومثل هذا لا يرجع فيه إلى رأي صحابي ينفردُ به.

والثاني: أنَّه نفيٌ، والإثبات مقدم...

والثالث: أنَّ هذا أمرٌ ما كانت عائشة في زمنه عند الرسول ﷺ، فإنَّه إنَّما رأى ربَّه في ليلة المعراج، والمعراج كان قبل الهجرة، وعائشة إنَّما زُفت إلى رسول الله ﷺ سنة اثنتين من الهجرة وهي بنت تسع سنين"[٣].

ثمَّ نراه يتطرَّق لحديث أبي ذر رضي الله عنه المتقدِّم، فيقول:"ذكره أبوبكر الخلال في كتاب العلل عن أحمد بن حنبل، أنَّه سأل عن هذا الحديث، فقال: ما زلتُ منكراً لهذا الحديث، وما أدري ما وجهه.

وذكر أبو بكر محمد ابن إسحاق ابن خزيمة في هذا الحديث تضعيفاً، فقال: في القلب من صحة هذا الخبر شيءٌ ،لم أرَ أحداً من علماء الأثر فطن لعلَّةٍ في إسناده، فإنَّ عبدالله ابن شقيق كأنَّه لم يثبت أبا ذر، ولا يعرفه بعينه واسمه ونسبه؛ لأنَّ أبا موسى محمد ابن المثنى حدثنا قال حدثنا معاذ ابن هشام قال حدثني أبي عن قتادة عن عبدالله بن شقيق قال:

---

١. (١٨٦/٢) يُنظر: تفسير زاد المسير، حيث حكى الأقوال ولم يرجِّح (٦٨/٨).

٢. كشف المشكل (٤٥٢/٢).

٣. كشف المشكل (٣٦٢/٤).

أتيتُ المدينة فإذا رجلٌ قائمٌ على غرائر سود يقول: ألا ليبشُر أصحاب الكنوز بكَيٍّ في الجِباه والجنوب. فقالوا: هذا أبو ذر. فكأنَّه لا يثبته ولا يعلم أنَّه أبو ذر"[١].

ويجيب رحمه الله بجوابٍ آخر بأنَّ أبا ذر رضي الله عنه أسلم قديماً، ثمَّ رجع إلى قومه، وقدم المدينة بعد الخندق، فيحتمل أنَّه سأل رسول الله ﷺ حين إسلامه أي قبل المعراج[٢].

وبهذا العرض لكلام ابن الجوزي رحمه الله تعالى ، يتبيَّن لنا أنَّه يذهب إلى قول من يقول بأنَّ النبيَّ ﷺ رأى ربَّه.

وبناءً على ما تقدم يلاحظ ما يلي:

الأول: جوابه عن قول ابن عباس رضي الله عنهما بأنَّها قلبية، بأنَّ هذا رأيٌ وحمل للحقيقة على المجاز. فيُقال بأنَّ الراوي أدرى بما روى، وأنَّه ينبغي حمل المقيد على المطلق، كما هو معلوم في الأصول.

الثاني: ما أجاب به عن حديث عائشة رضي الله عنها بقوله "رأيٌ لا رواية"، فيجاب بأنَّ هذا ممَّا له حكم الرفع، ولا مجالَ للرأي فيه.

وقوله بأنَّ الإثبات مقدَّمٌ على النفي، أو كما يقال من حفظ حجَّة على من لم يحفظ، فيقال: إنَّ هذا القول لا يتأتى في هذه المسألة؛ لأنَّ عائشةَ سألت النبيَّ ﷺ، وأخبرها بأنَّه لم يراه.

وقوله أنَّ عائشة رضي الله عنها لم تكن عند النبي ﷺ في زمنه،فيجاب عنه من أوجه:

١. يلزم منه أن تُردَّ أحاديث عائشة رضي الله عنها التي لم تحضرها، مثل حديث بدء الوحي في أوَّل البخاري ولا قائل بذلك.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وأهل العلم بالحديث اتّفقوا على صحة ما رواه أنس وابن عمر وإن كانا لم يشهدا بدرا"[١].

١. كشف المشكل (٣٧١/١-٣٧٢).

٢. كشف المشكل باختصار (٣٧٢/١-٣٧٣).

١. الفتاوى (٢٩٧/٤).

٢. أنَّ حديث عائشة في صحيح مسلم، وفيه أنَّها قالت: أنا أوَّلُ هذه الأمة سَأل رسول الله ﷺ، أي عن قوله تعالى:﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾النجم:١٨، وقوله ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾النجم:١٣فقال ﷺ:((إنَّما هو جبريل، لم أرَه على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرَّتين))[١]. فبيَّنت هذه الرواية أنَّ المراد بهذه الرؤية، هي رؤية جبريل عليه السلام.

وأمَّا تضعفيه لحديث أبي ذر رضي الله عنه، فقد أخرجه مسلم في صحيحه[٢]، وصحَّحه الإمام أحمد كما روى ذلك أبو عوانة في مستخرجه[٣].

وبناءً على ما تقدَّم، يتبيَّن أن ما أجاب به ابن الجوزي رحمه الله على أدلّة من نفى الرؤية ليس بجيد، وأنَّ الصحيح أنَّه ﷺ لم يرَ ربَّه بالعين البصرية والله أعلم.

وبهذا يترجَّح والعلم عند الله أنَّ رؤية النبي ﷺ لربِّه ليلة الإسراء والمعراج، رؤيا قلبية لا رؤيا بصرية، حيث لم يثبتْ دليلٌ على ثبوته، وهو أمرٌ يحسن ذكره بل تواتره، فكونه لم يُروَ ولا في حديثٍ واحدٍ، دليلٌ على عدم ثبوته والله أعلم.

إضافةً أنَّه لم يثبت عن واحد من الصحابة إثبات الرؤيا البصرية، ما يدلُّ على عدم صحتها، بل الوارد إمَّا النفي مطلقاً، أو إثبات الرؤيا القلبية.

أضف إلى أنَّ الإمام أبو سعيد الدارمي رحمه الله قد نقل الإجماع على منع الرؤيا لله في الدنيا، فقال:"وأنتم وجميع الأمَّة تقولون به، أنَّه لم يرَ ولا يُرى في الدنيا"[١]. ممَّا يدل على عدم وجود خلاف بين الصحابة في هذه المسألة، وأنَّ هذا هو التحقيق في هذه المسألة كما يقول شيخ الإسلام:"وليس في الأدلَّة مايقتضي أنَّه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحدٍ من الصحابة،ولا في الكتاب والسُّنة ما يدلُّ على ذلك؛بل النُّصوص الصحيحة على نفيه أدلّ"[٢].

---

١. رواه مسلم برقم: (٢٨٧).

٢. تقدَّم قبل قليل.

٣. (١٤٧/١). يُنظر الكلام في تخريج الحديث (١٧٠) حاشية رقم (١) من كتاب نقض عثمان بن سعيد.

١. الرد على الجهمية (١٢٤/١). يُنظر: مجموع الفتاوى (٥٠٧/٦).

٢. مجموع الفتاوى (٥٠٩/٦-٥١٠).

المطلب التاسع: فضله ﷺ على الأنبياء:

يقول ابن الجوزي رحمه الله في مقدِّمته لكتابه الوفا:"اعلموا رحمكم الله، أنَّ سيدنا رسولَ الله ﷺ خلاصةُ الوجود، وواسطةُ العقود، لايداني باحةَ مجدِهِ بشرٌ ولا مَلَكٌ... وتقدَّم على جميع الأنبياء في رتبته"[1].

ثمَّ عقد بابا في كتابه الوفا، فقال رحمه الله:"الباب الأول: في ذكر فضله على الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

اعلم أنَّ الله تعالى أنشأَ النفوس مختلفةً، فمنها الغاية في جودة الجوهريَّة، ومنها الكَدِر، وفي كلِّ رتبةٍ درجات.

فالأنبياء هم الغاية، خُلقتْ أبدانُهم سليمةً من العيب، فصَلُحَت لحلول النفوس الكاملة،ثمَّ يتفاوتون.

فكان نبيُّنا ﷺ أصحَّ الأنبياء مزاجاً، وأكملَهم بدناً، وأصفاهم روحاً، وبمعرفة ما نذكره من أخلاقه وصفاته يَبِيْنُ ذلك، ولذلك قدَّمه الله عزَّ وجلَّ على الكُلِّ، فمن ذلك خَلْقُ نفسه قبل خَلق نفوسهم[2].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :((كنتُ أول النبيين في الخلق، وآخرهم فِي البعث))[3]"[4].

ثمَّ ذكر أحاديث عدة في فضله عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: وأخَّرتُ الثالثة- أي المسألة والدعوة المستجابة- ليوم يرغب فيه إليَّ الخلق كلهم، حتى إبراهيم صلوات الله عليه[1]"[2].

---

١. الوفا بأحوال المصطفى١. يُنظر::صيد الخاطر (٣٩٢)، كشف المشكل (٧٠/٢)، زاد المسير (٥٠٥/٤)، المنظوم والمنثور (٢٠٤- ٢٠٥). وللعزِّ بن عبدالسلام رحمه الله رسالة في هذه المسألة بعنوان (منية السول في تفضيل الرسول).

٢. وهذا من الغلو فيه ﷺ، إذ أول الخلق من البشر هو آدم عليه السلام بإجماع المسلمين، والقول بأنَّ نبينا ﷺ أول الخلق، قول باطل لا مستند له.

٣. رواه الطبراني في مسند الشاميين (٣٤/٤-٣٥) برقم: (٢٦٦٢)، والبغوي في تفسيره (٥٠٨/٣). يقول الشوكاني:"وقال الصغاني هو موضوع وكذا قال ابن تيمية" الفوائد المجموعة (٣٢٦).

٤. الوفا (٣٦٢-٣٧١)، حيث ذكر ستة وعشرين حديثا.

١. رواه مسلم برقم: (٨٢٠).

٢. الوفا: (٣٦٧).

ويقـول أيضـاً:"فهو أولُ النَّـاس خروجـاً إذا بُعِثـوا، وخطيـب الخلائـق إذا وَفَـدوا، ومُبشِّـرَ القوم إذا يئسوا، الأنبياء قد سكتوا لنطقه، والأملاك قد اعترفوا بحقِّه، والجنَّة والنار تحتَ أمرِه، والخزان داخلون في دائرةِ حكمه، وكلام غيره قبل قوله لا ينفع، وجواب الحبيب له قل تُسمع، فسبحان من فضَّله من الفضائل ما فضله، وكسب من حلل الفخر الجمِّ ما جمَّله، جمع الله بيننا وبينه في جنَّته، وأَحْيَانَا على كتابه وسنَّته"[1].

وما ذهب إليه رحمه الله من أنَّ النبي ﷺ أفضل الأنبياء، قد أجمعت الأمة عليه.

قـال القاضـي عيـاض رحمـه الله:"تقرَّر مـن دليـلِ القـرآن، وصـحيحِ الأثـر، وإجمـاعِ الأمـة، كونَه أكرمَ البشرِ، وأفضلَ الأنبياء"[2].

يقول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله:"وليلةُ المعراج رفع الله درجته فوق الأنبياء كلِّهم، فكـان أحقَّهـم بقولـه تعـالى:﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ** ﴾ البقرة:٢٥٣ إلى غير ذلك من الدلائل، كلٌّ منهم يأتيه الوحيُ من الله، لاسيَّما محمـد ﷺ، لم يكـن في نبوتـه محتاجـاً إلى غـيره، فلـم تحـتج شـريعتُه إلى سـابق ولا إلى لاحق؛ بخلاف المسيح أحالهم في أكثر الشريعة على التوراة، وجاء المسيح فكمَّلها"[3].

ثم تطرَّق ابن الجوزي رحمه الله للجواب عـن إشكال مشـهور فيقول:"وقوله:((أنـا سيد ولد آدم))[4] أي: أنـا المقدَّم عليهم. إن قيل: كيف الجمع بين هـذا وبين ((لا تفضلوني على يونس))[1]؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون نهيُه عن تفضيله قبل إعلامه بأنَّه سيد ولد آدم.

والثاني: أن يكون عَلِمَ، غير أنَّه نُهِيَ عن تفضيله على يونس لثلاثة أشياء:

---

١. المدهش (١/١٢٥).

٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٠٦). يُنظر: منهاج السنة (١/٥٢٤) ، (٢/٤٤٤-٤٤٥).

٣. مجموع الفتاوى (١١/٢٢٤).

٤. رواه مسلم برقم: (٢٢٧٨).

١. هكذا ذكره ابن الجوزي رحمه الله، ولم يثبت بهذا اللفظ، وإنما الثابت في كتب السنة، قوله ﷺ:((لا ينبغي لعبد أن يقول:أنا خير من يونس بن متى)) وقد رواه البخاري برقم: (٣٤١٦)، ومسلم برقم: (٢٣٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:"فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها" شرح الطحاوية (١/١٦١).

أحدها: أنَّ في تفضيل شخصٍ على شخصٍ نوعُ نقصٍ للآخر، والمعنى: قولوا ما قيل لكم، ولا تخبروا برأيكم. وليس المراد أن لا تعتقدوا تفضيلَ قوم على قوم، قال الله تعالى﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾البقرة:٢٥٣ .

والثاني: أن يُفضَّل عليه في صبره ومعاناة قومه، فإنَّ نبينا عليه الصلاة والسلام لم يفضل الأنبياء بمعاناة قومه، بل بموهبة الله عزَّ وجلَّ له الفضل.

الثالث: أن يكون دلَّ الناس على التواضع؛ لأنَّه إذا تواضع هو مع شرفه فغيره أولى بذلك.

والوجه الثالث من الجواب:أنَّ السيادة التقدُّم، فأشار بتقدمِّه في القيامة بالشفاعة على الخلق، ولم يتعرَّضْ بذكر فضلٍ"[١].

ومسألة المفاضلة بين الأنبياء، تكلَّم فيها العلماء وأسهبوا فيها[٢]،والراجح والله أعلم أنَّه ليس ثمَّ تعارض، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله:"وعندي أنَّه لا تعارض بين القرآن والسنة، فإنَّ القرآن دلَّ على أنَّ الله فضَّل بعض أنبيائه على بعض، وذلك لا يستلزم أنَّه يجوز لنا أن نفضِّل بعضهم على بعض، فإنَّ المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله، لا تخفى عليه منها خافية، وليست بمعلومةٍ عند البشر، فقد يجهل أتباع نبيٍّ من الأنبياء بعض مزاياه وخصوصياته فضلا عن مزايا غيره، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلا وهذا مفضولا، لا قبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلِّها، فإنَّ ذلك تفضيل بالجهل، وإقدامٌ على أمرٍ لا يعلمُه الفاعل له وهو ممنوع منه، فلو فرضنا أنَّه لم يرد إلا القرآن في الإخبار لنا بأنَّ الله فضَّل بعض أنبيائه على بعض، لم يكن فيه دليلٌ على أنَّه يجوز للبشر أن يُفضِّلوا بين الأنبياء، فكيف وقد وَرَدَتْ السنَّةُ الصحيحةُ بالنَّهي عن ذلك؟ وإذا عرفت هذا، علمتَ أنَّه لا تعارض بين القرآن والسنَّة بوجهٍ من الوجوه، فالقرآنُ فيه الإخبار من الله بأنَّه فضَّل بعض أنبيائه على بعض، والسنَّة فيها النَّهي لعباده أن يفضِّلوا بين أنبيائه، فمن تعرَّض للجمع بينهما زاعماً أنَّهما متعارضان، فقد غلط غلطا بينا"[١].

---

١. كشف المشكل (٣/٤٦٦-٤٦٧). يُنظر: أيضاً كشف المشكل (٢/٦١).

٢. يُنظر: الشفا (٣٠٦-٣١٠)، تفسير ابن كثير (١/١٦٧)، القرطبي (١/٢٦٢-٢٦٣)، أضواء البيان(١/١٥٦-١٥٧)، والأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم من خلال الكتب التسعة (٤٤-٥١).

١. فتح القدير (١/٣٠٨-٣٠٩).

ثمَّ نناقش ابن الجوزي رحمه الله في قوله المتقدم بأنَّ نبيَّنا ﷺ فُضّل "بموهبة الله عزَّ وجلَّ له الفضل" وهل تفضيل الله لنبيِّه ﷺ على الأنبياء، بموهبةٍ منه سبحانه وتعالى، أم بما خصَّه الله من الفضائل؟.

فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يخالف ذلك، وأنَّ التفضيل بما مُنِحَ مِنْ الفضائل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:إنَّ الله فضَّل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قيل له فما فضَّله على الأنبياء؟ قال :إنَّ الله تعالى يقول:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾إبراهيم:٤، وقال لمحمدٍ ﷺ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ سبأ:٢٨، فأرسلَه إلى الإنس والجنِّ[١].

ويؤيِّدُه قوله عليه الصلاة والسلام ((فُضِّلت بستٍّ...))[٢] الحديث، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ الله فضَّله على غيره من إخوانِه الأنبياء بأمورٍ منها هذه الأربعة[٣].

يقول العزُّ بن عبدالسلام رحمه الله – بعد ذكره لخصائص النبي ﷺ-:"وهذه الخصائص تدُلُّ على علوِّ مرتبتِه على آدم وغيرِه، إذ لا معنى للتفضيل إلا التَّخصيص بالمناقب والمراتب"[٤].

---

١. رواه ابن أبي حاتم في تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٣٤/٧) من غير إسناد، وذكره ابن كثير في تفسيره مسنداً إليه (٥١٨/٦) وصحَّحه، ورواه الحاكم في المستدرك (٣٥٠/٢) وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد، فإنَّ الحكم بن أبان قد احتجَّ به جماعة من أئمة الإسلام، ولم يخرِّجْه الشيخان". ووافقه الذهبي رحمهما الله.

٢. رواه مسلم برقم: (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣. يُنظر: مجموع الفتاوى (٢٢٥/١١)، أضواء البيان (١٥٦/١-١٥٧).

٤. منية السول في تفضيل الرسول (١٩).

المطلب العاشر: ميراثه ﷺ:

إنَّ مسألةَ ميراثِ النبي ﷺ قد تكون من مباحث خصائصه ﷺ[1].

وأحببتُ ذكرَها هنا لخلافِ أهلِ السنَّة والجماعة مع الرَّافضة في هذه المسألة.

وقد تطرَّق ابن الجوزي رحمه الله لهذه القضية، يقول في تفسير قوله تعالى:﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾النمل:١٦:"أي: ورَّثَ نبوتَه وعِلمَه ومُلكَه، وكان لداودَ تسعةَ عشرَ ذكراً، فخصَّ سليمانَ بذلك، ولو كانت وِراثةُ مالٍ، لكانَ جميعَ أولادِهِ فيها سواء"[2].

ويقول في تفسير قوله تعالى عن نبيِّه زكريا عليهم السلام:﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾مريم:٦:"والصحيح: أنَّه لم يُرِدْ من المال، لوجوه:

أحدها: أنَّه قد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال:((نحن معاشرَ الأنبياءِ لا نورَثُ، ما تركناه صدقةٌ))[3]"[4].

وما ذكره رحمه الله هو ما عليه المسلمون عامة.

قال الذهبي رحمه الله:"قلنا جميع المسلمين مع أبي بكر فيما فعل، خلا جهلة الشيعة[5]، وذلك لروايةِ جماعةٍ من الصحابة عن النبي ﷺ أنَّه قال لا نورَثُ"[1].

يقول العلامة الشوكاني رحمه الله:"قوله:((لا نُورَثُ)) بالنون، وهو الذي توارد عليه أهل الحديث في القديم والحديث كما قال الحافظ في الفتح. ((وما تركناه)) في موضع الرفع بالابتداء، و((صدقةٌ)) خبرُه.

---

١. يُنظر: روح المعاني:(٤/٢١٧-٢٢٠)، فتح الباري (١٢/٧).

٢. زاد المسير (٦/١٥٩).

٣. رواه البخاري برقم: (٣٠٩٣-٣٠٩٤)، ومسلم برقم: (١٧٥٨).

٤. زاد المسير (٥/٢٠٩).

٥. هم الذين شايعوا عليّاً رضي الله عنه، وقالوا بإمامته وخلافته، وجعلوها في ذريته من بعده، وأنهم معصومون. وأصولهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية، ثمَّ أصبحوا فرقاً كثيرة. ومعتقدهم، فبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السُّنَّة، وبعضهم إلى التشبيه. الملل والنحل (١/١٤٦)، دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين (١٥١).

١. المنتقى من منهج الإعتدال (٣٤٥).

وقد زَعَمَ بعضُ الرَّافضة أنَّ (لا نورث) بالياء التَّحتانيَّة، و(صدقة) بالنَّصب على الحال، وما تركناه في محلٍّ رفعٍ على النِّيَابة، والتقدير: لا يُورث الذي تركناه حال كونه صدقة، وهذا خلافُ ما جاءت به الروايةُ ونقلَه الحفَّاظُ، وما ذلك بأولِّ تحريفٍ من أهلِ تلك النِّحلة.

ويوضِّح بطلانُه،ما في حديث أبي هريرة المذكور في الباب بلفظ:((فهو صدقةٌ))[1]، وقوله:((لا تَقتَسِمْ ورثتي ديناراً))[2]، وقوله:((إنَّ النبيَّ لا يُورَث))[3]. ومما ينادي على بطلانه أيضاً، أنَّ أبابكر احتجَّ بهذا الكلام على فاطمة رضي الله عنهما فيما التمسته منه من الذي خلّفه رسول الله ﷺ من الأراضي، وهما من أفصحِ الفصحاء وأعلمِهم بمدلولاتِ الألفاظ، فلو كان اللَّفظ كما تقرؤه الرَّوافضُ، لم يكنْ فيما احتجَّ به أبو بكر حجةً، ولا كان جوابُه مطابقاً لسؤالها"[4].

ويقول الشيخُ الخضري[5] صاحب حاشية ابن عقيل عليهما رحمة الله:"((ما تركنا)) مبتدأ، خبره ((صدقةٌ)). وقال الشيعة: (ما) مفعول نُورَث، و(صدقةٌ) حال من مفعول تركنا، أي: لا نورث ما تركناه حال كونه صدقة، أي: بخلاف ما تركناه من غير الصدقة، فنورثه. وحملهم على هذا التحريف الباطل المخالف للرواية كما بينه علماء الحديث، اعتقادهم الفاسد ليتوصلوا به إلى الطعن في إمامة أبي بكر حيث منع فاطمة إرثها مستدلاً بهذا الحديث، والله سبحانه وتعالى أعلم"[1].

وقد عقد شيخ الإسلام رحمه الله فصلاً في منهاجه ذكر فيه كلام الرافضي وحجته، ثمَّ أجاب عليه من ثلاثة عشر وجهاً في ثلاثين صفحة تقريباً فرحمه الله رحمةً واسعة[2].

---

١. هذه اللفظة رواها البخاري برقم: (٣٧١٢) من حديث أبي بكر رضي الله عنه، ومسلم برقم: (١٧٥٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٢. رواه البخاري برقم: (٢٧٧٦)، ومسلم برقم: (١٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣. رواه الإمام أحمد برقم: (٦٠) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

٤. نيل الأوطار (٩٢/٦).

٥. محمد بن عبد الله الدمياطي ثمَّ المصري الشافعي الشهير بالخضري. له حاشية على شرح ابن عقيل لالفية ابن مالك في النحو شرح اللمعة في حل الكواكب السبعة لابن غلام الله.توفي سنة ١٢٨٨ هـ . هداية العارفين (٣٧٩/٦)، والأعلام (٣٢٢/٧)، ومعجم المؤلفين (٢٧/١٢).

١. حاشية الخضري (٨٦/٢).

٢. يُنظر: منهاج السنة النبوية (١٩٣/٤-٢٢٥).

الفصل الثالث: آراؤه في مسائل الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر والصحابة، وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان باليوم الآخر، وفيه تمهيد أربعة مطالب:

المطلب الأول: عذاب القبر ونعيمه، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

المسألة الثانية: عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن.

المسألة الثالثة: سماع الموتى في قبورهم.

المطلب الثاني: بعض أشراط الساعة. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: المسيح الدجال.

المسألة الثانية: الدخان.

المسألة الثالثة: طلوع الشمس من مغربها.

المطلب الثالث: البعث والنشور، وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بالبعث والنشور.

المسألة الثانية: البعث للروح والجسد.

المسألة الثالثة: حقيقة الصور وعدد النفخات فيه.

المسألة الرابعة: الحوض.

المسألة الخامسة: الميزان.

المطلب الرابع: الجنَّة والنار، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: خلق الجنَّة والنار ووجودهما.

المسألة الثانية: أبديتهما وخلودهما.

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان باليوم الآخر،وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

تمهيد: إنَّ باب الإيمان باليوم الآخر، من الغيبيات التي لا مَجال للعقل البشري الكلامَ فيها، بل على العبد الإيمانُ بما ثبتَ من ذلك، ولهذا فإنَّها مبنيَّةٌ على النَّص، وما على المسلم تُجاهها إلا الإيمان والتسليم بها، وذلك مثل علامات الساعة، والنَّفخ في الصور، والحشر، والميزان، وغيرها من المسائل التي عَلِمْناها بالنَّقل، ولا مجالَ للعقل فيها، وهذا في الجملة، وإلا فقد يدخل في هذا الباب الاستدلال العقليّ، كما ذكر الله في الاستدلال على البعث بقوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ يس:٧٨، وكذلك مسألة الثواب والعقاب، وأنَّ الله يجازي العباد على أفعالهم، إن حسناً فحسن، وإن سيئاً فسيء[1].

المطلب الأول: عذاب القبر ونعيمه، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه:

يقرِّر ابن الجوزي رحمه الله، ثبوتَ عذاب القبر ونعيمه، وأنَّ الإيمان به واجب، لورود الأدلَّةِ القطعيَّةِ الثبوت والدَّلالة على ذلك.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله:"واعلم أنَّ الإيمان بعذاب القبر واجبٌ؛ للأحاديث الواردة فيه، وهو مذكور في الصحيح من حديث أبي أيوب، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وجابر، وأنس، وعائشة، وأمِّ خالد[1]"[2].

ويتحدَّث عن عذاب القبر، مبيِّناً المنهج في التعامل مع مثل هذه النُّصوص، بحيث نؤمن بها، وإنْ لم نتصوَّر كيفيتها، وأنْ نُسلِّم بحقيقةِ كنهها، ومعرفتها لله عز وجل، فيقول:"وليس هذا بأولِ خبرٍ يجبُ علينا الإيمانُ به، وإنْ جهلنا معناه، فإنَّ عذابَ القبر ونعيمَه، وسؤالَ

---

١. يُنظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد (٥٥٨-٥٥٩).

١. أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص ،القرشية، الأموية، المكية، الحبشية المولد. صحابية بنت صحابي، وُلِدَت بأرض الحبشة، وتزوَّجها الزبير بن العوام، وعُمِّرت، يقول الذهبي رحمه الله:"وأظنها آخر الصحابيات وفاةً بقيت إلى أيام سهل بن سعد". سير أعلام النبلاء (٤٧١/٣) والإصابة في تمييز الصحابة (٥٠٦/٧).

٢. كشف المشكل (٨٤/٢-٨٥).يُنظر: زاد المسير (٢٢٩/٧).

منكر ونكير فيه حقٌّ، ولا يُطَّلع على حقيقة ذلك، ومتى ضاقتْ الحيل في كشف المشكلات للإحساس، لم يبقَ إلا فرض التسليم"[1].

فقوله رحمه الله"ومتى ضاقتِ ٱلحيل في كشف المشكلات للإحساس، لم يبقَ إلا فرض التسليم"يبيِّنُ رحمه الله المنهجَ الذي ينبغي أنْ يسير عليه المسلم، فيما ضاقتْ نفسه في معرفة حقيقته وكنهه، وأنَّ عليه أن يقف عند عتبة التسليم، ويقف عليها، ولا يتجاوزها. وهذا الذي ينبغي على المسلم فعله.

ولأهل القبلة في مسألة عذاب القبر ونعيمه قولان:

القول الأول: إنكار عذاب القبر، وإليه ذهبت الخوارج، وبعض المعتزلة[2].

القول الثاني: ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وهو ما دلَّ عليه الكتاب، وتواترتْ به السنة، من إثبات عذاب القبر ونعيمه.

يقول الله تعالى عن قوم فرعون:﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾غافر:٤٦، ففي هذه الآية دليلٌ ظاهر في عذاب قوم فرعون في قبورهم، وأنَّه إذا قامت القيامة دخلوا نار جهنَّم والعياذ بالله.

يقول الشوكاني رحمه الله:"وفي الآية دليلٌ على ثبوت عذاب القبر، ولا اعتداد بخلاف من خالف في ذلك، فقد تواترت به الأحاديث الصحيحة، ودلَّتْ عليه الآيات القرآنية"[1].

ومن السنة حديث البراء بن عازب رضي الله عنه المشهور الطويل، الذي رواه أحمد في المسند، وفيه ((فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما عِلْمُك؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله، فآمنتُ به وصدَّقت. فينادى منادٍ في السماء، أنْ صدق عبدي، فافرشوه من الجنَّة، وألبسوه من الجنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجنَّة، قال:فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدَّ بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيِّب الريح، فيقول: أبشر بالذي

---

١. كشف المشكل (٣/٣٨٣).

٢. يُنظر: مقالات الإسلاميين (٤٣٠)، الفصل لابن حزم (٤/٥٥-٥٦)، مجموع الفتاوى (٤/٢٦٣).

١. فتح القدير (١/١٥٩).

يسرك، هذا يومك الذي كنتَ توعد. فيقول له: منْ أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول:ربِّ أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي... الحديث))[1].

يقول ابن قتيبة رحمه الله:"قد تتابعت الروايات عن النبي ﷺ، من جهات كثيرة، بنقل الثقات أنه كان يتعوذ بالله من عذاب القبر"[2].

ويقول الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله:"والآثار في عذاب القبر، لا يحوط بها كتاب"[3].

وقد حكى الإجماع على ثبوت عذاب القبر غير واحد، يقول ابن قتيبة رحمه الله:"لأنّ أصحاب الحديث كلهم مجمعون على... وعلى الإيمان بعذاب القبر"[4].

ويقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله:"وأنَّ الكفار في قبورهم يعذَّبون. وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين"[5].

وبهذا يتبيَّن موقف ابن الجوزي رحمه الله في هذه المسألة، وأنَّه على ما عليه إجماع أهل السنَّة من إثبات عذاب القبر ونعيمه.

المسألة الثانية: عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن:

هذه المسألة من المسائل المتعلقة بعذاب القبر. وهل يقع العذاب على الروح والبدن، أم على الروح فقط؟ وقع فيها خلافٌ بين علماء المسلمين رحمة الله عليهم أجمعين، على ما سيأتي بيانه بمشئية الله.

يَعرِض ابن الجوزي رحمه الله المسألة على شكل سؤال، ثمَّ يجيب عنه، فيقول:"وقد سأل قوم فقالوا: أَهَلْ المعذَّبُ البدن أو الروح؟ فإن قلتم الروح، فالروح ليست في البدن المقبور، وإن قلتم البدن، فهو جماد.

---

١. رواه أحمد برقم: (١٨٥٣٤)، وأبوداود (٢٣٩/٤). وهو حديث صحيح مشهور من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

٢. تأويل مختلف الحديث (٣٦١)

٣. التمهيد (٢٥١/٢٢).

٤. تأويل مختلف الحديث (٦٤).

٥. الإبانة (١٥).يُنظر: رسالة إلى أهل الثغر (١٥٩)، مقالات الإسلاميين (٤٣٠).

فقد أجاب عنْ هذا أبو الوفاء بن عقيل فقال: الإيمان واجبٌ بالتعذيب من غير تفصيل، غيرَ أنَّ الذي يوجِبُه القياس، أنَّ التعذيبَ والتنعيمَ للأرواح التي أبدانها في القبور؛ لأنَّ الأرواح هي المقصود[1]، والبدن آلة. ويدلُّ عليه قوله تعالى:﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ ﴾النساء:٥٦، فأخبر بعلَّةِ التبديل. وفُهِمَ منْ ذلك أنَّ الجلود البالية لا تذوق العذاب؛ لعدم الإحساس.

فإن قيل: فكيف خُصَّ القبر بذلك؟ قلنا إنَّما عُرف بالقبر، والمراد صاحب القبر. ومن الجائز أنَّه عليه السلام أدرك تعذيب تلك الأرواح التي أبدانها في القبور. قال[2]: ومن الجائز أن يجعل بين البدن والروح نوع اتصال لا نعلمه، ومن الجائز أن يخلقَ الله عزَّ وجلَّ في البدن إدراكاً للتعذيب والتنعيم، كما يخلق في بعض الحجارة فتخشع، والله أعلم بحقيقة ذلك[3].

ولا يجوز أنْ يقال: إنَّما يكون ذلك وقت السؤال؛ فإنَّ الروح تُرَدُّ حينئذٍ، ويكون التعذيبُ والتنعيمُ في ذلك الوقت؛ لأنَّه أخبر في هذا الحديث أنَّ اليهود يعذَّبون في قبورهم، ولم يكن حينئذٍ وقتُ دفنهم"[4].

وبهذا التقرير الذي نقله ابن الجوزي رحمه الله عن أبي الوفاء ابن عقيل رحمه الله، فإنَّه يرى أنَّ العذاب حقٌّ، وإن جهلنا تفصيل ذلك، بحيث هل هو على الروح والبدن، أم على الروح فقط؟ ثمَّ يقرِّر ابنُ عقيل رحمه الله أنَّ العذاب على الروح، وأنَّ الأبدان التي تذوق العذاب تَبْلى، وعليه فلا تَحسُّ بالعذاب، مستدلاً بآية النساء؛ لأنَّ العذاب على الجلود، ولا جلود في القبر فتحسّ بالعذاب؛ لأنَّ الآية ذكرتْ أنَّ العذاب يكون على الجلود. ثمَّ يستدرك بأنَّه قد يكون هناك نوع اتصال بين الروح والبدن لا نعلمه، وأنَّه من الممكن أن يجعل الله في البدن–وإن بَليَ– نوعَ إدراكٍ للنعيمِ والعذابِ لا نعلمه. فنلاحظ مع تقريره بأنَّ العذاب على الروح فقط، أنَّه لا يمنع أن يكون هناك عذاب على البدن أيضاً، أو يكون هناك اتصال بين البدن والروح. ولعلَّ الذي جعله يميل إلى هذا، ما ثبت في بعض الأحاديث من إعادة الروح

١. هكذا في المطبوع، ولعلَّ الصواب (المقصودة) والله أعلم.

٢. أي: ابن عقيل.

٣. هنا انتهى النقل عن ابن عقيل والله أعلم.

٤. كشف المشكل (٨٥/٢).

إلى الجسد، ومن إثبات عذاب القبر على البدن، وذلك مثل قوله ﷺ:((فتعاد روحه في جسده))، وقوله ﷺ:((ثمَّ يقيَّض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة، لو ضرب بها جبل كان ترابا، فيضربه ضربة حتى يصير ترابا، ثمَّ يعيده الله كما كان، فيضربه ضربةً أخرى فيصيح صيحةً يسمعُه كلُّ شيءٍ إلا الثقلين))[1]، وقوله ﷺ في الكافر:((ثم يضيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه))[2]، وقوله ﷺ:((ثمَّ يضرب بمطارق من حديد بين أذنيه))[3]، ولهذا نجدُه لم يجزم بأنَّ النَّعيمَ والعذابَ على الروح دون البدن، والله أعلم.

وبالرجوع إلى نصوص ابن الجوزي رحمه الله الأخرى، نجده يقرِّر بأنَّ الجسد يبلى، وأنَّ العذابَ والنعيمَ على الروح فقط، ومن ذلك:

قوله رحمه الله ردَّاً لمن يتوهم أنَّ الموتى يأكلون في قبورهم:"أنَّ النَّفس تخرج بعد الموت إلى نعيم أو عذاب، وأنَّها تجد ذلك إلى يوم القيامة. فإذا كانت القيامة، أعيدت إلى الجسد ليتكامل لها التنعم بالوسائط"[4]، وقوله:"أنَّ هذا البدن ليس بشيء؛ لأنَّه مركَّبٌ تفكَّكَ ويَفسُد، وسيبنى جديداً يوم البعث، فلا ينبغي أن يتفكَّرَ في بِلاه، ولْتَسكن النفسُ إلى أنَّ الأرواح انتقلت إلى راحة، فلا يبقى كبير حزن، وأنَّ اللقاء للأحباب عن قرب. وإنَّما يبقى الأسف لتعلُّقِ الخلق بالصور، فلا يرى الإنسان إلا جسداً مستحسناً قد نقض، فيحزن لنقضه. والجسد ليس هو الآدمي، وإنَّما هو مركَّبه، فالأرواح لا ينالها البِلى، والأبدان ليست بشيء. واعتبر هذا بما إذا قلعتَ ضرسك، ورميتَه في حفرةٍ، فهل عندك خبرٌ ممَّا يلقى في مدَّة حياتك؟ فحكم الأبدان، حكم ذلك الضرس، لا تدري النفس ما يلقى. ولا ينبغي أن تختم بتمزيق جسد المحبوب وبلاه، واذْكُرْ تنعم الأرواح وقرب التجديد، وعاجل اللقاء"[1].

ويقول عن نهاية الإنسان:"فإنَّه يُلْقَى في التراب، فيأكله الدود ويصير رفاتاً تَسفيه السوافي، وكم يخرج تراب بدنه من مكان إلى مكان آخر، ويقلَّب في أحوال إلى أن يعود

١. جزء من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وتقدَّم تخريجه (٣٩٣).

٢. صحيح ابن حبان (٣٨٢/٧).

٣. رواه البخاري برقم: (١٣٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٤. صيد الخاطر (٥٠).

١. صيد الخاطر (٢٨٥-٢٨٦).

فيجمع. هذا خبر البدن، إنَّما الروح عليها العمل: فإن تجوهرت بالأدب، وتقوَّمت بالعلم، وعرفت الصالح، وقامت بحقِّه، فما يضرُّها نقضُ المركَّب"[1].

ويقول رحمه الله:"فصلٌ: وأمَّا قوله سيبلى هذا البدن. فجوابه: أنَّ البلاء المركَّب لا يضر الراكب، والنَّظر إلى ما يؤذي النفس وينفعها، فأمَّا نفس البدن فليس بشيء إنَّما هو له.

...عن خالد بن معدان قال لما قُتِلَ هشام بن العاصي[2] يوم أجنادين[3]، وقع على ثلمة[4] فسدَّها، وليس لهم طريق غيرها، فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يطؤها الخيل، فقال عمرو بن العاص: أيّها الناس إنَّ الله قد استشهده ورفع روحه، وإنَّما هو جثة فأوطئوه الخيل، ثمَّ أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه[5].

... عن منصور بن عبد الرحمن الحجبي عن أمِّه قالت:دخل ابن عمر المسجد وقد قُتل ابن الزبير، فمال إلى أسماء، فقال لها:اصبري، فإنَّ هذه الجثَّة ليست بشيء، وإنَّما الأرواح عند الله[1]. وكذلك روينا عن ابن الزبير أنَّه قال لأسماء قبل قتله:(يا أمَّاه إنِّي إن قُتِلت، فإنَّما أنا لحم لا يضرُّني ما صُنِع به)[2].

وإذا ثبت هذا، فإنَّ الحقَّ سبحانه أتلف هذا البدن الترابي المعرض للآفات، فإنَّه سيبدله ببدن لا يبلى، في حياةٍ لا تنفد"[3].

وعليه فإنَّه يتجلَّى بوضوح رأيه رحمه الله بأنَّ العذاب على الروح فقط، وأنَّ البدن مركَّب، وأنَّ العبرة بالراكب، وأنَّه سيبلى ولا يناله شيء من العذاب أو النعيم والله أعلم.

---

١. صيد الخاطر (٣٦٧).

٢. هشام بن العاصي بن وائل السهمي. قال ابن حبّان: كان يُكنَّى أبا العاص، فكنَّاه النبيّ ﷺ أبا مطيع. قتل يوم أجنادين رضي الله عنه. الإصابة (٤٢٣/٦).

٣. موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين. وهي من الرّملة من كورة بيت جبرين، كانت به وقعة، بين المسلمين والروم، مشهورة. معجم البلدان (١٠٣/١).

٤. وقع في الأصل (وقع عليه تلمة)، والصواب ما هو مثبت، وهكذا ذكره صاحب كتاب تسلية أهل المصائب نقلاً عن ابن الجوزي، يُنظر: تسلية أهل المصائب (٢٢٤).

٥. الطبقات لابن سعد (١٩٣/٤).

١. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٠٢/٦)، وَ(٤٧٢/٧).

٢. رواه الطبري في تاريخه (٥٣٩/٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣٥/٢٨).

٣. الثبات عند الممات (٦٤-٦٥).

ومع تقريره أنَّ العذاب والنعيم للروح فقط، فإنَّه يقرِّر أنَّ هذا النعيم والعذاب الذي ينال الروح، لا يكون إلا بواسطة، فيقول رحمه الله في كلامه عن حديث ((أرواح المؤمنين في حواصل طير))[1]:"دليل على أن النفوس لا تنال لذة إلا بواسطة، إن كانت تلك اللذة لذة مطعم أو مشرب، فأما لذات المعارف والعلوم، فيجوز أن تنالها بذاتها مع عدم الوسائط"[2].
فنلاحظ هنا أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى بأنَّ نعيم الروح يكون بواسطة، وهل هذه الواسطة هي البدن؟ لا،وإنَّما كما ورد في الحديث، بأنَّ أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر معلقة بالعرش، وأنَّ أرواح الكافرين في حواصل طير سود، والعياذبالله.
وللعلماء في هذه المسألة أقوال[3]:

القول الأول: أنَّ العذاب والنعيم على النفس والبدن، وهو قول جمهور العلماء[4].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"مذهب سلف الأمة وأئمتها، أنَّ الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأنَّ ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأنَّ الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمةً أو معذبةً، وأنَّها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب"[5].

ومن استدلَّ بأنَّ العذاب على الروح والبدن معاً، استدلَّ بأنَّ الروح تُعاد إلى الجسد، كما في حديث البراء بن عازب الطويل، وفيه ((قال: فتعاد روحه في جسده)) فهنا صرّح بإعادة الروح للجسد، وأنَّ الجسد له اتصال بالروح، وأنَّه يكون عليهما النعيم والعذاب.

واستدلوا كذلك بقوله ﷺ:((ويضيَّق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه))[1] وهذا كذلك صريح في أنَّ العذاب يقع على الأضلاع، باختلاف الأضلاع بعضها ببعض والعياذ بالله.

القول الثاني: أنَّ العذاب على الروح فقط، وهذا ما ذهب إليه ابن حزم[2] وابن عقيل وابن الجوزي رحمة الله على الجميع، واستدلوا بما يلي:

---

١. جزء من حديث رواه أحمد برقم: (١٥٧٧٦)، والترمذي برقم: (١٦٤١)، وابن ماجة (٤٦٦/١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٢. صيد الخاطر (٥٠).

٣. راجع هذه المسألة بمجموع الفتاوى (٢٦٢/٤)، (٢٨٢/٤)، والروح (٥١)، وفتح الباري (٢٣٥/٣).

٤. يُنظر: فتح الباري (٢٣٥/٣).

٥. مجموع الفتاوى (٢٨٤/٤).

١. جزء من حديث البراء بن عازب الطويل في صفة عذاب القبر، وقد تقدَّم.

٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥٦/٤).

الأول: ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما حينما دخل ابن عمر رضي الله عنهما المسجد، فأبصر ابن الزبير رضي الله عنهما مطروحاً قبل أن يُصلب، فقيل له: هذه أسماء بنت أبي بكر الصديق. فمال إليها فعزَّاها، وقال:(إنَّ هذه الجثث ليست بشيء، وإنَّ الأرواح عند الله)[1]، وكذلك ما قاله ابن الزبير رضي الله عنما لأمِّه:(يا أمَّاه، إنِّي إن قُتِلت، فإنَّما أنا لحمٌ لا يضرُّني ما صُنِع به)[2]. فهذه الآثار عن الصحابة رضوان الله عليهم، تدلُّ على أنَّ الجسد لا شيء، وأنَّ العبرة بعد الموت، بالأرواح لا بالأبدان.

الثاني: الذي ينظر في الأحاديث والآثار، يجدها تذكر أنَّ النعيم والعذاب على الروح فقط، يقول رسول الله ﷺ:((نسمة المؤمن طائر يَعْلَق في شجر الجنَّة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه))[3] يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:"قوله((يَعْلَق)) أي: يأكل، وفي هذا الحديث أنَّ روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنَّة"[4].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:أرواح آل فرعون في أجواف طير سود، يعرضون على النار كلَّ يومٍ مرتين، يقال لهم:هذه داركم فذلك قوله﴿ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾غافر:٤٦[1].

وعن ابن عباس، عن كعب، قال: جنَّةُ المأوى فيها طير خضر ترتقِي منها أرواح الشهداء تَسرَحُ في الجنَّة، وأرواح آل فرعون أُرَاهُ قال: في طيرٍ سودٍ تغدو على النَّار وتروح، وأنَّ أطفال المسلمين في عصافير في الجنَّة[2].

وعن هذيل قال: أرواح آل فرعون في جوف طير سود، تغدو وتروح على النار، فذلك عرضها[3].

١. رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/٦٩)، وابن حزم في الفصل (٥٧/٤).

٢. تقدم صفحة (٤٣٣).

٣. رواه مالك في الموطأ (٢٤٠/١)، وأحمد برقم: (١٥٧٧٧)، وابن ماجة (١٤٢٨/٢).

٤. تفسير ابن كثير (١٦٤/٢).

١. رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٢٢٢/٦).

٢. البعث والنشور للبيهقي (١٥٤)، والقضاء والقدر للبيهقي (٣٥٨).

٣. مصنف ابن أبي شيبة (٥٤/٧).

فتجد كلام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في عذاب القبر لقوم فرعون، متعلِّق بالروح لا بالبدن.

القول الثالث: أنَّه على البدن فقط، وبه قال ابن جرير رحمه الله وجماعةٌ من الكراميَّة[١].

والمتأمِّل للأحاديث التي استدلَّ لها القائلون بأنَّ العذاب على الروح والبدن، يجدها تذكر العذاب عند دفن الميت، فمثلاً الأحاديث التي ذكرتْ أنَّه يُضرب بمرزبَّة أو مطاريق من حديد، أو ما ورد من اختلاف أضلاعه، فكلُّها تحكِي حالةً واحدة من العذاب، وهي أول دخوله القبر، ولهذا لم يرد عنه ﷺ غير هذا الموضع، وكذلك لم يرد عنه عليه الصلاة والسلام شيءٌ في نعيم القبر يقع على البدن، بل الوارد في عذاب القبر، وفي أول دخوله للقبر، ممَّا يدلُّ – والله أعلم– على أنَّ العذاب على الروح فقط، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله بأنَّ:"الحياة في القبر للمسألة، ليست الحياة المستقرَّة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبيرِه وتصرُّفِه وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هي مجرد إعادة لفائدة الإمتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة، فهي إعادة عارضةٌ، كما حُيَّ خلقٌ لكثير من الأنبياء، لمسألتهم لهم عن أشياء ثمَّ عادوا موتى"[١].

وممّا يؤيِّد هذا، ما ثبت عنه ﷺ قوله:((نسمة المؤمن طائر يَعْلَق في شجر الجنَّة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه))[٢]، ويؤكده أيضاً قوله سبحانه وتعالى:﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ الزمر:٤٢"فصحَّ بنصِّ القرآن أنَّ روحَ من مات لا يرجع إلى جسده إلا إلى أجل مسمَّى وهو يوم القيامة"[٣].

يضاف إلى أنَّ النبي ﷺ رأى ليلة الإسراء والمعراج أرواح المؤمنين عن يمين نبي الله آدم عليه السلام، وأرواح الكافرين عن شمال نبيِّ الله آدم عليه السلام[٤].

---

١. يُنظر: فتح الباري (٣/٢٣٥)، ولوائح الأنوار السنية (٢/١٥٠).

١. فتح الباري (٣/٢٤٠-٢٤١).

٢. تقدم تخريجه.

٣. الفصل لابن حزم (٤/٥٦).

٤. يُنظر: صحيح مسلم برقم: (١٦٣).

ولهذا فإنَّ الأرواحَ مقرُّها في السماء، لا في أفنية القبور كما ذهب إليه بعض أهل العلم، ولهذا يقول الألوسي[1] رحمه الله عن هذا القول إنَّه:"خطأ، يردُّه نصوص الكتاب والسنة" ثمَّ ينقل عن الحافظ ابن رجب رحمه الله قوله:"إنَّ حديث البراء[2] وحده لا يعارض الأحاديث الكثيرة المصرِّحة بأنَّ الأرواح في الجنَّة لا سيَّما الشهداء"[3].

فبهذا يتضح أنَّ ما ذهب إليه الإمام ابن الجوزي رحمه الله، هو ما يدلُّ عليه الكتاب، والسنَّة، وخلاف قول الجمهور.

وفي ختام هذه المسألة، ليُعلم أنَّها من المسائل التي لا يقع بسببها تفسيق ولا تبديع، بل الخلاف فيها سائغ، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:"وقد اختلف السلف في شيءٍ من فروع أصولها، كاختلافهم هل رأى النبي ﷺ ربَّه في اليقظة؟... واختلافهم هل يكون عذاب القبر على البدن وحده دون الروح؟"[1].

المسألة الثالثة: سماع الموتى في قبورهم:

يرى رحمه الله أنَّ الموتى في القبور لا يسمعون، فيقول رحمه الله في كتابه السر المصون:"الذي يوجبه القرآن والنَّظر، أنَّ الميت لا يسمع ولا يحس، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾فاطر:٢٢، ومعلوم أنَّ آلات الحسِّ قد فُقِدت"[2].

ويوجِّه الإمام ابن الجوزي رحمه الله الحديث الذي فيه تكليمه ﷺ لأهل بدر، فيقول:"وقوله:((ما أنتم بأَسْمَع لما أقول منهم))[3] إنْ قيل كيف أخبر بسماعهم، وقد قال عزَّ وجلَّ:﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾النمل:٨٠؟ فالجواب من وجهين:

---

١. هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، أبو المعالي: مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. ولد في رصافة بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما. وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. وحمل على أهل البدع، فعاداه كثيرون. له مصنفات كثيرة.له ٥٢ مصنفا توفي سنة ١٣٤٢هـ..

٢. يقصد ما ورد فيه ((ثمَّ تعاد روحه إلى جسده)).

٣. روح المعاني (١٦١/١٥).

١. العلم (١٤٩-١٥٠). ويُنظر له أيضاً: شرح العقيدة السفارينية (٣٠٧)، شرح الواسطية (٥٣/١).

٢. نقَلَهُ عنه ابنُ مفلح في الفروع (٢٣٥/٢).

٣. جزء من حديث رواه البخاري برقم: (٣٩٧٦)، ومسلم برقم: (٢٨٧٣-٢٨٧٤).

أحدهما:أنَّ الله تعالى أحياهم، فسمعوا كلامه، إكراماً له، وإذلالاً لهم. هذا قول قتادة. وعلى هذا القول رُدَّتْ أرواحُهم وقتَ خطابه، كما تُرَدُّ الروحُ إلى الميِّت عند سؤال منكر ونكير. ولذلك قال:((أنَّهم ليسمعون قرع نعالكم إذا ولَّيتم مدبرين))[1].

والثاني:أنَّ الله تعالى أوصل صداه إلى أرواحهم، وإنَّما البدن آلة، والله قادر أن يوصل إلى الروح بآلةٍ أخرى وبغير آلة"[2].

فرأيه واضح في هذه المسألة من عدم سماع الأموات في قبورهم، والله أعلم.

وقد اختلف أهل العلم رحمهم الله في هذه المسألة على قولين[3]:

القول الأول:أنَّ أهل القبور يسمعون كلامَ الأحياء، وسلامَ من يسلِّم عليهم، مستدلين بحديث قليب بدر في الصحيحين، وحديث أنَّ العبد إذا وُضع في قبره سمع قرع نعالهم إذا انصرفوا عنه، وهو قول قوام السنَّة الأصبهاني[1]، وابن تيمية[2]، وابن مفلح[3]، والشنقيطي[4] وغيرهم رحمهم الله، قال ابن عبدالبر رحمه الله:"إنَّ الأكثرين على ذلك"[5].

القول الثاني: أنَّهم لا يسمعون كلام الأحياء. وبه قال القرطبي[6]، ومحمود الألوسي[7]، ونعمان الألوسي[1]، والألباني[2] رحمة الله على الجميع.

---

١. جزء من حديث رواه البخاري برقم: (١٣٣٨)، ومسلم برقم: (٢٨٧٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

٢. كشف المشكل (١٤٨/١).

٣. يُنظر: الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، للشيخ نعمان الألوسي رحمه الله، تحقيق العلامة الألباني رحمه الله، وللشيخ مقدمة على هذا الكتاب نفيسة، ورسالة أحاديث في العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (٦٩٣-٧١٦)، ورسالة الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم من خلال الكتب التسعة جمعاً ودراسة (٢٨٣).

١. الحجة في بيان المحجة (٣٠٩/٢). وقوام السنَّة هو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنّة: من أعلام الحفاظ. كان إماما في التفسير والحديث واللغة. صاحب كتاب الترغيب والترهيب. توفي سنة ٥٣٥هـ. سير أعلام النبلاء (٨٠/٢٠)، والأعلام (٣٢٣/١).

٢. مجموع الفتاوى (٢٩٨/٤). وقد قيده رحمه الله بأنه سماع لا ينتفع به.

٣. الفروع (٢٣٥/٢-٢٣٦).

٤. وجهود الشيخ الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (٤٦٤).

٥. ذكره عنه الألوسي في روح المعاني (٥٥/٢١).

٦. يُنظر: التذكرة في أحوال الموتى (٤١٠).

٧. يُنظر: روح المعاني (٥٨/٢١).

والراجح والعلم عند الله أنَّ الأصل عدم سماع الموتى، لظاهر القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾فاطر:٢٢، وقوله عزّ وجلّ:﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾النمل:٨٠، ويقتصر سماعهم على ما ورد الدليل بسماعهم.

ومن استدلَّ بأنَّ الموتى يسمعون، قال بأنَّ المراد من قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾فاطر:٢٢، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾النمل:٨٠ليس المراد الموتى حقيقة، بل المراد هم الكفار، فهذا صحيح؛ ولكن لا يمنع أن تكون الآيةُ دالةً على أنَّ الموتى لا يسمعون، حيث شبَّه الكفار بالموتى في عدم السماع، وهذا كما تقول زيد كالأسد في الشجاعة، فأنت تثبت الشجاعة للأسد من باب أولى[1]، وهنا كذلك، تثبت عدم سماع الموتى من باب أولى.

وما ورد في السنَّة من سماع الأموات، فإنَّه إمَّا حديث ضعيف لا يحتجُّ به، أو خاص بالنبي ﷺ كما ورد في غزوة بدر، أو إنَّه ورد بحال خاصة، كسماعه لقرع نعالهم، والله أعلم.

ولهذا فإنَّ أحوال القبر، من العوالم الغيبية، والأمور الغيبية لا تثبت إلا بدليل، والدليل ثبت بنفي السماع عنهم، وما ورد خلافه فيحمل على الخصوص، والله أعلم.

وثمرة الخلاف بين القول الأول والثاني، في مسألة تلقين الميت في قبره، فعلى القول الأول جاز تلقين الميت، ومن قال بالقول الثاني منع من ذلك[2]والله أعلم.

ولا يلزم من يقول بسماع الأموات للأحياء، أن يرى بجواز التلقين، وذلك لعدم ثبوت أحاديث التلقين عنده، والله أعلم.

وقد بحثتُ في كتب ابن الجوزي رحمه الله إذا كان تعرَّض لمسألة التلقين أم لا، فلم أجده تعرَّض لها، ولهذا في أثناء كلامه على حديث:((لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله))[1] ذكر ستة أوجه

---

١. يُنظر: رسالته في ذلك، الموسومة باسم (الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات) وهو نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي: من أعلام الأسرة الآلوسية في العراق. وعاد من الآستانة يحمل لقَب (رئيس المدرسين) فعكف على التدريس والتصنيف إلى أن تُوفي ببغداد سنة ١٣١٧هـ الأعلام (٤٢/٨).

٢. يُنظر: مقدمته لرسالة (الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات).

١. يُنظر: مقدمة الشيخ الألباني رحمه الله على رسالة الألوسي (٣٨).

٢. جهود الشيخ الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (٤٦٩-٤٧٠).

في المراد بالحديث، ولم يذكر منها تلقينه في القبر[2]. وكذلك بوّب في الموضوعات باباً بعنوان:"باب تلقين الميِّت"[3] ولم يذكرْ فيه حديث أبي أمامة الباهلي[4] رضي الله عنه الذي هو عمدة من أجاز التلقين[5]، بل ذكر أثراً عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:((أقيموا على صبيانكم أوَّل كلمة لا إله إلا الله، ولقِّنُوهم عند الموت لا إله إلا الله، فإنَّه منْ كان أوَّلَ كلامِه لا إله إلا الله، وآخر كلامه لا إله إلا الله، ثمَّ عاش ألف سنةٍ، لا يُسأل عن ذنب واحد))[1]، ممَّا يدلُّ على أنَّه يرى التلقين عند الاحتضار، لا في القبر والله أعلم.

---

١. رواه مسلم برقم: (٩١٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

٢. يُنظر: كشف المشكل (١٦٣/٣-١٦٤).

٣. الموضوعات (٢١٩/٣).

٤. صدي بن عجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلي. غلبت عليه كنيته، ولا أعلم في اسمه اختلافا. قيل: آخر من مات من الصحابة بالشام. توفي سنة ٨١هـ، وقيل سنة ٨٦هـ. الاستيعاب (٧٣٦/٢)، والإصابة (٣٣٩/٣).

٥. رواه الطبراني في معجمه الكبير (٢٤٩/٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد:"وفي إسناده جماعة لم أعرفهم" (٤٥/٣). يُنظر:المقاصد الحسنة للسخاوي (٢٦٤-٢٦٥)، وذكر أنَّ له فيه مصنفاً. وإرواء الغليل (٢٠٣/٣-٣٠٥).

١. الموضوعات (٢١٩/٣-٢٢٠). وقد رواه البيهقي في الشعب (١٢٨/١١)، ثمَّ قال:"متن غريب لم نكتبه إلا بهذا الإسناد".ويقول الذهبي:"رواه الحاكم ثنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف ثنا محمد بن محموية ثنا أبي ثنا النضر بن محمد ثنا سفيان الثوري عن إبراهيم بن مهاجر عن عكرمة عن ابن عباس، هذا موضوع، فالآفة محموية أو ابنه"تلخيص الموضوعات (٣٣٧)، وقد بحثت عنه في المستدرك فلم أجده، والله أعلم. ويقول الفَتَّني:"فيه مجهولان ومضعف". تذكرة الموضوعات (٢١٠).

المطلب الثاني: بعض أشراط الساعة.وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: المسيح الدجال:

ذكر ﷺ أشراط الساعة الكبرى، فروى مسلم في صحيحه عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد، قال:كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا، فقال:((ما تذكرون؟)). قلنا: الساعة. قال:((إنَّ الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ في جزيرة العرب، والدُّخان، والدَّجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونارٌ تخرج من قَعرِ عدن، تَرْحَل[1] الناس))[2].

وقد تكلم العلَّماء عن بعض المسائل الواردة في المسيح الدجال، ومن ذلك ما ورد في الصحيح من حديث النواس بن سمعان[1] رضي الله عنه وقد سألوا رسول الله ﷺ عن مدى لبثه في الأرض، فقال:((أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم)) قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال:((لا، اقدروا له قدره))[2].

وقد تأوَّل بعض العلماء هذا الحديث، ومنهم ابن المنادي رحمه الله، وقد ناقشه ابن الجوزي رحمه الله في كتابه كشف المشكل، فقال:"قد تأوَّله أبو الحسين بن المنادي، فقال: المعنى أنَّه يهجم عليكم غمٌّ عظيمٌ لشدَّة البلاء، وأيام البلاء طوال[3]، ثمَّ يتناقص ذلك الغمُّ في اليوم الثاني، ثمَّ ينقص في الثالث، ثمَّ يعتاد البلاء، كما يقول الرجل: اليوم عندي سنة؛ إلا أنَّ الزمان تغير، كقول الشاعر:**وليلُ المحبِّ بلا آخر[4]** وقد جاء في حديث آخر عن النبي

---

١. أي: تأخذهم بالرحيل وتزعجهم.

٢. رواه مسلم في صحيحه برقم: (٢٩٠١).

١. النواس بن سمعان بن خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة الكلابي. معدود في الشاميين، يقال: إنَّ أباه سمعان بن خالد وَفَدَ على النبي ﷺ فدعا له رسول الله ﷺ، وأعطاه نعليه، فقبلهما رسول الله ﷺ وزوَّجه أختَه. فلمَّا دخلت على النبي ﷺ تعوَّذت منه فتركها، وهي الكلابية. الاستيعاب (١٥٣٤/٤)، والإصابة (٣٧٧/٦).

٢. رواه مسلم برقم: (٢١٣٧).

٣. ومن جميل أقوال ابن الجوزي رحمه الله في هذا المعنى:"سِنَةُ الهجرِ سَنَة، وسَنَةُ الوصلِ سِنَةٌ". المنظوم والمنثور (٢٧١).

٤. لخالد الكاتب، يُنظر: تاريخ بغداد (٣١١/٨)، تاريخ دمشق (٢٤٣/٩)، ويُنظر: ترجمته في الوافي بالوفيات (١٧٠/١٣).

ﷺ:((تكون السَّنة كالشهر، والشهر كالجمعة))[1]، قال حماد بن سلمة: سألتُ أبا سنان عن معنى ذلك، فقال: يستلينون العيش، فتقصر الأيَّام عليهم.

قلتُ[2]:وهذا التأويل المذكور، يردُّه قولهم بعد هذا: تكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال:((لا، اقدروا له قدره)) والمعنى: قدِّروا لأوقات الصّلوات.

غير أنَّ أبا الحسين بن المنادي قد طَعَن في صحة هذه اللفظات- يعني قولهم: أتكفينا صلاة يوم؟ قال:((لا، اقدروا له قدره)) – فقال: هذا عندنا من المداسيس التي كادَنَا بها ذوو الخلاف علينا قديماً، ولو كان ذلك صحيحاً لاشتُهر ذلك على ألسنة الرواة، كحديث الدَّجال؛ فإنَّه قد رواه ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبدالله وحذيفة وعبادة بن الصامت وأبيّ بن كعب وأبو هريرة وسمرة بن جندب[1] وأبو الدرداء وأبو مسعود البدري[2] وأنس بن مالك وعمران بن حصين[3] ومعاذ بن جبل ومجمع بن جارية[4] في آخرين، ولو كان ذلك لقوي اشتهاره، ولكان أعظم وأفظع من طلوع الشمس من مغربها. وهذا الذي قاله هو الظاهر، وإن كان ما قدح فيه ممكن الوجود، والله أعلم"[5].

فقول ابن الجوزي رحمه الله "وهذا الذي قاله هو الظاهر" أي: أنَّ ما قاله ابن المنادي رحمه الله من الطعن في لفظة ((لا، اقدروا قدره)) لعدم اشتهارها على ألسنة الرواة، هو الذي

١. وقد تقدم قريباً.

٢. أي ابن الجوزي رحمه الله.

١. سمرة بن جندب بن هلال الفزاريي، من علماء الصحابة، أبوعبدالله، وقيل: أبوعبدالرحمن، وقيل: أبو سليمان، وقيل: أبوسعيد، من المكثرين لرواية الحديث، وكان شديداً على الحروريَّة. توفي سنة ٥٨هـ، وقيل ٥٩هـ. الاستيعاب (٦٥٣/٢)، والإصابة (١٥٠/٣).

٢. عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، أبو مسعود البدري مشهور بكنيته. لم يحضر غزوة بدر، وإنَّما نزل بدراً. وهو معدود من علماء الصحابة. توفي بعد الأربعين. الاستيعاب (١٠٧٣/٣)، وسير أعلام النبلاء (٤٩٣/٢)، الإصابة (٤٣٢/٤).

٣. عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد. أسلم عام خيبر، وروى أحاديث عن رسول الله ﷺ، وكان من فضلاء الصحابة. وهو ممن اعتزل الفتنة. توفي في البصرة سنة ٥٢هـ. الاستيعاب (١٢٠٨/٣)، والإصابة (٥٨٤/٤).

٤. مجمع بن جارية بن عامر بن مجمع بن العطاف الأنصاري. من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، جمع القرآن في عهد النبي ﷺ. توفي في آخر خلافة معاوية. الاستيعاب (١٣٦٢/٣)، والإصابة (٧٧٥/٥).

٥. كشف المشكل (٢٠٣/٤-٢٠٤).

يظهر، وإن كان الصواب بخلافه. ولهذا لم يُضعِّفْ ابن الجوزي رحمه الله هذه الرواية؛ لأنَّه استدلَّ بها في ردِّه على ابن المنادي كما تقدَّم، ولأنَّه لم يذكر هذه الرواية في الموضوعات والعلل المتناهية، والله أعلم.

ولهذا نجد ابن الجوزي رحمه الله لم يوافق أبا الحسين بن المنادي في تأويله للحديث؛ لأمرين:

الأمر الأول:أنَّ التأويل الذي ذكره ابن المنادي رحمه الله، يرده سؤال الصحابة وإجابة النبي ﷺ لهم بأنَّ اليوم كالسَّنة، وأنَّكم تُقدِّرون الصلاة قدرها.

الأمر الثاني:أنَّه يرى أنَّ هذه الظاهرة ممكنةَ الوجود. وهو كما قال، حيث وُجدت دول يكون النهار عندهم ستة أشهر، والليل ستة أشهر أخرى، كما هو الحال في شمال الدول الاسكندنافية[1].

وأمَّا ما ذكره ابن المنادي رحمه الله بأنه لو كان صحيحاً لاشتهر على ألسنة الرواة، فهذا مسلك يسلكه العلماء في تضعيف الرواية، لتفردها، ولكن هذه الرواية ورَدَتْ عن خمسة من الصحابة رضوان الله عليهم، كما ذكر ذلك الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه قصة المسيح الدجال، وهم:النواس بن سمعان، ونفير والد جبير، وجابر بن عبدالله، وأبو هريرة، ورجل من أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم[2]. وعليه فالحديث صحيح، وليس فيه تفرد، بل روي من أكثر من وجه كما تقدم، والله أعلم.

يقول الإمام النووي رحمه الله:"قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة، طويلةٌ على هذا القدر المذكور فى الحديث، يدُلُّ عليه قوله ﷺ:((وسائر أيامه كأيامكم))[3]"[4].

---

١. وقد ورد سؤالا لهيئة كبار العلماء يتعلَّق بالصيام في تلك الدول مجلة البحوث الإسلامية عدد: (٤٣) صفحة: (١٤٠). وفيه:"كيف يصنع من يطول نهارهم إلى إحدى وعشرين ساعة، وهل يقدرون قدراً للصيام؟ وكذا ماذا يصنع من يكون نهارهم قصير جدا، وكذلك من يستمر عندهم النَّهار ستة أشهر، والليل ستة أشهر؟". وقد صنَّف بعض علماء الحنفية فيها رسالة، وهو العالم ملا بهاء الدين الحنفي المرجاني، يُنظر: العرف الشذي (٣/٤٢٥).

٢. يُنظر: قصة المسيح الدجال (١١١).

٣. تقدم تخريجه قريباً.

٤. شرح النووي على مسلم (١٨/٦٥).

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله في المفهم:"ظاهر هذا أنَّ الله تعالى يَخرِقُ العادةَ في تلك الأيام، فيبطىء بالشمس عن حركتها المعتادة في أوَّلِ يومٍ من تلك الأيام، حتى يكونَ أوَّلُ يومٍ كمقدار سنةٍ معتادةٍ، ويبطىء بالشمس حتى يكون كمقدار شهر، والثالث حتى يكون كمقدار جمعة، وهذا ممكنٌ، لا سيِّما وذلك الزَّمان تنخرق فيه العوائد كثيرا"[1] ثمَّ ذكر تأويلَ ابن المنادي، وردَّ أبي الفرج ابن الجوزي، ثمَّ قال:"وتطريق إدخال المخالفين الدسائسَ على أهل العلم والتحرز والثقة بعيدٌ لا يلتفت إليه؛ لأنَّه يؤدي إلى القدحِ في أخبار الآحاد، وإلى خرمِ الثقة بها"[1].

وممَّا يؤَكِّد ما ذهب إليه ابن الجوزي رحمه الله وغيره من العلماء، من أنَّ الحديث على ظاهره، أنَّ ذلك الزَّمان تَنخرِقُ فيه العادات، وتَحصُلُ تغيراتٌ في الأحوال السَّماوية، ومن ذلك خروج الشمس من مغربها، وحدوث ثلاث كسوفات، منها كسوف في جزيرة العرب، ورجوع جزيرة العرب إلى ما كانت عليه من الأنهار والمروج، وما ذلك إلا بسبب التقلبات الجويَّة التي تحدث في آخر الزمان، وقد بدا شيءٌ من ذلك، فهناك عودة للعصر الجليدي الذي كان قبل آلاف السنين[2]، والمراد به تغطية شمال أوروبا بالثلج، وانحساره إلى الجنوب، فهذه التغيرات الطارئة على الكرة الأرضية، من المعجزات التي أخبر بها نبينا ﷺ، ولهذا ينبغي للمرء أن يقف عند نصوص الوحي، فإن قبلها عقلُه فالحمدلله، وإلا فليقل كما قال أبوبكر الصديق لعمر رضي الله عنهما يوم الحديبية:(الزم غرزَه، فإنِّي أشهد أنَّه رسول الله)[3].

المسألة الثانية: الدُّخان:

من علامات الساعة الكبرى الدُّخان كما تقدَّم معنا، وقد اختلف أهل العلم في المراد بالدُّخان في قول الله تعالى:﴿ **فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ** ﴾الدُّخان: ١٠، هل المراد به الدُّخان الذي يأتي في آخر الزمان أم غيره؟ على ثلاثة أقوال، حكاها ابن الجوزي

---

١. المفهم (٧/٢٧٩-٢٨٠).

١. المفهم (٧/٢٨١).

٢. يُنظر: مقال بعنوان: (عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهارا) للمهندس جمال الكومي، على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي:-http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/64-Sixth-Issue/351-Back-Arabian-Peninsula-meadows-and-rivers

٣. سيرة ابن هشام (٤/٢٨٤).

رحمه الله، حيث يقول:"أحدها: أنَّه دُخانٌ يجيء قبل قيام الساعة. فرُوي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنَّه قال:((إنَّ الدُّخان يجيء فيأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزُّكام))[1]. وروى عبدالله بن أبي مليكة[1] قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمتُ الليلةَ حتى أصبحتُ. قلتُ: لِمَ؟ قال:طلع الكوكبُ ذو الذنب، فخشيتُ أن يطرق الدُّخان[2]. وهذا المعنى مرويٌّ عن عليٍّ وابن عمر وأبي هريرة والحسن[3].

والثاني: أنَّ قريشاً أصابهم جوعٌ، فكانوا يرون بينهم وبين السماء دُخانا من الجوع، فروى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث مسروق قال:كنَّا عند عبد الله، فدخل علينا رجلٌ فقال: جئتُكَ من المسجد، وتركتُ رجلاً يقول في هذه الآية:﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾الدُّخان:١٠يغشاهم يوم القيامة دُخان، يأخذ بأنفاسهم حتى يصيبَهم منه كهيئة الزكام. فقال عبد الله: من علم علماً فليقل به، ومَنْ لم يعلمْ فليقل الله أعلم، إنَّما كان هذا؛ لأنَّ قريشاً لـمَّا استعصت على النبي ﷺ، دعا عليهم بسنين كسنيِّ يوسف، فأصابهم قحطٌ وجهدٌ، حتى أكلوا العظام والميْتة، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدُّخان من الجهد، فقالوا:﴿ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾الدُّخان:١٢، فقال الله تعالى:﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾الدُّخان:١٥ فكشف عنهم، ثمَّ

---

١. لم أجده، ولكن ورد مرفوعاً من حديث حذيفة ﷺ، قال الطبري بعده:"لا أشهد له بالصحة". يُنظر: السلسلة الضعيفة (١٢٢/١٤)، برقم: (٦٥٥٠).

١. عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان أبو بكر، أبو محمد القرشي، التيمي. الإمام، الحجَّة، الحافظ، المكي، القاضي، الأحول، المؤذن. توفي سنة ١١٧هـ. سير أعلام النبلاء (٨٨/٥)، وتهذيب التهذيب (٣٠٦/٥).

٢. رواه الطبري في تفسيره (١١٣/٢٥).

٣. يُنظر الآثار في ذلك تفسير الطبري (١١٣/٢٥)، وأثر علي رضي الله عنه رواه عبدالرزاق في المصنف، وسيأتي بعد قليل إن شاء الله.

عادوا إلى الكفر، فأُخذوا يوم بدر، فذلك قوله:﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[1]. وإلى نحو هذا ذهب مجاهد وأبو العالية[2] والضحاك وابن السائب ومقاتل[3].

والثالث: أنَّه يوم فتح مكة، لما حُجبت السماء بالغَبَرة. حكاه الماوروي[1]"[2].

فنلاحظ أنَّ ابن الجوزي رحمه الله حكى الأقوال في هذه المسألة ولم يرجِّح بينها، وكذلك فعل في كشف المشكل وتذكرة الأريب[3]، حيث حكى القولين الأوّلين ولم يرجِّح بينهما، ولكنَّه في نزهة الأعين النواظر، ذكر ما يدُلُّ على مَيْله لقول ابن مسعود رضي الله عنه، وأنَّ المراد به الجوع، فيقول في معاني كلمة العذاب:"والسادس: الجوع. ومنه قوله تعالى... وفي الدُّخان:﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾الدُّخان:١٢"[4]. وهو ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه بأنَّ المراد بالدُّخان في الآية، هو الجوع الذي أصاب أهل مكة.

ويقول في المدهش:"فصل: وقد تَذْكرُ العربُ جوابَ الكلامِ مقارِناً له، وقد تذكره بعيداً عنه، وعلى هذا ورد القرآن... وأما البعيد، فتارة يكون في السورة كقوله... وتارةً يكون في غير السورة كقوله تعالى...في الدُّخان﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ ﴾ جوابه في المؤمنين ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾المؤمنون:٧٥"[5] فنلاحظ أنَّه فسَّر كشفَ العذابِ الواردَ في الدُّخان، بآية (المؤمنون) التي يذكر الباري فيها حالَ أهلِ مكة حينما طلبوا الغوث

---

١. رواه البخاري برقم: (٤٧٧٤)، ومسلم برقم: (٢٧٩٨).

٢. رُفيع -بضم الراء- بن مهران الرِّياحي، مولى امرأة من بني رياح، أدرك زمن النبوة، وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير بالمدينة. توفي سنة ٩٣هـ. سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤)، والإصابة (٢٤٧/٧).

٣. يُنظر الآثار في ذلك تفسير الطبري (١١٣/٢٥)، والدر المنثور (٤٠٧/٧)، ماعدا قول ابن السائب ومقاتل فلم أجد على قولهما.

١. وهو مروي عن عبدالرحمن الأعرج، يُنظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٨٧/١٠)، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله عن هذا القول:"وهذا القول غريب جدا بل منكر" تفسير ابن كثير (١٣٩/٤).

٢. زاد المسير (٣٣٩/٧-٣٤١). يقول ابن كثير رحمه الله عن القول الثالث:"وهذا القول غريب جداً بل منكر" (٢٤٧/٧).

٣. يُنظر:كشف المشكل (٢٧٨/١-٢٧٩)، وتذكرة الأريب (٣٤٩).

٤. نزهة الأعين (٤٥٠).

٥. المدهش (٤٠-٤١).

برَفْعِ القحطِ النَّازل عليهم عقوبةً من الله، فهذا يؤكِّدُ أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى رأيَ ابن مسعود رضي الله عنه في أنَّ المراد بالدُّخان هو ما حدث لأهل مكة، والله أعلم.

وهذه المسألة للعلماء فيها خمسة أقوال، ما ذكره الإمام ابن الجوزي رحمه الله من الأقوال الثلاثة المتقدمة، بالإضافة إلى:

القول الرابع: أنَّ المراد بالدُّخان، هو ما يغشى الناس يوم القيامة من قُرب النَّار من المجرمين يوم القيامة[1]، وهذا القول هو الذي أنكره ابن مسعود رضي الله عنه كما سيأتي إن شاء الله.

والقول الخامس: هو الجمع بين القولين الأوليين، ويُروى هذا عن ابن مسعود رضي الله عنهما[2]، وذهب إليه أبوالخطاب بن دحية[3]، والشيخ الأمين الشنقيطي[4]، وأشار إليه الإمام النووي[5] رحمة الله على الجميع.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله:"وفي تفسير ابن مسعود رضي الله عنه لهذه الآية الكريمة، ما يدلُّ دلالةً واضحةً أنَّ ما أُذيقتْ هذه القرية المذكورة في (سورة النحل) مِن لباس الجوع، أُذِيقَه أهلُ مكة، حتى أكلوا العظام، وصار الرجلُ منهم يتخيَّلُ له مثلُ الدُّخان من شدَّة الجوع.

وهذا التفسير من ابن مسعود رضي الله عنه له حكم الرفع[6]، لما تقرَّر في علم الحديث من أنَّ تفسير الصحابي المتعلِّق بسبب النُّزول، له حكم الرفع كما أشار له صاحب طلعة الأنوار بقوله:

تفسيرُ صاحبٍ له تعلُّقُ ****** بالسببِ الرَّفعُ له مُحقَّقُ[7]

---

١. ذكره الشيخ ابن سعدي رحمه الله، ومال إليه. يُنظر تفسير ابن سعدي (٧٧١-٧٧٢).

٢. حكاه عنه مجاهد بن جبررحمه الله. يُنظر: التذكرة للقرطبي (١٢٦٦/٣-١٢٦٧).

٣. التذكرة للقرطبي (١٢٦٦/٣-١٢٦٧).عمر بن الحسن الكلبي المغربي السبتي، يرجع نسبه للصحابي دحية الكلبي. الحافظ شيخ الديار المصرية في الحديث.مات سنة ٦٣٢هـ.سير أعلام النبلاء(٣٨٩/٢٢)،والبداية والنهاية (٢٢٣/١٧).

٤. يُنظر: أضواء البيان (٤٥٧/٢).

٥. ينظر شرح النووي على مسلم (٢٧/١٨).

٦. يُنظر: رسالة بعنوان (ما له حكم الرفع من أقوال الصحابة وأفعالهم) لشيخنا د.محمد مطر الزهراني رحمه الله.

٧. يُنظر: رفع الأستار عن محيا مخدرات طلعة الأنوار (٧١).

وقد ثبت في صحيح مسلم أنَّ الدُّخان من أشراط الساعة كما تقدَّم، ولا مانع من حمل الآية الكريمة على الدُّخانين: الدُّخان الذي مضى، والدُّخان المستقبل، جمعاً بين الأدلة.

وقد قدَّمنا أنَّ التفسيراتِ المتعدِّدةَ في الآية، إن كان يمكن حمل الآية على جميعها فهو أولى، وقد قدَّمنا أنَّ ذلك هو الذي حقَّقَه أبو العباس بن تيمية رحمه الله في رسالته في علوم القرآن بأدلته"[1].

والذي يظهر والعلم عند الله، أنَّه لا تعارض بين القولين الأوليين؛ لأمور:

الأول: أنَّ قول ابن مسعود رضي الله عنه وتفسيره للآية، لا يتعارض من أنَّ في آخر الزمان يكون الدُّخان الذي أخبر به ﷺ في صحيح مسلم وغيره، وإنَّما كان إنكاره على من يقول بأنَّ الدُّخان يكون يوم القيامة، والدليل على ذلك، ما جاء في الصحيحين من حديث مسروق أنَّه قال:قال بينما رجل يحدِّث من كندة، فقال: يجيء دُخانٌ يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام. ففزعنا فأتيت ابن مسعود...الحديث[2]، فهذه الرواية بيَّنت أنَّ القاص أخبر بأنَّ الدُّخان يكون يوم القيامة، لا أنَّه من أشراط الساعة التي تكون قبل يوم القيامة، وممَّا يؤيد هذا، ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه من إنكاره لهذا القول، حيث قال: أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة، وقد مضى الدُّخان ومضت البطشة؟[3]،فهو لم ينكر الدخان الذي هو من أشراط الساعة، بل أنكر أن يكون يوم القيامة.

الثاني: أنَّ ما ورد عن الصحابة القائلين بأنّ آية الدُّخان لم تأتِ بعدُ، لم يعنوا بها أنَّها التي تأتي يوم القيامة، بل أرادوا التي هي من أشراط الساعة، لا كما قصَّ القاص من أنَّها التي تأتي يوم القيامة، ويدُلُّ على ذلك الأثر المُتقدِّم عن ابن أبي مليكة أنَّه قال: غدوتُ على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟. قال:طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أنْ يكون الدُّخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحتُ.

فهذا الأثر، يدُلُّ دلالةً واضحةً أنَّه يرى بأنَّ الدُّخان يكون في الدنيا لا في الآخرة.

وممَّا يشكل عليه كذلك، ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله في تاريخه، حيث يقول:"وفي ظاهر القرآن ما يدُلُّ على وجود دُخانٍ من السماء يغشى الناس، وهذا أمر محقَّقٌ عام، وليس

---

١. أضواء البيان (٤٥٧/٢) باختصار. يُنظر: العذب النَّمير (٩١٩/٢-٩٢٠)، فتح الباري (٥٧٢/٨-٥٧٣).

٢. البخاري برقم: (٤٤٩٦)، ومسلم برقم: (٢٧٩٨).

٣. البخاري برقم: (٤٤١٦).

كما روي عن ابن مسعود أنَّه خيال في أعين قريش من شدة الجوع. قال تعالى:﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾الدُّخان:١٠ أي: ظاهرٌ بيِّنٌ واضحٌ جليٌّ، ليس خيالاً من شدَّة الجوع"[١]. لكن يجاب عن هذا برواية البخاري وفيه: وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدُّخان من الجوع[٢]، والله أعلم[٣].

وأمَّا قول من قال بأنَّ قول ابن مسعود رضي الله عنه" لم يسندْه إلى النبي ﷺ، إنَّما هو من تعبيره، وقد جاء النَّص عن رسول الله ﷺ بخلافه"[٤]، وأنَّ هذا" التفسير غريب جدا، لم ينقل مثله عن أحد من الصحابة غيره"[٥]. فيجاب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أنَّ تفسير الصحابي له حكم الرفع، وقد تقدَّمت الإشارة إليه.

الوجه الثاني: أنَّ ابن مسعود حينما تكلَّم، تكلم في معرِض ردّه على من يقول أنَّ المراد بالدُّخان، هو ما كان يوم القيامة، بل إنَّه قدّم الكلام على هذه المسألة بقوله: منْ عَلِم فليقل، ومنْ لم يعلمْ، فليقل الله أعلم. فإنَّ مِن العلم أن تقول لما لا تعلم، لا أعلم، فإنَّ الله قال لنبيه ﷺ:﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ص:٨٦. فهل تراه والحالةُ هذه أن يتكلَّمَ من غير علم، حتى لو لم يسنده لرسول الله ﷺ؟ بل إنَّ غضبه وتغييرَه جلستَه وهيئتَه؛ لأكبر دليلٍ أنَّه تكلَّم عن علم وحفظ.

الوجه الثالث: أنَّ القول بأنَّه أتى بخلاف ما جاء عن رسول الله ﷺ، فهذا مردودٌ؛ لأنَّه ردَّ على من قال أنَّه يأتي يوم القيامة، ولم يَرِدْ عنه ﷺ ذلك، ولهذا أيَّدَ رأيَه بقوله:(أفيُكْشَفُ عذابُ الآخرة؟)[٦] يعني في ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴾ الدُّخان:١٥. بل الوارد أنَّ الدُّخان من أشراط الساعة كما ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:((بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدُّخان، ودابة

---

١. البداية والنهاية (١٩/٢٦٥-٢٦٦).

٢. البخاري برقم: (٩٦٢).

٣. يُنظر: فتح الباري (٨/٥٧٢-٥٧٣)، تحفة الأحوذي (٦/٣٤٥-٣٤٦)، إتحاف الجماعة (٢/٣١١-٣١٣).

٤. التذكرة للقرطبي (١٢٦٦).

٥. الفتن والملاحم (١/١٤٥).

٦. صحيح مسلم برقم: (٢٧٩٨).

الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم))[1]، والمتأمّل يرى أنَّه لا تعارض بين قول ابن مسعود رضي الله عنه، وبين أن الدُّخان من علامات الساعة، فهذا أمر وهذا أمر آخر.

الوجه الرابع: أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه لم يَنفَرد بذلك، فقد جاء عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾ السجدة: ٢١ أنَّه قال:(المصيبات والدُّخان قد مضيا، والبطشة واللزام)[1]، فهو يرى أنَّ آية الدُّخان قد مضتْ وانقضتْ، وهذا يدُلُّ على أنَّ ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه، كان معروفاً عند الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

الوجه الخامس: لو قلنا أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه لم يشارِكْه أحدٌ من الصحابة، فمَن حَفِظ حُجَّة على من لم يحفظ، كيف وهو صاحب السِّوادَين والنَّعلين، حتى قال أبوموسى الأشعري رضي الله عنه:(وما نرى ابن مسعود، وأمَّه إلا من أهل بيت رسول الله ﷺ، من كثرة دخولهم ولزومهم له)[2]. ولو افترضنا أنَّ روايته خالفت ما ورد عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عن الجميع، لقُدِّمتْ رواية ابن مسعود رضي الله عنه؛ من باب تقديمِ رواية الأكابر على الأصاغر، فكيف و لا تعارض بين الروايات.

الوجه السادس: لو تأمَّل النَّاظر في الآثار الواردة عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، القائلين بأنَّها في آخر الزمان، لوجد أنَّهم لم يفسِّروا الآية بذلك، بمعنى أنَّهم لم يذكروها في معرِض تفسيرهم للآية، بخلاف ابن مسعود رضي الله عنه، فإنَّه فسَّرها بما أصاب أهل مكة، ولهذا فإنَّ الخلاف بين ابن مسعود من جهة، وبين الصحابة من جهة أخرى، هو هل آية الدُّخان مضت أم لا؟ ولا يلزم من يقول إنَّ المراد بالآية في سورة الدُّخان، هو ما أصاب أهل مكة، لا يلزمه أن يقول إنَّ آية الدُّخان قد مضت، ولا تأتي آخرَ الزمان، ولهذا يقول الإمام الطبري رحمه الله:"أنَّ الدُّخان الذي أمر الله نبيه أن يرتقبَه، هو ما أصاب قومه

---

١. رواه مسلم برقم: (٢٩٤٧).

١. رواه أحمد في المسند برقم: (٢١١٦٥). وهو في مسلم، ولكن رواية مسلم شكٌ فيها شعبة بين الدخان والبطشة، بخلاف رواية الإمام أحمد. يُنظر الأثر في جامع الإمام مسلم برقم: (٢٧٩٩).

٢. رواه البخاري برقم: (٣٧٦٣)، ومسلم برقم: (٢٤٦٠).

من الجهد بدعائه عليهم على ما وصفه ابن مسعود"[1] فهناك دخانان إن جاز التعبير، الدُّخان الذي أمر الله نبيَّه ﷺ أن يرتقبه، ودُخان يأتي في آخر الزمان كما صحَّ الخبر عنه ﷺ، ويؤيِّد هذا والله أعلم، أنَّه ورد القولان عن ابن مسعود رضوان الله عليهم أجمعين، كما حكاه عنه مجاهد بن جبر رحمه الله، ولعلَّ هذا معنى من قال من العلماء بالجمع بين القولين، والله أعلم.

ومع ذلك، فإن كان هناك تعارض بين قول ابن مسعود رضي الله عنه، وبين من يقول إنَّ الدُّخان هو ما يأتي في آخر الزمان–ولا تعارض– فإنَّ قولَ ابن مسعود أقربُ للصواب والله أعلم؛ لأنَّ سياقَ الآية يدلُّ عليه، يقول الإمام ابن عطية رحمه الله:"وما يأتي من الآيات يقوّي هذا التأويل"[1] أي:تفسير ابن مسعود رضي الله عنه، ويقصد بذلك والعلم عند الله قوله تعالى:﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴾الدُّخان:١٥، حيث قال ابن مسعود رضي الله عنه: أفيكشف عذاب الآخرة؟[2]. ومن المعلوم أنَّ كشف العذاب، ثمَّ رجوعهم، لايكون في الآخرة، بل هو في الدنيا، والله أعلم.

المسألة الثالثة: طلوع الشمس من مغربها:

إنَّ من أعظم علامات الساعة الكبرى، طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان، ولهذا لا ينفعُ بعدَه إيمانُ شخصٍ لم يكن آمنَ من قبل، أو الزيادة في عمل لم يكن عمله من قبل، قال الله تعالى:﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا ﴾الأنعام:١٥٨، وقد فسَّره النبي ﷺ بطلوع الشمس من مغربها، كما رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[3].

---

١. تفسير الطبري (١٨/٢٢).

١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٦٩/٥).

٢. صحيح مسلم برقم: (٢٧٩٨).

٣. المسند برقم: (١١٢٥٢) وهو حديث صحيح.

ولقد تطرّق ابن الجوزي رحمه الله للحديث عن المُلحدين الذين أنكروا طلوع الشمس من مغربها، فقال:"ولقد زعم الملحدون وأهلُ النجوم أنَّ ذلك لا يكون، فيُبَيِّن كَذِبَهم، ويُظهر القدرةَ على ما طلبه الخليلُ من نمرود بقوله:﴿ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ البقرة:٢٥٨"[١].

ويقول أيضاً:"وقيل: إنَّ الحكمة في طلوع الشمس من مغربها، أنَّ الملاحدةَ والمنجمين زعموا أنَّ ذلك لا يكون، فيُرِيَهم اللهُ قدرتَه، ويُطلِعُها من المغرب كما أطلعها من المشرق، ولِتَحقَّقَ عَجْزَ نمرود حين قال له إبراهيم:﴿ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ﴾البقرة:٢٥٨"[١].

وما زال هذا الإنكار مستمراً في كلِّ عصر، حتى في عصرنا الحاضر.

يقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله:"وستطلع من مغربها يقيناً بلا شك؛ لأنَّ الصادق المصدوق ﷺ بيَّن أنها ستطلع من مغربها برواياتٍ صحيحة لا مطعنَ فيها، وهو الصادق المصدوق، لا يقول إلا الحق، وطلوعُها من مغربها أكبرُ دليل على تخريف وخَرْق أصحاب الهيئة الكذّابين الذين يقولون:إن حالةَ الشمس والقمر دائبةٌ لا تتغير ولا يَعروها تغيّر"[٢].

١. كشف المشكل (٤٧٦/٣).

١. زاد المسير (١٥٧/٣).

٢. العذب النَّمير (٩٢١/٢).

المطلب الثالث: البعث والنشور، وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بالبعث والنشور:

من الأمور الواضحة لقارئ كتب ابن الجوزي رحمه الله، كثرةُ كلامه في البعث، وتقريرُه له في أكثر من موضع، وردُّه على منكري البعث والنشور، ولعلَّ السبب في ذلك والله أعلم كثرة منكري البعث في عصره من الباطنية والفلاسفة[1].

يُعرِّف ابن الجوزي رحمه الله البعث، فيقول:"البعث: إخراجُ أهل القبور أحياءً عند النفخةِ الثانية في الصور، وذلك أنَّ الله تعالى ينزِّل من السماء ماءً، فتَنْبُتُ الأجسادُ في القبور، فتعود كما كانت"[2].

ويقرِّر رحمه الله إثبات البعث مستدِلَّاً له بأكثر من دليل، فمِن ذلك[3]:

١. أنَّ أهلَ الكتاب مجمعون على إثبات البعث، وهذا الاحتجاج للمنكرين للبعث من مشركي مكة. يقول رحمه الله:"والثاني: لمشركي قريش، احتجَّ عليهم إذ جحدوا البعث، بما يوافِق عليه أهلُ الكتاب"[4]. ويقول أيضاً:"فأهلُ الكتاب مجمعون على البعث"[5].

وذلك لأنَّ أهل مكة كانوا يعرفون لأهل الكتاب قدرَهم ومكانتهم، ولهذا حينما أَرسلَتْ قريشٌ اثنين منها إلى أحبار اليهود، وقالوا لهما: سلوهم عن محمد، وصِفُوا لهم صفتَه، وأخبروهم بقوله، فإنَّهم أهلُ الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء[6]...إلى آخر الخبر في سبب نزول سورة الكهف.

٢. فيما يخبرنا الله به من إَحياءِ الموتى كما في قصص الأوَّلين الدالَّة على البعث.

يقول في قصة الذين خرجوا وهم أُلُوفٌ حَذَرَ الموت"وفي هذه القصة...واحتجاج على المنكرين للبعث، فدلَّهم عليه بإحياء الموتى في الدنيا"[7].

---

١. يُنظر: المنتظم (٢٨٧/١٢) وما بعده.

٢. التبصرة (٣٤٦/١).

٣. يُنظر: الفتاوى (٢٢٤/٩).

٤. زاد المسير (١٠٢/١).

٥. زاد المسير (٤٣/٣).

٦. سيرة ابن إسحاق (١٨٢/٤).

٧. زاد المسير (٢٨٩/١).

ويقول في قصة أهل الكهف بـ"أنَّهم أهلُ بلدِهم حين اختلفوا في البعث، فبعث الله أهلَ الكهف ليعْلَموا ﴿ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾بالبعث، والجزاء﴿ حَقٌّ ﴾وأنَّ القيامة لا شكَّ فيها. هذا قول الأكثرين"[1].

وهذه الأخبار شاهدها بعض البشر، فأخبروا بها من بعدهم، حتى وصل الخبر في عصرنا الحاضر، ممَّا يدُلُّ على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى.

٣.قياس إحياء الموتى على إحياء الأرض بعد موتها.

يقول رحمه الله:"ثمَّ إن الله تعالى دلَّهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾الحج:٥"[2].

وهذا أمرٌ مشاهد للعيان، كيف أنَّ الله أحيا هذه النباتات التي ماتت، فبعثها وأحياها مرَّةً أخرى؟

٤.ممَّا استدلَّ به على البعث، تَنَقُّل العبد من حال إلى حال، من ضعف إلى قوة، ثمَّ إلى ضعف، وكذلك من جهل إلى علم إلى جهل، دليلٌ على قدرته سبحانه وتعالى على البعث.

يقول رحمه الله:"وبيَّن الله تعالى بتصريف ما خلق، ونَقْله من حال إلى حال لا يقدر عليه الخلق، أنَّه كذلك يبعثهم"[3].

ويقول في قوله تعالى﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾الحج:٥:"وقال الزجاج: المعنى أنَّ منكم من يَكْبُر حتى يذهبَ عقلُه خرفاً، فيصير بعد أن كان عالماً جاهلاً، ليريَهم من قدرته، كما قَدِر على إماتته وإحيائه، أنَّه قادرٌ على نقله من العلم إلى الجهل"[4].

٥.اليقظة بعد النوم.

---

١. زاد المسير (١٢٣/٥). ويُنظر: التبصرة (٣٦٨/١)، والمنتظم (١٥١/٢-١٥٣).

٢. زاد المسير (٤٠٨/٥).

٣. زاد المسير (٩٥/٣).

٤. زاد المسير (٤٦٧/٤-٤٦٨).

يقول رحمه الله:"قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ ﴾الأنعام:٦٠ يريد به النَّوم؛ لأنَّه يقبض الأرواح عند التصرف بالنوم، كما يَقبِض بالموت. فدلَّ باليقظة بعد النَّوم على البعث بعد الموت"[١].

٦. القدرة على خلق السماوات والأرض تدلُّ على بعث الموتى.

يقول رحمه الله:"وإن تَعجَبْ بما وقفتَ عليه من القطع المتجاورات، وقدرة ربِّك في ذلك، فعجبٌ جَحْدهم البعثَ؛ لأنَّه قد بان لهم من خلق السماوات والأرض، ما يدُلُّ على البعث أسهل في القدرة"[٢].

٧. الاستدلال بالابتداء على الإعادة.

يقول في قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِى رَيۡبٍ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾الحج:٥ :"والمعنى:إن شككتم في بعثكم، فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم، فإنكم لا تجدون في القدرة فرقاً بين الابتداء والإعادة"[٣].

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾المؤمنون:٣٦ يقول رحمه الله:"قال المفسرون: استبعد القوم بعثهم بعد الموت إغفالاً منهم للتفكر في بدء أمرهم، وقدرة الله على إيجادهم، وأرادوا بهذا الاستبعاد أنَّه لا يكون أبداً"[٤].

٨. ومن لطيف ما استدلَّ به رحمه الله على البعث، أنَّ النفس تشتاق إلى شيءٍ جديد، وأنَّ الطَّاعم إذا امتلأ خبزاً أو لحماً، بحيثُ لم يبقَ فيه فضل لتناول لقمة، فإذا قُدِّمت إليه الحلوى فسيتناولها، ولو قُدِّم أعجب منها، لتناول وهكذا؛ لأنَّ النَّفس يتخايل لها في الجديد نوعُ مراد، ثمَّ يقول:"وفي هذا المعنى: دليلٌ مدفونٌ على البعث؛ لأنَّ في خلق مَن همَّته متعلِّقة بلا متعلَّق نوع عبث، فافهم هذا. فإذا رأتِ ٱلنفسُ عيوبَ ما خالطت في الدنيا، عادت

---

١. (٣/٥٥).

٢. زاد المسير (٤/٣٠٤).

٣. زاد المسير (٥/٤٠٦).

٤. زاد المسير (٥/٤٧٢). يُنظر: زاد المسير (٤/٤٢٩)، (٧/٤١)، (٥/٣٥٢).

تطلبُ جديداً[1]، ولذلك قال الحكماء: العشق: العمى عن عيوب المحبوب، فمنْ تأمَّل عيوبه سلا"[2].

ويؤيد هذا مقولة عمر بن عبد العزيز رحمه الله:"إنَّ لي نفساً تواقة، لم تَتُقْ إلى منزلةٍ فنالتها إلا تاقتْ إلى ما هي أرفع منها، حتى بلغت اليوم المنزلة التي ليس بعدها منزلة، وإنَّها اليوم قد تاقت إلى الجنَّة"[3].

٩. معجزات الأنبياء.

يقول رحمه الله:"ومن أعجب الأدلَّة على البعث، أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أظهر على يدَي أنبيائه ما هو أعظم من البعث، وهو قلب العصا حيةً حيوانا، وأخرج ناقةً من صخرة، وأظهر حقيقة البعث على يدَي عيسى صلوات الله وسلامه عليه"[4].

❖ شبه المنكرين للبعث والرَّد عليها

وبعد تقريره لإثبات البعث من خلال الكتاب والسنة، ومن خلال استدلالاته الحسيَّة والعقلية، يذكر رحمه الله بعضَ شبهِ جاحدي البعث، ويردُّ عليها بالعقل؛ لأنَّ جاحدي البعث لا يؤمنون بالكتاب والسُّنَّة، فكان من البديهي مجادلتهم بالحجج العقلية، إضافة أنَّ القرآن ذكر شيئاً من هذه الحجج العقلية.

الشبهة الأولى: ضعف المادة، واستحالة التراب أن يعودَ كما كان[5].

فيجيب عن هذا من وجهين :

الأول:"أنَّ ضعف المادة في الثاني وهو التراب، يدفعُه كون البداية مِن نطفة ومضغة وعلقة"[6].

وقد أشار الباري سبحانه إلى هذه الشبهة، فقال سبحانه:﴿ **أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ** ﴾المؤمنون:٣٥-٣٦[1]، وكذلك

---

١. وهو ما بعد الحياة الدنيا.

٢. أي سلا عن محبوبه لظهور عيوبه، وبحث عن غيره. صيد الخاطر (٦١–٦٢).

٣. سيرة عمر بن عبد العزيز على ماروواه الإمام مالك وأصحابه (٥٩).

٤. تلبيس (٢/٤٧٢-٤٧٣).

٥. يُنظر: تلبيس إبليس (٢/٤٧٠).

٦. تلبيس إبليس (٢/٤٧١).

قوله تعالى:﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ ﴾الرعد:٥، وكذلك ما ورد أنَّ العاص بن وائل جاء إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظمٌ رميمٌ يُفَتِّتُه ويَذْرُّه في الهواء، وهو يقول: يا محمد، أتزعم أنَّ الله يبعث هذا؟ فقال ﷺ:((نعم، يميتك الله تعالى، ثمَّ يبعثك، ثمَّ يجرك إلى النار))[٢].

الوجه الثاني:"إنَّ أصل الآدميين وهو آدم من تراب، على أنَّ الله لم يخلق شيئاً مستحسناً إلا منْ مادةٍ سخيفةٍ. فإنَّه أخرج هذا الآدمي من نطفة، والطاووس من البيضة المذرة، والطاقة[٣] الخضراء من الحبة العفنة[٤]. فالنَّظر ينبغي أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته، لا إلى ضَعْف المواد"[٥].

وكذلك ما تقدَّم من الاستدلال بالابتداء على الإعادة.

الشبهة الثانية: اختلاط الأجزاء المتفرِّقة، وقالوا قد يأكل الحيوانُ الحيوانَ، فكيف يتهيَّأ إعادتَه؟ وقد ذكر القرآن هذه الشبهة، فقال تعالى:﴿ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴾السجدة:١٠[٦].

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله:"وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية، قال قائلهم[٧]:

يخبرُنا الرسولُ بأنْ سنحيا******وكيف حياةُ أصداءٍ وهامُ

وقال آخر[٨]:

---

١. يُنظر: تلبيس إبليس (٢/٤٧٠).

٢. رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٢٦)، والحاكم في المستدرك (٢/٤٢٩)، وقال:"حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"وسكت عنه الذهبي.

٣. الطاقة: هي الحزمة من الريحان. المعجم الوسيط (٢/٥٧١)، لسان العرب (١٠/٢٣٣).

٤. ويُروى عن علي رضي الله عنه قوله: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة، وأشرف شرابه رجيع نحلة. مرقاة المفاتيح (٨/٦٨). واللبن يخرج من بين فرث ودم، والمسك دم حيوان وقس على ذلك.

٥. تلبيس إبليس (٢/٤٧١).

٦. يُنظر: تلبيس إبليس (٢/٤٧٠).

٧. هو من قول شداد بن الأسود الليثي يرثي من مات من مشركي مكة بعد غزوة بدر. يُنظر:سيرة ابن هشام (٣/٢٩٦).

٨. قيل أنه لابن الزعبرى السهمي، يُنظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (١٣٠)، وقيل لأبي العلاء المعري، يُنظر: البلغة للفيروزأبادي (٥٨)، وقيل لديك الجن الحمصي، واسمه عبدالسلام رغبان الكلبي يُنظر: ديوانه

حياة ثمَّ موت ثمَّ نشر******حديث خرافةٍ يا أمَّ عمرو"[1].

ثمَّ يجيب عنها من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنَّه بالنَّظر إلى قدرة الله فلا يستحيل عليه شيء سبحانه[2].

الوجه الثاني: "قد أرانا – أي الباري سبحانه–كالأنموذج في جمع المتمزِّق، فإنَّ سحالةَ[3] الذهبِ المتفرِّقةِ في التراب الكثير، إذا أُلقي عليها قليلٌ من زئبق، اجتمع الذهبُ مع تبدُّدِه، فكيف بالقدرة الإلهية التي منْ تأثيرها خَلْقُ شيءٍ من لا شيء"[4].

وكذلك المغناطيس، فإنَّه يجمع سحالة الحديد المتفرِّقة بين أكوامٍ من العناصر التي لا يجذبها المغناطيس، وما هذا إلا أنموذج للبشر على إمكان جمع المتفرق.

الوجه الثالث:"على أنَّا لو قدرنا هذا التراب غير ما استحالت إليه الأبدان لم يضر؛ لأنَّ الآدميَّ بنفسه لا ببدنه، فإنَّه يَنْحُل ويَسْمُن ويتغيَّر من صغر إلى كبر، وهو هو"[5].

وبهذا نرى كيف أنَّ ابن الجوزي رحمه الله، تصدَّى للردِّ على من يجحد البعث والنشور، ويردُّها بأمور عقلية، وأمور حياتية يدركها المرء، ومنهجه رحمه الله في التعامل مع هذه القضية بردِّه العقلي الذي يناسب طبيعة الملحدين وتفكيرهم، فهم لا يؤمنون بكتاب ولا سنة، بل بما تدركهم حواسهم، وبما يعيشونه من واقعهم.

المسألة الثانية: البعث للجسد الذي كان في الدنيا:

المراد بالحديث هنا هو الكلام على مسألة بعث الجسد، وهل الذي يُبعث الجسدُ الذي كان في الدنيا، أم أنَّ الله يُنشِئ جسداً جديداً للبعث غير الذي كان في الدنيا؟.

والذي أحببتُ ذكره هنا، أنَّ الشيخ رحمه الله في إثباته لبعث الجسد، ذكر أنَّ المراد بالبعث، هو الجسد نفسه الذي كان في الدنيا.

---

(٧٩)، وعزاه الجرجاني لأبي نواس، يُنظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه (٦٤)، ونسبه الخوارزمي في الأمثال المولدة (٣٢٩)، ويقول المحقق لم يجده في ديوانه.

١. تلبيس إبليس (٤٧٠/٢).

٢. يُنظر: تلبيس إبليس (٤٧١/٢).

٣. يقول ابن منظور:"السحالة ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما إذا بردا" لسان العرب (٣٢٩/١١).

٤. تلبيس إبليس (٤٧١/٢-٤٧٢).

٥. تلبيس إبليس (٤٧١/٢-٤٧٢).

يقول رحمه الله في أثناء عرضه لكلام الطبائعيين المُنكِرين للبعث:"كلا والله، بل يعيد النَّفْس بعينها روحاً وجسداً"، ثمَّ يستدل لذلك، فيقول:"بدليل إعادة مذكوراتها﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾الصافات:٥١"[١].

ويقول أيضاً:"فالتراب يَأْكُل جميعَ الجوارح، ثمَّ تُعاد الأجزاءُ للأبدان، وتعاد إليها الروح التي محلَّ الإيمان على ما خرجت عليه"[٢].

ثم ينقل كلاماً لابن عقيل رحمه الله، ويذكر فيه أنَّ الإعادة للأجساد إنَّما تكون لعين تلك الأعيان، فيقول رحمه الله:"قوله:((ويَبْلَى كلُّ شيءٍ منْ الإنسان إلا عجبَ الذنب))[٣] وهو العصعص[٤]، وهو العظم الذي يجِدُ اللامس مسَّه في وسط الوركين[٥].

فإن قال قائل: فما فائدة إبقاء هذا العظم دون سائر الجسد؟ فقد أجاب ابن عقيل فقال: لله سبحانه في هذا سرٌّ لا نعلمه؛ لأنَّ من ينحَتُ الوجودَ من العدم، لا يحتاج أنْ يكونَ لفعله شيءٌ يبنى عليه، فإن عُلِّلَ هذا، فيجوز أن يكون الباري سبحانه جعل ذلك للملائكة علامةً على أنَّه يُحْيي كلَّ إنسان بجواهره بأَعْيَانِها، ولا يحصل العِلمُ للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظمٍ من كلِّ شخص، ليُعلم أنَّه إنَّما أراد بذلك إعادةَ الأرواح إلى تلك الأعيان التي هذا جزءٌ منها، كما أنَّه لـمَّا أمات عزيراً وحمارَه، أبقى عظامَ الحمار، وكساها ليُعْلم أنَّ هذا المْنْشَأ ذلك الحمار لا غيرَه، ولولا إبقاءُ شيءٍ لجوَّزَت الملائكةُ أنْ تكونَ الإعادةُ للأرواح إلى أمثال الأجساد، لا إلى أعيانها"[٦].

فكلام ابن عقيل رحمه الله واضح جداً في هذه المسألة، في استدلاله بحديث عجب الذنب، واستدلاله على أنه سبحانه يعيد نفس الأجزاء، بقياسه على ما حدث لنبيِّ الله عزير

---

١. صيد الخاطر (٣٧٨).

٢. منهاج القاصدين (١١٧١/٣). النص مقارب لما في الإحياء. يُنظر: إحياء علوم الدين (١٧٤/٤).

٣. رواه البخاري برقم: (٤٩٣٥)، ومسلم برقم: (٢٩٥٥).

٤. للدكتور عثمان جيلان بحث بعنوان (الإعجاز العلمي في عجب الذنب) على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي، على الرابط التالي: http://www.eajaz.org/index.php/Encyclopedias/Research-Scientific-Miracles-Encyclopedia/Medicine-and-Life-Sciences/28-

٥. يُنظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٦٠٤/٢).

٦. كشف المشكل (٤٥٤/٣).

عليه السلام، ثمَّ يجلِّي المسألة بقوله:"ولولا إبقاء شيءٍ، لجوَّزت الملائكة أن تكون الإعادة للأرواح إلى أمثال الأجساد لا إلى أعيانها". فهو يرى أنَّ الإعادة لأعيان الأجساد لا أمثالها[1].
وذكرُه لكلام أبي الوفاء ابن عقيل رحمهما الله، مع عدم مخافته، يدُلُّ على موافقته[2].

ويقول أيضاً:"فتُبْعث الأجساد التي كانت في الدنيا، بعضها من بطون السباع، وبعضها من حواصل الطير، وبعضها من بطون الأرض، وبعضها من ظهرها، فتدخل كلُّ روح إلى جسدها﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾الزمر:٦٨"[3].

ويقول أيضاً:"البعثُ: إخراجُ أهلِ القبورِ أحياءً عند النفخة الثانية في الصور، وذلك أنَّ الله تعالى يُنَزِّل من السماء ماءً، فتَنبُتُ الأجساد في القبور، فتعود كما كانت"[4].

ويقول أيضاً:"ويُقلَّب في أحوال، إلى أن يعود فيُجمع، هذا خبر البدن"[5].

فبهذا يتضح رأي الإمام ابن الجوزي رحمه الله في أنَّ البعث للأجساد، يكون لنفس الأجساد التي كانت في الدنيا، لا أنَّ الله يبعث أجساداً أخرى تماثلها، والله أعلم.

وما ذهب إليه هو ما دلَّت عليه الأدلة، وهو ما عليه أهل السنَّة والجماعة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في الردِّ على من"ادعى أنَّ البدنَ الثاني ليس هو ذاك الأول، ولكنِ الْمقصودَ جزاءُ النفس بنعيم أو عذاب، ففي أيِّ بدنٍ كانتْ حصل المقصود...باطلٌ مخالفٌ للكتاب والسنة وإجماع السلف، مخالفٌ للمعقول من الإعادة"[6]. ثمَّ يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله:"ولهذا يَشهد البدنُ الـمُعادُ بما عمل في الدنيا. كما قال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾يس:٦٥، وقال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ

---

١. هذا الكلام وإن كان لابن عقيل، إلا أن ابن الجوزي رحمه الله دائما ما يذكر كلام ابن عقيل الحنبلي، حتى ظن البعض أنه من شيوخه، وإذا لم يرتض ابن الجوزي كلامَ ابن عقيل فإنه في الغالب يرد عليه والله أعلم.

٢. يُنظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٥٧/١).

٣. المنظوم والمنثور (١٠٢٦).

٤. التبصرة (٣٤٦/١).

٥. صيد الخاطر (٣٦٨).

٦. فتاوى (٢٥٨/١٧-٢٥٩).

وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فصلت: ٢٠-٢١"[١].

ومن الأدلة على ذلك، قصة إبراهيم عليه السلام حين طلب أن يَرى إحياءَ الموتى، فأعادها الله كما هي، وليس نشأةً أخرى، أو جسماً آخر[٢].

ومن الأدلة كذلك، ما حكاه الله عن بني إسرائيل في الشخص الذي ضربوه بجزءٍ من البقرة فأحياه الله تعالى، فقال الله تعالى بعد هذه القصة: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ البقرة: ٧٣، فذكر الله سبحانه وتعالى أنَّ إحياء الموتى يوم القيامة، يكون كإحياء الله لهذا الشخص في دار الدنيا.

وكذلك ما ثبتَ في الصحيحين من حديث الرجل الذي لم يعمل خيراً، وأمر أهلَه بأنْ يحرِّقوه، وأنْ يُذَر نصفه في البحر والآخر في البر، وفيه(فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه))[٣]، ففيه دلالة واضحة أنَّ هذا الرجل القائم بين يدي الله، هو مجموع ما ذُرَّ في البحر والبر[٤].

وهذه المسألة للنَّاس فيها ثلاثة أقوال، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وللنُّظار فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: القطع بإفنائه[٥].

والثاني: التوقف في ذلك، وأنَّه جائزٌ، لكن لا يقطع بوجوده ولا عدمه.

والثالث: القطع بأنَّه لا يفنيه. وهذا هو الصحيح، والقرآن يدلُّ على أنَّ العالَمَ يَسْتَحيل مِن حالٍ إلى حال، فتَنْشقُّ السماءُ فتصيرُ وردةً كالدِّهان، وتُسيَّرُ الجبال وتُبسُّ بسًّا، وتُدَكُّ الأرض، وتسجَّر البحار، وتَنْكدرُ النُّجوم وتتناثر، وغير ذلك ممَّا أخبر الله به في القرآن، لم يخبرْ بأنَّه يعدِمُ كلَّ شيءٍ، بل أخباره المستفيضة بأنَّه لا يعدِم الموجودات.

---

١. مصدر سابق.

٢. يُنظر: الحياة الآخرة للعواجي (١/١٤٣-١٤٤).

٣. رواه البخاري برقم: (٧٥٠٦)، ومسلم برقم: (٢٧٥٦).

٤. يُنظر: الحياة الآخرة (١/١٤٨-١٤٩).

٥. وهذا قول الجهم بن صفوان وبعض أهل الكلام كما سيأتي إن شاء الله.

فقوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾الرحمن:٢٦ أخبر فيه بفناء مَنْ على الأرض فقط، والفناء يرادُ به الموت ولا يرادُ به عَدَمُ ذواتِهم، فإنَّ الناس إذا ماتوا صارت أرواحهم إلى حيثُ شاء الله من نعيم وعذاب، وأبدانهم في القبور وغيرها، منها البالي وهو الأكثر، ومنها ما لا يبلى كأبدان الأنبياء، والذي يبلى يبقى منه عَجْبُ الذَّنب، منه بدأ الخلق ومنه يركَّب...وإلا فالفناء الذي أخبر به القرآن، هو الفناء المشهود بالاستحالة إلى مادة، كما كان الإحداث بالحقِّ من مادة"[١].

ويقول رحمه الله أيضاً:"وغير ذلك مما فيه استحالة أجزاء هذا العالم مِن حال إلى حال، ليس في شيءٍ من ذلك أنَّ العالم كلَّه بعدم[٢]ولا يبقى شيءٌ موجود إلا الله، كما يقوله من يقوله مِنْ أهل الكلام الذين تلقَّوا ذلك عن الجهمية" ثمَّ يعلِّل ابن تيمية سببَ قولهم، فيقول"فإنَّ الجهمَ أصلُ قولِه، أنَّ الله لا يقدِرُ على فعل ما لا يتناهى، بل جعل لفعلِه مبدأً ومنتهى، وجعله معطَّلاً في الأزل والأبد. ولهذا قال: إنَّ الجنَّة والنَّار يفنيان، ويفنى كلُّ شيء. وهذا من بِدعِه التي أنكرها عليه السلف والأئمة، وادَّعى هو وغيره من المعتزلة وغيرهم، أنَّ العالمَ يُعْدَمُ كلُّه ثمَّ يُعادُ كلُّه بعد عدمه كله، وهذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف كما قد بسط في موضعه"[٣].

يقول العلامة السفاريني رحمه الله:"اختلف الناس، هل البعث إعادةٌ بعد تفريق، أو إيجاد معدوم؟ قال عكرمة رحمه الله: إنَّ الذين يغرقون في البحر، وتقتسم لحومهم الحيتان، ولا يبقى منهم شيءٌ إلا العظام، فتُلقيها الأمواج إلى الساحل، فتَمكث حينا ثمَّ تصير نَخِرة، ثمَّ تمرُّ بها الإبل فتأكلها، ثمَّ تسيرُ الإبل فتَبْعَر، ثمَّ يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيُوقِدونه، ثمَّ تخمد تلك النار، فتجيء الريح فتُلقِي ذلك الرَّمادَ على الأرض، فإذا جاءت النَّفخةُ فإذا هم قيام ينظرون، يخرج أولئك وأهل القبور سواء[٤].

---

١. جامع المسائل (٥/١٧٤-١٧٦).

٢. هكذا في الأصل، ولعل الصواب (يعدم).

٣. الصفدية (٢/٣٢٩). يُنظر: جامع المسائل (٥/١٧٣) وَ (٥/١٧٥).

٤. أخرجه أبوالشيخ في العظمة (٢/٦١٥)، وحلية الأولياء (٣/٣٣٩). وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن حميد، ولكن لم أجده، فالله أعلم.

قال العلامة الشيخ مرعي رحمه الله تعالى: قال العلماء: إنَّ الله تعالى يَجمعُ ما تفرَّق من أجساد الناس، من بطون السباع، وحيوانات الماء، وبطن الأرض، وما أصاب النيران منها بالحرق، والمياه بالغرق، وما أبلتْه الشمسُ، وذرَّته الرياح، فإذا جمعها وأكمل كلَّ بدن منها ولم يبقَ إلا الأرواح، نفخ إسرافيل عليه السلام في الصُّور...فترجع كلُّ روحٍ إلى جسدها، فإذا هم قيام ينظرون. والحاصل أنَّ إعادة الأجسام حقٌّ يجب الإيمان به"[1].

ويقول الشيخ عبدالعزيز الراجحي حفظه الله:"وقال الجهم بن صفوان: إنَّ الجسد يبلى ويعاد جسدا آخر. وهذا من أبطل الباطل، ومعناه أنَّ الذي يُبعثُ غير الجسد هذا، هذا يفنى ويبعث جسداً آخر، ومعنى أنَّ الله يبعث أجساداً، يعذِّبهم وهم لم يعصون"[2].

تنبيه:هناك بعضُ الألفاظ الصادرة من ابن الجوزي رحمه الله، قد تدلُّ على أنَّ البعث للأجساد تكون غير الأجساد التي كانت عليها في الدنيا، من ذلك قوله:"وإذا ثبت هذا، فإنَّ الحق سبحانه أتلف هذا البدن الترابي المعرّض للآفات، فإنه سيُبْدلُه ببدنٍ لا يبلى في حياة لا تنفذ"[3].

ويقول أيضاً:"ولمَّا أُريد نقض هذا البدن الذي لا يصلح للبقاء، نُحيتْ عنه النَّفس البشرية، وبُني بناءً يقبل الدوام"[4].

ويقول:"وأنَّ هذا البدن ليس بشيء؛ لأنَّه مركَّب تفكَّك وفسد، وسيُبنى جديداً يوم البعث"[5].

فهذه النصوص قد تدُلُّ لأول وهلةٍ، بأنَّ قائلَها يرى أنَّ بعثَ الأجسادِ يكون بأبدانٍ جديدةٍ غير التي كانت في الدنيا. ولكن الذي يذهب إليه ابن الجوزي رحمه الله، ما قدَّمناه عنه من أنَّ البدن نفسه هو الذي يبعث، وذلك لأمور:

---

١. لوامع الأنوار (٢/١٦٠).

٢. في شرحه للمعة الاعتقاد، مسألة النفخ في الصور يُنظر: الرابط: http://portal.shrajhi.com/Media/ID/6728 .

٣. الثبات على الممات (٦٥).

٤. صيد الخاطر (٤٩٧).

٥. صيد الخاطر (٢٨٥).

١. أنَّ ما تقدَّم من كلامه في أكثر من موضع، يدُلُّ دلالةً واضحةً أنَّ الأبدان التي تُبعثُ، هي التي كانت في الدنيا، وأنَّها هي التي تعيد مذكوراتها في الدنيا، كما استدلَّ لذلك بقوله تعالى:﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾الصافات:٥١، وكذلك نقلُه في تأصيله لهذه المسألة كلامَ ابن عقيل رحمه الله، ممَّا يدلُّ على تبنيه لهذا القول.

٢. أنَّ ابن الجوزي رحمه الله كأنَّه يشير بهذه النُّصوص إلى معنى آخر، وهو أنَّ الله حين يبعث الأجساد يوم القيامة، يبعثها بعثاً تكون قابلةً لأهوال يوم القيامة، ولهذا ينقل عن أبي عبيد في كلامه على حديث (يحشر الناس عراة بهما)[1] قوله:"المراد:أنَّهم يحشرون بأجسادٍ مصحَّحة لخلود الأبد"[2]، بمعنى أنَّ ذوات التراب هي هي، ولكن صُحِّحتْ لتكونَ قابلةً لأهوال يوم القيامة، والله أعلم.

المسألة الثالثة: حقيقة الصور وعدد النَّفخات فيه:

المراد بالصُّور: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرائيل عليه السلام، عند بعث الموتى إلى المحشر[3].

وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله الخلافَ في المراد الصُّور، فقال:"وفي الصُّور قولان:

أحدهما:أنَّه قرنٌ ينفخ فيه، روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن الصُّور، فقال:((هو قرن ينفخ فيه))[4]. وقال مجاهد: الصُّور كهيأة البوق. وحكى ابن قتيبة أنَّ الصُّور: القرنُ في لغةِ قومٍ مِن أهلِ اليمن، وأنشد:

نَحْن نَطَحْناهم غداةَ الجمعين ****** بالضَّابحاتِ في غبار النَّقْعين

نَطْحاً شديداً لا كنَطْحِ الصُّورين[5]

وأنشد الفراء:

لولا ابنُ جعدةَ[1] لم يُفْتحْ قُهُنْدُزُكُم[2] ****** ولا خُرَاسانَ حتى يُنْفَخ الصُّور[3]

---

١. رواه مسلم برقم: (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٢. غريب الحديث (٩٣/١).

٣. يُنظر: تفسير الطبري (٤٦٣/١١)،وتفسير ابن عطية (٣٠٩/٢)، وعارضة الأحوذي (٢٦٧/٩)، وتفسير القرطبي (٢٣٩/١٣). وروى البخاري معلقا، قال مجاهد: الصور كهيئة البوق. يُنظر: البخاري مع الفتح (٣٦٧/١١-٣٦٨).

٤. رواه أبوداود (٧١/٥)، والترمذي برقم: (٢٤٣٠). قال الترمذي :"حديث حسن".

٥. نسبه الثعلبي إلى العجَّاج في تفسيره (١٥٩/٤)، ولم أجده في ديوانه.

وهذا اختيار الجمهور.

والثاني: أنَّ الصُّور جمع صُورَة. يقال:صُورَة وصُوَر، بمنزلة سُورَة وسُوَر، كسورة البناء، والمراد:نفخ الأرواح في صورة الناس[4]. قاله قتادة وأبو عبيدة"[5].

وبالنَّظر إلى موطنٍ آخر من كتبه رحمه الله، فإنَّه يرجّح بأنَّ الصُّور هو القرن، ولهذا يعرِّفُ الصُّور في كشف المشكل، فيقول:"والصُّور:قرنٌ يُنفخُ فيه، فيموت الناسُ عند النَّفخ"[6].

ويقول أيضاً:"قوله تعالى:﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾المدثر:٨، أي: نُفِخ في الصُّور"[7].

وما ذكره رحمه الله هو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة، وهو المراد من لغة العرب.

قال الإمام أحمد:"والصُّور حقٌّ، يَنفُخُ فيه إسرافيلُ فيموتَ الخلقُ، ثمَّ يَنفخُ فيه الأخرى فيقومون لربِّ العالمين"[8].

يقول الإمام اللالكائي رحمه الله:"سياق ما روي عن النبي ﷺ في الصُّور، والحشر، والنَّشر"[9] ثمَّ ذكر الأحاديث الدالة على ذلك، منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ:((كيف أَنْعَمُ وصَاحِبُ الصُّور قدِ ٱلتَقَم الصُّور بفيه، وأَصْغَى سَمْعه، وأَحْنَا جبْهَتَه، يَنْتَظِرُ متى يُؤْمَر أنْ يَنْفُخ)). قالوا يارسول الله:كيف نقول؟ قال:((قولوا حسبنا الله ونِعْم الوكيل، على الله توكلنا))[10].

---

١. هو عبدالله بن جعدة بن هبيرة المخزومي.

٢. المراد بـ(قهندزكم)ما قاله السمعاني رحمه الله في الأنساب (٥٦٦/٤):"القهندزي: بضم القاف والهاء، وسكونِ النون، وضمِّ الدال المهملة، وفي آخرها الزاء، هذه النسبة إلى قهندز، بلاد شتى، وهي المدينة الداخلة المسوَّرة. وأمَّا قهندز بخارى، فهي المدينة الداخلة فيما أظن" ثمَّ ذكر جملة من العلماء الذين لقبوا بهذا اللقب. وقد ذكر الحاكم في المستدرك(١٩١/٣) البيت، وفيه"هنبركم" ولعلَّه خطأٌ مطبعي، والله أعلم.

٣. البيت ذكره الفراء في معاني القرآن، والطبري (٤٦٣/١١)، والأنساب(٥٦٦/٤) بدون نسبة، وذكر ابن الكلبي في جمهرة أنساب العرب أنه لمولى من بني هاشم.

٤. فتحيا.

٥. زاد المسير (٦٨/٣-٦٩).

٦. كشف المشكل (١٢٧/٤)، وُينظر: التبصرة (٣٠٩/٢).

٧. زاد المسير (٤٠٣/٨).

٨. رواها عنه الإصطخري كما ذكرها أبويعلى بسنده في طبقات الحنابلة (٢٧/١).

٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٣١/٦).

١٠. رواه الترمذي برقم: (٢٤٣١) وقال:"حديث حسن". يُنظر: السلسلة الصحيحة (٦٥/٣)، رقم:(١٠٧٨).

ومن الأدلَّةِ الواضحةِ عليه، قوله تعالى:﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾المدثر:٨، قال ابن عباس رضي الله عنهما:(النَّاقور: الصُّور)[١]. فإنَّه لا يحتمل ما ذكروه من معنى الصُّورة، والله أعلم[٢].

عدد نفخات الصُّور:

حكى رحمه الله الخلاف في عدد النَّفخات في الصُّور، فقال:"وظاهرُ القرآنِ يشهدُ أنَّه يَنْفُخ في الصُّور مرَّتين. وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنَّه قال:((الصُّور قرنٌ يُنفَخ فيه ثلاثُ نفخاتٍ، الأولى:نفخة الفزع، والثانية:نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين))[٣]. قال ابن عباس:(وهذه النَّفخة المذكورة في هذه الآية هي الأولى)[٤]يعني: نفخةَ الصَّعق"[٥]. ولم يُرجِّح رحمه الله بين هذه الأقوال، والذي يترجَّح لديَّ والله أعلم أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى أنَّهما نفختان، وذلك من خلال الأمور التالية:

١.أنَّه في النصِّ السابق ذكر أن ظاهر القرآن نفختان، ثمَّ أيَّد قولَه بأثر ابن عباس رضي الله عنهما، حيثُ ذكر أنَّ نفخة الصَّعق الواردة في الآيات هي الأولى، والذين يقولون إنَّها ثلاثُ نفخاتٍ، يقولون الفزع هي الأولى، والصعق الثانية.

٢.تفسيره لنفخة الفزع بأنَّها الموت، أي: بمعنى الصعق. يقول رحمه الله:"﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾النمل:٨٧ وهذه النَّفخة الأولى﴿ فَفَزِعَ ﴾النمل:٨٧ المراد:أنَّهم ماتوا"[٦].

٣.أثناء كلامه عن نفخات الصُّور في كتبه الأخرى، يذكر أنَّها نفختان، ولا يذكر أنَّها ثلاثُ نفخات، فمنْ ذلك قوله رحمه الله:"النَّفخة الأولى في الصُّور، هي التي تَمُوتُ الخلائق عندها. والنَّفخة الثانية، هي التي يَحْيَون عندها"[٧].

وللعلماء في عدد النفخات في الصُّور قولان مشهوران:

---

١. رواه البخاري معلَّقاً (١٠٨/٨).

٢. يُنظر: الفتاوى (٢٣٦/١٣).

٣. سيأتي تخريجه قريبا إن شاءالله.

٤. رواه ابن جرير (٤٦٤/١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٨٤).

٥. زاد المسير (٦٩/٣).

٦. تذكرة الأريب (٥٣/٢)، يُنظر: زاد المسير (١٩٥/٦).

٧. كشف المشكل (٤٥٤/٣). يُنظر: نزهة الأعين النواظر (٣٨٩)، بستان الواعظين (٥٥)، التبصرة (٣٥٥/١).

القول الأول: أنَّها نفختان، النَّفخة الأولى، هي نفخة الفزع والصعق، يُنفَخُ في الصُّور فيفزعون ثمَّ يموتون، والنَّفخة الثانية، هي نفخة البعث.

وإليه ذهب ابن جرير[١]، وأبو الحسن الأشعري[٢]، والحافظ ابن حجر[٣]، والقرطبي في التذكرة[٤] رحمة الله على الجميع.

القول الثاني: أنَّها ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث.

وإليه ذهب ابن العربي[٥]، وابن تيمية[٦]، وابن كثير[٧] رحمهم الله.

والصحيح والعلم عند الله، أنَّهما نفختان، والدليل على ذلك، ما ورد في مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعا:((ثمَّ يُنفخ في الصُّور، فلا يسمعه أحدٌ إلا أَصْغَى لِيتَاً[٨]ورفع لِيتَاً، قال: وأولُ من يسمعه رجلٌ يلوطُ حوضَ إبله، قال: فيُصعَق، ويُصعَق الناس، ثمَّ يُرسل اللهُ – أو قال يُنزِلُ الله – مطراً كأنَّه الطَّل أو الظل – نعمان الشاك – فتنبت منه أجساد الناس، ثمَّ يُنفخ فيه أخرى، فإذا هم قيامٌ ينظرون))[٩]، فذكر أنَّهم يفزعون في بداية النَّفخ، وذلك برفعهم لصفحة أعناقهم، ثمَّ بعد فزعهم، يصعقون، وأولُّهم صعقاً صاحب الحوض، فهذه الأولى، والثانية نفخة البعث، فإذا هم قيام ينظرون.

وكذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه:((بين النفختين أربعون))[١٠]وهذا دليلٌ على أنَّهما نفختان فقط.

---

١. يُنظر: تفسير الطبري (٤٩٤/١٢).

٢. يُنظر: رسالة إلى أهل الثغر (١٦٠-١٦١)، حيث ذكر نفختين فقط، ولم يذكر ثلاثا.

٣. يُنظر: فتح الباري (٥٥٢/٨)، (٣٦٩/١١).

٤. التذكرة (٤٩١).

٥. عارضة الأحوذي (٢٦٨/٩).

٦. الفتاوى (٢٦٠/٤).

٧. التفسير (٢١١/٨).

٨.يقول القاضي عياض رحمه الله:"اللِّيت:بالكسر، صفحة العنق وجانبه"مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٣٦٨/١).

٩. رواه مسلم برقم: (٢٩٤٠).

١٠. رواه البخاري برقم: (٤٨١٤)، ومسلم برقم: (٢٩٥٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾الزمر:٦٨قال:(نُفخ فيه أول مرَّة فصاروا عظاماً ورفاتاً، ثمَّ نُفخ فيه الثانية فإذا هم قيام ينظرون)[١].

ومنْ قال بأنَّها ثلاث، استدل بأنَّ القرآن ورد فيه ثلاث نفخات.

ويجاب عن ذلك، بأنَّه"لا يلزم من مغايرة الصَّعق للفزع، أنْ لا يحصلا معاً من النَّفخة الأولى"[٢]لأنَّها يكون أولها فزع، وآخرها صعق.

وأمَّا ما ذكروه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا وفيه:((ثمَّ يُنفخ في الصُّور ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين))[٣] فهو حديث ضعيف، قال البخاري رحمه الله:"مرسل لا يصحّ"[٤]، وقال ابن جرير الطبري رحمه الله:"في إسناده نظر"[٥]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:"سنده ضعيفٌ ومضطرب"[٦].

المسألة الرابعة: الحوض:

المراد بالحوض، هو ما جاء به الخبر عن النبي ﷺ بأنَّ له حوضاً يوم القيامة تَرِدُه أمَّتُه، مَنْ شرب منه شربةً، لم يظمأْ بعدها أبداً، وقد جاءت صفاته في كتب السُّنَّة والعقائد المسندة، وسيأتي ذكرُ بعض هذه الأحاديث إن شاء الله.

وقد تكلَّم ابن الجوزي رحمه الله عن الحوض، وعقد له باباً في كتابه الوفا، واستَدلَّ له من السنَّة، فقال:"البَابُ السّادس: في ذكر حوضه ﷺ: عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال:((إنَّ قَدْر حوضي ما بين أَيْلَة وصنعاء من اليمن، وإنَّ فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء))[٧]. عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:((حوضي مسيرةُ شهر، ماؤه

---

١. اعتقاد أهل السنة للالكائي (١١٦١/٦).

٢. فتح الباري (٣٦٩/١١).

٣. رواه ابن رهويه في مسنده (٨٤/١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٨٣/١)، والطبري في تفسيره (٥٥٨/١٨)، وأبوالشيخ في العظمة (٨٢١/٣)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٦).

٤. الكامل لابن عدي (٢٨١/١).

٥. تفسير الطبري (٥٥٨/١٨).

٦. فتح الباري (٣٦٩/١١).

٧. رواه البخاري برقم: (٦٥٨٠)، ومسلم برقم: (٢٣٠٣).

أبيضُ من اللَّبن، وريحه أطيبُ من المسك، وكِيزَانه كنجوم السماء، مَنْ شرب منه لا يظمأُ أبداً))[1]. عن النبي ﷺ أنَّه قال:((أنا فَرَطُكم على الحوض،من ورِدَ شَرِب، ومن شرب لم يَظْمأْ أبداً))[2]. عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:((أنا فَرَطكم على الحوض، وليَخْتَلِجنَّ[3] رجالٌ دوني فأقول: يا رب أصحابي. فيقال: إنَّك لا تَدْري ما أَحْدَثوا بعدك))[4]. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:((إنَّ أمامَكم حوضاً، ما بين ناحِيتيه كما بين جَرْباء وأَذْرح[5]))[6]. عن أبي ذر قال:قلتُ يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال:((والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عددِ نجومِ السماءِ وكواكبِها في الليلة الظَّلْمَاء الْمُصْحية[7]، آنية الجنَّة من شرب منها لم يظمأْ، آخر ما عليه، يَشْخَب[8] فيه ميزابان من الجنَّة، عرضه مثل طوله، ما بين عَمَّان[9]إلى أَيْلة، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل))[10].

عن حذيفة قال:قال رسول الله ﷺ:((إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن، والذي نفسي بيده إني لأذُود عنه الرِّجال كما يذود الرجل الإبلَ الغريبة عن حوضه)). قالوا: يا

---

١. رواه البخاري برقم: (٦٥٧٩)، ومسلم برقم: (٢٢٩٢).

٢. رواه مسلم برقم: (٢٢٩٠) من حديث سهل رضي الله عنه.

٣. يقول ابن فارس رحمه الله:"الخاء واللام والجيم أصلٌ واحد، يدلُّ على ليٍّ، وفتلٍ، وقلةِ استقامة. فمِنْ ذلك، الخليج، وهو ماء يميل ميلة عن معظم الماء، فيستقر ... وفلان يتخلج في مشيته إذا كان يتمايل" مقاييس اللغة (٢/٢٠٦).

٤. رواه البخاري برقم: (٦٥٧٦).

٥. بلدة في أطراف الشام، من نواحي البلقاء.يقول الحموي مبيِّناً كم بين المدينتين:"وحدثني الأمير شرف الدين يعقوب بن الحسن الهذياني قال: رأيت أذرح والجرباء غيرَ مرَّةٍ وبينهما ميلٌ واحدٌ وأقل؛ لأنَّ الواقف في هذه ينظر هذه، واستدعى رجلاً من أهل تلك الناحية ونحن بدمشق، واستشهده على صحة ذلك فشهد به، ثمَّ لقيتُ أنا غيرَ واحدٍ من أهل تلك الناحية وسألتُهم عن ذلك، فكلٌ قال مثل قوله". وممَّا يدلُّ على قربهما من بعضهما، ما ورد في السيرة أنَّ أهل جرباء وأذرح، أتوا النبيَّ ﷺ فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتاباً، فهو عندهم. معجم البلدان (١٢٩/١)، سيرة ابن هشام (٢٥٢/٢).

٦. رواه البخاري برقم: (٦٥٧٧)، ومسلم برقم: (٢٢٩٩).

٧. يقول القاضي عياض"أي: التي لا غيم فيها. يقال: أصحت السماء، فهي مصحية" مشارق الأنوار (٣٩/٢).

٨. يقول ابن فارس رحمه الله:"الشين والخاء والباء أصيلٌ، يدلُّ على امتداد في شيءٍ يجري ويسيل. من ذلك الشخب، وهو ما امتدَّ من اللبن حين يُحلَب" مقاييس اللغة (٢٥٥/٣).

٩. يُنظر: مشارق الأنوار (١٠٨/٢).

١٠. رواه مسلم برقم: (٢٣٠٠).

رسول الله، وتعرفنا؟ قال:((نعم، تَرِدُون عليَّ غُرًّا مُحَجَّلين))[1]. انفرد بإخراج هذا الحديث والذي قبله مسلم، واتفقا على ما قبل هذا من الأحاديث"[2].

فنلاحظ سردَه رحمه الله لأحاديث الحوض، وذِكْرَه للنصوص من الصحيحين، مسلك سلف الأمة في ذلك، وكذلك فعل في كتابه الحدائق، فعقد باباً بعنوان:"ذكر الحوض"، وذكر فيه تسعة عشر حديثا[3].

وبعد إثباته للحوض من سنَّة رسول الله ﷺ، نراه يذكر من أَنْكَره من أهل البدع، فيقول رحمه الله:"وكما أَنكَروا – أي المعتزلة – الرؤية والشفاعة، أنكروا الحوض والميزان، أي: تأَوَّلُوا ذلك، وصرفوه عن الظاهر"[4].

ثمَّ يذكر الحكمة من الحوض، فيقول:"فإنْ قيل: السر في وجود الحوض؟ فالجواب: شدَّةُ العطش والعرق يومئذٍ؛ لأنَّ الشمسَ تُدْنىَ من رؤوس الخلائق، فيشتد العطش والعرق، فجعل له الحوض على عادة العرب في جعل الأحواض للواردين عليها كالضيافة"[5].

وللناس في الحوض قولان:

القول الأول: من أنكره، وهم الخوارج وبعض المعتزلة[6].

القول الثاني: إثباته، وأنه حقٌّ، وأنَّ الله امتنَّ به على نبيه ﷺ، وهذا قول عامة المسلمين.

روى أبويعلى في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ عُبيدَ الله بن زياد، قال: يا أبا حمزة، هل سمعت النبي ﷺ يذكر الحوض؟ فقال:(لقد تركتُ بالمدينة، لعجائز يكثرنَ، أن يسألنَ الله، أن يوردهنَّ، حوض محمدﷺ)[7]. فهذا يدلُّ على اشتهاره وانتشاره بين المسلمين،

---

١. رواه مسلم برقم: (٢٣٠٠).

٢. الوفا (٨١٦-٨١٧).

٣. يُنظر: الحدائق (٥١٠/٣-٥١٥).

٤. المنظوم والمنثور (٨٠٨).

٥. كشف المشكل (٣٠٥/١).

٦. يُنظر: مقالات الإسلاميين (٤٧٣)، فتح الباري: (٤٦٧/١١)، المفهم شرح مسلم للقرطبي (٩٠/٦).

٧. مسند أبي يعلى (٩٦/٦). وصحَّح إسناده الحافظ رحمه الله في الفتح. يُنظر:فتح الباري (٤٦٨/١١).

ولهذا لا مستند لمن أنكره، يقول ابن حزم الظاهري رحمه الله:"ولا ندري لمن أنكره متعلقاً، ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي ﷺ في هذا وغيره"[1].

وبهذا يتبين موقف ابن الجوزي رحمه الله في إثباته للحوض، بل وفي سرده لأحاديث الحوض، إسوة بغيره من علماء السلف، معتمداً في ذلك على ما صحّ فيه الخبر.

منبري على حوضي

تعرَّض ابن الجوزي رحمه الله للكلام على قوله ﷺ:((ومنبري على حوضي))[2]، وبيَّنَ معناه، فقال:"قال أبو سليمان الخطابي: معنى الحديث، تفضيل المدينة، وخصوصاً البقعة التي بيْن البيت والمنبر، يقول:من لَزِم طاعة الله في هذه البقعة، آلتْ به الطاعة إلى روضةٍ من رياض الجنَّة، ومَن لزم عبادة الله عند المنبر، سُقيَ في القيامة من الحوض"[3]. وكون ابن الجوزي رحمه الله، ذكر قول الخطابي رحمه الله، ولم يعارضْه، فهو يرى هذا القول، والله أعلم

وللعلماء في المراد به أحد ثلاثة أمور[4]:

الأول: أنَّ منبرَه بعينه يعيدُه الله يوم القيامة ويوضع على الحوض. وإليه ذهب أكثرُ أهل العلم.

الثاني: أنَّه منبرٌ آخر يُوضع على قبره.

الثالث: ما ذكره ابن الجوزي عن الخطابي رحمهما الله، بأنَّ مَن قَصَدَه، ولزم عبادة الله عنده، سُقِيَ من الحوض.

والراجح والله أعلم، هو قول من قال إنَّه منبره بعينه الذي في الدنيا، وذلك لما يلي:

١.الإضافة في الحديث ((منبري))، وهذا يدُلُّ على أنَّه منبره الذي خَطَبَ عليه في الدنيا، قال القاضي عياض رحمه الله عن هذا القول:"وهو أظهر"[5].

٢.قوله ﷺ:((قوائم منبري رواتب في الجنَّة))[1]، وأصرح منه قوله عليه الصلاة والسلام:((منبري هذا على ترعةٍ[2] مِنْ تِرَعِ الجنَّة))[3]، فاسم الإشارة (هذا) من المعارف المشارة

---

١. الفصل (٥٥/٤). يُنظر: المفهم على صحيح مسلم (٩٠/٦).

٢. رواه البخاري برقم: (١١٩٦)، ومسلم برقم: (١٣٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣. كشف المشكل (٣٩٨/٣). يُنظر: مثير الغرام (٤٦٨) حيث ذكر نحوه.

٤. يُنظر:التمهيد(٢٩٠/٢-٢٩١)، الشفا للقاضي عياض (٦٨٣)، فتح الباري (١٠٠/٤).

٥. الشفا (٦٨٣).

إلى شيء معيَّن، يقول الخضري رحمه الله:"هو ما وضع لمشارٍ إليه، أي: بالأصبع ونحوه. فلا بُدَّ مِن كونِه حاضراً محسوساً بالبصر"[٤]، فقوله:((منبري هذا)) إشارة إلى شيءٍ حاضرٍ محسوسٍ تُدْرِكُه أبصارُ الحاضرين.

المسألة الخامسة: الميزان:

المراد بالميزان، هو ميزان حقيقي، له كِفَّتان، تُوزَنُ به الأعمال، وصحائف الأعمال، والأشخاص، فمَنْ رجَحَتْ حسناتُه دخل الجَنَّة، ومن رجحت سيئاتُه دخل النار، على ما سيأتي بيانه بحول الله وقوته[٥].

يقرِّر الإمام ابن الجوزي رحمه الله ثبوتَ الميزان في فصل خاصٍّ عقده في كتابه زاد المسير، فيقول:"فصل: والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن يَنْطِقُ به، وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا الأعمال أَعْراضٌ فكيف تُوزن؟"[٦].

وقد عقد باباً في كتابه الحدائق بعنوان "ذكر الميزان"[٧]، وذكر فيه ثلاثة أحاديث، بَدَأَ بذكر حديث البطاقة المشهور[٨]، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً:((ليأتيَ الرجلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامة، لا يَزِنُ عند الله جناحَ بعوضة، وقال: اقرأوا:﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾الكهف:١٠٥))[٩]، وحديث عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: يا رسول الله،

---

١. مسند أحمد برقم: (٢٦٤٧٦)، والنسائي برقم: (٦٩٦) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

٢. الترعة: هي الروضة في مكان مرتفع، فإن كان في المطمئن فهي روضة. يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٧/١).

٣. مسند أحمد برقم: (٨٧٢١). يُنظر: السلسلة الصحيحة (٤٧٩/٥)، رقم: (٢٣٦٣).

٤. حاشية الخضري على ابن عقيل(٦٧/١).

٥. يُنظر:مقالات الإسلاميين (٤٧٢)، و لوامع الأنوار (١٨٤/٢).

٦. زاد المسير (١٧٠/٣).

٧. الحدائق في علم الحديث والزهديات (٥١٢٣/٣-٥٢٢).

٨. سيأتي قريبا إن شاء الله صفحة (٤٣٧).

٩. رواه البخاري برقم: (٤٤٥٢)، ومسلم برقم: (٢٧٨٥).

هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ:((أمَّا في ثلاثِ مَواطنَ فلا يذكر أحدٌ أحدا، عند الميزان حين يوضع، حتى يَعلَمَ أَتَثْقُلُ موازينُه، أم تخف...الحديث))[1].

ويقول عمَّن أنكر الميزان من المخالفين من المعتزلة:"وكما أنكروا الرؤيةَ والشفاعةَ، أنكروا الحوض والميزان، أي: تأوَّلُوا ذلك وصرفوه عن الظاهر"[2].ثمَّ ذكر الأدلة على ذلك، فقال:"وقد روى أنس بن مالك قال:قلتُ: يا رسول الله، أين أطلبُك يوم القيامة؟ قال: عند الصراط.قلتُ: فإنْ لم أجدْكَ عند الصراط؟. قال: عند الميزان. قلتُ: فإنْ لم أجدْكَ؟. قال: عند الحوض، فإنِّ لا أخطئ هذه المواضع الثلاثة[3]. وقال عليه السلام:((الميزان له كِفَّتان، كلُّ كِفَّةٍ كعرض السماء والأرض، وحولها أربعة أملاك: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل يضع الأعمال فيها[4]، فمَنْ رَجَحت كِفَّةُ حسناتِه، كُتِب له براءةٌ من النَّار، وأوجب له الجنَّة، ومن رَجَحت كِفَّةُ سيئاتِه، أوجب له النار، فإنْ شاء عذَّبه، وإنْ شاء عفا عنه))[5]"[6].

ويقول رحمه الله أيضاً:"من زعم أنَّ الميزان ليس هو حقٌّ، فقد ردَّ على الله في كتابه، وعلى رسوله ﷺ في سنَّته"[7].

وقد اختلف أهل القبلة في الميزان على ثلاثة أقوال[8]:

القول الأول: مَن أنكر الميزان جملةً، وقالوا إنِّه مِن باب المجاز، وأنَّ المرادَ أنَّ الله يجازيهم بأعمالهم وزناً بوزن، وعلَّلُوا ذلك بأنَّ الأعمال أعراضٌ يستحيل وزنُها.

---

١. رواه أبوداود برقم: (٤٧٥٥)، والحاكم (٥٧٨/٤) وقال: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين، لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، على أنَّه قد صحَّت الروايات أنَّ الحسن كان يدخل وهو صبيٌّ منزل عائشة رضي الله عنها وأمِّ سلمة.

٢. المنظوم والنثور (٨١٠).

٣. رواه أحمد برقم:(١٢٨٢٥)،والترمذي برقم:(٢٤٣٣).وقال:"هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

٤. هكذا أثبتها المحقق في الأصل، ولعلَّ الصواب والله أعلم (عزرائيل، يُضع الأعمال فيها)؛ لأنَّ الملائكة حول الميزان، ومنهم عزرائيل، وليس هو المختص بوضع الأعمال في الميزان.

٥. بحثت عنه فلم أقف عليه. وكذلك محقق المنظوم والمنثور (٨١٠) حاشية:(٢) .

٦. المنظوم والنثور (٨١٠).

٧. بستان الواعظين (٥٣).

٨. يُنظر: مقالات الإسلاميين (٤٧٢-٤٧٣)، التذكرة للقرطبي (٧١٥-٧٥١)، فتح الباري (٥٣٨/١٣).

يقول ابن فورك رحمه الله:"أنكرت المعتزلةُ الميزان، بناءً منهم على أنَّ الأعراض يستحيلُ وزنُها، إذْ لا تقوم بأنفسها"[1].

القول الثاني:من أثبت الميزان، ومنعوا أن توزنَ الأعراض، وقالوا"إذا كانت حسناتُ الإنسان أعظم من سيئاته، رَجَحت إحدى الكِفَّتين على الأخرى، فكان رجحانُها دليلاً على أنَّ الرجلَ من أهل الجنَّة، وكذلك إذا رجحت الكِفَّة الأخرى السوداء، كان رُجحانُها دليلاً على أنَّ الرجل من أهل النار"[2]، يعني من غير أن توضع الأعمال؛ لأنَّها أعراض كما يقولون فكيف توزن؟.

القول الثالث: إثبات الميزان، وأنَّه حقٌّ، وأنَّ الأعراض تُوزن، كما أنَّ الصحائفَ والعبادَ يوزنون، وهذا ما عليه أهل السنَّة والجماعة، وهو ما تظاهرت عليه أدلة الكتاب السنَّة.

يقول الإمام أحمد رحمه الله:"والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء((يُوزَنُ العبدُ يوم القيامة فلا يَزِنُ جناحَ بعوضةٍ))[3]، ويوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر. والإيمان به، والتصديق به، والإعراضُ عمَّن ردَّ ذلك، وتركُ مجادلته"[4].

وممَّا يوضِّح أنَّ المراد بالميزان، آلةٌ توزن بها الأعمال، وليس أمراً مجازياً، أمورٌ منها:

أولاً: "أنَّ الميزان مِفْعَال، والمِفْعَال قياسيٌّ في اسم الآلة"[5] فهو آلة للوزن وليس شيئاً مجازيَّاً.

ثانياً: قوله ﷺ لبعض الصحابة، وقد قال له يا رسول الله: أين أجدُك في القيامة؟ فقال:((اطلبني عند الحوض، فإنْ لم تجدْني فعند الميزان))[6]، ولو لم يكنْ الميزانُ مرئياً محسوساً، لما أحالَه رسولُ الله ﷺ على الطلب عنده[7].

---

١. التذكرة للقرطبي (٧٢٢). يُنظر: مقالات الإسلاميين (٤٧٣-٤٧٢).

٢. مقالات الإسلاميين(٤٧٣). يُنظر: الكشاف للزمخشري (١٢١/٣).

٣. رواه البخاري برقم: (٤٧٢٩)، ومسلم برقم: (٢٧٨٥)من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٤. أصول السنة (٢٥/١-٢٨).

٥. أضواء البيان (٦٤/٧).

٦. وقد تقدم الصفحة السابقة.

٧. يُنظر: تفسير ابن عطية (٣٧٥/٢).

ثالثاً:"أنَّ القول في الميزان، هو من عقائد الشرع الَّذي لم يعرف إلا سمعاً، وإنْ فتحنا فيه باب المجاز، غمرتْنا أقوالُ الملاحدة والزنادقة في أنَّ الميزان، والصراط، والجنَّة، والنار، والحشر ونحو ذلك، إنَّما هي ألفاظٌ يُراد بها غير الظاهر"[١].

رابعاً: قول سلمان الفارسي رضي الله عنه (يوضع الميزان وله كِفَّتان...الأثر) [٢]، وهذا له حكم الرفع؛ لأنَّه لا مجالَ للرأي فيه، ففي هذا الأثر دليلٌ أنَّه آلة، وهذه الآلة لها كِفَّتان تُوزن بهما الأعمال.

وأمَّا ما أنكروه من أنَّ الأعراض لا توزن، فيجاب عنه بأمور:

الأول: أنَّ الله عل كلِّ شيءٍ قدير، ولا يقِفُ أمامَ قدرةِ الله شيءٌ.

الثاني: أنَّه ورد في السنَّة ما يدُلُّ على أنَّ الله يَقلِبُ الأعراض أجساماً فتوزن، قال ﷺ:((يُؤتى بالموت كبشاً أغثر [٣]، فيوقف بين الجنَّة والنَّار، فيقال: يا أهل الجنَّة، فيشرئبون وينظرون، ويقال لأهل النار، فيشرئبون وينظرون، ويرون أنْ قد جاء الفرج، فيذبح، فيقال: خلود لا موت)) [٤].

الثالث: أنَّنا نشاهد الآن موازين لبعض الأعراض، كضغط الدم، والحرارة، والرطوبة، والكذب، والذكاء وغير ذلك، كلُّ عرضٍ من هذه الأعراض تُوزن بحسب نوعها، فيختلف كلُّ عرضٍ عن الآخر في الوزن، وإن كان الجميع يوزن.

وبهذا يتبيَّنُ لنا موافقة ابن الجوزي رحمه الله للسلف في إثباته للميزان، كما ورد في الكتاب والسنَّة، وكما هو مذهب سلف الأمة.

ما الذي يوزن؟

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله:"الوزنُ يَرجِعُ إلى الصحائف، بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنَّه قال:((إنَّ الله عزَّ وجلَّ يستخلص رجلاً من أمَّتي على

---

١. تفسير ابن عطية (٢/٣٧٥).

٢. رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/١٢٤٥) موقوفاً، وورد مرفوعاً بدون ذكر(وله كفتان) عند الحاكم (٤/٥٨٦)، وقال:هذا حديث على شرط مسلم. يُنظر: السلسلة الصحيحة (٢/٦١٩)، رقم:(٩٤١).

٣. أي: اللون الأغبر. يُنظر: النهاية في غريب الأثر (٣/٣٤٣).

٤. رواه أحمد في المسند برقم: (٩٤٤٩) وأصله في الصحيح، وقد تقدَّم تخريجه صفحة (٩٦).

رؤوس الناس يوم القيامة، فيَنشُر عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كلُّ سجلٍّ مدُّ البصر، ثمَّ يقول له: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟. فيقول: لا يا ربِّ. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيُبهت الرجلُ، فيقول:لا يا ربِّ. فيقول: بلى، إنَّ لك عندنا حسنةً واحدةً، لا ظلم عليك اليوم. فيُخرَج له بطاقةٌ فيها أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، فتُوضع السِّجلَّات في كِفَّة، والبطاقة في كِفَّة. قال: فطاشت السِّجِلَّات، وثَقُلَتْ البطاقة))[1] أخرجه أحمد في مسنده والترمذي في جامعه[2].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنَّه قال:((يُؤتَى بالرجلِ الطويلِ الأكولِ الشروبِ، فلا يَزِنُ جناحَ بعوضة))[3]. يبقى كما هو لا يغير ولا يبدل.

قال ابن عباس:(تُوزنُ الحسناتُ والسيئات في ميزانٍ له لسانٌ وكِفَّتان، فأمَّا المؤمن، فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيُوضع في كِفَّة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته، وأمَّا الكافر، فيؤتى بعمله في أقبح صورة، فيُوضع في كِفَّة الميزان، فيَخِف وزنُه)[4]"[5].

فمن خلال ما تقدم، نجده ذكر ثلاث موزونات، وهي:

١.الصحائف، واستدل له بحديث البطاقة.

٢.الإنسان نفسه، واستَدلَّ له بحديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣.الأعمال نفسها، واستَدلَّ له بقول ابن عباس رضي الله عنهما.

فذكر هذه الأنواع رحمه الله، ولم يُبيِّنْ هل هي توزن كلُّها، باعتبار أنَّ الدليل ورد على كلٍّ، أم أنَّه يرى أنَّ أحدهما أرجح من الآخر؟ وبالنَّظر في مواضعَ أُخرى من كتبه، لا يذكر إلا وزن الأعمال، ولم يذكر غيرها، ممَّا قد يدُلُّ على أنَّه يرجِّحُ وزنَ الأعمال، فيقول رحمه

---

١. وقد تقدَّم صفحة (٤٣٧).

٢. رواه الإمام أحمد برقم: (٦٩٩٤)، والترمذي برقم: (٢٦٣٩)، وابن ماجة برقم: (٤٣٠٠). وقد ألَّف الإمام حمزة الكناني رحمه الله فيه رسالة، سمَّاها جزء البطاقة، بتحقيق الشيخ عبدالرزاق البدر.

٣. وقد تقدَّم صفحة (٤٣٤).

٤. رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧/١).

٥. زاد المسير (١٧٠/٣-١٧١). و يُنظر: أيضاً (١٩٨/٥).

الله:"فإن قيل: إذا كان الميزانُ واحداً، فما المعنى بذكر الموازين؟ فالجواب: أنَّه لـمَّا كانت أعمالُ الخلائق تُوزنُ وَزْنةً بعد وَزْنةٍ، سُمِّيتْ موازين"[1].

ويقول أيضاً:"ثمَّ يَقْرُب من الميزان، فتوزن حسناتُه وسيئاتُه"[2].

ويقول أيضاً:"يا إخواني، فإذا وُزِنتْ أعمالُ العباد"[3].

ويقول أيضاً:"وأتيت كتاباً مسطَّراً منشوراً، وأُتيَ بالأعمال تُوزنُ بالذَّر"[4].

فبالنَّظر إلى ما تقدَّم، يمكن للشخص أنْ يرى هذا مرجِّحاً بأنَّ الإمام ابن الجوزي رحمه الله يذهب إلى وزن الأعمال دون ما سواه. خاصَّة أنِّي لم أجدْ له في كتبِه ما يُشيرُ إلى وزن الصحائف أو الأعمال، والله أعلم.

والذي يترجَّحُ في نظري –والعلم عند الله– أنَّه يرى أنَّها جميعها توزن، وذلك لأمور:

أولاً: أنَّه ذكر هذه المسألة في كتابه زاد المسير، مبيِّناً الموزونات الثلاث، مُستَدِلاً لكلٍّ منها بدليل.

ثانياً: أنَّه في كتاب الحدائق حينما ذكر أحاديث الميزان، ذكر حديث البطاقة والذي يدُلُّ على وزن الصحف، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرجلِ السَّمينِ الذي لا يَزِنُ جناح بعوضة، والذي يدُلُّ على وزن العبد نفسه، فذِكْرَه رحمه الله لهذين الحديثين، إشارةً منه إلى إثباته لوزن الصحف والعباد.

ثالثاً: لعلَّ سببَ ذكره لوزن الأعمال في مواعظه، حتى يُبيِّنَ للناس أنَّ الأعمالَ تُوزن، خلافاً لمن أنكر وزنَ الأعراض، فلعلَّه أراد أنَّ يبيِّنَ أنَّ وزنَ الأعمال واردٌ في السنَّة، وأنَّ إنكاره من قول أهل البدع المخالفين للسنَّة، والله أعلم.

وللعلماء في هذه المسألة أقوال ثلاثة[5]، كما تقدَّم من ذكر الموزونات، والراجح والعلم عند الله، أنَّه لا منافاة في أنَّ الذي يُوزن جميع ما تقدَّم.

---

١. زاد المسير (٣٥٤/٥-٣٥٥).

٢. بستان الواعظين (٥٣).

٣. بستان الواعظين (٥٤).

٤. التذكرة في الوعظ (١٢٥).

٥. يُنظر: لوائح الأنوار السَّنية (١٩٦/٢-١٩٩)، الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنَّة (١١٣١/٣-١١٤٩).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:"وقد يُمكنُ الجمعُ بين هذه الآثار، بأنْ يكون ذلك كلُّه صحيحاً، فتارةً تُوزن الأعمال، وتارةً تُوزن محالها، وتارةً يُوزن فاعلها، والله أعلم"[1]. وعلى كلٍّ وَرَدَ الدليل، والجمع بين النصوص، أولى من ترك أحدها، ولا مانع من أنَّ الذي يُوزن الصحف، أو العبد، أو الأعمال، بل هناك من لا يُوزن، وذلك لمَّا ثبت في الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال:((يدخل من أمتي الجنَّة سبعون ألفا بغير حساب))[2] والله أعلم.

---

١. تفسير ابن كثير (٣/٣٩٠). يُنظر: الحياة الآخرة (٣/١١٣١).

٢. رواه البخاري برقم: (٦٥٤٢)، ومسلم برقم: (٣٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المطلب الرابع: الجنَّة والنار، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: خلق الجنَّة والنار ووجودهما:

أنكر بعض أهل البدع أن تكون الجنَّة والنَّارُ مخلوقتين، يقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله:"وقال كثيرٌ من أهل البدع، لم تُخْلقا"[1].

ويقول الإمام ابن حزم رحمه الله:"ذهبتْ طائفةٌ من المعتزلة والخوارج إلى أنَّ الجنَّة والنار لم يُخلقا بعد"[2].

وسبب نفيهم أنَّهما مخلوقتان الآن؛ هو وضعهم لـ"أصلهم الفاسد الَّذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنَّه ينبغي أنْ يفعل كذا، ولا ينبغي له أنْ يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم"[3].

وقد تتطرَّق ابن الجوزي رحمه الله لهذه المسألة، فقال:"الجنَّة والنَّار مخلوقتان قبل آدم عليه السلام" ثمَّ قال:"ويدُلُّ على أنَّ الجنَّة قد خُلقت، قوله تعالى:﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾البقرة:٣٥. وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنها قال:(كان عرش الله على الماء، ثمَّ اتخذ جنة، ثمَّ اتخذ دونها أخرى، ثمَّ أطبقها بلؤلؤة واحدة فقال:﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾الرحمن:٦٢)[4]"[5].

ويقول عن إحدى فرق الجهمية وهي الفانية:"ومنهم منْ قال لم تُخلَقا"[6] أي: الجنَّة والنَّار، فهو ينكر على من قال بأنَّهما غير موجودتين، وجعلها قولاً لإحدى الفرق الضالة.

وما ذهب إليه رحمه الله هو مذهب أهل السنَّة والجماعة.

يقول أبوالحسن الأشعري رحمه الله:"فقال أهل السنَّة والاستقامة:هما مخلوقتان"[7].

---

١. مقالات الإسلاميين (٤٧٥/١).

٢. الفصل في الملل (٦٨/٤). يُنظر: الملل والنحل (٧٣/١).

٣. شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٦١٥/٢).

٤. رواه الطبري (٢٤٨/١٥)، والحاكم في المستدرك (٥١٦/٢)، وأبوالشيخ في العظمة (٥٧٨/٢). قال الحاكم:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

٥. المنتظم (١٩٦/١).

٦. تلبيس إبليس (١٨٣).

٧. مقالات الإسلاميين (٤٧٥/١).

ويقول الآجري رحمه الله:"اعلموا رحمنا الله وإيَّاكم، أنَّ القرآن شاهد أنَّ الله عزوجلَّ خلق الجنَّة والنَّار، قبل أن يخلق آدم عليه السلام"[1].

ويقول الإمام الطحاوي الحنفي رحمه الله:"والجنَّة والنَّار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً، ولا تبيدان"[2].

المسألة الثانية: أبديَّةُ الجنَّة والنَّار وخلودهما.

يرى الإمام ابن الجوزي رحمه الله بأبديَّةِ الجنَّة والنَّار، وأنَّهما لا تفنيان، وأنَّهما خالدتان.

يقول رحمه الله:"خلق الله سبحانه وتعالى الجنَّة والنَّار للأبد"[3].

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾المؤمنون:١١٢، يقول:"أي: ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً؛ لأنَّ مكثَهم في الأرض وإنْ طال، فإنَّه متناهٍ، ومكثَهم في النَّار لا يتناهى"[4].

ويقول رحمه الله أيضاً:"﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖ ﴾إبراهيم:١٧أي: موتاً تنقطع معه الحياة ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ ﴾إبراهيم:١٧،أي: مِن بعد هذا العذاب، قال ابن السائب من بعد الصديد ﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾إبراهيم:١٧. وقال إبراهيم التيمي[5]: بعد الخلود في النار"[6].

وفي ذكره لفرق الجهمية قال رحمه الله:"والفانية، زعموا أنَّ الجنَّة والنَّار تفنيان"[7].

بل إنَّه يوظِّف هذه القضية في وعظه، فيقول:"منْ تأمَّل بعين الفكر، دوامَ البقاء في الجنَّة، في صفاءٍ بلا كدر، ولذاتٍ بلا انقطاع، وبلوغِ محلٍّ مطلوبٍ للنَّفس، والزِّيادةُ ممَّا لا عين رَأَتْ، ولا أُذنٌ سَمعتْ، ولا خطر على قلبِ بشر، من غير تغيير ولا زوال، إذ لا يقال: ألف

١. الشريعة (١٣٤٣).

٢. الطحاوية بتحقيق الألباني (٧٣).

٣. التذكرة في الوعظ (١/١٠٣).

٤. زاد المسير (٥/٤٩٥).

٥. إبراهيم التيمي: إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أبو أسماء، الإمام، القدوة، الفقيه، عابد الكوفة. توفي سنة ٩٢هـ ولم يبلغ الأربعين. سير أعلام النبلاء (٥/٦١)، تهذيب التهذيب (١/١٧٦).

٦. زاد المسير (٤/٣٥٤).

٧. تلبيس إبليس (١٨٣).

ألف سنة، ولا مائة ألف ألف، بل ولو أنَّ الإنسان عَدَّ الألوف ألوف السِّنين، لانقضى عددُه، وكان له نهاية، وبقاءُ الآخرة لا نفادَ له"[1].

وبعد هذا التقرير لهذه المسألة، نذكر بعض الشُّبَه التي ذكرها على هذه المسألة، وإجابته عنه، وهي كالتالي:

الأولى: قوله تعالى:﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ هود:١٠٧، فيقول:"﴿ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ أراد الأبَد. فخاطَبَهم بما يعلمون. وهم[2] يقولون: هذا لا أفعلُه مادامت السماواتُ، وأطَّتِ الإبل[3]، واختفلتِ الجِرّة والدِّرة[4]، يعنون الأبد. ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ منْ خروج الخارجين من النار بالشفاعة، والاستثناء في حقِّ أهل الجنَّةِ، يرفع إلى لُبث من لَبث في النَّار من الموحّدين، ثمَّ أُدخلَ الجنَّة"[5].

ويعزِّزُ قولَه بنقله عن علماء اللُّغة في ذلك، فيقول:"قال ابن قتيبة وابن الأنباري: للعرب في معنى الأبدِ ألفاظٌ، تقولُ لا أفعلُ ذلك ما اختلفَ الليلُ والنهارُ، ومادامتِ السماوات والأرض، وما اختلفت الجِرّة والدِّرة، وما أطَّت الإبل، في أشباهٍ لهذا كثيرةٌ، ظناً منهم أنَّ هذه الأشياء لا تتغير، فخاطبهم الله بما يستعملون في كلامهم"[6].

الثانية: قوله تعالى:﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾النبأ:٢٣.

يقول رحمه الله:"فإن قيل: ما معنى ذكر الأحقاب، وخلودهم في النَّار لا نفاد له؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ هذا لا يدُلُّ على غاية؛ لأنَّه كلَّما مضى حَقْبٌ، تبعه حَقْبٌ، ولو أنَّه قال: لابثين فيها عشرةَ أحقابٍ، أوخمسةَ، دلَّ على غاية. هذا قول ابن قتيبة والجمهور.

---

١. صيد الخاطر (٣٥٥). يُنظر: منهاج القاصدين (٩٤٦/٢).

٢. أي: العرب في لغتهم.

٣. في كشف المشكل :"وما أطَّتِ الإبل"(٣٩/٤). وهو الصواب. يُنظر: المستقصى في أمثال العرب (٢٤٦/٢)، مجمع الأمثال (٢١٩/٢)، إصلاح المنطق (٣٩٣).

٤. الجِرّة: ما يخرجه البعير للاجترار، والدِّرة: كثرة اللَّبن وسيلانه، واختلافهما، أنَّ الدِّرة تسفل إلى الضرع، والجِرّة تعلو إلى الرأس. يُنظر: الأمثال لابن سلام (٣٨٠)، مع الحاشية رقم (٥)، غريب الحديث للخطابي (١٨٠/٣).

٥. تذكرة الأريب (٢٥٦/١). يُنظر: زاد المسير (١٦٠/٤-١٦١).

٦. زاد المسير (١٥٩/٤).

وبيانه أنَّ زمانَ أهل الجنَّة والنَّار يُتَصوَّر دخولُه تحت العدد، وإنْ لم يكنْ لها نهاية.

والثاني: أنَّ المعنى أنَّهم يَلبَثُون فيها أحقاباً لا يذوقون في الأحقاب، برداً ولا شراباً. فأمَّا خلودهم في النَّار فدائم. هذا قولُ الزَّجاج، وبيانُه أنَّ الأحقاب حدٌّ لعذابِهم بالحميم والغسَّاق، فإذا انقضتِ ٱلأحقاب، عُذِّبوا بغير ذلك من العذاب"[1].

الثالثة: ينقل اعتراضاً لابن الرومي[2] على من يقول بتخليد الكفار في النار، ثمَّ يجيب عنه، فيقول:"ولقد رأيتُ لابن الرومي اعتراضًا على من يقول بتخليد الكفَّار في النار، قال: إنَّ ذلك التأبيد، مزيدٌ من الانتقام، يُنكِرُه العقلُ، وينبغي أنْ يُقبلَ كلُّ ما يقوله العقل، ولا يُرد بعضُه، إذ ليس ردُّ بعضه بأولى من ردِّ الكلِّ، وتخليد الكفار لا غرضَ فيه للمعذِّب، ولا للمعذَّب، فلا يجوز أن يكون. فقلتُ: العجبُ مِن هذا الذي يدَّعي وجودَ العقل، ولا عقلَ عنده. وأولُ ما أقول له: أصَحَّ عندك الخبرُ عن الخالق سبحانه أنَّه أخبرَ بخلود أهل النار، أم لم يصح؟ فإنْ كان ما صحَّ عنده، فالكلام إذنْ في إثبات النُّبوة، وصحةِ القرآن، فما وجهُ ذكرِكَ الفرعَ مع جَحْدِ الأصل؟.

وإن قال: قد ثبتَ عندي: فواجبٌ عليه أنْ يتمحَّل[3] لإقامة العذر؛ إلا أنْ يقف في وجه المعارضة.

وإنَّما يُنكِر هذا، من يأخذ الأمر من الشاهد، وقد بيَّنا أنَّ ذاتَ الحقِّ لا كالذوات، وأنَّ صفاتِه لا كالصفات، وأنَّ أفعالَه لا تُعلَّل. ولو تَلمَّح شيئًا من التعليل لخلود الكفار، لبان؛ إذ من الجائز أن يكون دوامُ تعذيبهم لإظهار صدق الوعيد، فإنَّه قال:من كفر بي خلَّدتُه في العذاب، ولا جناية كالكفر، ولا عقوبة كدوام الإحراق، فهو يدوم ليظهر صدق الوعيد.

ومن الجائز أن يكونَ ذلك لتتمَّةِ تنعيم المؤمنين، فإنَّهم أعداءُ الكفار، وقد قال سبحانه:﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾التوبة:١٤، وكم من قلقٍ في صدر، وحنقٍ

---

١. زاد المسير (٨/٩).

٢. أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، مولى آل المنصور. شاعر زمانه مع البحتري. توفي سنة ٢٨٣هـ. السير (٤٩٥/١٣)، الأعلام (٢٩٧/٤).

٣. أي: يتكلَّف.

على أبي جهل فيما فَعَلَ، وكم من غمٍّ في قلبِ عمَّارٍ، وأمِّه سميَّة[1]، وغيرِهم منْ أفعال الكفار بهم، فدوام عذابهم شفاءٌ لقلوب أهل الإيمان.

ومن الجائز أن يدومَ العذاب لدوام الاعتراض، وذكر المعذَّب بما لا يحسن، فكلَّما زاد عذابُهم، زاد كفرُهم واعتراضُهم، فهم يُعذَّبون لذلك. ودليلُ دوامِ كفرِهم:﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾المجادلة:١٨، فإذن كفرهم ما زال، ومعرفتهم به ما حصلت، والشرُّ كامنٌ في البواطن، وعلى ذلك يقع التعذيب:﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾الأنعام:٢٨"[2].

الرابعة: حُكْمُه بالوضع على حديث أبي أمامة رضي الله عنه، الذي رواه الطبراني في معجمه الكبير أنَّ رسول الله ﷺ قال:((يأتي على جهنَّمَ يوماً، ما فيها من بني آدم واحد، تَخْفِق أبوابُها كأنَّها أبوابُ الموحدين))[3]. وقد بوَّب لهذا الحديث"باب فراغ جهنَّم"[4]، ولم يقل باب عدم فناء النار، أو ما شابه ذلك؛ لأنَّه قد تكون فارغةً، ولكنَّها لم تَفنَ، مما يؤكِّد موقفَه رحمه الله من هذه المسألة، وأنَّهما لا تفنيان.

وهذه المسألة لأهل القبلة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب جهم بن صفوان، والمعتزلة إلى أنَّ الجنَّة والنَّار تفنيان، وأنَّهما ليستا مؤبَّدتين.

القول الثاني: أنَّهما لا يفنيان ولا يبيدان، وهذا قول أهل السنة.

---

١. سمية بنت خبَّاط مولاة بني مخزوم، كانت سابعة سبعة في الإسلام، وأوَّل شهيدة في الإسلام، قتلها أبوجهل بطعنة في قبلها. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٨٦٣/٤)، وسير أعلام النبلاء (٤٠٦/١-٤٠٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٨٩/٨).

٢. صيد الخاطر (٣٣٨-٣٣٩).

٣. الموضوعات (٤٣٧/٢). وقدرواه الطبراني مرفوعاً في معجمه الكبير من حديث أبي أمامة رضي الله عنه (٢٤٧/٨)، قال الهيثمي رحمه الله:"وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف" (٣٦٠/١٠). ورواه البزار في مسنده من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً (٤٤٢/٦)، وقد حكم الإمام الذهبي رحمه الله على الحديث بالنَّكارة، يُنظر: ميزان الاعتدال (١٨٩/٧).

٤. الموضوعات (٤٣٧/٢).

القول الثالث: أنَّ الجنَّة لا تفنى، وأنَّ النَّار تفنى، وهذا القول نُسب إلى الإمام ابن تيمية وتلميذِه ابن القيم رحمهما الله، وإن كان الصحيحُ عدمَ قولِهما بفناء النار والله أعلم، وقد أُلِّفتْ في هذه المسألة عِدَّة رسائل[١].

وأصل الخلاف في ذلك ما ذكره أبوالحسن الأشعري رحمه الله في المقالات، حيث قال رحمه الله:"فقال جهم بن صفوان: لِمَقْدُوراتِ الله تعالى ومعلوماتِه غايةٌ ونهايةٌ، ولأفعالِه آخرٌ، وأنَّ الجنَّة والنَّار تفنيان، ويفنى أهلُهما، حتى يكونَ الله سبحانه آخراً لا شيءَ معه، كما كان أولاً لا شيءَ معه.

وقال أهلُ الإسلام جميعا: ليس للجنَّة والنَّار آخرٌ، وأنَّهما لا تزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنَّة لا يزالون في الجنَّة يتنعَّمون، وأهلُ النَّارِ لا يزالون في النَّار يعذَّبون، وليس لذلك آخرٌ، ولا لمعلوماتِه ومقدوراتِه غايةٌ ولا نهايةٌ"[٢].

وأشار إلى ذلك أيضاً شيخ الإسلام رحمه الله، حيث قال:"فإنَّ الجهمَ أصَّلُ قولِه أنَّ الله لا يقدِرُ على فعلٍ ما لا يتناهى، بل جَعَلَ لفعلِه مبدأً ومنتهى، وجعلَه مُعطَّلاً في الأزل والأبد. ولهذا قال:إنَّ الجنَّة والنَّار يفنيان، ويفنى كلُّ شيءٍ. وهذا مِن بدعه التي أنكرها عليه السَّلفُ والأئمةُ"[٣]. وهذا نفيٌ لعلم الله وقدرته سبحانه والعياذ بالله.

وما ذهب إليه الإمام ابن الجوزي رحمه الله، من أنَّ الجنَّة والنار لا تفنيا، هو مذهب أهل السنَّة والجماعة.

روى الإمام اللالكائي بسنده عن ابن أبي حاتم رحمه الله قوله:"سألتُ أبي وأبازرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازاً، وعراقاً، وشاماً، ويمناً، فكان من مذهبهم... والجنَّة حقٌّ، والنَّار حقٌّ، وهما مخلوقان، لا يفنيان أبداً"[٤].

---

١. منها:١/ الردُّ على من قال بفناء الجنَّة والنار لابن تيمية. ٢/ الاعتبار ببقاء الجنَّة والنَّار للسبكي. ٣/ رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للأمير الصنعاني. ٤/ توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين لمرعي الحنبلي.

٢. مقالات الإسلاميين (١٦٤).

٣. الصفدية (٣٢٩/٢). يُنظر: جامع المسائل (١٧٣/٥) وَ (١٧٥/٥).

٤. شرح اعتقاد أهل السنة (١٧٧/١).

ويقول ابن أبي زَمَنِين[1] رحمه الله:"وأهل السنَّة يؤمنون بأنَّ الجنَّة والنَّار لا يفنيان، ولا يموت أهلُوها"[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله:"الذي دلَّ عليه القران، أنَّ الكفار خالدين في النار أبداً، وأنَّهم غيرُ خارجين منها، وأنَّه لا يفتَّر عنهم عذابها، وأنَّهم لا يموتون فيها، وأنَّ عذابَهم فيها مقيمٌ، وأنَّه غرامٌ لازمٌ لهم، وهذا كلُّه ممَّا لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين...فلم يختلفْ في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة، وإنَّما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالُهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع"[3].

ويقول العلامة الألوسي رحمه الله في تفسيره:"وأنت تعلم أنَّ خلودَ الكفار، ممَّا أجْمع عليه المسلمون، ولا عبرةَ بالمخالف، والقواطِعُ أكثرُ منْ أنْ تُحصى، ولا يقاوم واحداً منهاكثيرٌ من هذه الأخبار"[4].

ويقرِّر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بـ:"أنَّ عدمَ فناء الجنَّة محلُّ إجماعٍ من أهل السنَّة، وأمَّا النَّار ففيها خلافٌ ضعيفٌ جداً، والقائلُ به قليل، فلا يُعتدُّ به، ولا يُلتفتُ إليه"[5].

ومن النصوص القواطع الدالة على بقاء الجنَّة والنَّار، قوله تعالى لأهل الجنَّة:﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ في تسع مواضع[6]، وقوله تعالى:﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾في سبعة عشر موضعاً[7]، وقوله

---

١. هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المريذ الأندلسي الإلبيري، شيخ قرطبة. الإمام القدوة صاحب التصانيف. توفي سنة ٣٩٩هـ. سير أعلام النبلاء (١٧/١٨٨)، الأعلام (٦/٢٢٧).

٢. أصول السنة لابن أبي زمنين (١٣٩).

٣. حادي الأرواح (٣٦٣).

٤. روح المعاني (١٢/١٤٦).

٥. شرح العقيدة السفارينية (٥١١).

٦. النساء (٥٧،١٢٢)، المائدة (١١٩)، التوبة (٢٢،١٠٠)، الكهف (٣)، التغابن (٩)، الطلاق (١١)، البينة (٨).

٧. آل عمران (١٥،١٣٦،١٩٨)، النساء (١٣)، المائدة (٨٥)، التوبة (٧٢،٨٩)، إبراهيم (٢٣)، الكهف (١٠٨)، طه (٧٦)، الفرقان (١٦،٧٦)، العنكبوت (٥٨)، لقمان (٩)، الزمر (٧٣)، الأحقاف (١٤)، الفتح (٥)، الحديد (١٢)، المجادلة (٢٢).

عن أهل النَّار: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ في ثلاث مواضع[1]، وقوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ في عشر مواضع[2].

هذا بخلاف الآيات التي تدُلُّ على عدم فنائِهما بغير تعبير الخلود، كقوله تعالى عن أهل النار: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ المائدة:٣٧، وقوله: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ فاطر:٣٦، وقوله تعالى: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ الواقعة:٣٣ وغيرها من الآيات[3].

ومن السنَّة الحديث المشهور في الصحيحين وهو قوله ﷺ: ((إذا صار أهل الجنَّة إلى الجنَّة، وأهل النَّار إلى النَّار، جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنَّة والنَّار، ثمَّ يُذبح ثمَّ ينادي منادٍ: يا أهل الجنَّة لا موت، يا أهل النَّار لا موت، فيزدادَ أهلُ الجنَّة فرحاً إلى فرحهم، ويزدادَ أهلُ النَّار حزناً إلى حزنهم))[4] وغيرها من الأحاديث الدالة على بقاء الجنَّة والنار، وعدم فنائهما.

---

١. النساء(١٦٩)، الأحزاب(٦٥)، الجن(٢٣).

٢. البقرة (١٦٢)، آل عمران (٨٨)، التوبة (٦٨)، النحل (٢٩)، طه (١٠١)، الزمر (٧٢)، غافر (٧٦)، الحشر (١٧)، التغابن (١٠)، البينة (٦).

٣. ذكر شيخنا أحمد بن أحمد رحمه الله في كتابه مجالس مع فضيلة الشخ محمد الأمين الشنقيطي (٥٠-٧٢) مناظرةً بين الشيخ الأمين والشيخ محمد بن إبراهيم رحمهما الله في هذه المسألة، وتكلّم الشيخ الأمين فيها، مستخدماً أسلوب السبر والتقسيم، ثمَّ ذكر خمسين دليلاً من القرآن، تلاوةً لا تأويلاً، وذكرها مرتَّبةً بترتيب مصحف عثمان رضي الله عنه، ثمَّ ذكر شخنا رحمه الله أنَّه تتبَّع هذه الآيات، فذكرها خمسين آية من كتاب الله، رحمة الله عليهم أجمعين.

٤. رواه البخاري برقم: (٤٧٣٠)، ومسلم برقم: (٢٨٤٩).

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: مراتب القدر

المطلب الثاني: الحكمة والتعليل.

المطلب الثالث: نظرية الكسب.

المطلب الرابع: السببية.

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

تمهيد: خرج رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ والناس يتكلّمون في القدر، قال: وكأنّما تفقّأَ في وجههِ حبَّ الرُّمان من الغضب، قال: فقال لهم:((ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم))[1]. فالتنازع في القدر، حدث قديماً وحديثاً، ولكنَّ موقفَ أصحابِ رسول الله ﷺ كان واضحاً، وذلك بسبب توجيهِ رسول الله ﷺ لهم، ونزع فتيل النِّزاع من بينهم، ويدُلُّ على ذلك ما رواه ابن ماجة عن ابن الديلمي، قال: وقعَ في نفسي شيءٌ من هذا القدر، خشيتُ أن يفسدَ عليَّ ديني وأمري، فأتيتُ أبيَّ بن كعب، فقلتُ: أبا المنذر، إنَّه قد وقع في نفسي شيءٌ من هذا القدر، فخشيتُ على ديني وأمري، فحدِّثْني من ذلك بشيء، لعلَّ الله أن ينفعَني به. فقال:(لو أنَّ الله عذَّب أهلَ سماواتِه وأهلَ أرضِه، لعذَّبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رَحِمهم لكانتْ رحمتُه خيراً لهم مِن أعمالهم، ولو كان لك مثلُ جبلِ أُحدٍ ذهباً، أو مثلُ جبلِ أُحدٍ تنفقُه في سبيل الله، ما قُبِل منك حتى تُؤمنَ بالقدر، فتعلمَ أنَّ ما أصابَك لم يكن ليُخطِئك، وأنَّ ما أخطأَك لم يكنْ ليُصيبَك، وأنَّك إن مُتَّ على غير هذا دخلتَ النار. ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود، فتسأله). فأتيتُ عبد الله فسألتُه، فذكر مثل ما قال أبي، وقال لي:(ولا عليك أن تأتيَ حذيفة). فأتيتُ حذيفةَ، فسألتُه، فقال مثل ما قالا، وقال:(ائت زيد بن ثابت، فاسأله). فأتيتُ زيدَ بن ثابت، فسألتُه، فقال:(سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره)[2]. من هذا يتبيَّن موقف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من قضية القدر، وأنَّ مبناها على التسليم لحكم الله وقضائه وقدره.

والمراد بالإيمان بالقضاء والقدر، هو الإيمان بعلم الله عزَّ وجلَّ، وأنَّه سبحانه كتب مقاديرَ الخلائقِ في اللَّوح المحفوظ عنده، وأنَّه ما شاءَ كان وما لم يشأْ لم يكنْ، وأنَّه سبحانه خَالِقُ كلِّ شيءٍ، ومن ذلك فعل العبد.

وهذه الأمور الأربعة، هي مراتب القدر، ومن لوازم الإيمان بالقدر الإيمانُ بهذه الأربعة.

---

١. رواه أحمد برقم: (٦٦٦٨)، وابن ماجه برقم: (٨٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو حديث صحيح.

٢. واه الإمام أحمد برقم: (٢١٥٨٩)، وأبوداود برقم: (٤٦٩٩)، وابن ماجة: (٢٩/١) سإسناد قوي.

المطلب الأول: مراتب القدر:

تقدَّم معنا أنَّ مراتبَ الإيمان بالقضاء والقدر أربعة، وإنَّ المتتبِّع لكلام العلماء قديماً، يجدُهم لا يذكرون هذه المراتب بهذا الشكل، مرتبة مهذَّبة، وإنَّما تذكر في معرض كلامهم، سواءً في تفسير آية أو حديث، أو في أثناء تقرير مسائل القدر، وقد جمعَها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في درجتين، كلُّ درجة تتضمَّنُ مرتبتين، فأصبحتِ ٱلقسمةُ رباعيَّة، وهذه المراتب أخذت من استقراء نصوص الكتاب والسنة.

وهذه المراتبُ، لم أجدْ كلاماً لابن الجوزي رحمه الله عنها في موضعٍ واحد، بل تكلَّم عنها بشكلٍ متفرق، في أكثر من موضع.

وهنا جمعتُ كلامَه رحمه الله عن مراتب القدر، وتحدَّثتُ عنها، مبيِّناً موقفَ الإمام ابن الجوزي رحمه الله من كلِّ مرتبة، وهل موافقٌ لما عليه أئمة السلف، أم مخالف؟ وبالله التوفيق.

أولاً: مرتبة العلم:

يُثبت ابنُ الجوزي رحمه الله هذه المرتبة بشكل واضح في أكثر من موضع من كتبه، وأنَّ علمه سبحانه وتعالى شاملٌ لكل شيءٍ.

يقول رحمه الله:"فهو تعالى عالمٌ بما كان، وما يكون، وما لم يكنْ ولا يكون، أن لو كان، كيف كان يكون"[1].

ويقول في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾النحل:٣٦:"أي: وجبت في سابق علم الله"[2]. فيُثبت رحمه الله علمَ الله السابق الأزلي.

ويقول أيضاً:"المعلوماتُ كلُّها، قد أحاط بها العلمُ القديمُ، قبلَ وجودِ مخلوقٍ"[3]. فهو يثبت علماً قديماً لله سبحانه وتعالى، أحاط بكلِّ المعلومات سبحانه.

ويقول في ردِّه على الفلاسفة المنكرين علمَ الله، بأسلوبٍ سهلٍ جميلٍ:"وقد ذهب أكثرُ الفلاسفةِ إلى أنَّ الله تعالى لا يعلمُ شيئاً، وإنَّما يعلمُ نفسه. وقد ثبتَ أنَّ المخلوق يعلمُ نفسَه، ويعلمُ خالقَه، فقد زادتْ مرتبةُ المخلوقِ على رتبةِ الخالق. وهذا أظهرُ فضيحةٍ مِن أن يُتكلَّمَ

---

١. بستان الواعظين (٣٧١).

٢. زاد المسير (٤/٤٤٦).

٣. كشف المشكل (٣/٣٨٣).

عليه...وقد خالفَهم أبوعلي بن سينا في هذا، فقال: بل يعلم نفسه، ويعلمُ الأشياءَ الكليَّة، ولا يعلمُ الجزئياتِ. وتلقَّفَ هذا المذهبَ منهم المعتزلةُ، وكأنَّهم استكثروا المعلومات"[1]. فهو يُنكرُ على الفلاسفة قولهم: إنَّ الله يعلمُ نفسَه فقط، مبيناً أنَّ العبدَ يَعرِف نفسه ويعرف ربّه، ويعرف أموراً أخرى، فهو بهذا، يُلزِم الفلاسفة أنَّ يكونَ العبد أعلمُ من خالقه، وهذا واضح البطلان.

ومن إشاراته اللَّطيفة في إثبات علمِ الله القديم، أنَّه فسَّر قوله ﷺ:((قدَّر اللهُ المقاديرَ، قبلَ أنْ يَخلُقَ السماواتِ والأرضَ، بخمسين ألْف سنة))[2] ففسَّر قوله:((قدَّر)) بالكتابة لا بالعلم؛"لأنَّه لا يجوز أن يكونَ المرادُ بالتقدير:عَلِمَ ما يكون، مِن جهةِ أنَّ عِلمَ الحقِّ عزَّ وجلَّ قديمٌ، لا يَستند إلى سنين معدودة، فعُلِمَ أنَّ المرادَ بالقدر كتابةُ المقدور"[3]. وممَّا يوضِّح هذا المعنى ويؤكِّدُه، رواية مسلم:((كتب الله مقادير الخلائق، قبل أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ، بخمسين ألف سنة))[4]، فبيَّنت هذه الروايةُ أنَّ المرادَ بالتقدير الكتابةَ كما ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله[5]، والله أعلم.

ثانياً: مرتبة الكتابة

كما أنَّه رحمه الله يُثْبت مرتبةَ العلم، فهو كذلك يثبت مرتبةَ الكتابةِ، وأنَّ الله كتب الأمورَ في اللَّوح المحفوظ، قبل خَلْقِ السماواتِ والأرض، كما وَرَدَ بذلك الخبرُ، فيقول عند كلامِه في التفسير على قوله تعالى:﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾الرعد:٣٩:"قال الزجاج: أصل الكتاب. قال المفسِّرون: وهو اللُّوح المحفوظ الذي أثبتَ فيه ما يكونُ ويحدث.

---

١. تلبيس إبليس (٢/٣٢٥-٣٢٦).

٢. رواه أحمد في مسنده برقم: (٦٥٧٩)، والترمذي برقم: (٢١٥٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال الترمذي رحمه الله:"حديث حسن صحيح غريب".

٣. المنتظم (١/١٢١).

٤. رواه مسلم برقم: (٢٦٥٣).

٥. يُنظر: تحفة الأحوذي (٦/٣٠٩)، وفيض القدير (٤/٥١٠).

وروى أبوالدرداء عن النبي ﷺ أنَّه قال:((إنَّ الله تعالى في ثلاث ساعات يَبْقِينَ مِن الليل، يُنظرُ في الكتاب الَّذي لا يَنظُر فيه أحدٌ غيره، فيمحو ما يشاء))[1]. وروى عكرمة عن ابن عباس قال:(هما كتابان، كتابٌ سوى أمِّ الكتاب، يمحو منه ما يشاءُ ويثبتُ وعنده أمُّ الكتابِ لا يُغَيَّرُ منه شيءٌ)[2]"[3].

ويقول في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ﴾الحج:٧٠:"يعني: ما يجري في السماء والأرض في كتاب، وهو اللوح المحفوظ"[4].

ويقول في قوله تعالى:﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾التوبة:٣٦:"أي: في اللوح المحفوظ. قال ابن عباس: (في الإمام الذي عند الله)[5]"[6].

وفي شرحه لقوله ﷺ:((كتبَ الله مقادير الخلائق قبلِ أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنة))[7] يقول:"كأنَّ الإشارة بهذا إلى خَلْقِ اللَّوح والكتابة فيه، وذلك قد كان قبلَ خلقِ السماوات والأرض"[8].

ويقول في التقدير السَّنوي عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ الدُّخان:٤:"أي: يفصل. والحكيم: بمعنى المُحْكَم. قال ابن عباس: يكتب في أمِّ الكتاب في ليلة القدر، ما هو كائنٌ في السَّنةِ، من خيرٍ وشرٍّ"[9].

ثمَّ هو يبيِّن الحكمة من كتابة المقادير، فيقول:"وفائدةُ إظهارِ المعلوم بمكتوب، أن يُعلمَ أنَّ المخلوقاتِ إنَّما وُجِدَتْ عن تدبيرٍ تقدَّم وجودَها"[10].

---

١. رواه الطبراني في الدعاء (٥٩)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة برقم:(٧٥٦). قال العيني:"قال الطبراني: وهو حديث منكر".عمدةالقاري (١٩٨/٧).قال الهيثمي:"وفيه زيادة بن محمد، وهوضعيف"مجمع الزوائد (٤١٢/١٠).

٢. رواه الحاكم (٣٤٩/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

٣. زاد المسير (٣٣٨/٤-٣٣٩) يُنظر: تذكرة الأريب (٢٧٦/١).

٤. تذكرة الأريب (١٢/٢).

٥. ذكره الواحدي في تفسيره البسيط (٤٠٧/١٠)،

٦. زاد المسير (٤٣٢/٣)،يُنظر: التبصرة (٢٦/٢).التذكرة (١٧٥).

٧. تقدَّم تخريجه الصفحة السابقة.

٨. كشف المشكل (١٢٩/٤).وقد ذكر حديثاً موضوعاً في موقف اللوح المحفوظ بين يدي الله يوم القيامة وأنَّه بلّغ ما فيه لميكائيل، ثمَّ ميكائيل بلغه إلى إسرافيل، وهكذا مما لا شك في وضعه. يُنظر: بستان الواعظين (٨٨).

٩. تذكرة الأريب (١٥٠/٢).

ثالثاً: مرتبة المشيئة.

مِن مراتب الإيمان بالقدر مرتبةُ المشيئة، وهي إثباتُ مشيئةِ الله عزَّ وجلَّ وأنَّها نافذة، وأنَّه لا يقوم التوحيد إلا به، وهو إثبات الربوبية لله عزَّ وجلَّ، وأنَّ مشيئته سبحانه نافذةٌ على العباد ، فلا نفعَ ولا ضرَ، ولا حياةَ ولا إماتةَ، ولا خيرَ ولا شرَّ إلا بمشيئته وإرادته سبحانه وتعالى.

وإنَّ المطلع على كتب ابن الجوزي رحمه الله يرى بجلاء إثباتَه المشيئةَ لله سبحانه على الخلق، وأنَّ أمرَه سبحانه نافذٌ.

يقول رحمه الله في قوله تعالى:﴿ مَّا كَانُوٓاْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الأنعام: ١١١:"فأخبر أنَّ وقوعَ الإيمانِ بمشيئته، لا كما ظنُّوا أنَّهم متى شاؤوا آمنوا، ومتى ما شاؤوا لم يؤمنوا"[٢].

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾النحل:٩٣ يبيِّنُ أنَّ في هذه الآية ردٌّ على القدريَّة الذين ينفون مشيئةَ الله على خلقه، فيقول عن هذه الآية:"صريحٌ في تكذيب القدريَّة، حيثُ أضافَ الإضلال والهداية إليه، وعلَّقها بمشيئته"[٣].

ويقول أيضاً في تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾الأنعام: ١٢٥:"وهذه الآية تقطَعُ كلامَ القدريَّةِ، إذ قد صرَّحتْ بأنَّ الهدايةَ والإضلالَ متعلِّقٌ بإرادة الله تعالى"[٤].

ويبيِّن أنَّ للعبد إرادةً ومشيئةً يَعملُ مِن خلالها، فيقول في قوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ﴾الأنعام:٣٨:"قال ابن الأنباري: وموضع الاحتجاج من هذه الآية، أنَّ الله تعالى ركَّب في المشركين عقولاً، وجعل لهم أفهاماً ألزمَهم بها

---

١. المنتظم (١١٢١/١).يُنظر: زاد المسير (١٧١/٣).

٢. زاد المسير (١٠٧/٣).

٣. زاد المسير (٤٨٧).

٤. زاد المسير (١٢١/٣).

أن يتدبروا أمرَ النبي ﷺ، ويتمسَّكوا بطاعته، كما جَعلَ للطير أفهاماً يَعرِفُ بها بعضُها إشارةَ بعض، وهدى الذَّكر منها لإتيان الأنثى. وفي كلِّ ذلك دليلٌ على نفاذ قدرة المركَّب ذلك فيها"[1].

ويقول في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾الأنفال:٥١:"أي: بما كسبتم من قبائح أعمالكم"[2]. فنسب فعل القبائح إليهم.

ويقول في نواسخ القرآن رادّاً على من يقول بأنَّ العبد لا مشيئةَ له، وأنَّها نُسخت بقوله تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾الإنسان:٣٠، فيقول رحمه الله:"قوله تعالى:﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾الإنسان:٢٩ زَعَمَ بعضُ مَن لا فَهمَ له أنَّها نسخت بقوله:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾الإنسان:٣٠ وليس هذا بكلامِ مَن يدري ما يقول؛ لأنَّ الآيةَ الأولى أثبتَتْ للإنسان مشيئتَه. والآية الثانية أثبتَتْ أنَّه لا يَشاءُ حتى يَشاءُ اللهُ، وكيف يُتصوَّر النَّسخ؟"[3].

ويقول في احتجاج المشركين بالقدر كما حكى الله عنهم:﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾الأنعام:١٤٨:"أي: إذا لَزِمتْهم الحجَّة، وتيقَّنوا باطلَ ما هم عليه من الشِّرك، وتحريمَ ما لم يحرِّمْه الله ﴿ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾ فجعلوا هذا حجَّةً لهم في إقامتهم على الباطل، فكأنَّهم قالوا: لو لم يرضَ ما نحن عليه، لحالَ بيننا وبينه، وإنَّما قالوا ذلك مستهزئين ودافعين للاحتجاج عليهم. فيقال لهم: لِمَ تقولون عن مخالفيكم إنَّهم ضالُّون، وإنَّما هم على المشيئةِ أيضاً، فلا حجَّةَ لهم؛ لأنَّهم تعلَّقوا بالمشيئة وتركوا الأمر. ومشيئةُ الله تعمُّ جميعَ الكائناتِ، وأمرُه لا يَعمُّ مراداتِه. فعلى العبدِ اتباعُ الأمرِ، وليس له أن يتعلَّلَ بالمشيئة بعد وُرودِ الأمر"[4].

---

١. زاد المسير (٣/٣٥).

٢. زاد المسير (٣/٣٧٠).

٣. (٥٠٠).

٤. زاد المسير (٣/١٤٥).

وممَّا تقدَّم يتبيَّن لنا كيف أنَّ الإمام ابن الجوزي رحمه الله معظِّمٌ لباب الشرع، وأنَّه لا يتعارضُ مع القدر، حتى إنَّ شيخ الإسلام رحمه الله يَنقُلُ عنه مقولةً، رأيتُها في أكثرِ من موضعِ مِن مجموع الفتاوى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"كما قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي قال: أنتَ عند الطاعةِ قدرِيٌّ، وأنت عند المعصية جبرِيٌّ، أيُّ مذهبٍ وافَقَ هواكَ تَمَذْهبْتَ به"[1].

وما نقله عنه، ذكره ابن الجوزي رحمه الله في كتابه المدهش، حيث يقول:"أنت في طلب الدنيا قدرِيٌّ، وطلب الدين جبرِيٌّ، أيُّ مذهبٍ وافَقَ غرضَكَ تَمَذْهبتَ به"[2].

ويقول في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾البقرة:٢٠٥:"وقد احتجَّتِ المعتزلةُ بهذه الآية[3]، فأجاب أصحابُنا بأجوبةٍ منها: أنَّه لا يحبُّه ديناً ولا يريده شرعاً، فأمَّا أنَّه لم يردْه وجوداً فلا.

والثاني: أنَّه لا يحبُّه للمؤمنين دون الكافرين.

والثالث: أنَّ الإرادةَ معنى غيرَ المحبَّةِ، فإنَّ الإنسانَ قد يتناول المُرَّ، ويريدُ بطَّ[4] الجُرحِ، ولا يحبُّ شيئاً من ذلك.

وإذا بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة، بطل ادعاؤهم التساوي بينهما. وهذا جواب معتمد"[5].

ولهذا يقرِّر في أكثر من موضع من كتبه، أنَّ"مشيئة الله تعم الكائنات، وأمره لا يعم مراداته"[6].

رابعاً :مرتبة الخلق

إنَّ ممَّا يقرِّره ابن الجوزي رحمه الله في باب القدر، وفي مسألة خلق أفعال العباد، أنَّ أفعالَ العباد مخلوقةٌ، وأنَّها مِن ضمن مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

---

١. الفتاوى (٤٤٦/٨)، وكذلك (٢٠٤/١٨) وقد ذكر شيخ الإسلام هذه العبارة في الفتاوى إحدى عشرة مرة.

٢. المدهش (٢٦٣-٢٦٤).

٣. على أنَّ الله لم يشأ الفساد.

٤. أي: شقَّ الجرح. يُنظر: مختار الصحاح (٣٦).

٥. زاد المسير (٢٢٢/١).

٦. تلبيس إبليس (٤٠٨/٢-٤٠٩).وقريباً منه زاد المسير (١٤٥/٣).

يقول في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾الصافات:٩٦:"وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ أفعالَ العباد مخلوقة لله"[١].

فهذا نصٌّ واضحٌ منه رحمه الله في هذه المسألة.

وهو إذ يُثبتُ أنَّ أفعالَ العباد مخلوقةٌ، فهو يبيِّنُ أنَّ جميعَ أفعالِهم مخلوقةٌ من خير أو شرٍّ.

يقول في قوله ﷺ:((والشَّرُّ ليس إليك))[٢]:"وقد يُشكل هذا فيُقال: أليس كلُّ شيءٍ بقدر؟ فالجواب: أنَّ المعنى: لا يُضاف الشرُّ إليك، فتُخاطَب به تأدُّباً، فلا يقال: يا قاتلَ الأنبياء، ويا مضيِّقَ الرِّزق، وإنَّما تُخاطَب بما يَليقُ الأدب، فيقال: يا كريم، يا رحيم. ويقول المُذنب: ظلمتُ نفسي، ولا يقول: أنت قضيْتَ؛ لأنَّه كالمُناظرة. والمراد من العبادة الذُّل للمعبود، ولهذا المعنى لما قام آدم مقام العبودية قال:﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾الأعراف:٢٣ فلمَّا التقى بموسى قال له:((أتلومني على أمرٍ قدِّر علي؟))[٣]. وكذلك قال ابن مسعود: (أقول برائي برائي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني)[٤]"[٥].

وبناءً على ما تقدَّم، فهل هذا يعني أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى أنَّ العبدَ مسلوبُ الإرادة والقدرة، وأنَّه يرى برأي الجبريَّة[٦]؟.

بالنَّظر في كتبه رحمه الله، نجدُه يُثبتُ أنَّ للعبد قوةً وإرادةً من خلالهما ينسب الفعل إلى العبد.

---

١. زاد المسير (٧/٧٠).

٢. رواه مسلم برقم: (٧٧١). من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٣. رواه البخاري برقم: (٦٦١٤)، ومسلم برقم: (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤. رواه سعيد بن منصور في سننه، كتاب: الوصايا، باب: الرجل لم يتزوج المرأة فيموت ولم يفرض لها صداقاً. رقم الحديث :(٨٩٣).

٥. كشف المشكل (١/٢٠٧).يُنظر: زاد المسير (٢/١٤٠).

٦. الجبرية: سموا بذلك لقولهم إنَّ العبد مجبرٌ على أفعاله. الملل والنحل (١/ ٨٥) والجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف. فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا.

يقول عن القدرة والقوة في تفسيره لقوله تعالى:﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾التين:٦:"غير منقوص وإن عجزوا عن الطاعات؛ لأنَّ الله تعالى لو لم يسلبْهم القوَّة، لم ينقطعوا عن أفعال الخير، فهو يجري لهم ذلك"[١].

فهنا يثبت القوَّة التي خلَقها الله عزَّ وجلَّ في العبد، والتي بها يفعلُ الطاعاتِ والمعاصيَ، ولهذا إذا سَلب الله القوَّة عن العبد في حال الكِبر التي كان يقوم بها الليل ويصوم النهار ويقرأ القرآن وغيرها من الطاعات التي كان يفعلها في حال قوَّته، فإنَّه سبحانه لا يقطع عنه أجرها سبحانه في حال الضعف. فالله هو الذي خَلَقَ القُدرةَ التي يُباشِر العبدُ الفعل مع الإرادة.

ويقول أيضاً مقرِّراً أنَّ القدرة من الله سبحانه، وأنَّ العبد بها يستطيع الفعل:"كأنِّي بك عن قليلٍ تُرمى في جوفِ قاعة، مسلوباً لباسَ القُدرة وبأسَ الاستطاعة"[٢].

ويقول في قوله تعالى:﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾القلم:٢٥:"والحرد: القدرة"[٣].

ويقول في كتابه ذمِّ الهوى:"وهذا سياقُ أخبارِ الرجالِ الذين امتنعوا مِن الذنوب مع القدرة عليها"[٤]. ويقول رحمه الله:"وتهيَّأْ لحسابِ الناقدِ البصير، قبلَ فواتِ القدرة وإعراضِ النصير"[٥].

ويقول عن الإرادة:"وبهذا القدرِ فُضِّلَ الآدميُّ على البهائم، أعني مَلَكَةَ الإرادة؛ لأنَّ البهائمَ واقفةٌ مع طباعِها، لا نظرَ لها إلى عاقبةٍ، ولا فكرَ في مآل، فهي تتناول ما يدعوها إليه الطبع...والآدميُّ يمتنع عن ذلك بقهر عقله لطبعه"[٦].

فهذه النُّصوص وغيرُها، تدلُّ دلالةً واضحةً أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى أنَّ للعبد القدرةُ التامَّةُ، والإرادةُ الجازمة، والتي بهما يوجد المراد.

وهذا مذهبُ الجمهور من أهل السنَّة من المثبتين للقدر، وغيرهم من نفاة القدر، من أنَّ الإرادةَ الجازمةَ، والقدرةَ التامةَ، يجبُ عندها وجودُ المفعول عند وجود المُقتَضى التام[١].

---

١. زاد المسير (١٧٣/٩).

٢. المدهش (٣٥٣).

٣. تذكرة الأريب (٢٣٤/٢).

٤. (٢٤٥).

٥. الياقوتة (٥٧).

٦. ذم الهوى (١٣).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وعند الإرادة الجازمة، والقدرة التامة، يجب وجودُ المراد"[2].

ويقول الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله:"فالعبد هو الذي يُوصف بفعله، فهو المؤمن والكافر، والبرُّ والفاجر، والمصلِّي والصائم، واللهُ خالقُه، وخالقُ فعلِه؛ لأنَّه هو الذي خلق فيه القدرةَ والإرادةَ اللَّتين بهما يَفعلُ"[3].

---

١. يُنظر: منهاج السنة (٣٩٧/١).

٢. منهاج السنة (٣٣٩/١).

٣. شرح الواسطية (٢٢٧).

المطلب الثاني: الحكمة والتعليل:

إنَّ المتأمِّلَ لكلام ابن الجوزي رحمه الله في الحكمة والتعليل، يرى بوضوح إثباتَه لحكمة الله في خلقه، وأنَّه سبحانه وتعالى الحكيم الذي لا يصدر عنه شيءٌ إلا بحكمة وعلم، عَلِمها من عَلِمها، وجَهِلها من جَهِلها.

يقول رحمه الله:"وبيان العمل بها -أي بأسماء الله الحسنى- أنَّ مِن أسمائه الحكيم، فالعَمَل بذلك التَّحكيمُ لحكمته، حتى لا يُوجد من العبد اعتراضٌ على أفعاله"[1].

ويقول أيضاً:"ثمَّ إذا نظرنا في إنعامه ،رأيناه مشحوناً بالنَّقص والآلام وأذى الحيوانات، فَإِذَا رام العقل أن يعلِّلَ بالإنعام ،جاء تحقيقُ النَّظر، فرأى أنَّ الفاعلَ قادرٌ عَلَى الصفاء ولا صفاء، ورآه منزَّهاً بأدلةِ العقل عَنِ البخل المُوجب لمنعِ ما يَقدِرُ على تحصيله، وعن العجز عن دفعِ ما يَعرِض لهذه الموجودات من الفساد، فَإِذَا عجز عن التعليل كان التسليم أولى.

وإنَّما دخل الفساد من أنَّ الخلق اقتضاؤه الفوائدَ ودفعَ المضار على مقتضى قدرتِه، ولو مَزَجُوا فِي ذلك العلم بأنَّه الحكيمُ؛ لاقتضت نفوسُهم ولَهُ التَّسليم بحسب حكمته، فعاشوا فِي بَحْبُوحَة التفويض[2] بلا اعتراض"[3].

ويقول رحمه الله في معاتبته لنفسه في تأخير عدم استجابة الله لدعائه:"والثاني: أنَّه قد ثبتت حكمتُه بالأدلَّة القاطعة، فربما رأيت الشيءَ مصلحةً والحكمةَ لا تقتضيه، وقد يخفى وجهُ الحكمةِ فيما يفعلُه الطبيبُ من أشياء تؤذي في الظاهر، يُقصد بها المصلحة، فلعلَّ هذا من ذاك"[4]، فقوله "قد ثبتت حكمته بالأدلَّة القاطعة" نصٌّ واضح في إثباته لهذه الصِّفة لله عزَّ وجلَّ.

ويقرِّر بأنَّ المرءَ يسعى في كسبه، ويعلم أنَّ الله حكيمٌ في عطائه للعبد، سواءً أعطى أو منع، يقول رحمه الله:"ينبغي أن تكونَ أعضاءُ المتوكِّلِ في الكسب، وقلبُه ساكنٌ مفوِّضٌ إلى الحقِّ، منع أو أعطى؛ لأنَّه يرى أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى لايتصرَّف إلا بحكمة ومصلحة"[5].

---

١. كشف المشكل (٣/٤٣٥).

٢. أي تفويض معرفة الحكمة إلى الله.

٣. تلبيس إبليس (٧٧-٧٨).

٤. صيد الخاطر (٨٢-٨٣).

٥. تلبيس إبليس (٣٢٧).

ويقول:"وكنْ ناظراً إلى أنَّه المالك، وإلى أنَّه الحكيمُ في التدبير"[1].

ويقول في الحكمة من عدمِ خلقِ اللهَ الخلقَ في لحظة، وأنَّه سبحانه خلقها في ستة أيَّام، فيقول:"الثالث: أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبيت أبلغ في الحكمة"[2].

بل ذكر في أكثر من موضع أنَّ هناك من يُعارِض الربَّ سبحانه في تقديره، ويخاصمه والعياذ بالله في قضائه وقدره، وأنَّ السبب في هذا يرجع لأمرين :

١.القصور في معرفة الحكمة من أفعال الله سبحانه .

٢. قياس أفعال الله على أفعال البشر .

يقول رحمه الله:"وقد يحسُّ العاميُّ في نفسه نوعَ فهم، فيسوِّلُ له إبليس مخاصمةَ ربِّه، فمنهم من يقول لربِّه كيف قضى وعاقب؟ ومنهم من يقول: لِمَ ضيَّق رزق المُتَّقي، وأوسع على العاصي؟، ومنهم طائفةٌ تَشكرُ على النِّعم، فإذا جاء البلاءُ اعترض وكفر، ومنهم من يقول: أيُّ حكمةٍ في هدمِ هذه الأجساد؟ يعذِّبُها بالفناء بعد بنائها"[3].

ويقول موضِّحاً السبب الثاني"وإنَّ أقوامًا نظروا بمجرَّد العقل إلى كثيرٍ من أفعالِ الحقِّ سبحانه؛ فرأوها لو صدَرَت من مخلوق، نَسبَ فيها إلى ضدِّ الحكمة، فنسبوا الخالقَ إلى ذلك. وهذا الكفر المحضّ، والجنون البارد"[4].

وقد قرَّر هذا الأمر –أعني إثبات الحكمة في أفعال الله عزَّ وجلَّ– كثيراً في كتابه صيد الخاطر[5]وغيرها من كتبه.

وهو مع إثباته لحكمة الربِّ في مخلوقاته، ينفي الغرض عن الله وأنَّه سبحانه منزَّه عن أن يوصف بالغرض.

يقول رحمه الله:"فنقول: من يتوهَّم أنَّ الله جلَّ وعلا ينتفِع بطاعة، أو يستضِرُّ بمعصية، أو ينال بذلك غرضاً، فما عرف الله جلَّ جلاله؛ لأنَّه مقدَّس عن الأغراض والأعراض، من انتفاع أو ضرر، وإنَّما نَفْعُ الأعمالِ يعودُ إلى أنفسنا؛ كما قال عزَّ وجلَّ:﴿ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا

---

١. صيد الخاطر (١٣٩).

٢. زاد المسير (٢١٢/٣).

٣. تلبيس إبليس (٣٤٤).

٤. صيد الخاطر (٤٧٨).

٥. يُنظر: (٥٩)، (٨٢)، (١٥٦)، (٢٢٦) وغيرها.

يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾العنكبوت:٦﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾فاطر:١٨، وإنَّما يأمر الطبيبُ المريضَ بالحمية لمصلحة المريض، لا لمصلحة الطبيب، وكما أنَّ للبدن مصالحٌ من الأغذية ومضارّ، فللنَّفس مصالحٌ ومضارٌّ من العلم والجهل، والاعتقاد والعمل، فالشرع كالطبيب، فهو أعرف بما يأمر به من المصالح. هذا مذهب من علَّل، وأكثرُ العلماء قالوا: أفعاله لا تعلل.

وجواب آخر: إذا كان غنيَّاً عن أعمالنا، فهو غنيٌّ عن معرفتنا له، وقد أوجبَ علينا معرفتَه، فكذلك وجوبُ طاعته، فينبغي أنَّ ننظرَ إلى أمرِهِ لا إلى الغرض بأمره"[١].

ومن خلال ما تقدَّم نرى كيف ينفي الغرض عن الله في الوقت الذي يُثبتُ له الحكمة، كما هو منهج أهل السنة في نفيهم الغرضَ عن الله، لأنَّه لم يرد في الكتاب ولا في السنَّة، ولأنَّه من الألفاظ التي توهم النَّقص، والباري منزَّهٌ عن النَّقص سبحانه.

أضف إلى أنَّ لفظ الغرض، لفظ مجملٌ، فمن حمل اللفظ على معنى انتفاع الخالق بأعمال العباد، فهذا المعنى منفي عنه جلَّ وعلا، ومن حمل الغرض على معنى نفي الحكمة فهذا مردود.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"وأمَّا لفظُ الغرض فالمعتزلة تُصرِّح به...وأمَّا الفقهاء ونحوهم، فهذا اللفظ يُشعِرُ عندهم بنوعٍ من النَّقص، إمَّا ظلم وإمَّا حاجة، فإنَّ كثيراً من الناس إذا قال: فلانٌ له غرض في هذا، أو فعل هذا لغرضِه، أرادوا أنَّه فعلَه لهواه ومرادِهِ المذموم، والله منزَّهٌ عن ذلك، فعبَّر أهلُ السنَّة بلفظ الحكمة والرحمة والإرادة ونحو ذلك ممَّا جاء به النَّص"[٢].

وهناك بعض النُّصوص تدلُّ على أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى بعدم تعليل أفعاله سبحانه وتعالى، يقول رحمه الله:"وأمَّا قولُ إبليس: ما وجهُ هذا التعذيب وهو قادرٌ على اللُّطف؟ فجوابه من وجهين:أحدهما: أنَّ هذا الاعتراضُ على المالكِ،وأفعاله سبحانه لا تُعلَّل"[٣].

---

١. تلبيس إبليس (٥٢٧–٥٢٨).

٢. منهاج السنة النبوية (٤٥٥/١).

٣. الثبات عند الممات (٦٠). يُنظر: تلبيس إبليس (٥٢٨)، وصيد الخاطر (٣٣٨).

فمن خلال ما تقدَّم قد يقول قائل: إنَّ ابن الجوزي رحمه الله ينفي الحكمة عن الله، والصحيح أنَّه لا يقصد من ذلك نفيَ الحكمة عن الله، وإنَّما أراد أنَّ العبد لا يستطيع أنَّ يدرك الغاية من قضائه وحكمه، وأنَّه لا يستطع المرءُ إدراكَ جميعِ الحِكَمِ من أوامره سبحانه.

يوضِّح هذا بعضُ النُّصوص التي تبيِّن أنَّ المرادَ من نفيِ التَّعليل عدم إدراك العبد لجميع حكمه سبحانه وتعالى، يقول رحمه الله:"غير أنَّ الحقَّ سبحانه لا تُقاسُ أفعالُه على أفعالنا، ولا تُعلَّلُ، والذي يُوجِبُ علينا التسليم؛ أنَّ حكمتَه فوقَ العقلِ، فهي تَقضِي على العقول، والعقول لا تقضي عليها"[1] فهو في الوقت الذي ينفي التعليل عن أفعال الله، نجدُه يثبت الحكمة لله عزَّ وجلَّ، وأنَّ العقل لا يدرك تمام أفعاله سبحانه، ولا يعرف الحكمة من ذلك، ولهذا يقول بعض العلماء حينما يريد الشخص أن يذكرَ الحكمةَ لأمرٍ من أوامرِ الله، يقول: المُنبغي أن يقول المرءُ من حكم الله في كذا كذا وكذا، ولا يقول الحكمة هي كذا وكذا.

ويؤكِّد نفسَ المعنى في ردِّه على ابن الريوندي في اعتراضه على تخليد أهل النار، فيقول رحمه الله:"وهذا جهلٌ منه؛ لأنَّه يريدُ بهذا تعليلَ أفعالِ الخالقِ سبحانه، وأفعاله لا تُعلَّلُ؛ لأنَّ حكمتَه فوقَ العقلِ المُعلِّلِ"[2].

وفي معرض ردِّه على من ينكر خلود أهل النار، يقول رحمه الله:"وقد بينا أنَّ...وأنَّ أفعالَه لا تُعلَّل. ولو تلمَّح شيئاً من التعليل لخلود الكفار، لبان" ثمَّ ذكر بعض الحكم من ذلك، وهذا يدُلُّ على أنَّه ليس المراد من قوله لا تُعلَّل نفي الحكمة، أو أنَّ هذا تناقض منه؛ لأنَّ التناقض قد يحدث في نصوص متباعدة، أمَّا في نصٍّ واحد مثل التي ذكرناها فبعيد، بالإضافة إلى أنَّه ذُكر في أكثر من موضع كما ذكرنا.

أضف إلى ما تقدَّم ذكره من كلام متين محكم في إثباته لحكمة الله عزَّ وجلَّ، فإنَّه يدُلُّ على أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يثبتُ الحكمة لله عزَّ وجلَّ.

وإنَّ الحديث عن إثبات الحكمة لله عزَّ وجلَّ يقودنا للكلام على مسألة نفي الظلم عن الله عزَّ وجلَّ.

---

١. صيد الخاطر (٣٣٨).

٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١١٢/١٣).

نفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى

إنَّ الظُّلمَ من الخصال المذمومة على الإطلاق، ولهذا حرَّمَه الله على نفسه، وجعلَه بين العباد محرَّماً، فقال تعالى في الحديث القدسي:((يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّماً، فلا تظالموا))[1].

وموقف ابن الجوزي رحمه الله واضحٌ من حيث تعظيمِه لله عزَّ وجلَّ، ونفيِ الظلم عن الله سبحانه وتعالى.

يقول رحمه الله في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾النساء:٤٠ قال:"قد شرحنا الظُّلمَ فيما سلف، وهو مستحيلٌ على الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ قوماً قالوا: الظُّلم تصرُّفٌ فيما لا يَمِلِك والكلُّ ملكه، وقال آخرون: هو وضعُ الشيءِ في غير موضعه، وحكمته لا تقتضي فعلاً لا فائدة تحته"[2].

ويقول في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾يونس:٤٤"لما ذكر الذين سبق القضاء عليهم بالشقاوة، أخبر أنَّ تقديرَ ذلك عليهم ليس بظُلم؛ لأنَّه يتصرَّف في ملكِه كيف يشاء، وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم بذلك؛ لأنَّ الفعلَ منسوبٌ إليهم، وإن كان بقضاء الله"[3].

ويقول في قوله تعالى:﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾غافر:٣١:"قال بعضهم: معناه لا يعاقبهم بلا جرم. وقال الزجاج: أَعْلَمَنا أنَّه يُعذِّبُ من عذَّبه باستحقاق"[4].

ويقول أيضاً:"مَن تأمَّل في أفعال الباري وجدَها على قانون العدل"[5].

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾المائدة:١١٨ يقول رحمه الله:"﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ ﴾أي: إن تعذِّبَ من كفر منهم،

---

١. رواه مسلم برقم: (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

٢. زاد المسير(٨٣/٢). يُنظر: كلامه في معنى الظلم نزهة الأعين النواظر (٤٢٦) حيث ذكر المعنيين فقط ولم يرجِّح.

٣. زاد المسير (٣٥/٤).

٤. زاد المسير (٤٣٨/١).

٥. صيد الخاطر (٤٤).

فـإنَّهم عبـادُك وأنـت العـادلُ فـيهم؛ لأنَّـكَ قـد أوضـحتَ لهـم الحـقَّ فكفـروا﴿ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾أي: وإن تغفر لمن أقلع منهم وآمَنَ، فذلك تفضُّلٌ منك؛ لأنَّه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فِرْيتهم، وأنت في مغفرتِك لهم، عزيزٌ لا يمتنع عليك ما تريد، حكيمٌ في ذلك"[1].

ويقول:"إنَّ الله عزَّ وجلَّ اسمُه لا يُنسبُ إليه الظُّلم؛ لأنَّ حدَّ الظُّلم وضعُ الشيءِ في غير موضعه، لأنَّ الدنيا والآخرة ملكٌ الله تعالى، والجبَّار من العباد هو الظَّالم الذي يَضعُ الشيءَ في غير موضعه، يأخذ ما ليس له بحقٍّ، ويردُّه إلى ما قد ملكه الله تبارك وتعالى، وإذا قضى الله تعالى على عبده بقضاءٍ فهو له خير، لقول الرسول ﷺ:((لايَكمُل للمؤمن إيمانُه حتى يرى أنَّه الذي قضاه الله عليه أو لَهُ خيرٌ له من الذي أرادَ لنفسه))[2]. وقال رسول الله ﷺ:((في قضاء الله تعالى خيراً إلا قضاء النَّار))[3].

وإذا قضى الله تبارك وتعالى على عبده بالنار، فهو عبدُه، وهو خلَقَه، لم يعنْه أحدٌ على خلقه، ولا على رزقه، وهو يفعل ما يريد، لا شريك له في ملكه"[4].

فهذه النصوص منه رحمه الله لنا معه وقفات:

الأولى: قوله رحمه الله:"وهو مستحيلٌ على الله" فهذه العبارة تحتمل أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى بمذهب الأشاعرة، وأنَّ معنى الظلم عندهم التصرف في ملك الغير، وبما أنَّ الكون ملكٌ لله، فيستحيل عليه الظلم سبحانه. وستأتي مناقشة هذا القول بعد قليل، ولكنِّي أرى أنَّ هذه العبارة من ابن الجوزي حكاه عمَّن يقول بأنَّ معنى الظُّلمِ التصرُّف في ملك الغير، وبالرجوع إلى تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾طه:١١٢ نجدُه يحكي فيها أربعةَ أقوال، مفادها أنَّ العبدَ لا يخافُ من ظلمِ الله له بأن يَنقصَ من حسناته، أو يُزاد في سيئاته، أو أن يُؤاخِذَ بما لم يعملْ، أو لا يُجزى بعملِه، وهذه المعاني تدُلُّ على أنَّه سبحانه قادرٌ على الظُّلم الذي حرَّمه على نفسه وتنزَّه عنه سبحانه وتقدَّس، وهذا بخلاف ما تقدَّم

---

١. زاد المسير (٢/٤٦٥).

٢. بحثت عنه ولم أقف عليه.

٣. بحثت عنه ولم أقف عليه.

٤. بستان الواعظين (٨٦-٨٧).

من أنَّه مستحيلٌ عليه سبحانه، وإنَّما استحقَّ سبحانه الحمد والثناء؛ لأنَّه تَرَكَ الظُّلمَ وهو قادرٌ عليه، فاستحق المدح سبحانه.

الثانية: من خلال ما تقدَّم نرى ابن الجوزي رحمه الله لم يذكرِ الْمعنى الراجِح، ولعلَّه يرى أنَّ كِلا المعنَيين صحيحٌ، ومع هذا فكأنَّ ابن الجوزي رحمه الله يميل إلى أنَّ الأقرب من معاني الظُّلم، هو وضع الشيء في غير موضعه، لأمرين:

الأول: وذلك لأنَّها هي ما دلَّ اللسان العربي، يقول رحمه الله:"قال ابن الأنباري: الظُّلمُ وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِه، ويُقال: ظَلَمَ الرجلُ سقاءَه إذا سقَاه قبلَ أن يَخرجَ زبدُه. قال الشاعر:

وصاحبُ صِدقٍ لم تربْني شكاتُه ****** ظَلَمْتَ وفي ظُلْمِي له عامداً أَجْرُ[1]

أراد بالصاحب: وطْب اللبن[2]، وظلمه إياه:أن يسقيَه قبل أن يخرج زبده.

والعرب تقول: هو أظلم من حيَّةٍ؛ لأنَّها تأتي الحُفَرَ الذي لم تحفرْه فتسكنْه، ويُقال: قد ظلم الماءُ الوادي: إذا وصَلَ منه إلى مكانٍ لم يكنْ يصلْ إليه فيما مضى"[3].

ويقول أيضاً:"والظَّالم: الذي يضع الشيء في غير موضعه"[4].

والثاني: تقريره أنَّ مِن حكمته سبحانه أنَّه لا يفعل فعلاً ينافي حكمتَه، ومن ذلك أن يخذلَ أولياءه وينصرَ أعداءَه، ويدخلَ أنبياءَه نارَه، ويسكنَ إبليسَ جنَّته، فتقدَّس الله أن يفعلَ ذلك، وقد جمع بين المعنيين المضادين للظُّلم في قوله رحمه الله:"كما قال عمر رضي الله عنه يوم صلح الحديبية: ألسنا على الحقِّ؟ فلِم نعطي الدَّنيَّة في ديننا؟ ولـمَّا قال هذا، قال له الرسول ﷺ:((إنِّي عبد الله، ولن يضيعَني))[5]. فجَمَعَت الكلمتان الأصلين اللذين ذكرناهما: فقوله:((إنِّي عبد الله)) إقرارٌ بالملك، وكأنَّه قال: أنا مملوكٌ يَفعلُ بي ما يشاء. وقوله:((لن يضيعَني)) بيانُ حكمتِه، وأنَّه لا يفعلُ شيئاً عبثاً"[6].

---

١. ذكره ثعلب في مجالسه (٢١) من دون عزو، وكذلك ابن السكيت في الألفاظ (٤١١).

٢. المراد به سقاء اللبن من جلد الجذع خاصة. يُنظر: (٣٤٦/٤).

٣. زاد المسير (٦٧/١).

٤. زاد المسير (٧٠/٤).

٥. رواه البخاري برقم: (٣١٨٢)، ومسلم برقم: (١٧٨٥) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

٦. صيد الخاطر (٣٠٧).

ويقول رحمه الله مبيِّناً أنَّ حكمة الله تقتضي نصرةَ أهل التوحيد من عباده:"قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾البقرة: ١٩٤،قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أنَّه تعالى مع أوليائه الذين يخافونه فيما كلَّفهم مِن أمرِه ونهيه. وقال الزجاج: إنَّه تعالى يريدُ أنَّه ضامنٌ لهم النَّصر والتأييد، وهم قومٌ لم يزالوا معه بالعبادة والتوحيد، وكيف لا يَرفَعُ الله أقدارَهم، وهم الذين لم تزلْ كلمةُ التوحيد بجهادهِم مرتفعةً، كيف لا يقيمُ الله الوجودَ في خدمتهم، وهم الذين لم يزالوا قائمين في خدمته"[١].

والمسلمون متفقون في الجملةِ أنَّ الله لا يَظلِمُ أحداً[٢]، إلا أنَّهم بسبب اختلافهم في القدر اختلفت أقوالهم في هذه المسألة على ثلاثة أقوال[٣]:

١. فالمعتزلة الذين قالوا بأنَّ العبدَ خالقٌ فعلَ نفسه، وأنَّ الله لم يخلقْ أفعالَ العباد؛ لأنَّ العبد قد يصدر منه الفعل القبيح، والله منزَّهٌ عنه، فهو لم يرد وجود شيء من الذنوب، بل العباد يقترفونها من غير مشيئة الله؛ لأنَّه لو كان فاعلاً لها ثمَّ عاقبهم، كان ظلماً لهم، ولكن لا يفعله لعلمه سبحانه بقبحه[٤].

٢. وأمَّا الأشاعرة فعلى مذهبهم في الجبر[٥]، وأنَّ العبد مجبورٌ على فعله، وأنَّ الله خالقُ العبدِ وفعلِه، وكذلك نفيُهم لحكمة الله في خلقِه، وأنَّ أفعاله لا تُعلَّل، نتج عن ذلك تفسيرهم للظُّلم بأنَّه التَّصرف في ملك الغير، وعليه فالله يتصرَّف كما يشاء في خلقه، فلو أدخل أنبياءَه الكرامَ نارَه، وأدخل إبليس جنَّتَه، لكان ذلك عدلاً وليس بظُلم. ولهذا قالوا: الظُّلم هو الممتنع في نفسه والمستحيل، لأنَّ كلَّ ما هو تحت قدرةِ الله فهو منه عدلٌ[١].

---

١. التذكرة في الوعظ (١٧٥-١٧٦).

٢. يُنظر:جامع الرسائل لابن تيمية (١٢١/١).

٣. يُنظر: جهود ابن تيمية في القدر (٥٧٩-٦٣١)، شرح الطحاوية (٦٥٩/٢-٦٦٣)، جامع العلوم والحكم (٣٤/٢-٣٦).

٤. يُنظر: شرح الأصول الخمسة (٤٥٩)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة (١٥٢-١٥٩)، والقضاء والقدر (٢٨٢-٢٨٤).

٥. وهذا في الجملة. يُنظر: التداخل العقدي. وإلا فأعيانهم متفاوتون في ذلك. يُنظر: التداخل العقدي (٥٦٢-٥٦٣) وَ (٥٤٢) وَ (٥٧٢)، والقضاء والقدر للمحمود (٣١٣-٣١٦) حيث جعل للباقلاني قولاً، وللغزالي قولاً، ولأبي المعالي قولاً، وذكر أنَّه آخر قوله كما في النِّظامية وافق أهل السنَّة، وقد أنكره بعض الباحثين، وذكر أنَّه إلى قول المعتزلة أقرب منه إلى قول أهل السنَّة. التداخل العقدي (٥٦٤-٥٦٥).

١. يُنظر: النظامية (٣٥)، منهاج السنة (١٩٠/١).

٣.قول أهل السنَّة أنَّ المراد بالظُّلم هو وضعُ الشيءِ في غير موضعِه، وهذا هو المراد به في لغة العرب.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"الظُّلم وضع الشيء في غير موضعه، والعدلُ وضعُ كلِّ شيءٍ في موضعه. وهو سبحانه حكمٌ عدلٌ يضع الأشياءَ مواضَعها، ولا يضع شيئاً إلا في موضعه الذي يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل، ولا يفرِّق بين متماثلين، ولا يسوي بين مختلفين، ولا يعاقِبُ إلا من يستحقُّ العقوبةَ، فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمةِ والعدلِ، وأمَّا أهلُ البرِّ والتقوى فلا يعاقبُهم ألبتَّة، قال تعالى:﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾القلم:٣٥-٣٦،وقال تعالى﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ص:٢٨، وقال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾الجاثية:٢١"[١].

وفي قول عمر رضي الله عنه:(يا رسول الله، ألسنا على الحقِّ وهم على الباطل؟ فقال:((بلى)). فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال:((بلى))، قال: فعلام نُعطِي الدَّنيَّة في ديننا، أنرجع ولـمَّا يحكمُ الله بيننا وبينهم؟)[٢] إشارةٌ إلى أنَّ الله لا يفعل ما يخالف حكمته من نصرتِه لأوليائه، وإذلالِ أعدائه، فكأنَّه يقول: لِمَ لَمْ نُنصرْ ونحن أولياءُه وهم أعداؤُه، وأنَّ مِن حكمتِه نصرةَ أوليائه وإذلالَ أعدائه؟.

تنبيه : هناك عبارةٌ لابن الجوزي رحمه الله في كتابه صيد الخاطر ظاهرها مشكل، إذ يقول:"فليكن همُّ العاقلِ في إقامة حقِّ الحقِّ، والرِّضا بتدبيره، وإن أساء"[٣] فهذه الكلمة مشكلةٌ جداً، وهي تدُلُّ على عدم تحرير ابن الجوزي رحمه الله لغالب كتبه رحمه الله، وقد علَّق محققُ الكتاب جزاه الله خيراً بقوله:"أساءك وأحزنك بما قدَّره عليك من المصائب"[١] فهذا تخريج لعبارة ابن الجوزي رحمه الله وهي من باب إحسان الظن بالعلماء رحمهم الله والله أعلم.

---

١. جامع الرسائل (١/١٢٣-١٢٤).

٢. تقدَّم تخريجه صفحة (٥٠٥).

٣. صيد الخاطر (٣٤٠).

١. صيد الخاطر حاشية (١) صفحة (٣٤٠).

المطلب الثالث: نظرية الكسب[1]

إنَّ أولَ من أتى بنظرية الكسب هو أبو الحسن الأشعري رحمه الله، متوسِّطاً بها بين القدريَّة والجبريَّة. وذكر أنَّ أفعالَ العبدِ خلقٌ لله وكسبٌ للعبد، وليس لقدرةِ العبدِ أثرٌ في هذا الفعل.

ولفظُ الكسبِ، لفظٌ شرعيٌّ واردٌ في القرآن، قال الله:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾البقرة: ٢٨٦.

وهذه النَّظريَّة فيها من الغموض إلى درجة أنَّ الأشاعرة أنفسَهم عجزوا عن فهمها، حتى قيل:

مِمَّا يُقالُ ولا حَقيقةَ عندَه******معقولةٌ تَدْنوا إلى الأَفْهامِ

الكسبُ عندَ الأشعريِّ والحالُ******عند البَهْشَمِيِّ وطفرةُ النَّظام[2]

ولهذا قيل في تعريف الكسب: بأنَّه لفظٌ لا معنى له، ولا حاصلَ تحته[3].

والسؤال هنا: هل ابن الجوزي رحمه الله يرى بنظرية الكسب؟.

من خلال بحثي في كتبه رحمه الله، لم أجدْ له ما يُثبتُ أنَّه يرى بالكسب، إلا في كتابه المنظوم والمنثور، وهو من كتبه القديمة التي ألَّفها في بداية عمره كما تقدَّم والله أعلم.

يقول رحمه الله في المنظوم:"فإن قلتَ: قد رجعْنَا إلى الكسب، فأقول نحن قد أثبتْنا كسباً، والجبريةَ لم يثبتوا كسباً، فأضربُ لك مثالاً، فإنَّ الحقائقَ تنكشف بالأمثال.

حِملٌ ثقيلٌ أنت قادرٌ على حمله، ومعك آخرُ عاجزٌ، فرفعتُما الحِملَ، فالرَّفع إلى من يُنسب؟ إنَّما يُنسبُ إلى القوي، ولكن للآخر نوعُ فعلٍ، فذلك النَّوع من الفعل، هو الكسب مع خلقِّ الحقِّ تعالى.

---

١. يُنظر:: النبوات (٥٨١/١)، الفتاوى (١١٩/٨)، ونظرية الكسب عند الأشاعرة، د.سالم القربي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد (٣٤).

٢.يُنظر: منهاج السنة (٤٥٩/١).

٣. شفاء العليل (١٢١).

ومعنى الكسب: هو التصرُّفُ في الفعل، بقدرةٍ تُقارِنُه في محلِّه، تجعلُه بخلافِ صفةِ الضَّرورة. وكلُّ ذي حدٍّ سليم، يفرِّقُ بين حركةِ المختارِ وبين حركةِ المرتعشِ، وبين اختيارِ المشي والانتقال والذهابِ، وبين الجرِّ والسحب والرَّفع"[1].

وبناءً على ما سبق، فإنَّ القارئَ لكلام ابن الجوزي رحمه الله المتقدِّم، يتَّضِحُ له موقفُ ابن الجوزي في مسألة الإيمان بالقضاء والقدر، وأنَّه على مذهب الأشعري في إثبات كسبٍ للعبد، ولكنَّ هذا الكسبَ لا حقيقةَ له، ولا تأثيرَ له كما يتضِحُ في المثال الذي ذكره.

والذي يظهرُ لي -والعلم عند الله- أنَّ ابن الجوزي رحمه الله وإنْ قرَّر مسألةَ الكسبِ مبيِّناً أنَّها المذهب الحق، إلا أنَّه تَراجع عن ذلك في الغالب والله أعلم، وإن لم يصرِّح بذلك؛ وذلك لأنَّ هذه القضيَّة قرَّرها في كتابه المنظور والمنثور، وهو من كتبه المتقدِّمة، إضافةً إلى أنَّه لم يتعرَّضْ لها في أيِّ كتابٍ من كتبه الأخرى حسب اطلاعي، ممَّا يدُلُّ على أنَّه تراجَعَ عن القول بالكسب، خاصةً إذا قلنا أنَّ الكسبَ لم يقتنِعْ بها الأشاعرةُ أنفسُهم، فهل سيقتنِعُ بها ابن الجوزي رحمه الله؟.

وإذا تقرَّر أنَّ ابن الجوزي رحمه الله لا يرى بنظريَّة الكسب، فما هو موقفه في مسألة الإيمان بالقضاء والقدر؟ وهل نقول بأنَّ ابن الجوزي رحمه الله جبريٌّ؟ ويرى بمذهب الجبريَّة؟ أم أنَّه على مذهب القدريَّةِ؟.

الجواب -والعلم عند الله- أنَّه رحمه الله يرى ذمَّ القدريَّة والجبريَّة، وأنَّ هناك طريقاً وسطاً هو قولُ أهل السنَّة، ولهذا يقول:"ومتى قُضِيَ للقدر على الكسب[2]، أَخرَجَ إلى مذهب القدريَّةِ، أو للكسب على القدر، أَخرَجَ إلى مذهب الجبريَّة"[3]. فيُفهم من هذا النَّص أنَّ الأقوالَ عنده ثلاثةٌ، قولُ الجبريَّة، وقولُ القدريَّة، وكلاهما مذمومان عنده، وأنَّه لم يبقَ إلا القولَ الوسط، وهو أنَّنا لا نقضي بالقدر على كسب العبد وعمله، ولا نقضي بكسب العبد على جانب القدر.

هذا من ناحيةٍ، من ناحية أخرى يُلاحظ أنَّ ابن الجوزي رحمه الله من الناحية العمليَّة، معظِّمٌ لباب القدر، ومعظِّم لباب الشَّرع، فيُثبت أنَّ جميعَ الأمور بقدر الله، وأنَّه سبحانه

---

١. المنظوم والمنثور (٧٩٥-٧٩٦).

٢. ليس المراد بالكسب هنا المعنى الاصطلاحي، بل مراده المعنى اللغوي وهو ما يكتسبه العبد من عمل.

٣. كشف المشكل (٣/٣٨٢).

الخالقُ لكلِّ شيء، كما أنَّه يُثبت للعبد الفعلَ على الحقيقة، وأنَّه محاسَبٌ ومجزِيٌّ بما يفعل، وهذا لا يحتاج له نصوص من كلامه لنستدلَّ عليه، فمجالُه في وعظ الناس، بل واهتمامه رحمه الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ العبدَ فاعلٌ على الحقيقة، وأنَّه ليس بمجبر على فعله.

وكذلك ما تقدَّم من تقريره لمراتب الإيمان الأربعة، على منهج السلف الصالح كما تقدَّم.

والذي يترجَّح لديَّ – والعلم عند الله– أنَّه على مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب والله أعلم.

---

١. يقول رحمه الله في ذلك:"اعلموا أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل الدين، فإنَّه شغل الأنبياء، وقد خلفهم فيه خلفاؤهم، ولولاه شاع الجهل وبطل العلم". التبصرة (٣٠٢/٢).

المطلب الرابع: السببية[1]

من المواضيع المتعلِّقة بالقضاء والقدر، مسألةُ السببية، وأنَّ العلاقة بين السَّبب والمسبَّب، من المسائل التي كانت محلَّ نقاشٍ عند علماء الكلام.

وللنَّاس فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: يرى المعتزلةُ أنَّ الأسبابَ تؤثِّر في الـمُسبَّبات، بناءً على العلاقة الطبيعية بين السَّبب والمسبَّب.

يقول القاضي عبدالجبار:"إنَّ السَّبب إنَّما يوجب المسبَّب متى كان المحلُّ محتمِلاً له، ووُجِد على الوجه الذي من حقِّه أن يولده"[2].

القول الثاني: للأشاعرة، حيث يرون أنَّ الأسباب لا تأثيرَ لها في مسبباتها، بل العلاقة عندهم هي علاقة اقترانيةٌ عِندِيَّةٌ لا تأثيرَ لها في الـمُسبَّبات، وهم"يعتبرون حالات السببية جميعها، كحالةِ الساعتين المضبوطتين بشكلٍ دقيق، بحيث ترِنُّ الأولى في اللَّحظةِ التي تُشيرُ فيها الثانيةُ إلى الوقت، ممَّا يُوهِم بوجود اتصال وثيقٍ بين هاتين الساعتين"[3].

يعرِّف الزركشي[4] رحمه الله السَّبَبَ لغةً، فيقول:"عبارةٌ عمَّا يَحصُلُ الحكمُ عندَه لا به؛ أي: لأنَّه ليس بمؤثِّرٍ في الوجود، بل وسيلةٌ إليه"[5]. فترى كيف جعل السببيَّة عِندِيَّة واقترانيَّة، فجرَّدها عن معناها الحقيقي.

القول الثالث: قول أهل السنة، وهو أنَّ الأسبابَ تؤثِّرُ في مسبَّبَاتِها، وأنَّ السَّبب ليس مستقلَّاً بالإيجاد، بل الله خالقُ السَّببِ والمُسبَّبِ.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله مقرِّراً ذلك بـ"أنَّ اللهَ خالقُ كلِّ شيءٍ بما خلقه من الأسباب، وليس شيءٌ من الأسباب مستقِلَّاً بالفعل، بل هو محتاجٌ إلى أسباب أُخر تعاونُه،

---

١. يُنظر: الله يتجلى في عصر العلم (١٥٦).

٢. المغني (٣٣/٩). عن رسالة مبدأ السببية (١٩) بحسب ترقيم ال pdf؛ لأنَّ الرسالة غير مرقمة.

٣. مبدأ السببية عند الأشاعرة (٦).

٤. محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المنهاجي، صاحب مصنفات من أشهرها: البحر المحيط في الأصول، واستدراك عائشة على الصحابة. توفي سنة ٧٩٤هـ. إنباء الغمر بأبناء العمر (٤٤٦/١)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٣٣/٥).

٥. البحر المحيط (٦/٢). يُنظر: درء التعارض (٥٠/٦).

وإلى دَفعِ موانعَ تعارِضُه، ولا تَستقِلُّ إلا مشيئة الله تعالى، فإنَّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فما شاء الله كان وإن لم يشأِ ٱلعباد، وما لم يشأْ لم يكنْ ولو شاء العباد. وهذا الذي عليه سلفُ الأمَّةِ وأئمتُها وجمهورُها"[1].

ولهذا فقضيَّةُ السببيَّة تُعتَبَرُ من أهمِّ مسائل باب القضاء والقدر، وذلك أنَّ القدريَّة والجبريَّة اتفقت على دعوى أنَّ فعلَ العبدِ يكون متعلِّقاً بالقُدرةِ، وأنَّ هذه القدرة لا تتعلَّقُ بقُدرتين يُنسَبُ إلى كلٍّ منهما الفعلُ، فإمَّا أن تُنسبَ إلى الله وهو قول الجبريَّة، أو تُنسبُ إلى العبدِ وهو قولُ القدريَّة.

والصحيح ما ذهب إليه أهل السنَّة والجماعة من أنَّ الفعلَ متعلِّقٌ بقدرتين، وأنَّ قدرةَ العبدِ على جهةِ السَّبَبيَّة، لا على الاستقلاليَّة أو التأثير، وإنَّما كما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله:"أنَّ القدرةَ المخلوقةَ هي سببٌ وواسطةٌ في خلقِ الله سبحانه وتعالى الفعلَ بهذه القدرة. كما خلقَ النباتَ بالماء، وكما خلقَ الغيثَ بالسحاب، وكما خلقَ جميعَ الـمُسبَّبَاتِ والمخلوقاتِ بوسائط وأسباب، فهذا حقٌّ، وهذا شأنُ جميع الأسباب والـمُسبَّبات. وليس إضافةُ التأثيرِ بهذا التفسير إلى قدرةِ العبدِ شركاً، وإلا فيكون إثباتُ جميع الأسباب شركاً. وقد قال الحكيم الخبير:﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾الأعراف:٥٧، ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾النمل:٦٠وقال تعالى:﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾التوبة:١٤. فبيَّنَ أنَّه المعذِّب، وأنَّ أيدينا أسبابٌ وآلاتٌ وأوساطٌ وأدواتٌ في وصول العذاب إليهم"[2].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله أيضاً:"فالذي عليه السلف وأتباعهم وأئمةُ أهلِ السنَّةِ وجمهور أهل الإسلام الـمُثبِتون للقدر الـمُخالفون للمعتزلة، إثباتُ الأسباب، وأنَّ قدرةَ العبدِ مع فعله لها تأثيرٌ كتأثيرِ سائرِ الأسباب في مسبَّباتها، والله تعالى خلق الأسبابَ والمسبَّبات"[1].

---

١. درء التعارض (١١٥/١٠).

٢. الفتاوى (٣٨٩/٨-٣٩٠).

١. الفتاوى (٤٨٧/٨). يُنظر: نقد أساس شبهة القدرية والجبرية في أفعال العباد، د. عبدالله القرني، مجلة جامعة أمِّ القرى، عدد (٥٣) من صفحة (٣٨٢) إلى (٤٢٠).

وإنَّ الناظر في كتب ابن الجوزي رحمه الله لا يراه تعرَّض لهذه المسألة، ولم يتطرَّق لها نفياً ولا إثباتاً. وإن كان مبدأُ إثباتِ السببية ظاهرةً في مؤلفاته رحمه الله، مقرِّراً لها في أكثر من موضع.

يقول رحمه الله:"فإنَّه يخلق بالسَّبب مريمَ، وبلا سببٍ آخر عيسى"[1].

وفي قوله تعالى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا ﴾البقرة:٣٦ يقول:"والشيطان: إبليس، وأُضِيفَ الفعلُ إليه؛ لأنَّه السَّببَ"[2].

ويقول في تاريخه:"قلتُ: وكان السببُ في قبول توبة آدم، أنَّه تلقَّى كلماتٍ فقالها فتيب عليه، وذلك قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾البقرة:٣٧"[3].

ويقول أيضاً:"وقوله:﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾طه:٨٥ ونحوه من الآيات، فإنَّ الفعلَ يُضاف إلى السَّبب، كما يُضاف إلى المسبَّب، وإن اختلف في الحقيقة، كقوله تعالى:﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾إبراهيم:٣٦ وإن كانت الأصنامُ حجارةً لا يصح منها الفعل، ولكن لما كانت سبباً في الإضلال، أضاف الفعل إليها"[4].

بل إنَّه شنّ على زهاد زمانه غارةً شعواء في عدم أخذهم بالأسباب.

يقول رحمه الله في قصة غار ثور:"وفي هذا الحديث ما يدلُّ على جواز الهرب من الخوف، والتمسك بالأسباب. خلافاً للجهال من المتزهدين الذين يزعمون أنَّ التوكل رفضُ الأسباب، وإنَّما التوكلُ فعلَ القلب لإنزال السَّبب، وقد قال عزَّ وجلَّ:﴿ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾النساء:٧١ فلو كان التوكل ترك السبب لما قال:{خذوا حذركم}. وقوله:((ما ظنّك باثنين الله ثالثهما))[1] أي: بالنصرة والإعانة، أفتظن أن يخذلهما، فردَّه من النَّظر إلى الأسباب إلى المسبِّب"[2].

---

١. المنظوم والنثور (٣٤٠).

٢. زاد المسير (٦٧/١).

٣. المنتظم (٢١٣/١).

٤. المنظوم والمنثور (٧٦١). يُنظر: زاد المسير (٤٩٤/٥).

١. رواه البخاري برقم: (٤٦٦٣)، ومسلم برقم: (٢٣٨١).

٢. كشف المشكل (١٤/١).

ويقول رحمه الله:"ومن المتزهدين أقوامٌ يَرَوْنَ التوكلَ قطعَ الأسباب كلِّها، وهذا جهلٌ بالعلم، فإنَّ النبي ﷺ: دخل الغار، وشاور الطبيب، ولبس الدرع، وحفر الخندق، ودخل مكة في جِوار المُطْعِم بن عدي، وكان كافرًا، وقال لسعد:"لأنْ تدعَ ورثتَك أغنياءَ خيرٌ لك من أنْ تدعَهم عالةً يتكفَّفون النَّاس.

فالوقوف مع الأسباب مع نسيان المُسبِّب غلط، والعمل على الأسباب مع تعلُّقِ القلبِ بالمسبِّب هو المشروع، وكلُّ هذه الظلمات إنَّما تُقطَعُ بمصباح العلم، ولقد ضلَّ من مشى في ظلمة الجهل، أو في زقاق الهوى"[١].

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ الأنعام: ١٣٢:"أي: لكل عامل بطاعة الله، أو بمعصيته درجات، أي: منازل يبلغها بعمله إن كان خيراً فخير، وإن كان شرَّاً فشر"[٢].

بل له عبارة في كتابه المنظوم والنثور، توهم بمذهب الفلاسفة في الأسباب، وأنَّها مؤثِّرة بذاتها، يقول رحمه الله:"ومعنى السبب: هو الذي يستقِّلُّ بنفسه"[٣]. فهذه العبارة غير صحيحة؛ فإنَّ السَّبب لا يستقِّل بنفسه، بل لا بدّ له من سببٍ آخر، ومن عَدَمِ المانع الذي به يتوقَّف حصولُه.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله:"وأهل السنة لا ينكرون وجود ما خلقه الله من الأسباب، ولا يجعلونها مستقلَّة بالآثار، بل يعلمون أنَّه ما من سبب مخلوق إلا وحكمه متوقف على سبب آخر، وله موانع تمنع حكمه، كما أنَّ الشمس سبب في الشعاع، وذلك موقوف على حصول الجسم القابل به، وله مانعٌ كالسَّحاب والسقف"[١].

ولا أظنُّ أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يرى استقلال الأسباب بالإيجاد والله أعلم، ولكن قد تحمل على أنَّ الغالب في الأمور أنَّها تقع بسبب، أو أنَّه يرجع لسبب عدم تحريره لكتبه رحمه الله كما تقدم أكثر من مرة، أو يرجع لسعة محفوظاته رحمه الله، فذَكَر هذه العبارة وهو غير محرِّرٍ لها والله أعلم.

---

١. صيد الخاطر (٨٧).

٢. زاد المسير (١٢٦/٣). يُنظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر (٦٧٢-٦٧٤).

٣. (٧٦١).

١. درء التعارض (٢٩/٩).

المبحث الثالث: آراؤه في المسائل المتعلِّقة بالصحابة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فضل الصحابة والدفاع عنهم.

المطلب الثاني: الأمر بالسكوت عما شجر بين الصحابة.

المبحث الثالث: آراؤه في المسائل المتعلِّقة بالصحابة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فضل الصحابة والدفاع عنهم.

يرى ابن الجوزي رحمه الله فضلَهم وعلوَّ مكانتهم، والترضيَّ عليهم.

ولهذا عقد كتاباً في فضلهم في كتابه الحدائق بعنوان"كتاب: فضلُ من صَحِبَ رسول الله ﷺ"[1].

ويقول في قوله تعالى:﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾الفتح:٢٩:"وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور"[2]. وهو إبتغاؤهم الفضلَ من الله وهو الجنَّة، ورضوانه سبحانه وتعالى.

ثمَّ نراه يدافع عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إمَّا على عموم الصحابة، أو على أعيانهم ممَّن نُسِبَ إليهم شيءٌ من الذنوب.

فمِن دفاعه عنهم في الجملة، قوله رحمه الله:"وفي الجملة لا ينبغي أن نظنَّ بالصحابة أنَّهم تعمَّدوا الحرام أصلاً "[3].

ويقول فيما ورد أنَّ بعضَهم تمتَّع في عهد عمر رضي الله عنه:"وبيان هذا أنَّه لا يجوز أن يكون النَّهي بلغهم ثمَّ يفعلونه؛ لأنَّ الصحابة قد نُزِّهوا عن مثل هذا"[4].

ويقول رحمه الله:"قال ابن عقيل: للفقهاء فيما يفعلون تأويلات، ومعلوم أنَّ المتعة قد كانت عقداً في الشرع، وكان نكاحُ السِّرِّ عند قومٍ من أهل المدينة زناً، فمَن عَثر على ذلك الفعل شَهِدَ بالزِّنا، والمغيرة سليم، ولا يجوز أنْ يُنسبَ الصحابة إلى شيءٍ من هذه الأشياء، فمَن فَعَلَ ذلك جَهِلَ مقدارَ المضرَّةِ في ذلك القول، أو هو زنديق"[1]. فقوله رحمه الله"جَهِلَ مقدار المضرَّةِ في ذلك" إشارةٌ إلى أنَّ الطَّعنَ فيهم طعنٌ في الدِّين، إذ لم يصلْ إلينا هذا الدين إلا عن طريقهم رضي الله عنهم.

ويقول رحمه الله في مقولة:"عبيد الله بن زياد لعائذ: أنت من نخالة أصحاب محمد. أي: من رذالتهم. وهذه جرأةٌ قبيحةٌ من ذلك الفاسقِ على أقوامٍ قد عمَّهم اللهُ بالشهادة لهم

---

١. الحدائق (٤٦٧/١).

٢. زاد المسير (٤٤٦/٧).

٣. كشف المشكل (١٢٠/١).

٤. كشف المشكل (٩١/٣).

١. كشف المشكل (١٢٠/١).

بالخير، فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩ وقال النبي ﷺ:((لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))[١]"[٢].

ومن دفاعه عن آحاد الصحابة ما ورد عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه وشربه الخمر يقول:"قلتُ: وينبغي أن يُحملَ حالُ الوليد على أنَّه شَرِبَ من النبيذ متأوِّلاً له، وظنَّه أنَّه لا يُسكر فسَكَر"[٣].

ويقول عن قدامة رضي الله عنه في شربِه للخمرِ وجلدِ عمر رضي الله عنه له:"أمَّا قُدامة فإنَّه أسلَمَ قديماً، وهاجر إلى أرضِ الحبشةِ الهجرةَ الثانيةَ، وشَهِدَ بدراً وجميعَ المشاهد مع رسول الله، ولم يُذكرْ عنه أنَّه شَرِبَ الخمر، إنَّما شَرِبَ شيئاً فأسكره، فيُحتمل أنْ يكونَ قليلٌ من النبيذ متأولاً، فخَرَجَ به إلى السُّكرِ، أو شَرِبَ ما لا يظنُّه يُسكِرُ فسَكَرَ"[٤].

وهذا يدُلُّ على تعظيمه لمقام الصحابة رضوان الله عليهم، وحبِّه لهم.

أقول كما هو معلوم أنَّ الصحابةَ رضوان الله عليهم أجمعين غيرُ معصومين من الوقوعِ في الذَّنب، ولكن ما يذكره ابن الجوزي رحمه الله في الدِّفاع عنهم، له سببٌ –والله أعلم– غيرُ مسألةِ تعظيمِ الصحابة وتوقيرِهم، وهو ما تقدَّم من نقلِه عن ابن عقيل رحمه الله:"فمن فعل ذلك – أي الطَّعن في الصحابة – جَهِلَ مقدار المضرَّةِ في ذلك القول" فهذا يُنبئُنا عن سياسةٍ حكيمةٍ لدى ابن الجوزي رحمه الله، حيث إنَّ الصحابةَ ليسوا معصومين من الخطأ، بل إنَّ الخطأ جاء منهم في عهده عليه الصلاة والسلام وبعده، ولكن حينما يقرِّر أحدُنا من باب أنَّهم ليسوا معصومين وغير ذلك، قد يتلقَّفُها ضعافُ النُّفوس وأصحابُ الأهواءِ والمقاصدِ الخبيثةِ، فيكون سلَّماً لهم للطَّعن في الصَّحابة رضوانُ الله عليهم.

ويبدأون يجمِّعون أقوالَ بعضِ أهلِ العلمِ فيما يتعلَّق بأخطاءِ الصحابة وعدمِ عصمتِهم – وهم قطعاً غير معصومين– و يبدأون يَبثُرون النُّصوص ويُعرِضُونها على الناس، فيكون من ذلك فسادٌ عظيم.

---

١. رواه البخاري برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم برقم: (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

٢. كشف المشكل (٣١/٢).

٣. كشف المشكل (١٦٣/١).

٤. (١١٩/١).

وكذلك إذا تكلَّم البعض أمامَ عامَّة الناس بأنَّهم غير معصومين، وأنَّهم قد يَقعُ منهم كبائرُ الذُّنوب، فإنَّ هذا يَنقُصُ من هيبةِ الصحابة في قلوب الناس.

بل المنبغي إظهارُ محاسنِهم، وأنَّ الله اصطفاهم لصُحبةِ نبيِّه ﷺ، وأنَّهم حملةُ الشريعة، وأنَّ الله حَفِظَ بهم الدِّينَ، إلى غير ذلك من المعاني التي تجعلُ لهم المكانةَ العاليةَ في نفوسِ الناس.

ومن ذلك تضعيف بعض العلماء لبعض ما يَرِدُ في السيرة من أخبار، كقصة العنكبوت يوم الغار ونحوها، ونشرها بين عامة الناس، فمثل هذا قد يُزعزعُ ثقةَ الناسِ في الأحاديث والأخبار، خاصَّة في ما يَردُ في السيرة ولا يتعلَّق به حكمٌ شرعيٌّ، أو مسألةٌ عقديَّةٌ، ولو يُقتَصرُ ذكرُه في محيطِ العلماءِ وطلبةِ العلم لكان أجدى وأولى والله أعلم.

المطلب الثاني: الأمر بالسكوت عما شجر بين الصحابة.

عنوان هذه المسألة، مقتبسٌ مِن باب وَضَعَه ابنُ الجوزي رحمه الله في كتابه الحدائق، وقد ذكر تحت هذا الباب عدَّة آثار، يقول رحمه الله بعد ذكر سنده:"عن أبي سعيد الخدري قال:(مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل أدواء العيون ترك مسها)[1].

وقيل لعائشة :يا أمَّ المؤمنين، نالَ الناسُ من أصحاب رسول الله ﷺ، حتى نالوا من أبي بكر وعمر؟ فقالت: (انقطعَتْ عنهما الأعمالُ، فأحبَّ اللهُ عزَّ وجلَّ أن لا يَنقطِعَ عنهما الأجرُ)[2].

وقال ابن المبارك: خطأُ أصحابِ رسول الله ﷺ موضوعٌ عنهم"[3].

ويقول في قوله ﷺ في حديث حاطب رضي الله عنه ((إنه شهد بدراً)):"فيه تنبيهٌ على السكوتِ عمَّا جَرَى بين الصحابة، والنَّهيِ عن الطعنِ في أحدٍ منهم، لما تقدَّمَ لهم من الصُّحبةِ، فتُغفَر لذلك هفواتُهم"[1].

ومع ذلك فهو له رأيٌ فيما شَجَرَ بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، حيث يرى أنَّ الحقَّ مع علي رضي الله عنه.

يقول رحمه الله:"وإنَّما قاتل - أي: علي رضي الله عنه- بالدليل المضطَّرِ له إلى القتال، فكان على الحق. ولا يختلف العلماء أنَّ عليَّاً رضي الله عنه لم يقاتلْ أحداً إلا والحقُّ مع علي. كيف وقد قال رسول الله:((اللهم أدرْ معه الحقَّ كيفما دار))[2]"[3].

---

١. رواه أبو نعيم في الطب (٣٤٧)، وابن السني في الطب النبوي ، والحديث ضعيف ؛ لأنَّ في سنده أبا العيناء محمد بن القاسم. يُنظر: الكلام عن الحديث ، حاشية الطب لأبي نعيم (٣٤٧).وقد ضعفه الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٧٠). ومعنى الحديث أن دواء العين عدم لمسها ، فكذلك ما ورد عن الصحابة من خلاف وأراد السلامة فلا يخض في الحديث فيما شجر بينهم.

٢. رواه ابن المظفر في غرائب مالك بن أنس (١٦٧) وإسناده ضعيف. يُنظر: لسان الميزان (١٨٥/٥).

٣. الحدائق (٤٧٤/١) .

١. كشف المشكل (١٨٥/١).

٢. رواه الترمذي برقم:(٣٧١٤) وقال:هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وضعَّفه الألباني في الضعيفة برقم: (٢٠٩٤).

٣. صيد الخاطر (٥٠٣).

بل إنَّه رحمه الله خطَّأَ الصحابة الذين لم يشاركوا مع عليٍّ رضي الله عنه، ومنهم أسامة بن زيد رضي الله عنهما. فيقول في ذلك:"وهذا غلطٌ[1] من أسامةَ رضي الله عنه؛ لأنَّه ما قاتل عليٌّ عليه السلام أحداً إلا كان الحقُّ مع عليٍّ، وإنَّما تورَّعَ أسامةُ لكونِه رأى أنَّه قِتالُ المسلمين، وكان السببُ في تورعِه ما تقدَّم آنفا من أنَّه قتل من قال لا إله إلا الله، فعاتبه النبي ﷺ على ذلك[2]، فامتنع من قتال المسلمين"[3].

وفي قصة دخول أبي موسى وأبي مسعود البدري رضي الله عنهما على عمَّارَ حينما أتى إلى الكوفة ليستنفرَ الناسَ، فقالا:(ما رأينا منك أمراً منذ أسلمتَ أكرَهُ عندنا من إسراعك في هذا الأمر). فقال:(ما رأيتُ منكما أمراً منذُ أسلمتُما أكرَهُ عندي من إبطائِكما عن هذا الأمر)[4]. والمراد من ذلك الخروج مع علي رضي الله عنه للقتال، يقول ابن الجوزي رحمه الله:"والحقُّ في ذلك مع عمار؛ لأنَّ علياً عليه السلام كان الإمامَ عِلمَاً وخلافةً، فهو أعلمُ بالحقِّ من كلِّ من خاصَمَه، وإنَّما خرجَتْ عائشة عليها السلام لتُصلِحَ الأمرَ فانخرق"[5].

والصواب في هذه المسألة هو السكوت عمَّا حدث بينهم. يقول الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله:"وأجمعوا على الكفِّ عن ذكر الصحابة – عليهم السلام – إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنَّهم أحقّ أن ينشرَ محاسنهم، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن نظنَّ بهم أحسنَ الظن، وأحسنَ المذاهب"[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ولهذا أوصوا بالإمساك عمَّا شجر بينهم؛ لأنَّا لا نُسألُ عن ذلك، كما قال عمر بن عبد العزيز:(تلك دماءٌ طهَّر الله منها يدي، فلا أحبّ أن أخضبَ بها لساني. وقال آخر:﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ البقرة: ١٣٤"[2].

---

١. لو قال: فقد جانب الصواب أسامة رضي الله عنه، أو غيرها من العبارات، لكان أولى.

٢. الخبر رواه البخاري برقم: (٤٢٦٩)، ومسلم برقم: (٩٦).

٣. كشف المشكل (٢١/٤).

٤. رواه البخاري برقم: (٧١٠٢).

٥. كشف المشكل (٣٤٦/١).

١. رسالة إلى أهل الثغر (١٧٢).

٢. منهاج السنّة النبوية (٢٥٦/٦). والمراد بالآخر، هو عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. والخبران أخرجهما الخطابي في كتابه العزلة مسنداً (٤٤).

الخاتمة

الخاتمة

لقد توصلت من خلال بحثي هذا –بفضل الله ومنَّته– إلى نتائج، من أهمها:

١. أنَّ ابن الجوزي رحمه الله يعتمد في استدلالاته على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والإجماع.

٢. تأثُّره رحمه الله بعلم الكلام وعدم انفكاكه منه، رغم تحذيره منه، وبيانه لآثره السيئة على أرباب الكلام.

٣. أنَّه في مسألة الإيمان، موافق لما عليه سلف الأمة من أنَّ الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٤. تقريره لمسألة أوَّل واجب على المكلَّف بما نظَّره المتكلِّمون، وإن كان لا يرتضي طريقتهم وهي معرفته سبحانه عن طريق دلالة الحدوث.

٥. اعتباره أنَّ الفطرة دليلٌ على معرفة الله.

٦. تحذيره من القبور والدعاء عندها وسؤالها من دون الله.

٧. يرى جواز التبرك بذوات الصالحين، مخالفاً جمهور أهل السنة.

٨. أنَّ موقفه من أسماء الله الحسنى هو ما عليه السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

٩. أنَّ ما نسب إليه رحمه الله من الاضطراب في باب الصفات غير صحيح، فمنهجه واضح في هذا الباب، إمَّا التفويض أو التأويل.

١٠. أنَّه وإن أوَّل الصفات أو فوَّضها، إلا أنَّه يثبت صفة الكلام، والعلو والحكمة لله عزَّ وجلَّ.

١١. وافق أهل السنة والجماعة في عصمة الملائكة، إلا بعض العبارات التي أخذت عليه تجاههم.

١٢. وافق السلف في الإيمان بالكتب السماوية، وإبطاله للصَّرفة.

١٣. وافق السلف في مسائل الإيمان باليوم الآخر.

١٤. أنَّه في باب القدر، مثبتٌ لمراتبه الأربعة.

١٥. أنَّه معظِّمٌ للشرع، مع القول بأنَّ الله خالق أفعال العباد.

١٦. تعظيمه للصحابة ومعرفة فضلهم.

١٧. سلوكه مسلك سلف الأمة في عدم الخوض فيما حدث بين الصحابة.

والله أسأل أن يغفر لنا وأن يرحمنا ويتجاوز عنَّا، وأن يغفر للإمام ابن الجوزي، وأن يسكنه فسيح جنَّاته، وأن يتجاوز عنَّا وعنه، وأن ينزل على قبره رحمته، وينور له فيه، إنَّه سميع مجيب.

وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
	البقرة	
﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾	١٥	٢٧٤
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	٢٢-٢٣	٣٣١-٣٦١
﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾	٢٤	٣٣١
﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	٢٥	١١٣
﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾	٣٢	٢٩٤
﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾	٣٠	٢٩٥-٢٩٣-٢٩٦
﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾	٣٥	٤٧٩
﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾	٣٦	٥١٢
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾	٣٧	٥١٢
﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾	٧٣	٤٦١
﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾	٩٤-٩٥	٣٣١-٢٧٧-٣٦١
﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾	٩٧	٣٤٩
﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾	١٠٢	٢٩٧
﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾	١٠٢	٣٠١-٣٠٠-٢٩٧
﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾	١٠٦	٢٥٥
﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾	١٣٣	١٤٠

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ ١٤٣ ١١٣-١١٤

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾
١٤٣ ٢٦٦

﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ١٦٣ ١٧٠

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ ١٧٨ ١٢٩

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ١٩٤ ٥٠٥

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ ٢٠٥ ٤٩٤

﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ ﴾ ٢١٠ ٢٢٦-٢٦٩

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ٢٥٣ ٤٢٣-٤٢٢

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ ٢٥٥ ٢٢٧

﴿ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ﴾ ٢٥٨ ٤٥٢

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ٢٨٢ ٥٠

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ ٢٨٦ ٥٠٧

آل عمران

﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ ٢٦ ٢٤٣

﴿ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ ٢٩ ٢٦٤

﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ ٤٩ ٣٦٩

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ ٥٤ ٢٧٤

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ٧٨ ٣٣٩-٣٤٢

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ١٠٢ ١

﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ ١٥٤ ٢٦٥

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ ١٨٢ ٢٤٣

النساء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ ١ ١

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ ٣٦ ١٦٩

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ ٤٠ ٥٠٢

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ ٤٦ ٣٣٩

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ ٤٨ ١١٥-١٢٥-١٢٨

﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ ٥٦ ٤٣١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ ٥٩ ٣٩٥-٣٩٦

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ ٦٥ ٣٩٦

﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ ٧١ ٥١٢

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ ٨٠ ٣٩٥

﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ ٨٢ ٣٣١

﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا﴾ ٩٣ ١٢٦

﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ ١١٣ ٣٥٥

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ ١٤٨ ٢٦٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	١٦٢	٣٣٥
﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾	١٦٤	٢٤٩
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	١٦٥	١٣٨-١٣٩
﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾	١٦٥	٣٢٢

المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾	١٩	١٤٠
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧	١٧٨
﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾	٣٧	٤٨٦
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾	٣٨	٣١٩-٣٤٧
﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	٦٤	٧٠-٢٣١-٢٤١-٢٤٣
﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى ﴾	١١٦	١٦٩
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	١١٨	٥٠٢

الأنعام

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	١	١٦٤
﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا ﴾	٤	٣٥٩
﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾	٩	٣٠٦
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾	١٨	٢٣٧
﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾	١٩	٤٠٢
﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾	٢٨	٤٨٣
﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً ﴾	٣٧	٢٣٨
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾	٣٨	٤٩٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾	٣٨	٣٩٧
﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾	٤٨	١١٨
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾	٥٤	٢٦٨
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾	٦٠	٤٥٥
﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	١٦٦	٢٦٤
﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾	٨١	١٦٦-١٦٥
﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾	٩١	٣٤٢-٣٤٠
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	١٠٣	١٠١-٢٧٧
﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	١١١	٤٩٢
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾	١١٥	٢٢٧
﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾	١١٦	١٧٩
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	١٢٥	٤٩٢
﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾	١٣٠	٣٢٢-٣٢١
﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾	١٣٢	٥١٣
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾	١٤٨	٤٩٣
﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	١٥٧	٣٥٩
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾	١٥٨	٤٥١

الأعراف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾	٢٣	٤٩٥
﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾	٤٠	٢٧٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾	٤٣	١٢٧
﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾	٤٦	٢٩١
﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾	٥٤	٩٨-٢٢٣
﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾	٥٧	٥١١
﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾	٥٩	١٧١-١٥٨
﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ ﴾	٧٣	٢٢٦
﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾	٨٥	٤٠٠
﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ﴾	٨٨-٨٩	٣٨٧-٣٨٦
﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾	١٢٧	١٦٧-١٦٦
﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾	١٣٨	٢٣٥
﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾	١٤٤	٢٤٩
﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾	١٤٣	٢٨٠-٢٧٧-٢٥٢
﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	٤٠٢
﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾	١٧٥	٣٨٢
﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾	١٨٠	٢١٦-٢١١
﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾	١٩٦	٣٧٨

الأنفال

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ ﴾	٢	١٢٢
﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾	٤	١٣٢-١١٤

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ١٢ ٣٠٥

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ٣٠ ٢٧٣

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ٣٨ ١٣٠

التوبة

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ ٢ ٣٥٩

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ٦ ٢٧٧

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ﴾ ١٤ ٣٠٥-٤٨٢-٥١١

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ٣٦ ٤٩١

﴿بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ ٤٠ ٣٠٣

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ١٠٣ ١٨٤-٣٣٦

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ١٠٥ ٢٦٦

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ١٢٤ ١٢٠

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ١٢٨ ٤٠٠

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ ١٦ ٢٦٤

يونس

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ٩ ١١٨

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ ٢١ ٢٧٤

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ ٢٦ ١٠١-٢٧٦

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ ٣٨ ٣٦٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾	٤٤	٥٠٢
﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾	٦٤	٣٧٤
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾	٦٢- ٦٣	١٧٧
﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾	١٠١	١٥٢
هود		
﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ﴾	١	٣٢٩
﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾	٤٥	٢٧٧
﴿ وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾	٨٨	٣٥٥
﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾	١٠٧	٤٨١
يوسف		
﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾	٥٥	٨١
﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ﴾	٥٦	٣٥٥
﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾	٧٦	٢٧٦
﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾	١٠٢	٣٣٠
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم ﴾	١٠٦	١٦٥
الرعد		
﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾	٤	١٠٢-١٥٠-١٥١-١٦٤
﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	٥	٤٥٧
﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾	١٤	١٦٨
﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾	١٧	٢٧٨
﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾	٣٩	٤٩٠

﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ ٤١ ٣٩٧

إبراهيم

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ ٤ ٤٠١-٤٢٤

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ ١١ ٣٥٥

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ ١٣ ٢٨٨

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ١٧ ٤٨٠

﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ ٢٢ ٤٠٩

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ ٣٦ ٥١٢

الحجر

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ٩ ٣٣١-٤١٠

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ٢٨-٣١ ٢٢٩-٢٤٣

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ ٤٢ ١٢٨-٤٠٩

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ٧٥ ٣٧٣-٣٧٤

النحل

﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ١٦ ١٩٦

﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ ٣٦ ٤٨٩

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ٨٩ ٨٨

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٩٠ ٣٥٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾	٩٣	٤٩٢
﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾	٩٩-١٠٠	٤٠٩
﴿ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	١٠٢	١٢٢

الإسراء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾	١	٤١٥
﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾	١	٢٤٠
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾	١٥	١٣-١١٠-٢١١-٣٢٢-٤٠٠
﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ﴾	٦٠	٤١٦
﴿ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴾	٨٧	٣٥٥
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾	٨٨	٣٣٤-٣٧٠
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾	١١٠	٢٦٨

الكهف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴾	١٢	٢٦٦
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ﴾	٢٣	١٣١
﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾	٥٠	٣١٨-٣٢٠
﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾	١٠	٤٧٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾	١٠٧	٣٢٥

مريم

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ ﴾	٦	٤٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾	١٧	٢٢٦-٢٢٧-٢٢٨
﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾	١٩	٢٢٧-٢٢٨
﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾	٤٢	٢٦٣
﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾	٥٢	٢٥٣

طه

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	٥	٢٣٦-٢٣٧-٢٣٨-٢٤١-٢٥٦-٢٦١
﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾	٦٦	٣٧١-٤١١
﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴾	٧٣	١٤٣
﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾	٨٥	٥١٢
﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾	٤٩-٥٠	١٥١
﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	٩٨	١٦٨
﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾	١١٢	٥٠٣
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	١١٤	٣٩١
﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾	١٢١-١٢٢	٣٩٣
﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾	١٣٤	١٣٩

الأنبياء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾	٥	٣٦٦
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ ﴾	١٦	١٦٥
﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾	١٧	٢٩٤
﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾	٢٠	٣٠١

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾ ٩١ ٢٢٨

الحج

﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ٥ ٤٥٤-٤٥٥

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ ١٠ ٢٤٣

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ٢٦ ٢٢٦-٢٢٧

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ٥١ ٣٥٩

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ﴾ ٧٠ ٤٩١

المؤمنون

﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ ٢٤ ٣٥٦

﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ ٣٢ ١٦٩

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ ٣٥-٣٦ ٤٥٥-٤٥٦

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ﴾ ٧٥ ٤٤٦

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ ١١٢ ٤٨٠

النور

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ ﴾ ٣٥ ١٤٦-٣٦٣

﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾ ٥٨ ٥٠

الفرقان

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ١ ٤٠٢

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ ٣ ١٦٦

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ﴾ ٧٠ ١٢٤

الشعراء

﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٧٧-٨٢ ١٦٤

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ ٩٧-٩٨ ١٦٩

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ ١٩٢-١٩٤ ٣٥٠

﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾ ٢٢١-٢٢٢ ٤١٠

النمل

﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ ٨٠ ٤٣٧-٤٣٩

﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ ١٦ ٤٢٥

﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ ﴾ ٤٢ ٣٦٦

﴿ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ ﴾ ٦٠ ٥١١

﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ ٦٥ ١٩٢

﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ ﴾ ٨٧ ٤٦٦

القصص

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا ﴾ ٤٦ ٢٥٣

﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ ﴾ ٤٦ ١٣٦-١٤٠

﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ ٣٢ ٣٥٩

﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ ﴾ ٦٨ ١٧٦

﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ ٨٨ ٢٣٩

العنكبوت

﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ ﴾ ٦ ٥٠٠

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ ٢٦ ٣٨٧

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم ﴾ ٦٣ ١٦٣

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ ٦٥ ١٥٧-١٦٩-١٧٠

الروم

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ ١-٤ ٣٣١

١-٢ ٢٥٠

لقمان

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ٢٥ ١٤٤

السجدة

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ ﴾ ٣ ١٣٩

﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ ١٠ ٤٥٧

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ ٢١ ٤٥٠

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ ﴾ ٢٧ ١٥٢

الأحزاب

﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ٦ ٣٩٦

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ ﴾ ٣٧ ٤٠٦

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ ٣٧ ٤٠٥

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾ ٣٧ ٤٠٦

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ ٣٧ ٤٠٦-٤٠٧

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ٤٠ ٣٩٧

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ٧٠-٧١ ١

سبأ

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ ٢٨ ٣٩٩-٤٠١-٤٠٢-٤٢٤

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ ٢٤ ١٦٤

﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾ ٤١ ٣١٦

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ ٤٤ ١٣٩

فاطر

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ ١ ٣٠١

﴿ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ ١ ٢٩٠

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ ١٠ ١٨٩-٢١١

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾ ١٨ ٥٠٠

﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ ٢٢ ٤٣٧-٢٣٨-٤٣٩

﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ ﴾ ٣٦ ٤٨٦

يس

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ ٦ ١٣٦

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ ٦٥ ٤٦٠

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ ٧٨ ٤٢٨

الصافات

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ ٣٥ ١٢٦

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴾ ٥١ ٤٥٩-٤٦٤

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ٩٦ ٤٩٥

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ١٦٤ ٢٩٤

ص

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ ٢٨ ٥٠٦

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ ٧٥ ٢١٧-٢١٥

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ ٧٦ ٣٢٠

﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ٨٦ ٤٤٩

الزمر

﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ ﴾ ٧ ١٢٨

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ ٤٢ ٤٣٦

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ ﴾ ٥٣ ١٢٨

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ ﴾ ٦٧ ٢٢٤

﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ٦٧ ٢٤٣

﴿ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ ٦٨ ٤٦٠

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ٦٨ ٤٦٨

غافر

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾ ٣١ ٥٠٢

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا ﴾ ٣٦-٣٧ ٢٣٦

﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ ٤٦ ٤٣٥،٤٢٩

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ ﴾ ٦١ ٧٥

فصلت

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ ﴾ ١٥ ٢٢٧

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ ٢٠-٢١ ٤٠٨

﴿ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ ﴾ ٢٦ ٤٠٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾	٤٢	٤١٠
﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ ﴾	٥٣	١٥٣

الشورى

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٥	٢٦٦
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	١١	٢٣١، ٢٣٣
﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾	٥١	٢٨٠، ٣٥٠،١٩٥
﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾	٥٢	١١٣، ٣٨٦

الزخرف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ ﴾	١٩	٢٩٢
﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ ﴾	٢٨	١٦٧
﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾	٣١	٣٥٤
﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ ﴾	٣٢	٣٥٤
﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ ﴾	٧٧	٢٧٧

الدخان

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾	٤	٤٩١
﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾	١٠	٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٩،
﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴾	١٢	٤٤٦،٤٤٥
﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴾	١٥	٤٥٠،٤٤٩،٤٤٥

الجاثية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	٢١	٥٠٦

الأحقاف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾	١٩	٣٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٣٠) يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٢٩-٣٢	٤٠٣
﴿كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾	٣٠	٣٢٢
﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾	٣١	٣٢٤

الفتح

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾	٤	١٢١،١٢٢
﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾	٦	٢٣١
﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ﴾	١٦	٣٣١
﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾	١٠	٢٤٣،٢٨٤
﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾	٢٩	٥١٥
﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾	٢٩	٥١٦

الحجرات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	١	٢٤٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ﴾	٦	١٢٩
﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾	١٤	١١٤

الذاريات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾	٤	٣٠٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾	٥٨	٢٢٧

الطور

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾	٣٥	١٥٥

النجم

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٣-٤	٣٨٢، ٤٠٩
﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾	٥	٢٩٤
﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٧	٣٠٧
﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾	٩-١٠	٣٠٧
﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾	١٣	٣٠٧،٤١٨،٤٢٠
﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾	١٩-٢٠	٤٠٧
﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾	٢٨	٢٩٠، ٢٩١
﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾	٣٢	٨١،١٣١

الرحمن

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	١٣	١٩٥
﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾	٢٢	٣٢١
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾	٢٦-٢٧	١٠٤،١٠٨،٢٣١،١٣٩،٢٤٠،٢٤١،٤٦٢
﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	٣٣-٣٤	٤٠٣
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾	٤٦	٣٢٤
﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾	٦٢	٤٧٩
﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾	٧٤	٣٢٠،٣٢٤

الواقعة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾	٣٣	٤٨٦

الحديد

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ ﴾	٣	١٥٠

﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٩ ٢٤٣

المجادلة

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ ١ ٢٢٥، ٢٣٦

﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ ١٨ ٤٨٣

الحشر

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ ٢١ ٣٩١

الممتحنة

﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ ١٠ ٢٢٧

الطلاق

﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ﴾ ٥ ٢٢٧

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ ١٢ ٢١١، ٣٢٣

التحريم

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ٦ ٢٩٥

الملك

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ ١ ٢٤٣

القلم

﴿ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴾ ٢٥ ٤٩٦

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ٣٥-٣٦ ٥٠٦

﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ ٤٥ ٢٧٤

الجن

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ ٤ ٣١٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴾	١١	٣٢٥
﴿ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾	٢٧	٣٨٣، ٤٠٨، ٤١١
نوح		
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾	١	٤٠٠
﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾	٣	١٦٩
المزمل		
﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾	٥	٣٩١
﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ ﴾	٢٠	٢١٤
المدثر		
﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾	٨	٤٦٥، ٤٦٦
الإنسان		
﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾	٦	١٢٨، ٢٢٧
﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾	٢٩	٤٩٣
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾	٣٠	٤٩٣
النبأ		
﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴾	٢٣	٤٨١
النازعات		
﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾	٥	٣٠٢
التكوير		
﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾	١٥-١٦	٣٠٠
المطففين		
﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾	١	١٦٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾	١٥	٢٨٠
	الطارق	
﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾	١٥-١٦	٢٧٣
	الشمس	
﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴾	١٣	٢٢٧
	الليل	
﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴾	١٤-١٥	١١٥
	الضحى	
﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾	١١	٨١
	التين	
﴿ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾	٦	٤٩٦
	البينة	
﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾	٥	١٧٠
	التكاثر	
﴿ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾	٧	١٢٢

فهرس الأحاديث النبوية

أبي وأباك في النَّار..١٤٠
أتاني الليلة آت من ربي..١٧٦
اتق الله في قولك..٤٠٥
اتقوا فراسة المؤمن..٣٧٥
أحسنها الفأل..٢٠٦
أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس ٣٥١
إذ أوحى الله إلى عيسى..٣٩٩
إذا صار أهل الجنَّة..٤٨٦
إذا قاتل أحدكم..٢٤٥
إذا هلك كسرى..٣٦١
إذا همَّ أحدُكم بالأمرِ..٢٢٧
أربعون يوماً، يوم كسنة..٤٤١
أرواح المؤمنين..٣٤٣
أسألكُ بكلِّ اسمٍ هو لك..٢١٣
أستغفر..٣٩٣
اسْقِ ثمَّ أَرسِل..٣٩٥
اسكت، فقد أيَّدك الله..٣٠٤
أشعرت أنَّ الله أفتاني..٤١٠
أصدقكم حديثاً..٣٧٤
اطلبني عند الحوض..٤٧٤
اعرف عفاصها ووكاءها..١٩٨
أعوذ بك من دعاء..٢٦٣
أعوذ بكلمات الله التامة..٢٥١
أعوذ بكلمات الله التامات..٢٠٣
أقيموا على صبيانكم..٤٤٠

اكتب فوالذي نفسي بيده.. ٣٨٣
إلا الإذخر... ٣٥٠
ألا إنَّ التقوى هاهنا.. ١٧٧
ألا تجلس.. ٣٥٢
ألا ترضى أنه تكون مني... ٣٩٨
ألا رجل يحملني.. ٢٤٩
ألم آتكم بها بيضاء... ٣٠١
أمَّا في ثلاثِ مَواطنَ.. ٤٧٣
أمرتُ أنْ أقاتلَ النَّاس... ١٥٨
إنَّ أحدَكم يجمع خلقه... ١٣٣
أنَّ التمائم شرك... ٢٠٣
إنَّ الجنَّ والإنس... ٢١٩
إنَّ الدُّخان يجيء... ٤٤٥
إنَّ الدنيا حلوة.. ٢٦٦
إنَّ الرُّقى والتَّمائمَ.. ٢٠٩
إنَّ الله حرَّم على النار... ١١٤
إنَّ اللهَ خلقَ الرَّحمةَ... ٢٢٨
إنَّ الله عزَّ وجلَّ يستخلص رجلاً.. ٤٧٥
إنَّ الله كلَّم أباك.. ٢٥٣
إنَّ الله لا يجمع أمتي.. ٨٧
إنَّ الله لا يمل ١٠٤
إنَّ النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو.. ٣٨٥
إنَّ النبيَّ لا يُورَث... ٤٢٦
إنَّ أمامَكم حوضاً... ٤٦٩
إنَّ أمتي على الخير.. ١٣١
إن حوضي... ٤٦٩
إنَّ روحَ القدس.. ٣٥٣

إنَّ عدوَّ الله إبليسُ.. ٣٢٠
إنَّ قَدْر حوضي.. ٤٦٨
إن كان الشؤمُ في شيءٍ.. ٢٠٨
إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً.. ٢١١
إنَّ لله مئةَ رحمةٍ.. ٢٦٧
إن من أمتي لمحدثين.. ٣٧٣
إن يقدر الله.. ١٣٨
أنا سيد ولد آدم.. ٣٢٢
أنا فَرَطُكم على الحوض.. ٤٦٩
أنتِ رحْمَتي.. ٢٢٨
إنما الشؤم.. ٢٠٩
إنَّما هو جبريل.. ٣٠٨، ٤٢٠
إنَّه خَلَق خيلاً.. ٢٣٠
إنه شهد بدراً.. ٥١٨
إنَّه على عرشه.. ٢٢٣
إنَّه ليُغان على قلبي.. ٣٩٠
إنه يتخيَّل لي أنِّي أقول.. ٤١٠
أنَّهم ليسمعون قرع نعالكم.. ٤٣٨
إنِّي عبد الله ولن يضيعني.. ٥٠٤
إنِّي لأستغفر الله.. ٣٩٠
إني لأعرف حجراً.. ٤٦٥
أيُّكم يَعرفُ القِسَّ.. ١٤٦
أين الله؟.. ٢٣٨
بدا لله أن يبتليهم.. ٢٦٥
بعثت إلى الخلق كافة.. ٣٠٩
بين النفختين أربعون.. ٤٦٧
تأتي البقرة وآل عمران ٩٦

ثمَّ يضرب بمطارق من حديد..٤٣٢
ثم يضيَّق عليه قبره...٤٣٢
ثمَّ يقيَّض له أعمى...٤٣٢
ثمَّ يُنفخ في الصُّور ثلاث...٤٦٨
ثمَّ يُنفخ في الصُّور، فلا يسمعه..٤٦٧
جاء حبر إلى رسول الله..٢٢٤
حتَّى يَضَعَ ربُّ العزَّة...٢١٨
حوضي مسيرةُ شهر...٤٦٨
الحياء من الإيمان...١١٧
خُتِم بي النَّبيُّون..٣٩٧
خلق الله آدم...٢٤٦
خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ ادع على صورته..٢٤٤
خلق الله مائة رحمة...٢٣٨
خلقت الملائكة من نور..٢٧٨
رأيت نورا..٤١٧
الرؤيا الصالحة...٣٧٤
الزيادة: النَّظرُ إلى..١٠٢
سترون ربكم عيانا..١٠١
سلام عليكم دار قوم مؤمنين...١٣١
سلوني عمَّا شئتم...٣٨٣
سمع الله لمن حمده...٢٦٢
الشؤم في ثلاث..٢٠٩
صدقت، ذلك من مدد السماء..٣٠٣
ضحك ربُّنا من قنوط عباده...٢٣٢
الصُّور قرنٌ...٤٦٦
غدًا مصرع فلان...٣٦١
غير أنَّه لا نبي بعدي..٣٩٩

فأمَّا النَّار فلا تمتلىء.. ٢٨٢

فإنَّ الله خلق آدم.. ٢٤٧

فترةٌ بين عيسى.. ١٣٧

فتعاد روحه في جسده... ٤٢٩

فهو صدقة ٤٢٦

في السَّخط والرِّضا.. ٣٨٤

في قضاء الله تعالى خيراً.. ٥٠٥

قال: فتعاد روحه... ٤٣١

قدَّر اللهُ المقاديرَ... ٤٩٢

القرآن كلام الله.. ٢٥١

قلب المؤمن بين أصبعين.. ١٠٠، ٢٨٥

قوائم منبري رواتب... ٤٧٣

كان أهل الجاهلية.. ٢١٠

كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الغداة... ١٧٨

كان نبيٌّ من الأنبياء... ١٩٥

كتب الله مقادير الخلائق... ٤٩٢

كلُّ نبيٍّ بُعِثَ... ٤٠٢

كلام الله غير مخلوق.. ٢٥١

كنتُ أول النبيين في الخلق... ٤٢٣

كيف أَنْعَمُ وصَاحبُ الصُّور... ٤٦٧

لا بأسَ بالرُّقى... ٢٠٢

لا تتخذوا قبريَ عيداً... ١٨١

لا تسبوا أصحابي.. ٥١٨

لا تشد الرحال.. ١٩٠

لا تُعملُ المطيُّ.. ١٩٣

لا تفضلوني على يونس... ٤٢٤

لا تَقتَسِمْ ورثتي ديناراً... ٤٢٨

لا صلاة لجار المسجد.. ١٢٨
لا عَدْوَى ولا طِيَرة.. ٢١٠
لا يدخل الجنَّة قتات... ١٢٧
لا يدخل الجنَّة مدمنُ خمر.. ١٢٦
لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه... ١٢٦
لا يدخل النار من كان في قلبه... ١٢١
لا يدخل النار.. ٩١
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.. ١٢٨
لا يقضي القاضي.. ٣٨٥
لا يلج حائط القدس... ١٢٧
لا ينبغي لعبد.. ٤٢٤
لا ينبغي للمطيِّ أن تُشدَّ رحالُه... ١٩١
لا يؤمن أحدكم.. ٤١٤
لأَنْ يَهدِيَ اللهُ بِكَ.. ٣٤٩
لايَكمُل للمؤمن إيمانُه... ٥٠٥
البيعان بالخيار ما لم يتفرَّقا.. ٩٠
لعن الله اليهود والنصارى.. ١٨٤
لقِّنوا موتاكم.. ٤٤١
لما أصاب آدمَ الخَطيئةُ... ١٧٣
لما خلق الله الجنَّة... ٣١٦
اللهم أدرْ معه الحقَّ... ٥٢٠
اللهم فقه في الدين ٩٧
لو قلتَ حينَ أمسيْتَ... ٢٠٥
ليأتيَ الرجلُ العظيمُ.. ٤٧٤
ليس المؤمن الذي يشبع... ١٢٨
ليس بيننا نبي.. ١٣٧
ليس منا من بات بطيناً.. ١٢٨

ما آمن من لم يأمن..١٢٨
ما تذكرون؟..٤٤٣
ما خفي عليَّ جبريل...٣١٠
ما طلع النَّجمُ قطُّ...١٩٩
ما ظنك باثنين...٥١٤
ما عرفته حتى ولَّى...٣١٠
ما لكم تضربون كتاب الله..٤٩٠
ما هممتُ بقبيح..٣٩٠
مثل المؤمن كالفرس في آخيَّته...١٣٠
مثل المؤمن ومثل الإيمان..١٣٠
من تقرَّب إليَّ شبراً...٢٧٢
من حجَّ فزار قبري...١٨٩
من حسن إسلام المرء..٣١٧
من حفظها..٢١٦
من زار قبري..١٨٩
من شرب سمَّاً فتحسَّاه فقتل نفسه...١٢٦
من غشنا ليس منا..١٢٨
من قاتل فليجتنب الوجه...٢٤٩
من قال لا إله إلا الله..١٣٠
من ماء من در...٢٣١
منبري هذا على ترعةٍ...٤٧٣
الميزان له كِفَّتان...٤٧٥
نحن معاشرَ الأنبياءِ...٤٢٧
نخلُها كأنَّه رووس الشياطين...٤١٢
نسمة المؤمن طائر...٤٣٧
نعم، يميتك الله تعالى...٤٥٩
نور أنَّى أراه...٤١٧

الهالك في الفترة..١٤٢
هو قرن ينفخ فيه..٤٦٦
وأسألُك لذَّةَ النَّظر..٢٤٠
والذي نفسي بيده..٤٦٩
والشَّرُّ ليس إليك..٤٩٥
والله لا يؤمن، والله لا يؤمن..١٢٧
وآمنتُ بكِ وبِمَنْ أَنزلَكِ..٣٤٣
ولا يدخل النار أحد في قلبه..١٢١
ولا يدخل النار من في قلبه..١٢٧
وما بين القوم..١٠٢
ومنبري على حوضي..١٠٢،٤٧١
ويَبْلَى كلُّ شيءٍ منْ الإنسان..٤٥٩
ويضيق عليه قبره..٤٣٤
يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ..٥٠٢
يا علي لا تجالس..١٩٦
يأتي على جهنَّمَ يوماً..٤٨٣
يأخذ الله سماواته..٢٣١
يدخل من أمَّتي..٤٧٨
يسمع الله لكم..٢٦٢
يقرؤن القرآن..٢١٥
ينزل اللّه إِلَى سماء الدنيا..٢٢٣
ينزل إلى السماء..٢٣١
يُؤتَى بالرجلِ الطويلِ..٤٧٦
يُؤتى بالموت كبشاً أغثر..٤٧٥
يُوزَنُ العبدُ يوم القيامة..٤٧٤

فهرس الآثار

أفيُكْشَفُ عذابُ الآخرة؟.. ٤٤٩

ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول اللهﷺ؟... ١٨٦

أنَّ النبي ﷺ كان يصلي.. ١٧٥

إنَّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام... ٣٨٩

إنَّ في المصحف لحناً.. ٣٣٥

إنَّ هذا والله ما أَسرني... ٣٠٤

إنَّ هذه الجثث ليست بشيء.. ٤٣٥

إنَّا لنرغب عن كثير.. ٣٣٧

انظروا قبرَ النبي ﷺ... ١٧٤

إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه... ٣٠٤

أهواءٌ شتَّى.. ٣٢٥

أولُ ما بُدئ به رسولُ الله ﷺ... ٣٥٤

الإيمان لا يزيد ولا ينقص.. ١٢١

بينما رجل من المسلمين.. ٣٠٣

تبارك الذي وسع سمعه... ٢٦٤

تُوزنُ الحسناتُ والسيئات في ميزانٍ... ٤٧٦

خلق الله الملائكة... ٢٨٧

ذهبتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ.. ٣٩٨

رأيتُ الوحيَ ينزِلُ.. ٣٥٢

رأيتُ رسول الله ﷺ يوم أُحد.. ٣٠٤

الزم غرزَه، فإنِّي أشهد أنَّه رسول الله... ٤٤٤

فوالله لا يخزيك الله أبداً... ٣٦٤

القرآن كلام الله تعالى.. ٢٥٠

قَنَتَ النبي ﷺ شهراً.. ٢٠

كان عرش الله على الماء... ٤٧٩

كم بَقِيَ من نوءِ الثريا؟.. ١٩٧
لا واللَّه، ولكنه كلام اللَّه تعالى... ٢٥٠
لا يدخلُ حظيرةَ القدس... ١٢٦
لأن أستيقن أنَّ الله قد تقبَّلَ مني... ١٧٨
لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور.. ١٨٢
لقد تركتُ بالمدينة... ٤٧٠
لـمَّا قَدِمَ النبي ﷺ المدينة... ١٦٣
لو أنَّ الله عذَّب أهلَ سماواتِه... ٤٨٨
لو طَهُرت قلوبكم.. ٢٥٠
ما أتاهم إلا في صورة رجل.. ٣٠٦
ما حكَّمتُ مخلوقاً.. ٢٥٠
ما رأينا منك أمراً منذ أسلمت... ٥١٩
المصيبات والدُّخان قد مضيا.. ٤٥٠
من زعم أن محمداً رأى ربَّه... ٢٨٩
النَّاقور: الصُّور... ٤٦٦
نُفخ فيه أول مرَّة... ٤٦٨
نهى رسول الله ﷺ أن يكتب... ١٨٦
نهى رسول الله ﷺ أن يُجَّصصَ القبرَ... ١٨٦
هما كتابان... ٤٩١
وهذه النَّفخة المذكورة.. ٤٦٦
يا ابن أخي.. ٣٣٥
يا أمَّاه، إنِّي إن قُتِلت.. ٤٣٣

فهرس الأعلام

١. **إبراهيم التيمي:** ٤٨٠.

٢. **ابن أبي حاتم:** ٣٢٥، ٤٠٤، ٤٤٨ .

٣. **ابن أبي زمنين:** ٤٨٥.

٤. **ابن الأثير اللغوي:** ٢٠٧.

٥. **ابن الأثير المؤرخ:** ٢٢.

٦. **ابن الأعرابي:** ١٩٣، ٢٥٧، ٢٦٢.

٧. **ابن الأنباري:** ١٦٩، ٢٤١، ٣٦٣، ٤٨١، ٤٩٢، ٥٠٤.

٨. **ابن الديلمي:** ٤٩٢.

٩. **ابن الرومي:** ٤٨٦.

١٠. **ابن الريوندي:** ١٤٧، ٥٠٥.

١١. **ابن السمعاني:** ١٦.

١٢. **ابن القصاب:** ٨٢، ٨٣.

١٣. **ابن القيم:** ١٠٤، ١٠٧، ١٤٠، ١٦٥، ١٨٥، ٢٠٧، ٢١٦، ٢٦٩، ٣٠٢، ٣١٤، ٣٢٤، ٣٤٢، ٤٨٤، ٤٨٥.

١٤. **ابن المنذر:** ١٦٠.

١٥. **ابن المني:** ٦٢.

١٦. **ابن الوزير:** ٢٧٢.

١٧. **ابن بطال:**٢١٨.

١٨. **ابن تيمية:**٣٥، ٣٦، ٣٩، ٦٠، ٦١، ٦٨، ٦٩، ١٠٦، ١٠٨، ١٤٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٩، ١٩٢، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٤، ٢٨٢، ٢٩٠، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٦، ٣٤٣، ٣٥٨، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٢٤، ٤٤٠، ٤٥٠، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٩، ٤٨٦، ٤٩١، ٤٩٦، ٥١٣، ٥١٥، ٥٢١.

١٩. **ابن سبعين:** ٧٢، ٣٦٠.

٢٠. **ابن سينا:** ٢٣٨، ٢٩٢، ٤٩٤.

٢١. **ابن عباس:** ٩٧، ١٠٢، ١٢٩، ١٤٧، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٣، ٢٠٤، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٧، ٢١٨، ٢١٩، ٣٢٠،

٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٦، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٩٢، ٥٠٦.

٢٢. **ابن عبدالبر**: ١٧٦، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٥، ٤٣٤، ٤٤٢.

٢٣. **ابن عبدالهادي الحنبلي**: ١٨٩، ١٩٠.

٢٤. **ابن عقيل الحنبلي**: ١٦، ٣٤، ٤٢، ٧٠، ١٠٦، ١٣٨، ١٨١، ١٨٤، ١٩٤، ٢٠٤، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٧٢، ٢٨١، ٣٢٣، ٣٣٣، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٦٢، ٣٥٩، ٣٧٠، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٤، ٥١٥، ٥١٦.

٢٥. **ابن فارس**: ٢٥٧، ٢٧٩، ٣٢٣، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٧٢، ٣٨١.

٢٦. **ابن فورك**: ٣٦٤، ٤٧٥.

٢٧. **ابن قتيبة**: ١١٧، ١٦٧، ١٩٧، ٢٤٦، ٢٤٨، ٣٤٩، ٣٨٥، ٤٣٠، ٤٦٤، ٤٨١.

٢٨. **ابن ماجة**: ١٨٧، ٤٨٩.

٢٩. **أبو أروى الدوسي رضي الله عنه**: ٣٥٣.

٣٠. **أبو إسحاق بن شاقلا**: ٢٧٢.

٣١. **أبو البركات ابن تيمية**: ٣٩٠.

٣٢. **أبو الجوزاء**: ١٧٥.

٣٣. **أبو الحطاب بن دحية**: ٤١٤.

٣٤. **أبو جعفر النَّحاس**: ٤٠٩.

٣٥. **أبو زكريا الصيرفي**: ٢٥٦.

٣٦. **أبو سعيد الخدري**: **٤٦٥،٤٥١،٣٧٥، ٥١٨.**

٣٧. **أبو سليمان الدمشقي**: ٣٢٢، ٢٥٣.

٣٨. **أبو عبدالله الشيعي**: ٣٢.

٣٩. **أبو مجلز**:٢٩٢، ٢٩٣.

٤٠. **أبو مسعود البدري رضي الله عنه**: ٤٤٣، ٥٢٠.

٤١. **أبو نعيم الأصبهاني**:٣٥٥، ٣٩٠ .

٤٢. **أبوالحسين بن المنادي**: ٤٠٨، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤.

٤٣. **أبوالعالية**: ٤٤٧.

٤٤. **أبوأمامة الباهلي رضي الله عنه:** ٤٤١ .

٤٥. **أبوبكر الصديق رضي الله عنه:**٤٥، ١٠١، ١٧٨، ١٨١، ٢٥٠، ٢٧٦، ٣٦٤، ٤٣٥، ٤٤٤.

٤٦. **أبوحاتم:** ٢٩٩.

٤٧. **أبوداود المازني رضي الله عنه:** ٣٠٥.

٤٨. **أبوداود:** ٢٠٤، ٢٠٧، ٣٠٥، ٣٣٧، ٣٣٨..

٤٩. **أبوزرعة:** ٤٥٠.

٥٠. **أبوعبدالله بن عبد الوهاب:** ٢٢٥، ٢٥٦.

٥١. **أبوهريرة رضي الله عنه:** ١٢٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١٢، ٢٢٩، ٢٤٤، ٢٤٧، ٣٩٧، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٣٤، ٤٥٤، ٤٤٩، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٢، ٤٧٦، ٧٧.

٥٢. **إسحاق العلثي:** ٩٧، ١٠٩، ٢٧١، ٢٨١، ٢٨٢، ٣١٠، ٣١١.

٥٣. **الإسفرائيني:** ٣٨، ٣٦٤، ٣٧٦.

٥٤. **الأعشى (الشاعر):** ١٦٨.

٥٥. **الأعمش:** ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤..

٥٦. **الألوسي (المفسر):** ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٨٦.

٥٧. **الألوسي :** ٤٤٠.

٥٨. **أم خالد:** ٤٢٩.

٥٩. **الإمام أبو حنيفة:**١٣٦، ١٧٥، ٣١٤، ٣٢٧.

٦٠. **الإمام أحمد:** ٥١، ٥٣، ٦٥، ١٠٩، ١١٠، ١٦٤، ١٧٥، ١٧٦، ٢٢٠، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٨، ٣٠٢، ٣١٥، ٣٨٩، ٤٠٨، ٤٢٤، ٤٥٥، ٤٦٩، ٤٧٨.

٦١. **الإمام الشافعي:**٥٧، ١٢٤، ١٤٢، ١٦٠، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٨٩، ٣٢٧.

٦٢. **الإمام مالك:**١٦٠، ٢٢٦، ٢٦١.

٦٣. **الأمير الصنعاني:** ١٩١.

٦٤. **أنس بن مالك:** ٩٠، ٣٩٣، ٤١٦، ٤٦٤، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٧.

٦٥. **الإيجي: ٢٦٢، ٣٦٤.**

٦٦. **الباقلاني:** ٥٠،٣٣، ١٠٦.

٦٧. البخاري: ٥٩، ١٢١، ١٢٢، ١٥٨، ٢١٥، ٢٤٤، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٧٥، ٣٨٤، ٣٩٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٩، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٦٨.

٦٨. برهان الدين البقاعي: ٣٩.

٦٩. الخطيب البغدادي: ٥١.

٧٠. البيهقي: ١٥٢، ٢٠١، ٢٤٦، ٢٧١، ٢٨٧، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٨.

٧١. الترمذي: ١٢٥، ٢٠٣، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٧٥، ٤٧٦.

٧٢. التستري: ٣١٠.

٧٣. التفتازاني: ٣٦٤.

٧٤. الجبائي: ١٤٦.

٧٥. الجويني: ١٣٥، ٢٣٩، ٣٧٧.

٧٦. الحارث الكذاب: ٣١٠.

٧٧. الحارث بن هشام رضي الله عنه: ٣٥٢.

٧٨. الحاكم: ١٨٧، ٢٧٢.

٧٩. حماد بن زيد: ٢٢١، ٢٣٩، ٤٠٥.

٨٠. حنبل بن إسحاق: ٢٧٢.

٨١. خبيب رضي الله عنه: ٣٧٦، ٤١٥.

٨٢. الخضري: ٤٢٧، ٤٧٣.

٨٣. الخطابي: ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٦٣، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٨٥، ٣٨٩، ٤٧١.

٨٤. الخيضري: ٣٠٦.

٨٥. دبيس بن صدقة: ١٣، ١٥.

٨٦. الذهبي: ١٦، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٣، ٥١، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٥، ٦٦، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٨٨، ١٠٩، ١٨٧، ٢٣٨، ٢٧١، ٣١٣، ٤٢٥.

٨٧. الرازي: ٣٧، ٧٢، ١٤٣، ٢٩٢، ٣٤١.

٨٨. الراغب الأصفهاني: ٣٤٦.

٨٩. رؤبة بن العجاج: ١٦٧، ١٧١.

٩٠. الزَّجاج: ١٠١، ١١٤، ١١٥، ١٦٧، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣٢١، ٣٣٥، ٤٥٤، ٤٨٢، ٤٩٠، ٥٠٢، ٥٠٥.

٩١. زِر بن حُبَيش: ٣٠٨.

٩٢. الزركشي: ٤٥٧.

٩٣. زيد بن عمرو بن نفيل: ١٤٨، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٩.

٩٤. السبكي: ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢.

٩٥. السجزي: ٢٦١، ٢٦٣.

٩٦. سطيح الكاهن: ٣٧٠.

٩٧. السفاريني: ٣٧٣، ٤٦٣.

٩٨. السلطان طغرل بن السلطان محمد: ١٣، ١٤.

٩٩. السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه: ١٣، ١٤، ٢٦.

١٠٠. السلطان ملكشاه الثالث: ٢٥.

١٠١. سمرة بن جندب رضي الله عنه: ٤٤٣.

١٠٢. سُميَّة أم عمار بن ياسر رضي الله عنهما: ٤٨٤.

١٠٣. السهروردي المقتول: ٣٥٧، ٣٥٩.

١٠٤. الشنقيطي: ٦٨، ١١٨، ١٦٥، ٣١٤، ٣١٥، ٣٨٤، ٣٩٢، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٦، ٤٣٨، ٤٤٧، ٤٥٢.

١٠٥. الشهرستاني: ٣٦.

١٠٦. الشوكاني: ١٧٦، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣٢.

١٠٧. شيخ الفتوة عبدالجبار: ٤٣.

١٠٨. الضحاك: ١٠٢، ٢٤٢، ٢٧٩، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٤٤٩.

١٠٩. طغرل آخر ملوك السلاجقة: ٢٤.

١١٠. طغرلبك محمد بن ميكائيل: ١٣، ٢٥.

١١١. عبدالله القعنبي: ٢٣٧، ٢٦٠.

١١٢. عبدالله بن أبي مليكة: ٤٤٨، ٤٥١.

١١٣. عبدالله بن عمر: ١٢٧، ٢٤٩، ٣٠١، ٣٨٧، ٣٩٢، ٤٢٢، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٧٢.

١١٤. عبدالله بن عمرو: ٢٠٧، ٣١٧، ٣٨٥، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٧٨.

١١٥. عبيدالله المهدي: ٣٢.

١١٦. عثمان بن مظعون رضي الله عنه: ٣٥٥.

١١٧. عثمان بن عفان: ١٨١، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٥، ٣٧٦، ٣٧٨ .

١١٨. علاء الدين خوارزم شاه: ٢٤، ٢٥.

١١٩. علي رضي الله عنه: ١٥٣، ١٥٤، ١٦٠، ١٧٠، ٢٢٣، ٣٦١.

١٢٠. عماد الدين زنكي: ١٥، ١٦، ١٨ ، ٢٩، ٣١.

١٢١. العماد الكاتب الأصبهاني: ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٨، ٢٩، ٣٩.

١٢٢. عمر رضي الله عنه: ٧٩، ١٧٣، ١٨١، ٢٥٣.

١٢٣. عمران بن حصين رضي الله عنه: ٤٤٥.

١٢٤. الغزالي: ٣٤، ٣٧، ٣٩، ٢٨١، ٢٨٤.

١٢٥. الفيروز آبادي: ٢١٤.

١٢٦. القاضي أبو يعلى: ١٩٧، ٢٧٢.

١٢٧. القائد مودود: ٣٥ .

١٢٨. قس بن ساعدة: ١٤٨، ١٤٩.

١٢٩. قوام السنة الأصبهاني: ٤٤١.

١٣٠. الكرماني: ١٩٢.

١٣١. الليث بن سعد: ٢٤١.

١٣٢. الماوردي: ٤٠، ٤٢.

١٣٣. مجمع بن جارية رضي الله عنه: ٤٥٤.

١٣٤. محمد بن كرَّام: ١٢٢، ١٦٢.

١٣٥. المرتضى العلوي: ٣٣٦.

١٣٦. المزني: ٢٦٤.

١٣٧. مسروق: ٣١٠، ٤٤٨، ٤٥١.

١٣٨. مسلم: ١٨٦، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٧٦، ٢٨٨، ٣٠٣، ٤٢٠، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٦٧.

١٣٩. معاوية بن الحكم رضي الله عنه: ٢٤٠، ٣٢١.

١٤٠. مقاتل: ١٧١، ٢٧٨، ٣٢٣، ٤٤٨..
١٤١. ميكائيل بن سلجوق مؤسس دولة السلاجقة: ٢٥.
١٤٢. النسائي: ٢٠٥.
١٤٣. نفطويه: ٣٦٥.
١٤٤. النواس بن سمعان رضي الله عنه: ٤٤٣، ٤٤٥.
١٤٥. نور الدين زنكي: ١١، ٣٠، ٣١، ٣٤.
١٤٦. هشام بن الحكم: ٢٢٥، ٢٦٢.
١٤٧. هشام بن العاصي: ٤٣٥.
١٤٨. هشام بن عروة: ٣٣٧، ٣٣٨.
١٤٩. واصل بن عطاء: ١٢٥.
١٥٠. الوزير ابن هبيرة: ١٢، ٢٠، ٥١، ٥٤، ٥٦، ٨٠.
١٥١. وليُّ الدين أبو زرعة العراقي: ١٩٣، ٢١٥، ٢١٨.
١٥٢. يزيد بن هارون: ٢٣٦، ٢٦٠.
١٥٣. يعلى بن أمية رضي الله عنه: ٣٥٣.

الأديان والفرق

١. **الأشاعرة:** ١٠٥، ٢٦٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٧، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٨ .

٢. **الباطنية:** ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ١٤٥، ١٦٢، ٤٥٣ .

٣. **البراهمة:** ٣٥٦

٤. **الجبرية:** ١٠٥، ٤٩٥، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١١ .

٥. **الجهمية:** ١٥٥، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٣٤، ٤٦٢، ٤٧٩، ٤٨٠ .

٦. **الخوارج:** ١٢٣، ٢١٥، ٤٢٩، ٤٧٠، ٤٧٩ .

٧. **الدهريَّة:** ٣٨، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٩ .

٨. **الرافضة:** ١٢، ٣٦، ٤٢٥، ٤٢٦.

٩. **الشيعة:** ٥١، ٣١٤، ٤٢٥، ٤٢٦ .

١٠. **الصوفية:** ٤٢، ٤٣، ٤٤، ١٤٣، ١٤٤، ١٩١، ٣٠٨، ٣٥٧، ٣٧٨، ٣٧٩ .

١١. **الطبائعيون:** ١٤٥، ١٥١، ١٦٤، ٤٩٥ .

١٢. **القدرية:** ١٢٣، ٤٩٢، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١١ .

١٣. **القرامطة:** ٣٥.

١٤. **المجوس:** ٣٤، ٣٥، ٣٦.

١٥. **المرجئة:** ١١٥، ١٣١.

١٦. **المشبِّهة:** ٩٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٨٣، ٢٨٤ .

١٧. **المعتزلة:** ٩٠، ٩٩، ١٢٣، ١٢٤، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٣، ٣١٣، ٣٣٣، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٢٩، ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨٣، ٤٩٠، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٠٥، ٥١٠ .

١٨. **النصارى:** ٢٩، ٣٨، ١٤٨، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ٣٢٦، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣.

١٩. **اليهود:** ٣٨، ١٤٨، ١٨٠، ١٨٣، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٠، ٤٠٢، ٤٣١، ٤٥٣، ٤٨٥ .

الأماكن

١. **أجنادين**: ٤٣٣.

٢. **أَذْرُح والجرباء**: ٤٦٩.

٣. **أصبهان**: ٢٦.

٤. **أَنْطاكية**: ٢٩.

٥. **أيلة** : ٤٦٨، ٤٦٩.

٦. **أهل الثغر**: ٢٥٠.

٧. **باب الأزج**: ٦١، ٨٠، ٨٢.

٨. **باب النوبي**: ٤٣.

٩. **باب بدر**: ٧٥، ٨٠.

١٠. **بُخارى**: ٢٥.

١١. **بغداد**: ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧٣، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٣١٠ .

١٢. **البصرة**: ٤٦، ٢٥٠، ٣٠٩.

١٣. **بلدح**: ٣٨٥.

١٤. **بيت المقدس**: ١١، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٢، ١١٣، ٤١٥ .

١٥. **بيت النوبة**: ٨٠

١٦. **تربة أم الخليفة**: ٨٠، ٨٣.

١٧. **تبوك**: ١٥٣،٣٩٨.

١٨. **جامع الرصافة**: ٨٠.

١٩. **جامع القصر**: ٥٨، ٨٠.

٢٠. **جامع المنصور**: ٧٣، ٧٩، ٨٤.

٢١. **الجزيرة**: ٢٥٠.

٢٢. **جَيّ**: ١٩.

٢٣. **الحربية**: ٢٨، ٨٠.

٢٤. **الحرمين**: ٢٦.

٢٥. **حِطِّين**: ٣١.

٢٦. **خُراسان**: ٢٥، ٢٦، ٢٥٠، ٤٦٤.

٢٧. **درب حبيب**: ٤٦.
٢٨. **درب دينار**: ٦٢، ٨٠.
٢٩. **دمشق**: ٣٠، ٣١، ١٩٩، ٣٩٩ .
٣٠. **دير مُران**: ٣٠٩
٣١. **الرَّملة**: ٣٠.
٣٢. **الرُّها**: ٢٩.
٣٣. **الرَيّ**: ٢٢٣.
٣٤. **زندروذ**: ١٨.
٣٥. **الشام**: ٢٤، ٢٦، ٣٢، ٦١، ١٨٢، ١٨٩، ٢١٢، ٢٥٠، ٣٩٩، ٤١٤.
٣٦. **صنعاء**:٤٦٨.
٣٧. **القاهرة**: ٣٤.
٣٨. **العراق**: ١٨،٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٥٦، ٥٩، ١٥٣، ١٨٢، ٢١٢، ٢٥٧ .
٣٩. **قطفتا**: ٧٨.
٤٠. **الكوفة**: ١١، ١٠٦، ٢٥٠، ٥١٩.
٤١. **المأمونية**: ٦١، ١٨١.
٤٢. **محلَّة الجوز**: ٤٦.
٤٣. **المدينة**: ١٥٣، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٧، ١٨٩، ٢٥٠، ٣٢٠، ٤١٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٥١٥ .
٤٤. **مصر**: ٢٤، ٣٢، ٣٠، ٣٣، ١٨٢، ٢١٢، ٢٥٠ .
٤٥. **مكة**: ١٠٦، ١٣٩، ١٤٤، ١٦٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٥٠، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٥، ٣٧٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٣، ٥١٣ .
٤٦. **الموصل**: ١٥، ١٦، ١٨، ٥٤.
٤٧. **النظاميَّة**: ٥٧.
٤٨. **نهر دجلة**: ٤٨، ٨٠، ٨٤.
٤٩. **نهر الفرات**: ٣٨٠.
٥٠. **نهر مُعَلَّى**: ٨٠ .
٥١. **هَمَذَان**: ٢٠، ٢٦.
٥٢. **اليمن**: ٣٠،١٥٨، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٥٠، ٤١٤، ٤٦٤.

فهرس الغريب

الأجلح.. ٣٠٤
آخيته.. ١٢٩
أغثر... ٤٧٥
البرحاء.. ٣٩١
التخت... ١٩٣
الترعة... ٤٧٢
تفتل (الفتل)... ٣٥٢
الجِرَّة... ٤٨١
الرسول.. ٣١٨
زر الحجلة... ٣٩٨
السحالة... ٤٥٨
سنوح الطير... ٢٠٧
السيح... ٢٩٥
الصَّرفة... ٣٣٢
الطاقة... ٤٥٧
الطيرة... ٢٠٦
الظلم.. ٥٠٣
العصمة... ٣٨١
العيار.. ٤٣
الفأل... ٢٠٥
قُهُنْدُزُكُم.. ٤٦٥
الكرامة.. ٣٧٢
المُصْحية.. ٤٦٩
النبي... ٣١٨
النفث.. ٣٥٣

الوحي..٣٤٩
يختلج (الخلج)..٤٦٩
يشْخَب (الشخب)...٤٦٩

فهرس الأبيات الشعرية

أحبةَ قلبي لو يُباعُ رجوعكم...٨٣

إِذَا هَبَطَ الحَجَّاجُ أرضًا مريضَةً...٢٢٢

إنَّ في الأسرِ لَصَبا...٤١٤

أينَ فُؤادِي أذابَه الوجدُ...٧٦

قِفِي ثمَّ اخبرينا يا سعـادُ.......................... ....٧٩

تَطَاولَ هذا اللَّيْلُ واسودَّ جَانِبُه.............................. ....٢١١

تفسيرُ صاحبٍ له تعلُّقُ............................... ....٤٤٧

حتَّى استوى بشرٌ على العراق............................ ....٢٥٧

حَكَمَ المنجِّمُ أنَّ طَالِعَ مَوْلِدِي.............................. ....١٩٩

حياة ثمَّ موت ثمَّ نشر.................................... ....٤٥٨

دَعوتُ اللهَ حتَّى خِفْتُ ألَّا....................................... ....٢٦٢

عيَّرْتْني بالشَّيبِ وهو وقارُ............................ ....٢٣

فإنْ تَكُنِ ٱلأيَّامُ أَحْسَنَّ مرَّةً.................................. ....٣٨٦

فما أَذْكُرُ الرَّهبَ حتَّى انْقَلَبْتُ.. ....١٦٧

في الذَّاهبين الأوَّلين................................ ....١٤٦

لا تُعطِشِ الرَّوضَ الذي نبتُه.......................... ....٨٣

للهِ دَرُّ الغَانياتِ المُدَّه... ....١٦٦

اللهَ أسألُ أن يطوِّلَ مدَّتي.. ....٨٤

لوْ لمْ يَكنْ فيهِ آياتٌ مبينةٌ.. ....٣٦٣

لولا ابنُ جعدةَ لم يُفْتحْ قُهُنْدُزُكُم............ ....٤٦٤

ما شِئْتَ لا ما شاءَتْ الأقدارُ............................ ....٣٤

ممَّا يُقالُ ولا حَقيقةَ عندَه.......................... ....٥٠٧

نَحْن نَطَحْناهم غداةَ الجمعين................................... ....٤٦٤

هُمَا استَويَا بفضلِهما جَميعَاً............... ....٢٥٧

هُنَّ الحَمَامُ فإنْ كُسِرَتْ عِيافَةً............................ ....١٧

وإنَّ لِسَانَ المرْءِ مَا لم تَكُنْ لَهُ...................................... .... ٢١٤

وصاحبُ صِدقٍ لم تربْني شكاتُه. ٥٠٤

ولا عَجَباً للأُسْدِ إِنْ ظَفِرَتْ بها.................................... .... ١٧

ولـمَّا تَزايلْنا مِن الجزعِ وانتَأَى.. .... ٤١٤

ولو رأيْتَ النَّارَ هبَّتْ، فعَدَتْ...................................... .... ٢٨١

ولو قِيلَ للمَجْنون ليلى ووصلَها... .... ٤١٣

يا كَثيرَ الــعَفْوِ عمَّنْ.. .... ٨٥

يخبرُنا الرسولُ بأنْ سنحيا... .... ٤٥٧

المصادر والمراجع

(أ)

١. الإبانة الكبرى: لابن بطة العكبري، مجموعة من المحققين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢. إبطال التأويلات لأخبار الصفات: للقاضي أبي يعلى، المحقق : محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت.

٣. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.

٤. الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة: للزركشي، تحقيق وتخريج رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٥. اجتماع الجيوش الإسلامية: لابن القيم، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٦. الأحاديث الطوال: للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م.

٧. الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم من خلال الكتب التسعة: أحمد القصير، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٨. أحكام الجنائز: للألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٩. أحكام الرقى والتمائم: فهد السحيمي، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٠. أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، المحقق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

١١. أحكام القرآن: لأبي بكر بن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٢. أحكام النساء: لابن الجوزي، تحقيق علي المحمدي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٣. أخبار الحمقى والمغفلين: لابن الجوزي، شرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.

١٤. أخبار الصفات(دفع شبه التشبيه): لابن الجوزي، تحقيق مرلين سوارتز.

١٥. أخبار النساء: لابن الجوزي، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

١٦. الآداب الشرعية والمنح المرعية: لابن مفلح الحنبلي،، عالم الكتب.

١٧. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: سعود العريفي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، الطبعة رجب ١٤١٩هـ.

١٨. الأذكار: للنووي، تحقيق عبدالقادر الأرنؤووط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٩. الأذكياء: لابن الجوزي، مكتبة الغزالي.

٢٠. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: لإمام الحرمين الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى وَ علي عبدالمنعم عبدالحميد، مكتبة الخانجي، مصر، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م.

٢٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٣. الاستذكار: لابن عبدالبر النمري، تحقيق سالم محمد عطا وَ محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٤. الاستقامة: لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ.

٢٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبدالبر الأندلسي، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

٢٦. الأسماء والصفات: للبيهقي، تحقيق عبدالله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٢٧. الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢٨. إصلاح المنطق: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، المحقق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.

٢٩. الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية:عبدالقادر صوفي، أضواء السلف، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٠. أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، الرياض.

٣١. أصول الدين: لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الطبعة الثالثة . دار الكتب العلمية بيروت، طبعة مصورة عن دار الفنون التوركية باستانبول.

٣٢. أصول السنة: لابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٣٤. الاعتصام: للشاطبي، تحقيق ودراسةمجوعة من المحققين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٣٥. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: للبيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
٣٦. إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان: لابن القيم، تحقيق الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.
٣٧. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: لابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
٣٨. الإقناع: لابن المنذر، تحقيق عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٣٩. آكام المرجان في أحكام الجان: محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقيّ الحنفي، المحقق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، مصر – القاهرة.
٤٠. الأم: للشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٤١. الأمثال المولدة: محمد بن العباس الخوارزمي، أبو بكر، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤ هـ.
٤٢. الأمثال: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م.
٤٣. الآمدي وآراؤه الكلامية: حسن الشافعي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
٤٤. الانتصار في الرَّد على المعتزلة القدرية الأشرار: يحي العمراني، دراسة وتحقيق سعود الخلف، أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
٤٥. الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ، ١٩٦٢ م.
٤٦. الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
٤٧. أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى وضوح ذلك من كتاب الله ودعوات الرسل: عبدالله الغنيمان، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.
٤٨. الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات: نعمان بن محمود الألوسي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الرابعة، تحقيق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
٤٩. الآيات والأحاديث والآثار الواردة في أهل الفترة: مروان أحمد حمدان، رسالة ماجستير.
٥٠. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد: لابن الوزير الصنعاني اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.
٥١. إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام: محمد حبيب الله بن الشيخ عبد الله بن مايأبي الجكني الشنقيطي، مكتبة المعرفة، حمص، ١٣٩٢ = ١٩٧٢م.
٥٢. الإيمان من صحيح مسلم دراسة وشرح: يوسف الغفيص، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥٣. الأيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته: لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

(ب)

٥٤. بحر الدموع: لابن الجوزي، تحقيق جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٥٥. البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٥٦. البداية والنهاية: لابن كثير، تحقيق التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٥٧. بدائع الفوائد: لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٥٨. البر والصلة: لابن الجوزي، عادل عبدالموجود، علي معوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٥٩. براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة: للدكتور عبدالعزيز الحميدي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع الرياض، دار ابن عفان للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٦٠. بستان الواعظين ورياض السامعين: لابن الجوزي، تحقيق: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٦١. البعث والنشور: للبيهقي، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

٦٢. بغية الطلب في تاريخ حلب: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، المحقق سهيل زكار، دار الفكر.

٦٣. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية: لابن تيمية، تحقيق موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٦٤. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٦٥. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: لابن تيمية، مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(ت)

٦٦. تاريخ الإسلام: للذهبي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ.

٦٧. التاريخ الإسلامي، محمود شاكر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ ١٤٠٥هـ.

٦٨. التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٦٩. تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٧٠. تاريخ دمشق: لابن عساكر، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٧١. تأويل مختلف الحديث: لابن قتيبة، المكتب الاسلامي، مؤسسة الإشراق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٧٢. تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

٧٣. التبصرة: لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧٤. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: للأسفراييني، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٧٥. التبيان في أقسام القرآن: لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٧٦. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد:للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة.

٧٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:للمباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٨. التحقيق في أحاديث الخلاف:لابن الجوزي، تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٧٩. التداخل العقدي في مقالات الطوائف المخالفة في أصول الدين(موارده، ومظاهره، وآثاره):يوسف الغفيص، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٨٠. التدمرية:لابن تيمية، تحقيق السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٨١. تذكرة الأريب في تفسير الغريب:لابن الجوزي

٨٢. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناني . حقَّقه وعلَّق عليه محمد الندوي. رمادي للنشر– المؤتمن للتوزيع، ط١ ١٤١٥هـ–١٩٩٤م.

٨٣. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم:لابن جماعة الكناني الشافعي، اعتنى به محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

٨٤. تذكرة الموضوعات:محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٤٣ هـ.

٨٥. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة:أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق ودراسة الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٨٦. التذكرة في الوعظ:لابن الجوزي، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٨٧. تعظيم قدر الصلاة:للمروزي، تحقيق الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٨٨. تغليق التعليق على صحيح البخاري:لابن حجر، تحقيق سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.
٨٩. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم:لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.
٩٠. تفسير القرآن العظيم:لابن كثير، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٩١. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب):فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
٩٢. تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ:لابن تيمية، دراسة وتحقيق عبدالعزيز الخليفة، مكتبة الرشد، شركة الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
٩٣. تفسير عبد الرزاق:أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٩٤. التفسير من سنن سعيد بن منصور:أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧ م.
٩٥. التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد:لابن نقطة، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
تلبيس إبليس: لابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
٩٦. تلبيس إبليس:لأبي الفرج ابن الجوزي، دراسة وتحقيق علي بن عمر السحيباني، رسالة دكتوراة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٩٧. تلبيس إبليس:لأبي الفرج ابن الجوزي، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد المزيد، دار الوطن للنَّشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
٩٨. تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير:لابن الجوزي، عنيت بتحقيقه مكتبة الآداب، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، الطبعة الأولى.
٩٩. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل:محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٠٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:لابن عبدالبر النمري، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وَ محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
١٠١. تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر:لابن الجوزي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٠٢. تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي إن الملائكة غير عقلاء:محمد سلطان المعصومي الخجندي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
١٠٣. تنوير الغبش في فضل السودان والحبش:لابن الجوزي، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١٠٤. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل:لابن خزيمة، تحقيق عبدالعزيز الشهوان، الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ١٩٩٨م.
١٠٥. التوحيد:للماتريدي، تحقيق فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية.
١٠٦. التوسل أنواعه وأحكامه:للألباني، تحقيق العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
١٠٧. توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين:مرعي بن يوسف الحنبلي، تحقيق خليل السبيعي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١٠٨. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد:سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
١٠٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:للسعدي، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(ث)

١١٠. الثبات عند الممات:لابن الجوزي، تحقيق عبدالله الليثي الأنصاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١١١. الثقات:لابن حبان، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣م.
١١٢. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب:عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، دار المعارف، القاهرة.

(ج)

١١٣. جامع البيان في تأويل القرآن:لابن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر وَ محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١١٤. جامع الرسائل:لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
١١٥. جامع الرسائل:لابن تيمية، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١١٦. الجامع الصحيح للترمذي، سنن الترمذي:لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وشرح أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١١٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم:لابن رجب، المحقق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
١١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري):محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد الناصر، ومعه شرح وتعليق مصطفى البغا، دار طوق النجاة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
١١٩. الجامع لأحكام القرآن:للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وَ إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
١٢٠. جريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل فارس، عماد الدين الاصفهاني، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ..
١٢١. جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف:عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
١٢٢. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية:شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني، دار الصميعي، الطبعة الأولى١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
١٢٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:لابن تيمية، تحقيق علي بن حسن وَ عبد العزيز بن إبراهيم وَ حمدان بن محمد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
١٢٤. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء:لابن القيم، دار المعرفة، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(ح)

١٢٥. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح:لابن القيم، مطبعة المدني، القاهرة.
١٢٦. حاشية الخضري على ابن عقيل:محمد بن عبد الله الدمياطي ثمَّ المصري الشافعي الشهير بالخضري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
١٢٧. حاشية السندي على سنن النسائي:محمد بن عبد الهادي السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
١٢٨. حاشية كتاب التوحيد:لابن قاسم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
١٢٩. الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ:لابن الجوزي، تحقيق فؤاد عبدالمنعم، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
١٣٠. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة:إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٣١. الحدائق في علم الحديث والزهديات:لأبي الفرج ابن الجوزي، حققه وعلَّق عليه مصطفى السَّبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٣٢. حفظ العمر:لابن الجوزي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٣٣. حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة:محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٣٤. حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين:عبدالرحيم السلمي، دار المعلمة للنشر والتوزيع.

١٣٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

١٣٦. الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنَّة أو النار:غالب بن علي عواجي، دار لينة / مصر.

١٣٧. خلق أفعال العباد:محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض.

(د)

١٣٨. الدر المنثور:للسيوطي، دار الفكر، بيروت.

١٣٩. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول:لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

١٤٠. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية:سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨، ١٩٩٧م.

١٤١. الدرر السنية في الأجوبة النجدية:علماء نجد الأعلام، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٤٢. الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة:للسيوطي، تحقيق: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.

١٤٣. الدعاء:سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣.

١٤٤. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب:محمد الأمين الشنقيطي، الناشر : مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع : مكتبة الخراز، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م.

١٤٥. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه:لابن الجوزي، تحقيق حسن السقاف، دار الإمام الرواس، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

١٤٦. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية:تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٤٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة:للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.
١٤٨. دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، د.علي الصلابي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع- مصر ط١-١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٤٩. الدولة الفاطمية د.علي الصلابي. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع – مصر، ط١ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٥٠. الديارات:علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق :خليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر لندن قبرص، الطبعة :الأولى١٤١١هـ.
١٥١. الدين: محمد لدراز. دار القلم، مطبعة الحرية، بيروت.
١٥٢. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لابن خلدون، دار الفكر -بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٥٣. ديوان ديك الجن الحمصي: جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٤م.
١٥٤. ديوان ليلى الإخيلية:ليلى الإخيلية، تحقيق وشرح واضح الصمد، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

(ذ)

١٥٥. الذخيرة:للقرافي. تحقيق محمد حجي، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م.
١٥٦. ذم الهوى:لابن الجوزي. تحقيق مصطفى عبدالواحد، ١٩٦٢م.
١٥٧. ذيل طبقات الحنابلة:لابن رجب الحنبلي. تحقيق عبدالرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

(ر)

١٥٨. رحلة ابن جبير:محمد بن أحمد بن جبير الكناني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.
١٥٩. رحلة الحج إلى بيت الله الحرام:محمد الأمين الشنقيطي. إشراف بكر أبوزيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
١٦٠. رد البهتان عن إعراب آيات من القرآن الكريم:يوسف بن خلف بن محل العيساوي، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.
١٦١. رد المحتار على الدر المختار:لابن عابدين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
١٦٢. الرد على المنطقيين:لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٦٣. الرد على من قال بفناء الجنَّة والنار وبيان الأقوال في ذلك:لابن تيمية، تحقيق محمد السمهري، دار بلنسية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
١٦٤. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت:لأبي نصر السجزي، تحقيق ودراسة محمد باكريم باعبدالله، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٦٥. الرسالة القشيرية:عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

١٦٦. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب:أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.

١٦٧. رسالة في أسس العقيدة:محمد بن عودة السعوي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٦٨. رفع الأستار عن محيا مخدرات طلعة الأنوار:حسن مشاط، الطبعة العاشرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٦٩. رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار:محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.

١٧٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧١. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة:لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٢. روضة الطالبين وعمدة المفتين:أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

١٧٣. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة، حقَّقه وعلَّق عليه إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة-بيروت- لبنان، ط١ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(ز)

١٧٤. زاد المسير في علم التفسير:لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٧٥. الزهد:لأبي عبدالله أحمد بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م

١٧٦. زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه:عبدالرزاق البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

(س)

١٧٧. سبل السلام:للأمير الصنعاني، دار الحديث.

١٧٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها:للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٧٩. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة:للألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٨٠. السنة لابن أبي عاصم:أبوبكر أحمد بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

١٨١. السنة للخلال:أبوبكر أحمد الخلال، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

١٨٢. السنن الكبرى:للبيهقي، دار الفكر.

١٨٣. السنن لابن ماجه:أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر العربي.

١٨٤. السنن لابن منصور:أبوعثمان سعيد بن منصور الخراساني، تحقيق الأعظمي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م.

١٨٥. السنن لأبي داود:سليمان السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٨٦. السنن للدارقطني:لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

١٨٧. السنن للنسائي:أحمد بن شعيب النسائي، اعتنى به عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٨٨. سير أعلام النبلاء:للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٨٩. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي):محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق:سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

١٩٠. السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون):علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.

١٩١. سيرة الشيخ الأمين:لعبدالرحمن السديس، دار الهجرة، السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ١٩٩١م.

١٩٢. السيرة النبوية لابن هشام:لابن هشام، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥ م.

١٩٣. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه:عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري، المحقق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(ش)

١٩٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:لأبي القاسم اللالكائي:تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١٩٥. شرح الأصول الخمسة:للقاضي عبد الجبار، حققه وقدم له عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.

١٩٦. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية:أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٩٧. شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني:لإسماعيل بن يحيى المزني، المحقق: جمال عزون، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٩٨. شرح السنة:للبغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وَ محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٩٩. شرح العقيدة السفارينية، الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية:محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٢٠٠. شرح العقيدة الطحاوية:لابن أبي العز الحنفي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وَ عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢٠١. شرح العقيدة الواسطية:محمد بن خليل حسن هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ.

٢٠٢. شرح العقيدة الواسطية:محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المحقق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ.

٢٠٣. شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٢٠٤. شرح حديث النزول:لابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٢٠٥. شرح علل الترمذي:لابن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثمَّ الدمشقي، الحنبلي، المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٠٦. شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن:لابن شاهين، تحقيق عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢٠٧. شرح مشكل الآثار:أبوجعفر الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.

٢٠٨. الشريعة للآجري:لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

٢٠٩. شعب الإيمان:للبيهقي، تحقيق مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية الهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢١٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى:أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م.

(ص)

٢١١. الصارم المنكي في الرد على السبكي:لابن عبدالهادي، تحقيق عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢١٢. صبح الأعشى للقلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ -١٩١٤م.

٢١٣. صحيح ابن حبان(الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان):لابن حبان البستي، حققه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢١٤. صحيح ابن خزيمة:لأبي بكر بن خزيمة، تحقيق الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢١٥. صحيح مسلم:مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢١٦. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة: للألباني. مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٧٩م.

٢١٧. صفة الصفوة:لابن الجوزي، تحقيق محمد فاخوري وَ محمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢١٨. الصفدية:لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٢١٩. صيد الخاطر:لابن الجوزي، تحقيق حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

(ض)

٢٢٠. الضعفاء والمتروكين:لابن الجوزي، تحقيق عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، بنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٢١. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:للسخاوي، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت.

(ط)

٢٢٢. الطب الروحاني:لابن الجوزي، تحقيق أبوهاجر محمد السعيد زغلول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٢٣. طبقات الحنابلة:أبو الحسين ابن أبي يعلى، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٢٢٤. الطبقات الكبرى:لابن سعد، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

٢٢٥. طرح التثريب في شرح التقريب:لأبي الفضل عبد الرحيم العراقي، وأكمله ابنه أحمد بن عبد الرحيم العراقي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٢٢٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين:لابن القيم، تحقيق عمر بن محمود أبوعمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

(ع)

٢٢٧. عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي:لأبي بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مصورة من الطبعة المصرية القديمة.

٢٢٨. العالم الاسلامي في العصر العباسي، د.حسن محمود وَ د.أحمد الشريف، دار الفكر العربي ط٥.

٢٢٩. عالم الجن والشياطين:عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

٢٣٠. العبر في خبر من غبر –الذهبي، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

٢٣١. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير:محمد الأمين الشنقيطي، اعتنى به وعلَّق عليه خالد السبت، دار ابن القيم، الدمام، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٣٢. العرش للذهبي:محمد بن أحمد الذهبي، دراسة وتحقيق محمد خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٣٣. العرف الشذي شرح سنن الترمذي:محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، تصحيح: الشيخ محمود شاكر، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.

٢٣٤. عصمة الأنبياء:فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مطبعة الشهيد، قم، منشورات الكتبي النجفي، ١٤٠٦ هـ.

٢٣٥. العظمة:لأبي الشيخ الأصبهاني، رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٣٦. العقيدة الطحاوية:أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٣٧. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية:لأبي المعالي الجويني، تحقيق وتعليق الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢٣٨. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية:لابن الجوزي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٢٣٩. العلم:محمد بن صالح بن محمد العثيمين، صلاح الدين محمود، مكتبة نور الهدى.

٢٤٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري:أبومحمد محمود العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٤١. عمدة أهل التوفيق والتسديد شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى:لأبي عبد الله السنوسي التلمساني، جريدة الإسلام، مصر، ١٣١٦هـ.

٢٤٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود:محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

(غ)

٢٤٣. غريب الحديث:أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، الطبعة: ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٢٤٤. غريب الحديث:أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.

٢٤٥. غريب الحديث:لابن الجوزي، تحقيق عبدالمعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(ف)

٢٤٦. فتاوى ومسائل (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الرابع):محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق صالح بن عبدالرحمن الأطرم وَ محمد بن عبدالرزاق الدويش، جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٤٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري:لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٤٨. الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني:محمد محمد محيسن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٤٩. فتح القدير:للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ.

٢٥٠. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

٢٥١. الفروع:لابن مفلح، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م.

٢٥٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل:لابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٥٣. الفطرة والعقيدة الإسلامية:حافظ محمد حيدر الجعفري، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٥٤. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن:لابن الجوزي، دار البشائر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧م.

٢٥٥. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة:للشوكاني، المحقق: المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(ق)

٢٥٦. القاضي أبويعلى وكتابه مسائل الإيمان دراسة وتحقيقا:حققه وعلق عليه سعود الخلف، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٥٧. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة:لابن تيمية، تحقيق ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢٥٨. القرامطة:لابن الجوزي، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي.

٢٥٩. القصاص والمذكرين لابن الجوزي. قدَّم له وحقَّقه د.محمد لطفي الصباغ، المكتب الاسلامي ط١ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٦٠. قصة الحروب الصليبية من البداية حتى عهد عماد الدين زنكي، د.راغب السرحاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع – مصر ط٢ ٢٠٠٩م.

٢٦١. قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام:محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ.

٢٦٢. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه: عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٦٣. القضاء والقدر:للبيهقي، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٦٤. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل:عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار النشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م

٢٦٥. القول السديد شرح كتاب التوحيد:للسعدي، تحقيق المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة الثالثة.

٢٦٦. القول المسدد:لابن حجر، إدارة ترجمان السنة لاهور، باكستان، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ

٢٦٧. القول المفيد على كتاب التوحيد:لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية محرم ١٤٢٤هـ.

(ك)

٢٦٨. الكامل في التاريخ لابن الأثير، راجعه وصححه محمد يوسف الرقاق، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان- ط٤ -١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٦٩. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها:يوسف بن علي بن جبارة الهُذَلي اليشكري المغربي، المحقق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٢٧٠. الكامل في ضعفاء الرجال:ابن عدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٧١. كرامات الأولياء للالكائي (من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي):أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٢٧٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين:لابن الجوزي، تحقيق علي حسن البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٧٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن:أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ، ٢٠٠٢ م.

٢٧٤. كيد الشيطان لنفسه قبل خلق ادم عليه السلام ومعه بيان مذاهب الفرق الضالة.

(ل)

٢٧٥. اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: للسيوطي، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٧٦. لباب التأويل في معاني التنزيل:للخازن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٧٧. اللباب في علوم الكتاب:عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

٢٧٨. لسان العرب:لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٢٧٩. لسان الميزان:لابن حجر، تحقيق دائرة المعرف النظامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان

٢٨٠. اللطائف:لابن الجوزي.

٢٨١. لفتة الكبد إلى نصيحة الولد:لابن الجوزي، تحقيق أشرف عبدالمقصود، مكتبة البخاري، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٨٢. اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ:محمد بن محمد بن عبد الله الخيضري، المحقق: محمد الأمين بن محمد محمود بن أحمد المولود الجكني الشنقيطي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢٨٣. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية:للسفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م.

٢٨٤. لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية:للسفاريني، المحقق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري،دار الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

(م)

٢٨٥. ما له حكم الرفع من أقوال الصحابة وأفعالهم:أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني، دار الخضيري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤١٨هـ.

٢٨٦. مباحث العقيدة في سورة الزمر:ناصر الشيخ، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٢٨٧. مبدأ السببية عند الأشاعرة دراسة نقدية:جمعان الشهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
٢٨٨. مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن:لابن الجوزي، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، تقديم حماد بن محمد الأنصاري، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٢٨٩. مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية، لابن الجوزي، تحقيق جهاد عيسى البنا، دار الأنصار- لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٢٩٠. مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي: أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الشنقيطي، مكتب الشؤون الفنية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.، ٢٠٠٧م.
٢٩١. مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ولإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد (٤٣).
٢٩٢. مجلة الزَّرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، مجلد (٧)، العدد (٢).
٢٩٣. مجلة المجمَّع العلمي العراقي، مجلة دورية يصدرها المجمَّع العلمي العراقي ببغداد، ج (٢)، مج (٣١).
٢٩٤. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد (٢٨)، (٣٤)، (٥٣).
٢٩٥. مجلة جامعة أم القرى، مجلة دورية تصدر عن جامعة أم القرى بمكة المكرمة، العدد (٢)، (٣٦)، (٣٩).
٢٩٦. مجلة مجمَّع اللغة العربية، مجلة دورية تصدر عن مجمَّع اللغة العربية بدمشق، جزء (٢)، مجلد (٤٧).
٢٩٧. مجمع الأمثال:أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٩٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:للهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٢٩٩. مجموع الفتاوى:لابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.
٣٠٠. المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)):للنووي، دار الفكر.
٣٠١. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله:لابن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
٣٠٢. مجموع فيه: الصفات الإلهية ومعه موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات ومقالة التعطيل والجعد بن درهم:للدكتور محمد خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٣٠٣. محاسن التأويل:للقاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
٣٠٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:لابن عطية، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٣٠٥. المحلى بالآثار:لابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر، بيروت.

٣٠٦. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:لابن الموصلي، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٠٧. مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية:محمد البعليّ، تحقيق عبد المجيد سليم، محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية.

٣٠٨. المختصر المحتاج إليه من تأريخ الحافظ أبي عبدالله محمد بن سعيد بن محمد ابن الدبيثي:انتقاء الإمام الذهبي، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الزمان، بغداد.

٣٠٩. مختصر طبقات الحنابلة:لابن شطي، دراسة فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣١٠. مخطوطات البحر الميت:أحمد عثمان، مكتبة الشروق.

٣١١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:لابن القيم، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م.

٣١٢. المدهش:لابن الجوزي، تحقيق مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٣١٣. مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات عرض ونقد:للقاضي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.

٣١٤. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: لليافعي، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣١٥. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان:لأبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي سبط ابن الجوزي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ.

٣١٦. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات:لابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣١٧. مرويات غزوة حنين وحصار الطائف:إبراهيم بن إبراهيم قريبي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٣١٨. مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني:لأبي داود السجستاني، تحقيق:طارق بن عوض الله بن محمد، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣١٩. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة:جمع وتحقيق ودراسة عبدالإله الأحمدي، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٢٠. المستدرك على الصحيحين: للحاكم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ.

٣٢١. المستقصى في أمثال العرب:أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

٣٢٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل:أبوعبدالله أحمد بن حنبل، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرةالطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م.

٣٢٣. مسند الإمام أحمد: أبوعبدالله أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٣٢٤. مسند البزار(البحر الزخار):أبوبكر أحمد العتكي المعروف بالبزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٢٥. مسند الحميدي:لأبي بكر عبدالله الحميدي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه حسن سليم أسد الداراني، دار السقا، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٣٢٦. مسند الطيالسي:لأبي داود الطيالسي، تحقيق محمد التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٣٢٧. المسودة في أصول الفقه:آل تيمية، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي.

٣٢٨. مشارق الأنوار على صحاح الآثار:عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٣٢٩. مشيخة ابن الجوزي:لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.

٣٣٠. المصاحف:أبو بكر بن أبي داود. تحقيق محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣٣١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٣٢. مصنف بن أبي شيبة:عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٣٣. المصنف لعبدالرزاق:عبدالرزاق الصنعاني، حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٣٤. المضنون به على غير أهله:للغزالي، المطبعة الإعلامية، مصر، القاهرة، ١٣٠٣هـ.

مع الاستعانة بالبرامج الحاسوبية، كالجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي، والموسوعة الشاملة، ومواقع الشبكة العنكبوتية.

٣٣٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن:للبغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣٣٦. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها:عواد المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٣٣٧. المعجم الأوسط:للطبراني، تحقيق طارق عوض الله وَ عبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

٣٣٨. معجم البلدان:ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

٣٣٩. المعجم الصغير:لأبي القاسم الطبراني، تحقيق محمود شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٤٠. المعجم الكبير:لأبي القاسم الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٣٤١. المعجم الوسيط:مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفى وَ أحمد الزيات وَ حامد عبد القادر وَ محمد النجار، دار الدعوة.

٣٤٢. معجم مقاييس اللغة:لابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣٤٣. معنى لا إله إلا الله:للزركشي، تحقيق علي راغي، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٣٤٤. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة:لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٤٥. المفردات في غريب القرآن:للراغب الأصفهانى. تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

٣٤٦. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم:للقرطبي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٣٤٧. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة:للسخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.

٣٤٨. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:لأبي الحسن الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠م.

٣٤٩. المقلق:لابن الجوزي، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٣٥٠. المقنع في رسم مصاحف الأمصار:عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، المحقق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٣٥١. الملائكة والجن دراسة مقارنة في الديانات السماوية الثلاث:مي بنت محمد حسن المدهون، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٣٥٢. الملل والنحل:للشهرستاني، مؤسسة الحلبي.

٣٥٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٣٥٤. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال:شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: محب الدين الخطيب.

منسوب لابن الجوزي- تحقيق أبي الأشبال الزهيري –مكتبة ابن تيمية –القاهرة- ط١-١٤٢٠هـ -١٩٩٩م

٣٥٥. المنظوم والمنثور:لابن الجوزي. تحقيق خالد المطرفي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٥٦. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية:لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣٥٧. منهاج القاصدين مختصر إحياء علوم الدين:لابن الجوزي، تحقيق كامل الخراط، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٣٥٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:أبوزكرياء يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٣٥٩. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة:للدكتور عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة السادسة ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٣٦٠. منية السول في تفضيل الرسول ﷺ:أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

٣٦١. مواسم العمر:لابن الجوزي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٣٦٢. المواعظ والمجالس:لابن الجوزي، دار الصحابة للتراث، ١٩٩٠م.

٣٦٣. المواقف:للإيجي، طبعة عالم الكتب، بيروت.

٣٦٤. الموضوعات: لابن الجوزي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى المجلد (١) وَ(٢) ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، المجلد (٣) ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٣٦٥. الموطأ:لأبي عبدالله مالك بن أنس، تحقيق الفقي، دار إحياءالتراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

٣٦٦. موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية نسبا ومعتقدا، د. سعد بن موسى الموسى، دار القاسم- الرياض، ط١ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٦٧. موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها:صالح بن غرم الله الغامدي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٣٦٨. مؤلفات ابن الجوزي:العلوجي. مركز المخطوطات، الكويت، ١٤١٤هـ

(ن)

٣٦٩. النبوات:لابن تيمية، دراسة وتحقيق الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣٧٠. نثر الورود على مراقي السعود:محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق ولد حبيب الشنقيطي، دار المنارة، الطبعة الأولى.

٣٧١. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر:لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٣٧٢. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب:للتلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

٣٧٣. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد:للدارمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، تحقيق رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٣٧٤. النهاية في الفتن والملاحم:أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي، المحقق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

٣٧٥. النهاية في غريب الحديث والأثر:لابن الأثير، تحقيق، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣٧٦. نواسخ القرآن:لابن الجوزي، تحقيق محمد المليباري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٣٧٧. نيل الأوطار: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

(هـ)

٣٧٨. هذه مفاهيمنا:صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، إدارة المساجد والمشاريع الخيرية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

(و)

٣٧٩. وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الاسلامي ٤٨٩-١٢٠٦هـ، ١٠٩٦-١٤٠٤م، دراسة ونصوص- محمد ماهر حمادة- مؤسسة الرسالة ط١ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٨٠. الوساطة بين المتنبي وخصومه:أبو الحسن علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٨١. الوفا بأحوال المصطفى:لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م.

٣٨٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(ي)

٣٨٣. الياقوتة:لابن الجوزي. نسخة إلكترونية.

فهرس الموضوعات

المقدمة.. ١

أسباب اختيار الموضوع..٢

الدراسات السابقة..٢

منهج البحث...٥

خطة البحث...٦

تمهيد: ويشمل عصر ابن الجوزي وسيرته ومنهجه في تقرير العقيدة،وفيه مبحثان..١٠

المبحث الأول: عصر ابن الجوزي وسيرته.............................١١

المطلب الأول: عصر ابن الجوزي رحمه الله............................١١

المطلب الثاني: سيرة ابن الجوزي رحمه الله...........................٤٥

المبحث الثاني: منهجه في تقرير العقيدة...............................٨٧

المطلب الأول: موقفه من الاستدلال بالقرآن والسنة والإجماع..................٨٧

المطلب الثاني: موقفه من العقل.......................................٩٢

المطلب الثالث: موقفه من التأويل.....................................٩٥

المطلب الرابع: موقفه من علم الكلام...................................١٠٤

الفصل الأول: آراؤه في مسائل الإيمان والإيمان بالله.........................١١٠

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان...................................١١١

المطلب الأول: حقيقة الإيمان...١١٢

المطلب الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه....................................١٢٠

المطلب الثالث: مرتكب الكبيرة..١٢٣

المطلب الرابع: الاستثناء في الإيمان.....................................١٣١

المطلب الخامس: حكم أهل الفترة......................................١٣٦

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالله.......................١٤٢
المطلب الأول: آراؤه في مسائل وجود الله وربوبيته.....................١٤٣
المسألة الأولى: طرق دلالات وجود الله...........................١٤٣
المسألة الثانية: أوَّل واجب على المكلَّف..............................١٥٧
المطلب الثاني: توحيد الألوهية.......................................١٦٢
المسألة الأولى: الاستدلال لتوحيد الألوهية...........................١٦٢
المسألة الثانية: التعريف بـ(لا إله إلا الله) ١٦٦
المسألة الثالثة: التوسل بجاه النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين...........١٧١
المسألة الرابعة: التبرك...١٧٦
المسألة الخامسة: التبرُّك بالقبور....................................١٨٠
المسألة السادسة: ادعاء علم الغيب...................................١٩٢
المسألة السابعة : الرُّقى والتَّمائم.....................................٢٠٠
المسألة الثامنة: الفأل والتطير......................................٢٠٥
المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات..............................٢١١
تمهيد...٢١١
المسألة الأولى: أسماء الله الحسنى، وفيه فرعان.......................٢١٢
الفرع الأول: البيان أنَّ أسماء الله ليست محصورة في عدد معين..............٢١٢
الفرع الثاني: بيان معنى الإحصاء الوارد في الحديث........................٢١٤
المسألة الثانية: صفات الله عزَّ وجلَّ......................................٢١٧
الفرع الأول:منهج ابن الجوزي رحمه الله في صفات الله عزَّ وجلَّ..............٢١٧
الفرع الثاني: آراؤه في صفات الله عزَّ وجلَّ الذاتية والفعلية...................٢٣٦
القضية الأولى: الصفات الذاتية......................................٢٣٦
القضية الثانية: الصفات الفعلية.......................................٢٤٨

الفصل الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالملائكة والكتب والرسل..................٢٨٦

المبحث الأول : آراؤه في الإيمان بالملائكة..............................٢٨٧

المطلب الأول : ما يتعلَّق بالملائكة.......................................٢٨٧

المسألة الأولى : مادة خلقهم...٢٨٧

المسألة الثانية : صفة الملائكة...٢٩٠

المسألة الثالثة : وجودهم المكاني..٢٩٤

المسألة الرابعة : عصمة الملائكة..٢٩٥

المسألة الخامسة : أعمال الملائكة...٣٠١

المسألة السادسة : قتال الملائكة وحضورها الحروب..................... ٣٠٢

المسألة السابعة : رؤية البشر–من غير الأنبياء– للملائكة...................٣٠٦

المسألة الثامنة : تفضيل البشر على الملائكة..............................٣٠٩

المطلب الثاني : ما يتعلَّق بالجن...٢١٦

المسألة الأولى : حقيقة الجن والشياطين.................................. ٣١٦

المسألة الثانية : إبليس من الجن...٣١٨

المسألة الثالثة : ليس من الجن رسل.......................................٣٢١

المسألة الرابعة : دخول مؤمني الجن الجنَّة..................................٣٢٣

المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالكتب.........................٣٢٨

المطلب الأول: إعجاز القرآن الكريم.......................................٣٢٨

المسألة الأولى: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم عند ابن الجوزي رحمه الله....٣٢٨

المسألة الثانية: الصَّرفة...٣٣٢

المطلب الثاني: تخطئة مقولة [في القرآن لحن تصلحه العرب]...............٣٣٥

المطلب الثالث: التوراة والإنجيل..٣٣٩

المبحث الثالث: آراؤه في مسائل الإيمان بالرسل.........................٣٤٥

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما........................٣٤٥
المطلب الثاني: الوحي...٣٤٩
المطلب الثالث: النبوة اصطفاء من الله.......................................٣٥٤
المطلب الرابع: دلائل النبوة..٣٥٨
المسألة الأولى: مصطلح دلائل النبوة، والمعجزة.............................٣٥٨
المسألة الثانية: طرق دلائل النبوة..٣٦٠
المسألة الثالثة: جعل التحدِّي شرطٌ في المعجزة.............................٣٦٥
المسألة الرابعة: كون المعجزة خارقةً للعادة، واختلافها للسحر والكهانة........٣٦٧
المسألة الخامسة: الكرامة...٣٧٢
المطلب الخامس: عصمة الأنبياء..٣٨١
المسألة الأولى: عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الجملة..............٣٨١
المسألة الثانية: عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في التبليغ، وأداء الرسالة......٣٨٢
المسألة الثالثة:عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكفر قبل النبوة......٣٨٤
المسألة الرابع:عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد النبوة من الكبائردون الصغائر....٣٩٠
المطلب السادس: الإيمان بنبينا ﷺ...٣٩٥
المسألة الأولى: طاعته ﷺ واتباع سنته وشرعه................................٣٩٥
المسألة الثانية : الإيمان بكونه خاتم النبيين.................................٣٩٧
المسألة الثالثة : عموم رسالته ﷺ...٣٩٩
المسألة الرابعة: عصمته ﷺ..٤٠٣
المسألة الخامسة : محبته ﷺ...٤١١
المطلب السابع: الإسراء والمعراج..٤١٥
المطلب الثامن: رؤية النبيِّ ﷺ لربِّه...٤١٧
المطلب التاسع: فضله ﷺ على الأنبياء.......................................٤٢١

المطلب العاشر: ميراثه ﷺ..٤٢٥
الفصل الثالث:آراؤه في مسائل الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر والصحابة...٤٢٧
المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان باليوم الآخر........................٤٢٨
تمهيد..٤٢٨
المطلب الأول: عذاب القبر ونعيمه......................................٤٢٨
المسألة الأولى: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.................................٤٢٨
المسألة الثانية: عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن.........................٤٣٠
المسألة الثالثة: سماع الموتى في قبورهم.......................................٤٣٧
المطلب الثاني: بعض أشراط الساعة...٤٤١
المسألة الأولى: المسيح الدجال...٤٤١
المسألة الثانية: الدخان...٤٤٤
المسألة الثالثة: طلوع الشمس من مغربها........ ....٤٥١
المطلب الثالث: البعث والنشور...٤٥٣
المسألة الأولى: الإيمان بالبعث والنشور......................................٤٥٣
المسألة الثانية: البعث للجسد الذي كان في الدنيا............................٤٥٨
المسألة الثالثة: حقيقة الصُّور وعدد النفخات فيه.............................٤٦٤
المسألة الرابعة: الحوض...٤٦٩
المسألة الخامسة: الميزان..٤٧٢
المطلب الرابع: الجنَّة والنار..٤٧٩
المسألة الأولى: خلق الجنَّة والنار ووجودهما....................................٤٧٩
المسألة الثانية: أبديتهما وخلودهما...٤٨٠
المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الإيمان بالقضاء والقدر...........................٤٨٨
تمهيد..٤٨٨

المطلب الأول: مراتب القدر..٤٨٩
المطلب الثاني: الحكمة والتعليل......................................٤٩٨
المطلب الثالث: نظرية الكسب..٥٠٧
المطلب الرابع: السببيَّة...٥١٠
المبحث الثالث: آراؤه في المسائل المتعلِّقة بالصحابة......................٥١٥
المطلب الأول: فضل الصحابة رضي الله عنهم والدفاع عنهم................٥١٥
المطلب الثاني: الأمر بالسكوت عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم........٥١٨
الخاتمة...٥٢١
الفهارس العامة...٥٢٣
فهرس الآيات...٥٢٤
فهرس الأحاديث النبوية...٥٤٦
فهرس الآثار..٥٥٥
فهرس الأعلام...٥٥٦
فهرس الأديان والفرق...٥٦٣
فهرس الأماكن...٥٦٤
فهرس غريب اللغة...٥٦٦
فهرس الأبيات الشعرية...٥٦٨
المصادر والمراجع..٥٧٠
فهرس الموضوعات...٥٩٤